موسوعة

سليم حسن

مصر القديمة



الجزء الرابع

عهد الهكسوس

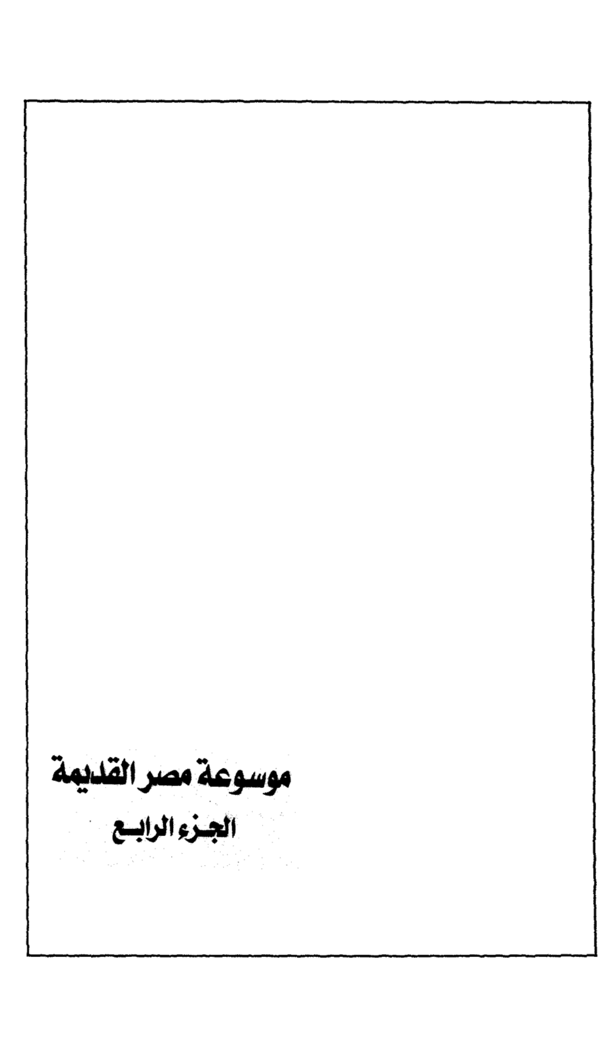
وتأسيس الأمبراطورية

2000

مهرجان القراءة للجميع عشر سنوات






موسوعة مصر القديمة
الجـزء الرابـع

الجـزء الرابـع

«صورة الغلاف» :

رأس نفرتيتى :

تمثال نصفى للملكة نفرتيتى، نحت من الكوارتز الغامق، وهـو موجود بتل العمارنة عُثر عليه فى مرسم النحات تحتمس، ويفيض وجه التمثال رقة وعذوبة وبسـاطة، وهو غاية فى مـرونة التشكيل، أما نظرته فـهى تنم عن ذكاء حاد، والخطوط غاية فى الدقة، وعلى وجه الخصوص فإن ذلك يتمثل فى الأنف، وهو تمثال يضاهى تمثال نفرتيتى النصفى الشهير (الملون، والمنحـوت فى الحـجـر الجـيرى والمحـفـوظ بمتـحف برلين) وكذا تمثال نفرتيتى الموجود بمتحف اللوفر.

محمـود الهنـدى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابـع

عهد الهكسوس وتأسيسِ الإمبراطورية

سـليم حسـن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع

سليم حسن

الغلاف:

والإشراف الفنى

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر بصفة مستمرة طول العام برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم.. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

إن عصر الدولة الوسطى — وقد فصلنا القول فيه على قدر ما سمحت به مصادرنا — عهد حضارة وثقافة ، وفنّ عظيم ، فلقد قطعت فيه مصر شوطا بعيدا صاعدة فى معارج الرقىّ الإنسانىّ من جميع نواحيه ؛ ولكن ما لبث هذا العهد أن انقضى ، وخلفه عهد مظلم حالك ، لا يكاد المؤرّخ المحقق يلمح فيه ما يهديه الى حال البلاد ونظمها ومقدار ثقافتها ، اللهم إلا ومضات لا تكاد تلمع حتى تخبو ، ثم تتوالى جحافل الظلام وتتلاحق بعد ذلك ، فتحجب كل شىء فى جوفها القاتم العابس . كان ملوك هذه الدولة لا يكاد يستقر أحدهم فى عرشه حتى تتزلزل قواعده ، ويهوى بين عشية وضحاها ، وهكذا ظلت هذه الحال المفجعة تطغى على البلاد ، على إثر سقوط الأسرة الثانية عشرة ، حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة ، عند ما ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا أزمة البلاد ، وريفها بخاصة ، وتحكموا فى أقدارها قرابة قرن ونصف قرن من الزمان . وتدل معلوماتنا الحديثة على أن هؤلاء المغتصبين لم يهبطوا على البلاد فجاءة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرّخون ، ولكنهم تسرّبوا إليها ببطء وعلى مهل ، حتى إذا نشروا ثقافتهم ومبادئهم ، ووضحت أمامهم سبل مصر وشعابها ، انقضوا عليها بجيش جرّار ، سيطروا به على الدلتا فى بادئ الأمر ، ثم امتدّ سلطانهم الى مصر الوسطى ، ولقد ألحق المصريون بهؤلاء الغزاة كل نقيصة متأثرين بعدوانهم ، فسموهم « الهمج » و « الهكسوس » (الرعاة) و « الطاعون » الى غير هذه الأسماء التى يضفيها المغلوب على المغتصب القاهر . ولم يكن هؤلاء الغزاة الذين اجتاحوا مصر جملة حوالى عام ١٧٣٠ ق م همجا ولا متوحشين ، كما تحدّثنا التقاليد التاريخية التى وصلت إلينا عن تاريخ كتّاب الإغريق ، بل كانوا

مثقفين ذوى حضارة وعرفان ، فنهلت مصر من موردهم ، واستنارت بمدنيتهم التى انتظمت فنون الحرب ، ونواحى الصناعة ، وأخذت عنهم كثيرا من المخترعات التى لم تعرف قبل فى وادى النيل . ولقد كان ذلك حافزا لنا على إفراد فصل من هذا الكتاب لبحث أحوال أولئك الأجانب ، وما خلفوه فى البلاد من آثار ، وكيف هاجروا إليها أولا ، ثم كيف غزوها جملة ، ومن أين أتوا ، والى أى السلالات البشرية ينتسبون، وغير ذلك من المسائل المعضلة فى تاريخ هؤلاء القوم . ولقد عنينا بتحقيق مدّة إقامتهم فى ديارنا ، الى أن استيقظ الروح القومى ، وهبّ الوعى المصرى ، وشعر بما تعانيه البلاد من ذلّ ومهانة ، فى ظل الحكم الأجنبى الغاصب ، وسيطرته على معظم تربة مصر ، وهى أرض الدلتا التى تفيض بالثراء ، ومصر الوسطى التى تنعم بأجمل الأجواء ، وأطيب الغلات ؛ من أجل ذلك هبّ المصريون الى ساحة القتال يناضلون عن استقلال بلادهم ، يقودهم سلسلة من ملوك مصر الشجعان ، لتخليص البلاد من النير الأجنبى ، فاستشهد منهم من استشهد فى ساحة الشرف مدافعا عن أرض الكنانة ، وناضل منهم من ناضل حتى مات حتف أنفه ، الى أن قيض الله لمصر النصر النهائى ، وتحررت البلاد منهم على يد الفرعون العظيم « أحمس الأول » ، الذى طارد العدوّ المستعمر حتى خارج حدود مصر . ومما هو جدير بالذكر هنا أن الجنود السودانيين الشجعان قد أسهموا فى القضاء على هذا العدوّ المشترك منذ بداية الأمر ، إذ كانوا يؤلفون فرقة فى جيش الفرعون « كامس » .

وقد كان « أحمس الأول » مجلى الهكسوس عن البلاد ، وأول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، المؤسس الأول لبناء الإمبراطورية المصرية ، التى امتدّ سلطانها ، وثبتت دعائمها فى أواخر عهد العاهل العظيم « تحتمس الثالث » الذى يلقبه بحق مؤرخو الغرب « نابليون الشرق » ، فصارت تمتدّ من أعالى نهر «دجلة والفرات» شمالا حتى الشلال الرابع جنوبا ، وقد حافظ على كيانها أخلافه حتى نهاية عهد « أمنحتب الثالث » ، الى أن جاء الفرعون « إخناتون » يحمل لواء عقيدة

التوحيد ، والإيمان بالإله الأحد الفـرد الصمد ، وأخذ فى نشر تعاليمه السلمية علنا بعد أن كانت تذاع تحت ستار من الإبهام؛ غير أن انكبابه على نشر رسالته الروحية قد صرفه عن الالتفات الى أحوال البلاد الداخلية والخارجية ، مما أدّى الى تداعى ذلك البنيان الذى أقامه أجداده بحـدّ السيف وحسن السياسة ، فانتقصت الدولة من أطرافها حتى انكمشت فى عقر دارها ، ولكن عهده كان سحابة صيف تقشعت إثر اختفائه من مسرح الحيـاة ، فقيض الله للبـلاد جنديا من أبنائها الأبطال وهو « حور محب » الذى أعاد للبـلاد بعض سؤددها السالف وسمعتها الحربيـة التى كانت قد تداعت .

وسنحاول هنـا أن نستعرض تاريخ الكانة فى عهـد هذه الأسرة بطريقتنـا الخاصة ، التى ميكون اعتمادنا فيهـا على الوثائق الأصلية ، وآخر البحوث العلميـة التى نشرت حتى الآن .

وعلى الرغم ممـا يعترض مؤرّخى العصور القديمة من عقبات ، ومسائل معقدة لم يزل حلها معلقا ، والقول الفصل فيها متوقف على نتائج الحفائر العلمية التى تقوم فى مصر وغيرها من بلدان الشرق المجاورة ، فإن لدينا مادّة وفيرة تكشف لنا القناع بعض الشىء عن حضارة البلاد وثقافتها، بصورة واضحة جلية فى نواحٍ كثيرة كانت مجهولة ، و بخاصة حياة الشعب ، وما كانت عليه أحوال أفراده من صلات اجتماعيـة تربط بعضهم ببعض ، و بطائفـة الحكام ؛ وكذلك لدينـا من الوثائق ما يضع أمامنا صورة مفهومة عن أعمـال فراعنة هـذه الأسرة فى داخل البـلاد وخارجها ، وما تركوه لنا من آثار خالدة هنا وهناك .

وهذه المـادّة التى سنعتمد على استنباط تاريخ هذا العصر منها نحصر أوّلا فيما خلفه لنا عظماء القوم فى نقوش مقابرهم الفاخرة فى طول البلاد وعرضها ؛ وثانيا فيما تركه لنـا الملوك من مبانٍ دينيـة ، ومقابر ملكية وأوراق بردية فى « طيبة » عاصمة ملكهم وغيرها دوّنوا عليها كل أعمالهم العظيمة فى كل مرافق الحياة .

والواقع أن المقابر التى نحتها عظماء القوم ، ورجال البلاط ، والموظفون فى عهد هذه الأسرة ، والأسرات التى كانت فيها « طيبة » عاصمة الملك تعـدّ بمثابة سجل تاريخى من الطراز الأول ؛ إذ أنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة فى نواحى حيـاتهم اليومية ، العامة والخاصة إلا أحصوها ، ولم يحِد عن هـذا المنهج المحبب شريف أو موظف منهـم . فنرى رئيس الوزراء يصوّر لنـا على جدران مزار قبره صورة صادقة يوضح فيها كل مهامّ أعماله الحكومية فى داخل البلاد ، كما يصوّر لنا فى منظر آخر استقباله للوفود الأجانب الذين أتوا الى مصر حاملين ما فرض عليهم من جزية للفرعون ، أو جالبين الهـدايا له ، طلبـا فى ودّه ومصادقته . فنرى أمامك ممثلى الأقطار الخاضعة لمصر ، وبخاصة السورى ، والفلسطينى ، والسودانى واللوبى ، مقدّمين ما عليهم من جزية ، كما نرى « الخيتى » و « الكريتى » و « القبرصى » و « الآشورى » حاملين الهدايا ، وكل منهم يرتدى لباسه القومى ، مقدّما ما تنتجه بلاده من خيرات وطرائف ؛ وفى ناحية أخرى دوّن لنا القوانين والتعاليم التى يجب أن يسير على هديها هو وطائفة الموظفين الذين فى ركابه فى إقامة العدالة فى البلاد ؛ أو تراه يشرف على كل الأعمـال العظيمة من مشـاريع اقتصادية وزراعية وفنيـة وهندسية ، ويوجه العمال الى إدارة أعمالهم حتى فى أحقر المهن وأصغرها شأنا حتى يعلم كلّ أنه محيط بكل شىء ، ومتنبه لكل صغيرة وكبيرة ، وفى ناحية أخرى تراه مصوّرا وهو متربع على كرسيه المتواضع فى قاعة العدل ، يصرف العدالة بين أفراد الشعب ، ويوجه رجال الدولة الى تصريف مهامّها ، ويستقبل وفود المقاطعات ، ويطلع على الضرائب وكيفية توزيعها وجمعها على حسب ما تقتضيه حالة النيل من زيادة أو نقص .

وعلى جدران مزار مقبرة أخرى نرى صاحب الأملاك أو الشريف وهو يشرف على سـير العمل فى ضياعه ، وهنـا ترى صورة صادقة عن حياة الفـلاح المصرى القديم تطابق حيـاته الزراعية الحديثة ، فتراه يحرث الأرض ويبذر فيها الحب ،

ويتعهدها بالري ، ثم يضم المحصول ويدرسه ، ويخزنه للشريف كما يحدث الآن مع فارق واحد هـو أن صاحب الأرض فى مصر القديمة مهما كانت مكانته كان ينزل للفلاح عن نصيب معين يقتات به هو وأسرته ، سـواء أكان المحصول كثيرا أم ضئيلا ؛ ولذا نلحظ أن الفلاح كان يعمل لسيده بقلب مطمئن ونفس راضية.

ونقرأ على جدران مقابر الموظفين من رجال الإدارة والجيش والسلك السياسى صفحات أخرى تبـدى ما كانوا يقومون به من أعمـال جسام خدمة لبـلادهم وللفرعون الذى كانوا يحيطون به إحاطة النجـوم بالقمر فى ليلة صافيـة الأديم ، وبخاصة إذا علمنا أن هؤلاء الموظفين فى تلك الفترة من تاريخ البلاد لم يكونوا من طبقة أشراف وراثيين ، بل كانوا أفرادا من عامة الشعب ، شـقوا طريقهم الى المجد والرفعة بمـا قاموا به من خدمات مخلصة لبلادهم وللفرعون فى ساحة القتال ، أو فى تسيير دفة الحكم فى البلاد ، لذلك كان كل واحد منهم يصوّر لنـا حياته من كل نواحيها ، فيذكر لنا مناقبه ، والوظائف التى تقلدها ، والإنعامات الملكية التى نالها جزاء ما قام به من جليل الأعمال فى داخل البلاد وخارجها ، غير معتمد على نسبته لأسرة شريفة أو جاه عريض ، بل كان يفخر بأنه نشأ من أبوين رقيقى الحال ثم يشفع ذلك بالمناظر التى تصوّر لنا ذلك كله ، فنشاهده وقد أرسله الفرعون فى بعثة إلى « سـوريا » أو « فلسطين » أو « السودان » لإنجاز مهام سياسية أو لإحضار الأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور ، ثم نشاهد البعثـة وقد وصلت سالمة إلى ميناء « طيبة » محملة بالخيرات ، وعلى جدران مقبرة أخرى نشاهد أحد كبار رجال الجيش يمثل لنا حياة الجندى العظيم ، وهو يقوم بما فرض عليه من واجبات ، فنراه مع جنوده وضباطه ، وهو يوزع عليهم أرزاقهم وأعطياتهم كما يعرض علينا كيفية تجنيدهم وتسليحهم ، واستعراضهم وتدريبهم على فنون الحرب والفرعون يشرف على هذا بنفسه . على أن هؤلاء العظماء وكبار الموظفين لم ينسوا أن يصوّروا لنا على جدران مزار مقابرهم نصيبهم من الحياة الدنيا ومتاعها ، فقد صوّروا لنا مناظر خروجهم

للصيد والقنص فى عرباتهم المطهمة، تتبعهم كلابهم المدربة ؛ أو وهم فى قواربهم لصيد السمك ، ومعهم أزواجهم وبناتهم ، أو نراهم فى حفل أسرى دعى إليه الأقارب والأصدقاء وهنا نشاهد ما كان عليه المصرى صاحب اليسار من أناقة الملبس، وتسامح فى معاقرة الخمر والتهام أشهى الأطعمة المختلفة الألوان ، وفى هذا الحفل ترى أواصر الأسرة المحكمة والحب المتبادل ، كما ترى من ناحية أخرى مقدار ما وصل إليه المثال من الدقة والإبداع فى إخراج الصور وتنسيقها .

ولدينا طراز آخر من المقابر نرى على جدرانها أن الموظف قد عنى عناية خاصة بتصوير حياته الحكومية فيمثل لنا الحفل بتنصيبه فى وظيفته الجديدة بين يدى الفرعون ذاكرا لنا كل ما كان يحمله من ألقاب ووظائف، وكيف درج فيها ومعدّدا لنا ما كان متصفا به من فضائل وعدالة فذة ، وبالقرب من هذا الموظف آخر قد عنى بناحية أخرى من حياته الحكومية وبخاصة المشرفين على غلات البلاد ومحاصيلها ، وما كان لهم من شأن عظيم فى حياة البلاد، ولا سيما إذا علمنا أن حياة مصر كانت تعتمد على ما تنتجه من غلات وما كان للقائمين بهذا العمل من مكانة خطيرة ،ولا أدل على ذلك من أن « يوسف » عليه السلام الذى يحتمل أنه دخل مصر حوالى هذه الفترة كان أوّل ما طلب من الفرعون هو أن يجعله على خزائن الأرض أمينا ، لذلك نرى المشرف على خزائن غلات مصر فى ذلك العهد قد مثل لنا مهام أعماله بدقة بالغة مقدّما للفرعون مقدار ما تخرجه أرض مصر وما يفد عليها من غلات من الخارج ، كما كان يصوّر لنا الحفل العظيم الذى كان يعقد ابتهاجا بعيد الحصاد الذى كان يرأسه الفرعون بنفسه .

ومما يلاحظ هنا أنه قد أتى على مصر فترة فى عهد هذه الأسرة كان الفلاح فيها سعيد الحال موفور العيش لدرجة — إذا صدّقنا ما نشاهده فى المناظر الباقية — أنه كان يرتدى الملابس الجميلة، وينتعل النعال المتينة فى أثناء قيامه بحصد المحصول مما يتمناه فلاح مصر اليوم .

وقد صوّر لنا المصرى معتقداته الدينية فى شعائره التى نرى بعضها حتى الآن، فقد كان المصرى فى كل مناظر قبره يدوّن الصلوات والتعاويذ الدينية لأجل بقاء تماثيله وجسمه حتى ينعم بكل ما كان ينعم به فى الحياة الدنيا التى صوّرها على جدران قبره، والتى كان يأمل أن تكون حقيقة ملموسة ، إذا ما تليت عليها الأدعية والصلوات الخاصة بذلك ، ولعل هذا هو السر فى تصوير كل هذه المناظر فى تلك القبور، ولا نزاع فى أن المصرى كان يعدّ أكبر مواطن أحب وطنه إذ كان يعدّه متاعه فى الحياة الدنيا ، ونعيمه المقيم فى عالم الآخرة ، لأنه كان يعتقد أن جنة عالم الآخرة ليست إلا صورة أخرى لمصر وطنه المحبوب .

من أجل ذلك كله رأيت — وأرجو أن أكون قد أصبت الهدف — أن أتبع عهد كل فرعون بوصف قبور نخبة من رجال عصره شارحا ما تنطوى عليه مناظر مزارات قبورهم وما تكشف لنا من حياة الشعب الاجتماعية ، وعلاقتهم بكبار رجال الدولة و بمليكهم . ولقد وجهت عناية خاصة لقبر الوزير «رخ مى رع» الذى يعدّ بحق أعظم وزراء مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، بل فى التاريخ المصرى كله،والواقع أن قبر هذا الوزير فضلا عن فخامته وعظمته من حيث النحت والضخامة سجل فى تاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والفنية والهندسية . ولا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أنه يمثل أمامنا تمثيلا حيا مملكة بأسرها رسمت على جدران قاعات مزاره الفسيحة الأرجاء ، فنرى على أحدها الفرعون ينصب الوزير ويلقى عليه خطابا رائعا عن مهام وظيفته فى حفل عظيم رسمى، ثم نشاهده فى قاعة العدل على كرسيه وحوله أعوانه وكتبته على استعداد لسماع شكايا القوم والفصل فيها، و بعد ذلك نراه فى مشهد آخر يستقبل الوفود من الممتلكات المصرية و يستقبل وفود الأقاليم من كل مقاطعة يعرضون عليه أحوال البلاد المختلفة، ونراه فى منظر آخر يشرف على مشروعات الفرعون العظيمة من بناء معابد ووضع تصميماتها، وتهيئة كل ما تحتاج إليه حتى صناعة اللبنات كان يشرف عليها و يوجه العمال فى كيفية

صناعتها كما كان يسهر على مصلحة العمال من نساء ورجال، وبخاصة الأسرى الذين كان يحسن معاملاتهم ويعطيهم نصيبهم من الحيـاة ، وكذلك نشاهده يشرف على ممتلكات الإله « آمون » وعبيده فى معبـد الكرنك وما يتبعـه من المعامل والمصانع التى كان يقوم فيهـا أهل الحـرف والصناعات بأعمالهم خير قيـام ، ولم يترك لنـا « رخ مى رع » حرفة أو صناعة إلا مثلها أمامنا تمثيلا صادقا بكل آلاتها ومعداتها مما لم يجتمع فى مزار مقبرة أخرى بصورة واضحة جلية ، فترى أمامك النجار يعمل بآلتـه، والخباز والحـداد ودابغ الجلود، والصائغ وصانع الأحذية والنحال وتحضير الشهد وصهر المعادن وصبها والمبانى وكيفية إقامتها، والأحجار وقطعها ونحتها ، وغير ذلك مما سيراه القارئ بعد مفصلا .

وفى ناحية أخرى من قبره نشاهده بين أفراد أسرته فى حفل أسرى دعا فيـه الأهل والخلان، وفى حفل آخر نراه داعيا كبار موظفيه ليستأنس برأيهم فى تصريف الأمور ، وفى كل ذلك نرى الأزياء الخلابة وأنواع الطعام الفاخرة هذا إلى مناظر دينية خاصة بإحياء تمثاله أو موميته فى عالم الآخرة، وترتيب الأوقاف الخاصة بطعامه الأبدى، وغير ذلك مما سنراه فى مكانه . هـذا الى أنه قد ترجم لنفسه ليظهر للعالم ما كان عليه من أعباء جسام وما اتصف به من من خلق كريم ومكانة فذة .

ولدينا صنف آخر من كبار رجال الدولة قد حاول أن يمثل فى قبره مناظر تصفه فى مكانة رفيعـة تضارع ما كان يعمل للفرعون نفسه كما فعـل « سنموت » أكبر رجال الدولة فى بلاط « حتشبسوت » فقـد زين جدران قبره بمناظر تـدل دلالة واضحة على أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الاشتراك فى الملك مع سيدته وصديقته « حتشبسوت » كما ترك لنا بعض المناظر العلمية وبخاصة المنظر الفلكى الذى حلى به سقف قبره مما لا نجده إلا فى قبور الملوك العظام .

ولا إخال القارئ الذى ينظر إلى التاريخ نظرة اجتماعية يجـدنا قد شططنا عن الصواب فى الاهتمام بتصوير حالة الشعب وما كانوا عليه من نعيم أو شقاء، أو أنا

قد جاوزنا الحد فى العناية بشرح ما على مقبرة «رخ مى رع» من مناظر تصف لنا الحياة المصرية كما كانت عليه منذ ٣٥٠٠ سنة تقريبا ، وفى رأيى أن هذا هو التاريخ الحى الحق ، ذلك التاريخ الذى يعنى بالشعب وحياته من كل الوجوه. ولا غرابة فى ذلك فقد عرف أحد المؤرخين المحدثين علم التاريخ بأنه هو « علم الاجتماع » .

والمصدر الثانى الذى اعتمدنا عليه فى كشف النقاب عن تاريخ هذه الفترة هو الآثار التى خلفها لنا فراعنة هذه الأسرة وتنحصر فى المعابد التى أقاموها للآلهة فى مختلف أنحاء الأمبراطورية ، وكذلك المعابد التى شيدوها لأنفسهم والمقابر التى نحتوها فى جوف الجبال فى الجهة الغربية من النيل ، هذا إلى البقية الضئيلة التى خلفوها لنا من مبانيهم الدنيوية ، وما عثر عليه من أوراق بردية فى مختلف تلك الآثار. والواقع أن ملوك هذه الأسرة قد اتخذوا معابد آلهتهم الذين كانوا يهبونهم النصر فى ساحة القتال سجلا لتدوين كل أعمالهم ومفاخرهم إلى جانب الغرض الأصلى من إقامة هذه المعابد ، وهو إقامة الشعائر الدينية للإله الذى كان يعد والد الفرعون ، وتلك مزية خاصة وظاهرة جديدة اختص بها فراعنة الدولة الحديثة ؛ لأن الإله فى ذلك العهد أصبح هو المسيطر بنفوذه السياسى والدينى على كل الامبراطورية المصرية ، وسادت العقيدة بذلك كل أرجاء الدولة ، ولما كان الإله يعد فى نظر الشعب والد الفرعون كان لزاما على ابنه أن يدون على جدران معابده ومعابد الآلهة الآخرين التابعين له والذين آزروه وعززوه ونصروه فى ساحة القتال ، كل ما أحرزه من نصر حربى ، كما يكشف عن خططه الحربية وما إلى ذلك من جسام الأمور وجليل الأعمال التى تمت فى عهده فى ظل عطف والده الإله سواء أكان ذلك فى داخل البلاد أم فى خارجها . وفى الحق لم نجد لهذه الظاهرة أثرا من قبل فى كل ما بقى لنا من آثار ملوك الدول المصرية السابقة إلا الشىء القليل ؛ إذ كانت كل نقوشها بوجه عام خاصة بالمراسيم الدينية وإقامة الشعائر .

ولا نزاع فى أن معبد «الكرنك» أو معبد «الدير البحرى» أو معبد «أمنحتب الثالث» الجنازى وغيرها من المعابد التى أقيمت فى المدن المصرية الأخرى

أو فى السودان هى سجلات دوّنت عليها حروب ملوك مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، كما دوّنت عليها بعوثهم التجارية وعلاقاتهم الخارجية ، وقد كانت ولا تزال معرضا علميا من الطراز الأوّل لما كان عليه القوم من ثقافة عالية فى مختلف العلوم والفنون، و بخاصة فى فن البناء والنحت والحرف والصناعات الدقيقة ، والأدب مما كان يعمله الفرعون إرضاء لوالده الإله مستعينا فى تنفيذه بما يتدفق على الكنانة من الجزية والهدايا التى ترسلها البلاد الخاضعة لسلطان الفرعون بحد السيف أو بالمهادنة والمصادقة ، كما كانت هذه المعابد سجلا للملوك أنفسهم يدوّنون عليها تاريخ حياتهم وكيفية اتصالهم بالإله الأعظم صاحب السيادة العالمية « آمون رع » وقتئذ . فبينا نرى الملكة « حتشبسوت » مثلا تصوّر لنا على جدران معبدها بالدير البحرى تاريخ ولادتها وكيفية اعتلائها عرش الملك نراها تمثل لنا فى نفس المعبد البعثة البحرية السلمية التى أرسلتها الى بلاد « بنت » وهى الأرض المقدّسة التى كانت تمتد على ساحل الصومال و بلاد اليمن لتحضر البخور والأشجار العطرية لتغرسها فى معبدها الذى بنته لنفسها ولوالدها الإله « آمون » وتعود البعثة وسفنها محملة بكل طرائف بلاد بنت مما وقفنا على كثير من أحوال أهلها وغلاتها وحيوانها وسمكها، والأجناس التى تسكنها ، ونرى كذلك « تحتمس الثالث » يدوّن لنا على جدران « معبد الكرنك » تاريخ حروبه وفق يوميات كانت تؤلف لهذا الغرض فى ساحة القتال ، و يقيم معبدا للإله « آمون » الذى نصره فى كل المواطن على هيئة خيمة حربية مشعرا بذلك أن إلهه لم يكن إله سلم وحسب ، بل كان إله نضال أخذ بناصر ابنه الفرعون فى ساحة القتال ، وكذلك نراه يعرض علينا كل أنواع الهدايا والغنائم والأعمال العظيمة الدينية التى قدمها للآلهة الذين وهبوه النصر فى ساحة الوغى ، ثم يعدّد لنا أنواع الجزية التى كانت تجبى من البلاد التى فتحها و بخاصة الذهب والمعادن والأحجار والتحف الفنية التى كانت تأتى الى خزائنه ، مما يكشف لنا عن مقدار التقدّم الفنى والصناعى فى ذلك الوقت وكذلك العبيد

والإماء التى كانت ترد الى مصر فكان لها الأثر السيء فى البلاد بعد ، ويحدثنا عن أسطوله الذى كان يشـد أزره فى تلك الأصقاع النائية من امبراطوريته مما ملكه زمام البر والبحر ، وقد دوّن لنا كل ذلك على جدران المعابد أو على لوحات تنصب كالأعلام فى جهات الامبراطورية المختلفة ، وكذلك نجده يحدثنا فى مواطن كثيرة عن حبه للرياضـة البدنية فى مختلف أشكالها ، وضروب الفروسية التى ورثها عنه ابنه «أمنحتب الثانى» وغيره من ملوك هذه الأسرة كما يحدثنا عن معاملته السمحة للأعداء وعلاقته بجنده ورجال بلاطه وحسن معاملته لهـم ، وما كان لذلك من التفاف الشعب حوله ، وبخاصة الطبقة الوسطى الذين تألف منهم فى آخر الأمر عظماء جيشه وحاشيته الذين أُنشئوا وتربوا مع أمراء البيت المـالك ، فأخلصوا من أجل ذلك لمليكهم فى ساحة القتال وفى إدارة البلاد، ولا أدل على ذلك من أن عددا عظيما منهم كانوا إخوة للفرعون فى الرضاعة أو تربوا معه فى مدرسة واحدة ،وقد كان لهؤلاء الملوك شأن آخر فى معاملة أولاد الأمراء الذين أتى بهم أسرى من البلاد المغلوبة على أمرها إذ كان ينشئهم على حب مصر ثم يوليهم أمور بلادهم بعد موت آبائهم، وتلك سياسة انتهجتها دول أخرى قديمة وحديثة، ولكنها لم تأت بثمرتها المرجوة .

ومقابر هؤلاء الملوك ومعابدهم الجنازية سجـل من طراز آخر يختلف اختلافا بينا عن مقابر عظماء القـوم ، فمعظم عنايتهم موجهة الى إخفـاء مقابرهم فى جوف الجبل لمـا كانت تحتويه من أثاث فاخر عظيم القيمة دل على ذلك مقبرة « توت عنخ آمون» مع أنه لم يكن من أعاظم ملوك تلك الأسرة، والواقع أن أثاث مقابر هؤلاء الملوك ينطق بما كانت عليه البلاد من ثراء مادى وغنى فنى وحياة رفيعة وبذخ وتأنق فى سبل الحياة ممـا يجعلنا نقف مشدوهين أمام ما وصلوا إليه من حضارة راقية .

ونقوش مقـابرهم كانت من طراز فـذ إذ كانت كلها خاصـة بعالم الآخرة ، وما كان يلاقيه الفـرعون المتوفى من صـعاب لا بدّ من التغلب عليها حتى يصـل الى جنة الخلد كما شرحنا ذلك عند الكلام على الحياة الدينية وكتاب الموتى .

وكانت معابدهم الجنازية تشبه معابد الآلهة فى محتوياتها ونقوشها الدينية ، وقد كانوا يقيمونها بعيدة عن المقبرة الأصلية على ضفة النيل الغربية ، ولا غرابة فى أن نجدها على طراز معابد الآلهة إذ كان الفرعون يعد نفسه إلها أو ابن الإله وخليفته على الأرض ، هذا فضلا عن أن بعض الملوك كانوا يتخذون آلهة بعد مماتهم أو كانوا يبنون معابدهم على أنهم آلهة سيعبدون فيها ، ولا أدل على ذلك من المعبد الذى أقامه « أمنحتب الثالث » لعبادته هو فى « طيبة » الغربية ، وقد كان الفراعنة يقفون على المعابد الأوقاف العظيمة لإقامة الشعائر الدينية ، كما كانوا يقفون الأملاك العظيمة على معابد الآلهة ويكلون أمر إدارتها وتثميرها فى كلتا الحالتين للكهنة ، مما أدى الى زيادة نفوذ هذه الطائفة الدينية حتى أصبحت عاملا كبيرا فى انحلال البلاد ، حتى آل الملك فيما بعد الى طائفتهم .

والظاهرة التى تبدو غريبة فى تلك الأزمان القديمة ، وهى التى وجهنا لها بعض العناية عند التحدث على مقابر الأفراد والملوك ، و لمعابد الخاصة بالآلهة والملوك جميعا هى ما أحدثه أولئك القدماء من تخريب ومحو وإثبات على جدران ماخلفه غيرهم ، مما يصوّر لنا ماكان عليه هؤلاء القوم من أحقاد ، وماكان يحتدم فى صدورهم من غل متبادل ، فنشاهد الملوك يكيد بعضهم لبعض ، فيمحو الخلف ما سطره السلف من كتابة وينسب لنفسه مالم يكن لها . ولدينا أكبر دليل على هذه المأساة ، ما قام به ملوك التحامسة من محو وإثبات فى آثارهم ، مما عقد علينا تتبع تواريخهم بصفة قاطعة حتى الآن وتعدّت هذه الظاهرة مقابر الملوك الى مقابر وجهاء القوم الذين كانوا يمحون أسماء أسلافهم وينسبون آثارهم لأنفسهم أو يتلفون معالم أعدائهم ، كل ذلك قد فوّت علينا جزءا عظيما من تاريخ هذه الفترة من حياة الشعب . ولكنا مع القليل الذى أبقت عليه يد التخريب قد أمكننا أن نضع أمام القارئ صورة قد يكون بعض أجزائها مغطى بحجاب شفيف إلا أنها مع ذلك فى مجموعها تقدم للقارئ فكرة مفهومة عن روح العصر ، واتجاهاته المنوعة .

ولقد حاولنا فى كل هــذا البحث أن نعتمد على الوثائق الأصلية ، وقــد كان استعراضها أمام القارئ بما تحويه من مبالغات وتهويل ليرى بنفسه ويحكم إذا أراد ثم شفعنا ذلك بالنقد والتحليل بقــدر ما استطعنا . وقد يظن القارئ أننا قد بالغنا فى الإكثار من ترجمة النصوص الأصلية ولكنا قد دوّناها هنا عن قصــد ، وذلك رغبة فى أن نجعل أهل الجيل الحاضر يعرفون كيف كان أجدادهم القدامى يدوّنون تاريخهم ، وليأخذ النشء الحديث كذلك وبخاصة المثقفين منهم تاريخ بلاده من مصادره الأصلية ، ويعرف كيف يفرق بالطرق العلمية الحقة بين خالصه وزيفه . ولاشك أن التاريخ الصادق هو حياة الشعب وما تنطوى عليه تلك الحياة من تقدم ورقى أو انحطاط وتدهور، وإن إسعاد الشعب يتوقف على ما تنطوى عليه نفوس القادة وفق ما أوتوا من ثقافة حقة وجهتها خير الإنسانية كما ضرب لنا المثل الأعلى فى ذلك المضمار الوزير « وسر » ومن بعــده الوزير « رخ مى رع » وغيرهما ممن كانوا يعتقدون أن عمل رئيس الوزارة بل مهمته فى الحياة تنحصر فى إسعاد مصر وراحة شعبها ، وأن ذلك لا يتأتى إلا بالعمل على توفير أسباب العدالة الاجتماعية . والسلام على من اتبع الهدى ، واتعظ بالمــاضى .

شكر

وإنى أتقدّم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار المــدرس بالمدرسة الإبراهيمية لمــا قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة ، كما أتقدّم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لمــا بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة فى إخراج هــذا المؤلف ، ولا يفوتنى أن أقدّم شكرى للأستاذ محمــد ابراهيم نصر الذى أبدى عناية فى كتابة أصول هــذا الكتاب وبذل مجهودا مشكورا فى قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس معى ؛

والله أسأل أن يوفقنى إلى ما فيه خير البلاد ومجدها ؛

مايو سنة ١٩٤٨

سليم حسن

ملوك الأسرة الثـامنة عشرة

بيـان بأسماء ملوك الأسرة الثامنـة عشرة ، وتواريخ حكمهم على وجه التقريب ، على حسب رأى الأستاذ « ادورد مير » ؛ إذ الواقع أننا لا زلنا فى ظلام دامس بالنسبة لمدّة حكم كل فرعون على حدة ، وكذلك ترتيبهم لأن الآثار لم تسعفنا حتى الآن بمعلومات أكيدة محدّدة :

أحمس الأوّل ... ... ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م .

أمنحتب الأوّل ... ...
تحتمس الأوّل ... ... من ١٥٥٧ — ١٥٠٧ ق . م .
تحتمس الثـانى ... ...

حتشبسوت وتحتمس الثالث حكما معا ٥٤ سنة من ١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م .

أمنحتب الثـانى ... ...
تحتمس الرابع ... ... ١٤٥٠ — ١٤٠٥ ق . م .

أمنحتب الثالث ... ... ١٤٠٥ — ١٣٧٠ ق . م .

أمنحتب الرابع (أخناتون) ١٣٧٠ — ١٣٥٢ ق . م .

سمنخ كارع ... ...
توت عنخ آمون ... ...
آى ... ... ١٣٥٢ — ١٣١٠ ق . م .
حور محب ... ...

وسنتناول بالبحث تواريخ آخر ملوك هذه الأسرة فى الجزء التالى على ضوء آخر الكشوف والآراء الحديثة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة الوسطى

الأسرة الثالثة عشرة

مقدمة

كان تولى الملكة « سبك نفرورع » عرش مصر آخر مرحلة تنذر بسقوط الأسرة الثانية عشرة ، فبانتهاء حكمها انقطع نسل هذه الأسرة ، ودخلت مصر فى عصر مضطرب . تغشيه ظلمة حالكة تتضاءل أمامها تلك الظلمة التى غشت البلاد على إثر سقوط الدولة القديمة . فالمصادر التى لدينا عن ذلك العصر نادرة ، والآثار التى كُشف عنها حتى الآن ضئيلة ، لا تساعدنا على تفهم أحوال البلاد ، ولا ترشدنا إلى ترتيب ملوكها ترتيبا تاريخيا مسلسلا .

ومما يؤسف له جدّ الأسف أن أهم هذه المصادر ورقة « تورين » ، وقد وصلتنا ممزقة مهلهلة وبخاصة عند سرد ملوك هذه الأسرة ، عدا الجزء الأول منها ؛ من أجل ذلك أصبح من العسير وضع كثير من ملوكها فى أماكنهم الأصلية ، إلا عن طريق الحدس والتخمين .

وكذلك قائمة الملوك التى أمر بنقشها « تحتمس الثالث » فى معبده « بالكرنك » ، فى المكان المعروف الآن بقاعة الأجداد (راجع الجزء الأول ص ١٥٩) لا تشمل إلا نخبة من الملوك الذين حكموا مصر منذ القدم حتى عهد هذا الفرعون .

أما المصادر الإغريقية فلدينا منها مقتطفات ومختصرات نقلها « يوسفس » و « أفريكانوس » و « يوزيب » عن المؤرخ المصرى « مانيتون » . فقد ذكر لنا هذا المؤرخ فى مختصره عن تاريخ مصر أن الأسرة الثانية عشرة قد أعقبتها

الأسرة الثـالثة عشرة ، وأن ملوكها نحـو ستين فرعونا ، وأنهم اتخـذوا مدينة « طيبة » عاصمـة لملكهم ، وأنهم حكموا نحـو ثلاثة وخمسين وأربعمائة عام . ثم خلفهم ملوك الأسرة الرابعـة عشرة ، واتخذوا مدينـة « سخا » من أعمـال الدلتا مقرّا لملكهم ، وكان ملوكها سـتة وسبعين فرعونا حكموا نحو أربعة وثمانين ومائة عام . وفى عهد هـذه الأسرة كانت كارثة غزو البلاد بقوم من الأجانب يعرفون بـ « الهكسوس » ، أو ملوك الرعاة . والمعروف أن هؤلاء الفاتحين ظلوا يسيطرون على البـلاد طيلة عهد الأسرتين : الخامسة عشرة ، وملوكها سـتة ، والسادسة عشرة ، وفراعنتها اثنان وثلاثون فرعونا .

وأخيرا جاء عهـد الأسرة السابعة عشرة ، وقد حكم خلالهـا ثلاثة وأربعون ملكا من ملوك « الهكسوس » وثلاثة وأربعون فرعونا من فراعنة « طيبة » المصريين فى وقت واحد .

ويقدّر « مانيتون » زمن حكم ثلاث الأسر الأخيرة، أى من الأسرة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة ، بنحـو ثلاثين وتسعمائة سـنة . ويقـدّر الفترة التى بين نهاية الأسرة الثانية عشرة والسابعة عشرة ، بمـا فى ذلك عهـد الفرعون « أحمس الأوّل » مخلص مصر ، بنحو سبعين وخمسمائة وألف عام .

ولا شك فى أن هـذا التقدير الزمنى مبالغ فيـه إلى درجة لا يقبلها العقل والمنطق معا . وسنتكلم عن هذا الموضوع فى حينه . غير أنا نجد أن ما ذهب إليه « مانيتون » يتفق وما جاء فى « ورقة تورين » فى تتـابع الأسر ، وسنى حكم كل ملك ؛ فنجد فى « ورقة تورين » بعـد الأسرة الثـانية عشرة قائمـة بأسماء ملوك شغلت أعمـدة عدّة منهـا ، ويمكن الباحث أن يلاحظ فيهـا نحو خمس فواصل يدلّ كل منهـا على تغيير أسرى . وتبتدئ إحدى هـذه الأسر بالفرعون الواحد والستين . ومن ثَمّ نعرف أن الستين ملكا الذين سبقوا هـذا الفرعون هم الفراعنة

الذين تتألف منهم الأسرة الثالثة عشرة ، حسب رأى « مانيتون »[1] . ثم يلى ذلك فى الورقة سلسلة طويلة بأسماء الملوك الذين تتألف منهم الأسرة الرابعة عشرة . ولم يبق لنا من الأعمدة الأخيرة المؤلفة لهذا الجزء من البردية إلا بعض نتف صغيرة نقرأ فيها بعض أسماء ملوك للهكسوس ، وأسماء فراعنة ممن حكموا فى « طيبة » فى عهد الأسرة السابعة عشرة . وإن كان بقى لنا محفوظا فى هذه الورقة تواريخ نحو ثلاثين فرعونا ، أكثرهم من الأسرة الثالثة عشرة ، والقليل منهم من الأسر التى أعقبتها .

ونفهم من هذه التواريخ أن مدّة حكم كل ملك منهم كانت قصيرة ، وأنهم تولوا الحكم متلاحقين مسرعين . وهذه الحقيقة تتفق اتفاقا منطقيا مقبولا وما عرفناه من الآثار القليلة التى تركها لنا ملوك هذا العصر . ذلك إلى أنه يمكننا التدليل على أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، بل وبعض ملوك أواخر الأسرة الثالثة عشرة ، كانوا يحكمون فى عصر واحد مع ملوك « الهكسوس » الغزاة ، كلٌّ على الجزء الذى كان يسيطر عليه ، كما سنرى بعد .

ومما يؤسف له أن المجاميع الشاملة لمدّة حكم فراعنة كل أسرة قد فقد معظمها من بردية « تورين » ، ومن الجائز أن مؤلف الورقة قدّر أن كل أسرة ذكرها قد أعقبت سابقتها ولم تعاصرها وكذلك فعل « مانيتون »[2] (اللهم إلا سلسلة الملوك المزدوجة من الهكسوس والمصريين الذين ظهروا فى عهد الأسرة السابعة عشرة) . وهذا خطأ وقع فيه المؤرّخون للتاريخ البابلى فى عهد الأسر القديمة .

---

(١) راجع : "A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology," by W. Smith. (London, 1873), Vol. II, P. 915-916, & Ed Meyer, "Histoire de l'Antiquité", § 151.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Histoire de l'Antiquite", Tome II, § 298, P. 334.

أما قائمتا الملوك اللتـان عثر عليهما فى « سقارة » و « العرابة المدفونة » فقد أغفلتا ذكر أسمـاء الملوك الذين حكموا البلاد منـذ بداية الأسرة الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة ، وهذا على العكس من قائمة الكرنك المنسوبة إلى « تحتمس الثالث » كما ذكرنا ، فإنها عدّدت لنا أسماء خمسة وثلاثين فرعونا انتخبوا من ملوك الأسرة الثـالثة عشرة والأسرة السابعة عشرة ، وقـد بقى محفوظا لنـا منها خمسة وعشرون اسمـا بعضها سليم والبعض الآخر مهشم . ولكن يلحظ أن هـذه القائمة قد أغفلت ذكر ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وكذلك تجاهلت أسمـاء ملوك « الهكسوس » التجاهل كله . ومع ذلك فإن هذه القائمة لا تتبع فى عامتها الترتيب التاريخى إلا فى بعض مجاميع انتخبت على حدة .

وسنتكلم عن ملوك الأسرة الثالثة عشرة فى ضوء هذه القوائم ، وما وجد من الكشوف الحديثة بقدر ما تسمح به آخر المظانّ والبحوث التى ظهرت حتى الآن .

الملك سخم رع خوتاوى - أمنمحات سبك حتب



لم تصل إلى أيدينـا معلومات وثيقـة عن حال نهـاية حكم الملكة « سـبك نفرو رع » آخرة ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ويظن بعض المؤرّخين أنها لا بدّ قد تزوجت الملك « سخـم رع خوتاوى » (أمنمحات سـبك حتب)(١) ، وأنه بزواجه منها أصبح ملكا شرعيا . ولكن ليس لدينـا ما يدعم ذلك الزعم ، فمن الجـائز أن

(١) بقى الرأى السائد عند المؤرّخين أن الملك « رع خوتاوى وجاف » هو أوّل ملوك الأسرة الثالثة عشرة (Meyer, "Geschichte des Alterums" §. 299.) الى أن كشف فى الحفائر التى عملت فى « المدمود » بعض أحجار باسم الملك « أمنمحات سبك حتب » وعلى ضوء هـذا الكشف بحث الأستاذ فيـل (Weill) موضوع ترتيب هـذه الأسرة من جديد (R. Weill, "Revue de l'Egypte Ancienne" II. (1929) P. 147).

هذا الفرعون قد اغتصب الملك منها ، وبخاصة إذا علمنا أن حكم النساء لم يكن مرغوبا فيه فى كل عصور التاريخ المصرى . هذا إلى أنه انتحل لنفسه اسم « أمنمحات سبك حتب » تيمنا بهذا الاسم الذى كان يحمله أولئك الملوك العظام الذين حكموا البلاد فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وذلك ليخفى اغتصابه للملك ، وليكون خليفة للفرعون « أمنمحات الرابع » آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة من الذكور .

وقد حكم « أمنمحات سبك حتب » البلاد المصرية ما لا يقل عن أربع سنوات ، وخلف وراءه آثارا عدّة فى طول البلاد وعرضها ، مما يدل على أنه كان مسيطرا على القطر كله . وقد ذكر جرفث (Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob," P. 87.) أن هذا الفرعون كان يسيطر على الامبراطورية التى أقامها « سنوسرت الثالث » ، أى من الدلتا حتى قلعة « سمنة » . وكذلك عثر له على تمثال فى « سمنة » وآخر فى « كرمه » . هذا الى أنه استمر فى تدوين مقاييس النيل فى السنين الأربع الأولى من حكمه فى « قمة » و « سمنة »[1] .

وعثر له فى الدير البحرى على حجر منقوش عليه اسمه ، يظن أنه من عتب باب[2] ، وذلك مما يدل على أنه أقام بعض مبان فى المعبد الذى شيده ملوك الأسرة الحادية عشرة . ووجد له فى « المدمود » بعض أجزاء مقاصير ، منها جزء من منظر للملك والآلهة[3] . وفى « كاهون » القريبة من « الفيوم » عثر على بردية دوّن فيها قائمة

(١) راجع : L. D. II, 151 a, 151 b, 151 c, 151 d. & De Rougé, "Revue Archeologique", V, P. 312.

(٢) راجع : Naville, "Deir el Bahari", Archæological Report of the Egypt Exploration Fund, 1906–1907, P. 6.

(٣) راجع : Bisson de la Roque, "Rapport sur les Fouilles de Medamoud" (1926) 40, 41, fig. 29 & ibid (1928), P. 87 ff. & P. 131-133. fig. 85 & P. 134-136 pl. IV.

بأسماء أسرة كبيرة ، وذكر فيها السنة الأولى والثانية من حكم هذا الفرعون . وقد جاءت إشارة فى هــذه البردية إلى تعداد سابق عمــل فى السنة الأربعين من حكم الملك « أمنمحات الثالث » .

وفى « تل بسطه » عثر له على جزء من (بوابة) وقطعة أخرى[1] .

وأخيرا عــثر له على بعض أسطوانات محفوظ بعضها « بالمتحف البريطانى » و « متحف اللوفر[2] » .

الملك سعنخ ـ تاوى ـ سخم كارع



وخلفه على العــرش الفرعون « سعنخ تاوى سخــم كارع » . ولا نعــلم عن أعماله فى مدّة حكمه الذى دام نحو ست سنوات إلا القليل . وأهم أثر له عثر عليه لوحة فى « أتريب » (بنها الحالية) ، وقد رسم عليها صورة إله النيل يقدّم القربان إلى الصقر المتوج (الملك) . واللوحة لأمير يدعى « مرى رع[3] » .

وكذلك وجد له فى « تانيس » (صان الحجــر) عقبا باب من الشبه المطعــم بالفضة نقش عليها اسمه الحورى ، واسم الملكة زوجه ، وثلاث أميرات من بناتها .

(١) راجع : Naville, "Bubastis" Pl. XXXIII, 1. & ibid XXXIII a

(٢) راجع : Cylinder no. 3663. British Museum; Petrie, "Historical Scarabs" P. 10 No. 278, and "A History of Egypt". Vol. I. P. 209, fig. 118; & Cylinder No. 1657, British Museum; Petrie, "Historical Scarabs" P. 10 No. 279.

(٣) راجع : Brugsch "Thesaurus", P.1455; & Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum" (1909) P. 223, Pl. XXVIII; and "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)" (1909) P. 80.

(راجع : Mariette, "Monuments Divers Recueiliis en Egypte et en Nubie", pls. 103, 104) .

ووجد اسم هذا الفرعون منقوشا على صخور « شط الرجال » بالقرب من بلدة السلسلة (Petrie, "A Season in Egypt" pl XV No 466) . وفى أوراق « كاهون » وجد تاريخ باسم هذا الفرعون فى السنة الثانية (؟) وكذلك فى السنة الثالثة (Kahun Pap. Pl. 1X, 11. 8 & 1 (Pap. 1. 3) . ويدل اسم وزيره « خنمس » فى صخرة فى « أسوان » على أنه كان غير غافل عن هذا الجزء الجنوبى من بلاده . (راجع : De Morgan, "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l' Egypte Antique" P. 26, 186).

وقد أهدى هذا الفرعون وزيره « خنمس » تمثالا من الجرانيت الأسود ، وقد اشتراه الأستاذ «نيوبرى» من القاهرة . (راجع : "Proceedings of the Society of Biblical Archaeology", Vol. XXIII (1901) P. 222, 223)

بوادر الانحلال فى الحكم : ولا نزاع فى أن بوادر الانحلال أخذت تظهر فى نهاية حكم أول فراعنة هذه الأسرة بصورة جلية واضحة وفى حكم الفراعنة الذين خلفوا هذا الملك ، ففضلا عن انقطاع تدوين مقاييس النيل بعد السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون وانقطاع قوائم التعداد فى حكم خلفه فى ورقة « كاهون » ، وفضلا عن كل ما بذله الفراعنة الذين خلفوه من جهود للمحافظة على تقاليد الملك العظيمة التى سارت على نهجها البلاد ، فقد كان الانحطاط سريعا ؛ إذ نجد أن انتقال الحكم من فرعون إلى فرعون كان يجرى فى سرعة خاطفة مدهشة . ولا أدل على ذلك من أن ثلاثة من هؤلاء الملوك الذين تربعوا على عرش البلاد لا نعرف لواحد منهم اسم تتويج ، مما يدل على أنهم قد خلعوا عن العرش على إثر توليتهم قبل أن يتاح لهم التتويج رسميا . يضاف إلى ذلك أن خامس فراعنة هذه الأسرة ، وهو « إيونى » ، كان يحمل على ما يظهر اسما لا يدل على أنه درج فى حجر الملكية . ولا بدّ أن هذا العصر كان يمتاز بالثورات التى كانت تشب فى القصر فيغتصب العرش من كان فى جانبه القوّة .

وإنه لمن العبث أن نحاول ترتيب هؤلاء الملوك ترتيبا تاريخيا ، أو نذكر أسماءهم حسبما جاء فى ورقة « تورين » وبخاصة أننا لا نعرف عن معظمهم شيئا إلا مجرّد الأسماء . هذا فضلا عن أن الورقة ممزقة ومهشمة إلى درجة موئسة .

والواقع أننا لا نعرف على وجه التأكيد ترتيب ملوك الأسرة كما ذكرنا ، هذا إذا استثنينا الفرعونين الأولين ، وعلى ذلك فإن الملوك الذين سنذكرهم هنا هم الفراعنة المرجح توليتهم العرش بعد الملكين السابقين ، ونخص بالذكر منهم :

الفرعون سخم رع خوتاوى ـ بنتن



وقد جاء ذكره على لوحة من الحجر الجيرى لأمير يدعى « تحوتى عا » وأميرة تسمى « حتب نفرو » (راجع Scott-Moncrieff "Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae in the British Museum", Vol. IV. pl. 26).

الملك سخم كارع ـ أمنمحات سنبف



وجد اسم هذا الفرعون على أسطوانة عثر عليها فى بلده « المعلا » بالقرب من « الجبلين »، وقد نشرها الأستاذ « نيوبرى » (راجع : P. S. B. A. XXI. (1899) P. 282-283 "Scarabs", Pl. VII. No. 3 وكذلك وجد على جعران فى مجموعة اللورد « برسى » (راجع : Budge, "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I., Pl. LXXXVII.) هذا وقد ذكر اسم هذا الفرعون على بعض الآثار التى عثر عليها فى حفائر « طود » مع بعض ملوك آخرين من هذا العصر (راجع : Bisson, De La Roque, "Tod" (1934-1936 P. 125).

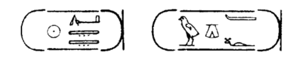
ومن ملوك هذه الفترة الذين عثر لهم على الآثار : الفرعون :

سزفا كارع ـ كاى أمنمحات



فقد وجد منقوشا مع الملك « وجاف » الذى سيأتى ذكره على قطعة من الحجر الجيرى فى « المدمود » ولا بدّ أن الأخير قد حكم بعـد الأول (راجع : Bisson, de La Roque, "Tod" (1934-1936) op. cit & Weill, R. E. A. II. (1929) P. 156 ff (Fig.4).

الملك خوتاوى رع ـ وجاف



حكم هذا الملك مدّة مجهولة من السنين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما ، وقد عثر له على قطعة من لوحة فى « خبيئة الكرنك » ونشرها « لجران » (راجع : Legrain "Notes d' Inspéction," Annales du Service des Antiquities de l' Egypte, Vol VI, (1905), p. 133.

وقد جاء ذكر اسمه فى قائمة « قاعة الأجداد » المنسوبة للفرعون « تحتمس الثالث » (راجع : Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums" Vol IV. p. 610,

وقد اختلف المؤرّخون فى تقدير سنى حكمه ، فيقدره الأستاذ « ادورد مير » بنحـو سنتين وثلاثة أشهر وأربعـة وعشرين يوما (Gauthier, L. R. II, P. 2 فى حين أن «لوث» (راجع : Manetho und der Turiner Konigspapyrus p. 236, adopted by Unger in "Chronologie des Manetho" p. 133). يقـدّره بنحو اثنتى عشرة سـنة وثلاثة أشهر وأربعـة وعشرين يوما . والواقع أن ما أصاب « ورقة تورين » من التمزيق فى هـذه النقطة يجعل تقـديرسنى حكمه

بصفة قاطعة أمرا عسيرا ، هـذا إلى أن الآثار لا تسعفنا بأية معلومات فى هـذا الصدد . وقد وجدت آثار فى أنحاء القطر ذكر عليها اسم هذا الفرعون، منها لوحة من الحجر الجيرى الأبيض عثر عليها فى « إلفنتين » وهى محفوظة الآن « بالمتحف المصرى » تحت رقم ٣٨٣٣٣ ، وقد كتب عنها « بلجران »[١] . و يعتقد أنها كانت لوح تمـارين لتلميـذ . ووجد له كذلك قطعة من تمثال جالس فى « الكرنك »[٢] .

و يقـول « بلجران » عن هـذه القطعة : إن آثار التهشيم التى وجدت تحت الطغراء تدل على أن التمثال يرجع فى تاريخه إلى عهـد ما قبل ثورة « اخناتون » الدينية . و يظن أن هذه القطعة من تمثال يتعبد له فى « الكرنك » .

وقد عثر الأستاذ « بدج » على تمثال لهذا الفرعون فى « سمنه »[٣] .

وهو محفوظ الآن بمتحف « الخرطوم » .

وقد درس « بلجران » هـذا التمثال ثانية[٤] ، و يقول الأستاذ « بدج » عنه أنه أقـدم أثر عرف حتى الآن ذكر عليه اسم الإله « دودون »[٥] معبود بلاد النوبة . فيقول عنه : إنه محبوب « دودون » صاحب « خنتى ستى » (النوبة) ؛ و يعتقد « بدج » أن الملك « وجاف » كان من أصـل نو بى وأن لباس عيد « سـد » الذى يرتديه التمثال يشعر بأن هذا الملك كان يتقبل تعبدا جنازيا فى « سمنه » .

---

(١) راجع: A. S. VIII P. 250-2.

(٢) راجع: A. S. VI (1905) P. 130.

(٣) راجع: Budge, "The Egyptian Sudan" I, P. 484-486.

(٤) راجع: Legrain, A. S., X (1910) P. 106-7)

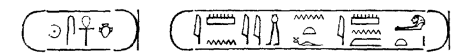
(٥) هذا إذا استثنينا ذكر هـذا الإله فى « متون الأهرام » راجع Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte", (Leipzig, 1908 — 1922) lines 803, 994, 1017, 1476, 1718.

الملك سنفراب رع - سنوسرت



يدل ما كشف من الآثار على أن هذا الفرعون قد جاء بعد الملك « وجاف » السابق الذكر ؛ إذ قد عثر على لوحة صغيرة فى « إلفنتين » عليها اسم كل من « سنفراب رع سنوسرت » و « وجاف »[1] ، ووجد لهذا الفرعون تمثال ضخم وكذلك لوحة صغيرة وكلاهما مستخرج من « الكرنك » . وقد ذكر عليهما معا كل ألقاب هذا الفرعون[2] وكذلك عثر على مائدة قربان منقوش عليها اسم هذا الفرعون فى « الكرنك » وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى[3] .

الملك سعنخ اب رع - أمينى انتف أمنمحات



أهم ما وجد لهذا الفرعون عدة موائد قرابين بعضها من الحجر الرملى كشف عنها فى « الكرنك » وهى الآن « بمتحف القاهرة »[4] . وقد كتب عنها المرحوم « أحمد باشا كمال » فى كتابه « موائد القربان » . وقد جاء اسم هذا الفرعون فى « قائمة الكرنك »[5] وكذلك ذكر فى « ورقة تورين »[6] وله أيضا أسطوانة باسمه[7] و « جعران »[8] .

(١) راجع : Weill, R. E. A. II. (1929) P. 156 et seq. fig. 4

(٢) راجع : Weill, "La Fin du Moyen Empire Egyptien" P. 313 - 14.

(٣) راجع : Mariette "Karnak" P. 9410.

(٤) راجع : Kamal, "Tables d'Offrandes", I. P. 31-7.

(٥) راجع : Sethe. Urk. II. P. 609.

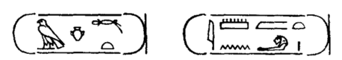
(٦) راجع : (Col VII. frag. No. 72 P. 10 Lepsius, "Auswahl", V.

(٧) راجع : P. S. B. A. (1914) P. 37.

(٨) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders", 13. 6.

والظاهر أن هـذا الفرعون قـد حكم مدة طويلة إذ يقول « جرفث » إنه وجد إحصاء للـماشية فى « كاهون » ... ... وأنه قـد ذُكِر العام العشرون ، وأن هذا التاريخ لا يحتمل إسناده للملك « إيونى » الذى لم يمكث على العرش إلا برهة قصيرة كما يظهر بل ينبغى أن يعـزى للفرعون « سعنخ اب رع » الذى ترك لنـا موائد قربان جميلة الصنع فى « الكرنك » .

حور إب شدت ـ أمنمحات



وجد لهذا الفرعون عمود فى مدينة « الفيوم » عثر عليه الأستاذ« جولنشيف » وقد نسبه « جوتييه » للملك « امنمحات الأوّل » خطأً (١) .

الفرعون ستحب إب رع أمنمحات



وجد لهذا الفرعون ثلاث موائد قربان فى مدينة «سمنود» وهى الآن بمتحف الاسكندرية (٢) . وكذلك جاء اسم هذا الملك فى «ورقة كاهون» (٣) فيبرهن « جرفث » بذلك على أن طغراء هـذا الملك لا بدّ أنه ينسب إلى عهد بعد « أمنمحات الرابع » وقد جاء ذكره كذلك فى « ورقة تورين » (٤) .

ولدينا فراعنة عدّة ربما جاءوا بعد أولئك الذين ذكرناهم ، ويعتبرون من أهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، لـما تركوه من الآثار الهامة نسبيا ، إذ نجـد من بينها

(١) راجع : Gauthier, "Le Livre des Rois d'Egypte", I. P. 259. وراجع كذلك ما كتبه الأستاذ لبيب حبشى عن ذلك فى A. S. (1937) P. 85-95.

(٢) راجع : Daressy, A. S, V. (1904) P. 124.

(٣) راجع : Griffith, "Kahun Papyri", Pl. XXVII. 1-14 (Text) P. 69.

(٤) راجع : Lepsius, "Auswahl", Taf. V. Col. VII. Frag. No. 72.1.8.

تماثيل جميلة الصنع ، ولحسن الحظ قد حفظت لنا قائمة ملوك الكرنك أهم هؤلاء الفراعنة مرتبة ترتيبا صحيحا . ولا ريب فى أن معظمهم كانوا ممن اغتصبوا عرش البلاد ، إذ نجد على أختامهم وعلى آثارهم أن الملك منهم كان يضيف إلى اسمه اسم والده الذى كان يلقب « والد الإله » وأحيانا اسم والدته التى كانت كذلك تلقب « والدة الإله » . وذلك يدل على أنهم لم يخفوا اغتصابهم لعرش البلاد .

وأول ملوك هذه السلسلة :

الملك سمنخ كارع - مرشع



وقد عثر له على تمثالين عظيمين فى « تانيس » الواقعة فى الشمال الشرقى من « الدلتا » وقد اغتصبها لنفسه « أبو فيس » الثانى أحد ملوك « الهكسوس » فيما بعد (٢) ، ومن ثم يتضح لنا أن سلطان هذا الفرعون كان ممتدا حتى بلاد الدلتا .

وأهم ملك يأتى بعده هو :

سحم رع سواز تاوى - سبك حتب الثالث



لم يأت ذكر هذا الملك فى قائمة « الكرنك » على الرغم مما يبدو له من الأهمية ، ولكن وجد له آثار عدّة تدل على نشاطه فى طول البلاد وعرضها .

---

(١) معنى كلمة « مرمشع » قائد الجيش .

(٢) راجع : Edwards, Harpers New Monthly Magazine, Oct. 1886, P. 718 & Petrie "Tanis" I. Pl. III. 17D, & L. D. III. 259 C., Texte I. P. 218 & Evers, "Staat aus dem Stein", Pl. 146-148.



(١) الملك سخم رع سواز تاوى — سبك حتب

ففى « تل بسطة » عثر على تمثال من الجرانيت الأحمر ، لوحظ فيه بعض تحريف فى اسمه بعُــد به عن الاسم الحقيق ، وربما كان سبب ذلك خطأ المثال . ويظهر فى هذا التمثال أغلاط المثال الفنية الخاصة بهذا العصر ، إذ نجد فيه الرأس والوسط صغيرين[١] ، وكذلك وجد له فى «الكرنك» جزء من تمثال مصنوع من «الجرانيت» ؛ وقد عزى إلى « سبك حتب الثالث » وليس ذلك مؤكدا . وله «بمتحف اللوفر» لوحة (C. 8)[٢] يدل نقشها وصورها على أنها قد صنعت فى هذا العهد بمهارة تضارع فى دقتها فنّ الأسرة الثانيــة عشرة الرفيع ، وقد مثل عليها زوجة الملك وابنتان من بناته تتعبدان للإله «مين»[٣] . ولدينا آثار أخرى تحدثنا عن أفراد أسرة هذا الفرعون منها لوحة فى « قينا » لأمير اسمه «سنب» ووالداه هما « منتوحتب » و « أوهت آبو » وهما والدا هذا الملك نفسه[٤] . وله جعارين مبعثرة فى جهات مختلفة يعلم منها اسم والد هــذا الفرعون ، وهو الملقب « بوالد الإله » « منتوحتب » والأم المقدسة « أوهت آبو »[٥] .

وقد قام هذا الفرعون بإنشاء مبانٍ فى معبد الأقصر « بطيبة » يدل على ذلك وجود بقايا بعضها فى هذه الجهة ، منها عقد باب ، وأعمــدة ، وقطعة من الحجر ،

---

(١) راجع: Budge, "Egyptian Sculptures in the British Museum" Pl. XVI.

(٢) راجع: Pierret, "Recueil d'Inscriptions inedites du Musee Egyptien du Louvre", Vol. II, P. 107.

(٣) راجع: Petrie. "History" I, Fig. 125.

(٤) راجع: Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archaeologie Egyptiennes, Vol. VII, P. 188.

(٥) راجع: Petrie. "Hist. Scarabs". P. 10 No. 291 & L. D. text I.P. 15 & Petrie. ibid P. 10, No. 292.

وكلها منقوش عليها اسمه[١] ، والظاهر أنه قد أقام بعض المبانى فى معبد « الكرنك » وذلك لوجود قطعة من الحجر عليها اسمه[٢] .

وفى « الجبلين » وجد له عتب باب منقوش عليه اسمه[٣] . أما فى مدينة « الكاب » فكشف عن مقبرة فى « سفح الجبل » لأمير يدعى « سبك نخت » وقد ذكر فى نقوشها أن هذا الأمير عاش فى عهد هذا الفرعون[٤] .

أما ما بقى من آثاره فتنحصر فى بعض الجعارين ، وخرزة من حجر الجمشت[٥] ، وكرة صغيرة من الذهب[٦] ، وكذلك قبضة (بلطة[٧]) ، وكلها قد نقش عليها اسمه . والظاهر أن هذه الآثار كلها من بقايا محتويات قبره الذى نهب فى الأزمان القديمة وكشف عنه الأهالى فى أيامنا . وقد كشف حديثا عن مقصورة أقامها فى « المدمود[٨] » ، كما اغتصب لنفسه بعض آثار أحد الملوك ، والظاهر أنها « لسنوسرت الثالث » .

وقد مكث على العرش نحو ثلاث سنوات كما جاء فى « ورقة تورين[٩] » .

---

(١) راجع : Weill "Fin du Moyen Empire" P. 418 & "Zeitschrift fur Agyptische Sprache", Vol. XXXIV, P. 122. Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt", P. 70.

(٢) راجع : Mariette, "Karnak", 8.

(٣) راجع : Rec. Trav. XX. P. 72.

(٤) راجع : Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptien du Musee Charles X," P. 273. & L. D. III. 13 b-c (Text).

(٥) راجع : Newberry, P. S. B. A. XXVII. P. 104.

(٦) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders" 13, 20. 1.

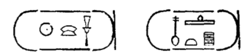
(٧) راجع : Budge, "Guide" (1909) P. 115. 223 & Pl. XXVII.

(٨) راجع : Bisson de La Roque & Clere (1929), "Medamoud", 83-94 & ibid 1930 P. 93.

(٩) راجع : Turin Pap. Col. VII. frag. 79-80 1-2 = Lepsius, "Auswahl" Taf. V.

وعثر أخيرا على بعض أحجار لمعبد أقامه فى مدينـــة « الكاب » (المحاميـد) واستعملت فى أساس معبد من الأسرة السادسة والعشرين . ونقوش هذه الأحجار تعـدّ فى الطبقة الأولى من حيث الدقة الفنية، بل تقارب فى إتقانها صناعة الأسرة الثانية عشرة . ولا نزاع فى أن هذه الأحجار هى بقايا معبد لأننا نشاهد على بعضها أجزاء من المنظر المألوف الذى يمثل الاحتفال بوضع أساس معبد ، وقـد كشف عن هذه الأحجار فى عام ١٩٣٨ .

الملك خع سخم رع - نفر حتب



خلف الفرعون « سبك حتب » الثالث على عرش البـلاد ملك يدعى « نفرحتب » بحسب ما جاء فى ورقة « تورين » . وقد عرفنا نسب هذا الفرعون من ثلاثة نقوش دونت على الصخر : النقش الأول موجود على صخور أســوان (١) ، والثـانى على صخور جزيرة « سهل » (بالقرب من أسوان (٢)) ، والثالث نقش على صخور « شط الرجال (٣) » ، هذا إلى جعارين مختلفة منقوش عليها اسمه ، واسم بعض أفراد أسرته . ومن كل ذلك نعـلم أن اسم والده هو « حاعنخف » واسم والدته « كمى » . أما زوجه أم أولاده فتدعى « سنسنب » (Sensenb) . واسم بكر أولاده « ساحتحور » وهو الذى قد اشترك معه فى حكم البلاد . هذا وكان له فضلا عن ذلك ثلاثة أولاد آخرين وهم « سبك حتب » و « حاعنخف » و « حرحتب » .

---

(١) راجع : Petrie "Season" P. 337.

(٢) راجع : Mariette, "Monuments", XXI, P. 3.

(٣) راجع : Petrie, "Season", Pl. XV no. 479 P. 15.

كما كان له كذلك أخوان تولى كل منهما فيما بعد عرش الملك، وهما «سبك حتب» الرابع ، و « من وازرع » . والواقع أن الفرعون « نفرحتب » قد ترك لنا آثارا هامة فى طول البلاد وعرضها ، وقد كشف حديثا عن آثار له تدل على أن نفوذ مصر كان يمتدّ إلى فلسطين فى عصره .

وقد أراد هذا الفرعون أن يسير على نهج أسلافه فى إحياء ذكرى الإله « أوزير» وقد ترك لنا لوحة فى « العرابة المدفونة » يعدّد لنا فيها ما قام به من عظيم الأعمال الدينية لوالده « أوزير » . وقد أدت به غيرته أن قام بنفسه برحلة إلى «العرابة المدفونة» حيث أحضر على حسب أوامره الخاصة تمثال الإله «أوزير» من قبره ليقابله عند وصوله ، ثم عاد بعد ذلك الإله والملك سويا إلى المعبد ، وهناك مثلت (دراما) موت الإله « أوزير » ثم إحيائه ثانية. وقد تكلمنا عن ذلك فيما سبق



(٢) الملك خع سخم رع ــ نفر حتب

(راجع الجـزء الثالث ص ٥٠٧) . وقد قص علينا هـذا الفرعون كل ما قام به فى هذه الرحلة على لوحة نصبها فى « العرابه المدفونة » فاستمع إلى ما جاء فيها[١] .

« فى السنة الثانية من حكم جلالة الملك « نفرحتب » الذى أنجبته الأم الملكية « كى » لها الحياة والثبات والسعادة مثل « رع » مخـلدا (عندما) اعتلى جلالته عرش الصقر (الملك) فى القصر المسمى « المسيطر على الجمال » (ويحتمل أن هذا القصر كان بالقرب من « اثت تاوى » أو « منف ») خاطب الأشراف والنبلاء من أتباعه ، ومهرة الكتاب وحفاظ كل الكتب السرية قائلا : لقد تاق قلبى إلى رؤية الكتابات القديمة الخاصة بالإله « آتوم » ولذلك يجب عليكم أن تقوموا لى ببحوث عظيمة حتى يمكن للاله (أى الملك) أن يعلم كيف خلق ، وكيف فطرت الآلهة ويعلم ما يجب أن تتألف منه القرابين الخاصة بهم. وحتى يمكننى أن أعرف الإله « أوزير » فى صورته الحقيقية ، وبذلك يكون فى مقـدورى أن أنحت له تمثالا كما كان فى غابر الزمان فى الوقت الذى كان فيه الآلهـة ينحتون تماثيل « لأنفسهم » فى مجلسهم « السماوى » لأجل أن يثبتوا آثارهم على الأرض . فقـد منحونى إرث إله الشمس إلى آخر ما تحيط به دائرة الشمس . وإنى سأزيد ما هو موكل بى (من القرابين) وهم من جانبهم سـيزيد حبهم لى ما دمت أعمل على حسب ما يأمرون » .

فأجاب الأشراف على ذلك بقولهم : « يأيها الملك والسيد ، إن كل ما أمر به جلالتكم سينفذ ، وعلى ذلك فلتذهب جلالتكم إلى المكتبات ، ولتنظر جلالتكم إلى كل كلمة مدونة .

وعندئذ ذهب جلالته إلى المكتبة ، وفتح الكتب فى حضرة الأشراف فوجد سجلات معبد « أوزير » أول أهـل الغرب ، وسيد « العرابة المدفونة » ثم قال جلالته للأشراف : إن جلالتى يحيى « أوزير » أول أهـل الغرب ورب « العرابة المدفونة » ، وإنى سأنحت تمثالا له تكون أعضاؤه و يداه على حسب (الإيضاح) الذى رأيته فى هذه الكتب ، وهى التى تمثله بوصفه ملك الوجهين القبلى والبحرى عند ما خرج من فرج إلهة السماء (نوت) . ومن أجل ذلك أمر بإحضار ضابط كان فى معيته للمثول بين يديه ، وقال له « عليك أن تصعد فى النيل وبصحبتك جنود وبحارة ، ولا تنم ليلا ولا نهارا حتى تصل إلى « العرابة » وعليك أن تأتى بتمثال أول أهل الجبانة الغربية حتى أقيم آثاره كما كانت عليه فى بداية الزمن ، وحينئذ قال الأشراف : إن كل ما أمرت به سيكون يأيها الملك والسيد . و إنك ستفعل لجدك أول أهل الجبانة الغربية فى « العرابة » على حسب قولك » ، ثم انطلق هذا الضابط جنوبا لينفذ ما أمر به جلالته . وقد وصل

(١) راجع Breasted, A. R., I. § 753 & Mariette, "Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville", (Paris, 1869) P. 28 ff.

إلى « العرابة » . (حيث أمر بإخراج تمثال أوّل أهـل الجبانة الغربية من قبره وبعد بضعة أيام) وصل جلالة هذا الإله (الملك) ونزل فى القارب المقدّس « لأوزير » رب الأبدية حيث كان شاطئا النهر مفعمين بالعطور وروائح بلاد « بنت » (أى كان يطلق البخور عند حافة النهر) ؛ وأخيرا وصل الملك إلى «العرابة» سائحا فى القناة الخارجة من النيل إلى « العرابة » ؛ ووصل فى وسط المدينة حيث حضر رسول منه قائلا : إن هـذا الإله « أوزير » قـد خرج من قبره فى أمان ، وعندئذ ذهب جلالته إلى القارب المقدّس . عند رأس القناة . (حيث كان تمثال « أوزير » ينتظره ومن ثم ذهب إلى المعبد) . ومعه هـذا الإله ، وهناك أمر بتقـديم قربان لجدّه أوّل أهل الجبانة الغربيـة ، فأحرق البخور والمواد المقدّسـة « لأوزير » أوّل أهل الجبانة الغربية فى كل مظاهره (وأنهى الاحتفال التقليدى الخاص بهزيمة أولئك الذين كانوا أعداء القارب المقـدّس . وبعد ذلك ظهر جلالة هـذا الإله فى احتفال تاسوعه المتحدين معه فى حين أن « وبوات » (الإله الذى فى صورة ابن آوى) كان يسير أمامه بوصفه مرشدا للطريق . وبعد ذلك أمر جلالته أن يذهب هذا الإله إلى معبده ، وأن يوضع فى المقعد الموجود فى المحراب الذهبى (لمدّة بضعة أسابيع فى أثناء اشتغال الصناع فى العمل) ليمثلوا جمال جلالة « أوزير » وتاسوعه ، وليضعوا موائد قربان من كل الأحجار الفاخرة الغـالية المجلوبة من أرض الإله ، وقد كان الملك يشرف على صناعة ما يصاغ من الذهب بنفسه ، ولكن جلالته قبل أن يفعل ذلك تطهر بالطهور اللائق بالإله . (الجمل التى تتلو ذلك فى المتن مهشمة ولا تمكن ترجمتها) والظاهر أنه بعـد انتهاء العمل خاطب الفرعون الكهنة بنفسه قائلا : « كونوا يقظين فى المعبد وحافظوا على هـذه الآثار التى أقمتها . ولقد وضعت أمامكم تصميا لكل الأزمان ، وعندما وضعت هذا المثل فى قلوبكم كنت أبحث وراء عمل ما يجب أن يكون صحيحا للمستقبل ، وما يجب أن يحدث بانتظام فى هذا المكان الذى صنعه الإله ، وذلك لرغبتى فى توطيد ذكرياتى فى معبده ، ولأجل أن تبقى أوامرى دائما فى هـذا البيت ، وأن جلالة « أوزير » يحب ما قمت به له ، وإنه لفرح بما قد أمرت بعمله لأنه بذلك قد تأكد من انتصاره ، على أنى له بمثابة ابن وحام ، وأنه هو الذى يعطينى وراثة الأرض ، وأنا بذلك ملك عظيم القوّة ممتاز فى مراسيمى ولن يعيش من يعادينى ، ولن يتنسم النفس من يثور على ، ولن يبق اسمه بين الأحياء ، وسيقبض على روحه أمام من فى يدهم السلطان ، وسيلقى به بعيدا عن حضرة الآلهة (هذا هو العقاب الذى سيحل بمن سيهمل أوامر جلالتى ، وبكل من لا يعمل على حسب هذا الأمر الذى أصدرته جلالتى ، وبكل من لا يدعو لى هـذا الإله الجليل ، وبكل من لا يحترم ما فعلته خاصا بقربانه ، وبكل من لا يقدّم لى الشكر فى كل عيد فى هذا المعبد سواء أكان ضمن طائفة من كهنة محراب هذا المعبد أم يشغل أية وظيفة أخرى فى مدينة « العرابة » ؛ وذلك لأنى قد أقمت هـذه الآثار لجدى « أوزير » أوّل أهل الجبانة الغربية ، ورب العرابة ، لأنى أحببته أكثر من كل الآلهة ، ولأجل أن يمنحنى جزاء ما قمت به له (ملايين) السنين .

وبعد انقضاء عامين من إقامة هذه اللوحة، أى فى السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون ، أقام لوحتين أخريين بمثابة حدين عنــد طرفى جزء معين من الجبـانة العظيمة القائمة خلف العرابة ، وذلك ليمنع العامة من اقتحام هذا الجزء من الجبانة . وكان الكهنة قد رغبوا فى حفظها لعبادة الإله « وبوات » وقد أبقت يد الدهر على واحدة منها . وقد نقش عليها بعد التاريخ واسم الفرعون ما يأتى :

«قرر جلالتى أن هذه الجبانة الواقعة جنوب «العرابة» يجب أن تصان وتخصص لوالدى «وبوات» رب الجبانة « تاجسر » (أسم جبانة العرابة) كما فعل الإله «حور» لوالده «أوزير» ، فلا يسمح لأى شخص أن تطأ قدمه هذه الجبانة . ولهذا فإن هاتين اللوحتين قـد أقيمتا فى نهايتى الجنوب والشمال ونقش عليهما اسم جلالتـه . وأى شخص يوجد داخل المساحة المعينة بهاتين اللوحتين تجب معاقبته ، ولو كان صانعا أو كاهنا يزاول صناعته ؛ وأى موظف يقيم لنفسه قبرا داخل هذه الجبانة فلا بدّ من التبليغ عنه ، ويجب أن ينفذ فيه القانون ، وكذلك تنفذ هذه الأوامر حتى على حارس الجبانة من هذا اليوم . أما أى امتداد وراء هذا الجزء المعين فليصرح لهم بالدفن فيه » .

وممـا سبق يتضح لنا ما كان للإله « أوزير» والإله « وبوات » من المكانة فى ديانة القوم وبخاصة عند الملوك ، ولا غرابة فى ذلك فقد أخذ الإله « أوزير» يحتل مكانة عظيمة فى الديانة فى عهد الدولة الوسطى حتى أصبح يعتبر أعظم الآلهة شأنا ، وبخاصة فى إقامة شـعائره الدينية ، كما أفضنا القول فى ذلك فى الجزء السابق (راجع جـ ٣ ص ٥٠٧) .

والظاهر أن هذا الفرعون كان قد أشرك خلفه المسمى « خع نفرسبك حتب» معـه فى الحكم إذ عثر على قطعة حجـر فى « الكرنك » ذكر عليهـا اسماهما معاً [(١)] ، غير أن قائمـة « ورقة تورين » قـد وضعت بين اسميهما اسم ملك آخر يدعى « سيحتحور رع » . وإذا حذفنا كلمة « رع » من اسم هذا الملك الأخير فإنه يبقى لنـا اسم « سيحتور » فقط وهو ابن « نفرحتب » . ويمكن تفسير ذلك بأن

---

(١) راجع Mariette, “Karnak”, 8

« نفرحتب » قد أشرك معه ابنه هذا فى الحكم ؛ غير أنه مات قبل والده . والواقع أن « سيحتحور » هذا لم نجد له أى أثر ولكنه أنجب ولدا اسمه « سبك حتب » . وقد عثر له على جعران نقش عليه ما يأتى : ابن « سبك حتب » الذى أنجبه ابن الملك « سيحتحور » [1] . وهذه العبارة تدل على أن الأمير « سبك حتب » كان قد بلغ الحكم قبل أن يشترك والده «سيحتحور» مع « نفرحتب » فى إدارة شئون البلاد . وقد ذكر المؤرخ « ويجول » فى كتابه تاريخ مصر [2] العبارة التالية : ومما هو جدير بالتنويه عنه هنا أنه منذ ذلك العهد لم نعثر على ما يدل على أن هذه الأسرة كانت تمد نفوذها فى الدلتا ، ومن الجائز إذن أن الوجه البحرى قد أفلت تماما من يد ملوك هذه الأسرة فى خلال حكم هذا الفرعون ، ولكن يظهر أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة الذين كانوا يحكمون فى « سخا » هم الذين استولوا على الدلتا لأننا لم نعثر على اسم واحد منهم خارج منطقة نفوذهم ؛ غير أن ما ذكره « ويجول » لا يتفق مع ما كشف حديثا فى بلدة « ببلوص » (جبيل) الواقعة على شاطئ « فينقية » ، إذ عثر على أثر من الأهمية بمكان . وهو قطعة حجر منقوشة نقشا غائرا صور عليها شخص جالس يرتدى ثوبا فضفاضا نقش أمامه سطر عمودى . ونقوش هذا الأثر لها أهمية تاريخية عظيمة إلى حد بعيد ، إذ نجد فيها بعد الديباجة الخاصة بهذه الشخصية سطرا آخر على حدة قد كتب أفقيا وهو يحتوى على ديباجة ملكية مصرية محضة ، وعلى الرغم مما أصابها من العطب والمحو فإنه كان من الممكن تمييز طغراء الفرعون «خع سخم رع نفرحتب » وقد جاء فى نهاية ديباجة الصلاة للإله « رع حور اختى» ما يأتى : أمير « ببلوص » « بنتن » له الحياة مجدّدة ابن الأمير « رن »". ولا نزاع فى أن اسم الأمير هو « بنتن » أعنى « يوناتان » كما ذكر ذلك الأستاذ « ديسو »

---

(١) راجع Petrie, "History", I, P. 223

(٢) راجع Weigall, "A History of the Pharaohs" Vol. II. P. 159.

(Dussaud)[1] . ويلحظ أن أمير « ببلوص » الجالس فى النقش أمام الديباجة الملكية يمد يده اليمنى نحوها باحترام مما يدل على أنه تابع حر يقدم خضوعه للقوة العظيمة الملكية التى كانت تسيطر على عاصمة « فينقية » منـذ الأزمان السحيقة فى القدم . وهذه الوثيقة لها أهمية فائقة كما ذكرنا وبخاصة فيما يخص تاريخ مصر الداخلى ، إذ نعرف منهـا أن الفرعون « خع سخم رع » كان لا يزال يسيطر على ساحل البحر الأبيض المتوسط الذى كان يشرف عليـه أجداده فى القرون الخالية ، و إذا كان الفرعون « نفرحتب » يسيطر على بلاد « فينقية » فى تلك الفـترة فمن المحتم إذاً أن ملك الدلتا كان لا يزال باقيا فى قبضة يده . وقد يجوز أن الوجه البحرى قد أفلت من يد خلفه . وقد ترك لنـا هذا الفرعون آثارا عدة فى طول البلاد وعرضها منهـا تمثال صغير لنفسه محفوظ الآن بمتحف « بولونيا » من حجر البروفير[2] ، وقـد ذكر فى نقوشـه أنه محبوب الإله « سبك » صاحب « شـدت » (الفيوم) ومحبوب «حور » فى « عين شمس » مما يدل على أنه نحت فى أحد البلدين، وكذلك يدل على أن « منف » كانت لا تزال فى يده ، وصناعة هذا التمثال آية فى دقة النحت ، وهو يمثل الفرعون جالسا ، وقـد اتبع المثال فى تمثيله التقاليد القديمة التى كانت متبعة فى نحت التماثيل ، غير أن تقاسيم الوجه تدل على النعومة وليونة الشباب مما لايتفق مع ما كان عليه هذا العصر المضطرب الصاخب . وفى معبد « الكرنك » وجد له محراب نقش عليـه صورتان يحتمل أنهما تمثلان الفرعون وقرينه (كا) . ويظن « لجران » أن الصورتين تمثلان الملك « نفرحتب » الأول وشريكه فى الملك أخاه « سبك حتب » الثـالث[3] . وتدل الآثار على أن سلطان هـذا الفرعون قـد امتد

---

(١) راجع : "Les Peuples de L'Orient Mediterranéen II. L'Egypt" P. 278.

(٢) راجع : Petrie, "History", I. P. 221 & Naville, "Rec. Trav". I. P. 109, 110.

(٣) راجع : Legrain, *"Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers"*, Vol. I., No. 42022

جنوبي الشلال الثاني إذ قد عثر على لوحة عليها اسمه في « بوهن » القريبة من (وادى حلفا)[1]، وكذلك توجد له نقوش على صخور « كونوسو » حيث يشاهد الفرعون ممثلا يتعبد للاله « مين »[2]، كما يشاهد في نقش آخر في نفس المكان وهو ممثل بين الإله « منتو » والإلهة « ساتت » في صورة الإله « مين » بعضو التذكير منتشرا[3]. ويشاهد كذلك في نقش على صخور «سهل» أمام الإلهة «عنقت»[4]، وكذلك نجد له نقشا في « شط الرجال » شمالي بلدة سلسلة[5]. هذا وقد وجدت لوحة في «سهل» ذكر عليها أسماء بعض أعضاء الأسرة المالكة[6]. وعثر على لوحة في «العرابة المدفونة » ذكر عليها اسمه[7]. كما وجد طغراؤه في معبد « أوزير» في « العرابة المدفونة »[8]. وفي « متحف برلين » يوجد رأس عمود عليه اسمه[9]. وقد وجدت عدّة جعارين عليها اسمه منها واحد في مجموعة « فريزر » عثر عليه في « تل اليهودية »، وآخر موجود في متحف « تورين »[10]، وكذلك له جعران في متحف « اللوفر »[11]، وآخر في متحف « ستوتجارات » بألمانيا[12]، ونجد له صولجانا صغيرا في مجموعة

---

(١) راجع : MacIver & Woolly., "Buhen", pl. 74.

(٢) راجع : L. D. II. 151 f. (Text) IV. P. 13.

(٣) راجع : L. D. II. 151 h. (Text) IV. P. 130.

(٤) راجع : L. D. II. 151 g. (Text) IV. P. 126.

(٥) راجع : Petrie, "Season" pl. XV. No. 479 P. 15.

(٦) راجع : L. D. II. (Text) IV. P. 126.

(٧) راجع : Lange & Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reichs", II., P. 24, Pl. 47.

(٨) راجع : Petrie, "Abydos" I. Pl. LIX.

(٩) راجع : Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen "Museen zu Berlin", II. P. 140.

(١٠) راجع : Petrie, "Hist. Scarabs", Nos. 297 – 298.

(١١) راجع : Petrie, ibid, No. 296.

(١٢) راجع : Wiedemann, "Kleinere agyptische Inschriften aus der XIII – XIV Dynastie", No. 15.

« ستروجانوف » (Stroganoff)[(١)] ؛ وله آنيـة من المرمر محفوظة الآن بالمتحف « البريطانى »[(٢)] . هـذا وقد جاء اسمه فى قائمة قاعة الأجداد التى أقامها « تحتمس الثـالث »[(٣)] ، كما جاء ذكره فى « ورقة تورين »[(٤)] .

وقد حكم نحو إحدى عشرة سنة على وجه التقريب .

الملك ساحتحور رع



تدل شواهد الأحوال على أن هـذا الأمير لم يحكم منفردا بل كان مشتركا مع والده فى الحكم والظاهر أنه قـد مات قبـل والده كما أسـلفنا ولكن الأسـتاذ « ادوردمير » يقول إنه لم يحـكم إلا مدّة ثلاثة أيام ثم خلفـه على العرش عمـه (راجع Ed. Meyer, "Hist. de l'Antiquitie" (2) § 300.) .

الملك خع نفر رع ـ سبك حتب الرابع



قلنا فيما سبق إن هذا الملك قد اشترك مع أخيه فى الحكم بعد وفاة «ساحتحور» ومن ثم نستنبط أنه كان لا بد قد تخطى سن الكهولة وقتئذ ، وبخاصة إذا علمنا أنه نصبه شريكا له فى الملك . وتدل الآثار التى تركها هـذا الفرعون على أن نفوذه كان يمتد من الدلتا حتى الشلال الثالث .

---

(١) راجع : Wiedemann, ibid, No. 16.

(٢) راجع : Prisse, "Revue Arch". 1845 P. 15.

(٣) راجع : *Sethe Urk IV. P. 609.*

(٤) راجع : Lepsius, "Auswahl", Taf. V. Col VII frag. Nos. 79-80.

ففى « تانيس » عثر له على تمثال ضخم غير أنه كان فى الأصل مقدما للاله « بتاح » فى « منف »، ثم نقله « رعمسيس » الثانى إلى « تانيس » مغتصبا إياه لنفسه، وكذلك وجد له تمثال آخر فى نفس البلدة، غير أنه يحتمل أنه نقل من بلدة « المعلة » إذ وجد عليه اسم إله هذه البلدة وهو « حمن »(١) .

وفى « تل بسطة » عثر له على تمثالين كما يقول الأستاذ « ادور دمير »(٢) ؛

وفى « أطفيح » وجد له تمثال « بو الهول » من الجرانيت الأسود(٣) .

ومن المحتمل أنه كان يوجد هناك مقر فرعونى ، وبخاصة أن هذا الإقليم كان مركز عبادة الإله « حتحور » يضاف الى ذلك أن ابن الفرعون كان يسمى « ساحتحور » (أى ابن حتحور) وكذلك وجد لهذا الفرعون جعران فى « اللشت »(٤) .

أما فى مصر العليا فكان له آثار عدّة لدرجة ظن معها المؤرخ « ويجول » أن هذا الفرعون قد اتخذ مقر ملكه فى « طيبة »(٥) . ففى « العرابة المدفونة » نجد أنه قد أضاف (بوابة) عظيمة من الجرانيت الأسود فى معبدها(٦) ، وكذلك وجد له هناك جزء من لوحة من الجرانيت يظهر فيها الفرعون يتعبد للإله « مين »(٧) .

(١) راجع : Pierret, "Rec, d'inscription" II. P. 19.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Hist." II. § 300 & Rosellini, Mon. Stor. Texte III. No. 78.

(٣) راجع : Cairo Mus. Salle H., Guide to Museum No. 263.

(٤) راجع : Gauthier & Jequier, "Fouilles de Licht", 106.

(٥) راجع : Weigall, "History" II. P. 161.

(٦) راجع : Petrie, "Abydos" I. LIX. & II. Pl. XXVIII.

(٧) راجع : Lange und Schafer, "Grab und Denkstein," I, 172. Pl. XIII.

وفى «متحف بروكسل» يوجد له نقش غائر عثر عليه فى « العرابة »(١) وفى «دندرة» عثر له على آنية من المرمر الأزرق منقوش عليها اسمه (راجع A. S. IX. P. 107) . ويذكر لنا المؤرخ « ويجول » أن هذا الفرعون قد أقام معبدا فى « الاقصر » عثر على بعض آثاره غير أن ذلك يحتاج الى إثبات(٢) .

وفى معبد « الكرنك » وجدت له آثار عدة تشهد بنشاطه فى هذه البقعة منها عارضة باب من الجرانيت عثر عليها « بلجـران » (راجع A. S. IV. P. 26.) كما وجد له قاعدة تمثال من حجر « الكوارتسيت » فى « الكرنك »(٣) .

وكذلك بقايا تمثـال فى صورة « أوزير » فى « خبيئة الكرنك »(٤) . هـذا وقد أصلح « سـبك حتب » الرابع التمثال الذى أهـداه « سـنوسرت » الثـانى ، وسـنوسرت الثالث الى جدهمـا « منتوحتب » الثـانى أعظم ملوك الأســرة الحـادية عشرة ، وهو موجود الآن بالمتحف المصرى(٥) . ووجد له فى « طـود » الواقعة جنوب الأقصر تمثـال وهو الآن بمتحف « اللوفر » وقد قدّمه لإلّه هـذه المدينـــة(٦) .

أما فى بلاد « النوبة » فقد وجد له تمثال فى جزيرة « ارجو »(٧) .

---

(١) راجع : Speelers, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes des Musees Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", P. 16, No. 7.

(٢) راجع : Weigall, "History, II. P. 162.

(٣) راجع : Mariette, "Karnak", Pl. 8. (Text) P. 45.

(٤) راجع : Legrain, A. S. VII. P. 33-34.

(٥) راجع : Naville, "The XI Dynasty Temple at Deir el Bahari", I, P. 57-58.

(٦) راجع : De Rougé, "Notice des Monuments exposes dans la galerie d'Antiquities Egyptiennes au Musee du Louvre", P. 15.

(٧) راجع : L. D. II. 151. I; L. D. (Text), II, 120 h; Breasted, "A History of Egypt", Fig .99; "The American Journal of Semetic Languages and Literature, XXV. P. 43. Fig. 26.

ولكن يقـال إن هذا التمثال قـد نقل إلى هنـا على يد ملك نوبى فى العصر المتأخر وهو مصنوع من الجـرانيت المحبب ، ولا بـدّ أنه قطع من محاجر جزيرة « تومبوس » . ويقول الأستاذ « ادورد مير » : « على أن وجوده فى هذه البقعة يدل على أن الحـدود الجنوبية لمصر التى امتـدت فى عهد « سنوسرت » الأول حتى الشلال الثـالث ثم فقدت فى عهد الملوك الذين جاءوا بعـده فى عهد الأسرة الثـانية عشرة ثم أعيدت ثانيـة الى ما كانت عليه فى عهد « أمنمحات » الثالث أو فى عهـد مؤسس الأسرة الثالثة عشرة ، قـد حافظ عليها الفرعون « خع نفر رع سبك حتب الرابع » .

على أنه توجد لهـذا الفرعون آثار عدة صغيرة لا يعرف مكانها الأصلى مبعثرة فى متاحف العالم ، أهمها :

(١) جزء من رمز الثبات « د د »[1] (أى رمز أوزير) .

(٢) جزء من لوحة من الحجر الرملى وهى محفوظة « بالمتحف البريطانى »[2] .

(٣) جعران نشره « مريت »[3] .

(٤) قطعة حجر كتب عليها اسم هذا الفرعون ، وقد استعملت فى بناء عمود «بومبى» بالإسكندرية ، وذلك على حسب ما جاء فى تاريخ مصر للأستاذ «بترى»[4] .

(٥) جعران فى مجموعة « فريزر » رقم ٤٩ ، وهـذا الى جعارين فى مجاميع الأستاذ « ڤيدمان »[5] ، وكذلك جعارين عدة فى مجموعة الأستاذ « بترى »[6] .

---

(١) راجع : Newberry, P. S. B. A. XXIII, 220

(٢) راجع : Budge "Guide", P. 223, "Guide to Sculpture" P. 80. No. 278.

(٣) راجع : Mariette, "Monuments" Pl. 43n.

(٤) راجع : Petrie, "History" I, 5th ed Pl. XXVII.

(٥) راجع : Wiedemann, "Kleinere Agyptische Inschriften aus der XIII-XIV Dynastie", No. 12.

(٦) راجع : Petrie, "Hist. Scarabs", Nos. 315-316; ibid No. 303.

وقـد ذكر اسم هـذا الفرعون فى قاعة الأجداد[١] برقم ٣٨ ، وكذلك ذكر فى « ورقـة تورين[٢] » وقد كشف حديثـا فى « الكرنك » قطعة من لوحة محفوظة الآن فى « المتحف المصرى » مسجلة برقم ٥١٩١١[٣]، وهى منحوتة من حجر الجرانيت المحبب . وقد أقامها الملك « خع نفر رع سـبك حتب الرابع » لتكون تذكارا لما قام به من أعمال الخير التى حبسها على معبد « آمون » بالكرنك ونخص بالذكر هنا من بين عبارتها الجملة التالية . قال الملك : « ليعط أربعـة ثيران » : واحد من إقليم رأس الجنوب ، وآخر من إدارة الوزير ، وثالث من الخـزانة ، والرابع من إدارة ما يعطيه الناس ، (وقد تكلمنا عن هذه الإدارات فى الجزء الثالث راجع ص ٣٨٩) .

الملك خـع عنخ رع ـ سبـك حتب الخامس



تولى الملك بعد «سبك حتب» (الرابع) الفرعون «خع عنخ رع ـ سبك حتب» (الخامس) ، والظاهر أنه كان شريكا له فى الملك ، يدل على ذلك جعران كتب عليـه اسماهما[٤] . وتوجد لهذا الفرعون عدة آثار فى المتاحف الأوروبية ، منها مائدة قربان من الجرانيت محفوظة الآن بمتحف « ليدن » ، وهى مهداة للإله « مين »

---

(١) راجع : Sethe, "Urk"., P. 109.

(٢) راجع : Lepsius, "Auswahl", Taf. V, Col. VII, frag. 79-80. 15.

(٣) راجع : Journal d' Entree 51, 911.

(٤) راجع : Weill, "La Fin du Moyen Empire" II. P. 848.

وقد نقش عليها ألقاب هذا الفرعون كاملة[١] ؛ وكذلك وجد له قاعدة تمثال صغير من الجرانيت الأسود اشتريت من « طيبة » عام ١٨٩٨[٢] . وقد أقام هذا الفرعون فى « العرابة المدفونة » مقصورة لم يبق منها إلا بعض قطع جميلة الصنع ، وهى محفوظة الآن « بمتحف اللوفر » ، منها قطعة محفورة حفرا غائرا . ويلاحظ عليها الملك واقفا أمام الإله « وبوات » برأس ابن آوى ، وكذلك نشاهد على قطعة أخرى الفرعون واقفا أمام « بتاح سكر » ، وعلى قطعة ثالثة نشاهده ماثلا أمام الإله « مين »[٣] .

وكذلك وجدت له لوحة محفوظة الآن فى « متحف اللوفر »[٤] . وفى « قفط » كشف عن قطعة من لوحة من الحجر الرملى نقش عليها اسم زوجة ملكية تدعى « نب ام حات » واسم ابنة ملكية تدعى « سبك أم حاب » ، ويظن أنهما زوجته وابنته على التوالى غير أن ذلك ليس محققا[٥] .

والظاهر أن اسم هذا الفرعون لم يذكر فى قائمة «الكرنك» ، وإذا كان قد ذكر فإنه قد هشم[٦] .

---

(١) راجع : Bœser, "Beschreibung der ægyptischen Sammlung des Niederlandischen Riechsmuseums der Altertumer in Leiden", III. Pl. 7., & Moret, "Sphinx, XI. P. 35.

(٢) راجع : P. S. B. A. XXV. PP. 136–137.

(٣) راجع : Louvre B. 3, 4, 5; De Rouge, "Monuments", P. 55. & Weill, "Fin du Moyen Empire", 455-465.

(٤) راجع : Steles du Louvre. C. 10. Pierret, op. cit. II, P. 34. & De Rouge, "Cat. Mon". P. 46, 78.

(٥) راجع : Petrie, "Koptos" Pl. XII, 2. 1-3. P. 12.

(٦) راجع : Sethe, "Urk II. P. 609. VI, P. 8.

الملك خع حتب رع ـ سبك حتب السادس



لم نجد لهذا الفرعون حتى الآن آثارا تستحق الذكر ، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد قام ببعض أعمال فى «معبد العرابة المدفونة» ذكر عليها اسمه (١) . وكذلك وجد له خمسة جعارين : صور على إحداها فى صورة أسد يسير قدما ، وقد كتب عليه اسمه ، واثنان كتب عليهما اسم التتويج (راجع Petrie, "Scarabs and Cylinders" PL. XIII, 24).

هذا وقد جاء ذكره فى قائمة « الكرنك » ، وكذلك فى « ورقة تورين » ، وقد جاء فيها أنه حكم أربع سنوات وثمانية أشهر وتسعة وعشرين يوما (٢) .

الفرعون مرسخم رع ـ نفر حتب



كل ما يعرف عنه أنه عثر له على تمثال جالس من الجرانيت الأسود فى « الكرنك (٣) » وقد جاء ذكره فى قائمة « الكرنك (٤) » رقم ٤٦ أيضا .

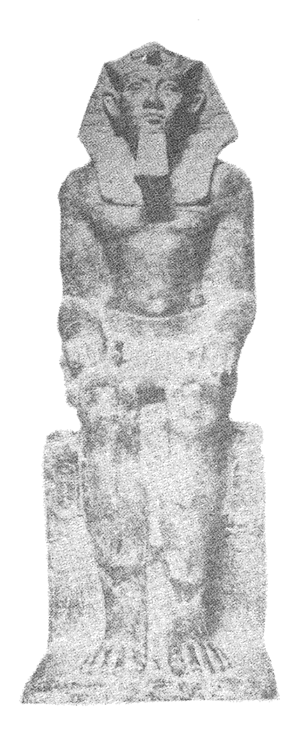
---

(١) راجع : Rosellini, "Mon. Storici Pl. III.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Aegyptische Chronologie". P. 64.

(٣) راجع : Legrain, "Rec. Trav"., XXVI, (1904) P. 220 & Cat. Gen. du Mus. du Caire.

(٤) راجع : Sethe, "Urk. II. P. 609.



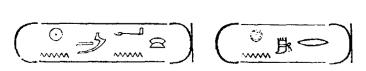
(٣) الفرعون مرسخم رع — نفرحتب

الملك مر كاورع - سبك حتب



عثر له على تمثال من حجـر البروفير فى « الكرنك » ، وقد وجد له تمثـال آخر مماثل للسابق غير أن نقوشه مهشمة [(١)] ، ولكن نسبته لهذا الملك غير مؤكدة بسبب تهشيم النقوش وقد نقش اسمه فى « قاعة الأجداد [(٢)] » رقم ٤٥ ، وكذلك ذكر اسمه فى « ورقة تورين [(٣)] » .

الملك نى خع نى ماعت رع - خنزر



تدل الكشوف الحديثـة على أنه كان يوجد ملكان باسم « خنزر » : فأولهما الذى نحن بصـدده الآن ، وقد عثر له على لوحتـين محفوظتين بمتحف « اللوفر » وهما خاصتان بإصلاحات قام بها كاهن يدعى « أمينى سـنبو » فى معبـد « العرابة المدفونة [(٤)] » .

---

(١) راجع : Weill, "La Fin du Moyen Empire" I, P. 503. & Mariette, "Karnak" Pl. 8. I.

(٢) راجع : Sethe. "Urk. II. P. 609, VI. P. 103.

(٣) راجع : Turin Pap. Col. VIII. frag. 87-88.

(٤) راجع : Chabas, "Melanges Egyptologique", II, P. 203; Breasted, "A. R." 1, §. 781; &; Griffith, "A. Z." XXIX P. 106.

وقد جاء فى اللوحة الأولى (Louvre C. II) ما يأتى : « لقد حضر ابن رئيس الوزراء ليدعونى بأمر من رئيس الوزراء ، فذهبت معه ووجدت رئيس الوزراء « عنخو » فى ديوانه ، وقد أبلغنى هذا الموظف أمرا فحواه : لقد صدر الأمر بأن ينظف معبد « العرابة » هذا ، وستقدّم لك العمال لهذا الغرض ، هذا بالإضافة إلى « كهنة الساعة » التابعين للجهة ، وهم عمال مخزن القربان ، فقمت بتنظيف الطابقين السفلى والعلوى للمعبد ، وجانبى جدرانه كليهما ، وقد ملأ المصوّرون (النقوش والكتابة) بالألوان ، والترصيع والتطعيم ، وبذلك أصلحوا ما كان قد صنعه الملك « سنوسرت » الأوّل . ثم أتى بعد ذلك حارس الشجرة المقدّسة ليباشر أعمال وظيفته فى المعبد وكان وكيل الخزانة يتبعه ، وقد أثنى علىّ كثيرا قائلا : ما أعظم حظوة من عمل هذا لإلهه . وقد أمدّنى بمؤن قيمتها عشرة دبنات[1] (من الذهب) هذا إلى تمر ونصف ثور ، وبعد ذلك انحدر رئيس الـ ... فى النهر من « طيبة » وفحص العمل وكان سروره به عظيما جدا » .

أما اللوحة الثانية فتذكر اسم هذا الفرعون ثم تقص علينا ما يأتى : « لقد صدر الأمر بتبليغ الرسالة الملكية الثانية الى « أمينى سنبو » وهى : إن هذه الأعمال التى قمت بها قد فحصت ، وإن الفرعون يشكرك ، ويرجو لك أن تعيش عمرا سعيدا فى هذا المعبد الخاص بإلهك ، وقد صدر الأمر بأن يقدّم لى الربعين الخلفيين من ثور ، وكذلك صدر الأمر بأن يبلغ لى أمر جاء فيه : « يجب عليك أن تشرف على كل تفتيش يجرى فى هذا المعبد ، وقد قمت بعملى على حسب ما صدرت به كل الأوامر : وقد أمرت بإصلاح كل محراب لكل إله فى هذا المعبد ، فأصلحت موائد قربانها بخشب الأرز ، وكذلك أصلحت المذبح العظيم الذى كان منصوبا أمام الإله . وبذلك أنفذت رغبتى مما سر إلهى ، وشكرنى الملك عليه . وقد ترك لنا رئيس الوزراء « عنخو » هذا المذكور فى هذه الوثيقة بعض آثاره ؛ فقد عثر

---

(١) الدبن مثقال مصرى وزنه ٩١ جراما .

«بلحران» على تمثال له ، كما نعرف له لوحتين ، هذا بالإضافة الى ذكر اسمه فى برديه ، وقد عثر له على جعران(٢)، وآخر محفوظ الآن فى « المتحف البريطانى »(٣) غير أن هذين الجعرانين فى الواقع للملك « خنزر » الثانى كما سيأتى بعد .

الملك وسر كارع - خنزر



وقد خلف « خنزر » الأول ملك آخر يدعى «خنزر وسر كارع» ، وكان بعض علماء الآثار يعتبرون هذين الملكين ملكا واحداً(٤) ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن « خنزر » الثانى لم يكن معروف الاسم إلا من الجعرانين السابق الذكر ، وقد بقى هذا الشك إلى أن كشف الأستاذ « چيكييه » عن هرم « وسركارع خنزر » ونشر نتائج كشفه عام ١٩٣٣(٥) .

وقبل هذا الكشف بقليل اعترف كل من « نيوبرى » و « جاردنر » عند فحصهما « ورقة تورين » عند هذه النقطة بوجود لقب هذا الملك الأخير وهو « وسركارع »(٦) .

وقد كشف « چيكييه » عن هرم هذا الفرعون فى « سقارة » وهو مبنى باللبن ، ومكسو بالحجر الجيرى الأبيض ، ويبلغ ارتفاعه نحوا من سبعة وثلاثين مترا ،

---

(١) راجع : Breasted, "A. R. ,I. note d, §. 342.

(٢) راجع : Fraser, "A Catalogue of Scarabs Belonging to G. Fraser (London, 1900), No, 65 P. 9.

(٣) راجع : Br. Mus. No. 42716.

(٤) راجع : Gauthier, "L. R." PP 138 - 139.

(٥) راجع : Jequier, "Deux Pyramides du Moyen Empire".

(٦) راجع : Jequier, op. cit. P.27.

وقـد عثر على بعض قطع من أحجار هـذا الهرم ، وكذلك عثر على لبنـة من جدرانه عليها نقوش بالخط الهيراطيق ، وهي تكشف عن معلومات قيمة عن سير العمل في بناء هذا الهرم ، مما يدل على أن البناء كله تم في أربعة أعوام . ويوجد له في الجمعيـة التاريخية « بنيويورك » أسطوانة كتب عليهـا لقبه « وسر كارع » راجع (A. Z. Vol. XI, 81) ، كما وجد له قطعة من الخزف المطلى في « اللشت » كتب عليها اسمه « خنزر » (١) .

الملك واح اب رع اع اب



الظاهر أن هذا الفرعون « واح اب رع » يبتدئ عصرا كله اضطرابات ، فيلوح أنه قد اغتصب الملك ، وقد ذكر اسمه على لوحة وجدت في « طيبة » وهي الآن بالمتحف البريطاني (٢) ، وكذلك عثر له على جعران محفـوظ الآن في مجمـوعة « بترى » (٣) ، ووجد له خاتم أسطواني الشكل (٤) ، وذكر اسمه على آنيـة من الخزف المطلى كشف عنها في « كاهون » (٥) وقد حكم على حسب «ورقة تورين» عشرة أعوام وثمانية أشهر ، وثمانية وعشرين يوما .

---

(١) راجع : Ibid, P. 83.

(٢) راجع : Budge, "Sculpture", P. 279.

(٣) راجع : Petrie, "Historical Scarabs", (London, 1889), P. 219 fig. 131.

(٤) راجع : Ibid, P. 323.

(٥) راجع : Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara", Pl. X, Fig. 72.

الملك مر نفر رع اى



وتدل الآثار على أن كل هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم حتى الآن فى هذه الأسرة كانوا لا يزالون يحكمون مصر كلها ، ومن المحتمل أنهم حكموا البلاد نحو خمسين سنة (١٧٦٠ — ١٧١٠) بحسب تاريخ الأستاذ « ادوردمير » وقد خلف الفرعون « واح اب رع » ، الملك « مرنفر رع آى » وقد عثر له على جزء من (بوابة) فى معبد « الكرنك » من الحجر الجيرى بالقرب من « البحيرة المقدسة » كتب عليه اسمه (١) ، وذلك يدل على أن ملكه كان يمتد فى أعالى الصعيد ، بل وفى مصر كلها ، وبخاصة أننا وجدنا له جعارين مبعثرة فى أنحاء القطر . إذ عثر له على واحد فى « قفط » (٢) وثان فى « العرابة المدفونة » (٣) وثالث فى « تل اليهودية » (٤) ورابع فى نفس المكان ، وكذلك جعران فى « تل بسطة » وجعرانان فى « اللشت » (٦) ، وكذلك توجد جعارين باسم هذا الفرعون فى « متحف برلين » (٧) وله جعارين أخرى فى متاحف مختلفة (٨) ، وقد حكم هذا الفرعون على حسب ما جاء فى « ورقة تورين » ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر، وثمانية عشر يوماً (٩) . والظاهر أن حكم هذا الفرعون يعتبر نهاية جزء من حكم هذه الأسرة ، وبعد ذلك نجد فى بردية تورين أسماء ملوك عديدين كثير منهم هشم اسمه ، وسنذكر هنا مايستحق الذكر.

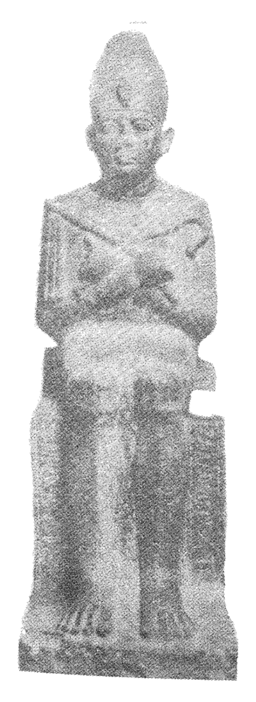
---

(١) راجع : Legrain, A. S. IX P. 273, 276.
(٢) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. XXIV No. 3 P. 24.
(٣) راجع : Petrie, "Hist. Scarabs", Nò. 327.
(٤) راجع : Petrie, "Hyksos & Israelite Cities", Pl. IX No. 116.
(٥) راجع : Fraser "Coll". No. 55 P. 8.
(٦) راجع : Gauthier et Jequier, "Fouilles de Licht", P.107. Fig. 135.
(٧) راجع : Berlin Mus. No. 10190.
(٨) راجع : Gauthier, L. R. II P. 44 ff.
(٩) راجع : Turin Pap., Col. VIII Frag. No. 81, 1,3.

الملك مرحتب رع - إنى - (سبك حتب الثامن؟)



يأتى هـذا الفرعون بعـد الملك السابق فى « ورقـة تورين » وقد جاء ذكره كذلك فى قائمة « الكرنك » وورد اسمه على لوحة من « العرابة المدفونة » محفوظة



(٤) الملك مر حتب رع — إنى (سبك حتب الثامن ؟)

الآن بالمتحف المصرى نقش عليها " الإلّه الطيب رب الأرضين « مر حتب رع » (الواحد المحبوب مدخل السرور على إلّه الشمس) معطى الحياة محبوب « و بوات » رب تازسر (جبانة العرابة) القاطن فى « العرابة » [1] ، هذا وقد عثر له على جعران محفوظ الآن بمتحف « اللوفر » [2] ، وقدّر حكمه فى « ورقة تورين » بسنتين وشهرين وتسعة أيام ، و يشك بعض المؤرخين فى أنه هو « سبك حتب الثامن » [3] (؟)

الملك سواز إن رع - نب ارى راو



لقد كشف عن اسم هذا الفرعون حديثا على لوحة موجودة الآن « بالمتحف المصرى » رقم ٥٢٤٥٣ ، وقد عثر عليها « شفرييه » فى قاعة العمد « بالكرنك » وهذه اللوحة لأحد كبار الموظفين ، وقد وضعت بتصريح ملكى فى معبد « الكرنك » وقد جاء على هـذه اللوحة صورة نص تعـاقد لعظيم باع مهـام وظيفته « حاكم الكاب » التى ورثها عن جدّه بمبلغ يعادل ٦٠ دبنـا من الذهب . وقد ترجم هذه الوثيقة الأستاذ « لاكو » حديثا وهاك الترجمة لمـا لها من أهمية عظمى فى كشف النقاب عن بعض نواحى هذا العهد الغامض [4] .

---

(١) راجع : Lange und Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reiches," Vol. I, P. 54, No. 20044.

(٢) راجع : Deveria, "Oevres I, P. 119 & Petrie, "History". I. Fig. 138.

(٣) راجع : Gauthier, L. R. II P. 46 Note I & Weigall, "History". Vol. II. P. 168.

(٤) راجع : Lacau, B. I. F. A. O., Vol. XXX P. 881 ff. & Weill B. I. F. A. O. Vol. XXXII PP. 28 - 33.

عطف ملكي بالموافقة (على وضع هذه اللوحة) في معبد « آمون »

الألقاب الملكية : إنه « حور » (الملك) العائش = وهو الذى يجعل الأرضين نضرتين ، وسيد الإلهتين = وهو المقدس فى وجوده ، « حور » الذهبي = الجميل فى إشراقه ، ملك الوجه القبلي والوجه البحرى = الذى يجعله « رع » نضرا ، معطى الحياة ، والمحبوب من « آمون » سيد عروش الأرضين ، الإله العظيم ، ابن « رع » « نب إرى ، راو » (= سيدهم جميعا) ليته يعيش مخلدا ، ومن قلبه ينشرح على عرش « حور » الأحياء ، ومَن النظر إليه جميل مثل إشراق قرص الشمس ، ومن صار ثابتا فى مظاهره مثل « كمفيس » (ثور أمه) ، وابن « آمون » ، من جسمه ، وهو الذى أنجبه من بذرته الفخمة ، ومَن تحبه جميع الآلهة دائما .

تاريخ الوثيقة : السنة الأولى ، الشهر الرابع ، من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر ، من عهد جلالة هذا الإله (الملك) .

عنوان الوثيقة الأولى التى ذكرنا تاريخها : « نزول كتابى عن ملكية حررها رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) « كبسى » لرجل من عترته ، وهو الابن الملكى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس المعبد (المسمى) « سبك نخت » :

« حيث إنه معترف بوجود وظيفتى حاكما للكاب ، وهى التى أتت إلىّ بوصفها وظيفة والدى حاكم « الكاب » المسمى « إمرو » ، وقد ورثها والدى هذا بوصفها ملكا لأخيه من أمه وهو حاكم الكاب المسمى « آى » الصغير ، وهو الذى مات

(١) وهذا العطف الذى منحه الفرعون مزدوج إذ يشمل فضلا عن إهداء هذه اللوحة إباحة وضعها فى معبد « آمون » مما يبرهن على صحة ما جاء فى هذه اللوحة .

دون أن يعقب أولادا ، وقد أصبحت هـــذه الوظيفة ملك هذا الرجل الذى من عترتى ، وهو الابن الملكى ، ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » من ابن لابن، ومن وارث لوارث[1] ، على أن يعطى الخبز والجعة واللحم ، والمؤن ، وكهنة الروح، والخدم، والبيت التابعة لتلك الوظيفة، فيجب ألا يقيم أى شخص عقبة فى سبيل هذا النزول الكتابى ، وذلك لأنه دفع لى الثمن وقدره ستون دبنا من الذهب فى صـــورة أشـــياء متنوعة ، وإذا قدم شخص شـــكاية أمام الحاكم (سار) أو أمام من يستمع للأوامر قائلا : " إن هـــذه الوظيفة تئول إلى ، فيجب ألا يلتفت إليه بل يجب أن تعطى« سبك نخت » وأن تكون له من ابن لابن ومن وارث لوارث ، ومحظور الإصغاء لأى فرد يشكو فى هذا الصـــدد ، وذلك لأنها وظيفة ورثتها عن والدى ، وقد مكنت هـــذا الرجل منهـــا لأنه من عترتى ، وهـــو الابن الملكى ، ورئيس المعبـــد المسمى « ســـبك نخت » ، وإذا جاء أحد من أولادى أو من بنـــاتى ، أو إخوتى ، أو أخواتى ، أو أى فرد من عترتى ليقول : « إن هـــذه الوظيفة تئول إلى ، فيجب ألا يصغى إليه ، بل يجب أن يُعطاها أخى هذا وهو الابن الملكى ، حاكم « الكاب » المسمى « ســـبك نخت » ، وهـــذا النزول الكتابى قد عمـــله السيد (ساب) المسمى « رن سنب » فى حضرة عمدة المدينة والوزير ، ورئيس المحـــاكم الكبرى الست المسمى « شـــبك نخت » والسيد « نب سومنو » وكاهن « حور » إله « نخن » المسمى « سبك نخت»[2] .

وإذا حدث أن عوق تنفيذ هـــذا النزول الكتابى فيجب ألا يلغيـــه أى شخص أبدا .

---

(١) والواقع أن واضع هذا النزول قد عنى بإظهار أنه هو المالك الحقيق لهذه الوظيفة إذ أعلن أنها قد أتت إليـــه عن طريق والده الذى ورثها بدوره عن والده ، وســـنرى فيما بعـــد أنه يدلى بالبراهين التى تؤكد ذلك .

(٢) كان اسم « سبك نخت » اسما شائعا فى تلك الفترة .

وقد حرر بوساطة مكتب مراقب « القسم الشمالى » ، وقد كان كاتب السجن المسمى « امنحوتب » معينا يمثل كاتب مراقب القسم الشمالى (من البلدة؟). وقد عمل له الإجراء على حسب القانون بعد موته أى أنه وضع أمامه (النزول المكتوب) لتجديده كل سنة على حسب القانون » [1] .

فى السنة الأولى ، الشهر الرابع من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر من حكم جلالة هذا الإله (الملك) .

دفع الثمن : من الابن الملكى حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس المعبد « سبك نخت » ورئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » ابن الوزير « إمرو » لأجل حكومة « الكاب » . ما أعطاه الابن الملكى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » لرئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » يساوى ستين دبنا ذهبا ، ويشمل ذلك نضارا وشبها وحبوبا وملابس [2] .

وقد تحقق أن الوثيقة الأصلية قد أرسلت من مكتب مراقب « القسم الشمالى» (وعرت) إلى ديوان الوزير ، فى السنة الأولى من عهد حامى مصر (أى الملك) له الحياة والصحة والعافية ، وهذه الوثيقة كانت باسم الكاهن « حور» [3] إله « نخن » المسمى « سبك نخت » و باسم رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » وقد حملت إلى مكتب حاجب (وحم) القسم الشمالى وكان قد أتى بها من ديوان الوزير بسبب شكاية فى السنة الأولى من عهد حامى مصر (الفرعون) له الحياة والصحة والعافية [4] .

---

(١) وبعد ذلك يأتى عقد آخر وهو متمم للسابق وهو عقد الدفع (أى دفع الثمن) لهذه الوظيفة التى نزل عنها صاحبها . (٢) والسطران الأخيران ملخص مختصر لكل الوثيقة .

(٣) الكاهن « حور » صاحب « نخن » كان النائب عن « سبك نخت » وهو الذى قدم شكاية باسم « سبك نخت » الأخير ، ولهذا نجد اسمه مذكورا بجوار اسم « كبسى » المدافع عن هذه الوظيفة .

(٤) وعلى ذلك كانت الوثيقة محفوظة فى ديوان الوزير .

وهــذه الشكوى جاء فيها : « لقد أتيت بوصفى ممثــلا للابن الملكى رئيس المعبد المسمى « سبك نخت » لأقول « إنى قد أودعت أمانة قيمتها ستون دبنــا من الذهب ، وتشمل نضارا وشبها وملابس وحبوبا من متاعى لدى رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » وإنه لم يردّها لى ، ولذلك أقمت دعوى عليــه . وهاك ما تم خاصا بذلك فى مكتب حاجب قسم الشمال ليتسنى وضع هذه الشكوى تحت نظر رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) « كبسى » (أى يواجه بها) وقد اعترف بالحقيقة ، ولذلك يقول : « لقد حدث أنى قد أضعته بيدى (أى المــال الذى أخذه ثمنا للوظيفة) » .

وهاك اعترافه : « إنى سأعوّضه (المدعى) عن ذلك بوظيفتى « حاكم الكاب » التى أتت لى إرثا من والدى عمدة المدينة ، والوزير « إمرو » وقد أتت إليه بمثابة ملك من أخيه من أمه المسمى « آى » الصــغير وهو الذى مات دون أن يعقب أطفالا . وهذه الوظيفة كانت قد قلدها إياه والده الوزير « آى » بمقتضى نزول مكتوب فى السنة الأولى من عهد الملك « مرحتب رع » المرحوم . وقد وضع ذلك (العــرض) أمام الكاهن « ســبك نخت » النائب عن حاكم « الكاب » « ســبك نخت » فأعلن ارتياحه لذلك أيضا ، ثم أمرا بحلف اليمين على ذلك (الاتفاق) وذلك بالقسم بالسيد (الملك) له الحيــاة والصحة والعافية ، وبالامتناع عن الرجوع فى ذلك (الاتفاق) أبدا » .

وقد عقد هذا اليمين أمام الحاجب المسمى « كمسو » التابع « لقسم الشمال » فى نفس اليوم ، وفى الوقت نفســه الذى سجلت فيه هــذه المستندات فى مكتب الوزير . وهاك الكيفية التى أجرى بمقتضاها هذا الوزير (المسمى) « آى » نزولا مكتوبا لابنــه رئيس مائدة قربان « آمــون » المسمى « آى » الصغير ، وذلك فى السنة الأولى من عهد الفرعون « مرحتب رع » المرحوم :

عمل الأصل بمكتب الوزير فى اليوم نفسه وقد جىء بالتقرير الذى أتى به من مكتب الوزير . وقد أحضره « السيد » (ساب) « رنسنب » الذى كان يشغل وظيفة « كاتب الوزير » . (وقد أودع) التقرير ومناقشته مكتب الوزير ، وتحقق أن عمدة المدينة والوزير المسمى « آى » قد حرر نزولا مكتوبا خاصا بحكومة « الكاب » هذه لابنه رئيس مائدة قربان « آمون » المسمى « آى » الصغير ، وذلك فى السنة الأولى ، الشهر الرابع من فصل الحصاد فى اليوم التاسع عشر من عهد الملك « مرحتب رع » المرحوم . وقد قال بصدد هذا النزول المكتوب الذى عمله : لما كان هذا التعاقد قد أصبح ملغيا بالنسبة لابنى رئيس مائدة قربان « آمون » لأنه لانسل له ، من أجل ذلك ينبغى أن تعطى وظيفة حكومة « الكاب » ملكى لإخوته من الأم ، وهى التى ولدت لى زوجى ، البنت الملكية المسماة « رديتنس » . وقد أرسل لإحضار كاهن الإله « حور » إله بلدة « نخن » المسمى « سبك نخت » وهو الذى كان نائبا عن هذا الابن الملكى ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » وقد أحضر فى الوقت نفسه رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » بمساعدة هذه الوثائق (أو هؤلاء الموظفين) إلى مكتب الوزير ، وقد كان لزاما على مكتب الوزير أن يقوم بذلك على حسب القانون ، وقد حلفا اليمين (على الاتفاق) فى السنة الأولى ، الشهر الأول من فصل الحصاد بموافقة رئيس (هات) المحكمة المسمى « رن سن » . راجع A. S. XL P. 1 - 20

ومن هذه الوثيقة نعلم أن بقايا نظم العهد الإقطاعى كانت لا تزال باقية فى البلاد أو على الأقل فى مقاطعة الكاب التى كان فى استطاعة حاكمها أن يتصرف فى بيع وظيفة حكمه لها . والظاهر أن هذا البيع كان يحدث بين أفراد الأسرة نفسها كما يدل على ذلك النص . وقد كان من الضرورى إجراء هذا البيع فى مكتب الوزير الذى كان يعتبر الرئيس الأعلى للبلاد بعد الملك . يضاف إلى ذلك أنه كان

فى الإمكان تغيير هذا البيع والنزول عنه كلما اقتضت الأحوال ذلك . والظاهر أن هذا الإجراء كان متبعا بوجه خاص فى مقاطعة الكاب لأن أمراءها كانوا أقوياء وعلى ولاء عظيم للبيت المالك، وقد استمروا على هذه الحال حتى أوائل الأسرة الثامنة عشرة كما سترى بعد . وعلى أية حال فإن ظاهرة بيع وظيفة حكومة بلد من بلدان القطر تدل على تفكك أواصر الروابط الحكومية فى البلاد . ولا غرابة إذن فى أن نشاهد ذلك فى عهد الأسرة الثالثة عشرة التى كان ملوكها على جانب عظيم من الوهن والضعف مما أدى إلى غزو البلاد على أيد الهكسوس كما سترى بعد .

الملك زد نفر رع « ددومس »



يعرف هذا الفرعون ببعض آثار عثر عليها فى جهات مختلفة ، أهمها لوحة كشف عنها فى « الجبلين » وهى الآن بالمتحف المصرى (١) ، وفى هذه اللوحة يظهر هذا الفرعون بين الإله « خنسو » والإله « أنوبيس » ، وكذلك وجد له بعض الجعارين (٢) ، ومن صناعة هذا الجعران يظهر أنه يشبه صناعة الأسرة العاشرة ، وكذلك عثر له على جعران آخر فى مجموعة « فريزر » (٣) .

وقد عثر « نافيل » على قطعتين من (خرطوش) هذا الفرعون فى « الدير البحرى » (٤) ويقول « مانيتون » إن الهكسوس غزوا البلاد المصرية فى عهد هذا الملك .

---

(١) راجع : Lange & Schafer "Grab und Denkstein", II. PP. 136-138 & Daressy, "Rec. Trav". XIV, P. 26.

(٢) راجع : Petrie, "History", I. P. 245. Fig. 140.

(٣) راجع : Fraser, "Coll". P. 9.

(٤) راجع : Naville, "The XI Dyn. Temple", II Pl. X PP. 1 21.

الملك زد حتب رع ددومس



عرف لنا اسم هـذا الملك من لوحة عثر عليها فى « أدفـو »[١]، وكذلك وجدت لوحه مؤرخة بحكم هذا الفرعون عند تاجر فى « أدفو » ولابدّ أنها قـد استخرجت من آثار هذه البلدة ، وصناعة هذه اللوحة غاية فى الخشونة ، وتشبه السابقة . وقد أهداها الابن الملكى الأمير العظيم ابن رع « ددومس »[٢] ؛ ويحتمل أن هـذا الملك قد خلفه على العرش .

الملك سواح إن رع - سنب ميو



آثار هذا الملك قليلة جدا إذ لم يعثر على اسمـه إلا على قطعـة من « محراب » كشف عنها « نافيل » فى الحفائر التى قام بها فى معبد الملك « منتو حتب » الثانى فى « الدير البحرى » وهى الآن فى « المتحف المصرى » وهى مصـنوعة من الجرانيت المحبب[٣] .

---

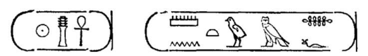
(١) راجع : Barsanti, "Stele inedite au nom du Radadouhotep Doudoumes", A. S. IX (1908) P. 1 - 2.

(٢) راجع : A. S. XXI (1921) P. 189 - 190 & Weill, B. I. F. A. O. XXXII (1932) P. 27 - 8.

(٣) راجع : Naville, "The XI th. Dyn. Temple at Deir-el-Bahari", II. Pl. X. ff. P. 12.

وكذلك نقش اسمه على عصا محفوظة فى « بتروجراد » وقد وجدت فى التابوت[١] رقم٨٠٣؟ كما ذكر اسمه على جزء من لوحة وجدت فى « جبلين »[٢] وذكر اسمه كذلك فى قائمة « الكرنك » فى قاعة الأجداد رقم ٥٣[٣]

الملك زد عنخ رع - منتوامر ساف



آثار هذا الملك قليلة جدا إذ لم نعثر على اسمه إلا على قطعة من الحجر فى «الجبلين» وهذا الحجر محفوظ الآن « بالمتحف المصرى »[٤] هذا بالإضافة إلى جعران محفوظ[٥] « بالمتحف البريطانى » باسمه .

الملك نحسى (العبد)



عزى إلى الملك قطعة حجر ربما كانت من مسلة فى «تانيس» تدل على أنه كان أميرا وربما كان هذا الأثر قدمه له والده قربانا للإله «ست» معبود الهكسوس الأعظم فى ذلك العهد، وفى هذا دليل قاطع على أن هذا الملك قد عاش فى عهد الهكسوس وأنه كان ضمن الأمراء الخاضعين لحكمهم[٦]، وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

(١) راجع : Lacau, "Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire", II, P. 150.

(٢) راجع : Fraser, P. S. B. A., XV (1893) P. 498 (Fig. XVI) & Petrie, "History", I, P. 246.

(٣) راجع : Sethe, "Urk, IV P. 610, VII. PP.1 - 2.

(٤) راجع : Daressy, Rec. Trav. XX, P. 72.

(٥) راجع : Budge, "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I, P. 83.

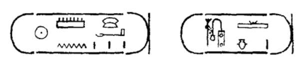
(٦) راجع : Petrie, "Tanis" II, P. 18. No. 19 A.

هذا وقد وجد له حتى الآن ســتة جعارين بعضها باسمــه وهو أمير و بعضهــا وهو ملك .

وقد عثر على أحدها وهو أمير فى « تل بسطة »[١] كما عثر له على تمثــال فى « تل المقدام » كان الفرعون « مرنبتاج » بن « رعمسيس الثانى » قد اغتصبه فى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

وقد ذكر عليه أن « نحسى » هــذا محبوب الإله « ست » رب « أواريس »[٢] و يقول الأستاذ « ادوردمير » إن هــذه العبارة تبرهن بصفة قاطعــة على أن ملوك « الهكسوس » قد حكموا مصر منذ أواخر الأسرة الثالثة عشرة، وأن الإله « ست » لم يذكر قط على آثار « تانيس » قبل عهد الهكسوس . وهذه فكرة خاطئة سنتناولها بالبحث عند الكلام على غزو الهكسوس لمصر .

الملك من خعورع سش أب



لم يوجد لهذا الفرعون إلا لوحة عثر عليها فى « كوم السلطان » « بالعرابة المدفونة » و يشاهد فيها الملك يتعبد للإله « مين » و يقول فى أولهــا : الصلاة لك يا « مين حور نخت » عند طلعتك الجميلة، من ملك الوجهين القبلى والبحرى « من خعو رع » معطى الحياة الأبدية ابن الشمس « سشب أب » العائش مخلدا يقول الخ[٣] .

وقد جاء ذكر هــذا الملك فى « ورقة تورين » مهشما ممــا جعل الشك يحوم حول اسمه[٤] .

---

(١) راجع : Gauthier, L. R. Vol. II, P. 55.

(٢) راجع : Mariette, "Monuments", Pl. 63.

(٣) راجع : Mariette, "Catalogue General des Monuments d'Abydos decouverts pendant les fouilles de cette ville", No. 771, P. 236 et "Abydos" II. Pl. 27. b. & Lange & Schafer, "Grab und Denkstein", II, PP. 111-112. & Lacau, B. I. F. A. O., XXX (1931) P. 882.

(٤) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 67.

الملك حتب أب رع ـ سيامو حور نز حرتف



لم نجد اسم هـذا الفرعون إلا على قطعة من الحجر فى بلدة « الأطاولة » قبالة « أسيوط » ، وقد نقش عليها : الإله الطيب رب القربان « حتب أب رع » ابن الشمس من بدنه « سيامو حور نز حرتف » (١) .

ومن المحتمل جدا أن هذا الملك والذى — قبله وهما اللذان لم يوجد لهما آثار فى أنحاء البلاد كسابقيهم ، بل اقتصرت آثار كل منهما على بلدة واحدة من مصر الوسطى — كانا أميرين محليين وحسب .

---

(١) راجع : Daressy. "Rec. Trav". XVI. (1894) P. 133. & A. Kamal, "A. S." III. (1902) P. 80.

نظرة عامة فى حكم الأسرة الثالثة عشرة

تدل شواهد الأحوال على أن نظام الحكومة فى عهد الأسرة الثالثة عشرة بقى على حاله كما كان فى زمن الأسرة الثانية عشرة، فنشاهد أن الملك «نفر حتب» الأوّل يجمع كبار الموظفين والمستشارين حول عرشه فى السنة الثانية من حكمه، ويأمر بإخراج الكتاب المقدّس لتاسوع الإله « آتوم » ، وهذا الكتاب يوحى إليه بفكرة القيام بإنجاز أعمال فى معبد « أوزير» « بالعرابة المدفونة» ؛ وكذلك أمر الفرعون « خنزر » الأول وزيره « عنخو » أن يقوم بإنجاز إصلاح فى معبد « سنوسرت » الأوّل هذا إلى أن كثيرا من فراعنة هذه الأسرة قاموا بإصلاحات عدّة فى المعابد القائمة فى أمهات المدن « كقفط » و « العرابة المدفونة » ، وبخاصة معابد الإله «مين » والإله « أوزير» والإله « وبوات » ، وهم الذين شاعت عبادتهم فى هذه الفترة ، بذلك قد أظهروا ما فى قلوبهم من الرغبة والاحترام لخدمة آلهتهم متى أتيحت لهم الفرص كما كان يفعل ملوك الأسرة الثانية عشرة .

فقد كانوا يقطعون الأحجار من وادى الحمامات لنحت تماثيل ضخمة لأنفسهم، وبنوا بها كذلك مقابرهم، وقد أقام «سبك أم ساف» وزوجه قبريهما فى «طيبة»، ولكن يظهر أن « نفر حتب » الأول كان مقرّ ملكه فى منطقة « منف » .

وكان الموظفون متواضعين ، يحنون رءوسهم أمام الأوامر التى تهبط عليهم ويتقبلون الهبات الملكية التى كانت تجزل لهم . غير أن هذه الهزة القاسية التى هزت أركان الإمبراطورية لم تحدّثنا النقوش الباقية حديثا شافيا يجعلنا نصل إلى كنهها ، ومع ذلك فإنا نلمس حقيقتها من اضطراب البيت المالك ؛ فما يكاد الفرعون يستقر فى عرشه حتى يغتصب منه الملك ويطرد ثم يتلوه غيره ، وتتجدّد معه المأساة ، مما يدل على أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور المشين ، ولا يبعد أن يكون الملوك الذين يموتون على فراشهم ميتة

طبعيــة قلائل جدا . غير أنه لا يمكننا أن نفسر الأســباب التى أدّت إلى ســوء النظام وقتئذ، إذ كانت أحوال البلاد لا تزال غامضة لدينا، لأن السجلات الرسمية والنقوش الجنازية ، أو نقوش الإهـداء التى بقيت لنـا لا تسعفنا بشىء ينير لنـا السبيل فى هذه الناحية . وقد ظن البعض فيما مضى أن أزمة الحكم الإقطاعى قــد بلغت قمتها وقتئذ، وأن أمراء الإقطاع بعد أن أصبحوا مستقلين قد وضعوا أيديهم على التاج ، غير أن هذه كانت فكرة خاطئة ؛ لأن أزمة حكام الإقطاع كانت قــد حلت فى الفــترة التى بين الدولة القديمــة والدولة الوســطى ، وأن ملوك الأسرة الثانية عشرة قد قضوا فى نهــاية الأمر على استقلال أمراء المقاطاعات جمــلة كما ذكرنا من قبــل . ولم نجد ملاكا ممولين ، لهــم استقلال شامل فى عهــد الأسرة الثالثة عشرة اللهم إلا فى مكان واحد وهو بلدة« الكاب»[(١)] الملكية القديمة فى جنوبى الوجه القبلى حيث نجد أن أمراءها قد أقاموا مقابر مزينة بالنقوش على نمط أمراء الإقطاع الأقدمــين ، وأقدم هــؤلاء الأشراف مــن أصحاب « الكاب » هــو « سبك نخت » الذى عاش فى عهد الفرعون « سبك حتب » السادس والفرعون « نفر حتب » وكان يحمــل لقب « أمير » وكاهن أعظــم ، وكذلك كان يحمــل لقب « حامل الخاتم » و « السمير الوحيد » مما يذكرنا بالأمراء الوراثيين، ولكن نجــد أن خليفته « ران سنب » و « بى » كان كل منهما يحمــل لقب « رئيس مائدة الحاكم » وقد كانا أقرباء ملوك وكبار موظفين ، ومع ذلك فقد كان « بى » له من الاستقلال ما يكفى أن يتكلم بلهجة أمراء المقاطعات الأقدمين عن أعمال الخــير التى أغدقها على بلدته ؛ إذ زعم أنه كان يوزع خمسين رغيفا على كل فــرد فقير أو غنى؛ وكذلك تكلم عن الحقول التى أمر بزرعها الخ، وعلى ذلك نجــد أنه فى عهــد الأسرتين السادسة عشرة والسابعــة عشرة قــد تكونت من جديد إمارة

---

(١) راجع : Taylor, "Wall Drawings and Monuments of El Kab", Vol. III, No. 10, Sebeknakht, No. 9. Ransaneb, No. 8. bis. Babi; L. D. (Text) IV, P. 53.

حقيقية، ولكن كان يشغلها فى هذه الحالة موظفون وصلوا إلى مركز قوى أو مرتبة أمير، وذلك إما بالزواج أو بامتلاك أراض . على أن ما كان يحدث فى "الكاب" على حسب ماتسمح به الوثائق التى فى متناولنا يكشف لنا بعض الشيء عن الحالة الحقيقية لهـذه الأزمة التى ارتسمت فى عهـد الأسرة الثالثة عشرة، وهى أن كبار الموظفين الخاضعين للتاج ، وبخاصـة الضباط منهم الذين كانوا وقتئـذ يغتصبون العرش ، كانوا يتشاحنون فيما بينهم، وكان كل منهم يطمح إلى أن يكون الفائز . فكان يحل الواحد منهم مكان الآخر دون أن يفوز مغتصب بأن يضمن لنفسه مركزا ثابتا أو يفلح فى تأسيس أسرة قوية الأركان مدعمة البنيان، هذا إلى أن كبار رجال الدولة كانوا يبيعون وظائفهم كما تباع السلع، فلا غرابة فى أن يكون العرش كذلك يباع ويشترى لمن فى يده قوّة وجاه .

الأسرة الرابعة عشرة

قلنا فيما سبق إن المـؤرخ « ادوردمير » قد اتخذ من نقش الملك « نحسى » على تمثاله العبارة التالية : " محبوب الإله « ست » صاحب « أواريس » " دليلا على أن الهكسوس كانوا فعلا قد استعمروا مصر فى عهده، ويزعم أن الإله «ست» لم يذكر على أى أثر فى «تانيس» قبل عصر الهكسوس، إذ ذكر لنا كل من الفرعون « مرمشع » و « سـبك حتب » (السابع) على تماثيلهما : " المحبوبين من الإله « بتاح » صاحب « منف » " . وكانت « أواريس » عاصمة الهكسوس، والإله «ست» هو إلههم، ومن ثم كان «نحسى» ووالده من رعايا « الهكسوس »؛ وأن غزوهم لمصر كان قبل نهاية الأسرة الثالثـة عشرة، ومن الممكن أن تعزى التغيرات السريعة فى تولية العرش إلى الفترة التى تلاها دخول « الهكسوس » . على أن هذا البرهان لا يرتكز على أساس متين؛ وذلك لأن «ست» كان يعبد فى «الدلتا» فى هذه المنطقة منذ الأسرة الرابعة كما سنبين ذلك، وأن « أواريس » هى نفس «تانيس»

كما برهن على ذلك الأستاذ «ينكر» فى مقـاله عن «بحر نفر» ، وسنفصل القـول فى ذلك عند الكلام على عصر الهكسوس . وعلى أية حال فإنه لم يمض طويل زمن على نهـاية حكم « نحسى » حتى انتهت الأسرة الثالثـة عشرة ، على حسب ما جاء فى « ورقة تورين » ثم ابتدأت الأسرة الرابعة عشرة كما ذكر « مانيتون » .

وملوك الأسرة الرابعة[١] عشرة ينسبون الى بلدة « سخا » (أكسيوس) فى شمال الدلتـا ، وقد حفظت لنا « ورقة تورين » من أسماء ملوك هـذه الأسرة نحوا من واحد وعشرين ملكا (العمود الحـادى عشر) ، ونجد فيهـا فاصلا جديدا يدل على تغيـير فرع الأسرة المـالكة . على أننا لم نجـد من بينهم ملكا واحدا مذكورا على الآثار أو فى قائمة « الكرنك » . ويمكننا أن نقرر أنهم لم يحكموا الوجه القبلى ، بل كان سلطانهم منكمشا غرب الدلتـا حيث كانوا تابعين لملوك الهكسوس الذين استوطنوا شرق الوجه البحرى . وتدل الأرقام التى حفظت لنـا عن حكم هؤلاء الملوك على أنهـم كانوا لا يمكثون على العرش إلا زمنـا قصيرا جدا مثل أسلافهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن الأسرة القديمة أو بعبارة أخرى بقية البلاط قـد احتموا فى مناقع الدلتـا حيث كانت المنازعات مستمرّة من أجل ظل العرش . ومما لاريب فيه أن الهكسوس كانوا فى هذه الحالة يشجعون على استمرار هذه المنازعات والخلافات بزج مدع جديد للعرش يشدون أزره . وقد كان الوجه القبلى فى ذلك العهد مقرّا لبيت ثالث يدعى ملك الوجهين القبلى والبحرى ، وهو الأسرة السابعة عشرة على حسب رأى «مانيتون» ، وهؤلاء من جهتهم لم يحكموا كل الوجه القبلى ، وذلك لأننا وجدنا بجانبهم إمارات مستقلة ، بالفعل أو بالحـق الشرعى . ومن ثم نشاهد أن بداية حكم « الهكسوس » وتسلطهم على البلاد كان عهد انحلال جديد لوحدة الدولة المصرية .

---

(١) راجع : Ed. Meyer, "Histoire de L'Antiquite". II. § 301.

عصر الهكسوس

مقدمة

لقد كان موضوع «الهكسوس» من أبرز ما تناوله علماء الآثار من الموضوعات في السنين الأخيرة، وبخاصة بعد الكشوف الحديثة الناجمة من الحفائر التي قامت في الشرق الأدنى . سنحاول هنا الاستفادة من كل ما كتبه هؤلاء الباحثون لنكون صورة واضحة بقدر ما تسمح به معلوماتنا عن هؤلاء الغزاة .

ولقد احتدم الجدل في الماضي في الوقت الذي اجتاح فيه الهكسوس البلاد المصرية . أما تاريخ طردهم من أرض الكنانة فيكاد يكون من المتفق عليه الآن أنه كان حوالي عام ١٥٨٠ م على يد الفرعون أحمس الأول ، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، كما سنشرح ذلك فيما بعد، وكذلك نعلم حسب تفسير الأستاذ « زيته » للوحة « أربعمائة السنة » أن الهكسوس كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ ق . م . وعلى ذلك نرى أنهم كانوا قد حكموا مصر بين مدّ وجزر نحو قرن ونصف قرن من الزمان .

وقد كانت الفكرة الراسخة في الأذهان عند عامة المؤرخين إلى بضع سنين مضت أن هؤلاء الغزاة قد انقضوا على الديار المصرية فجاءة من بلادهم الأصلية، واستولوا عليها عنوة، وأن ذلك قد حدث في فترة كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف والوهن حدًا بعيدا، أي عند ما كانت الحروب الداخلية تفتك بها كل الفتك، ولكن سيرى القارئ فيما بعد أن هذا الزعم خاطئ من أساسه، بل الواقع أنه توجد أسباب عدّة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادي النيل منذ عهد الملك « سنوسرت » الثاني (١٩٠٦ — ١٨٨٧) ق . م . أي في منتصف عهد « الدولة الوسطى » عند ما كانت مصر في أوج عظمتها ، أو بعبارة أخرى في إبان عصرها الذهبي . وسنميز تمييزا بينًا بين المؤثرات الثقافية والمؤثرات السياسية التي أدت

إلى ذلك . وتدل شواهد الأحوال على أنه لا توجد أسباب تدعو إلى الشك فى أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام ١٧٣٠ ق . م . ولكن من الطبعى أن المؤثرات الثقافية التى كانت موجودة قبل ذلك العهد فى الأقطار الأسيوية المجاورة قد تركت أثرها إلى حدّ مّا فى مصر، ومن المحتمل أن المصريين أنفسهم قد نقلوها إلى بلادهم . وهذه المسألة نجد حلها فى الجواب على السؤال التالى وهو : كيف يتسنى للمرء أن يفسر ظهور ثقافة جديدة فى بلد ما ؟ وسيرى القارئ فيما بعد أن عناصر ثقافية جديدة قد أدخلت فى كل من سوريا وفلسطين بل وفى مصر نفسها حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . وسيلاحظ كذلك وجود علاقة بين هذه العناصر الثقافية الجديدة و بين ثقافة الهكسوس الخاصة بهم مدّة عهد سلطانهم السياسى فى مصر؛ على أن هذا القول يحتاج إلى تفسير و إيضاح ينسجم مع الحقيقة القائلة : إن مصر كانت وقتئذ فى عصر من أزهر عصورها ، و إن « ببلوص » الواقعة على الشاطئ السورى كانت موالية لمصر حتى عام ١٧٤٠ ق . م . و يظهر أن الجواب المقنع على ذلك هو أن غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة بين عشية وضحاها، ولكنه قد تم تدريجا وعلى مهل ، فكان يكتسب قوّته بمرور الزمن كالشجرة التى تضرب بأعراقها على مر الأيام فى أرض خصبة فتزداد نموا و إيناعا . على أننا من جهة أخرى لا نجد فى سقوط الأسرة الثانية عشرة الذى أدّى إلى ضعف مصر سببا يساعد على حركة قامت للأسباب التى أوردناها هنا، وهى التى كانت نتيجتها توطيد أوّل أسرة للهكسوس فى أرض الدلتا حوالى عام ١٧٣٠ ق . م .

هجرة الهكسوس : وإذا أخذنا بأن هجرة الهكسوس قد بدأت من المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حوالى بداية القرن التاسع عشر ق . م . على حسب ما سنورده من البراهين التى نستخلصها من قطع الفخار الأثرية ، فإنا لن نجد تضاربا فى ذلك مع الحقائق التاريخية ، و يكون لدينا فى الوقت نفسه تفسير

لظهور منتجات مبكرة لو وجدت فى متون مؤرخة يرجع عهدها إلى قرنين بعد ذلك لحكمنا بأنها من عهد « الهكسوس » بلا ريب . والحقيقة الوحيدة التى لا بدّ من التذكير بها بالنسبة للهكسوس هى أنهم لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة . وهذه الجماعات كانت تزداد فى عددها إلى أن أصبح لهم سلطان عظيم فى البلاد بتسربهم بهذه الكيفية، فكان مثلهم فى ذلك كمثل الكاسيين الذين استولوا على بابل بهذه الطريقة ؛ حتى أن هذه العناصر المختلفة الجنسية قد أصبحت فيما بعد عاملا سياسيا قويا فى مصر أدّى إلى جعل البلاد تحت سلطانهم، وعلى هذا الأساس ظهرت الأسرة الخامسة عشرة فى مصر .

طرد الهكسوس : والواقع أن الهكسوس قد قضى عليهم جملة فى مصر بوصفهم أمة حاكمة على يد « أحمس » الأول وليس معنى هذا أنه قد قضى على نفوذهم الثقافى من البلاد، إذ ليس من الضرورى أن يسير النفوذ السياسى جنبا لجنب مع النفوذ الثقافى، أو أن كلاهما ينسب الى الآخر بصفة مباشرة، إذ لدينا من الأدلة ما يبرهن على أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص الى مدة لا يستهان بها فى عهد الأسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد كما سنشرح ذلك فى حينه . أما من جهة فلسطين فإنا نعتقد أن « تحتمس الثالث » قد ضرب الهكسوس ضربة قاصمة قضت على أطماعهم فيها ، وعلى نفوذهم فى « آسيا »؛ ولكن مع ذلك نجد أن دم « الهكسوس » وطرق حياتهم وعاداتهم قد تغلغلت فى نفوس أهل « كنعان » سكان « فلسطين » كما نجد ذلك عند وفود « العبرانيين » على هذه البلاد .

ولا يخيل أن غرضنا هنا أن نقدّم صورة مفصلة دقيقة من الوجهة الأثرية عن ثقافة الهكسوس المادية ، فإن مثل هذه المعلومات ليست من أغراضنا هنا، ويمكن للباحث فى التفاصيل أن يستقى معلومات غزيرة فى هذا الصدد من تقارير

عمال الحفر المختلفة التى لهـا علاقة بهذا الموضوع . على أننا من جهـة أخرى قد حاولنـا أن نضع أمام القارئ رأيا شامـلا لبعض المسائل الخاصـة بالهكسوس متجاوزين الحدّ فى التفصيل كلما دعت الضرورة ، وذلك رجاء الوصول إلى ما نرمى إليه من كشف النقاب عن هذا الموضوع المعقد الذى شغل بال العلماء زمنا طويلا ، ولا تزال بعض مسائله تحتاج إلى بحوث عميقة أهمها القيام بحفائر فى كل الجهات التى احتلها أولئك الغزاة .

معلوماتنا عن الهكسوس من المصادر القديمة المدونة

لقد كانت معلوماتنا عن « الهكسوس » قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمـة وغيرها من لغات الشرق القديمة تحصر فيما رواه لنـا « فلافيوس يوسفس » Flavious Josephus المـؤرّخ اليهودى الذى عاش فى خلال القـرن الأوّل من التاريخ الميلادى . والمعلومات التى قدّمها لنـا هذا المؤرّخ قد أخذها بدوره عن المـؤرّخ المصرى « مانيتـون » المعـروف . وقـد كان غرض « يوسفس » الأوّل فيما نقـله عن « مانيتون » العمل جهـد الطاقة فى الرفع من شأن قومه اليهـود الذين كان يحتقرهم كتّاب الإغريق ، ويحطون من شأنهـم ، لذلك أخذ المـؤرّخ « يوسفس » يبرهن للملأ أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد ، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالى ألف سنة قبـل حروب « طرواده »[1] الذائعة الصيت ، وهى تلك الحروب التى خلدها « هوميروس » الشاعر اليونانى فى كتاب « الإليـاذة » وكتاب « الأودسى » ؛ وقـد كان عهد هـذه الحروب فى نظر الإغريق تاريخا سحيقا فى القدم . ومما يؤسف له أشد الأسف أنه لم يعثر حتى الآن عن أصل إغريق من كتاب « مانيتون » الذى وضعه فى تاريخ مصر ،

---

(١) Thackery,. "Against Apion," I, PP, 102-105.

ولم يبق لنا من كتابه هذا إلا بعض فقرات نقلها بعض الكتاب مثل « يوسفس »[(١)] وغيره، ومع ذلك فإن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي بقيت لنا قد كتبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريبا، وعلى ذلك أضحى الاعتماد عليها بوصفها مصدرا تاريخيا لا يوثق به كثيرا ، وبخاصة إذا كنا نعلم أن بعض الوقائع التي ذكرها لنا « مانيتون » تكاد تكون من الوجهة التاريخية مستحيلة . على أن هذا لا يحملنا على التخلي عن ذكر بعض الوقائع الصادقة المعقولة فيما رواه ، كما سنرى عند فحص المصادر القديمة المصرية الأصلية التي كشف عنها في خلال نصف القرن الأخير[(٢)] .

والظاهر أن كلمة «هكسوس» لم تكن معروفة قبل عهد «مانيتون» ،وأنه هو أول من استعملها ، وسنورد فيما يلي الاقتباسات الهامة التي ذكرها « يوسفس » نقلا عن « مانيتون » .

فيقول « يوسفس » : "إن « مانيتون » كتب عنا (أي اليهود) ما يأتي ، وإني سأقتبس كلماته كأني قد وضعته في قفص الشهادة « لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد توتيمايوس Tutimaeus » (تحتمس) صاعقة من غضب الإله ، فقد تجرأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا ، وقد كان مجيئهم أمرا مفاجئا ، وقد تسلطوا على البلاد بمجرد القوة في غير صعوبة ما ، وبدون نشوب واقعة حربية . وبعد أن تغلبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية ، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها ، وساروا في معاملة الأهلين بكل قسوة ، فقتلوا بعض القوم ، وسبوا نساء وأطفال أناس آخرين ، وفي نهاية الأمر نصبوا واحدا منهم اسمه « سالاتيس » ملكا ، فاتخذوا مدينة « منف » مقرا له ، وضرب الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري ، وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أعظم صلاحية للدفاع . وقد أمن جناحه الأيمن بوجه خاص لأنه كان يتنبأ بما عساه أن يحدث من اغتصاب الآشوريين بمهاجمته عند ماتزداد قوتهم في المستقبل ، ولما كشف في مقاطعة « ستروبت (Sethroite) » عن مدينة حسنة

---

(١) Edward Meyer. "Gesehichte des Altertums", (Stuttgart und Berlin, 1926) § 151

(٢) راجع كتاب Raymond Weill, "La Fin du Moyen Empire Egyptien". عن الآثار المعروفة للهكسوس قبل عام ١٩١٨ ميلادية .

الموقع مقامة على الجهـة الشرقية من فرع « بو بسطة » عمل على بنائها من جديد وحصن جدرانها ووضع فيها حاميـة يبلغ عددها نحوا من ٢٤٠٠٠٠ رجل مسلحين لحماية حدوده . وكان قد اعتاد زيارة هذا المكان كل صيف لتـوزيع الجرايات ودفع أجور الجنود من جهـة ، وكذلك ليلقى عليهم دروسا هامة فى فنـون الحركات الحربية ، ولأجل أن يلقى الخوف فى قلوب الأجانب من جهـة أخرى . ثم توفى بعد أن حكم البلاد تسع عشرة سـنة " بعـد ذلك تأتى قائمـة بأسماء الملوك التاليـة « بنون » حكم ٤٤ سنة — « أبا خناس » حكم سـتا وثلاثين سـنة وسبعة أشهر — « أبو فيس » حكم إحدى وستين سنة — « بناس » حكم خمسين سـنة وشهرا و « أسيس » حكم ٤٩ سنة وشهرين . وقد كان هؤلاء الملوك السـتة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطمعون باستمرار فى محـو الشعب المصرى ، وكان شعب هؤلاء الغـزاة يسمون « هكسوس » ومعنى الاسم « ملك الرعاة » وذلك لأن كلمـة « هك » معناها فى اللغة المقدّسة « ملك » أما كلمة « سوس » فمعناها فى اللهجة الدارجة « راعى » أو « رعاة » ، ومن ثم كانت الكلمة المركبة « هكسوس » ، و يقول البعض : " إنهم « عرب » " . ثم يستمر « يوسفس » بألفاظه هو قائلا : « وعلى أية حال فإنه جاء فى نسخة أخرى أن كلمة « هك » لا تعنى « ملوكا » بل تدل على العكس على أن الرعاة كانوا « أسرى » وهذا الرأى يظهر لى أكثر احتمالا وأكثر موافقة للتاريخ القـــديم .

وملوك القوم الذين يطلق عليهم الرعاة ومن تناسل منهم وهم الذين عددناهم فيما سبق قد ظلوا أسياد مصر على حسب ما ذكره « مانيتون » نحو خمسمائة وإحدى عشرة سنة " .

وفى الفقرة التالية يحلل « يوسفس » ما جاء فى « مانيتون » :

"وبعد ذلك قام ملوك إقليم « طيبة » وسائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة وشبت نار حرب عظيمة طالت مدتها ، و يقول إنه فى عهـد ملك يدعى « مسفراجموثيس (Misphragmouthis) » هزم الرعاة وطردوا من مصر كلها وحوصروا فى مكان يدعى « أواريس » ومساحته عشرة آلاف « أرورا » وكان الرعاة كما ذكرنا « مانيتون » قد أحاطوا كل هذه المساحة بجدران عظيمة مبنية حماية لكل متاعهم وغنائمهـم " ثم يستمر قائلا إن « توموسس (Thoummosis) » ابن « مسفراجمـوثيس » حاصر الجدران بجيش يبلغ ٤٨٠٠٠٠ رجل ، وحاول أن يجعلهـم يستسلمون بالحصار . ولكنه لما يئس من بلوغ غرضه عقد معهم معاهدة تقضى بأن يخلوا كل أرض مصر ، وأن يذهبوا حيث شاءوا دون أن يضيق عليهم . و بمقتضى هذه الشروط غادر مصر مالا يقل عن ٢٤٠٠٠٠ من الأسرى جميعا يحملون متاعهم ، ومخترقين الصحراء إلى « سوريا » ، ولما كان الرعب قد أخذ منهم كل مأخذ خوفا من بطش الآشوريين

الذين كانوا فى خلال هذه الفترة أصحاب السيادة فى « آسـيا » فإنهم أقاموا مدينة فى الإقليم الذى يدعى « يودا » صالحة لإيواء جمعهم الهائل وقد أطلقوا عليها اسم « أورشليم » [1] .

التعليق على رواية يوسفس : ويحق لنـا أن نشك فى الحال فى قـوّة « آشـور » فى تلك الفترة من التاريخ كما يحق لنـا كذلك أن نتشكك فى مساحة مدينة «أواريس» عاصمة « الهكسوس » وفى عدد الرجال الذين كانوا فيها وقتئذ، يضاف إلى ذلك أنه ليس من المعقول أن « الهكسوس » بعـد طردهم من مصر قد استوطنوا بلدة جديدة هى « أورشليم » ولكن لا يخفى ما لهذه الحقيقة من قيمة فى نظر « يوسفس » اليهودى .

ولكن قبل فحص الوثائق الأقدم من تلك ، بالنسبة لعلاقتها بتقاليد البطالمة دعنا نفحص كلمة « هكسوس » أولا .

تفسير كلمة هكسوس : ذكرنا من قبل أن كلمة «هكسوس» تنسب نشأتها للمؤرخ «مانيتون» والتفسير اللغوى الذى وضعه لها مقبول، وذلك لأن كلا من جزأى الكلمة له ما يقابله فى اللغة المصرية القديمة، فكلمة «حقا» معناها «حاكم» وكلمة «شاسو» معناها «بدوى»، ومن الجائز أن الأخيرة قد كتبت بالإغريقية «سوس» وبالقبطية « شوس » [2] ؛ وعلى أية حال فإن الرأى المتفق عليه الآن فى تفسير كلمة « هكسوس » هو أنها مركبة من كلمتى « حقاو » و « خاسوت » ومعناهما معا هو «حكام الأقاليم الأجنبية » ، وهذا التفسير لا يتناقض مع ماجاء فى القاموس المصرى القديم (W.B. III. P.171)؛ وقد كان أول من اقترح هذا الاشتقاق هو الأستاذ «جرفث» [3] . ومما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفا فى المصادر المصرية من عهد مبكر يرجع

(١) راجع : "Against Apion", I, PP. 74 – 90. English Translation by H. St. J. Thackery (London 1926).

(٢) راجع : "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. V, (1918) P. 38.

(٣) راجع : P. S. B. A. XIX. (1897) P. 297.

للأسرة السادسة، وبقى مستعملا حتى عهد البطالمة[١] . وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذى احتل فيه الهكسوس البلاد المصرية، وليس لدينا من البراهين القاطعة الآن ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على الهكسوس فحسب . وإذا كان لنا أن نفهم نشأة كلمة الهكسوس على حقيقتها فلا بدّ أن نتصوّر أن كلمتى « حقاو » و « خاسوت » قد مزجتا كاسم جنس ، واستعملتا فى الصورة التى نقلها لنا « مانيتون » . ولكن المدهش فى ذلك أننا نجد استعمال هذا التعبير فى النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، غير أننا من جهة أخرى نلحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار أوعلى الجعارين « حقاخاسوت » أى « حاكم البلاد الأجنبية » مثل الملك « خيان »[٢] و « سمقن »[٣] و « عنات هر »[٤] فقد لقب كل منهم بهذا اللقب .

وقد كان أول ما عثر على كلمة « حقاوخاسوت » فى صيغة الجمع فى قصة «سنوهيت» (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ص ٣٥) ، ويظنّ الأستاذ « ولف » خطأ أن المقصود منها فى هذا النص هم بدو « فلسطين »[٥] .

ومما يلفت النظر أننا لم نعثر على كلمة بعينها فى اللغة المصرية القديمة وضعت علما لأولئك الغزاة الذين سماهم « مانيتون » الهكسوس . فنجد مثلا فى « ورقة ساليه » الأولى أنهم سموا «الطاعون» ، غير أن ذلك ليس بغريب، لأن المصريين كانوا يطلقون عليهم هذا الاسم بوصفهم أعداء . والظاهر أنهم كانوا يسمون

(١) راجع : J. E. A, V, P. 38.

(٢) راجع : Macalister, "Gezer", III, Pl. CCIV. P. 16.

(٣) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders", Pl. XXI.

(٤) راجع : Newberry, "Scarabs", Pl. XXXIII. II.

(٥) راجع : Wolf, "Der Stand der Hyksosfrage Zeitschrift D. M. Ges. 8. heft. I. (Leipzig. 1929). P. 67.

« عامو » أى الأسيويين فى عهـد الهكسوس أنفسهـم[١] ، وكذلك كانوا يسمون « ستيو » فى لوحة « كارنرفون » (راجع J. E. A., V. P. 46.) وأطلق عليهم فى نقش تاريخ « أحمس بن أبانا » اسم « منثيوستت » (راجع Urk. IV. 5: 4.)

ملوك الهكسوس فى ورقة تورين : وفضـلا عن المصادر اليونانية التى ذكرت لنا بعض أسماء ملوك «الهكسوس» كما كتبها الإغريق فإنه يوجد لدينا قوائم ملوك مصرية بحتة أتم من القوائم اليونانية ، و إن كانت متناقضة فى بعض الحالات وأهمها « ورقة تورين » وهى المصـدر الذى كان فى الأصل يشمل على ما يظهر كل أسماء ملوك « الهكسوس » ولكن ، مما يؤسف له أن بعض أجزائها قد حدث فيه تمزيق بالغ[٢] ، غير أنه لحسن الحظ وجدنا فيها قائمة تحتوى على ما يظهر أسماء ستة من ملوك « الهكسوس » حكموا مائة وثمانى سنين .

ولدينـا قائمة مـلوك أخرى محفوظة بمتحف « اللـوفر » نقلت من معبـد « تحتمس الثـالث » بالكرنك وهى المعـروفة « بقاعة الأجداد » وقـد ذكرناها فيما ســبق[٣] .

وكـذلك توجد قائمة ملوك فى « العـرابة » وأخرى « بسقارة » ولكنهما لا تحتو يان أسماء ملوك « الهكسوس » احتقارا لهم ، ولعدم الاعتراف بحكمهم ، وذلك لأن أولئك الغاصبين قـد بقيت ذكراهم فى أذهان القـوم بوصفهم أعداء مغتصبين لمدة طويلة بعد طردهم وهربهم من مصر .

---

(١) راجع : Carnarvon Tablet I, "J. E. A, V. P. 44. Inscriptions of Speos Artemidos", Breasted, "A. R", II. § 303.

(٢) راجع : Guilio Farina, Il papiro re rest anrato IR. museo di Torino Publicazioni egittologiche I. (Roma 1938) P.56.

(٣) راجع : B. Porter and Rosalinde. B. Moss, "Bibliography", II. (Oxford 1929) P. 42.

وقد ذكرنا هـذه الحقائق هنا بصفة عابرة ، لأنه لو كان لدينا حتى الأسماء الصحيحة لأولئك الملوك مرتبة ترتيبا تاريخيا متسلسلا لكان مع ذلك تنقصنا الحوادث والأحوال التى تربط أسماء بعضهم ببعض . والظاهر أن الأمل الوحيد فى الحصول على مثل هذه المعلومات لن يأتى إلا عن طريق إجراء حفائر فى مصر فى المواقع الهامة التى استوطنها « الهكسوس » وقد تصلنا هذه المعلومات الأثرية فى صورة أوراق بردية .

العثور على جعارين من عهد الهكسوس : هـذا وقد عثر فى أوقات متفرقة على جعارين نقش عليها أسماء بعض ملوك لم تكن معروفة لنا من قبل، وقد تحقق بالدرس أنها لملوك من « الهكسوس » ومع ذلك فان هذا الكشف لم يحل لنا مسألة التسلسل التاريخى لأولئك الملوك ، وهى المسألة التى يجدّ المؤرخون للوصول إليها ، هـذا فضلا عن أن كشفها لم يضف شيئا ماديا لفهم عصر أولئك الغزاة .

ولكن من جهة أخرى نجـد أنه قد حدث بعض التقدّم فى إماطة اللثام عن أحـوال العصر المظلم الذى تلا سقوط الأسرة الثانيـة عشرة ؛ إذ قـد أصبح من المسلم به على وجه عام أن العصر الذى يقع بين الأسرتين الثالثة عشرة والسابعة عشرة كما لخصه « مانيتون » لا يمكن أن تكون الأحوال قد سارت فيه سيرها الطبيعى بل كان عصر تقلبات وقلاقل ، ولم تنسجم فيه أمور البـلاد إلا غرارا . فقـد استوطن ملوك الأسرة الثالثة عشرة مدينة « طيبة » وسيطروا فى بداية الأمر على البلاد كما ذكرنا آنفا (حوالى عام ١٧٨٨ ق م) من الدلتا حتى الشلال الثانى[١] . وقد ظلت الأحوال فى البلاد تسودها السكينة والنظام حتى نهاية عهد رابع ملوك هذه الأسرة . وعلى أية حال نجد أن خامس ملوك هـذه الأسرة الذى كان يحمـل اسم

---

(١) راجع : Breasted, "A. R." I. §§ 751-752.

« يوفنى » كما جاء فى « ورقة تورين » قد دوّن بصورة تختلف عن طريقة تدوين أسماء الملوك المتبعة[(١)] .

الأسرة الرابعة عشرة : أما الأسرة الرابعة عشرة فكما ذكرنا كانت عاصمتها بلدة « سخا » (اكسيوس) من أعمال الدلتا على حسب ما جاء فى « مانيتون » ؛ والظاهر أنها كانت وليدة تمزق شمل الدولة بعد بداية الأسرة الثالثة عشرة مباشرة ، وبعبارة أخرى كانت كل من الأسرة الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة معاصرة زميلتها ، فالأولى كان مقرها مدينة « طيبة » والثانية كان مقرها مدينة « سخا » من أعمال الدلتا .

وعلى الرغم مما يحيط بمعلوماتنا من إبهام وغموض عن هذا العصر فإنه مما لا ريب فيه أن أول أسرة أسسها « الهكسوس » أى الأسرة الخامسة عشرة قد قامت على حساب الأسرة الرابعة عشرة . أما الأسرة الثالثة عشرة التى كانت لا تزال قائمة فى « طيبة » فإن شواهد الأحوال تدل على أن أواخر ملوكها كانوا خاضعين لنفوذ « الهكسوس » . فقد ذهب الأستاذ « ادورد مير » إلى أن « نحسى » ثالث ملك من أواخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة ووالده كانا تابعين للملوك « الهكسوس »[(٢)] .

أما عن الوقت الذى أسس فيه « الهكسوس » الأسرة الخامسة عشرة فى بلدة « أواريس » وعبادة الإله « ست » فإن المعلومات الجديدة التى لدينا عن هذا الموضوع ترتكز على تفسير الأستاذ « زيته » للوحة « أربعمائة السنة » التى عثر عليها أولا « مريت » فى « تانيس » فى منتصف القرن الأخير[(٣)] وهى التى كشف عنها ثانيا الأستاذ « مونتيه » منذ بضع سنين بعد أن بقيت مطمورة فى الرمال

(١) راجع : Gauthier, "L. R." II, P. 7.

(٢) راجع : Gesch. II. §§ 305 & 316. ff.

(٣) راجع : Rev, d'Arch. N. S. XI. (1865) PP. 169-90.

مدّة طويلة[١] ؛ وكذلك على ما ألقاه من الضوء الأستاذ « ينكر » فى مقاله عن « بحو نفر » أحد كبار رجال الدولة فى عهد الأسرة الرابعة ، وقد أبان فيه حقيقة عبادة الإله « ست » فى « أواريس » . ولما كان موضوع عبادة « ست » مرتبطا بعيد « أربعمائة السنة » الذى كان قد أقيم احتفالا بهذا الإله ، رأينا أن نبحث هنا موضوع علاقة الإله « ست » بالهكسوس ، ثم علاقته بلوحة أربعمائة السنة ، وكذلك نبحث مسألة عبادة هذا الإله فى عهد الأسرة الثالثة عشرة فى «أواريس» ، وأخيرا لا بدّ من تحقيق أن «تانيس» هى نفس «بررعمسيس» ، و بذلك يمكن فهم المعنى الحقيقى للوحة «أربعمائة السنة» ، وموقف الإله « ست » وعلاقته بالهكسوس والمصريين .

علاقة الاله « ست » بالهكسوس

لقد ظل موضوع علاقة الإله « ست » بالهكسوس من الموضوعات الغامضة إلى أن أجلى معمياته الأستاذ « ينكر » فى مقال رائع عن نقوش مقبرة العظيم « بحو نفر » أحد كبار رجال الدولة فى أوائل الدولة القديمة ، وقد عثر على قبره فى «سقاره»[٢] . وقد برهن الأستاذ « ينكر » فى مقاله هذا على أن الإله « ست » كان الإله المحلى لبلدة « سِترت » (Strt) وهى ستروويت (Sethroite) فى العهد الإغريقى الواقعة فى الشمال الشرقى من الدلتا ، كما يعتقد ينكر، وعلى ذلك كان لإثبات وجود عبادة هذا الإله منذ هذا العهد السحيق فى القدم فى هذه الجهة أثر فى تغيير الاراء التى كانت معروفة عن موقف هذا الإله بالنسبة لعلاقته « بالهكسوس » تغيرا أساسيا ؛ ولا غرابة فى ذلك فقد كان المعتقد حتى قبل هذا الكشف الذى وفق إليه الأستاذ « ينكر » أن الهكسوس هم الذين جلبوا عبادة « ست » إلى هذه الجهة ، لأنه

(١) راجع : Montet, "La Stele de l'An 400", Kemi IV. (1933) PP.191-215.

(٢) راجع : Junker, "Phnfr", A. Z. Vol. 75. PP. 63-84.

كان موحدا مع معبود لهم ، كما كان يزعم كل علماء الآثار . ولكنا نعلم الآن أن الهكسوس لما اجتاحوا البلاد وتسلطوا عليها ، وجدوا عند استيطانهم فيها أن الإله « ست » كان هو المعبود المحلى للبقعة التى أقاموا فيها تحصينات عاصمتهم العظيمة التى اتخذوها بمثابة نقطة الاتصال بين أجزاء دولتهم الضخمة ، وهى التى كانت تضم بين جوانبها مصر وفلسطين وسوريا . وقد كان مثل أولئك الفاتحين كغيرهم ممن غزوا أرض الكنانة ، اعتنقوا الديانة المصرية القديمة على إثر دخولهم البلاد . فلا عجب إذا أن يختار غزاة الهكسوس الإله المحلى للبقعة التى ألقوا فيها عصا تسيارهم ، وبنوا فيها عاصمة ملكهم ، إلها لهم ، وهو الإله « ست » ؛ وقد اتخذوه حاميا لدولتهم الجديدة ، وعلل البعض اختيارهم لهذا الإله بما يوجد بين «ست» هذا وبين إلههم « بعل » أو الإله « تشب » من تشابه فى الصفات. ولكنا لا نعلم أن الغزاة فكروا فى شىء من هذا بل كل ما فعلوه أنهم نقلوا الإله المحلى القديم وهو « ست » إلى عاصمتهم الجديدة وعبدوه ، وهذا الرأى أقرب للفهم من أنهم كانوا يبحثون عن إله حام ينتخبونه من بين جماعة الآلهة المصريين ليوضع جنبا إلى جنب مع إله قبيلتهم . وسيظل مقدار مدى الأهمية التى كان يتوقف عليها اختيار الإله « ست » وما بينه وبين إله الغزاة الفاتحين من روابط وصفات خفية مشتركة ، من الموضوعات المغلقة التى لا يمكن الفصل فيها ، وذلك لأن الهكسوس على ما يظهر ، وكما سنرى بعد ، كانوا خليطا من أجناس متباينة مما جعلنا نجهل حقيقة كل شىء عن آلهتهم أو الإله المرشد لقبيلتهم . حقا نعلم أن كلا من الإلهين « بعل » و « تشب » قد وحد بالإله « ست » ولكن ذلك قد حدث فى عصور متأخرة عن عصر الهكسوس ، ومع ذلك يبقى علينا أن نوضح بجلاء أن الإله « ست » كان فى عهد الهكسوس هو إله الفاتحين الأجانب . والواقع أنه بوصفه إله الحرب قد ظهر فيه بعض الصفات المشتركة بينه وبين آلهة الأسيويين مما حبب فيه الهكسوس .

عبادة الإله ست فى الدلتا : ولما كانت عبادة الإله « ست » فى الشمال الشرقى من الدلتا قائمة منذ فترة طويلة ثم اعتنقها « الهكسوس » عند غزوهم البلاد ، فإنه كان من الطبعى أن تظل عبادته بعد طرد أولئك الغزاة حتى ولو بوصفه الإله المحلى لتلك الجهة .

وإذا كان الأمر قاصرا على موضوع توحيد الإله الأجنبى بالإله « ست » رب « أمبوس » (كوم امبو) القديم وحسب لاختفت عبادته باختفائهم من البلاد ، ولكن الأمر كان أعظم شأنا وأجل خطرا من ذلك ، إذ كان الإله «ست» منذ زمن سحيق فى القدم قد اتخذ الدلتا موطنا ثانيا له ، وبذلك لم يكن فى مقدور إنسان أن يزحزحه عن مكانه ؛ لأن عبادته كانت قد ضربت بأعراقها فى أعماق نفوس القوم القاطنين فى تلك البقعة .

على أن تقديس « الهكسوس » للإله « ست » لم يكن موضوعا ذا بال عند المصرى نفسه ، لأنه على الرغم مما كان لهذا الإله من سوء السمعة منذ القدم فإن عبادته كانت لا تزال مرعية قائمة على أقل تقدير فى المدن التى كان يعبد فيها قديما مثل « أمبوس » (كوم امبو) والاقليم الذى يشتمل على المقاطعتين الحادية عشرة والثانية عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ، وكذلك فى الشمال الشرقى من الدلتا . على أن كل ما فعله الفاتحون هو أنهم رفعوه بصفة بارزة الى مرتبة الإله الأعلى بل وإله دولتهم . والواقع أن هذا الحادث كان ضربة قاسية فى صميم قلب مدن « طيبة » و « منف » و « هليوبوليس » وهى التى كانت تمجد فيها عبادة « آمون » و « بتاح » و « رع » على التوالى بوصفهم أعظم الآلهة سلطانا ونفوذا فى الديار المصرية ، هذا فضلا عن اتصالهم الوثيق بحكومة البلاد . وقد كان مما يمكن احتماله أن يكون « ست » معبودا محليا بوصفه رفيقا لهذه الآلهة العظام ؛ ولكن الذى لم يكن فى استطاعة الكهنة والحكومة استساغته أن يصبح

« ست » صاحب السيادة الدينية فى البلاد كلها ، وهو الإله المعروف بعدائه للإله « حور » بل كان قاتل الإله « أوزير » والده أيضا .

ومما هو جدير بالاهتمام الآن إذا أن نفحص المصادر التى وصلتنا مرة أخرى عن طريق « مانيتون » وغيره من النقوش والكتابة القديمة، وهى التى تحدثنا عن غزو الهكسوس وتقديسهم للاله « ست » على ضوء ما لدينا من المعلومات الجديدة حتى يتبين لنا حقيقة الأمر بقدر المستطاع .

رواية مانيتون عن الهكسوس

يدل ما رواه «مانيتون» على أنه قد ناقض نفسه فى موضوع مدينة «أواريس» ، إذ ذكر لنا فى بداية كلامه أن « ملك الهكسوس » قد وجد المدينة قائمة عند وصوله ، ثم عاد فقال إنه أسسها . وقد بحث المؤرخون المتن اليونانى ونخص بالذكر منهم « ادوردمير » ثم الأستاذ « ينكر » (A. Z.Vol. LXXV. P. 8.) وقد وصل الأخير إلى النتيجة الآتية وهى : « أن المتن يكون منطقيا عندما نفهم أن رواية « مانيتون » تحمل فى ثنايا ألفاظها أن الهكسوس قد وجدوا مدينة مشيدة عند دخولهم البلاد تدعى « أواريس » ، واتخذوها عاصمة مختارة لملكهم ، وأنهم قد أصلحوها وأمروا بتحصينها » . وبذلك تكون الفقرة التى أختلف فى ترجمتها قد حافظت على معناها الحقيقى على حسب رأى « ينكر » وهى : « ولكن المدينة كانت على حسب التعاليم الإلهية منذ أقدم العهود هى مدينة « تيفون » (أى ست)» . ولذلك يجب علينا أن نقول هنا بحق إن الهكسوس قد انتخبوا « أواريس » عاصمة لهم ؛ وهى المدينة التى كان يقدس فيها « ست » منذ زمن سحيق فى القدم؛ أى منذ أن اتخذها هذا الإله موطنا له قبل الأسرة الرابعة بزمن بعيد .

وكذلك جاء فى فاتحة متن « ورقة ساليه » وصف يدل على أن الهكسوس قد انتخبوا الإله « ست » معبودا لهم .

« اتخذ الملك « أبو فيس » لنفســه الإله « ستخ » (ست) معبودا ، ولم يقدّس من آلهة البلاد كلها سوى الإله « ستخ » وقد أقام له معبدا بمثابة عمل جليل خالد بجوار مقرّ الملك . وكان يخرج كل يوم ليقــدّم القربان للإله « ستخ » فى حين كان وجهاء القــوم يحملون الأكاليل على غرار ما كان يفعله الناس فى معبد الإله « رع حوراختى » .

ومن هذا النص نرى أن هــذه القصة تحدّثنا أن ملك « الهكسوس » قد رفع الإله «ست» إلى مرتبة السيادة على ملكه وجعله إله الدولة الأعظم ، وقام له على حسب التقاليد المصرية بأعظم آيات التجلة والاحترام . على أننا وإن كنا نجد بين السطور تجريحا لاذعا للإله « ست » فإن ذلك يرجع فقط إلى أولئك الذين لم يرق فى نظرهم المقام الأسمى والمكانة الممتازة التى اعتلاها هذا الإله . ولا غرابة فى ذلك فإن التقاليد قد شوّهت اسمه بكثير من المساوئ كما هو معروف . على أنه ليس لدينا من جهة أخرى أقل إشارة تدل على إدخال إله أجنبي فى البلاد أتى به الهكسوس . ولا نزاع فى أن مؤلف «ورقة ساليبه» لم يكن ليتغافل عن ذكر أية إشارة خاصة بذلك ، وعندما قيل «إن ملك الهكسوس» الأجنبي قدّم قربانا للاله «ست» كما يفعل الناس فى معبد الإله «رع» أعظم الالهة المصرية مقاما فلا يعنى ذلك أن القوم كانوا يقدّسون على وجه عام إله «أوازيس» بل على العكس يدل ذلك على أن الغزاة قد رفعوه إلى درجة أعلى من درجات الآلهة الأخرى وحسب . وينبغى علينا إذا أن نقرّر أن الملك «أبو فيس» لم يعبد إلها آخر ، وأن الأجانب لم يعرفوا الإله «رع» أو أنهم أرادوا القضاء عليه ، بل كان كل ما يبتغونه هو إبراز الشهرة الكاذبة التى أرادوها لإله دولتهم الجديد ، هذا إلى التخلى عن التجريح الذى كان يغمز به هذا الإله العظيم القديم . والواقع أن هؤلاء الملوك الفاتحين كانوا كذلك يقدّسون آلهة أخرى من آلهة وطنهم ممن نجد اسمهم قد ركب مع اسم الملوك تركيبا مزجيا مثل اسم الملك «عنات هر» ، وكذلك نجد بعض هؤلاء الملوك قد اتخذوا لأنفسهم لقب « ابن الشمس » مما يدل على عبادتهم للاله « رع » ؛ هذا إلى أننا نجد أسماء التتويج لكثير من ملوك « الهكسوس » قد ركبت مع اسم « رع » أعظم الآلهة المصرية شهرة وقدما كما سيجيء بعد .

اللوحة التذكارية للاحتفال بعيد أربعمائة السنة التى مرت على تتويج « تبتى » (الاله ست) ملكا على دولة الهكسوس

الآن وقد أثبتنا أن الإله « ست » كان إلها أصليا يعبد فى «أواريس» منذ القدم نعود إلى التكلم عن لوحة أربعمائة السنة وقيمتها التاريخية بالنسبة لعهد «الهكسوس» .

لقد ظنّ بعض المؤرخين أنّ « نبتى » الذى جاء فى لوحة « أربعمائة السنة » ملك حكم البلاد المصرية . وظل الرأى كذلك إلى أن كتب الأستاذ « زيته » مقالا رائعا فى هذا الصدد (راجع A. Z. LXV. P. 85) أدلى فيه بالحجج المقنعة بأن نقش لوحة « أربعمائة السنة » خاص بالإله « ست » لا بملك من ملوك عصر الهكسوس الذين حكموا مصر ، وهاك نص ما جاء فى هذه اللوحة مع اختصار الألقاب الرسمية :

« يعيش الملك « رعمسيس » الثانى الأمير الذى زين الأرضين بآثار تحمل اسمه ، والذى يشرق بحب إله الشمس له فى السماء . لقد أمر جلالته بإقامة لوحة من الجرانيت الأحمر باسم آبائه العظام لتعيد ذكر اسم آبائه ووالده ثانية واسم الملك « سيتى الأول » باقيا وخالدا إلى الأبد مثل اسم « رع » كل يوم » .

هذا هو الجزء الأول من هذا الأثر . أما الجزء الثانى ويحتوى على ستة أسطر مثل الجزء السابق فإنه يحدّثنا عن حادث من الأهمية بمكان حدث فى الماضى ، وتدل الرسوم التى فى أعلى اللوحة على ما كان عليه الملك « رعمسيس الثانى » من التقوى نحو أجداده ، وما قام لهم به من عظيم الخدمات . وهذا القرار الذى اتخذه قد أرخ ووضع فى صورة مرسوم كما يأتى :

« السنة الأربعمائة ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى « ست » عظيم القوة ابن الشمس المحبوب « نبتى » المحبوب من « رع حوراختى » الذى سيبقى مخلدا . لقد حضر الأمير الوراثى والمشرف على العاصمة والوزير وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورئيس الرماة ، والمشرف على البلاد الأجنبية ، والمشرف على حصن (ثارو) ، ورئيس المازوى (جنود الشرطة فى الصحراء) ، والكاتب الملكى ، والمشرف على الخيالة ، ومدير عيد كبش «منديس» (تل الربع

الحالى) والكاهن الأول للإله «ست» ، والمرتل للآلهة «بوتو» فاتحة الأرضين ، والمشرف على كل كهنة الإلهة «سيتى المرحوم» ابن الأمير الوراثى وعمدة العاصمة ، والوزير ورئيس الرماة ، والمشرف على البلاد الأجنبية ، والمشرف على حصن ثارو (تل أبو صيفة الحالى) ، والكاتب الملكى ، والمشرف على الخيالة « برعمسيس » المرخوم الذى وضعته ربة البيت المغنية « تيا » المرحومة . ويقول : الحمد لك يا «ست» يابن « نوت » يا صاحب القوة العظيمة فى سفينة الملايين (أى سفينة الشمس) ، والذى طرح الثعبان المعادى (لرع) أرضا والذى على رأس سفينة رع ، ومن صوته عظيم فى الحرب . ليتك تمنحنى حياة جميلة لأجل أن أخدمك ، ولأجل أن أبقى فى (حظوتك) .

وقد ظنّ الأستاذ « زيته » ، لأسباب ذكرها عن هذا العيد الربعمائى أنه قد احتفل به فى مدينة «تانيس» لمرور أربعمائة سنة على تأسيسها فيقول : «ومن البدهى أننا نعالج هنا موضوع عيد أربعمائة السنة الذى يدل على وجود مدينة « تانيس » " . ووجود هذه المدينة يفهم منه فى المتن السيادة الملكية للإله المحلى « ست » ولكن ينبغى على العكس أن تكون علاقة هذا العيد بتأسيس هذه البلدة علاقة غير مباشرة ، وبخاصة عند ما نعرف أنه لم يأت ذكر فى النقوش عن هذه المدينة بوجه خاص . والواقع أنه لا يحتمل أن يحتفل القوم ثانية بذلك اليوم الذى أقام فيه الغزاة مدينة لتكون بمثابة حصن منيع فى وجه المصريين ، بل الحقيقة الواقعة أن هذا العيد قد احتفل به تذكارا لاعتلاء الإله « ست » مرتبة السيادة على البلاد ، وجعله إله الدولة الرسمى للهكسوس . وهذا هو نفس الرأى الذى قصته علينا « ورقة ساليبه » الأولى ، إذ جاء فيها أن الهكسوس قد نصبوا الإله «ستخ» سيدا على البلاد ، وينبغى علينا أن نضع الشرح التالى نتيجة لما سبق تفصيله : كان الإله « ست » منذ العهود القديمة قد اتخذ لنفسه موطنا مختارا فى الشمال الشرقى من الدلتا ، وفى الإقليم الذى تقع فيه بلدة « تانيس » ، وعند ما اقتحم الهكسوس البلاد وأقاموا فيها عاصمة لملكهم كان أول ما فعلوه أن اتخذوا الإله المحلى حاميا لدولتهم ، وفى هذه الفترة اعتلى الإله « ست » عرش الملك الإلهى ، وقد كان حتى الآن أو على الأقل فى العصور التاريخية يعتبر أحد الآلهة الذين يعدون فى درجة

أقل من درجة إله الدولة الأعظم . على أنه بطرد الهكسوس من البلاد زالت عنه تلك السيادة الإلهية على البلاد ؛ وعلى الرغم من ازدهار سلطان « ست » وسيادته مدّة ارتباطه بالغزاة « الهكسوس » ، فإنه قد ضرب من جديد ضربة قاسية فى الصميم كانت لا تقل عن الضربة التى صوّبت إليه عند انهزامه وقهره على يد الملوك الحوريين فى عصر ما قبل التاريخ . ومع ذلك فقد بقيت عبادته فى الشمال الشرقى من الدلتا موطنه الثانى قائمة لم تصب بسوء حيث نجد من جديد أن معبده قد بقى قائما على الرغم من تغيير الأحوال فى مصر بقيام دولة وسقوط أخرى ، ولا بدّ أن عبادته فى « تانيس » كانت تذكر بفخار وكبرياء دائما ذلك العصر الزاهر الذى مدّ فيه هذا الإله سلطانه على البلاد كلها ، ولذلك عندما انقضت أربعمائة سنة على اعتلائه عرش دولة الهكسوس احتفل القوم بهذا الحادث الضخم بمهرجان عظيم . وقد تولى الموظف « سيتى » الذى أضحى فيما بعد ملكا على البلاد باسم « سيتى الأوّل » إدارة شئون الاحتفال بهذا العيد . وقد كان « سيتى » هذا موظفا فى شرقى الدلتا إذ كان يحمل لقب المشرف على حصون « ثارو » والمشرف على البلاد الأجنبية ، ومدير عيد كبش « منديس » . ويحتمل أن وطنه الأصلى الإقليم الذى أقيم فيه الاحتفال . هذا إلى أنه كان يحمل كذلك لقب الكاهن الأوّل للإله « ست » ؛ ولا بدّ أن هذه الوظيفة الدينية كانت خاصة بخدمة الإله « ست » فى الدلتا ، وعلى ذلك يكون « سيتى » هذا قد قام بوظيفة الكاهن الأوّل للإله « ست » فى الاحتفال بالعيد فى « تانيس » .

وقد فهم الأستاذ « زيته » من الجملة التى جاءت على هذا الأثر وهى : « يريد إحياء اسم آباء والده ثانية » أنه يقصد من هذه العبارة ردّ اعتبار للإله « ست » الذى كان اسمه قد لوّث بالعار فى مصر منذ الأزمان العتيقة ، ولكن ينبغى ألا تؤخذ هذه الجملة على هذا المعنى المشين بل يجب أن تؤخذ على المعنى الجديد الذى اكتسبه عندما كان اسمه يلمع ويضىء منذ أربعمائة سنة مضت أى عندما رفعه الهكسوس إلى مرتبة ملك الدولة .

وسقوط الإله « ست » كان انتصارا للإله « آمون » فى حين أن « آمون » نفسه كان قد هزمه عدوه « آتون » رب إخناتون ، ولكن أفول نجم « آتون » إلى الأبد لم يقض على كل عداء كان موجها لقوة إله « طيبة » وهو « آمون » ، إذ يلاحظ أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين يظنّ الأستاذ « زيته » أن وطنهم الأصلى الإقليم الشمالى الشرقى من الوجه البحرى، لم يمزجوا أسماء أعلامهم باسم الإله « آمون» كما كان يفعل كثير من ملوك الأسرة الثامنة عشرة مثل «أمنحتب» الأول والثانى الخ . بل مزجوا أسماءهم باسم الإله «رع» أو «بتاح» أو «ست» . ويرجع السبب فى ذلك إلى ما كان يلوح فى الأفق من الخطر الذى يهدّد ملكهم بازدياد قوة « آمون » واتساع نفوذه ، ومن هنا نفهم السر فى نقل « رعمسيس » الثانى (الذى أقام هذه اللوحة) عاصمة ملكه إلى « تانيس » ، فإنه لم يفعل ذلك لقربها من ممتلكاته فى آسيا ، أو لأنه كان يرغب فى جعل بلاطه فى البقعة التى ولد فيها آباؤه وحسب ، بل ليقصى كذلك بلاطه عن كهنة « آمون » ويبعد المسافة بينهم وبين عاصمته . وقد كان تنفيذه لهذه الفكرة ضربة قاسية لمدينة « طيبة » ؛ ويمكننا أن نفهم الآن أكثر من ذى قبل سبب محو اسم الإله « ست » فى معابده القديمة التى كانت قائمة فى الدلتا بعد انتصار « آمون » وعودة عاصمة الملك إلى « طيبة » فى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

عبادة الإله « ست » فى « أواريس » وفى عهد الأسرة الثالثة عشرة

أثبتنا فيما سبق قِدم عبادة الإله «ست» فى الشمال الشرقى من الدلتا فى مقاطعة « سترويت » ؛ والآن نريد أن نبرهن على أن عبادة هذا الإله فى بلدة «أواريس» فى عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن بالأمر الغريب كما يزعم بعض المؤرّخين فقد كتب الأستاذ « ادورد مير » الذى يعد عمدة مؤرّخى العصور القديمة[1] عن الأسرة

(١) راجع : Edward Meyer, "Gesch". § 305.

الثالثة عشرة يقول : لدينا آثار غريبة من عصر ثالث آخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذى كان يدعى « نحسى » (العبـد) وهو اسم كان يسمى به كثير من أفراد عامة الشعب . فنى «تانيس» وجدنا اسم هذا الأمير على قطعـة حجر ربما كانت من أثر قد أهـداه والده للإله « ست » صاحب « را أخت » ؛ وكذلك وجد فى « تل المقدام » الواقعة فى قلب الدلتـا (مركز ميت غمر) تمثال ملكى لهـذا الأمير نقش عليه « محبوب ست » صاحب « أواريس»؛ ولكنا نعرف أنه لم يذكر لنا على أى أثر اسم الإله « ست » فى « تانيس » قبل عهد « الهكسوس » ، وقد ذكر لنـا كل من الملك « مرمشع » والملك « سبك حتب » الرابـع كثيرا على تماثيله التى وجدت فى « تانيس » أنه المحبـوب من « بتاح » صاحب « منف » وأن « أواريس » كانت عاصمـة الهكسوس ، وأن « ست » صاحب « أواريس » هو إلههم . ومن ثم نعـلم أن كلا من « نحسى » ووالده كان قـد أصبح من أتباع « الهكسوس » وأن غزو هؤلاء القوم الأجانب للبلاد كان قد حدث قبل نهـاية الأسرة الثالثـة عشرة ، ومن المحتمل أن تتـابع تولى الملوك عرش البـلاد بسرعة مدهشة فى هذه الفترة يرجع بعضه إلى عظم نفوذهم » .

والواقـع أن ما وصلنا من معـلومات جديدة يجعلنا نعيد النظر فيما كتبه هـذا المؤرخ ، وذلك لأنه فى إقليم « تانيس » كانت عبادة الإله « ست » قائمة منـذ العهود القديمة ، وقد عرفنا الآن أن معبد هـذا الإله موجود فى « سثرت » على مقربة من « تانيس » منذ أوائل الدولة القديمة على أقل تقـدير ، وعلى ذلك فإن إقامة « نحسى » أثرا لهـذا الإله القديم فى إقليم « تانيس » لايدل على أى اتصال « بالهكسوس » ، كما لا تدل عبارة وصف الإله بأنه صاحب « أواريس » على أية علاقة قط بالهكسوس، وذلك لأن هذه المدينة[1] كانت قائمة قبل غزو الهكسوس

(١) راجع رأى الأستاذ جاردنر فى هذه المدينة وموقعها : (Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", Vol. II. P. 176.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك . هذا فضلا عن أن اسم مدينــة « أواريس » مصرى خالص ، ولايشم منه أن الغزاة قــد أسسوا بنيانها ، ويجب أن يفهــم الإنسان ذلك حقا ، فقــد ميز « رعمسيس » الثانى المبانى الجديدة التى أقامها فى المدينــة بتخليد اسمه فأطلق عليها اسم « بررعمسيس » (بيت رعمسيس) . ولا شك فى أن توجيد « تانيس » « بأواريس » يقدّم لنا سندا قويا لتفسير الرأى الذى نعرضــه هنا الآن . وذلك لأن الآثار المكشوفة تحدّثنا بأنه منذ القدم كانت تقوم فى هذه البقعة مدينة على جانب عظيم من الأهمية . وكذلك يدل ما كشف من آثار على أن نشاط « نحسى » من ناحيــة البناء فى « تانيس » كان ضئيلا بدرجة مدهشــة كما كانت الحال مع أسلافه فى عهد الدولتين القديمة والوسطى .

والواقع أن التفسير الذى أدلى به الأستاذ « ادورد مير » عن « نحسى » وآثاره لا يصــمد أمام النقد ، إذ كيف ينبغى « لنحسى » أو والده أن يقيم معبــدا لإله الغزاة الأجانب فى عقر عاصمتهم ؟ والأحرى بهــذا الأمير إذا كان يريد أن يظهــر خضــوعه ، وتبعيته للغزاة أن يقيم أثرا لإله الدولة الجــديد الذى كان يعتبر هو من أتباعه فى الإقليم الذى يقع خارج مدينتهم، أما فى « تانيس — أواريس » التى بناها الهكسوس ثانيــة على حسب (تصميم) موضــوع لم يكن ليسمح « لنحسى » أن يقيم فيها للإله « ست » معبدا بوصــفه إلهه ، بل كان ذلك من الأمور الخاصــة التى يمتاز بها أسياده الفاتحون . هذا ونعــلم من النقوش التى دوّنت على المبانى أشياء أخرى ، إذ نعرف أنه قبــل الغزو الأجنبى كانت توجد مدن لعبادة « ست » غير بلدة « سثرت » ومدينــة « حوت وعرت » (أواريس) مثــل « را أخت » التى كانت تقع حتما فى إقليم « أواريس » وخلافا لهذه المعابد نعلم أن الإله «ست» كان يشغل مكانة ممتازة فى مقاطعته .

تانيس ـ أواريس ـ بررعمسيس (١)

لقد أشرنا فى سياق عرضنا لهذا الموضوع إلى أن هذه الأسماء الثلاثة قد تدل على مدينة واحدة بعينها .

وفى الواقع أن النقوش التى لدينا قد لا تذكر لنا ذلك صراحة، ولكن عندنا من الحوادث والأدلة التى تقصها هذه الآثار ما يعتمد عليه فى إضحاد المعارضة التى أدلى بها الأستاذ « ڤيل » فى أمر توحيد هذه البلاد (J. E. A., Vol. XXI) . هذا فضلا عن أن الأستاذ « مونتيه » قد أدلى بشرح طويل فى كتابه عن « حفائر تانيس » مبينا الأسباب التى جعلته يوحد « تانيس » مع « أواريس » وكذلك يوحدها مع « بررعمسيس » .

وقد وصل كذلك الأستاذ « جاردنر » فى بحثه موضوع « بررعمسيس » إلى نفس النتيجة التى تقول بتوحيد هذه المدن الثلاث ، ويظهر لنا أن تفسيره وما أدلى به من حجج لا يمكن الاعتراض عليه كثيرا ، هذا إلى أن تفسيره للوحة «عيد أربعمائة السنة» الخاص بالإله « ست » يعدّ تفسيرا مقنعا إذ يقول : ولكن الاستنباطات المختلفة التى اقترحها الأستاذ « زيته » ينقصها الأساس الأصلى كما يظهر لى ، اللهم إلا إذا كان الإله « ستخ » المرسوم فى المنظر الذى فى أعلى اللوحة هو نفس « ستخ » صاحب « أواريس » وأن « تانيس » التى وجد فيها « مريت » اللوحة هى المدينة التى تشمل كلا من « ستخ رعمسيس » و « ستخ أواريس» بوصفه إلهها المحلى . وبعبارة أخرى كانت «أواريس» و « بررعمسيس» و « زعنت » (تانيس) هى أسماء ثلاثة جاءت متتالية لبلد واحد بعينه . ثم يقول

---

(١) راجع : Montet, "Les Nouvelles Fouilles de Tanis", P. 15–28; ibid 29–32 & 164. ff.

غير أن البحوث الحديثة تميل الى توحيد بررعمسيس ببلدة قنتير وهو الرأى الذى دافع عنه الأستاذ حمزه بك فى مقالاته وعاضده فيه بعض الأثريين (راجع "Onomastica" Vol.II.P.172 & 278) غير أن الأستاذ « جاردنر » لا يزال يرى الموضوع معلقا .

فى مكان آخر فى نفس المقال (P. 126) : و إنى أظن الآن أنه حتى نفس التغيرات التى حدثت فى الاسم يمكن أن تفسر تفسيرا مقبولا . فمن الجائز أن « أواريس » كان الاسم الذى عرفت به مدينة «تانيس » فى عهد الدولتين القديمة والوسطى، وليس لدينا من الأدلة ما يوحى بأنها أسست فى عهد « الهكسوس » . على أن هذا ليس بالمثال الوحيد الذى نجد فيه أن مدينة مصرية قد غيرت اسمها فى عهود التاريخ إذ نرى مثلا أن « إنبْ حز » قد أصبحت تدعى منذ الأسرة الثامنة عشرة « من نفر » (منف) . ومن المحتمل أن السبب الذى دعا إلى تغيير اسمها هو أن المدينة القديمة التى كان يطلق عليها « حوت وعرت » ، والتى أقامها الهكسوس لتكون حصنا منيعا، قد هدمها « الطيبيون » عند إعادة فتحهم للبلاد وطرد الهكسوس . ولما أسس « رعمسيس » الثانى عاصمة ملكه فى هذا المكان سماها باسمه « بيت رعمسيس »، غير أن الاسم القديم لم ينس كما يدل على ذلك اسم الإله « ست » صاحب « أواريس » الذى نجده على التماثيل القديمة التى اغتصبها « مرنبتاح » لنفسه دون أن يفطن لتغيير كل ما عليها من النقوش القديمة التى تدل على أصلها[١] ، وقد كان أوّل اختفاء لاسم المدينة ، واسم الإله عند حدوث الانقلاب الحكومى فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فأصبحت تسمى المدينة من وقتئذ « تانيس » وهذا ليس باسم جديد . إذ الواقع أن اسم « زعنت » (تانيس) لم يجر على ألسنة القوم مدّة حكم الهكسوس ، وكما نجد اسم « را — أخت[٢] » يظهر فى قائمة هذا الإقليم ويليه بالتوالى « سخت زعنت » « غيط تانيس » و « حوت وعرت » بوصفها أسماء لبلدة واحدة ، نجد كذلك أسماء « لطيبة » مثل « الأقصر»

(١) راجع : Weill, 'The Problem of the Site of Avaris'', J. E. A. Vol. XXI, (1935) P. 14. ff.

(٢) راجع : Mariette, "Monuments", Pl. 31. (Texte) P. 58.

و « الكرنك » وقـد تخلى القوم عن تسمية البـلدة باسم « أواريس » تفاديا من استذكار اسم هذا الإله البغيض لهم ، وكذلك قضوا على معابده جملة ، غير أننـا لا نعلم للآن إلى أى مدى كان انتقال قلب المدينة بالنسبة لـ « تانيس » الأصلية . وقد بحث الأستاذ « ڤيل » مسألة موقع «أواريس» (J. E. A. Vol. 215. P. 10) قاصدا تفنيد القول بتوحيد «تانيس» و «أواريس» ؛ إذ يقول فى خلاصة مقاله : « ويمكن استنباط ما يأتى ... ... إن « تانيس » و « أواريس » كانتا محتلتين، وأن الإله « ستخ » قـد استوطن كلتيهما مع قوم يدعون « الهكسوس » ، وليس من الضرورى أن يكونوا ملوكا من أسرة « أبو فيس » الذين تدل رواية « مانيتون » على أنهم نفس الهكسوس الغزاة، بل فى الواقع هم أولئك الغزاة أنفسهم عنـد ما أقاموا مستعمراتهم الأولى فى « الدلتا » قبل عهد «أبو فيس» بحسب ما أصبنا من النجاح فى تصوير الصورة التاريخية التى شرحناها هنا . وبعبارة أخرى فإن استيطان الإله «ست» «تانيس» (وقد فهم الأستاذ «زيته» من هذه العبارة تأسيس «تانيس») وإقامة الهكسوس فى « أواريس » . (ويلاحظ هنـا أن « مانيتون » لم يذهب فى روايته الى حد تأسيس « أواريس ») كانا حادثين تاريخيين لهما أهميـة أعظم بكثير ، وهما وصول الأسيويين الجدد واستعمارهم للبلاد » .

والواقع أن الأستاذ « ڤيـل » قد بنى استنباطاته على أسس خاطئة . وهـذا فيما يخص أولا فهمه لفنّ عصر الهكسوس، والعهد الذى غزوا فيه البلاد وعلاقته بالأسرة الثالثة عشرة . وهذا الموضوع قد بحث فى غير هـذا المكان (Ed. Meyer "Gesch". I. §. 303)

أما أهم خطأ وقع فيـه فهو قوله إن « ستخ » إله أجنبى قد أحضره الغـزاة معهم من «آسـيا» مع أنه هو نفس الإله « ست » المصرى كما شرحنـا ذلك من قبل ، وبخاصة فى النقوش الخاصة بالموظف « بحرنفر » التى قدّمت لنا برهانا آخر قاطعا بأن « ست » المصرى كان يعبد منذ الأزمان القديمة فى الشمال الشرقى للدلتا

بعــد أن اتخذها موطنا له ، و بذلك هدم أقوى عمــاد يرتكز عليــه مقال الأســتاذ « ڤيل » . والواقع أن « ست » كان الإله المحلى منــذ زمن بعيد فى « أواريس » وقد اتخذه الهكسوس بمثابة إله حام لملكهم ، وقد رفعوه إلى مرتبة «ملك الآلهة» . والواقع أن لوحة أربعمائة السنة لم تذكر لنا دخوله «تانيس» بل ذكرت لنا النقوش حقا اسم المدينة التى استوطنها الإله الجديد . ولم يبق علينا هنا إلا الاعتراف بصحة ما استنبطه الأستاذ « جاردنر » ، وأن اعتلاء «ست» المصرى (نبتى) عرش الملك لا يمكن إلا أن يكون فى عاصمة الملك التى وضعها تحت حمايته ، وهــذه كانت « أواريس » ، وفى ربوعها فقط يمكن للإنسان أن يعقد الاحتفال بعيده، ونصب لوحة تذكارية له .

وفى الختــام يجب أن نبحث على وجه التحقيق فى أى زمن اتخــذ « ست » صاحب « أمبــوس » (كوم امبو) بلدة « سثرت » موطنا له . وهــذه الهجرة يمكن أن تكون قــد حدثت فى أى زمن ، ولكن يجب أن يعتــبر الإنسان أمرين هامين : أوّلا يجب أن يكون انتقال معبود من مملكة لمملكة أخرى عن طريق الفتح وذلك أن يستولى إله الفاتحين على أرض القوم المغلوبين ، وهــذا ما حدث على سبيل المثال فى عبادة « آمون » فى الســودان وفى المستعمرات الأســيوية ، إذ قــد نقلها الفاتحون إلى هــذه البقاع . ثانيا : لم يكن من المعقول أن الإله « ست » يؤسس بلدة جديدة تقام فيهــا عبادته فى الوجه البحرى فى وقت كانت سمعته سيئة فيــه منذ القدم . غير أننا نعلم أنه كان يقطن منــذ بداية الدولة القــديمة فى « سثرت » ، فيجوز فى أمر هجرته إلى الشمال . أنها حدثت عند ما أخضــع « ست » مملكة الإله « أوزير عنزتى » أمير مقاطعات شرق الدلتــا ، أو عنــد ما قهر « مينا » الوجه البحرى وجعله تحت ســيادة الجنوب، وقــد سلم الأستاذ « زيتــه » فى كتابه عن عصر ما قبــل التاريخ (Sethe, "Urgeschichte und Alteste Religion der Agypter", § 47. ff.) أن « ست » قد هاجر

منذ زمن بيعد بكثير عن « حور » معبود « دمنهور » نحو « ادفو » ، فقد هاجر أولا فى العصر التاريخى إلى الشمال الشرقى من الوجه البحرى ، غير أنه لم يقدّم لنا أى برهان على هذا الزعم . ولكن على حسب ما جاء عن العيد الذى كان يقام هنا للإله « ست » قبل الأسرة الرابعة يمكننا أن نبحث على ضوء الاحتمالين الذين قدّمناهما للفصل فى هذا الموضوع ، ونرجح أن هذا الانتقال قد حدث فى أواخر عصر ما قبل التاريخ ، وذلك لأن حكام الوجه القبلى الذين كانوا قد أخذوا منذ الأسرة الأولى يخضعون الوجه البحرى تدريجا ، كانوا يعبدون كذلك الإله « ست » بوصفه الإله الحامى للملكة غير أن « حور » كان مع ذلك الإله الرئيسى ؛ ففى الحروب التى انعكست صورتها أمامنا فى قصة « أوزير » كان « ست » إله الحرب فى الوجه القبلى هو المنتصر ، وقد اغتصب شرقى الدلتا من « عنزتى » سيد المقاطعات الشرقية . على أنه يمكننا من هذا أن نقرن استعمار جنوبى الوجه القبلى خلال سيادة « هليو بوليس » باستعمار الجزء الشرقى من الوجه البحرى بملوك أمبوس (كوم امبو) ، وقد كان هذا الاستعمار بلا شك قليل الأهمية جدًا لأن المعلومات عنه كانت لا ترتكز إلا على ذكر مقاطعة « سترويت » التى ذكرها مؤرخو اليونان .

تحديد تاريخ غزو الهكسوس لمصر

والآن نعود بعد أن أجلينا الموقف أمام القارئ عن الإله « ست » وعلاقته بالهكسوس وبالمصريين ، وبمدينة « أواريس » من كل النواحى إلى تحديد الزمن الذى أقيم فيه الاحتفال بعيد أربعمائة السنة تخليدا لطرد الهكسوس من مصر . فالأستاذ « زيته » يظنّ أن ذلك العيد قد حدث فى عهد حكم الملك « حورمحب » حوالى عام ١٣٣٠ ق م على وجه التقريب مستنبطا ذلك مما جاء فى لوحة أربعمائة السنة (A. Z. LXV. P. 85-89) أى حوالى عام ١٧٣٠ ق م؛ على أن هذا التاريخ وإن كان مقبولا شكلا ، فإنه تعتوره بعض عيوب يمكن التغلب عليها ؛ وعلى حسبه

تكون مـدّة حكم الأسرة الثالثـة عشرة منحصرة فى الفـترة التى بين نهـاية الأسرة الثانية عشرة أى سـنة ١٧٨٨ ق م ونهاية هذا القرن . وتكون النتيجة الفعلية لهذا التفسير أن نعدّ الهكسوس قوما كانوا ذوى قوة سياسية فى مصر لمدّة قرن ونصف قرن من الزمان، غير أننا لا نعرف الطريقة التى صار بهـا أولئك الأجانب قوة مسيطرة على البلاد خلافا لمـا نعلمه من أنهم اتخذوا من ضعف البلاد الداخلى قوة لأنفسهم؛ وعلى ذلك فليس لدينا ما نستعين به على فهم هذه الحالة إلا الاستنباط، وهو أمضى سلاح لدينا . فنجد من المعقول فى هـذه المناسبة أن يصدّق الإنسان الحالة التى كانت ترزح تحت عبئها البـلاد كما وصـفها «ايور» الكاهن والمفكر المصرى فى العهد الإقطاعى الأوّل ، وأنهـا كانت تنطبق على حالة البلاد فى الواقع لو كان الإنسان يعيش فيها حوالى عام ١٧٠٠ ق م (راجع الجزء الأوّل من كتاب الأدب المصرى القديم ص ٢٩٤ — ٣١٧) . وهـذه الوثيقة كما فصلنا القول فيها تعطينا صـورة عن العصر الإقطاعى الأوّل ؛ ولكنها فى مجموعها كما يظهر تصوّر لنـا حالة لا بدّ من وجودها ليتسنى للأسيويين اغتصاب السلطة فى أى وقت، ولذلك نجد «ايور» يتحدّث إلينا عن الفوضى التى عمت البلاد ودخول الأسيويين أرض الدلتا فيقول : «تأمل إنها (الدلتـا) فى أيدى من لا يعرفها مثل أولئك الذين يعرفونها ، وأن الأسـيويين مهرة فى مهن أرض المستنقعات» . ويلاحظ حتى فى البـلاد الخارجة عن حدود الدلتا أن الأجانب قد ضربوا بأعرافهم فيها . ولا بدّ أن بداية سـيطرة الهكسوس السياسية قـد اتخذت سبيلا مماثلة لتلك التى وصـفناها . ولا غرابة فى ذلك فقـد مرّ بوادى النيـل فى عدّة مناسـبات الدورة التى كانت تمثل فيهـا القوة فالانحلال فالاغتصاب ثم تنتهى فى آخر المطاف باسترجاع قوتهـا ونهوضها ثانية .

الهكسوس وآثارهم الباقية

الواقع أننا لا نعرف إلا الشيء اليسير عن بداية عهد تسلط الهكسوس على مصر ، فنعلم أن الأسرة الخامسة عشرة قد نشأت ثم تلاشت وحلت محلها الأسرة السادسة عشرة على حسب ما رواه « مانيتون » لأن الوثائق التاريخية القيمة التي تساعد على فهم هذا العهد من تاريخ البلاد معدومة بالمرة ، وكل ما لدينا هو أسماء عدة ملوك لا يمكن ترتيبها ترتيبا تاريخيا متسلسلا ولذلك سنكتفي هنا بسردها وما ذكر عنها .

قسم « مانيتون » ملوك مصر في عهد الهكسوس إلى ثلاث أسرات فذكر أولا ستة ملوك ، يتألف منهم عهد الأسرة الخامسة عشرة وهم : (١) سالاتيس (٢) بنون (٣) وأباخناس (٤) وأبوفيس (٥) يناس (٦) وآست .

بعد ذلك جاء في مختصر « أفريكانوس » (Africanus) أسرة ثانية وهي الأسرة السادسة عشرة ، وعدد ملوكها إثنان وثلاثون ملكا ، ثم جاءت الأسرة السابعة عشرة ، وقد حكم فيها ثلاثة وأربعون ملكا من الهكسوس ومثلهم من الطيبيين جنبا لجنب وانتهت بطرد الهكسوس على يد الفرعون « أحمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . ولدينا في الوثائق المصرية ، والنقوش الأثرية ثلاثة ملوك من الهكسوس يحملون اسما واحدا مشتركا وهو « أبوفيس » ولكن ألقابهم مختلفة وهم :

(١) ملك الوجهين القبلي والبحري « ابن الشمس عاو سررع » = أبوفيس

(٢) الإله الطيب رب الأرضين «ابن الشمس نب خبش رع» = أبوفيس

(٣) الإله الطيب « عاقنن رع ابن الشمس » = أبوفيس

وكذلك لدينا مجموعة من ملوك الهكسوس يحمل كل منهم لقب «حقاخاسوت» (أى الهكسوس) وهؤلاء هم :

(١) حاكم البلاد الأجنبية «سمقن» (راجع G. Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser (London, 1900), P. 24, No. 80).

(٢) حاكم البلاد الأجنبية «عانت هر» (من تل بسطه) (راجع ibid, P. 24 No. 180)

وهذان الملكان لم يعرف لها آثار غير الجعارين التى وجدت باسميهما ،

(٣) حاكم البلاد الأجنبية «خيان» .

وكذلك عثر على مجموعة أخرى من الملوك يحمل كل منهم لقب «الإله الطيب» ، ولم نعرف لهم آثارا عدا الجعارين وهم :

(١) الإله الطيب «عاختب رع» (راجع H. R. Hall, "Catalogue of the Egyptian Scarabs in the British Museum" Vol. I. No. 283).

(٢) الإله الطيب «مروسر رع» Newberry, "Scarabs", Pl. XXII. No. 27 - 30

(٣) الإله الطيب «وازد» (راجع ibid Pl. XXII. No. 7 9.) .

(٤) الإله الطيب «خع وسر رع» (راجع ibid Pl. XXI No. 25 - 29.) .

(٥) الإله الطيب «سخع ن رع» (راجع ibid Pl. XXI. No. 19 - 22.) .

(٦) الإله الطيب «ماع اب رع» (راجع ibid Pl. XXI, No. 1 8.) .

(٧) الإله الطيب «نب تاوى رع» (راجع Hall, "Scarabs", No. 286.) .

(٨) الإله الطيب «خع مو رع» (راجع Newberry, "Scarabs", Pl.XXI. No. 30.) .

وتوجد كذلك مجموعة رابعة من الملوك يحمل كل منهم لقب « ابن الشمس » وقد عرفت أسماؤهم كلها على وجه التقريب من الجعارين فقط وهم :

(١) ابن الشمس « ششى » (راجع .Hall, "Scarabs" No. 269) .

(٢) ابن الشمس « سكت » (راجع .ibid No. 282) .

(٣) ابن الشمس «يعقوب هر» (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. 23 No. 13 & Petrie, "History", I, P. 250 No. 146; Newberry, Pl. 23 No. 1 - 2; Hall "Scarabs", No. 284, 285; Fraser, "Coll.", No. 181.

(٤) ابن الشمس « إع » (راجع Fraser, "Coll." No. 182) .

(٥) ابن الشمس « عامـــو » (راجع .Newberry, "Scarabs" Pl. XXII No. 14 - 18

(٦) ابن الشمس « قار » (راجـــع .Newberry, "Scarabs", Pl. XXI No. 23 - 24

ولدينا من آثار عصر متأخر أسماء ثلاثة ملوك من الهكسوس . إذ فى عام ١٩٣٢ ضم إلى مجموعة متحف « برلين » قطعة كبيرة من جدار برقم ٢٣٦٧٣ ، وهى من مقبرة كاهن من « منف » يرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠ ق م ، وقد دوّن عليها هذا الكاهن شجرة سلسلة نسبه ، وكذلك دون عليها أسماء الملوك الذين عاش أجداده فى عهد حكمهم ، ومن بين هؤلاء ثلاثة من ملوك الهكسوس[١] . وهؤلاء الملوك الثلاثة هم :

(١) عاقن[٢] (٢) و « شارك » (٣) و « ابب » .

(١) وأحسن مصدر لأسماء هؤلاء الملوك هو مقال الدكتور « باهو » وقد اعتمدنا عليـه راجع : Borchardt, "Ein Stamm baum Memphitischer Priester", Berlin 1932, Sitzungs berichte der Preussischer Akademie de Wissenschaften Phil-Hist. Klasse, (1932), XXIV S. 5 der Sonderausgable.

(٢) ومعنى « عاقن » الحمار الشجاع مما يدل على أن الحمار كان مقدسا عند الهكسوس ولا غرابة فى ذلك فإنه يشبه معبودهم الإله « ست » .

وقد وضعهم «بورخارت» بين عهد ملك يدعى «ابى» فى عصر الاضطرابات فى المدة التى تقع بين سقوط الأسرة الثانية عشرة ، وعهد الملك « نب بحتى رع » (أحمس الأول) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وقال عنهم إنهم من ملوك الهكسوس ، وآخر واحد منهم وهو « ابب » (أبو فيس) قد ذكره « مانيتون » بالاسم ، على أن ذكر ملوك الهكسوس فى هذه القائمة مما يلفت النظر بوجه خاص ، وذلك لأنهم لم يذكروا فى قوائم الملوك الرسمية مما يدل على أنهم قد أغفل تدوينهم قصدا ، ومن بين الملوك الستة الذين نقلهم لنا « مانيتون » يمكن أن نعرف أسماء أربعة منهم على الآثار . وهم : (١) « بون Beon » أو « بنون » كما جاء فى « أفريكانوس » ونجد هذا الاسم فى «ورقة تورين» مكتوبا بلفظ «بينم» . (٢) وأباخنام Apakhnam (وقد كتب بلفظة « باختم » فى أفريكانوس) ، وينبغى أن يكون هو الملك « عاقنن رع أبو فيس » الذى نجده مدونا على الآثار ، وأخيرا « يوناس » و « أبو فيس » وهما اللذان وحدا بسهولة مع « خيان » و « ابب » . ومن المحتمل أن الملك « آست Aseth » هو ملك الهكسوس المسمى « عاسهر رع » .

ومما يوسف له جدّ الأسف أننا لم نجد على الآثار أى دليل يرشدنا إلى ترتيب هؤلاء الملوك كما ذكرنا من قبل ، وقد حاول « بترى » أن يرتب هؤلاء الملوك ترتيبا تاريخيا بوساطة اختلاف صناعة الجعارين المنقوش عليها أسماء هؤلاء الملوك ، غير أن ذلك لم يجد نفعا [١] ، ومن المعلوم أن جعارين عهد الهكسوس تختلف عن جعارين كل العهود المصرية كما أشار إلى ذلك الأستاذ « نيوبرى » [٢] .

---

(١) راجع Petrie, "Historical Studies" (London 1911). P. 13 ff.

(٢) راجع Hall, "Scarabs", P. 33; Pieper, "Skarabaen", in Pauly Knoll, Real Encyclopädie der Klassischen Altertum Wissenschaft, 5 Halbband, P. 44.

على أنه لم يبق لنـا من آثار الهكسوس إلا النزر اليسير وما تبق منها يتضاءل عند ما نعلم أن عددا عظيما من الآثار التى تركوها قد انتحلوها لأنفسهم باغتصابها من الآثار القديمة التى تركها أسلافهم من ملوك مصر ، ولا أدل على ذلك من تمـاثيل « بوالهول » التى وجدناها منسوبة إليهم وهى فى الأصل للملك «أمنمحات الثالث» .
والآن نلقى نظرة خاطفة على الآثار القليلة التى تركها لنـا ملوك الهكسوس خلافا للجعـارين .

آثار الملك عاوسررع | أبو فيس |

وجد لهـذا الفرعون بعض الآثار غير الجعارين منها لوحة كاتب مصنوعة من الخشب وجدت فى الفيـوم وهى محفوظة الآن بمتحف « برلين » برقم ٧٧٩٨ [١] ، وهذه اللوحة كانت هدية من هذا الفرعون لموظف يدعى « إثو » وقد جاء عليها أنهـا من ملك الوجهين القبلى والبحرى « عاوسر رع » بن الشمس « أبو فيس » معطى الحياة مخلدا مثل « رع » كل يوم ، وابن الملك من جسمه ، والابن المحبوب من « رع » ؛ و « إثو » هذا كان كاتبا ملكيا ، ويلاحظ أن الكتابة التى على هذه اللوحة مهشمة بعض الشيء ويمكن أن نقرأ عليها مديحا للفرعون بوصفه ملك مصر كما يأتى : « صورة رع » الحية على الأرض ، والشجاع فى يوم القتال ، ومن اسمه أعظم من أى ملك آخر ، ومن شهرته قد وصلت حتى الأراضى الأجنبية » .

وكذلك عثر فى « الجبلين » على قطعة أخرى من الحجر محفوظة بمتحف القاهرة (راجع .Daressy, "Rec. Trav." XIV, P. 26 (No. XXX)) كتب عليهـا : يعيش الملك الطيب « عاوسر رع » . وقد جاء ذكر هذا الفرعون فى « ورقة رند » الرياضية المحفوظة الآن بالمتحف البريطانى ، وقد ذكر فيها عام ٣٣ من حكم هذا

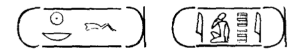
(١) Schafer, "Agyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin", Vol. I, P. 264.

الملك وهو التاريخ الوحيد الذى حفظ لنا عن حكم ملك من ملوك الهكسوس[١] .
وقد دوّن هذا التاريخ كما يأتى :

« السنة الثالثة والثلاثون ، الشهر الرابع من فصل الزرع ... ... ملك الوجهين القبلى والبحرى « عاوسر رع » معطى الحياة » .

وفى مقبرة الملك « أمنحتب » الأوّل وجدت قطعة من آنية من الجرانيت باسم الملك « أبو فيس » وأخته « هرتى » كتب عليها : ابن الشمس أبو فيس الملك الطيب « عاوسر رع » والابنة الملكية « هرتى »[٢] أما عن الجعارين التى عثر عليها حتى الآن لهذا الفرعون فقد كتب عنها الأستاذ « ڤيل »[٣] .

اثار الملك نب خبش رع (أبوفيس)



من أهم الآثار التى وجدت لهذا الفرعون خنجر من الشبه فى «سقارة» فى تابوت شخص يدعى «عابد» (Daressy, "Un Poignard du Temps du Rois Pasteurs," A. S. VII, PP. 115 - 120, Pl. VII) ، وقبضته تشمل قطعة من الشبه مستديرة السطح ، وعلى وجهها منظر صيد يشاهد فيه صياد يرمى أسدا كما يشاهد غزال يقفز فوق الأسد (؟) . (انظر الصورة ص ٨٨) .

(١) راجع E. Peet, "The Rhind Mathematical Pap." (Liverpool 1923).

(٢) راجع Gardiner, "The Egyptian Origin of the Semetic Alphabet", J. E. A. 1916, Pl. I.

(٣) راجع Weil, "La Fin du Moyen Empire, PP. 794 - 5.



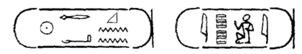
(٥) مقبض خنجر (من عهد الهكسوس)

وتحت منظر الصيد هـذا نقش لقب صاحب هـذا الخنجر الفاخر واسمه : (تابع سيده « نحمن ») وهـذا الاسم لم يرد إلا فى هذا النص . وعلى الجانب الآخر نجد النقوش التالية : "الإله الطيب رب الأرضين ثم الاسم « نب خبش رع بن الشمس» «أبو فيس» معطى الحياة". وهذا الخنجر كما يقول الأستاذ «باهور لبيب»

أقدم خنجر زين بالنقوش التاريخيــة المصرية ، ولصناعته أهميــة عظيمة جدا ، إذ يذكرنا بخنجر الملك « أحمس » وكذلك يعتقد أن هذين الخنجرين بينهما ارتباط من جهة الصناعة و إن اختلفا بعض الشيء من حيث الزينــة التي على كل منهما ، فخنجر « أبو فيس » قد رسم على مقبضه منظر صيد ، أما خنجر « أحمس الأول » فقــد جاء الرسم على نصله ، وليس ثمــة شك في أن الرسم الذى على نصله قــد تأثر من حيث الفن والشكل بالفن الذى على قبضــة خنجر الهكسوس . و يمكننا أن نحكم الآن بأن هذا الخنجر إنمــا هو تقليد من كل الوجوه للخنجر الذى كان يصنع في « كريت » و « مسينا » (راجع Fimmen, "Kret. Myken. Kultur", 1921, P. 204.) .

وفي « المتحف البريطاني » « ملعقة » من الطران نقش عليها العبارة التالية : الإله الطيب رب الأرضين « نبخبش رع » بن الشمس ومحبوبه « أبو فيس » . (راجع British Mus. No. 44988 & Weill, "La Fin du Moyen Emp". P. 176, No. 3.) .

الملك عاقنن رع (أبو فيس)



(١) يوجد الآن في « متحف برلين » قطعة كبيرة من إناء باسم هذا الفرعون[١] ، عثر عليها في « ميت رهينه » وقد نقش عليها ما يأتي : الإله الطيب « عاقنن رع » ابن الشمس « أبو فيس » معطى الحياة والسعادة .

(٢) وفي « متحف القاهرة » توجد له مائدة قربان من حجــر الجرانيت الأسود ، ولا بدّ أنه قد عثر عليها في ضواحي القاهرة . وقد نقش عليها النص التالي :

---

(١) راجع : Berliner Mus. 20366.

« حور مهـدئ الأرضين الإله الطيب « عاقنن رع » قد أقام هـذا الأثر بمثابة ذكرى لوالده « ستخ » رب « أواريس » الذى جعل كل الأراضى تحت قدميه » .

أما الكتابة التى على الجهة اليمنى فتحدثنا فضلا عن ذلك عن إهداء عمد الأعلام[١] .

(٣) وفى « تانيس » عثر على تمثـال للملك « مرمشع » أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وقد كتب عليه فيما بعد النقش التالى « الإله الطيب » «عاقنن رع » ابن الشمس « أبو فيس » معطى الحياة[٢] » ، ممـا يدل على أن الأخير قد اغتصب هذا التمثال .

ولدينا بعض آثار تنسب للملوك الثلاثة الذين قد تسموا باسم « أبو فيس » ، غير أنه لا يمكننا أن نميز أى « أبو فيس » كان المقصود ، لأن اللقب الذى يدل على شخصيته لم يذكر .

فلدينا أولا قطعة من قاعدة آنية موجودة الآن « بمتحف برلين[٣] » وقد كتب على الجزء الأمامى منها « أنها مهداة للإله « منتو » سيد « طيبة » من «سنوسرت» الأول محبوبه » . أما على الخلف فقد نقش ما يأتى : ... ... « أبو فيس » معطى الحيـاة » وقد ذكر كذلك اسم الأخت الملكية « ثانى (Thany) وحامل الخاتم ... ... وهذا دليل على أنه اغتصب من « سنوسرت » الأول .

(٤) وكشف فى « تل بسطه » عن قطعة من الحجـر خاصة بنقوش مبان لملك يحمـل اسم « أبو فيس » وهى الآن « بالمتحف المصرى[٤] » وقد نقش عليهـا

(١) راجع : Ahmad Kamal, "Cat. des Antiquities Egypt. du muséé du Caire "Tables d'Offrandes", Le Caire 1909 Vol. I. P. 61.

(٢) راجع : Petrie, "Tanis" Pl. III. 17c.

(٣) راجع : Berlin No. 22487 ; Labib, "Die Herrschaft der Hyksos in Agypten und ihr Sturz", P. 30, Pl. 6.

(٤) راجع : Naville, "Bubastis", Pl. 35c.

« أن ابن الشمس » « أبو فيس » معطى الحياة قد (صنع) عددا عظيما من عمد الأعلام ومصاريع لأبواب من النحاس لهذا الإله » .

(٥) صاجات وجدت فى « دنـــدره » باسم ملك يدعى « أبو فيس » (راجع A.Z. XXXIX, P. 86) .

(٦) وفى « كاهون » وجد خاتم من خشب للملك يدعى « أبو فيس »(١) .

الملك سوسرن رع خيان



كان الملك « خيان » الذى جاء ذكره فى قائمـة « مانيتون » وعلى الآثار من أعظم ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر ، وقد ذكر اسمه فى قائمة « مانيتون » على ما يظهـر باسم « ينـاس » Jannas وآثاره منتشرة فى جهـات مختلفة ، وقد عثر له على جعارين عدّة وأختام باسمه ، ومنها نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية : (١) حاكم البلاد الأجنبية « خيان »(٢) . (٢) الإله الطيب « خيان » أو الإله الطيب « سوسرن رع »(٣) . (٣) حاكم الجندين «خيان»(٤) . (٤) ابن الشمس « سوسرن رع »(٥) أو آبن الشمس « خيان » ، وكذلك أصبح يحمل اللقب الحورى « حور » ضام الأرضين ، الإله الطيب أو ابن الشمس « خيان » محبوب قرينه

(١) راجع : Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" Pl. XII, P. 16.

(٢) راجع : Fraser, "Coll". No. 178; Newberry, "Scarabs" Pl. XXII, 20-22 & Pl. VII. 7; Petrie, "History". I. P. 252.

(٣) راجع : Fraser, "Coll". No. 176; Newberry, "Scarabs" XXII, 23.

(٤) راجع : Seal Cylinders, Petrie, "History". I. P. 252.

(٥) راجع : Fraser, "Coll". No. 176; Newberry, "Scarabs" XXII, 22.

(كا) . وقد كان المنتظر أن يقول محبوب إلهه بدلا من لفظة « قرين (كا) » . وهذا اللقب وجد منقوشا على تمثال قديم من الدولة الوسطى محفوظ الآن بالمتحف المصرى . وفى « متحف ليدن » يوجد له خاتم من الذهب لا يعرف فى أى مكان عثر عليه .

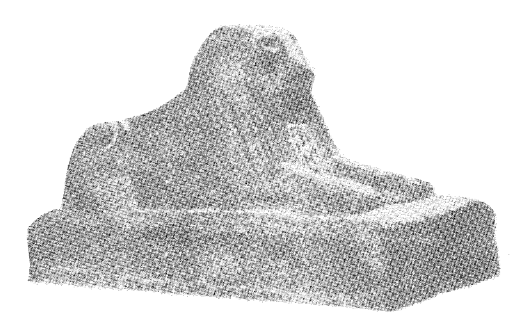
على أن أهم ظاهرة فى حكم الملك « خيان » هى وجود آثار له خارج القطر المصرى فى جهات نائية بعيدة جدا لدرجة أن بعض المؤرخين ظنّ أن مملكته قد مدّت أطرافها إلى تلك البقاع . فقد وجد له آثار فى « سوريا » و « فلسطين » من جهة، وفى « بغداد » و « كريت » من جهة أخرى . أما عن وجود جعارين باسم هذا الملك فى « سوريا » و « فلسطين » فلا غرابة فيه ؛ لأننا سنرى أن هذين القطرين كانا ضمن البلاد التى يسيطر عليها الهكسوس أيام عظمة مجدهم[٢] .

وأما عن وجود آثاره فى « بغداد » و « كريت » فيرجع إلى سبب آخر . والواقع أنه قد عثر على تمثال أسد صغير ارتفاعه نحو ٢٥,٤ سنتيمترا وطوله نحو ٤٨,٢ سنتيمترا نقش عليه اسم « خيان » : الإله الطيب « سوسرن » رع . وهذه العبارة قد نقشت على صدر هذا الأسد[٣]

(١) راجع : Naville, "Bubastis", Pl. XII; Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten", P. 62.

(٢) راجع : Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, 1904. Pl. VI. P. 224. No. 16. Gezer–S. Macalister, "The Excavation of Gezer" (London 1912) I. P. 253; III P. 204. Fig. 20.

(٣) راجع : Catalogue of British Museum No. 987; Budge, "Guide", P. 97, No. 340.



(٦) أسد عثر عليه فى بغداد من عهد الهكسوس

وهذا التمثال قد اشترى فى « بغـداد » من تجار الآثار ؛ أما فى « كريت » فقد كشف الأثرى « إيفان » فى أثنـاء أعمال الحفر التى قام بها فى هذه الجزيرة فى أساس قصر « كنوسوس » الثانى ، عن غطاء آنية من المرمر باسم «خيان» ؛ وقد نقش عليه النص التالى : « الإله الطيب سوسرن رع بن الشمس «خيان» ؛ وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف « كندية » عاصمة جزيرة « كريت» [١]. والسؤال الهام هنا هو: كيف تسربت هاتان القطعتان الأثريتان إلى «بغداد» و« كريت »؟ أما من جهة الأسـد الذى وجد فى « بغداد » فإن الجواب على وجوده فى هـذه البقعة بسيط ؛ إذ من الجائز أنه قد وصل إلى «بغداد» عن طريق التجارة وحسب ، وبذلك لا يدل قط على اتساع رقعـة ملك الهكسوس حتى بلاد النهرين كما يدعى

(١) راجع A. Evans; "The Palace of Minos at Knossos", (1921) I, P. 419. Fig. 304. b.

ذلك الأستاذ (ادوردمير .Gesch I. §§ 306.& 307) ، إذ بهذا الادّعاء يكون الهكسوس قد مدّوا سلطانهم حتى « بابل » و « كريت » . والواقع أن وجود مثل هذه القطع المفردة فى مثل هذه الجهات النائية لا يمكن أن يكون إلا عن طريق التجارة أو الهدايا وبخاصة فى « كريت » التى كانت مصر على اتصال تجارى بها وبغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط . وإذا كان سلطان الهكسوس قد امتدّ فعلا إلى «بابل» و « كريت » لكان من المعقول . بل ومن الضرورى أن نجد فيهما قطعا كثيرة من الآثار تثبت هذه السيطرة وتؤكدها ، ولكان من المنتظر كذلك أن يجد الإنسان تأثيرا فنيا بابليا أو كريتيا فى هذه القطع ، ولكن الواقع أنها مصرية بحتة فى صورها وصناعتها .

وهذا هو كل مانعلمه عن ملوك الهكسوس فى عهد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة . أما عن ملوك مصر فإنا لا نعلم عنهم شيئا فى ذلك العهد ، الى أن ظهر على الآثار ملوك مصريون ، وهم الذين عدّهم « مانيتون » فراعنة الأسرة السابعة عشرة وقد اتخذوا مدينة « طيبة » عاصمة لملكهم وهى التى كان يحكم فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة . وعلى يد ملوك هذه الأسرة بدأ النضال لطرد الغزاة من البلاد . وقبل أن نشرح الحروب التى انتهت بهزيمة الهكسوس وإقصائهم عن البلاد جملة سنتكلم ببعض الاختصار عن فراعنة هذه الفترة وما جرى فى عهدهم من أحداث ، وبخاصة لأن هذه الفترة من تاريخ البلاد غامضة . والواقع أن تاريخ أواخر الأسرة السابعة عشرة قد بقى مبهما حتى جمع الأستاذ « ونلك » شتات المعلومات الخاصة بتاريخ ملوكها [1] مما سهل علينا تفهم سير الحوادث التى أدّت إلى نزع النير عن عاتق البلاد على يد أبنائها من الفراعنة الأمجاد . (انظر مصوّر طيبة الغربية) .

---

(١) راجع : .J. E. A., X. (1924) P. 217-277

فراعنة الأسرة السابعة عشرة
سخم رع واح خع . رع حتب

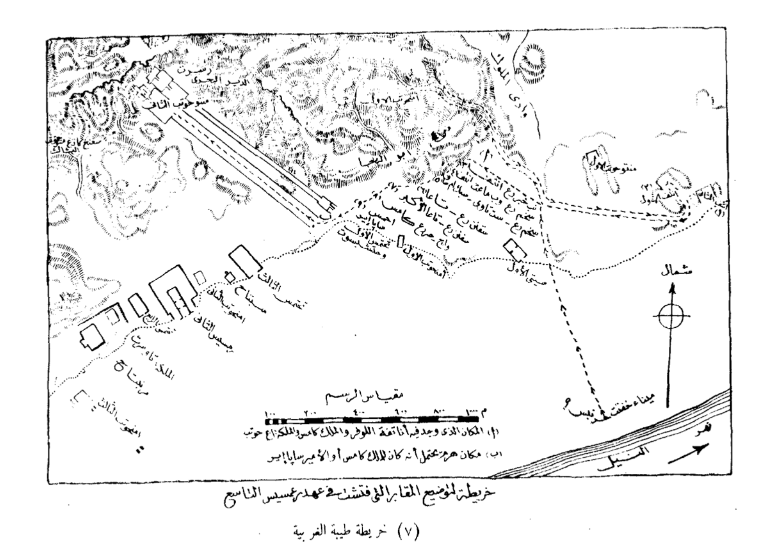


يعتقد الأستاذ « ونلك » أن مقبرة هذا الفرعون موجودة فى جبانة « طيبة » الغربية غير أنه لم يعثر عليها حتى الآن ، وقد عزز رأيه هـذا بالقصة الخرافية التى كانت شائعة فى « طيبة » فى عهـد الأسرة العشرين، وهى القصة التى تحدّثنا عن المخاطرات الخارقة للمألوف التى قام بها الكاهن الأعظم ، للإله « آمون » فى أثناء بحثه عن موقع قبر . وقد وقعت حوادث هذه القصة فى عهد الفرعون «رع حتب» (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ص ١١٨) (J. E. A. Vol. 10. P. 265-7). وقد عثر له على عدّة جعارين[١] .

وكذلك وجدت له لوحة بالمتحف البريطانى عليها طغراؤه[٢]

(١) راجع : Gauthier., "L. R". II. P. 89.

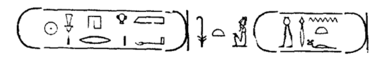
(٢) راجع : B. M. Stelae, IV. Pl. XXIV.



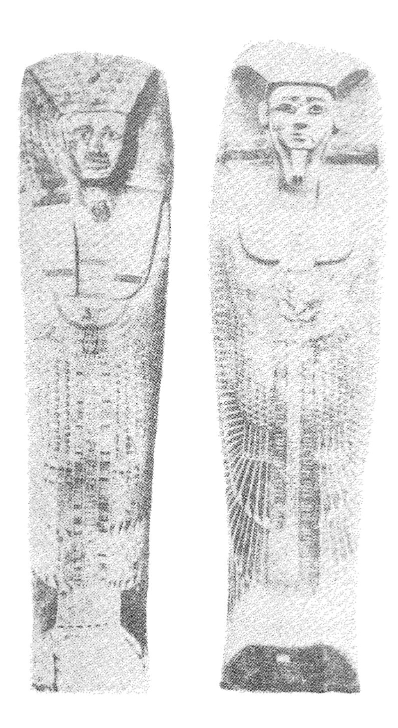
خريطة لتوضيح المقابر التي فتشت في عهد رعمسيس التاسع

(٧) خريطة طيبة الغربية

الملك سخم رع هروحر ماعت - انتف

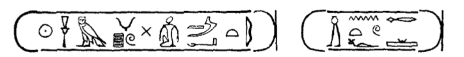


عثر على تابوت هـذا الفرعون فى جبانة « طيبة » ، وقد كان أحد تابوتين اشتراهما « مريت » عام ١٨٥٤ ، غير أنه لم يوفق للمكان الذى دفن فيه ، و يحتمل أنه وجد بالقرب من جبانة « ذراع أبو النجا » فى الضفة الغربية للأقصر . وتدل صناعة التابوت الخشنة على أنه قد اشترى من متعهد يبيع التوابيت بخاصة ، وتدل خشونة صناعتـه ، وعدم وجود آثار أخرى قط لهـذا الفرعون على أنه مات بعد توليته العرش مباشرة أى قبل أن يجهز لنفسه أثاثا جنازيا أو يكون له وارث يقوم له بذلك . وتابوت هذا الفرعون محفوظ الآن بمتحف «اللوفر» وهو من الخشب . (انظر ص ٩٨) .



(٨) الملك سخم رع هروحرماعت — انتف   الملك واز خبررع — كامس

الملك سخم رع وب ماعت - انتف عا



إن أهم المعلومات التى وصلت إلينا عن هذا الفرعون جاءت عن طريق «ورقة أبوت» الخاصة بإجراء فحص مقابر الملوك فى عهد الأسرة التاسعة عشرة أيام حكم الفرعون «رعمسيس التاسع» ، وقد جاء فيها عن هرم هذا الفرعون العبارة التالية : « هرم المـلك سخم رع وب ماعت » له الحيـاة والسعادة والصحة ابن الشمس أنتف «عا» (الأكبر) له الحياة والسعادة والصحة : لقد وجد أن اللصوص كانوا فى طريقهم إلى نقبه، عند المكان الذى كانت مقامة فيه لوحة الهرم . وقد فحص فى هذا اليوم ووجد أنه لم يمس بسوء، إذ لم يكن فى مقدرة اللصوص أن يقتحموه.[١] والنقطة الهامة فى هذا النص هى ذكر موضع اللوحة، وهو المكان الذى كان يرجح أن يكون النفق تحته عادة أو الممر الذى يؤدّى إلى حجرة الدفن . وقد عثر على قمـة هرمه المصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض، والظاهر أنها وجدت بالقرب من مقبرة هذا الملك ، وقد نقش عليها « حور وپ ماعت » ملك الوجهين القبـلى والبحرى «سخم رع وب ماعت » بن الشمس « أنتف الأكبر أنجبه ... ووضعته الأم الملكية والزوجة الملكية العظيمة التى ارتدت التاج الأبيض الجميل ...» . وهذا النقش من الأهمية بمكان من الوجهة التاريخية ، إذ يؤكد لنا أن « أنتف » الأكبر هذا كان وارثا شرعيا للملك لأنه ولد من أبوين ملكيين،ويحتمل جدّا أن تابوته الذى كتب عليه « أنتف » الأكبر هو الموجود الآن « بمتحف اللوفر » . والمعروف ان هذا التابوت قـد وجد مع الملك « سخـم رع هر وحرماعت انتف » السالف الذكر فى خبيئة تقع فى أقصى جبانة « ذراع أبو النجا »[٢] . ويمتاز هذا التابوت من الوجهة

(١) راجع : Abbot pap. Pl. II. line 16; Breasted, A. R. IV § 516.
(٢) راجع : Chabas, "Rev d'Arch." (1859), P. 269.



(٩) الملك سخم رع وب ماعت - أنتف عا   الملك نب خبر رع - أنتف

التاريخية بأنه كان قد صنع بمثابة هدية من أخيه الملك «أنتف» محبوب «أوزير» إلى الأبد . والظاهر أن « أنتف » الذى أهـدى أخاه « أنتف عـا » التابوت وأشرف على معدّات جنازه هـو الفرعون « نب خبر رع » الذى يوجد تابوته الآن بالمتحف البريطانى . وخلاصة القول أن « سخم رع وب ماعت أنتف الأكبر » (الذى يوجد تابوته وأوانى أحشائه فى متحف اللوفر) قد قام بدفنه «نب خبر رع أنتف » الذى يوجد تابوته فى « المتحف البريطانى » وأن « أنتف » الأكبر كان ابن ملك ، ومن سلالة ملك وملكة ، غير أنه مات صغيرا دون أن يترك وارثا على العرش . أما قـبره فليس لدينا إلا إشارة واحدة مبهمة عن مكانه ، وهى أن قـبر الأخوين كانا متقاربين (راجع J. E. A. Vol. X, P. 236 - 7) .

الملك نب خبر رع - أنتف



يظهر من تقرير « ورقة أبوت » أن قبر هـذا الفرعون كان بوجه عام فى واجهة « جبانة ذراع أبو النجا » فى الطرف الشمالى من الجبانة ، هذا إذا سلمنا بأن تقرير المفتشين كان قـد عمل على حسب ترتيب وضع القبور ، وقـد أثبتت الكشوف التى قام بها « مريت » فى هذه الجهة أن هذا القبر كان فعلا فى « ذراع أبو النجا »[(١)] .

أما فى « ورقة أبوت » فقد جاء تقرير المفتشين عن قبره ما يأتى : "هرم الملك « نب خبر رع » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس «أنتف» . لقد وجد أن اللصوص كانوا جادّين فعلا فى نقبه ، فقد حفروا نفقا طوله ذراعان ونصف ذراع فى جداره الخارجى ، وذراع فى الحجرة الخارجية

(١) راجع : Maspero, "Bibliotheque Egyptologique". 18. Pl. CXIII, and Abbot Pap. Pl. II, lines 11, 12 ff.

لقبر رئيس حملة قربان بيت « آمون » « شورى » المتوفى ولم يصب قبر الملك بسوء، وذلك لأن اللصوص لم يتمكنوا من اقتحامه[١] "، والواقع أن كل ما نستفيده من الوصف الذى جاء فى هذا التقرير أن القبر كان له جدار خارجى نقب فيه اللصوص نفقا طوله حوالى متر وثلاثة سنتيمترات دون أن يصلوا إلى حجرة الدفن، وقد وجد أمام هذا القبر عدة قطع من مسلتين كانتا قائمتين أمامه، طول الأولى ثلاثة أمتار ونصف متر، وطول الأخرى ثلاثة أمتار وسبعون سنتيمترا . وقد نقش عليهما فى أربعة أسطر عمودية ألقاب الفرعون «نب خبرو رع» بن الشمس «أنتف» لمحبوب الإله « أوزير » «وسبد» (Sopd) رب الجبال الشرقية ، « أنوبيس » رب الأرض المقدّسة (تاجسرت) . والظاهر أن قبر هذا الملك كان قد وجد سليما عام ١٨٢٧ كما كان فى عهد «رعمسيس التاسع » وقد نهبه رجال قرية « القرنة » المدرّبين على سرقة المقابر . وقد كان هذا القبر يحتوى على حجرة واحدة وجد فى وسطها تابوت محفور فى أصل الصخر، وفى قلبه تابوت من الخشب مذهب ومحلى بأشكال يغلب فيها رسم الريش، وقد كتب عليه «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «أنتف» انظر ص ١٠٠)وتدل الآثار التى تركها هذا الفرعون على أنه كان ذا جدّ ونشاط، وأن الدم المصرى الخالص كان يجرى فى عروقه على الرغم مما أصاب البلاد من التمزق والكوارث التى سببها الفتح الأجنبى . وأكبر برهان على ذلك المرسوم الذى نقشه على مدخل باب جميل بناه «سنوسرت» الأول فى معبد «قفط» (راجع .Petrie, "Koptos", Pl. VIII) ويلوح من مضمون هذا المرسوم أن شريفا يدعى « توتى » بن « منحوتب » قد اشترك فى مؤامرة مع أعداء الملك، وأن هذا المرسوم الذى دوّنه هذا الفرعون هو إعلان بنفى هذا الشريف عقابا له على فعلته . ويحتمل أن الأعداء المشار اليهم فى المرسوم هم « الهكسوس » حكام الدلتا ، وربما كانوا قبائل الصحراء الذين كانوا ينتمون إليهم . وهاك نص المرسوم كما جاء على هذا الأثر : " السنة الثانية الشهر الثالث

(١) راجع : Breasted, A. R, IV. § 515.

اليـوم الخامس والعشرون من حكم المـلك « نب خبر رع » بن الشمس « أنتف » الذى منح الحياة مثل إله الشمس مخلدا . أمر ملكى لحامل الخاتم أمير « قفط » المسمى « منمحات » ولابن الملك وحاكم « قفط » « قانن » ولحامل الخاتم كاهن الإله « مين » ولكاتب المعبد « نفرحتب ور » ولكل جنود « قفط » ولكل موظفى المعبد : « تأملوا إن هذا المرسوم قـد صدر إليكم ليجعلكم على علم بأن جلالتى قد أرسل كاتب الخزانة المقدسة للاله « آمون » وكذلك المسمى « سامون » وكبير رجال المحكمة ليقوموا بتحقيق فى معبد « آمون » وقد جاء من أجل ذلك موظفو معبد والدى « آمون » إلى جلالتى بتقريرهم قائلين : إن مكروها يوشك أن يقع فى هذا المعبد ، وذلك أن « توتى » بن « منحوتّب » لعن اسمه قد تستر على العـدوّ . فليطرد من معبد والدى « مين » وليحرم وظيفته فى المعبد (هو وذرّيته) من ولد لولد ووارث لوارث . وليصبح طريدا من الأرض ، وليحرم نصيبه من الخبز واللحم (الذى كان دخل وظيفته) ، وليجعل اسمه منسيا فى هذا المعبد ، وذلك على حسب ما يستحقه فرد مثله قد ثار وولى وجهه نحو أعداء إلهه . ولتمح ذكريات اسمه فى معبد « مين » وفى «الخزانة» وفى كل وثيقة أيضا .

وأى ملك أو أى حاكم سيصفح عنه دعوت عليه أن يحرم التاج الأبيض ، ولا يلبس التاج الأحمر ، وألا يجلس على عرش « حور » الملك الحى ، وألا يفوز بعطف ربتى العقاب والصل .

وأى حاكم أو موظف ينصح للفرعون بالعفو عنه أمسى أهله ومتاعه وأملاكه ملكا لوقف والدى « مين » رب « قفـط » . وكذلك يجب ألا يعين فى وظيفته أى فرد من أسرته ، أو أقارب والده أو والدته ، بل يعطى حامل الخاتم والمشرف على الأملاك الفرعونية « منمحات » وظيفته على أن يعطى ما يخصها من خبز ولحم ، وأن يثبت ذلك كتابة فى معبد والدى « مين » رب « قفـط » وكذلك يكون ذلك (لنسله) من ولد لولد ووارث لوارث ” .

على أن ما يلفت النظر فى هـذا المرسوم أن هـذا الفرعون على ما يظهر كان يحذر ملوك المستقبل بأنهم لن يصلوا إلى عرش الملك إذا أظهروا الرحمة مع الجانى ، وذلك يوحى بأنه فى هذا الوقت كان فى مقدور الفرد أن يكون فرعونا ، وأن البلاد كانت فى الواقع محكومة بملوك صغار ، كل مستقل فى مملكته . ولا شـك فى أن عدد هؤلاء الملوك كان أقل فى هذا العهد عنه فى العهد الإقطاعى الأوّل . يضاف إلى ذلك أن مرسوم الملك يشعر تماما بأنه كان فى استطاعته أن يتدخل فى أمور رعاياه ، و إن كان يستعمل هذا الحق لكل قـوّة غير أن هذه القـوّة على ما يظهر

كانت منحصرة فى طرد المجرم وحرمانه أملاكه ، وفى ذلك نرى منتهى الرقة والإنسانية التى كان يتحلى بها المصرى إذا وازناها بالوحشية وحب سفك الدماء والغلظة التى كانت شائعة بين الأقوام القديمة الأخرى المعاصرة .

وقد أقام هذا الفرعون مبانى كانت قد تهدّمت فى معبد «قفط» . وقد عثر على عدّة ألواح من الحجر مغطاة بالرسوم والكتابة فى معبد «قفط» خاصة بعهد هذا الفرعون نرى عليها أن هذا الفرعون يقدّم القربان للإله «مين» والإله «حور» وإلهه[1] . وكذلك نلاحظ أنه قد أقام مبانى عظيمة فى « العرابة »[2] . وقد كشف « بترى » غير عمد وأحجار منقوشة من هذا المعبد ، عن لوحتين بين خرائبه ، يشاهد على إحداهما الفرعون وابنه نخت الذى كان يلقب قائد الرماة ، واقفاأمام صورة مهشمة للإله «أوزير» وعلى الثانية يشاهد الملك «انتف» وحامل خاتمه «اعح نفر» أمام الإله .

الملكة سبكساف

أما زوج هذا الفرعون المسماة « سبكمساف » فتدل الكشوف على أن مسقط رأسها « إدفو » ؛ وهى من أصل ملكى إذ كانت تلقب « الزوجة الملكية العظيمة التى ترتدى التاج الأبيض « سبكمساف » ؛ وقد دفنت فى « إدفو » مع أتباعها ، وأصلحت الملكة « أعح حتب » قبرها ، وقد عثر عليه ثانية ، ونهب فى الأزمان الحديثة[3] .

وعثر لهذه الملكة على قلادة فى « إدفو » وقد كتب مع اسمها اسم الفرعون زوجها[4] ، وكذلك وجدت وسادة رئيس خزائنها ، وهى محفوظة الآن بالمتحف

---

(١) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. VII.

(٢) راجع : Petrie, "Abydos", I; Pls. VI, VII; II XXXII.

(٣) راجع . Lacau, "Steles du Nouvel Empire", 34009 & Urk, IV. P. 29

(٤) راجع : P. S. B. A., (1902), P. 285, & Brit. Mus. No. 23068.

البريطانى . ومن الآثار الصغيرة التى وجدت لهذا الفرعون رأس فهد من الخزف الأزرق، وعثر له على تمثال صغير يظهر فيه الفرعون منتصرا على الأسيويين والسود، وربما دل ذلك على أنه كان فى حرب مع الهكسوس فى الدلتا ، كما يشعر بذلك مرسوم « قفط » السابق[٢] . هذا وتوجد عدة جعارين له ، جمع حتى الآن منها نحو ثلاثة عشر ، كلها من طراز واحد[٣] ، هذا فضلا عن خاتم أسطوانى الشكل كتب عليه اسم هذا الفرعون ومعه آخر يدعى « واح نب رع » وربما كان الأخير أحد صغار ملوك هذا العصر (؟)

الملك سخم واز خع - سبك امساف



تدل شواهد الأحوال على أن قبر هذا الفرعون يوجد بالقرب من قبر الملك « نب خبر رع انتف » السالف الذكر (راجع J E A. Vol. 10, P. 269) فى « ذراع أبو النجا » وهذا الملك قد وجد له عدة آثار أهمها :

(١) تمثال واقف من الجرانيت الأحمر فى حجم ثلاثة أرباع القامة الطبيعية وجد فى « العرابة المدفونة » ، وقد نقش عليه اسم هذا الفرعون (راجع Mariette, "Abydos", II, P. 26.) .

(٢) تمثال صغير بدون رأس من البازلت الأسود يحتمل أنه وجد فى « طيبة »[٤] وكذلك عثر له فى « تانيس » على مسلة صغيرة باسمه (راجع A. S. Vol. VI. P. 284.) . ومن الواضح أن هذا الفرعون قد أرسل حملة إلى وادى الحمامات لأن طغراءه

(١) راجع : Petrie, "History", I, P. 273.

(٢) راجع : ibid P. 273,

(٣) راجع : ibid P. 273,

(٤) راجع : Petrie, "History", P. 235 fig. 136.

وجدت منقوشة هناك على الصخور، وقد مثل يتعبد للإله « مين » رب الصحراء. (راجع L. D. II, P1. 151.) وفى « شط الرجال » جنوبى « إدفو » نجد اسمه منقوشا هناك (راجع Petrire, "Season", P. 385.). والظاهر أن قبره قد كشف عنه أهالى « طيبة » فى العهد الحديث ، ويوجد من محتوياته تابوته وصندوق أوانى الأحشاء فى متحف « ليدن »[١] ، وفى « المتحف البريطانى » يوجد له جعران القلب الذى يوضع عادة على المومية[٢] . هذا إلى جعران مغشى بالذهب موجود الآن بمجموعة « لتون بريس »[٣] ، وبعض آثار كشف عنها فى «المدمود»[٤] .

والظاهر أن هذا الفرعون كان يحكم مصر كلها، لأن اسمه « حورنب » (أى حور المتغلب على ست) وكان يحمل لقب « ضام الأرضين » وقد يكون هذا اللقب تقليديا انتحله لنفسه ولا يدل على معناه الفعلى .

سخم رع شد تاوى ـ سبك أم ساف



إن أهم ما عرف به هذا الفرعون ما كتب عنه فى « ورقة آبوت » ثم « ورقة امهارست » إذ قد جاء فيهما قصة سرقة قبره وقبر الملكة زوجه، والتحقيق الذى أجرى فى هذا الصدد ، ففى « ورقة آبوت »[٥] جاء ما يأتى :

---

(١) راجع : Boeser, Leyden, Pls. III, VIII.

(٢) راجع : Hall, "Catalogue of Scarabs", 1211.

(٣) راجع : Petrie; "History", fig 135 & Sale Cat. 980.

(٤) راجع : Bisson de La Roque, "Medamoud", III (1926) P. 40-1 fig. 29 etc. & Weill, R. E. A. II (1929), P. 163 ff. & B. I. F. A. O. Pl. XXXII (1932) P. 20 - 1.

(٥) راجع : Abbot Pap., Breasted, A. R. IV, § 517.

« هرم الملك « سخم رع شد تاوى » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « سبك ام ساف » له الحياة والسعادة والصحة . لقد وجد أن اللصوص قد اقتحموه وذلك بنقب يؤدّى للحجرة السفلية للهرم من الحجرة الخارجية لقبر « نب آمون » مدير مخازن الغلال للملك « منخبر رع » (تحتمس الثالث) . وقد وجدت حجرة دفن الملك خاوية من سيدها وكذلك حجرة الزوجة الملكية العظيمة « بخعس » ، إذ قد وضع اللصوص أيديهم عليهما . وقد قام الوزير والأشراف والمفتشون بفحصها ، لمعرفة الطريقة التى بها استولى اللصوص على الملك وزوجه ؛ وقد كان خبر هذه السرقة موضوع حديث طيبة فى تلك الليلة[1] ، غير أن اللصوص كانوا قد وضعوا فى الأغلال وحقق معهم بعصى مزدوجة ، وفى اليوم التالى سيقوا إلى القبر ليحقق معهم ثانية فى محل وقوع الجريمة ، وقد دوّن الاعتراف الذى انتزع منهم فى أثناء هذا التحقيق الأخير بعنوان « فحص هرم الملك سخم رع شد تاوى » وحفظ فى سجل الجبانة مع فحص الأهرام بين الوثائق الخاصة باللصوص ، وهى التى كانت فى الآنية الأخرى » .

وتوجد قائمة هذا الإناء المفعم بالوثائق فى مجموعة « امبراس » . وكذلك قد حفظ لنا جزء من الوثيقة التى دوّن فيها اعتراف اللصوص فى «ورقة أمهرست»[2] . وقد فقد جزء كبير جدًا من هذه الوثيقة ، وليس لدينا منها إلا صفحة باقية ضاع منها الأسطر الأربعة الأولى ، وكانت تحتوى على وصف اقتحام اللصوص حجرة دفن الملك حيث وجدوه راقدا . والجزء الباقى من الصفحة يقص علينا كيف اقتحموا حجرة الزوجة الملكية (لها الحياة والسعادة والصحة) من مكان جدارها الخارجى ، وقد كانت مسقوفة محاطة بـ... والملاط ومغطاة بكل من الحجر فنفذنا فيها جميعها ، ووجدنا مخدعيهما أيضا ففتحنا تابوتيهما ، وصندوقيهما اللذين كانا فيهما ووجد مومية الملك الفخم ، وقد كان مسلحا بسيف (؟) ، وكان هناك مجاميع عدة من التمائم والحلى من الذهب حول نحره ، وكان تاجه وأ كاليله المصنوعة من الذهب على رأسه ، وكانت مومية الملك الفاخرة كلها مغشاة بالذهب ، وكان تابوته الخشبي مموها بالذهب والفضة من الداخل والخارج ومرصعا بكل نوع من الحجر الثمين الفاخر فانتزعنا الذهب الذى كان يكسو مومية هذا الإله وكذلك تعاويذه ، والحلى التى كانت حول منحره ، والتابوت الذى كان يضطجع فيه ،

---

(١) راجع : Pap. Abbot, Breasted A. R. IV § 528.

(٢) راجع : Newberry, "The Amherst Papyri", P. 25, Pl. V; Breasted, A. R. IV § 538.

كا وجدنا الزوجة الملكية ، وانتزعنا كل ما كان يوجد معها أيضا ، وأشعلنا النار فى تابوتيهما ، وسرقنا الأثاث الذى وجدناه معهما ، ويشتمل على أوان من الذهب والفضة والشبه ، وقسمنا الذهب الذى وجدناه مع هذين الإلهين ، ما كان منه على مومياتهما وعلى تعاويذهما وعلى حليهما وعلى تابوتيهما ثمانية أقسام » .

ومما سبق يمكن الإنسان أن يكوّن فكرة عن القبر وما فيه من أثاث ، ونرى من النص المصرى القديم أن اللصوص قد سيقوا إلى التحقيق عن هرم هذا الإله (الملك) الذى كان فيه حجرتا الدفن . على أن حجرة قد قيل عنها فى مكان آخر إنها « الحجرة السفلية للهرم » ، وهى التى حفر اللصوص نفقا للوصول إليها من مقبرة قريبة كما سلف ذلك . على أننا نجد فى اعترافات اللصوص على ما يظهر أنه كان يوجد حجرتان متصلتان للدفن واحدة للملك والأخرى للملكة ، والأخيرة قد اقتحمها اللصوص من الجدار الخارجى ، وهذا ما نعرفه فقط فى هرم الملك « نب خبر رع » . والظاهر البدهى أن حجرة الدفن هذه لم تكن مشيدة فى البناء العلوى من المقابر ، بل كانت كما هى العادة منحوتة فى الصخر الذى يكون أسفل منها .

وقد وجد كل من الملك والملكة فى تابوت خارجى من الحجر وآخر داخلى من الخشب فى شكل آدمى ، وكان الأخير مغطى بورقة من الذهب على ما يظهر مثل تابوت الملك « نب خبر رع » وقد أحرقه اللصوص ، ووصف بأنه مطعم بالأحجار نصف الكريمة . والواقع أن الوصف بالتمويه بالذهب و بالتطعيم ينطبق تمام الانطباق على توابيت الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك على توابيت بداية الأسرة الثامنة عشرة التى وصفناها فى العصر الذى يقع بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة فهل ذلك يعزى إلى أن الملك « سبك ام ساف » وزوجه « نخعس » كانا أعظم فخامة وأبهة أكثر من غيرهما من ملوك تلك الفترة ؟ أم أن ذلك قد جاء عن طريق المبالغة من الكاتب الذى دوّن ذلك ليعطينا فكرة عما يجب أن يكون عليه تابوت الفرعون من الأبهة والعظمة ؟

وقد كانت موميتاهما مزينتين بتعاويذ وعقود من الذهب ، وكان على رأس الفرعون أكاليل كالتى وجدها اللصوص الحاليون على رأس الملك «انتف» ، وقد كان بجانبه فى تابوته الخشبي سيفه ، وسنرى فيما يأتى مثل ذلك الأثاث مع الملك « كامس » والملكة « اعح حتب » ، وأخيرا كان معهما أوانٍ من ذهب وفضة وشبه ، وقد دل اعتراف اللصوص على أن كل هذا الأثاث قد أتلف عن آخره ، وليس هناك أى أمل فى أنه قد ترك شيء حتى الآن ليجد سبيله إلى المتاحف الأوربية[١] . وقبر هذا الملك على ما يظهر موجود فى « جبانة ذراع أبو النجا[٢] » . (انظر ص ٩٦) .

وقد جاء ذكر الملكة « بخعس » زوج هذا الفرعون على لوحة محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » حيث وصفت بأنها بنت رئيس القضاة « سبك ددو » وتسمى الوارثة العظيمة والزوجة الملكية العظيمة وسيدة كل النساء ، وقد نقش على هـذه اللوحة سلسلة نسب هذه الملكة[٣] .

الملك سخم رع سمنتاوى ـ تحوتى




يظن الأستاذ « ونلك » بعد درس طويل أن قبر هـذا الفرعون يوجد بجوار قبر زوجته الملكية « منتوحتب » الذى يقع فى الجنوب أو فى الجـزء الأوسط من « جبانة ذراع أبو النجا » فى الشمال مباشرة من مقبرتى الملكين اللذين يحملان اسم

---

(١) راجع : J. E. A. Vol. X, p. 237-40.

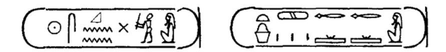
(٢) راجع : J. E. A. Vol. X, Pl. XIII.

(٣) راجع : Pierret, "Recueil d'Inscriptions, II. P. 5.

« تاعا » و « تاعا الأكبر » . وقد عثر على اسم هذا الفرعون ولقبه على قطعة حجر ضمن مبنى من الحجر الرملى المحبب فى « نقادة » (١) .

وكذلك عثر على صندوق أوان للأحشاء فى « جبانة طيبة » ، وجده «بسالكوا » (Passalacqua) بالقرب من موميته وكتب عليه اسم «الملك تحوتى» ، ولحظ أنه أضيف على غطاء هذا الصندوق سطر كتب بخط مختلف ومداد مختلف ، غير الذى كتبت به النقوش الأخرى التى على الصندوق ، وهذه الكتابة تخبرنا بأن الصندوق قد قدّم هدية من الملك للزوجة الملكية العظيمة التى ارتدت التاج الأبيض الجميل « منتوحتب » صادقة القول ، ومعنى ذلك أنها كانت قد توفيت قبل الفرعون . وقد جاء اسم هذا الفرعون فى قائمة « الكرنك » (راجع .Sethe Urk. IV. P. 608) هذا وقد ذكر اسمه مرات عدّة فى كتاب الموتى بالصورة التى كتب بها على صندوق الأحشاء السابق الذكر وهو المحفوظ الآن « بمتحف برلين » (راجع ,Erman ("Historische Nachlese", A. Z. XXX. P. 46) .

الملك سانخت ان رع ـ تاعا الأول
وزوجه تيتى شرى



بعد أن فحصت لجنة التحقيق التى قامت فى عهد « رعمسيس » التاسع قبر الفرعون « سخم رع شد تاوى سبك ام ساف » اتجهت نحو الجنوب إلى « هرم الملك « سقنن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » ، وقد فحصه اليوم المفتشون ، ووجد أنه لم يمسسه سوء . وكذلك هرم الملك « سقنن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » الأكبر له (الحياة والسعادة والصحة) ، وبذلك يكونان ملكين اسم كل منهما « تاعا » قد فحصا فى هذا اليوم وقد وجد كل منهما سليما » .

(١) راجع : .Petrie, "Naqada & Ballas", Pl. XLIIIa

ومما سبق نجد أن النص المصرى صريح فى أنه كان يوجد ملكان كل منهما يحمل لقب « سقنن رع » وأحدهما يسمى « تاعا » الأكبر . وقد حرص كاتب الوثيقة بعد ذكر اسمى هذين الفرعونين على أن يقول « فيكون المجموع ملكين باسم « تاعا » . وقد اختلف العلماء فى تفسير ذلك ، وبخاصة عند ما علم أنه قد وجد على الآثار ملك يدعى « سقنن رع » يذكر باسم « تاعا » أحيانا وأحيانا يذكر باسم « تاعا » الأكبر ، وأخيرا يذكر أحيانا بلقب « قن » أى « الشجاع » فهل يوجد ثلاثة ملوك موحدة أسماؤهم ، أم أنه يوجد فقط ملكان كما جاء فى «ورقة أبوت» ؟ وقد اختلف العلماء عند الفصل فى هذه المعضلة إلى أن بحث الموضوع الأستاذ « ونلك » من كل وجوهه ، واهتدى إلى القول بأنه يوجد فقط ملكان أحدهما باسم « سنخت إن رع تاعا عا » والآخر يدعى « سقنن رع تاعا » وفسر ما جاء فى توحيد اللقبين فى « ورقة أبوت » بأن كلمتى « نخت » و « قن » يكتبان بمخصص واحد فى اللغة المصرية القديمة، ومن ثم يحتمل أن الكاتب القديم قد خلط فى كتابة اللقبين؛ وعلى أية حال فإن الموضوع لا يزال معلقا[1] .

وعلى حسب نظرية « ونلك » يكون « سنخت إن رع » هو « تاعا » الأول، وقد لقب بالأكبر، وهو والد « سقنن رع تاعا » الثانى جدّ « أحمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . وعلى ذلك يكون « سنخت إن رع تاعا » الأكبر زوج الملكة « تيتى شرى » التى كانت جدّة « أحمس » .

الملكة « تتى شرى » : وتحدثنا الآثار عن ملكة تدعى « تيتى شرى » جاء ذكرها خمس مرات فى وثائق باكورة الأسرة الثامنة عشرة . (١) فنشاهدها أولا تشترك مع « أحمس » الأول فى إهداء معبد (Breasted, A. R. II. § 33-7.) . (٢) ونجد أنها قد أعطيت ضيعة فى قائمة ضيعات بالوجه البحرى[2]، وذلك بعد

(١) راجع : Winlock, J. E. A. Vol. X, PP. 243. ff.
(٢) راجع : Erman. "Miscellen". A. Z, Vol. XXXVIII (1900) P. 150.

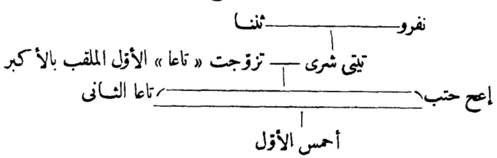


(١٠) الملكة "تيتي شري"

انتهاء حرب الهكسوس . هـذا وقد وجد اسمها مكتوبا على لفائف موميتها . كما وجد في قبرها تمثالان ، وكذلك وجدت لها لوحة تذكارية منصوبة فى « العـرابة المدفونة » وستتكلم عن ذلك فيما بعد .

والواقع ان « تيتى شرى » كانت أول سلسلة نسـل الملكات ، والوارثات والأرامل الملكية اللائى كنّ أصحاب السيطرة فى عهـد الأسرة الثامنة عشرة حتى نهايتها . وتنتسب « تيتى شرى » إلى أسرة من عامة الشعب ، فقد كانت تلقب « بالأم الملكية » « تيتى شرى » التى وضعتهـا ربة البيت وأنجبهـا الشريف « ثننا » (Thenna) (١) .

ويحتمل أن هـذا هو السبب الذى من أجله لم نجد اسمها فى قائمة « أرباب الغرب » الذين كانوا يعبدون فى الأجيال المتأخرة بوصفهم أجداد النسل الملكى . وعلى أية حال فإنهـا كانت ملكة مشتركة فى الحكم فى عهـدها ، وسلسلة النسب التالية تفسر الرأى الذى قلناه ، وهو أنها كانت زوج الملك « تاعا » الأكبر الأول



ومن ذلك نعـلم أن « تيتى شرى » تزوّجت من « تاعا » الملقب بالأكبر ، ورزقا ابنة تسمى « اعح حتب » وابنا اسمه « تاعا » وهو الذى أصبح ملكا بعد والده ، وقد تزوّج من أختـه « أعح حتب » وقـد رزقا بدورهمـا « أحمس » الأوّل مؤسس الأسرة الثامنة عشرة وقد عاشت « تيتى شرى » حتى ماتت فى عهد « أحمس » الأوّل ، ويحتمل أنه دفنها بالقرب من قبره .

---

(١) راجع : Daressy. A. S. (1908) P. 137.

ويمكننا أن نقرر بصفة مؤكدة أنها دفنت فى « طيبة » ولا أدل على ذلك من الحديث الذى دار بين الملك « أحمس الأوّل » وزوجه الملكة « نفرتيرى » عندما كانا يتناقشان فيما كان لأجدادهما الذين رحلوا من فضـل عليهم، وقد وجد ذلك مدوّنا على اللوحة التذكارية التى نصباها فى «العرابة» ، وقد وجهت الملكة سؤالا للملك جعلته يبيح بمـا يكنه صـدره ، إذ أجابها قائلا : « حقا لقـد مر بخاطرى أم والدتى ، والدة أبى الزوجة الملكية العظيمة ، والأم الملكيـة « تيتى شرى » المرحومة . حقا إن حجرة دفنها وقبرها الوهمى موجودان الآن فى مقاطعتى «طيبة» و « طينـة » على التوالى وقـد قلت لك ذلك لأن جلالتى يرغب فى أن يقيم لهـا هرما ومعبدا فى الأرض المقدّسة « العرابة المدفونة » بالقرب من آثار جلالتى » . والواقع أنه قد عثر على معبد هرم العرابة . ولا نزاع فى أن هذه اللوحة كانت قد أقيمت فيه[١] .

أما القبر الذى دفنت فيـه فى طيبة فلم يكشف عنه حتى الآن غير أنه عثر على بعض محتوياته فقد وجد له تمثالان[٢] .

وهذان التمثالان موحدان من كل الوجوه من حيث الحجم والكتابة والجلسة ، وعلى جانب عرش كل منهما نقش دعاء لطلب القربان باسم « أوزير» رب « العرابة » ، و « آمون » رب « الكرنك » لروح الأم الملكية « تيتى شرى » كما ذكر أن خادمها الصالح المشرف « سنسنب » (Senseneb) هو الذى يخلد اسمها.

---

(١) راجع : Ayrton, Currelly, Weigall, "Abydos", III, P. 35.

(٢) راجع : Statue in B. M. 22558; Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII. B. C. 30", Fig. 64, also Cairo fragment, Gauthier in Bull. Inst. de France. (1926) P. 128.

وكذلك عثر على لفائف نسيج من كفنها بين قطع الأكفان المبعثرة التي وجدت فى الخبيئة الملكية التي كشف عنها فى إحدى مقابر الدير البحرى ، ولا بدّ أن جسمها كان موجودا بين الجثث التي كانت فى هذه الخبيئة ، ويحتمل أن الباحثين قد تعرفوا على موميتها بمقارنة ملامحها بملامح أسرة الفرعون « أحمس » .

الملك سقنن رع « تاعا » الثانى



كان الفرعون « سقنن رع تاعا » الثانى من أعظم ملوك مصر وأمجدهم فى تاريخ البلاد ، إذ تدل كل الأحوال على أنه فى عهده قد بدأ النضال الفعلى لطرد الهكسوس من مصر ، وتخليص البلاد من النير الأجنبي الذى ظل يثقل عاتقها حقبة طويلة من الزمن .

وقبل أن نفصل القول فى ذلك سنتكلم عن الآثار الباقية لهذا الفرعون وأسرته .

لقد ذكرنا فيما سبق أن « ورقة أبوت » تحتوى على العبارة التالية عن قبر هذا الفرعون عند فحصه :

"قبر الملك « سقنن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » (له الحياة والسعادة والصحة) ، قد فحصه هذا اليوم المفتشون ، ووجد أنه سليم" .

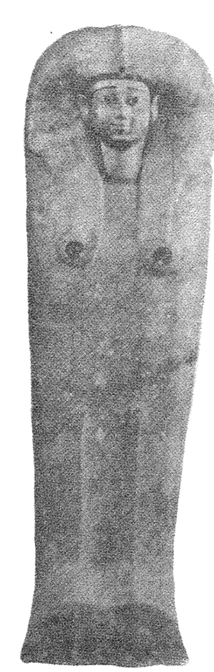
وتدل الآثار الباقية على أن قبر هذا الفرعون كان يرعاه كاهن جنازى يدعى « مس » فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة ، كما كان يرعى قبر الملك « كامس » أيضاً[1] ، وقد عثر « مريت » على خاتم من الحجر الجيرى الخشن الصنع فى « ذراع

---

(١) راجع : Petrie, "A Season in Egypt", P. 25, Pl. XXI; Lacau "Steles du Nouvel Empire", 24030, PP. 64-5, Pl. XXII; Gauthier L. R. II. P. 158.

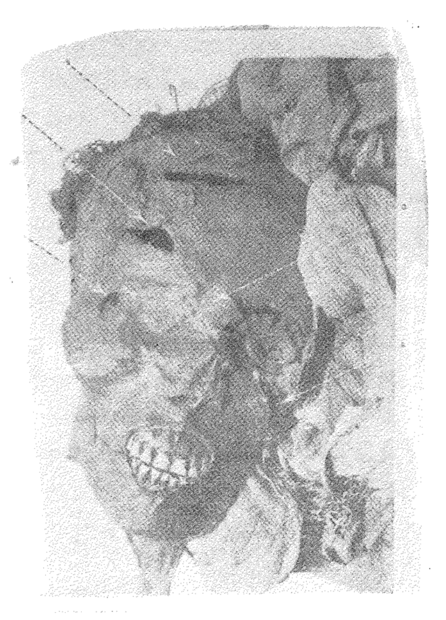


غطاء تابوت (الملكة اعح حتب)



(١١) غطاء تابوت (الملك سقنن رع - تاعا الثانى)

ابو النجا » كتب عليه « سقنن رع » ؛ ومثل هـذا الخاتم ممـا تستعمله الكهنة الجنازيون فى ختم الأوانى الخاصة بهـم . ونلحظ فى عهد الأسرة التـالية أن اسم « سقنن رع » كان ضمن الأسمـاء البارزة فى قوائم « أرباب الغـرب » ، ومن المحتمل أن حراسة قبره كانت موكولة لكهنة « مكان الصدق » (الجبـانة) فى ذلك الوقت



(١٢) مومية الملك «سقنن رع ـ تاعا الثانى»
السهام فى الصورة تشير الى أماكن الجروح

وصف تابوت الملك سقنن رع : وقد كانت مومية الملك « سقنن رع » هـذا وتابوته الخشن ضمن الكشف المشهور الذى حدث عام ١٨٨٠ فى الجبيئة القريبة من معبـد الدير البحرى[١] ، ومن المحتمـل أن اللصوص كان قد أخطأهم نهب هذا القبر كما قررت ذلك لجنة التحقيق ، غير أنه فى وقت ما قـد سطا عليه الكهنة القائمون على حراسته . وتابوت هـذا الفرعون الخشبي الذى وجد جسمه فيه محلى برسم ريش عليه كما كان المتبع فى حلية توابيت هـذا العصر، ولذلك أطلق على التوابيت التى من هذا الطراز « الريشية » (انظر ص ١١٦) وكانت تغطيه طبقة سميكة من الذهب مما جعل السبيكة التى على ظاهره مغرية، للحراس . والواقع أنهم انتزعوها ، غير أنهم قد اتخذوا حذرهم ألا يلمسوا الجزء الذى يغطى الصل الملكى ورءوس الصقور التى على القلائد ، والعقاب الذى على الصـدر ، وكذلك اسم الإله « بتـاح سكر » ؛ وكل هـذه رموز آلهـة قد اعتقد القوم أنهـا ترسل المـوت إلى كل من انتهك حرمتها . ولمـا كان اللصوص المحترفون لم يعقهـم على ما يظهـر مثل هـذه الشكوك والخـرافات فى مقبرة الفرعون « سـبك ام ساف » السالف الذكر فـلا نكون مخطئيـن إذا نسـبنا مثـل هـذه السرقات الفنيـة للكهنة أنفسهم . ومع ذلك فيظهر أن وخز الضمير فى ارتكاب مثل هذا العمل قد لعب دوره ؛ إذ نجد الكهنة قد صبغوا بعض الأجزاء التى أزالوا من فوقها الذهب باللون الأصفر إخفاءً لجريمتهم ، وبخاصة الوجه ولباس الرأس، ثم كتبوا النقوش بالمداد الأحمر ثانيـة ، ثم رسموا قلادة على صدره وخطوطا زرقاء حول العينين اللتين نزع منهما إطارهما الذهبى، أما باقى الغطاء فقد ترك مغطى بالجص الأبيض الذى انتزع منه الطبقة الذهبية ، وقد بقى آثار النقوش الأصلية على أية حال ، ويمكننا أن نقرأ

---

(١) راجع : Daressy, "Cercueils des Cachettes Royales" 51001 & Petrie, "History", II, P. 8. Fig. 3; Maspero, "Guide du Visiteurs du Musee du Caire", P. 415, No. 3893 etc.

منها : " ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سقنن رع » ابن الشمس « تاعا » الشجاع " وهـذا الاسم هو الذى أطلق عليه فى قائمـة أرباب الغـرب فى مقبرة « خع بخت » (Petrie, "History" II. P. 7.) .

دفن هذا الفرعون بسرعة : ومن المعقول بطبيعة الحال أن الملك قد دفن دون أن يعمل له أى جهاز جنازى ، ولكن لما كانت أكفانه قد فكت عن آخرها ثم لفت ثانيـة على عجل فمن المحتمل أن السرقة لم تقتصر على غشـاء الذهب الذى كان يحلى تابوته بل قد امتدّت كذلك أيدى الكهنة إلى مجوهراته وأسلحته . ومما هو جدير بالذكر هنا أنه لم يبق مع أى مومية ملكية أية قطعة من المتاع مما لها قيمة حقيقية عند ما أودعت فى مخبئها بالدير البحرى، وتدل مومية الفرعون « تاعا » الثانى (انظر ص ١١٧) الذى كان يلقب بالشجاع على أنه كان معتدل القامة بالنسبة للصريين ، إذ كان يبلغ طوله نحوا من ١٧٠ سنتيمترا ، عظيم الرأس . وهو نموذج لرأس المصرى الأصيل ، ويمتـاز ببنية عظيمة ، فكان مفتول العضـلات نشيط الجسم . أما شـعره فكان أسود كثيفا مجعدا ، هـذا الى أنه كان حليق اللحية ، ولم يتجاوز الثلاثين ربيعا من عمره عند وفاته إلا بقليل .

الملك سقنن رع يموت فى ساحة القتال : أما المغامرة التى لاقى فيهـا الملك «سقنن رع» حتفه فجعلته من أعظم الشخصيات المصرية بطولة فى التاريخ المصرى فتظهر من تصوير الأستاذ « اليوت سمث » قصة موته من الجـروح التى فى رأسه فيقول : «إنه كان فريسة هجمة غادرة قام بها عدوّان أو يزيد ، فقد أخذ على غرة عند ما كان نائما فى فراشه ، أو أنهـم تسللوا من خلفه وطعنوه بخنجر تحت أذنه اليسرى فغاص الخنجر فى عنقه، ولقد كانت الضربة مفاجئة فلم يقو على رفع يده ليـدرأ عن نفسه ضرباتهـم التى انهالت من (البلط) والسيوف والعصى على وجهه فهشمته وهو ملق طريحا . وتدل شواهد الأحوال على أن تجهيز الجثة للدفن كان على عجل، وأن عملية التحنيط كانت بسرعة فائقة فجاءت غاية فى الاختصار،

ولم تعهل أية محاولة لوضع الجسم فى وضعه المستقيم الطبعى ، إذ قد ترك منكمشا كما كان طريحا وهو فى حالة النزع ، فكان الرأس ملق إلى الخلف ، ومنثنيا نحو اليسار ، ولسانه بارز من فمه يضغط عليه بأسنانه توجعا وألما ، ولم يمسح سائل مخه الذى كان يجرى على جبينه بسبب الجروح التى أصابت رأسه ، وكانت ساقاه منبسطتين بعض الشىء ، ويداه وذراعاه منكمشتين كما كانتا عند ما لفظ روحه ، وقد أزيلت أحشاؤه من فتحة عملت فى بطنه ، وقد حفظ الجسم بوضع نشارة معطرة عليه وحسب . والواقع أن الجسم فى حالته الراهنة يشبه مومية قبطية قد يبست وثقبها الدود » .

وقد ظن « مسبرو » وتبعه فى ظنه « اليوت سمث » أنه قد قتل بعيدا عن « طيبة » ، والمحتمل أنه مات فى ساحة القتال ، وأن تحنيطه فى مكان القتل كان إجراء مؤقتا لعدم توفر المعدّات للذين قاموا بهذه العملية فى هذا المكان أما «بترى» الذى وافقه الدكتور « فوكيه » فى رأيه فيزعم أن الجسم كان قد تعفن فى أثناء نقله إلى « طيبة » ولم يعتن به فى ساحة القتال ، ثم حوول تحنيطه ثانية بعد وصوله إلى « طيبة » . وترتكز نظرية قتله فى ساحة القتال على ما توحى به محتويات قصة « ورقة ساليه » التى نقرأ فيها أن « سقنن رع » كان مناهضا للملك الهكسوس « أبو فيس » وليس هناك ما يدعو إلى تجريح هذه النظرية .

« الملكة اعح حتب » : والزعم السائد أن «اعح حتب» كانت زوج الفرعون « سقنن رع » [1] (انظر ص ١١٦) غير أنه لا توجد آثار تدل على ذلك صراحة ، ولكن توجد براهين جلية تثبت ذلك ، فنعلم أن « أعح حتب » كانت والدة « أحمس » الأوّل ، وأنها كانت الزوجة الأولى للملك « سقنن رع تاعا » وكذلك كانت ابنة ملك [2] .

---

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales de Deir el Bahari", P. 625; "Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient", Vol. II, P. 78.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. X, P. 251. Note 4.

ونجد على تمثال أمير يدعى « أحمس » أن والديه كانا يحملان الألقاب الآتية : الإله الطيب رب الأرضين « تاعا » والابنة الملكية العظيمة التى استولت على التاج الأبيض « أعح حتب » . ومن ذلك يتضح أن « أعح حتب » هذه كانت لا بدّ هى أم « أحمس الأول » وأن هذا الملك « تاعا » هو زوجها وهو « سقنن رع » الثانى الذى ينسب إلى الجيل الذى سبق « أحمس » الأول مباشرة . ومما لا نزاع فيه أن « أعح حتب » كانت على قيد الحياة بعد وفاة زوجها ، بل المظنون أنها عاشت حتى عهد « أمنحوتب الأول » بل عاصرت « تحتمس الأول »[١] . أما أنها عاشت حتى عهد « أحمس الأول » فلا جدال فى ذلك ، فكما أن « تيتى شرى » قد كانت تمثل القوّة خلف الملك فى بداية حكمه كما يظهر ذلك على اللوحة التى كشف عنها « بترى » فإنا نشاهد كذلك أن « أعح حتب » أخذت مكانتها هذه بعد موتها كما يظهر ذلك على لوحة « الكرنك » وفى « بوهن » بالقرب من (وادى حلفا) . ولم تحل السنة الثانية والعشرون من حكمه حتى أخذت مكانتها « نفرتيرى » كما تدل على ذلك نقوش « طره » . وقد كان لهذه الملكة الثالثة الحظوة عند الجميع حتى اعتلاء « تحتمس الأول » عرش الملك ، ولا نزاع فى أن تلألؤ نجم « نفرتيرى » لم يلمع ولم يسطع إلا فى نهاية حكم « أحمس الأول » أى بعد موت « أعح حتب » وذلك ظاهر من الحفاوة التى خصها بها « كامس » و « أحمس » من هدايا جنازها التى وجدت معها فى تابوتها ، وأنه لم يشترك فى إهدائها غير هذين الملكين ، ولكن يلوح فى الوقت نفسه أن زوجها قد اشترك فى إعداد أثاثها الجنازى ، فقد دل الفحص على أن تابوتها الخشبى يكاد يكون قطعة مطابقة لتابوت الملك « سقنن رع » زوجها[٢] .

---

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales", P. 627; Petrie, "History", II, P. 10; Breasted. "History", P. 252

(٢) راجع : J. E. A. Vol. X, P. 251 Note. 3.

وعلى الرغـم من أن دفن الملكة « أعح حتب » لم يحدث فى عهـد الأسرة السابعة عشرة كما دفنت الملكة « تيتى شرى » فإن هناك من الأسـباب مع ذلك ما يدعونا للاشارة إليه هنا .

الكشف عن تابوت الملكة « اعح حتب » : والواقع أن عمال «مريت» قد كشفوا عن تابوت هذه الملكة الذى كان يحتوى كذلك على مجوهراتها فى التراب القريب من «ذراع أبو النجا» عام١٨٥٩م وقد كان لهذا الحادث ضجة عظيمة ، حتى تضاربت الأقوال فى كنه هذا الكشف ومحتوياته ، غير أنه لحسن الحظ كان العالم الأثرى « ديودوردڤريا » فى إجازة من « متحف اللوفر» وكان موجودا مع «مريت» فى « متحف بولاق » فى ذلك الوقت . وقد دوّن الحادث فى خطاب خاص مؤرّخ فى الثانى والعشرين من مارس سنة ١٨٥٩م (١) . وسنورد هذا الخطاب هنا ليرى القارئ كيف كانت تسير الأحوال فى تلك الفترة من عهد الوالى سعيد باشا وها هو ذا :

نص خطاب "دڤريا" : "ولما أعلن المسيو « مونييه » مساعد قنصل مصر خبر هذا الكشف أرسل إلى « مريت » نسخة من النقوش التى على التابوت فأمكننى منها الاهتداء إلى أن هـذه كانت مومية الملكة « أعح حتب » وعندئذ كتب « مريت » لإرسالها فى الحال إلى متحف « بولاق » على ظهر باخرة خاصة ، ولكن لسوء الحظ كان مدير الجهة (قنا) قد فتح التابوت قبل أن يصل الخطاب ، ولا نعرف سبب ذلك أحبا فى الاطلاع ؟ أم حقدا وغيظا منـه . ومهما يكن من أمر فإنى لم أرغب فى أن أوجد نفسى فى نعل هذا الموظف عندما يقع نظر « مريت » عليه لأول مرة . وقد حدث كالمعتاد فألقيت أكفان الملكة وعظامها جانبا ، واحتفظ بالأشـياء التى دفنت مع المومية ، وقد حصل « مريت » على قائمـة بمحتويات التابوت من أحد الموظفين المصريين هناك . وقد أرسل مدير « قنا » من جانبه قائمـة بتلك الأشياء للوالى معلنا إياه أنه مرسل الأشياء مباشرة إلى بلاطه .

والواقع أن القائمتين كانتا شبه موحدتين فى المحتويات ، غير أن فيهما مبالغة ظاهرة فى عدد الأشياء الموصوفة ، وفى وزن الذهب الذى تحتويه . ولما حصلنا على أمر وزارى بأن يكون لنا الحق فى الاستيلاء

---

(١) راجع : Maspero, "Bib. Egypt". 18, CII, ff, and Maspero, "Guide" XIV

على أى قارب يحمل آثارا ونقلها إلى قاربنا ، مرنا فى النيل فى باكورة يوم واحد وعشرين من مارس ، ولم نكد نصل إلى « سمنود » حتى لمحنا القارب الذى كان يحمل الكنز الذى أخذ من المومية الفرعونية . يقترب منا ، وما هى إلا نصف ساعة حتى تلاقى القاربان ، وبعد تبادل كلمات صاخبة مصحوبة بإشارات عنيفة هدد « مريت » أحدهم بأنه سيلقيه فى الماء ، وهدد الثانى بأنه سيشوى مخه ، والثالث بأنه سيرسله إلى الأعمال الشاقة فى السفن ، والرابع بأنه سيضع حبل المشنقة فى عنقه . وكانت نتيجة ذلك أن حفظة الكنز سلموه مقابل صك من « مريت » . وقد كانت دهشتنا عظيمة عندما رأينا أن الصندوق يحتوى كمية من المجوهرات ، ورموزا ملكية وتعاويذ وتكاد كلها تحمل اسم « أحمس » أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فى حين أن الملكة « أعح حتب » لم يذكر اسمها على واحدة منها . ودقة صنع هذه المجوهرات يفوق كل الذى عرف حتى الآن وهو قليل جدا ، وعلى ما أظن لم يكن الذهب الذى تحتويه هذه التحف يزيد عن كيلوجرامين فى الوزن ، غير أن قطع المجوهرات كانت قد صيغت بمهارة عظيمة ، ورصعت بأحجار صلبة وميناء ملونة " .

وقد أسرع « مريت » بالمجوهرات إلى الوالى سعيد باشا فى الاسكندرية ، وقص عليه القصة بطريقة خلابة حتى أن سعيدا قد تغاضى عن استيلاء «مريت» على قارب حكومى بغير إذن ، بل على العكس استغرق فى الضحك وشمله برعايته ، وقد استعار « سعيد باشا » من هذا الكنز سلسلة من الذهب معلقا فيها جعران لأحب زوجاته إليه غير أنه أعادها بعد فترة وجيزة[١] إلى متحف بولاق .

سبب وجود آثار للملكين « كامس » و « أحمس » فى تابوت الملكة «اعح حتب» : وقد تضاربت الأقوال فى وجود آثار « أحمس » و « كامس » فى تابوت الملكة « أعح حتب » ، غير أن الرأى الذى أدلى به الأستاذ « ونلك » عند فحص هذا الموضوع هو الرأى الذى يقرب من الحقيقة إذ يقول : " ليس لدى من الأسباب التى تجعلنى لا أصدق أن الملكة « أعح حتب » كانت قد دفنت فى أوائل حكم الفرعون « أحمس » وأنها زينت بالمجوهرات التى أهداها لها هو والملك « كامس » الذى حكم قبل « أحمس » مباشرة[٢] . وآثار الملكة « أعح حتب »

(١) راجع : Maspero, "Bib. Egypt". op. cit. CIII.
(٢) راجع : J. E A., X, P. 254.

مشهورة جدّا، وسنذكر أهمها هنا، وبخاصة ما كان له قيمة من الوجهة التاريخية :
« وجد على الجثة جعران وسلسلة باسم « أحمس الأوّل » الذى كتب على المشبك،
هذا فضلا عن ثلاثة أسورة يد ، وسوار ذراع ، وكلها باسم « أحمس » أيضا ،
أما فى داخل لفائف الكفن ، فقد وضعت (بلطة) من الذهب وخنجر وكلاهما



(١٣) سواران للملكة أعح حتب

نقش عليه اسم « أحمس » ، وعلى ذلك تكون الزينة الشخصية الخاصة بهذه الملكة قد قدمها لها « أحمس » أى عنـد ما كانت بين الخمسين والخامسة والسبعين من عمـــرها » .

وخلافا لهذه الجوهرات التى نقشت باسم الملك « أحمس » كان معها أشياء أخرى باسم ولدها البكر « كامس » . ففى التابوت وجد قاربان نموذجيان بمجاديف ، واحد منهما مصنوع من الذهب وعليه اسم « كامس » ، والثانى من الفضة خال من النقش . أما الأشياء فهى : مذبة و (بلطة) من الشبه باسم « كامس » ، ويحتمل كذلك (بلط) أخرى وحربة باسمـه محفوظة الآن فى انجلترا ، وقد أتت من نفس الكنز . ولا نزاع فى أن هـذه الجوهرات عنوان واضح على التقدم الطبعى فى ثروة البلاد والمهارة الفنية ، التى جاءت نتيجـة لطرد الهكسوس من مصر . ولا أدل على ذلك مما نشاهده من الجوهرات الخشنة الصنع التى تعزى لأول حكم « أحمس » وهى التى وجدت على جسم الفرعون « كامس » الذى كان فى حروب مستمرة مع الهكسوس .

وقد وجد تمثال باسم الابن الأكبر الملكى « أحمس » المرحوم [1] .

ومن هذا التمثال نعرف علاقة « أعح حتب » بالملك « سقنن رع » . إذ نجد بين الدعاء بطلب قرابين للإله « بتاح سكر » قد ذكر أسماء أفراد أسرة هـذا الأمير الذين جعلوا اسمه يعيش لأجل أن يقوم بكل عمل خيرى لهم فى العالم السفلى ، وهؤلاء الأقارب هم والده « تاعا » الثانى ، وأمه « أعح حتب » كما ذكرنا آنفا ، ثم أخته الابنة الملكية العظيمة « أحمس » وأخته الابنة الملكية العظيمة « أحمس » الصغرى وقد كانت على قيد الحياة .

التعرف على شخصية « أحمس نفر تارى » : ولما كانت « أعح حتب » الابنة الملكية العظيمة قد تزوجت من أخيها « تاعا » الثانى ، فإن هذه الابنة الملكية

(١) راجع : Sethe, Urkunden IV, P. 12.

« أحمس » أسنّ الأختين كانت بلا شك هي «أحمس نفرتيرى » التي نعرفها بوصفها أخت الفرعون « أحمس » وزوجه ، وهي التي يمكن أن تكون قد تزوجت من الملك « كامس » أولا على ما يظهر، ولدينا نص آخر ربما يشعر بأنها هي التي قد ذكرت عليه ، وهو لوحة عثر عليها في «ذراع أبو النجا» جاء عليها : " الأخت الملكية ، والزوجة الملكية « أحمس » "(١) ؛ وكذلك يحتمل أنه قد جاء من قبر الابن البكر « أحمس » خلافا لما ذكرنا تمثالان مجاوبان ، وجدا في « ذراع أبو النجا » نقش عليهما : " الابن الملكي «أحمس» "(٢) وكذلك نقش على جعران لا يعرف المكان الذي جاء منه ، "الابن الأكبر « أحمس » "(٣) ، ولا نزاع في أنه « أحمس » المشار إليه في قبر « خع بخت » بوصفه من أرباب الغرب ، وكان يعبــد في الأجيال التالية باسم الابن الملكي « أحمس » معطي الحيــاة مثل « رع » ، ونجد كذلك الاسم الملكي « أحمس » قد قرن باسم يدعى « بنبو » (Binpu) في طغراء واحد ، كما جاء على تمثال « حربو خراد »(٥) .

ولا شك في أن المسائل التاريخية التي سنعالجها هنا من الصعوبة بمكان بالنسبة لهذا العصر كله ، ولا بدّ من أن نتلمس حلها ، وعلى أية حال فإن اشتراك «أحمس» و « بنبو » في طغراء واحد يذكرنا باسم آخر في قائمة مقبرة « خع بخت » الخاصة بأرباب الغرب . كان يلقب « الابن الملكي » (بنبو) معطي الحياة مثل (رع) . وليس لدينا حل آخر الآن لهذه المعضلة ، إلا أن نرجع بـ « بنبو » الذي جاء في قائمة مقبرة « خع بخت » إلى عهد الملك « تاعا » الثاني ، وأن نعدّه مؤقتا أحد أولاده

(١) راجع : Northampton, Spiegelberg, Newberry, "Report on Some Excavations in the Theban Necropolis During the Winter of 1898-1899", Pl. XVI. P. 3.

(٢) راجع : Northampton, etc op. cit. 31. No. 11.

(٣) راجع : Newberry, "Scarabs". Pl. XXVI. No. 6.

(٤) راجع : Gauthier, "L. R", II, P. 160.

(٥) راجع : *Mariette, "Monuments", Pl. 48.*

إلى أن نتحقق من شخصية كل من « أحمس » و « بنبو » اللذين ذكرا على لوحة « حربو خراد » وسنذكر هنا ما استخلصناه من الدراسة السابقة لأولاد الملك «تاعا» الثانى ، و « اعح حتب » بصورة مختصرة واضحة .

(١) الأمير « أحمس » الاكبر — مات صغيرا فى خلال حكم والده .

(٢) الأميرة « أحمس نفرتيرى » تزوجت من الملكين اللذين خلفا « تاعا » الثانى .

(٣) الملك « كامس» تولى بعد والده عرش الملك ، ومات بعد توليته بقليل .

(٤) الملك « أحمس » خلف أخاه وأسس الأسرة الثامنة عشرة .

(٥) الأميرة « أحمس » الصغيرة .

(٦) الأمير « بنبو » ؟ مات صغيرا ، ومن المحتمل أنه قضى نحبه فى الوقت نفسه الذى مات فيه « أحمس » الأكبر .

بداية المناوشات مع الهكسوس

على أنه توجد آثار أخرى لأفراد عاشوا فى هـذا العصر ، وقـد ذكر عليها اسم « تاعا » غير أننا لم نعرف أيهما كان المقصود : الأول أم الثانى[1] .

وتدل شواهـد الأحوال على أن الفرعون « تاعا » الثـانى الملقب بالشجاع هو أول ملك بدأ النزاع بينه و بين ملك الهكسوس مما أدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة ، فلدينا وثيقة فى هـذا الصدد جاءت فى صورة قصة وهى « ورقة ساليبه » الأولى ، وعلى الرغم من أنها تنسب إلى العصر الذى نكتب عنه إلا أنها قد كتبت بعـد وقوع حوادثها بنحـو أربعمائة سنة ، ومع ذلك فإنها على ما يظهر ترسم لنا صورة تاريخية عن الخلاف الذى وقع بين ملك الهكسوس المسمى

---

(١) راجع : Daressy. "Statues de Divinties", P. 55; J. E. A. Vol. X, P. 257. ff.

« عاقنن رع أبو فيس » والملك « سقنن رع » الشجاع ، الذى فصلنا القول فيما نعرف عنه فيما سبق ، وظاهر الخلاف هو أن « أبو فيس » ملك الهكسوس ادّعى وهو فى « أواريس » الواقعة فى شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التى تعيش فى « بحيرة طيبة » تزعجه وتقض مضجعه لقوّتها ، على الرغم من أن المسافة بين «طيبة» و « أواريس» تبلغ نحو ٥٠٠ ميل ، وأنه لذلك يأمر ملك «طيبة» أن يبيد فرس البحر الذى يسكن فى تلك البحيرة إن أراد أن يبقى على إرضاء الملك«سقنن رع» . وهذه الورقة قد كتبت على أن تكون تمارين لتلميذ من تلاميذ العصر الذى كتبت فيه ، ونهايتها وهو الجزء الهام فيها لم يتم نقله ، ومن أجل ذلك كانت القصة التى وصلتنا ناقصة ، ولكن إذا وازناها بقصص أخرى مماثلة لها من قصص الشرق الأدنى ، كان من المحتمل جدًا أن تدلنا نهايتها على سرعة بديهة « سقنن رع » أو سرعة خاطر نصحائه الذين كانوا حوله فأحسنوا الرد على ملك الهكسوس ، فخلصوا بذلك ملك مصر من الورطة التى أراد أن يوقعه غريمه فيها ، ومن المحتمل جدا أن الجزء الضائع من الورقة كان يحتوى على بداية المقاومة المنظمة التى قام بها المصريون ضدّ الهكسوس .

وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرّد ذريعة اتخذها تعلة لإعلان الحرب على ملك « طيبة » الذى كان على ما يظهر يكيد له ، وتكون قصة الذئب والحمل التى نتناقلها ونتمثل بها فى التاريخ الحديث صدى لأختها قصة فرس البحر فى عصر الهكسوس . والجزء الباقى من القصة كما جاء فى الورقة هو ما يأتى :

متن القصة

حدث أن أرض مصر كانت فى جائحة شنعاء (؟) ولم يكن للبلاد حاكم يعدّ ملكا فى هذا الوقت . وقد حدث أن الفرعون «سقنن رع» كان حاكما على المدينة الجنوبية (يعنى طيبة) . ولكن كانت الجائحة الشنعاء فى بلد « العامو » (الهكسوس) ، وكان الأمير « أبو فيس » فى « أواريس » وكانت كل البلاد خاضعة له ، وكذلك كل حاصلاتها بأكملها ، وكذلك كل طيبات « تميرا » (أى مصر) وقد بقى هذا اللفظ فى كلمة الدمير .

وقد اتخذ الملك « أبو فيس » الإله « ستخ » رباله ، ولم يعبد أى إله آخر فى البلاد غير « ستخ » . وقد بنى معبدا ليكون عملا حسنا خالدا بجانب قصر « أبو فيس » وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله « ستخ » ، وكان موظفو جلالته يحملون الأكاليـل من الزهر كما كان يفعـل تماما فى معبد « رع حوراختى » .

وكان الملك « أبو فيس » يرغب فى خلق موضوع للنفار بينه وبين الملك « سقننرع » أمير المدينة الجنوبيـــة .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك « أبو فيس » بإحضار ... ... رئيسه ... ... (عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات ، وقد حاول « مسبرو » أن يملأها على وجه التقريب) . [... ... وقال لهم (أى المستشارين) : إن رغبة جلالتى فى أن أرسل رسولا إلى المدينة الجنوبية لألصق تهمة بالملك « سقننرع »] . و ... ... لم يعرفوا كيف يجيبونه ، وعندئذ أمر بإحضار كتابه والحكماء من أجل ذلك ، فأجابوه قائلين : "أيها الحاكم ، يا سيدنا ... ... توجد بحيرة فرس بحر [فى المدينة الجنوبية ... ...] النهـر [... ...] وهى (فرس البحر) لا تسمح للنوم أن يأتى لنا نهارا ولا ليلا ، لأن الضجيج فى أذننا ، وعلى ذلك أرسل جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية ... ... الملك « سقننرع » ودع الرسول يقل له : الملك « أبو فيس » [... ...] يأمرك بأن تجعل فرس البحر يترك البحيرة ... وبذلك سترى جلالتك قلة أعوانه ، لأنه لا يميـل لإله فى الأرض كلها إلا « آمون رع » ملك الآلهة .

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك « أبو فيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التى قالها له كتابه والحكماء ؛ ووصل رسول الملك « أبو فيس » إلى أمير المدينة الجنوبية فأخذوه إلى حضرة الأمير ، فقال الواحد (الفرعون) لرسـول الملك « أبو فيس » : ما رسالتك إلى المـدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هـذه الرحلة ؟ فقال له الرسول : « لقد أرسل لك الملك « أبو فيس » يقول : مر بأن يهجر فرس البحر بحيرته التى فى ينبوع المـدينة الجارى (المدينة هنا طيبة) لأنه (أى فرس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشانى ليلا أو نهارا ، إذ أن أصواته المزعجة فى أذنى .

وعندئذ بقى أمير المدينة الجنوبية صامتا ، وبكى مدة طويلة ، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جوابا لرسـول الملك « أبو فيس » فقال له أمير المدينة الجنوبية : كيف سمع سـيدك عن البحيرة التى فى ينبوع المدينة الجـارى ؟ فقال له الرسـول : ... ... الموضوع الذى من أجله قد أرسلك (؟) . وأمر أمير المدينة الجنوبيـة أن يقدم لرسول الملك « أبو فيس » كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز ... ... وقال له أمير المدينـة الجنوبية : ارجع إلى الملك « أبو فيس » سيدك ! ... ... أى شىء تقول له سأفعله عندما تأتى (؟) [... ...] وعاد رسول المـلك « أبو فيس » مسافرا إلى المكان الذى فيه سيده .

وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام ، وكذلك كل ا ر الجند الذين كانوا عنده ، وأعاد عليهم التهمة التى بعث بها إليه الملك « أبو فيس » . وقد ظلوا صامتين جميعا لمدة طويلة ، ولم يستطيعوا الإجابة بخير أو شر ، وأرسل الملك « أبو فيس » إلى ...".

(وهنا تنقطع القصة فى الورقة التى استعملت بقيتها فى خطابات نموذجية . وهى أسلوب إنشائى كان بلا شك فى ذلك الوقت أكثر فائدة ، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن ، لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة) .

وإنه لمن العسير علينا تحديد تاريخ الشجار الذى قام بين الملك « سقنن رع الشجاع » و «أبو فيس عاقننرع» على وجه التأكيد ، ولكن من المحتمل أنه قد نشب حوالى عام ١٥٩٠ق م ويرجح قرب هذا التاريخ من الحقيقة أن « أحمس بن أبانا » الذى كان يعمل فى جيش « أحمس » الأول (١٦٨٠ — ١٥٥٧ ق م) . كان والده يعمل جنديا فى جيش « سقنن رع »(١) ولا بد أن نعطى مدة كافية لحكم الملك « كامس » الذى خلف « سقنن رع » . وقد نوهنا فيما سبق أن « سقنن رع » و « كامس » و «أحمس» الأول حكموا تباعا على التوالى . وبعد موت «سقنن رع» فى حومة الوغى كما تدل على ذلك الجروح التى وجدت فى جسمه تولى الملك بعده الملك « كامس » .

الملك كامس



يعتبر الملك « وازخبررع كامس » آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة من أبرز الشخصيات الملكية فى التاريخ المصرى القديم ، إذ تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن الحروب الحقيقية لخلاص مصر من نير الهكسوس الذى ظل عبئا على عاتق البلاد أكثر من قرن ونصف ، قد بدأت فى عهده . وقبل أن نتكلم عن الدور

(١) راجع : J. E. A. Vol. V. P. 49.

الذى لعبه فى تاريخ البلاد وما عثر عليه من آثار له نلفت النظر إلى أن الاسم الحورى لهذا الفرعون يحيط به شيء من الغموض والإبهام لم نستطع مما كشف عن الآثار حتى الآن حله حلا موفقا يعتمد عليه ، حتى أن بعض علماء الآثار قد ظنوا أنه يوجد ثلاثة ملوك بهذا الاسم ، وتفصيل ذلك أن اسم الفرعون الذى وجدناه على الوجه الذى كشفه « كارنرفون »[١] يختلف عن الاسم الذى وجدناه على « ورقة أبوت » وهو نفس الملك الذى عثر على تابوته ، ومحتوياته الموجودة « بمتحف اللوفر » وغيره من المتاحف كما سيأتى بعد . وقد عارض الأستاذ « جوتييه » فى توحيد هذين الملكين . وعاد لمناقشة الموضوع مرة ثانية[٢] ، وذلك عندما عثر على قاعدة تمثال عليها اسم ملك يدعى « كامس وألقابه » ، وأن اسم الصل والعقاب عليه يماثل ما وجد على لوحة « كارنرفون » غير أن اسمه الحورى يختلف عن الاسم الحورى للملكين السابقين بهذا الاسم ، فهل معنى ذلك أنه يوجد ثلاثة ملوك باسم « كامس » ؟ ولكن « جوتيه » يجيب على ذلك بقوله إنه لا يوجد إلا ملكان بهذا الاسم ، وأن أحدهما قد غير اسمه الحورى خلال حكمه والواقع أنه لا يمكننا أن نستنتج الآن شيئا . وسيكون القول الفصل للوحة « الكرنك » التى وجد معها « شفربيه » قطعة من لوحة وهى النموذج الذى كتب عنه لوح « كارنرفون » فإذا وجدت بقية هذه اللوحة التذكارية ، وعلم منها أن لقب هذا الملك عليها هو « وازخبررع » فإن اختلاف الاسم الحورى الذى وجد مختلفا فى ثلاث حالات لا يهم ، من أجل ذلك نحكم بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يدعى « كامس » . أما إذا اختلف اللقب فإنه يوجد كما قال « جوتييه » ملكان باسم « كامس » . على أن كل الدلائل تشعر بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يسمى « كامس » ، وهو الذى بدأ الحروب مع « الهكسوس »

(١) راجع : J. E. A. ibid.

(٢) راجع : "Studies Presented to Griffith", (London 1912) P. 3. ff.

بصفة فعلية . والواقع أن الآثار والمعلومات التي وصلتنا عن هذا الفرعون محصورة فيما كشف له فى « طيبة » وماذكر عنه فى «ورقة أبوت» التى تحدثنا عن الفحص الذى أجرى فى قبره فى عهد « رعمسيس » التاسع عندما انقض اللصوص على قبور « طيبة »(1) . فقد جاء عن قبر هذا الفرعون ما يأتى : « انتقل المفتشون من قبرى الملكين المسميين «تاعا» إلى هرم الملك « وازخبررع » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « كامس » له الحياة والسعادة والصحة ، وقد فحص اليوم ووجد أنه لم يصبه ضرر » .

حقا يظهر أن قبر « كامس » لم يصب بسوء فى عهد « رعمسيس » التاسع ؛ غير أنه من المحقق أن حراس القبر خافوا عليه عبث اللصوص فى تاريخ متأخر فى العهود القديمة ، فنقلوا تابوته ودفنوه على وجه السرعة سليما كما هو فى جحر من تراب السهل الذى تطل عليه جبانة « ذراع أبو النجا » فى مكان يقرب من المكان الذى كشف فيه عن تابوت الملكة « اعح حتب » السالفة الذكر . وقد ظل الملك « كامس » مستريحا فى تلك الحفرة الحقيرة حتى كشف عنه « مريت » عام ١٨٥٧ ميلادية .

قصة الكشف عن بقايا الفرعون كامس : ولما كانت قصة الكشف عن بقايا هذا الفرعون ، وما دفن معه فى تابوته من الحوادث العظيمة فى تاريخ علم الآثار المصرية وتأسيسه فى مصر لم نر بدا من تلخيصها هنا إذ أنها فى الواقع تكشف لنا أمورا كثيرة عن أحوال مصر فى تلك الفترة من تاريخها وكيف كان ينظر ولاتها لآثارها وتراثها الخالد . وذلك أنه فى ربيع عام ١٨٥٧ ميلادية كان الأمير « نابليون » ابن عم الإمبراطور « نابليون » الثالث عائدا من رحلة فى المحيط المتجمد . ولما كان هذا الأمير مصدر قلق ومضايقة

---

(١) راجع : Abbot Pap. Pl. III, line. 12; Breasted, A. R. IV, § 519.

دائمة لابن عمه الأمبراطور فقد كان الأخير لا يردّ له طلبا يقتضى رحلة خارج فرنسا ولذلك لم يتردّد طرفة عين فى إجابة مطلبه فى القيام برحلة إلى الشرق ، ولا تزال رحلة الأرشدوق « مكسمليان » النمساوى فى النيل ترن فى الآذان وموضوع حديث علية القوم . ولم يكن الأمير « نابليون » يرغب فى منافسة الأرشدوق وحسب بل يريد أن يفوقه فى الحصول على مجاميع أثرية أهم من التى حملها إلى النمسا ، وعندما وصل إلى « سعيد باشا » والى مصر خبر هذه الزيارة المزعومة عقد العزم على أن يظهر لسموّ زائره الامبراطورى كل مظاهر التجلة ، ومراسيم الاحترام التى يستطيع إبداعها ، ولذلك أرسل فى الحال إلى «مريت» باشا الذى كان ملحقا « بمتحف اللوفر » وقتئذ بالحضور إلى مصر فى أكتوبر سنة ١٨٥٧ فى إرسالية مدتها ثمانية أشهر ، وقد رغب سعيد باشا فى أن تكون كل خطوة يخطوها الأمير فى زياراته جهات القطر ينبت فيها من الآثار ما يسر عين الأمير ويملأ قلبه غبطة وعجبا .

واقتصادا فى وقت الأمير أمر « سعيد » باشا « مريت » أن يصعد فى النيل ويقوم بأعمال الكشف عن الآثار ثم يدفنها ثانية فى الأماكن التى سيمر بها الأمير فى رحلته ، وقد أعدّ المال اللازم لتلك الأعمال من جيب كل من « سعيد باشا » والأمير « نابليون » وكذلك خصص الوالى يخته لذلك ، وأصدر الأوامر إلى المديرين لتقديم ما يلزم من الأيدى العاملة . وفى هذه اللحظة كان « هنريخ بركش » قد وصل إلى مصر فكلفه « مريت » بالاستعداد للقيام معه بأعمال الحفر ، وقد قامت فعلا الكشوف الأثرية على قدم وساق فى «الجيزة» و «سقارة» و « العرابة المدفونة » و « طيبة » و « الفنتين » ، وقد كشف فعلا عن مجموعة عظيمة من الآثار الهامة ، غير أن الأمير الذى من أجله قامت هذه الاستعدادات لم يحضر لاعتبارات هامة . وفى فبراير سنة ١٨٥٨ طلب إلى « مريت » العودة إلى عمله الرسمى « بمتحف اللوفر » ، ولكنه كان وقتئذ قد رسم لنفسه خطة البقاء فى مصر

ليبنى مستقبله العلمى بها ، وقد اتخذ فعلا الخطوات الأولى المؤدّية إلى ذلك ، فقد كان يعرف ميول الأمير « نابليون » إلى عمل مجموعة أثرية ليضعها فى قصره ، ولذلك عرض عليه عن طريق سكرتيره أنه إذا أخر موعد سفره إلى فرنسا فإنه يكون فى استطاعته أن يستولى له من «سعيد باشا» على بعض هدايا من التى كانت أعدّت لرحلته التى لم تنفذ ، فأجيب « مريت » على طلبه هذا بأن الأمير يكون سعيدا جدا إذا حصل على مجموعة لا تكون نفاستها من ناحية قيمتها العلمية بل يرغب فى بعض مجوهرات وتماثيل صغيرة ، ونماذج من الفنّ المصرى مع إيضاحات عن كيفية الكشف عنها .

وقد وافق الوالى على ذلك ورجا « مريت » أن ينتخب من الآثار كل ما يروق فى عين الأمير ويرضيه ، ويضعها تحت تصرفه دون مقابل ، ولم يبق على «مريت» بعد ذلك إلا أن يرتب أمر الحصول على سفينة بدون أجر لهذا الأمير المقتصد ، وفى مقابل هذه الخدمات يستعمل هذا الأمير نفوذه لتعيين « مريت » مأمورا للآثار المصرية بالقطر المصرى . وقد تم له ما أراد ، وبذلك أصبحت مصلحة الآثار المصرية فى عالم الوجود .

نتائج الحفائر التى قام بها مريت وبركش فى القرنة :

وقد كانت للحفائر التى قام بها كل من « مريت » و « بركش » فى « القرنه » نتائج سريعة . وقد وقفنا على معلومات عن المكان الذى وجد فيه تابوتان لاثنين من الأناتفة ، وهما التابوتان اللذان كانا قد اشتراهما « مريت » قبل ذلك بثلاثة أعوام لمتحف « اللوفر » وبمعرفة هذا المكان الذى كان يعدّ مفتاحا للعثور على آثار أخرى من نوعهما أخذا يتابعان عمل الحفر فى السهل المنبسط الذى تشرف عليه « جبانة ذراع أبو النجا » وعلى مقربة من نفس هذا المكان كان قد عثر على تابوت « أعح حتب » ، وكشف «مريت» فى ديسمبر سنة ١٨٥٧ عن تابوت الملك « كامس » مدفونا تحت كومة من التراب ، وقد وضع بدون عناية ولا اهتمام ؛ غير أنه كان لم

يمس بعد . ولما فحص « مريت » باشا محتوياته وجد أن التابوت ذاته ليس من الأشياء التي تروق في عين الأمير « نابليون » ولذلك بقي في مصر . والواقع أن هذا التابوت ليس من نوع التوابيت الملكية الفاخرة التي كانت توشى بطبقة من الذهب النضار كما أن الفرعون لم يكن يحمل على جبهته الصل الفرعوني المعروف . حقا إن التابوت كان من النوع الريشي غير أنه كان مما يعمل للأفراد لا الملوك ، وقد ذكر اسم الملك « كامس » عليه ! « الملك ابن الشمس « كامس » ، وكذلك وجد عليه اسم الملك « كامس » دون أن يذكر لقبه ، كما وجدنا مثل هذه الحالة على تابوت الملك « أنتف » مما جعل الباحثين وقتئذ في حيرة مستمرة .

محتويات التابوت :

وقد لوحظ أن المومية لم تجهز للدفن بعناية كما كانت الحال في كثير من الأحيان في هذا العهد المضطرب ، ولذلك فإنه عندما كشف عنها « مريت » الغطاء ذهبت هباء لتحللها تحللا كليا . وقتئذ لاحظ « مريت » أنه كان مربوطا على أعلى ذراع « كامس » بردية مجدولة جدلا أنيقا ، يتدلى منها خنجر من الطراز النوبي . كما وجد معه جعران وبعض تعاويذ ، ووضع على صدره طغراء ملكية محاطة من كلا الجانبين بأسدين مصنوعين من خالص النضار ، هذا إلى مرآة من البرنز ، وقد كان الخنجر والطغراء والأسدان ضمن ما تشمله الهدية التي قدمها « سعيد باشا » للأمير « نابليون » وقد آل مصير الخنجر إلى « متحف بركسل » ببلجيكا ، أما الطغراء والأسدان فقد كانا من نصيب « متحف اللوفر » . وكذلك كان « مريت » قد أرسل المرآة مباشرة إلى « متحف اللوفر » أما الجعران والتعاويذ فقد اختفت ولا نعلم عنها شيئا حتى الآن .

ويعد الخنجر من الآلات الفاخرة التي عثر عليها في الآثار المصرية ، ويبلغ طوله نحو ٣١ سنتيمترا ، ويشبه في صنعه الخنجر الذي وجد مع الملكة « أعح حتب » اللهم إلا في بعض التفاصيل . أما المرآة فكانت مصنوعة من البرنز الذهبي اللون ويبلغ حجمها حجم المرآة التي وجدت مع الملكة « أعح حتب » .

ما يستنبط من دفن الملك « كامس » بهذه الكيفية :

ويمكننا أن نستخلص بعض حقائق هامة من دفن الملك « كامس » إذ تدل ظواهر الأمور على أن الفرعون قد قضى نحبه بعد حكم قصير ، فلم يستطع أن يجهز لنفسه تابوتا ملكيا مذهبا يتفق مع ملكه ، ولذلك نجد أن خلفه قد دفنه بعد وفاته بزمن قصير فى تابوت رخيص مما كان يشترى عادة من حانوت المتعهد لأفراد القوم وقد خلفه على العـرش « أحمس » وهو الذى وجد سـواره على مومية « كامس » والرأى السائد الآن أن « أحمس » كان أخاه الأصغر وهذا ماتوحى به كل القرائن التى جمعت من « جبانة طيبة » على أنهما كانا ابنى الفرعون « سقنن رع » والملكة « أعح حتب » ولم نعرف شـيئا مباشرا عن آثار هذا الفرعون إلا اللوح الذى وجده « كارنرفون » وسنتكلم عنه فيما بعد ، ولكن من جهة أخرى نعرف اثنين من الكهنة الذين كانوا فى حراسة قبر هذا الملك فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة . أولهما « مس » الذى كان يحمل ألقابا كاهنية فى معبدى الملك « تاعا » والملك « تحتمس » الأول وكان يعمل كاهنا جنازيا للملك « كامس » والكاهن الآخر اسمه « مس » أيضا ، وقد وجد له الأثرى « لا نسنج » بعض بقايا من آثاره فى « البرابى » ، وكان يقوم بوظيفة رئيس الكهنة للفرعون . وقد ذكرنا أن « كامس » كان يعدّ ضمن أرباب الغرب الذين يعبدون فى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

مقبرة الملك كامس :

وعلى الرغـم من أننـا حدّدنا المكان الذى وجدت فيـه موميته فإنه ليس من السهل تحـديد موقع قبره الأصـلى لأنه من المستحيل علينا أن نحدّد مقـدار المسافة التى تبعد بين مخبئه وبين مكان دفنـه الأصلى ، وموضع قبر هذا الفرعون فى القـائمة التى فحصت بمقتضاها القبور الملكية فى ورقة « أبوت » يعتـبر واحدا من القبـور الأخيرة التى وصـل إليها المفتشون قبـل معبد « منتوحتب الثانى » فى الدير البحرى ، وإذا فلسنا نبعد عن الصواب إذا جعلنا موقع قبره عند النهـاية

الجنوبية من واجهة « جبانة ذراع أبو النجا » الشرقية . وفى هذا المكان بالضبط عثر على هرم صغير أقيم من اللبن يرجع عهده إلى عهد الأسرة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ، فإذا جرؤنا على القول بأن هذا الهرم هو قبر الملك « كامس » فإن الأحوال تدل على أنه قبر هذا الملك أو قبر الأمير « أحمس ساب أير » وبخاصة لأنه قد رمم ثانية خوفا من العبث به (J. E. A. Vol. X. P. 262.) .

أما القبر الذى وجد فيه « اللورد كارنرفون » لوح هذا الفرعون الخاص بحروب الهكسوس فإنه يبعد عن هذا الهرم بنحو ١٥٠ مترا .

وقد عثر فى إحدى المقابر التى تجاور المقبرة التى عثر فيها على لوحة « كارنرفون » على جعران مركب فى خاتم من ذهب ومنقوش عليه الإله الطيب « وازخبر رع » معطى الحياة (راجع Newberry. "Scarabs" P. 1. XXVI, I) .

ولهذا الفرعون ثلاثة أسلحة فى المجاميع الأثرية الانجليزية قد يحتمل أنها من أحد مقابر حاشيته ، وكلها تحمل اسم هذا الفرعون ، وأجمل قطعة بينها سيف من النحاس آية فى دقة الصنع ، وهو فى مجموعة « إيفانز » منقوش عليه : « وازخبر رع » محبوب « أعح » وعلى نصله كتب أبو الهول الإله الطيب رب القربان « واز خبر رع » إنى أمير شجاع محبوب رع بن « أعح » (القمر) والذى أنجبه « تحوت » ابن الشمس (كامس) منتصرا فى الأبدية .

ولا نزاع فى أن هذا النقش يشعر بما كان يحسه هذا الملك من الثقة بنفسه فى المعركة المقبلة التى كانت تنتظره لطرد الهكسوس من البلاد فيقول : « إنى أمير شجاع » . وقد لقب والده من قبله « تاعا » الشجاع مما يدل على أن هذه الأسرة كانت سليلة الشجاعة والإقدام فى البلاد .

والسلاحان الآخران هما رأسا (بلطتين) متشاكلتين وهما مثل (البلطة) الفاخرة التى وجدت مع الملكة « أعح حتب » وتوجد إحداهما فى مجموعة « إيفانز » والأخرى

وهى أكثر الاثنتين حفظا موجـودة فى المتحف البريطانى[(١)]، وقد نقش على جانبى أولاهمـا : " الإله الطيب « واز خبر رع » معطى الحياة ابن الشمس « كامس » مخـلدا ، وعلى إحدى جانبى الأخرى : الإله الطيب « واز خبر رع » معطى الحياة ابـن الشمس الحـاكم الشجاع أبديا " . وعلى الجانب الآخر : " الإله الطيب « واز خبر رع » معطى الحياة ابن الشمس حاكم الجنوب أبديا " .

كامس يتخذ لنفسه اسما جديدا :

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه قد ظهر اسم غريب للملك « كامس » على لوحة من متاع أساس مبنى وهـذه اللوحة محفوظة بمتحف « ينفرستى كولج » قد سمى فيها « وازخبر رع » والحاكم العظيم[(٢)]، فعلى هذه الآثار نشاهد « كامس » يطلق عليه اسم التتويج « وازخبر رع » الأمير الشجاع ، « وأمير الجنوب » و « الأمير العظيم » ، وبعبارة أخرى نلاحظ أنه لم يتخذ لنفسه اسما شمسيا وحسب بل اتخذ كذلك بدلا من اسمه الشخصى اسما « رسميا » وهذا ما يدل على أنه تقدّم خطوة إلى الأمام أكثر من والده الذى أضاف لاسمـه الشخصى نعت « الشجاع » ؛ إذ أدخل تجـديدا فى تأليف الألقاب الفرعونية ، بجعل من هذه الصفة ما يدل على اسمه الشخصى . والظاهر أن الفرعون « أحمس » الأوّل قد حاول محاولات ضخمة ليستمرّ على هذا النحو فنجد بين مخاريط عثر عليها فى مقبرة أحد رجال حاشيته المسمى « تحوتى الكاهن الأوّل لآمون » ورئيس الخزانة ثلاثة مخاريط نقش عليها اسم الفرعون ولقبه بالنقوش التاليـة : " الإله الطيب « نب بحتى رع » معطى الحياة مخـلدا ، وابن الشمس « حاكم الأرضين » " وكذلك عثر على جعران فى مجموعة « جرنفيل » منقوش عليه (نب بحتى حاكم الأرضين) . ففى كل هذه الأمثلة نجد أن اسمه الأميرى « حاكم الأرضين »[(٣)]

---

(١) راجع : Budge, "Archeologia" (1892), P. 86.

(٢) راجع : Newberry, "Scarabs" Pl. XXVI, 2.

(٣) راجع : Petrie, "Ancient Egypt", 1916, P. 27, No. 16.

يحل محل اسمه « أحمس » ونجد كذلك أنه حتى « تحتمس » الأول قد حاول المحافظة على هذا التقليد (١) .

والظاهر أن السبب المباشر الذى دعا أولئك الفراعنة الأماجد الذين يؤلفون باكورة فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، وهم الذين على يدهم كان القضاء على قوم الهكسوس الغاصبين للبلاد إلى المحافظة على هذا التقليد ، هو أنهم أرادوا أن يظهروا للعالم المصرى أولا ، وللأمم المجاورة ثانيا أنهم قد أصبحوا حكاما على البلاد ريفها وصعيدها ، وأنهم نالوا ذلك بشجاعتهم ، وقوة بأسهم . فبدلا من أن يركبوا أسماءهم بأسماء الآلهة مزجوا أسماءهم بصفات الشجاعة أو ما يدل على القبض على ناصية القطرين ، فنعت « سقنن رع » أول مناضل مع الهكسوس نفسه بالشجاع ، ثم خلفه « كامس » وسمى نفسه « بالأمير الشجاع » ، ثم جاء بعده « أحمس » فأطلق على نفسه « أمير الأرضين » بدلا من اسم « أحمس » وأخيرا جاء « تحتمس » الأول وقلد جده فسمى نفسه كذلك « أمير الأرضين » والظاهر أنه بعد أن استقر لتلك الأسرة ملك البلاد نهائيا ، وأخذت فتوحهم تمتد خارج حدود مصر لم يروا ضرورة للتسمية بهذه المسميات .

لوح كارنرفون الخاص بحروب الملك « كامس » :

والآن نعود لشرح الجزء الذى قام به هذا الفرعون (أحمس) فى تحرير البلاد كما جاء على لوحة « كارنرفون » .

والواقع أنه هو الذى بدأ محاربة الهكسوس بصفة جدية ، وقد كان النصر حليفه ؛ إذ هزمهم شمالى الأشمونين فى مصر الوسطى ، وقد استقينا معلوماتنا عن حروبه هذه من نقوش على لوح من عصره كتب بالخط الهراطيقى عثر عليه « اللورد كارنرفون » فى « طيبة » كما سلف ذلك ، وقد كان المظنون فى بادئ

(١) راجع : Newberry, "Tĭmins Collection," Catalogue, 28, Pl. IX.

الأمر أنه حديث خرافة ، ولكن العثور على جزء من لوحة أثرية عليها جزء من نقش النص دل على أنها نص تاريخي ، وقد نشر الأولى الأستاذان « جاردز » و « جن »[(١)] ووجد الثانية « شفربيه » ونشرها المسيو « لاكو »[(٢)] . وهاك نص لوحة الملك « كامس » وهي بلا شك أول نص تاريخي يعتمد عليه :

« السنة الثالثة » — « حور » الظاهر على عرشه ، وصاحب الإلهتين ، لمعبد الآثار — « حور الذهبي الذي يجعل الأرضين مسرورتين ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (واز خبر رع ابن الشمس) " كامس " معطى الحياة مثل « رع » أبد الآبدين ، محبوب « أمون رع » سيد الكرنك .

الملك القوي في ربوع « طيبة » « كامس » معطى الحياة مخلدا ، كان ملكا محسنا وقد جعله « رع » ملكا حقيقيا ، وسلمه القوة بالحق المبين ، وقد تكلم جلالته في قصره الى مجلس كبار الدولة الذين كانوا في حاشيته قائلا إلى أي مدى أدرك كنه قوتي هذه عند ما أرى حاكما في « أواريس » وآخر في بلاد « كوش » (بلاد النوبة) وأنا أجلس (في الحكم) مشتركا مع رجل من « العامو » (الهكسوس) وعبد ، وكل رجل منهما مسئول على جزئه من مصر هذه ؟ وذلك الذي يقاسمني الأرض لا أجعله يمر في ماء مصر حتى « منف » تأمل ! إنه يسيطر على الأشمونين ، ولا يرتاح رجل لصيرورته عبدا للستيو (الأسيويين) و إني سأصارعه وأبقر بطنه ، و إن رغبتي هي تحرير مصر والقضاء على الأسيويين .

وعندئذ قال عظماء مجلسه . تأمل لقد تقدم الأسيويون حتى وصلوا إلى القوصية ، ولقد أخرجوا ألسنتهم لنا حتى آخرها (احتقارا كما يفعل الآن) . إننا في طمأنينة نملك نصيبنا من مصر ، و « إلفنتين » قوية ، والأرض الوسطى في جانبنا حتى « القوصية (وهي عاصمة المقاطعة التالية لمقاطعة الأرنب) . والقوم يحرثون لنا (أي الهكسوس) أحسن أرضهم ، وما شيتنا ترعى في مستنقعات الدلتا البردي . والشعير يدرس لخنازيرنا ، ومواشينا لم تغتصب ... ... بسبب ذلك وهو (العدو) يستولى على أرض العامو (أي أرض الدلتا) ونحن نملك مصر ، ولكن كل من يأتي إلى أرضنا ، و يناهضنا عندئذ سنناهضه .

وكانوا قد أغضبوا قلب جلالته (بقولهم هذا) : أما عن مجلسكم هذا ... ... فإن هؤلاء العامو الذين ... . تأملوا فإني سأحارب العامو و إن النصر سيأتي و إذا ... ... بالبكاء فإن

(١) راجع : J. E. A., III P. 95 - 110 & ibid Vol. V.

(٢) راجع : A. S. Vol., XXXV P. III.

الأرض قاطبة سترحب بى بوصفى الحاكم القوى فى داخل « طيبــة » « كامس » حامى مصر ، ولقد أقلعت منحدرا فى النيل بوصفى محاربا لأهزم « العامو » بأمر « امون » صادق النصيحة ، وقــد كان جيشى شجاعا يسير أمامى كأنه عاصفة من نار ، وكان جنود « المــازوى » فى مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع الستيو ، وليدمروا مواقعهم شرقا وغربا ، ومعهــم طعامهم وأدمهم ، وقــد كان جيشى مكتظا بالمؤن فى كل مكان . وقد أرسلت جيشا من « المــازوى » فى حين أنى قد أمضيت اليوم ... ... لأحبس ؟ ... ... « تيتى » بن « بيوبى » داخل « « نفروسى » وهى مدينة على بعد بضعة أميال شمالى الأشمونين ، وتقع بين الأخيرة والكوم الأحمر) ، وكنت لا أريد السماح له بالهرب ، ثم جعلت « العامو » الذين اعتدوا على مصر يولون الأدبار ، وقد كان مثله كمثل رجل ... ... قــوة العامو . ومضيت الليلة فى سفينتى وقلبى فرح ، وعندما أضاء النهار انقضضت عليه كالصقر ، وعند ما جاء وقت تعطر الفم (الإفطار) كنت قــد هزمته وخربت أسواره ، ذبحت قــومه ، وجعلت زوجه تنزل الى شاطئ النهــــر .

وكان رجال جيشى كالأسود عندما ينقضون على الفريسة ، ومعهم العبيد والقطعان والأدم والشهد ، فقسموا غنائمهم وقلوبهــم فرحة ، وكان اقليم « نفروسى » على وشك السقوط ، ولم يكن بالأمر العظيم عندنا أن تحبس زوجه ؟ ... ... وكان « برشاق » غير موجود عندما وصــلته ، وهربت خيولهم فى الداخل ، والحامية (؟) ... ... » .

محتويات هذا اللوح :

و إذا لخصنا محتويات هــذا النص فإنه يتضح منــه أن « كامس » أراد أن يخلص مصر من قبضــة الأسيويين الذين لم يكونوا يملكون الدلتــا وحدها ، بل كانوا وقتئذ قد زحفوا نحو الجنوب حتى مصر الوسطى وقــد حاول نصحاء الملك « كامس » أن يمنعوه إعلان الحرب قائلين له إنه يتمتع بحقوق زراعية فى الأراضى التى يستولى عليهــا الأجنبي (ولا يبعد أن تكون هــذه العبارة الأخيرة حيلة أدبية كان الغرض منها تبرير نوايا « كامس » . وجعلها أعمالا شريفة خالدة) ولكنه على الرغم من ذلك جهز جيوشه وأقلع شمالا منحدرا فى النيــل وهزم الهكسوس هزيمة منكرة عند « نفروسى » (؟) وهــذا المكان غير معروف موقعه ، ولكنه على ما يظهر يقع على مسافة بضعة أميال شمــالى « الأشمونين » ومن المحتمل أنه

يقص علينا فى الجزء الذى لم يدوّن أن من نتائج هذه الهزيمة طرد الهكسوس ثانية إلى أرض الدلتا حيث نجدهم هناك فى عهد الملك الذى خلفه ، غير أن هذا القول لايخرج عن كونه مجرّد زعم قد يصيب وقد يخطئ . هذا ومما نقش فى اللوحة نعلم أن البلاد كانت فى زمنه ثلاثة أقسام ، فكانت الدلتا ومصر الوسطى فى قبضة الهكسوس ، ومصر العليا يحكمها ملوك «طيبة» فى حين أن بلاد النوبة منفصلة عن مصر يحكمها ملك أسود من بلاد « كوش » . ولا يبعد أن « كامس » هذا بعد أن هزم الهكسوس وأرجعهم إلى الدلتا حول نظره نحو بلاد النوبة وهزمها ، واستولى عليها ، إذ نجد اسمه مقرونا باسم أخيه « أحمس » على صخرة بالقرب من تشكه [١] .

وخلف « أحمس الأوّل » على عرش الملك (١٥٨٠ — ١٥٥٧) الملك « كامس » وعلى الرغم من أنهما من أسرة واحدة فإن الملك الجديد كان يعد على حسب ما جاء فى « مانيتون » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة [٢] .

ولا نزاع فى أن فكرة « ما نيتون » ووضع « أحمس » الأوّل على رأس أسرة مصرية جديدة كانت فكرة موفقة من الوجهة التاريخية المصرية لأنه هو الذى طرد الهكسوس المبغضين للصريين ، والمدهش أن معلوماتنا عن هذا العصر من الوجهة الحربيــة لم تصلنا عن طريق النقوش التاريخيــة الملكية ، فلم نعثر إلى الآن على نقوش خاصــة بالهكسوس جاءتنــا عن طريق وثائق الملك « أحمس » اللهــم إلا نصا واحدا نجده قد أشار اليهم إشارة بعيدة . بذكر حوادث نعــلم من مصادر أخرى أنهــا قد وقعت ، فقد ذكر لنا على لوحة هامة ستتناول الكلام عنها فيما بعد يقول : « لقد كان زئيره فى أراضى « الفنخو » (بلاد فينقيا وسوريا) [٣] » .

(١) راجع : Weigall. A Report on the Antiquities of Lower Nubia LXV.

(٢) راجع : Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia", Pl. LXV.

(٣) راجع : Urk IV, 18 : 6 & J. E. A., V. P. 52.

النصوص الخاصة بحروب الهكسوس :

ولذلك فلا بدّ أن نحوّل أنظارنا إلى ترجمة حياة رجلين من كبار رجال الجندية فى عصر هذا الفرعون لنقف على بعض تفاصيل عن طرد الهكسوس . وأولهما هو « أحمس بن أبانا » (أبانا اسم والدته) وقد التحق بخدمة الفرعون « أحمس » فى أوائل حكمه ، وقبل مماته ترك لنا قصة تاريخ حياته على جدران قبره بالكاب .

وهاك ما جاء فيها خاصا بحروب الهكسوس (١) **:**

يقول الضابط البحرى « أحمس » بن « أبانا » (أبانا اسم والدته) صادق القول :

«أيها الناس إنى أتكلم اليكم جميعا ، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التى نلتها وكيف أنى قد كوفئت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة ، وكذلك بالعبيد والإماء ، وكيف أنى قد منحت أراضى شاسعة جدا ، لأن اسم الرجل الشجاع يمكث فى الشىء الذى فعله و إنه لن يفمر (اسمه) فى هذه الأرض الى الأبد .

وهكذا تكلم : لقد نشأت فى مدينة (نخب) الكاب الحالية ، وقد كان والدى جنديا لملك الوجه القبلى والوجه البحرى المرحوم « سقنن رع » واسمه « بابا » بن « رعنت » وقد انخرطت جنديا بدلا منه فى سفينة الثور الوحشى ، فى زمن سيد كلتا الأرضين ، صادق القول «نب بحتى رع» (أى الملك أحمس) حينما كنت شابا ، ولم أكن قد اتخذت لى زوجا ، بل قضيت ليالى فى سرير بحار ، وعندما أسست منزلا (أى تزوجت) نقلت على ظهر السفينة المسماة « الشمالية » لأنى كنت شجاعا ، وكنت قد اعتدت مصاحبة الملك على الأقدام ، فى خلال أسفاره إلى الخارج فى عربته ، وعندما جلسوا أمام مدينة « أواريس » (حاصروها) أظهرت شجاعة ، وأنا على قدمى فى حضرة جلالته ، وعلى ذلك رقيت إلى السفينة المسماة « الظهور » فى « منف » .

وعندما بدءوا الحرب على الماء فى القناة « بزدكو أواريس » أسرت أسيرا وأحضرت يدا ، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون ، ومن أجل هذا أعطيت « ذهب الشجاعة » .

وقد أعيد القتال فى هذا المكان ، وقمت بأسر أسير آخر هناك ، وأحضرت يدا فأعطيت « ذهب الشجاعة » ثانية ، وعندما حاربوا فى مصر فى الجزء الجنوبى من هذه البلد (أى أواريس) أحضرت أسيرا حيا . وقد ذهبت به إلى الماء لأنه كان قد أسر فى الجهة التى فيها المدينة ، وحملته معى فى الماء إلى

(١) راجع : J. E. A. Vol. V, P. 48 ff.

الجهة الأخرى ، وقد أعلن حاجب الملك بذلك ، وتأمل : لقد كوفئت « بذهب الشجاعة » من جديد ثم ساروا بعد ذلك لنهب « أواريس » وقد أحضرت من هناك أسلابا : رجلا واحدا وثلاث نساء أى مجموع أربعة رءوس ، وقد أعطانيهم جلالته عبيدا . ثم حاصروا بلدة « شروهن » ثلاث سنوات ، وعندما نهبها جلالته أحضرت من هناك غنائم : امرأتين ويدا ، وقد أعطيت «ذهب الشجاعة» ، وتأمل فإن غنيمتى قد أعطيتها عبيدا .

والآن عندما ذبح جلالته «منتيو» (آسيا) صعد جنوبا إلى «خنت حن نفر» (بلاد النوبة) ليقضى على بدو « بلاد النوبة » وبدأ جلالته مذبحة عظيمة فيهم ، وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة : رجلين على قيد الحياة ، وثلاث أيد ، وقد كوفئت بالذهب من جديد . انظر ! فقد أعطيت أمتين ، وأقلع جلالته شمالا وقلبه فرح (بما أوتى) من شجاعة وفوز ، لأنه استولى على الجنوبيين والشماليين .

وبعد ذلك جاء «آتا» صاحب الجنوب إذ ساقه حتفه ، وآلهة الوجه القبلى مستولون عليه ، وقد وجده جلالته فى « تنتاعا » (مورده) ، وأحضره جلالته أسيرا حيا ، وكذلك أخذ كل قومه غنيمة باردة ، وبعد ذلك أحضرت محاربين أسيرين من سفينة «آتا» وأعطيت خمسة رءوس وجزءا من الأرض مساحته خمسة « أرورا » فى مدينتى ، وقد كوفئ كل الأسطول بمثل ذلك .

ثم أتى ذلك الخامئ المسمى « تيتى عن » وقد جمع العصاة معه ، فذبحه جلالته وقضى على بحارته ، وبعد ذلك أعطيت ثلاثة رءوس وخمسة « أرورا » فى مدينتى .

وحملت على الماء ملك الوجه القبلى والوجه البحرى المرحوم «زسر كارع» (أمنحوتب الأول) عندما كان متجها جنوبا إلى « كوش » ليوسع حدود مصر ، وقد قضى جلالته على ذلك النوبى البدوى فى وسط جيشه ، وأحضره إلى مصر فى الأغلال ، ولم يفلت واحد منهم ومن أراد الفرار ألقى أرضا وصار كالذين لم يسبق لهم وجود أبدا ؛ والآن كنت فى مقدمة جيشنا ، وقد حاربت بكل شجاعة ، ورأى جلالته شجاعتى ، وقد أحضرت يدين ، وقدمتا لجلالته ، وعندما ذهبوا ليبحثوا عن قومه وماشيته أحضرت أسيرا حيا وقد قدم لجلالته ، وحملت جلالته فى يومين الى مصر من بئر « حراو » وكوفئت على ذلك بالذهب ، ثم أحضرت أمتين غنيمة خلافا للاتى قدمتهن لجلالته ، وقد رقيت الى وظيفة محارب للحاكم (لقب حربى) .

وقد حملت على ظهر الماء ملك الوجه القبلى والوجه البحرى المرحوم « عاخبر كارع » (تحتمس الأول) عندما كان مصعدا جنوبا إلى بلاد النوبة ليقضى على العصيان فى كل الأراضى ، وليطرد المغيرين من الأقاليم الصحراوية ؛ وقد أظهرت شجاعة فى حضرته فى المياه المضطربة ، وذلك بجمل السفينة تقتحم الشلال ، وعلى ذلك رقيت ضابطا بحريا .

وقد سمع جلالته أن ... ... وصار جلالته غاضبا عند ذلك كأنه فهد ، وأرسل جلالته سهمه ؛ وقد لصق أوّل سهم فى عنق التمس . وهؤلاء العصاة كانوا ... ... وارتبك عند صل جلالته . وقد أقيمت هناك مذبحة لمدة ساعة ، وأحضر قومهم أسرى .

ثم انحدر جلالته فى النهر نحو الشمال ، وكل أراضيه الأجنبية فى قبضة يده ، و رأس ذلك الخاسئ النوبى البدوى منكس فى مقدّمة سفينة جلالته (الصقر) ونزلوا فى « الكرنك » .

وبعد ذلك قام (جلالته) بحملة إلى بلاد « رتنو » ليغسل قلبه (أى لينتقم) من كل البلاد الأجنبية ، فوصل جلالته نهرينا (أى بلاد النهرين) أو (مسوبوتاميا) .

وقد وجد جلالته ذلك الخاسئ عند ما كان ينظم قواته . وقد أحدث بينهم مذبحة عظيمة ، وكان الجنود الأسرى الذين أحضرهم جلالتــه من انتصاراته يخطئهم العــد وكنت فى مقدمة جيشنا ، وقد رأى جلالته كيف كنت شجاعا . وقد غنمت عربة بجوادها ، وكان الجندى الذى فيها أسيرا حيا ، وقد قدّمت هــذه لجلالته ، وكوفئت بالذهب من جديد ، و إنى قد أصبحت مقعدا ووصلت إلى سن الشيخوخة ، ولكن العطف الذى أظهر لى كان مثل العطف الأوّل ... ... إنى أضطجع فى القبر الذى أقتــه لنفسى فى الأرض العـالية (الجبـانة) .

أهمية نصوص تاريخ حياة أحمس بن أبانا :

وقــد كان المصرى يبذل همــه فى إلباس الحقائق المجــرّدة ثوبا من التنميق والزخرفة فلم نجد فى الوثائق المعاصرة التى فى متناولنا شيئا من حقائق التاريخ المجرّدة الخاصة بالاستيلاء على « أواريس » وهى حادثة تاريخيــة من الأهمية بمكان اللهم إلا فى ترجمة حياة ضابط حربى نقشها على جدران قبره فى بلد ريفية بعيدة .

ولقد ترك لنـا « أحمس » آثارا عامة لنفسه ومن بينها لوحة كبيرة من الأهمية بمكان جاء فيها أشياء عدّة عن أعمال هــذا الفرعون وما كان لوالدته من المكانة فى تاريخ البلاد، وقد أشار فيها إلى الأعمال الحربية التى قام بها فى الكلمات التالية : إنه ملك جعــله « رع » يحكم وعظم من شأنه « آمون » فهما يعطيانه الأصقاع والممــالك كلها دفعة واحدة ، وحتى كل ما يشرف عليــه « رع » وسكان الصحراء يقتربون منــه خاضعين فى موكب ، و يقفون بأبوابه ، ورهبته بين أهل النوبة ،

وثئيره فى أراضى « الفنخو » والخوف من جلالته فى قلب هـذه الأرض مثل الإله « مين » فى عام حضوره . وهم يحضرون له الجزية الطيبة ، محملين بالعطايا لهـذا الملك(١) ، فما أعظم الفرق بين هذا وبين الأسلوب التاريخى الذى نقرؤه فى الوثائق البابلية ، غير أنه إذا كان الأول كلاما طنانا وثرثرة خالية من المعنى، مما يجعل نفس الإنسان تثور حنقا ، فإن الثانى ممحل مجدب يقص الحوادث الجافة كأنها عظام نخرة لجسم هامد لا تدب فيه الحياة .

وعلى أية حال فإننا لا نجد فى قصة « أحمس » نقيصة مما تتصف بها المتون المصرية فى مثل هذا الموضوع . ويحتمل أنه هو الذى قد أملاها بنفسه ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن ننظر إليه من جانبنا على أنه كان محاربا مسنا يقص قصته بصراحة دون أن يرخى للسانه العنان فى تمنيق الألفاظ والإسفاف مع الإسهاب فى التعبير ، والظاهر أن والده كان جنديا بسيطا أو بحارا وحسب ،وتاريخ الأسرة هنا يكشف لنا عن كيفية ظهور طبقة جديدة موالية ملتفة حول الفرعون فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، إذ بعد ذلك بنحو ثلثمائة سنة نقرأ فى عهد «رعمسيس» الثانى عن المنازعات القضائية لأسرة قد كونت ثروتها مثـل « أحمس » بن « أبانا » من هبة أرض قـدمها « أحمس » الأول لفرد يدعى « نشى » كان ضابطا أمينا للسفن(٢) . وفى بداية ترجمة حياته نجد « أحمس » يفتخر بأنه قد كوفئ بأراض كثيرة جدا ، ومن الجائز أن نواة هذه الثروة هى الهبة الصغرى من الأرض التى كافأه بها «أحمس» الأول ، وهى التى تبلغ مساحتها فى هذه المرة خمسة (أرورا) أى نحو ثلاثة أفدنة ونصف فدان تقريبا ، وبعد ذلك بقليل أعطى مثلها . والظاهر على الرغم مما فى المتن من تهشيم أن أحد الملوك الذين أتوا بعد «أحمس» قد منحه فضلا عما عنده ستين أرورا أخرى (أى نحو ٤١ فدانا انجليزيا) ، وإذا أضفنا المنح الأخرى التى

(١) راجع : Sethe, "Urkunden, IV", PP. 17 - 18.

(٢) راجع : Gardiner, "Inscriptions of Mes", P. 25.

قد ضاع عددها فى الثغرات التى نجدها فى المتن أمكننا أن نقـدّر ضيعته بنحو مائة أرور عنـد موته ، أو ما يقرب من سبعة وستين فدانا انجليزيا ، وإذ قرنا هـذا بالمـائة والخمسين أرورا التى منحها تحتمس الأول أحد ضباطه أمكننا أن نستنبط أن « أحمس » حتى فى نهاية خدمته الحكومية لم يكن قد وصل إلى الوظيفة الرفيعة التى تسند إليه أحيانا (أمير البحر) . والواقع أنه رجل من عامة الشعب قد جنت له شجـاعته ثروة طائلة ، ولكنه على وجه التأكيـد لم يكن أميرا بحريا للأسطول المصرى كما يقال عنـه ، ومن المحتمل أنه كان له أقران فى مدينته التى ولد فيها . والقائمة الخاصة بالأراضى التى منحها إياه « أحمس » تتبعها قائمة أخرى تنص على العبيد الذين أعطاهم إياه الفرعون .

ومعظم أسماء هـذه القائمة هى أسماء مصرية ، ولا بد أن نستنبط على الأقل أن بعض الأجانب الذين ضموا إلى بيت « أحمس » قـد غيروا أسماءهم الأجنبية بأسماء مصرية ، والاسم الوحيد الذى يمكن أن نعـده (بشىء من الصحة) اسمـا ساميا هو اسم الأمة « استارام » وهو الذى قد ركب على ما يظهر تركيبا مزجيا مع اسم الإلهة « عشتارت » ، ويقول « بورخارن » إنه يتركب من اعشتارامى : أى « عشتارت أمى » ؛ وإن كان ذلك ليسْ محققا. والاسم « تاموثو » قد قرن بأسماء عبرية مثل « آموس » ، غير أنه وجد أن مصرية من علية القوم تحمل هـذا الاسم بعد ذلك العهد بقرن من الزمان .

أحمس ابن أبانا وأعماله فى حروب الهكسوس

والآن يجب أن نعود للحملة التى اشترك فيهـا « أحمس » والتى كان من جرائها منحه «ذهب الشجاعة » خمس دفعات فى عهد «أحمس» الأول ومرة فى عهد كل من خلفيه، ويدل حصار« أواريس » من طريقة سرد وقائعه على أنه كان حصارا طويل الأمد . وقد رقى «أحمس» مرة، وكوفئ مرتين قبل أن يقوم بالعمل الذى توج حياته فى هذه الحملة؛ ومن المحتمل أن المصريين كانوا قد صدّوا، وأجبروا على

التقهقر لمدّة ما لأنهم كانوا وقتئذ يحاربون فى الإقليم الواقع جنوبى المدينة، وكذلك جنوب فرع من فروع النيل كما يظهر، أو قناة ربما كانت تسمى « قناة بزدكو » وهى تقع بين المدينة و بين المصريين . والظاهر أن « أحمس » قد ترك رفاقه وذهب على متن الماء منحدرا فى النهر، وقد أسر واحدا من الهكسوس على الشاطئ الذى يعسكر عليه الهكسوس، وخاض به فى الماء إلى الشاطئ الذى عليه المصريون، والأسير على ظهره، وقد كوفئ على هذا العمل بالذهب من جديد . الحادث التالى الذى نسمع عنه هو تخريب «أواريس» وهو الذى منح من أجله عبدا وثلاث إماء نصيبه من الغنائم، وذكرى هذا الحادث قد وصل إلى عهد الإغريق، وذلك لأن مؤرّخا يسمى « بطليموس » المنديسى قد وصلته قصة تقويض « أحمس الأوّل » « لأواريس » حتى الأرض[1] .

و بعد ذلك جاء حصار « شاروهن » وهى بلدة فى قبيلة « سيمون » جنوبى « يوده » ، وهى التى قد تقهقر إليها الهكسوس . وقد سلمت بعد حصار ثلاث سنوات، وقد كان « أحمس » حاضرا، واشترك فى الغنائم، وقد وجد الأستاذ « زيته » فى مقدمة تاريخ « تحتمس » الثالث المهشم ما يعتبره إشارة إلى استقرار حامية الهكسوس فى « شاروهن » ولكن هذه العبارة تظهر لنا أنها تشير إلى عسكرة الجنود المصرية فى البلدة إلى أن أصبح مركزهم مهدّدا بعصيان واسع النطاق فى سوريا، وذلك عند ما شعر الفرعون بأنه لابد من تدخله وحمايتهم .

(وترجمة زيته لهذه الفقرة ما يأتى[2]) :

« السنة الثانية والعشرون، الفصل الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس والعشرون مر جلالته بقلعة « ثاروا » فى أوّل قلعة مظفرة، ليطرد الذين هاجموا حدود مصر بشجاعة ونصر، وبقوّة وفوز .

---

(١) راجع : Tatian, or. ad. Gr. 159 (J. E. A. Vol. 5, P. 54 Note 1.

(٢) راجع : Sethe, A. Z. XLVII (1910) P. 84.

وقد مرت مدة طويلة من السنين كان فيها الأسيويون يحكمون البلاد اغتصابا ، والكل يخدمون أمام (أمرائهم الذين كانوا فى أواريس) وقد اتفق فى أزمان أخرى أن الحامية التى كانت هناك كانت فى مدينة « شاروهن » وهم الآن من « يرذ » حتى نهاية الأرض فى استعداد للثورة على جلالته » .

غير أن هذه الترجمة قد عارضها الأستاذ « جاردنر » من وجوه عدة[1] .

على أن سقوط « شاروهن » لم ينه حملة «أحمس » الأول فى فلسطين ، وذلك لأن لدينا جنديا آخر يدعى « أحمس بنخبت » من مدينة « الكاب » أيضا يخبرنا كيف أنه سار فى ركاب الملك إلى « زاهى » أو « فينقيا » حيث أسر أسيرا ويدا . أما عن « أحمس بن أبانا » فإنا نسمع عنه ثانية فى بلاد النوبة حيث قام بأعمال جليلة جديدة ، وكوفئ عليها بكرم .

أما الحملتان الأخريان اللتان حارب فيهما فى عهد « أحمس » الأول فكانتا على ما يظهر فى مصر نفسها حيث قام عصيان أولا بقيادة عدو مغمور الذكر ، قد يحتمل أنه نوبى يدعى « آتا » ، وثانيا عصيان آخر بقيادة شخص يدعى « تيتى عان » وهو على مايظهر من اسمه قد يكون مصرى المنبت .

ما نستخلصه من رواية أحمس بن أبانا عن حروب الهكسوس :

ومما يؤسف له أن قصة « أحمس بن أبانا » التى تكلمنا عنها الآن ينقصها كثير من التفاصيل الهامة لهذه الحروب ، ومع ذلك فإننا من المكافآت العدة التى نالها « أحمس بن أبانا » ثمنا لشجاعته — وقد كان فخورا معتزا بها — نعلم بطريق المصادفة تقريبا أن الهكسوس كانوا قد حملوا على « أحمس » خمس حملات أربعا منها فى « أواريس » نفسها . وإذا كانت هذه الهجمات قد وقعت فى خلال سنة واحدة أو أكثر فلا سبيل إلى معرفة ذلك من النص الذى قدمناه للقارئ ، ولكننا نعلم أنه عند نهاية الهجوم الخامس والأخير قضى على النفوذ الأجنبي بجميعه ، إذ قد

---

(١) راجع : J. E. A. Vol. V, P. 54 note 2.

أصبحت « أواريس » مدينة مخربة فى وسط سهول الدلتا . وعلى أثر هذا الانتصار المبين ، اقتفى « أحمس » أثر الهكسوس متجها نحو الجزء الشمالى من صحراء « سينا » إلى أن تحصنوا بمدينة « شاروهن » الواقعة فى فلسطين الجنوبية ، وضرب عليهم الحصار فيها ثلاثة أعوام (وشاروهن) بلدة ضمن قبيلة «سميون» كما سبق،[١] وعلى الرغم من أن موقع هذه المدينة لم يحدد بالضبط فإنه من المحتمل أنها توجد ببلدة «تل الفارا» الحالية ، وهى معروفة بأنها مؤسسة هكسوسية قوية[٢] . وفى النهاية استولى المصريون على المدينة ، وخلافا لهذه الحقيقة العارية عن كل تفصيل لم يقص علينا هذا الجندى إلا ما كسبه بنفسه من غنائم وذهب الشجاعة الذى كوفئ به . أما الفصل التالى فى تاريخ حياة « أحمس بن أبانا » هذا فخاص بحملات بلاد النوبة ، وأقل ما نعلمه منها أن حدود البلاد الشمالية كانت فى مأمن من أى اعتداء وقتئذ ، وليس لدينا بعد ذلك إشارة إلى آسيا فى التاريخ المصرى حتى عهد « تحتمس » الأول عند ما قاد « أحمس بن أبانا » جيش الفرعون إلى « نهرينا » وهو طاعن فى السن كما ذكرنا .

الدور الذى قام به أحمس « بنخبت » فى حروب الهكسوس :

على أن الحملة التى قام بها « أحمس » الأول على الهكسوس لم تكن نهايتها سقوط « شاروهن » ، وقد رأينا فيما سبق أن الملك نفسه قد أشار إلى الخوف الذى كان يملأ قلوب الناس منه فى أراضى « الفنخو » . هذا إلى ما جاء ذكره عن حروب هذا الفرعون فى آسيا فى تاريخ حياة «أحمس بنخبت» ، وهو بطل من أبطال الجندية ، ولد فى نهاية الأسرة السابعة عشرة وعمر حتى عهد الملك « تحتمس » الثالث ، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران مقبرته فى « الكاب »[٣] فيقول .

(١) راجع : Joshusa, 19. 6.

(٢) راجع : Albright, "The Archeology of Palestine & the Bible" 2nd. ed. New York 1933, P. 53 & n. n. 82 - 84.

(٣) راجع : Breasted, A. R. II, §. 20; Urkunden IV, P. 35, 17.

" لقد رافقت ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب بحتى رع » (أحمس الأول) المرحوم وقد غنمت له من « زاهى » أسيرا حيا ويدا " و « زاهى » هذه تعرف على وجه عام عند المؤرخين بأنها « بلاد فينقيا » (١) ولكنا فى الواقع لا نعرف لأراضى « الفنخو » التى سبق ذكرها حدودا جغرافية معينة قد وضعها الباحثون فى عصرنا ، كما أن القدماء لم يحددوها لنا ، وكل ما نعلمه أنها كانت على وجه التأكيد تقع شمالى « شاروهن » .

الاشارة إلى حروب الهكسوس فى المتون المصرية :

وهذه المصادر الضئيلة التى لا تشفى غلة هى كل ما وصل إلينا من وثائق مدونة عن تاريخ الهكسوس السياسى حتى وقت طردهم من مصر جملة . وقد كان الفراعنة الذين جاءوا بعد هذا الحادث الجلل فى تاريخ البلاد يشيرون إليه فى نقوشهم وإلى ما لاقته البلاد من بؤس وشقاء فى عهد أولئك الغزاة القساة ، فنجد على ما يظهر « تحتمس » الأول يشير إلى ذلك فى نقوش لوحة كشف عنها فى «العرابة» قال فيها : لقد جعلت حدود مصر تمتد إلى ما تحيط به الشمس ، ولقد هيأت النصر لأولئك الذين فى وجل ، ولقد أبعدت الشر منها ، ولقد جعلت مصر تصبح سيدة ، وكل أرض أصبحت عبيدا لها (٢) . ويلحظ فى هذه العبارة أن الهكسوس لم يذكروا بالاسم ، غير أنهم من غير جدال كانوا فى ذهن المؤلف وهو يكتب هذا المتن (٣) . وفى عهد الملكة « حتشبسوت » أصدرت الأوامر بحفر نقش على مدخل المعبد المنحوت فى الصخر فى « بنى حسن » وهو المكان المعروف الآن عند العامة باسم « اصطبل عنتر » ، وعند اليونان باسم « سبيوس » وسنتكلم عنه فيما بعد .

---

(١) ويقول عنها «زيته» أنها منذ الدولة الحديثة تعتبر الأراضى التى على ساحل فينقيا (راجع ترجمة Urk. P. 9 note 4.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 102 ; 11 - 15.

(٣) راجع : Urkunden IV, P. 647 : 12 - 648 : 7.

والجزء الخاص بالإهداء فى هذا النص هو « لقد أنجزت هذه الأشياء بتدبير قلبى، ولم أغفل بوصفى إنسانا نساءة بل لقد قويت ما تداعى ، ولقد رتقت ما تمزق ، وذلك منذ أن كان الأسيويون فى « أواريس » الشمال ومعهم قبائل حائلة بينهم، هادمين ما كان قائما ، وقد حكموا بدون « رع » وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهى حتى عهد عظمتى[١] » .

وفى الوقت الذى كان لا يخامر فيه الشك فكر أى إنسان فى أن الهكسوس لم يبق لهم أى نفوذ فعلى مادى فى البلاد بعد أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، كان لا بدّ من قيام أعمال حفر واسعة النطاق إلى حدّ ما للاقتناع بأن الهكسوس بقوا مستوطنين فى فلسطين وسوريا حتى عهد « تحتمس » الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق م) بل ويحتمل حتى عهد « امنحوتب » الثانى (١٤٤٨ — ١٤٢٠ ق ٠ م)، وقد كان أول من فطن إلى هذه الحقيقة الأستاذ « برستد » وقد بنى استنباطه هذا على ما لاحظه بذهنه الحادّ عن أحوال بداية الأسرة الثامنة عشرة فى غربى آسيا[٢] ، فقد رأى أن آخر طائفة للهكسوس لم يقض عليها إلا فى حروب « تحتمس » الثالث . وقد وصل الأستاذ « زيته » كذلك إلى نفس النتيجة التى وصل إليها « برستد » بانيا رأيه على لقب كان يحمله كل من « تحتمس » الثالث وابنه « امنحوتب » الثانى، وهذا اللقب هو : « ضارب الهكسوس الذين هاجموه (حوى حقا وخاسوت بحوسو)[٣] . وكذلك نجد عبارة تشير إلى وجود هذا اللقب فى عهد « امنحوتب » الثانى على لوحة عثر عليها فى « أمادا[٤] » .

وسنرى فيما بعد إلى أى حدّ قد حققت الحفائر هذا الرأى .

---

(١) راجع : J. E. A. V. P. 55, & Urkunden IV. P. 390 : 5 - 11. & J. E. A. XXXII P. 46 etc.

(٢) راجع : Breasted, "A History of Egypt", P. 220.

(٣) راجع : A. Z ; XLVII, P. 86 ff.

(٤) راجع : ibid P. 85.

مدى فتوح الهكسوس فى مصر :

وقبل أن نترك موضوع الهكسوس كما نعرفهم من المصادر المكتوبة يستحسن أن نفحص باختصار مدى امتداد نفوذهم الجغرافى فى مصر خلال احتلالهم لها . فقد روى لنا «مانيتون» أن الهكسوس عند فتحهم البلاد قد استولوا عليها جميعا، غير أن هـذا التعميم يحتاج إلى إثبات بطبيعة الحال . ونحن لا نشك فى أن الدلتا كانت فى قبضتهم، وكذلك فى العهد الأخير من الأسرة السابعة عشرة امتد سلطانهم حتى مصر الوسطى كما نعلم ذلك من لوح « كارنرفون » الأوّل السالف الذكر ، على أنه لا يمكننا أن نجزم حتى الآن فيما إذا كان الغزاة قد احتلوا البلاد جنوبى مصر الوسطى أم لا ، هذا على الرغم من وجود آثار تنسب إلى ملوك الهكسوس فى هذه الجهة مثل آثار الملك «خيان» كما ذكرنا سالفا[١]، وآثار الملك «سوسرن رع» « أبوفيس »[٢] وهما ملكان من أعظم ملوك هذا العصر[٣] .

وقد عارض الأثرى « هول » هـذا الرأى ، إذ كان يرى أن استعمال الملك « أبو فيس » ملك الهكسوس جرانيت « أسوان » لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان مسيطرا على البلاد حتى الشلال الأوّل[٤] . وهذا الرأى منقوض لأن وجود رخام بلدة « كارارا» خارج إيطاليا لا يعنى أن إيطاليا بلد محتلة . والواقع أن التبادل المشترك أو التجارة وحدها يمكن أن يكون السبب فى وجود الأحجار التى تستخرج من أرض الجنوب فى بلاد الشمال .

(١) راجع : Daressy, "Rec. Trav, XVI. (1894) P. 42, No. LXXXVIII.

(٢) راجع : ibid XIV, P. 26, No. XXX.

(٣) راجع : Newberry P. S. B. A. XXX, P. 119 f.

فيقول الأستاذ « نيو برى » إن الهكسوس لم يحتلوا البلاد قط جنوبى «القوصيه» وقد بنى استنباطه هذا على قلة البراهين من مصر الجنوبية ومن لوح « كارنرفون » ومن نقوش « اصطبل عنتر » التى يظهر منها أن « حتشبسوت » لم تجد ضرورة لإعادة بناء معابد جنوبى المعبد الموجود جنوبى «القوصيه» .

(٤) راجع : Hall, "The Ancient History of the Near East" (1920) P. 225.

على أنه توجد بعض أدلة قد تبرهن على أن ملوك الهكسوس كان لهم سلطان فى الجنوب . فمثلا نلاحظ أن الملك « خيان » خلافا لتسميته نفسه « حاكم البلاد الأجنبية » كان يحمل لقب « ضام الأرضين » أى مصر السفلى ومصر العليا (١) . حقا إن هذا اللقب له تأثيره على الآذان ، ولكن هل هذا فى نفسه برهان صادق يعتمد عليه كما هو ؟ إن بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة لم يحكموا الدلتا التى كانت وقتئذ فى قبضة الهكسوس ، ومع ذلك فقد استعملوا ألقابا طنانة مثل « ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى » وكذلك « رب الأرضين » مما يدل على أنهم كانوا يحكمون البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وهذا ما لا يبرره الواقع . ومن جهة أخرى تدل الأحوال على أنه من الجائز أن تكون البلاد كلها منذ بداية حكم الهكسوس فى الدلتا ، (ويحتمل كذلك معظم مدّة حكمهم) كانت تحكم نفسها بنفسها بموافقة الغزاة .

ولدينا براهين معاصرة قد توضح لنا ذلك ، ففى نهاية الأسرة السابعة عشرة نشاهد أن الملك « سقنن رع » الشجاع ، كان يحكم فى « طيبة » تحت نفوذ ملك الهكسوس كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . ولكن من جهة أخرى ليس لدينا براهين فاصلة عن هذا النوع من الحكم فى بداية عهد الهكسوس والعصر الذى جاء بعده، وليس فى استطاعتنا أن نجزم بأن الهكسوس كانوا يسيطرون على الإقليم الذى فيه « طيبة » أو الإقليم الذى فى جنوبها إلى أن تصل إلينا معلومات تؤكد ذلك . وكل ما يمكن زعمه فى هذا الصدد هو أن بلاد الجنوب كانت تدفع جزية فادحة للهكسوس أصحاب السيادة فى الدلتا ، وقد بقيت الحال كذلك حتى مل أهل الصعيد دفع الجزية وأخذت قوتهم تزداد تدريجا حتى انتهى بهم الأمر إلى أن هبوا فى وجه الغزاة وهزموهم ، وأخرجوهم من ديارهم أذلاء مشردين .

---

(١) راجع : Edward Naville, "Bubastis", Pl. XII & XXV A.

الهكسوس من المصادر الأثرية

لا جدال فى أن علم الآثار منفردا لا يمكنه أن يمدّنا بنوع المعلومات التى تمدنا بها الوثائق المكتوبة اللهم إلا إذا وجدت الوثائق فى أثناء الحفر ، لأن معظم القطع الأثرية تكون عارية من النقوش . والواقع أن المخطوطات تبحث فى الآراء والحوادث والشخصيات ، أما الآثار فخاصة بالأشياء الأكثر مادية . غير أن هذه الأشياء المادية قد تنطق أحيانا بما لا تنطق به أية وثائق .

والواقع أنها قد نمت معلوماتنا كثيرا عن الهكسوس . هذا ونجد أن كلا من المصدرين مكمل للآخر كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر .

ومع أنه قد تظهر مادة جديدة فى عالم الوجود فى أية لحظة زيادة عما كشف ، فانه مما لا شك فيه الآن أن الهيكل العظمى الأثرى لهذا العصر يمكن أن نعتبره قد تكون واتخذ شكلا ظاهرا . ويرجع معظم الفضل فى ذلك للأستاذ « البريت (Albright) » أولا لما قام به من حفائر علمية دقيقة فى « تل بيت مرسيم » فى « يودا » وثانيا لتطبيقه علم الآثار المقارن ، ولا أدل على ذلك من تقاريره عن حفائر « تل بيت مرسيم » [1] .

غير أن عمل « البريت » كان لا يمكن أن يأتى بثماره المطلوبة دون الملاحظات السابقة التى أدلى بها كبار الباحثين مثل الأب « فنسان » و « كلرنس فشر » [2] .

وإذا حاولنا أن نضع هنا بيانا مختصرا قد لا يفى بالمقصود عن الطريقة اللازمة للوصول إلى هذا الغرض ، فان ذلك قد يعزى إلى وجوب تحقيق المواد

---

(١) راجع : Speiser, in Annual of the American Schools of Oriental Reseach, XII, (1932) and XIII, 55 - 127.

(٢) راجع : Pere Vincent & Clarence S. Fisher.

التى صنعها الهكسوس أو استعملوها فى حاجياتهـم . والواقع أنه قـد اعترضت الباحث فى بادئ الأمر عدّة عقبات ، فقبـل البحث المقـارن كان بعض الآثار الخاصة بالهكسوس وحدهم (وهى التى لم تكن معروفة بأنها من صناعة الهكسوس) قد أرّخت بعهـد متأخر يرجع إلى القرن العاشر قبل الميـلاد . وهذه الغلطة قـد صححت فى الحال، ويرجع معظم الفضل فى ذلك لوجود جعارين معروف تاريخها مع تلك الآثار ، ومن ثم أصبحت المسألة تحصر فى درس هـذه الآثار على أنهـا داخلة فى نطاق عهد الهكسوس .

الكشوف الأثرية فى فلسطين تزيد فى معلوماتنا عن الهكسوس :

وقد تقدّمت معلوماتنا تقـدّما محسوسا فى هـذا السبيل فى خلال السنين القليـلة المـاضية ، ومن العجيب أن هذا التقدّم فى الحصول على معلومات فى هذا الصدد لا يرجع كثيرا لمصر كما يرجع إلى فلسطين . وهـذا الموقف يعزى إلى أن فلسطين من الوجهة الأثرية بلد فقير» ، إذ ليس فيها معابد فخمة أو مقابر ضخمة كما يوجد فى مصر ، ولذلك كان لزاما على الأثرى أن يتعرّف ثانيـة تاريخ البلاد القـديم من فحص بقايا البـلاد التى دفنت منـذ زمن بعيد بكل دقة وعناية ، وقد كانت نتيجة ذلك أنه أصبح فى مقدور الأثرى أن يضع المواد الأثرية الخاصة بعهد الهكسوس ، فى مكانها التاريخى بثقـة بسبب ارتفاع النيل فى طبقات تربتها الآن ، إذ لا نزاع فى أن الدلتا هى المكان الذى يجب أن نتطلع إليه قبـل أى مكان للعثور على آثار قد تأثرت بمدنية الهكسوس .

أما فى « سوريا » فإن التقـدّم فى هـذا السبيل يسير بخطى واسعة ، غير أنه يجب أن نحـول أنظارنا فى الوقت الحاضر نحو « فلسطين » وما يكشف فيها من آثار عملت على حسب حفائر نظمت موادها وفـق الطبقات التى خرجت منهـا ؛ إذ تعتبر فلسطين الضابط الحقيق لعصر الهكسوس فى سوريا ومصر .

الدور الذى لعبته قطع الفخار فى التاريخ : ولسنا فى حاجة لتأكيد الدور الذى لعبته قطع الفخار فى تقدم التاريخ الصحيح على حسبها . والواقع أنه على أثر إمكان تحديد فخار عصر الهكسوس، قد أصبح من الممكن أن نعرف نواحى أخرى من ثقافة هؤلاء القوم . فالآلات المعدنية مثلا التى كانت فى العادة توجد جنبا لجنب مع فخار عصر الهكسوس يمكن عدّها من صناعة الهكسوس أيضا . والواقع أنه أصبح من الميسور درس كل نواحى بلد ما من جهة الحياة، والعادات والمميزات الهكسوسية .

ومع وجود أشكال عدّة من الفخار فى « فلسطين » خاصة بعهد الهكسوس ، فإنها كلها لا تعنينا فى هذا البحث . وسيكفى لغرضنا هنا ذكر القليل منها الذى يعدّ من إنتاج الهكسوس بكل معانى الكلمة .

طراز فخار تل اليهودية :

وأحسن طراز معروف خاص بعصر الهكسوس هو ما يسمى طراز « تل اليهودية » ، وقد سمى بذلك من اسم موقع هام ينسب للهكسوس فى الدلتا ، حيث قد وجد فيه هذا النوع من الفخار بكثرة [١] . وهذا الفخار كمثرى الشكل ذو رقبة طويلة ضيقة ، وقبضته تمتد من كتف الإناء إلى حافته ، وتمتاز بأنها مزدوجة . وتنتهى قاعدته فى الغالب بزر . وظاهر الإناء مصقول، ولونه فى العادة أسود غربيب، أو برتقالى لامع، وعند ما يكون لون الإناء أسود فان ظاهره يكون غالبا مغطى بأشكال مختلفة غائرة . وهذه الخطوط الغائرة المؤلفة لهذه الأشكال مملوءة بصبغة بيضاء اللون .

وكذلك يوجد طرازان آخران خاصان بعهد الهكسوس كبيرا الحجم نسبيا، ولكل واحد منهما مقبض مثبت عند كتف الإناء [٢]، هذا إلى إبريق صغير ظريف الشكل

(١) راجع : Petrie, "Hyksos & Israelite Cites" (London 1906) Pl. VIII. P. 36 & 38.

(٢) راجع : Petrie, "Ancient Gaza", II. (London 1932) Pl. XXXII. P. 43c 4.

له قاعدة مدببة[١] . ومن ذلك يرى فى الحال أنه عند ما يتعرف الإنسان على طراز من هـذا الذى ذكرنا بأنه من صناعة الهكسوس ، يصبح مساعدا ذا قيمة لا تقدر لكشف المواقع التى كان يحتلها الهكسوس .

ظهور فخار من طراز جديد يدل على هجرة قوم جدد

ويلحظ أنه بعد أن وطد الهكسوس أقدامهم بمدة فى فلسطين قامت حركة هجرة أخرى تركت أثرها فى البلاد ، وليس لدينا وثائق مدونة من فلسطين تدلنا على من هم هؤلاء القوم الجدد . ولكن الفخار ذا اللونين الذى كان يرسم عليه غالبا أشكال طير أو شجرة أو سمكة[٢] ، هو الذى كان يستعمله هؤلاء القوم ، هذا بالإضافة إلى أختامهم[٣] الأسطوانية الشكل ذات الطابع الخاص التى تجعلنا إذا ما قرناها بمثيلاتها مما يصنع فى شمالى « مسوبوتاميا » نقترح بأن هؤلاء حوريون . وبعبارة أخرى نقول إن العناصر الجديدة من الفخار التى دخلت « فلسطين » يمكن قرنها بمواد استعملها قوم يسكنون شمالى « مسوبوتاميا » كانوا يتكلمون اللغة الحورانية[٤] ، وستستعمل كلمة « خورانى » فى هذا المعنى هنا ، وإن كنا سنبرر استعمال هـذا الاسم بأسباب أخرى فيما بعد .

وهـذه العناصر الجديدة من الفخار مع كونها « خورانيـة » يجب أن نعتبرها هكسوسية لأن الأساس الثقافى الذى وضعت قواعده على يد الهكسوس الأول قد امتزج جنبا لجنب مع الثقافة الجديدة ، وكذلك لأن هـذا التغيير الجديد قـد ظهر

---

(١) راجع : e. g. O. I. P. XXXIII. Pl. 23 : 6.

(٢) راجع : Ibid Pl. 46 : 14,–16. and 47; 14–17.

(٣) راجع : of Kirkuk. Nuzi type; See ibid P. P. 182-84 for Comparison of Seal designs from Nuzi & Megiddo.

(٤) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII. P. 13-54.

فى مصر قبل طرد الهكسوس منها بمدّة ما (راجع المصدر عن ظهور الفخار الحورانى فى العصر الذى يقع قبل الأسرة الثامنة عشرة فى مصر فيما يأتى[١]) .

أما فيما يخص فلسطين وحدها فانه كانت توجد ثقافتـان تنسب إحداهما إلى الأخرى فى خلال احتلال الهكسوس للبلاد .

علاقة الهكسوس ببلاد مسو بو تاميا :

و يلاحظ أنه لم يرد إلى مصر أى صنف من الفخار الذى ذكرناه أبدا ، ولكن هذا لا يمنع نقل بعض الأفكار الصناعية إليها ، وهذا مؤكد على ما يظهر فى التقدّم الزخرفى الذى يشاهد على القدور ، ولكن الأوعية نفسها كانت تصنع فى مصر كما يبرهن على ذلك وجود المصانع المحلية الخاصة بها ووجود مقـدار عظيم من الطـراز الحورانى يجعلنا محقين إذا أرجعنا سبب ذلك إلى هجرة مباشرة من بلاد «خورى» الواقعة شمالى «مسو بوتاميا» إلى مصر، على أنه من جهة أخرى توجد بعض أشياء مستوردة لا تحتمل الشك نشاهدها فى زمن خرائب الهكسوس ، وفى مدافن هذا العصر . وهذه الواردات معظمها من « قبرص » .

إنتشار تجارة الهكسوس ومدنيتهم : وفى الوقت نفسه نجـد أوانى من صناعة « الهكسوس » فى « قبرص » مما يوحى بتبادل تجارى بين البـلدين[٢] ولم تكن التجارة كاسدة فى عهد الهكسوس ، بل كان من المحتمل وجود موان بحرية أكثر نشاطا على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسـط فى ذلك العصر ، وكان يزيد

(١) راجع : Petrie & Guy Brunton, "Sedement" (London 1924) I. Pl. XLV, 67-68 & 71 ; George Moller, "Die archeol. Ergebinsse des Vorgesch Grabfeldes von Abusir el Meleq" : Alexander Scharff (W. V.D. Θ. G. XLIX. (1926). Pl. 70 : 484-85 ; Brunton, "Qua & Badari." III. Pl. XVI, 55 P. & R.

(٢) راجع : Diedrich Fimmen "Die Kretisch-Nykenische Kultur" Leipzig und Berlin (1914. P. 159. Fig. 158.

عددها على ما هــو موجود الآن ، وقد كان الهكسوس أصحاب نشاط كذلك فى ميدان صناعة المعادن[١]، وتدل التحاليل العدّة التى أجريت فى المعادن التى عثر عليها فى فلسطين بأن النحاس كان المعـدن الهـام المستعمل فى العهود التى قبـل عصر الهكسوس، ولكن عنـد وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمال البرنز، ومن المعـلوم أن أوّل ظهور للبرنز فى أى مجتمع كان له دائمـا تأثير انقلابى ، وذلك لأن مقدار القصدير الذى يضاف إلى النحاس ، وهو المـادة الهامة فى تكوين سبيكة البرنز، يكون عونا فى الحال على إحداث تحسينات فنية ، لأن السبيكة الناتجة من هذا المزج تسهل عمل قالب نظيف ، وكذلك تنتج معدنا أشدّ صلابة وأكثر نفعا ، فضلا عن انصهاره بدرجة حرارة منخفضة[٢]. وتوجد ميزة أخرى لهـذه السبيكة ، وهى إمكان معالجتها فى قوالب مقفلة تكون نتيجتها إخراج أشكال جديدة .

وقد أحضر الهكسوس معهم هــذا المخترع الفنى إلى البلاد فى صورة راقية رقيا بارعا ، ومن المحتمل أن فوائده كانت ظاهرة فى حالات عدّة فى معاملاتهـم مع البلاد التى لم تكن تعرف بعد البرنز وبخاصة مصر .

وليس من الضرورى أن نعالج هنا أشكالا معدنية معينة[٣] لأن بعض هذه سيشار إليه عند فحص مسائل نوعية؛ ونكتفى هنا الآن أن نقرر بأنه يوجد طـراز خاص

(١) راجع فحص تحليل المعادن التى وجدت فى « مجدو » (O. I. P. XXXIII, P. 161) وقد نسب «ايفان» قطعة من النقوش المصرية ظهر عليها أفراد يحملون جزية فى صورة سبائك من المعدن الأبيـض يسمى « رحتى » إلى الأسرة الحـادية عشرة (راجـع "Palace of Minos", II. (London 1928) P. 179-8) وقد ترجم قاموس برلين كلمة « رحتى » قصدير ولكن « إيفان » يقول أنها تعنى صفيح op. cit. P. 177 no. 3.

(٢) راجع : Lucas, "Ancient Egyptian Materials", 2nd. Ed rev. (London. 1934) P. 174.

(٣) راجع ملخص لذلك فى « مجدو » O. I. P. XXXIII, P. 163-77

يشمل الأسلحة والمجوهرات التى كانت على ما يظهر مميزة لعهد الهكسوس ، وذلك ينطبق على أشياء أخرى مثل الجعارين والأوانى المصنوعة من المرمر ، والمطعمة بالعظم ، ومواد أخرى عثر عليها فى بلاد أو مدافن تنسب إلى الهكسوس .

طراز التحصينات الخاص بالهكسوس : وطراز تحصين المدن الذى كان من أعظم مخصصات الهكسوس يتألف من طوار منحدر أو استحكام يبنى فوقه جدار البلدة نفسها ، وزيادة فى التحصين كان يحاط بحفر خندق أو حفرة فى غالب الأحيان ، وكان يستعمل فى إقامة مثل هذا الطوار غالبا المواد الموجودة فى البيئة التى أقيم فيها هذا المبنى مثل الرمل والطين واللبن والأحجار والجص . وكان تصميم بناء مدن الهكسوس يمليه إلى حدّ ما التكوين الطبعى للأرض التى ستقام عليها المدينة ، فاذا كانت السلالة الجديدة قد عقدت العزم على أن تقيم بلدتها مثلا على تل بيضى الشكل أو غير منتظم الأضلاع لأجل أن تكون بالقرب من عين ماء أو لتستفيد من البناء على قلعة ، فإن أفرادها فى مثل هذه الأحوال يبنون جدرانهم حسب طبيعة المكان وما فيها من شذوذ[1] .

---

(١) وقد ثبت الآن أن الجدار المقام من اللبن الذى عثر عليه شميخر يرجع إلى عهد الهكسوس (راجع : "Tell el Mutesellim", I (Leipzig, 1908) Pl. II والأماكن الأخرى الذى ظهر فيها هذا الطراز هى تل بيت مرسيم (Albright, in A. A. S. O R. XII, P. 19, B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) P.P. 8 f., "Archaeology of Palestine and the Bible", [2nd Ed.] P. 86; Tell el Duwair (J. L. Starkey in P. E. F. Q. S. (1934) PP 167 70); Jericho (John Garstang in P. E. F. Q. S. (1930) Pls. IV & VI; (1931) PP 187 - 90); Tell Taa'nnak (Ernst Sellin, "Tell Taa'nnak", K. Akademie der Wissenschaften in Wien, "Denkschriften" L. 4 (1904) Plan following Pl. XIII; Tell el'Ajul (Petrie, "Ancient Gaza", II, 1, 3 and 13, and Pls. XLIV, LI), Tell el Fara, (Petrie, "Beth Pelet" I, 16, Pl. XIII); Ascalon (Garstang, P. E. F. Q. S, 1922 PP. 122 ff. and Joshua - Judges [London, 1931] P. 359); Tell el Hasi, (F. J. Bliss, "A Mound of Many Cities," [New York and London, 1894], P. 18.

وهـذا أمر على ما يظهر طبعى جدا ، ومن خصائص بعض تحصينات الهكسوس أنهـا تميل إلى الشكل المستطيل أو المـربع حينما تسمح بذلك طبيعة الأرض التى سيقام عليهـا المبنى . هـذا وقد لفت نظر الباحثين أن جوانب هذه المبانى أو أركانها ، كانت تقام مواجهة الجهات الأربع الأصلية ، وقد كشف عن مثل هـذه التحصينات فى الوجه البحرى ، وفى فلسطين وسـوريا ، وفى معظم الأحيان قد عرفت أنها من مبانى « الهكسوس » بخصائصها ، وقـد كان أحسن معسكر مستطيل الشكل وهو الأول الذى عرف أنه من بنـاء الهكسوس هو المعروف الآن « بتل اليهودية » فى الدلتـا[1] .

وصف حصن تل اليهودية : وكانت مساحة المبنى نحـو ١١٠٠ قـدم مربع من الداخل ، وأركانه مسـتديرة ، وله رصيف من الرمل مطلى بالجص ، وقد دعم بعنـاية من الداخل بجـدار واق كان يبلغ اتساعه عنـد القاعدة ما بين ١٣٠ و ٢٠٠ قدم ، أما فى الجـزء الأعلى فكان يتراوح ما بين ٥٠ إلى ٧٠ قدما ، وكان الطوار ينحدر بزاوية متوسط انفراجها نحـو أربعين درجة . وتدل الشواهد على أن الاستحكام لم يكن يعـلوه جدار ، لأنه كان بطبيعته عاليا بقدر الحاجة ، وكان لهـذا الحصن طريق طـويلة منحدرة تؤدّى إلى باب محصن أقيم على قمـة الاستحكام . وعلى مسافة أحد عشر ميلا جنوبى « هليوبوليس » أقيم بنـاء مماثل للسابق ، غير أنه كان أكثر بساطة منه ، مربع الشكل ، أركانه مستديرة ، ولم يكن له على ما يظهر مدخل على مستوى الطريق العامة[2] ، ويشير هنا « بترى » إلى حظائر أخرى عظيمة مسوّرة دون وجود أى باب أصلى ، وقد لحظ مثل ذلك فى الدلتا ، وكذلك فى مصر الوسطى .

---

(١) راجع : Petrie, "Hyksos & Israelite Cities", Pl. II-IV. & PP. 3-10

(٢) راجع : Hazor W. M. F. Petrie & Ernest Mackay, "Heliopolis, Kafr Ammar and Shurafa". (London 1915) Pls. I-VI. & P. P. 3 f.

وفى فلسطين كشف عن موقعين حصن كل منهما على وجه عام مستطيل الشكل ، وفى سوريا كشف عدد من هذا الطراز أهمها الحصن الذى وجد عند بلدة « مشرفة » (قطنا القديمة)[٢] ، وحجم هذا الحصن ضخم جدا إذ تبلغ مساحته مساحة « تل اليهودية » ست مرات . والواقع أن كل المواقع التى أقامها الهكسوس كانت تحتوى على طوار فى صورة ما .

ويظهر على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا أن الطوار والاستحكام المربع كانا فكرة خاصة بالهكسوس ، ولذلك عند ما نرى هذا الشكل من البناء فى « سوريا » أو فى « فلسطين » أو فى « مصر » نعرف أنها أقاليم خاضعة لنفوذ الهكسوس ، وإذا حكمنا على الهكسوس من هذه الناحية فقط أيقنا أنهم شعب محارب ، ولدينا فى الواقع من الأسباب الأخرى ما يحملنا على الاعتقاد بأن الهكسوس كانوا كذلك فى بعض الأوقات ، وهذه الآراء الجديدة ، وكل الآراء الأخرى التى تصادفنا فى الأوساط الهكسوسية تجعل الإنسان بطبيعة الحال يفحص مسائل أصلهم ، وسنقوم بمحاولة للإجابة على بعض هذه المسائل فى فصل خاص .

الهكسوس يجلبون الخيل والعربات إلى مصر : وإذا كنا نرى أن كثيرا من نجاح الهكسوس يعزى إلى أسلحتهم المتفوقة وحصونهم الممتازة ، فلا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن الخيل والعربات قد لعبت دورا كبيرا فى أقدارهم ، والواقع أن الهكسوس كانوا يعتبرون منذ زمن بعيد أنهم هم الذين جلبوا هذه العناصر الجديدة الهامة من المدنية إلى مصر ، وقد كان سندنا الهام فى ذلك لغويا ، وقد كانت أول

---

(١) راجع : Garstang in A. A. A. XIV. (1927) 35-42 & Joshua-Judges (هازور) P. 371-83, &Sechem (ملاحظة الحديثة) Gabriel Welter in Archeologi Scher Anzeiger etc. (1932), cols, 294-96 & Albright, in J. P. O. S. XV. (1935), P. 224.

(٢) راجع : "Du Mesnil du Buisson", La Site Archeologique, de : *Mishrife-Qatna (Paris 1935)* P. P. 40-42. & *Pls. I-II.* etc.

إشارة وردت فى المتون المصرية عن الخيل واستعمالها فى المتون المصرية ما جاء فى لوح « كارنرفون » الأول بلفظة « حترو » أى الخيل (١) ، والآن يأتى علم الآثار متقدما بنفس القصة ، فقد أمدّتنا الحفائر التى قام بهـا السير « فلندر ز بترى » فى « تل العجول » الواقع فى جنوب فلسطين بمعلومات عظيمة عن الحصان بوصفه حيوانا خاصا بالهكسوس ، إذ لم يظهر الحصان هنـاك حيوانا يسرح فقط ، بل كذلك عثر عليه فى ودائع الأساس (أى يقدّم قربانا) هذا إلى أنه كان مظهرا هاما من مظاهر المدافن الآدمية ، فكان يوضع ضمن القرابين التى توضع مع الميت (٢) ، وعلى الرغم من أنه لا توجد إلا أمثلة قليـلة نسبيا تدل على امتطاء صهوة ظهور الخيل ، فإن الحصان كان عمله الرئيسى فى الأصل ، ينحصر فى جر العربة ، وقد بقيت الحال كذلك إلى عصور التاريخ المتأخرة ، والأسباب الداعية لذلك ليست واضحة ، غير أنه من الجائز أن الأحوال التى جلب بسببها الحصان قد تكون هى التى هيأت طريقة استعماله ، أما ما يقال بأن صغر حجـم الحصان هو الذى جعـله غير صالح للركوب ، فقول مردود على من ادّعاه ، إذ نعلم أن الحمـار كان أصغر حجما من الحصان ، ومع ذلك كان يركب فى مصر منذ زمن بعيد جدا قبل عهد الهكسوس .

عظم مدنية الهكسوس : ولا نعـلم حتى الآن من الآثار عن أحوال الهكسوس ومظاهر حياتهم إلا القليل ، فإذا ألقينا نظرة على حياتهم كما نتصوّرها على أساس البلاد الأثرية المكشوفة حديثا ، وما عثر عليه فى مقابرهم ، اتضح لنا أنهم قوم على جانب عظيم من المدنيـة ، بل كانوا أكثر تقدّما فى بعض النواحى من جيرانهـم فى وادى النيــل ، الذين كانوا يعتبرون أقدم منهـم ، فصفاتهم

(١) راجع : J. E. A. III. P. 107.

(٢) راجع : Petrie, "Ancient Gaza" I. (London 1921) P. 4f. & Pls. VII.-IXc. LVII; 114 & 14; IV. (London 1934) 16. & Pls. XXIII. & XXV. mouth-pit.

الحربية ظاهرة فى كثير من المواد التى شاهدناها حتى الآن، ولكن إذا كان ذلك يستلزم أن ننظر إليهم بأنهم قد بقوا قبيلة بالمعنى المتعارف لكلمة قبيلة مدة طويلة بعد نزولهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، فإن ذلك لا يرتكز على حقائق ثابتة، بل على العكس لدينا أمارات عدة على أنهم كانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعى الصحيح، فقد خططوا البلدان المنظمة التى راجت فيها التجارة ، وقد كان صانع الفخار عضوا هاما فى الجماعة ، فقد كانت أوانيه الجميلة الصنع يوضع فيها محاصيل الحقول الخصبة ، وكان الحداد ، وصائغ المجوهرات كل ينتج فى صناعته بمهارة فائقة،ولم تشهد من قبل السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إتقانا فى ميدان صناعة المعادن ، والواقع أن هذا الإتقان لم يكن ميسورا قبل تقدم عمل السبائك والتفنن فيها، وهو ما ظهر على يد الهكسوس فى صناعتها .

ولا نزاع فى أن التجارة بين الجماعات كانت من الأشغال اليومية العادية ، ومع هذا فان البرهان على ذلك كان يظهر للباحث أصعب وأشد تعقيدا من البرهنة على التجارة بين الأقطار النائى بعضها عن بعض ، فنعلم أن « قبرص » ومصر و « فلسطين » و « سوريا » كانت تتجر سويا فى مواد مختلفة فى خلال عهد احتلال الهكسوس للبلاد كله . فقد كان كل ساحل سوريا وفلسطين يزخر بالموانئ البحرية الصالحة للتجارة ، وكانت المواد الكمالية تأتى من قبرص إلى هذه الموانئ ، ثم توزع منها إلى الداخل ، كما كانت محاصيل الهكسوس تشحن إلى قبرص ، فهذه الأدلة وغيرها توضح لنا بجلاء أن حياة الهكسوس كان لها شأن ومكانة راسخة لم يعترف بها كل المؤرخين ، ولا نزاع فى أن كل ما أتى به الهكسوس من جليل الأعمال التى أشرنا إليها لا يمكن أن يتم فى جو كله حروب مستديمة ، بل يجب أن تعزى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة ، قد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التى تحيط بهم عند ما حطوا رحالهم واستقر بهم المكان .

الأدلة على وجود الهكسوس فى عهد الأسرة الثانية عشرة

والآن ننتقل إلى نقطة عويصة فى تاريخ الهكسوس لم تبحث حتى الآن بطريقة علمية منظمة ، وهى وجود عنصر الهكسوس فى مصر فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، قبل أن يغزوا البلاد جملة ، وسنرى أن المواد الأثرية التى كشف عنها قد لعبت دورا هاما فى كشف النقاب عن الجواب على هذه المسألة، والواقع أن وضع تاريخ متصل الحلقات مهما كان سليما فى نظرنا ، لابد أن يعتمد فى خطاه الأولى على المواد الأثرية ، على أن الأهمية التامة لذلك لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان هذا التسلسل مؤرخا بطريقة ما ، ثم تحقيقها على ضوء ما يقابله بالنسبة للأقطار المحيطة ، ونحن هنا سنعالج موضوعا خارجا عن حدود عهد احتلال الهكسوس لمصر ، وهو العهد الذى ينحصر على ما يظهر من المتون المصرية بين عامى ١٧٥٠ و ١٥٨٠ ق م . وإذا فحصنا اتجاه حركة هجرة الهكسوس، رأينا من الواضح أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا البلاد المصرية ، ولكن السؤال الهام هو : ما مقدار السرعة التى احتلت بها هذه الأماكن ؟

والجواب على ذلك يتوقف على طريقة الغارة التى قام بها هؤلاء الغزاة، هل كان هجوما خاطفا مخربا أو كان تقدما جاء تدريجا وعلى مهل ، ولكن بقوة متزايدة ذات مفعول محس ؟ ولا نزاع فى أن طريق فحص مثل هذا الموضوع مليئة بالأحابيل التى تستلزم اليقظة والانتباه التام . وسنفرض أولا أن الفخار، والحصون والأشكال المعدنية ، والمواد الأخرى التى ذكرناها فيما سبق كلها دلائل تحدثنا عن وجود الهكسوس فى البلاد . وقد زعمنا أن كل فخار « تل اليهودية » وكذلك كل الفخار والأشياء الأخرى التى توجد معه ، متصلة بالهكسوس ؛ وكذلك اعتبرنا الثقافة الجديدة الخاصة بعصر البرنز المتوسط ، وهو ذلك العصر الذى يختلف اختلافا يكاد يكون تاما عن التقاليد الثقافية لعصر البرنز الأول لأنه جاء عن طريق الشعب الجديد وهم الهكسوس ؛ فإذا حاز هذا الرأى قبولا حسنا فإنا نكون

فى حل من أن نحاول تأريخ بقايا آثار الهكسوس كما وجدناها فى سوريا وفلسطين ومصر .

عندما وجد علماء الآثار طراز أوانى «تل اليهودية» لأول مرة عدّوه من إنتاج الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، ولم يكن مفهوما وقتئذ أن هذه الأوانى من إنتاج عصر الهكسوس ، ولكن عند ماعرفت صلتها بالهكسوس فيما بعد تخى العلماء عن اعتبارها معاصرة للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، وذلك لأن عصر الهكسوس قد خلف سقوط الدولة الوسطى . وقد كانت المؤثرات السياسية والثقافية تعتبر إلى حدّ بعيد متعاصرتين ، أى أنهما تقعان فى عهد واحد . فمثلا نجد الأستاذ « بيت » (Peet) يحدّثنا بالبيان التالى عن أوانى « تل اليهودية » : أما فيما يتعلق بتاريخ هذه الأوانى المحززة فليس فيه صعوبة كبيرة ، إذ لا أعرف مثالا واحدا من عهد الأسرة الثانية عشرة[١] ، ولا شك فى أن هذا الدفاع كان طبيعيا للغاية بالنسبة لمعلومات الوقت الذى قيل فيه ، ولكن منذ أن كتب الأستاذ « بيت » ما كتبه ، ظهر فى جوّ الكشوف الأثرية براهين جديدة فى متناول الباحث الآن ، وهى التى على ضوئها أصبح من الممكن إعادة فحص المواد القديمة التى سبق الحكم عليها خطأ ، وفى الصفحات التالية سنستعرض البراهين الخاصة بهذا الموضوع كما وجدناها فى مواقع أثرية تمتد ما بين نوبيا وسوريا .

آثار الهكسوس فى «بوهن» : ففى « بوهن » القريبة من (وادى حلفا) من أعمال بلاد النوبة عثر على عدّة أوان من طراز « تل اليهودية » ، وقد ذكر كل من الأثريين « راندل ماك ايفر » و «وللى» أنه على الرغم من علمهما بأن فخار « تل اليهودية » هو من مميزات عهد الهكسوس فى مصر ، فإنهما مع ذلك لم يجدا محيصا من تأريخ أقدم نوع من هذا الطراز ، وهو الذى وجد فى «بوهن» بالأسرة

---

(١) راجع : Naville and Peet, "The Cemetries of Abydos II", (London 1914). P. 68.

الثانية عشرة ، وذلك لأنه قد عثر على قطعتين أثريتين فى الجبانة القديمة التى وجد فيها هــذا الطراز من الأوانى الفخارية منقوش على كل منهما لقب الفرعون « أمنمحات الثــالث » (١٨٤٩ — ١٨٠١ ق . م) هذا ولم يوجد فى هذا المدفن الذى نحن بصدده ما يمكن تأريخه بعهد بعد الأسرة الثانية عشرة (١) .

آثار الهكسوس فى الفيوم : وقد عثر كذلك فى «الحرجة» الواقعة بالقرب من « الفيوم » على أوان سوداء من طــراز « تل اليهودية » المحزز بأشكال مملوءة باللون الأبيض ، وقد عثر عليــه فى « الجبانة » ب التى تحتوى على مقــابر حفرت فى هيئة آبار . وقد أرخت إحدى هذه الآبار بعهد الفرعون « سنوسرت » الثالث (١٨٨٧ — ١٨٤٩ ق . م) (٢) ؛ وقد وجدت أمثلة أخرى من هذا الطراز فى أكوام من قطع الفخار المنسوبة للفرعون « سنوسرت الثانى » (١٩٠٦ — ١٨٨٧ ق.م). وقد قال عنها « انجلباخ » إن معظم الأمثلة على ما يظهر قد انحدرت إلينا مع طائفة الصناع الذين كانوا يعملون فى بناء هرم « سنوسرت الثانى » فى « اللاهون » (٣) .

آثار الهــكسوس فى اللشت : وقد وجد فى «اللشت» الواقعة عند مدخل الفيوم عدّة قطع من طراز « تل اليهودية » بما فى ذلك إبريق ذو مقبض مزدوج ، ومحلى بطيور ملونة وسمك . وقد وجد فى نفس البـئر المؤرخة بالأسرة الثانية عشرة عدّة أوان ســوداء محززة ، ولهـا مقابض وتنسب إلى طراز أوانى « كاهون »

---

(١) راجع : D. R. MacIver and C. Woolley, "Buhen", (Philadelphia 1911) P. P. 33. ff.

(٢) راجع : Engelbach, "Harageh", (London 1923) P. 3.

(٣) راجع : ibid P. 10. Or. P. 18. reference is made to another pot. Pl. XLI. 99 d, found in apparently late 12 Dyn. Context Or. P. 17 fragment of the same type (Pl. X. 16) is attributed to IInd Dyn. This example stands alone as evidence of such an early date & naturally requries corroboration.

أى طراز « تل اليهودية » [١]، وقد وافق المستر « أمبروز لانسنج » على هذا التأريخ عند ما كان يتحدّث عن أعمال قامت بعد فى نفس هـذا الموقع بقوله : « وجدت قطعة من نفس الفخار فى حفرة منفردة يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة ، وقد كانت كل محتوياتها أشياء من الأسرة الثانيـة عشرة ، غير أنه لم يوجد من بينها قطعة مؤرخة بعهد ملك خاص ، ويجب أن نضيف إلى ما قاله أن هـذه كانت القطعة الوحيدة التى وقعت تحت نظر المسـتر « لانسنج » مباشرة ، والتى يمكن أن تؤرخ فى نظره بالتحديد إلى عهد يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة ، على حين أنه كانت توجد قطع أخرى قـد تكون من هـذا العهد يمكن أن يرجع تاريخها كذلك إلى العهد الإقطـاعى .

وقد كشف فى « كاهون » الواقعة عند مدخل «الفيوم» ، وهى التى ظهرت فى عالم الوجود عنـد ما أقام « سنوسرت » الثانى هرمه ، عدّة أشكال من الفخار المنسوب إلى « سوريا » فى « فلسطين » . ويقول الأستاذ « بترى » أن نخـار «تل اليهودية» الأسود اللون قد وجد مع آثار أخرى يرجع تاريخها للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة [٢]. ولكنه قال فيما بعد . « إن هذا الفخار لم يكن معروفا حتى الآن فى مصر فى أى عصر من عصور تاريخ البلاد إلا فى عهد الأسرتين الثانية عشرة والثالثـة عشرة ، وهـذا يوجهنا إلى أن الفخار المستخرج من « كاهون » يجب أن يفحص فحصا دقيقا ، لأنه علم فيما بعد أن طراز نخار « تل اليهودية » كان من خصائص الإنتاج الهكسوسى . وقـد ذكرنا « هرمان ينكر » أنه لا يوجد أساس لاعتبار نخار « كاهون » من عهد الأسرة الثانية عشرة [٣]، وإنه لمن الجائز أن

---

(١) راجع : A. Mace in Bulletin of the Metropolition Museum of Art. (1921) Nov. Part. II. P. P. 17 f. & fig. 18

(٢) راجع : Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London 1890) P. 25; See also Pl. XXVII, 199-202

(٣) راجع : Ibid P. 42.

يكون قد صنع بعد هذا العهد بزمن كبير غير أنه على ما يظهر لا توجد براهين تدحض نسبته للأسرة الثانية عشرة[١] .

آثار الهكسوس فى كاهون : وكذلك عملت حفائر فى « كاهون » فى سنة ١٨٨٩ ، وقد وجد فيها ثانية قطع فخار من هذا النوع وعزيت للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، غير أن هذه لم يكن فى الإمكان تحقيقها بطريقة مرضية[٢] .

ولكن لحسن الحظ عثر على طراز آخر من الفخار ينسب إلى شكل طراز خاص بالهكسوس[٣] قد أشرنا اليه فيما مضى ، ولكنه فى هذه الحالة قد أرخ بعهد «سنوسرت» الثانى (١٩٠٦ — ١٨٨٦ ق . م)[٤] .

وتفسير هـذه الجبة بوصفها ذات علاقة بظهور الهكسوس فى مصر يمكن أن يعزى إلى جلب عمال من « سـوريا » و « فلسطين » للعمل فى اعداد هرم هذا الملك ، أو لإقامة مبـان أخرى ومشاريع للرى فى الجهة المجاورة ، وتاريخ الفخار الذى يجب أن يكون مبكرا عن تاريخ ظهور الهكسوس حقيقة فى مصر يجـد سندا إضافيا فى الأدلة الحديثة التى عثر عليها فى « ببلوص » الواقعة على شاطئ سوريا .

آثار الهكسوس فى ببلوص من عهد الأسرة الثانية عشرة : ففى القبرين رقم واحد ورقم اثنين فى « ببلوص » وهما فى كل مظاهرهما ترجعان الى عهدى « أمنمحات الثالث » و « أمنمحات الرابع » (١٨٤٩ — ١٧٩٢ ق . م) عثر فى قبر

---

(١) راجع : Herman Junker, "Die Nubische Ursprung der Sogen-nanten Tell el Jahudiyeh-Vasen, "Akademie der Wissenschaften in Wien, Philos-Hist. Klasse", Sitzungsberichte, "CXCVIII, 3. Abhand-lung (1921) P. 83.

(٢) راجع : Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob", (London, 1891), Pl. I. 17, and 20-21, P. 10.

(٣) راجع : *Ibid. Pl. I. II.*

(٤) راجع : Petrie, ibid, P. 9.

رقم ١ على إناء من حجر الأبسديان نقش عليه لقب « أمنمحات الثالث » وفى القبر رقم اثنين وجد فيه صندوق من الأبسديان كذلك، وعليه لقب «أمنمحات الرابع»[١]، ووجدت أمثلة عدّة لطرازين من الفخار ينسبان بوضوح إلى الأشكال الهكسوسية التى سبقت الإشارة إليها[٢] .

وقد كشفت الحفائر الحديثة فى « ببلوص » عن وجود طراز جديد آخر متصل بقائمة لفخار الهكسوس ، ويمكن قرنه بفخار « بيت مرسيم »[٣] (G-F.) الملون ، ويدل المتن الذى معه على أنه أقدم من القبر رقم واحد والقبر رقم اثنين اللذين عثر عليهما فى « ببلوص » على أنه يكاد يكون من المستحيل الآن أن نحكم من أدلة « ببلوص » على مقدار هذا القدم .

ولكن على ما يظهر كان هذا الفخار من عصر لا يخرج عن نطاق القرن التاسع عشر ق . م وذلك بسبب تاريخ القبرين رقم واحد ورقم اثنين، ومع ذلك فإن هذه الأدلة لا يجب أن تعبر عن أن الهكسوس كانوا يحتلون « ببلوص » فى ذلك الوقت ، وإن كان من الجائز وجود بعض أفراد الهكسوس وقتئذ فى المدينة، والذى يظهر مؤكدا هو أن الهكسوس كانوا معاصرين لأهل « ببلوص » فى تلك الفترة .

والقول بأن فخار « مرسيم » (G-F.) ينسب إلى الهكسوس يرتكز جزئيا على معاصرة فخار «مرسيم» لأقدم طراز من الفخار وجد فى « تل اليهوديه »[٤] وتوجد أدلة تعضد وجهة النظر هذه فيما أنتجته الحفائر التى عملت فى « تل كيسان » فى سهل

---

(١) راجع : Montet, "Byblos et l'Egypte", PP. 155-159.

(٢) راجع : Ibid Pls, CXVI. 791. and 800 & CXVIII, 791 & 800.
Pere Vincent "Revue Biblique", XX. (1922), P. 178.

(٣) راجع : A. A. S. O. R, XIII. P. 69-71.

(٤) راجع : Ibid. P. 79.

« عكة » حيث وجد الأثرى « رو » أن هذا الطراز من الفخار الملون كان أحدث ما لوحظ فى حشو طوارات الهكسوس التى كانوا يقيمون عليها حصونهم[١] . والمنطق هنا هو أن يفترض الإنسان أن أحدث مواد توجد فى بناء مثـل بناء الطوار الذى تتألف موادّه إلى حدّ ما من تراب ومواد أخرى أخذت من جهـة مجاورة تمكن الإنسان من أن يؤرخ بها المبنى . فمثلا الجدار الذى يوجد فيه قطعة نقود مطبوعة باسم الامبراطور « هدريان » لن يكون أقدم من عهـد « هدريان » وبطبيعـة الحال يمكن أن يكون الجدار قد بنى فى أى عهد آخر بعد عهد هذا الامبراطور .

ولكن هذا الموقف يختلف بعض الشىء فى حالة طوار بالنسبة لطريقة بنائه ، إذ لا يمكن منع وجود قطع من الفخار فى التراب المحلى الذى استعمل فى حشوه .

وقد استعملت هـذه البقايا الأثرية التى عرف تاريخها بصفة محققة أساسا لبحثنا ، وبخاصـة تلك التى وجدت فيهـا مواد يمكن تأريخها خلافا للفخار الذى نحن بصدده .

ولا يزال كثير من المواد الأثرية التى نسبها الحفارون للأسرتين الثانيـة عشرة والثالثة عشرة باقيا ، غير أنه لا يمكن عقد موازنة بينها على الوجه الأكمل[٢] !

على أن تفسيرنا للحجج السابقة يمكن الاعتراض عليه ، ولكن إذا قبلت نظرية وجود الصفات المـادية المعينة الخاصة بالهكسوس بأنها تحمل معنى وجود الهكسوس عند ما نجد لأول مرة هذه الصفات المميزة ، فعندئذ يكون من الصعب أن ننظر إلى الحالات التى عرضناها الآن نظرة مخالفة .

---

(١) راجع : Albright, A. A. S. O. R. XVII. (1938) P. 24.

(٢) راجع : Griffith, "The Antiquities of Tell el Yahudiyeh" Egypt-Exploration Fund, Seventh Memoir, (London. 1890) PP. 33 - 74, P. 56, Pl. XIX; for Khataanah material, G. A. Wainwright, "Balabish" (London, 1920) P. 66. esp. note. 5.

يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى ، وهى أن هـذه البراهين قد جاءت إلينا من عدد من الأماكن تقع فى نطاق مساحة (جغرافية) شاسعة[١] .

وهكذا حتى الآن كان أساس بحثنا مرتكزا على الفخار ، ولكن قد يكون فى الإمكان الحصول على صورة مماثلة للتى عرضناها إذا كان فى مقدورنا معالجة أشياء من مواد أخرى غير الفخار مثل الذهب والبرنز والعظم بنفس الثقة ؛ ولكن الواقع أن علم الآثار المقارن لم يصل إلى الحد الذى يمكن فيه معالجة الأشياء الصغيرة التى يمكن أن تكون ذات أهمية فى فهم ثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقى فى باكورة الألف الثانية قبل الميلاد . ولا نزاع فى أن فحص النفوذ الأجنبى الذى برهن على وجوده بقطع آثار صغيرة يرجع تاريخها إلى عهد الدولة الوسطى فى مصر ستستمر متابعته بثقة متزايدة وفائدة أعظم بعد عمل قوائم شاملة للأشكال الفلسطينية[٢] .

الآثار الأخرى التى تنسب إلى الهكسوس : ويظهر حتى الآن أن بعض أشكال الأسلحة الأسيوية قد جلبها الهكسوس إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبى الشرقى فى خلال عهد الدولة الوسطى . مثال ذلك السيف « خبش » وقد سمى بذلك لأنه يشبه مقدمة ساق الحيوان[٣]، وكذلك مقبض خنجر على صورة هلال كالذى وجد فى مقبرة « إتا »[٤] وفى نقش ملون فى مقابر « بنى حسن »[٥]

---

(١) وقد قال : قيل إن غزو الهكسوس قد حدث بعد انتهاء الأسرة الثانية عشرة مباشرة (راجع : J. E. A. XXI. P. 23.) غير أن البراهين التى ارتكز عليها واهية من أساسها .

(٢) ونجد ملخصا فى (O. I. P, XXXIII. table. V.) للأشياء التى وجدت فى المقابر الهكسوسية فى مجد ومع الإشارة الى الاتصالات الأجنبية .

(٣) راجع : Montet, "Byblos et l'Egypte", Pl. XCIX–C.

(٤) راجع : J. de Morgan, "Fouilles" a Dahchour" 1894–1895 (Vienne, 1903), Pl. VI, cf. O. I. P. XXXIII, Pl 149: 2-3.

(٥) راجع : Newberry, "Beni Hasan", I. Pl. XLVII.

يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الثانية عشرة يشاهد أسيويون يستعملون (بلطا) من طراز يوجد عادة فى « سوريا » . آما مسألة النقوش أو أشكال الحلية الحلزونية التى نشاهدها على الجعارين التى كانت تستعمل أختاما فى عهد الأسرة الثانية عشرة، فإنها تحتاج إلى دراسة خاصة (٢) . وتوجد أدلة على أن هذه الجعارين قد صنعت فى مصر، وكذلك لدينا براهين على أنها قد صنعت خارجها (٣) . وإذا سلم بأن فكرة الشكل الحلزونى قد استعارتها مصر، فقد يصبح من الضرورى إذا أن نفحص الفن « المنوانى » المبكر (٤) .

والدور الذى قام به الهكسوس فى هذا الموضوع يخالف الحقيقة الثابتة فى أن النقوش التى على الجعارين كانت من مميزات الهكسوس (٥)، وقد اختفت باختفائهم، وهذه مسألة مشكوك فيها ، فنجد أن كلا من « نيوبرى » و « جارستانج » يرى فى مميزات بعض مجوهرات الأسرة الثانية عشرة التى وجدت فى « دهشور » أنها قد ترجع إلى تأثير أجنبى ، وأن الحوادث التى تلت قد كشفت عن أهمية هذه الأشياء (٦) . غير أنه قد يكون من باب المخاطرة ادعاء أن كل العناصر الجديدة فى ثقافة الأسرة الثانية عشرة ، قد شملتها يد أجنبية ، وإن كانت توجد دلائل على أن بعضها قد تأثر فعلا بعوامل أجنبية ، والواقع أنه لا يمكن أن نجرى فحصا

---

(١) راجع : Dunand in "Syria", X. (1929), Pl. XXXIX, and Schaffer in "Syria", XIII. (1932), Pl. XIII-4.

(٢) راجع : Newberry, "Scarabs", P. 81,

(٣) راجع : G. A. Reisner and N. F. Wheeler in Museum of Fine Arts, Bulletin XXVII (1930) P. 54.

(٤) راجع : Evans, "The Place of Minos" I,.Fig 76-77. 80-81. and 86-87 for E. M. III. examples.

(٥) راجع : Petrie, "Scarabs and Cylinders with Names" Pl. XXI.

(٦) راجع : "A Short History of Ancient Egypt" (8ed., London. 1911. PP. 63. ff.

مرضيا فى مثل هـذه الأمور إلا إذا نظمت قوائم مضبوطة لكل ثقافات الأقاليم المحيطة بمصر . كما حدث فى أنواع الفخار، وقد عدّت كل من هجرة الهكسوس، وهجرة الكاسيين غالبا أنهما مشهدان من هجرة عظيمة جدا ، وفدت إلى الشرق الأدنى فى باكورة الألف الثانيـة قبل الميلاد ، ووجهة النظر هـذه لا تحتاج إلى سند كبير ، ومع ذلك فإنه لا يخلو من الفائدة أن نلفت النظر إلى تفاصيل معلومة عن غزو الكاسيين لبلاد « بابل » .

و يشاهد فى الإيضاح الذى سيأتى بعد، العلاقات بين التقدّم الكاسى، والتقدّم الهكسوسى حسب السنين، والأخير منهما يرتكز على وجهة النظر التى نتتبعها فى هذا الفصل عن الهكسوس .

موازنة بين هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين : وأول ظهور معروف للكاسيين فى « بابل » كان فى خلال حكم الملك « حورابى »[1] (١٩٤٧ — ١٩٠٥ م) ، والظاهر أنهم كانوا فى هذه الفترة سكانا مسالمين فى هذه البلاد ، وعلى أثر موت « حورابى » انتقل عرش الملك لابنه « سامسيولونا »[2] . وهو الذى صدّ فى السنة التاسعة من حكمه غارات الكاسيين التى انقضوا فيها من الجبال[3]، والوثائق الخاصة بأعمالهم مدّة القرن ونصف القرن التالية تذكر لنا « الكاسيين » بوصفهم زراعا وعمالا[4] . وعلى أثر غارة « الحيثا » على « بابل » أضحت البلاد تحت سيطرة الأسرة الكاسية (١٧٤٩) .

---

(١) راجع : The Cambridge Ancient History I. 2nd ed, Cambridge (1928) P. 552-2, (Olmstead) والتواريخ من قوائم الأستاذ لم تنشر بعد .

(٢) راجع : Ibid I. P. 554.

(٣) راجع : A Ungad in Beitrage zur Assyriologie VI. Heft. 5 (1909). PP. 21-26.

(٤) راجع : Cambridge "Ancient" History I. P. 561-63.

وتنقصنا التفاصيل عن نمو قوة الكاسيين ، ومع ذلك يمكننا إدراك صورة معينة عن نموها فقد أعقب صدهم تدخل سلمى فى البلاد كانت نتيجته النهائية النجاح [١] . وليس ثمة مانع من أن نزعم فى بادئ الأمر أن غزو الهكسوس لمصر قد جاء على غرار نموذج مماثل لما ذكرناه عن الكاسيين ، ومن المحتمل أن « مانيتون » لم يكن بعيدا عن الحق عندما قال إن الهكسوس قد استولوا على مصر من غير معركة .

الهكسوس : الكاسيون :

حمورابى = عمال فى مسوبوتاميا

١٩٥٧ — ١٩٠٥ ق . م

المغيرون الكاسيون يصدون = ١٩٠٠ ق . م = عمال فى مصر

عمال فى مسوبوتاميا عمال فى مصر

الأسرة الكاسية ١٧٥٠ — ١٧٣٠ ق . م . أول أسرة للهكسوس .

ومن جهة أخرى يحتمل أن سيطرة أسرة الهكسوس فى «فلسطين» و «سوريا» قد حدثت فى عهد مبكر عنه فى مصر ، وذلك لأن حركة هجرة الهكسوس قد اتخذت سبيلها من الشمال إلى الجنوب على الأقل على ساحل البحر الأبيض المتوسط . أما عن حالة كل من « سوريا » و « فلسطين » خلال حكم الهكسوس لها فليس هناك ما يحمل على الظن فى أنهما كانتا تؤلفان وحدة سياسية أكثر مما كانتا عليه فى نهاية الأسرة الحادية عشرة المصرية [٢] ، حيث نجد أن عدة ولايات مستقلة قد وضحت بجلاء ، وكذلك تشعرنا قصة « سنوهيت » بنفس الفكرة وهو نفس النظام الذى

---

(١) راجع : Cameron, "History of Early Iran" Chicago 1936. PP. 92 f

(٢) راجع : Sethe, "Achtung" P.P. 43 - 59; & Albright, J. P. O. S. *VIII. (1928) P. 223 - 56*

كان موجودا فى عهدى التحامسة وتل العمارنة (راجع تاريخ تحتمس الثالث وخطابات تل العمارنة ، وهـذه الحقيقة يمكن ملاحظتها عند ما أشار « أحمس » الأول الذى طرد الهكسوس من البلاد إلى أراضى « الفنخو » فى صيغة الجمع كما ذكرنا آنفا) .

وإذا جاءت نتائج حفائر مقبلة معضدة للرأى القائل إن الهكسوس قد وصلوا حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . درجة فى تقدّمهم الثقافى بحيث كانوا يصنعون منتجات خاصة بجماعتهم كما نعرفهم فيما بعد ، وأنهم على ذلك كانوا قد استوطنوا بعض أجزاء سوريا وفلسطين فإنه سيكون من الضرورى وقتئذ أن نفحص أدلة اتصالات الأسرة الثانية عشرة بالبلاد الأسيوية ، وسيكون معنى ذلك أن أمثال هذه الاتصالات كلها بعـد عام ١٩٠٠ ق . م . تجعلنـا نشك فى أنهـا تتضمن وجود الهكسوس[1] . على أن المسألة ليست بالأمر الهين ، إذ لا يمكن أن يقال إن كل « سوريا » و « فلسطين » لم تكونا تحت نفوذ الهكسوس ، فمثلا نجد أن « ببلوص » (جبيل) لم تكن خاضعة لحكم الهكسوس قبل عام ١٧٣٠ ق . م . تقريبا ، وذلك على الرغم من وجود طراز من فخـار الهكسوس[2] فيها ، والواقع أن « ببلوص » كانت متمصرة أكثر من الإقليم المحيط بها ، ولذلك يمكننا أن نفرض على أية حالة أن الهكسوس كانوا مجاورين لها وأن بعض صناع الهكسوس ، ومنتجاتهم الحديثة الطراز كانت تلاقى سوقا رائجة فى « ببلوص » . ومن الجائز كما ذكرنا آنفا أن عمالا من الهكسوس كانوا يجـدون مجـالا متسعا لأعمالهـم فى « كاهون » بلدة الهرم التى أقامها « سنوسرت » الثـانى . وقد كان الهكسوس بطبيعة الحـال فى عهد عز الأسرة الثانية عشرة يأتون إلى مصر بوصفهم نزلاء مسالمين ، كما كان الكاسيون ، فى عهد « حورابى » ينزلون فى بلاد « بابل » . ومن المحتمل أن بعضهم قد رحلوا إلى مصر فى الوقت الذى رحل إليهـا « إبشا » الذى صـوّر على مقبرة حاكـم المقاطعة

(١) راجع : مصر القديمة جزء ٣ ص ٤٢٤ — ٤٣٦ .

(٢) راجع : Kemi I (1928) P. 90 - 93.

« خنوم حتب » فى « بنى حسن » وهذا المنظر قد أرخ بالسنة السادسة من حكم الملك « سنوسرت الثانى » (١٩٠٠ ق٠م) وهو يمثل الحاكم «إبشا» ومعه ثلاثون تابعا من العامو يحملون كحلا لزينة العينين . ومن الجائز أن السوريين الفلسطينيين قد انخرطوا فى عداد جيش الملك جنودا مرتزقة ، غير أن هذه الفكرة على الرغم من رجحان حدوثها لا يوجد ما يدعمها فى الوثائق المعاصرة ، على أن عدم الإشارة لأعداء مصر من الأسيويين باسم الهكسوس لا يكاد يعد دليلا على أن الهكسوس لم يكونوا قد وضعوا أقدامهم فى فلسطين وسوريا فى عهد منتصف الأسرة الثانية عشرة ، ولقد رأينا فيما سبق أن المصريين المعاصرين كانوا يسمون الهكسوس أنفسهم « عامو » و « ستيو » و « منتيوستت » . وهذه الأسماء كانت تستعمل للتعبير عن الأسيويين فى خلال الأسرة الثانية عشرة .

وطريقة البحث هذه تظهر غير مجدية للبرهنة على أى شىء اللهم إلا أنها تترك بصفة جازمة السؤال مطروحا أمام الباحث عما إذا كان الهكسوس قد استوطنوا فلسطين وسوريا حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . أم لا .

عصر الهكسوس المتأخر

ظهور طراز جديد من الفخار غير فخار تل اليهودية : يمثل الاتساع الذى قام به الهكسوس فى عصرهم الثانى المظلم فى مصرفى خصائص حورانية كما سبقت الإشارة لذلك ، فقد ظهر فى هذا العصر طراز من الفخار ذو لونين من صنع الحورانيين ، وقد أظهرت أعمال الحفر التى عملت على أسس علمية على حسب طبقات الحفر فى فلسطين ، أن هذا الطراز من الفخار أحدث من طراز الفخار الذى استخرج من «تل اليهودية» الذى كان يعدّ رمزا خاصا لإنتاج عهد الهكسوس القديم . والطراز الجديد يؤرخ بعهد يرجع إلى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة ، فلابدّ من أن يكون تاريخ وجوده إذا فى مصر قبل عام ١٨٥٠ ق.م . وهذا هو السبب

الرئيسى الذى من أجله يعتقد بأنه ينسب إلى الهكسوس والحورانيين على السواء ، ولدينا حقيقة أخرى بدهية ، وهى أن الفخار الحورانى لا بدّ أن يكون إحضاره إلى مصر قد وقع فى حدود عهد الأسرة السادسة عشرة لا الأسرة الخامسة عشرة التى لم يوجد فيها ، وإذا فليس من خطل الرأى أن نرى فى ظهور الفخار الجديد فى البلاد المصرية علامة على تغيير أسرى . وقد كان كل من طراز الفخار الجديد والقديم على ما يظهر يستعمل بكثرة فى مصر ولكن لما كانت الأسرتان اللتان خصصهما « مانيتون » لعهد الهكسوس لم يمتد أجلهما أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فإنه قد يكون من المعقول أن نرجع ظهور الفخار الحورانى إلى حوالى عام ١٦٥٠ ، أما فى فلسطين وسوريا فلا بد أن يكون قبل ذلك بزمن قليل . وعلى الرغم من احتمال وقف صنع الفخار ذى اللونين فى مصر بشكله الخاص حوالى عام ١٨٥٠ ق . م عند ما طرد « أحمس » الأول الهكسوس من البلاد ، فإنه كان لا يزال بقية فى البلاد من المتمسكين بالقديم ، وقد استمروا فى البلاد إلى منتصف القرن الخامس عشر على أقل تقدير ، وبين هؤلاء نلحظ وجود فخار حورانى فى شكل مختلف[١] ، هذا إلى ظهور طراز جديد من المرمر[٢] ومن الجعارين[٣] ، ومن ذلك نرى أنه فى الوقت الذى لم يكن فيه نفوذ «الهكسوس» السياسى فى مصر قائماً بعد عام ١٥٨٠ ق . م نجد من جهة أخرى أن ثقافة الهكسوس لم تمح من الوجود فى البلاد المصرية مباشرة . أما فى « سوريا وفلسطين » فكان الموقف يختلف تماما فى خلال الجزء الأوّل من الأسرة الثامنة عشرة ، ففى نهاية الأسرتين السادسة عشرة

---

(١) راجع : (Balabish Pl. XIX, 3 (late 18th Dynasty.

(٢) راجع : Howard Carter in J. E. A. III. P. 151 - 53. Pl. XXII. 1 - 4 & Brunton and Engelbach, "Gurob", (London 1927) Pl. XXIV P. 53 (Thuhmose III ?) cf. O. I. P. XXXIII, Fig. 184 : 1 - 5.

(٣) راجع : Newberry, "Scarabs" P. 73. & Brunton and Engelbach, "Gurob", Pls. XXIV, 50 & XL, 22 (Thuhmose III); cf. O. I. P. XXXIII, P. 184 f.

والسابعة عشرة اللتين كانتا تحكمان البـلاد فى مدة واحدة تقريبا هزم الهكسوس فى «أواريس» وولوا الأدبار مخترقين الصحراء إلى أن وصلوا إلى «شاروهن» حيث قاوموا حصار « أحمس » لهـذه المدينة طوال ثلاثة أعوام ، ثم دارت الحرب بعد ذلك فى الشمال ، ولكن بعـد أن أحس « أحمس » أن الخطر قد زال عن بلاده عاد إلى مصر ليلتفت إلى مهام البـلاد الأخر ، والظاهر أن الهكسوس فى الوقت نفسه لم يتقهقروا إلى أبعد من النقطة التى طردوا إليها ، بل من الجائز أنهم قد عادوا فتقدّموا ثانية نحو مصر بعد عودة المصريين إلى بلادهم ،غير أن عملهم هذا لم يتعدّ مجرّد حركات حربية وحسب ،و بطبيعة الحال بقى جزء كبير من السكان فى مساكنهم ، وتحدّثنا الوثائق المصرية عن غزوتين أخريين لآسيا قبل عهد «تحتمس» الثالث . فقد قام تحتمس الأوّل بحملة إلى آسيا وصلت فى سيرها حتى بلاد نهرين على نهر الفرات على حسب ما جاء فى حيـاة « أحمس بن أبانا » وكذلك « أحمس » بن « بنخبت » وهما اللذان جاء ذكرهما لأوّل مرة فى عهـد « أحمس » الأوّل . وقد قاد « تحتمس الثـانى » فى مدّة حكمه القصـيرة على أقل تقدير حمـلة إلى « آسيا » كما سيجىء بعد ، وقد ذكرنا فيما سبق الأسباب التى تحمل على الاعتقاد بأن الهكسوس كانوا لا يزالون فى « فلسطين » و « سوريا » عند ما اعتلى « تحتمس » الثالث العرش ، وأنه هو وابنه « أمنحوتب » الثانى قد قضيا على الهكسوس القضاء الأخير فى هذه البلاد .

تحتمس الثالث يقضى على فلول الهكسوس فى آسيا : على أن الصورة التى كانت نتيجةمباشرة لهذه الحروب ، على الرغم من أنه تنقصها تفاصيل كثيرة محسة ، هى فى الواقع تمثـل عدم استقرار زمنى ، وسخط عظيم من جهة الأسيويين ظل مدة تنيف على قرن بعـد طرد الهكسوس من مصر . و بعـد ذلك عند ما اعتـلى « تحتمس » الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧) عرش الملك بعد حكم « حتشبسوت » الذى سادته السكينة بدأت سـلسلة غزواته فى آسـيا . ومن الواضح أن حلفا من

ولايات آسيا يقودهم ملك « قادش » قد شعروا فى أنفسهم بالقوّة الكافية لمقاومة ذلك الفرعون الذى كان مجهولا وقتئذ . وقد ساق « تحتمس » جيوشه فى ست عشرة حملة فى خلال نحو عشرين عاما الى هذه البلاد ، وبعد فترة ساد فيها السلام ظاهرا فى تلك الأصقاع ، قام « أمنحوتب » الثانى بحملتين مظفرتين على أثر ثورات شبت بعد وفاة والده . والظاهر أنه بعد هذه الحملات المتتالية لم يعد للهكسوس وجود فى هذه البلاد من الوجهة السياسية أو الحربية ، وتدل المعلومات الأثرية التى يتزايد ظهورها كل يوم فى فلسطين على أن نظام الحكم المصرى لم يصبح ذا أثر فعال فى البلاد الأسيوية حتى عهد « تحتمس الثالث » ، وأن الهكسوس لم يغلبوا على أمرهم فى هذه الأراضى الأسيوية إلا فى هذا الوقت . ومن أهم العوامل التى تبرهن على ذلك أنه وجد طراز من الجعارين الخاصة بالهكسوس ، قد بقى شائع الاستعمال بكثرة حتى عهد « تحتمس » الثالث ، ولا نزاع فى أن استعمال الجعارين خدّاع من الوجهة التاريخية ، وذلك بالنسبة لحجمها ، وفى عادة دسها فى غير أماكنها الأصلية ، ولكن عندما نجد الجعارين فى أماكن لم تمس بعد ، ويشفع ذلك نتائج حفائر واسعة النطاق فى موقع غير مشتبه فيه ، يمكننا عند ذلك فقط أن نحكم بأننا قد كشفنا عن حقيقة جديدة . وقد أصبح من الأمور التى تزداد وضوحا كل يوم نتيجة للملاحظات التى تشاهد كل يوم فى خلال الحفائر التى تجرى فى فلسطين أن الجعارين الخاصة بالعهد الذى قبل عهد التحامسة كانت من طراز جعارين الهكسوس[١] ، وكذلك الفخار الحورانى يعدّ طرازا خاصا بالإنتاج الهكسوس ، والظاهر أنه كان عظيم الانتشار قبل عهد « تحتمس » الثالث ، غير أنه حدث فيه

(١) ففى « مجدو » (راجع : O. I. P. XXXIII, 185 and Gordon Loud in I L N June 20, (1936) P. 1108), Jericho (Garstang in A A A, XX, 1933) P. 21 - 38. نجد فى كل هذه المصادر براهين مفصلة واستنباطات تحتم أن نعلم من آثار قبرين وجد فيهما جعارين من عهد حتشبسوت وتحتمس الثالث وأمنحتب الثانى وكذلك جعارين من عهد الهكسوس) راجع كذلك فى Baisan (Garstang, ibid P. 22.

تغيير عظيم بعد ذلك العهد هذا إلى أن بعض المواد المصنوعة من المرمر كذلك ، والأسلحة المصنوعة من البرنز ، والتطعيم بالعظام قد بطل استعمالها فى أشكالها الهكسوسية الخاصة بها فى غضون عهد « تحتمس »[١] الثالث .

ثقافة الهكسوس فى فلسطين : ومما سبق نعلم أنه يوجد لدينا حجج تدل على أن ثقافة الهكسوس كانت سائدة فى « فلسطين » على أقل تقدير حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة ، و بالعكس لا نجد أى تأثير للحكم الامبراطورى المصرى فى أى طبقات أرضية قبل عهد « تحتمس » الثالث فيما كشف عنه حتى الآن . والعصور التى مرت بها بلدة « مجدو » تعد ضابطا ممتازا لمعرفة ذلك ، إذ من المعلوم أن « تحتمس » الثالث قد حاصر هذه المدينة ، واستولى عليها فى حملته الأولى إلى فلسطين (١٤٧٩ ق . م) . ونعلم من نتائج أعمال الحفر أن الطبقة الحورانية الرئيسية المعلمة برقم ٩ تنسب إلى طراز فن الهكسوس المتأخر المحض ، ولكن الطبقة التى فوقها وهى الثامنة ، يدل ما وجد فيها بوضوح على أنها من آثار أواخر الأسرة الثامنة عشرة[٢] . ولا شك فى أن المدينة التى استولى عليها « تحتمس » كانت تمثل آثار عهده فى الطبقة التاسعة ، ومنذ ذلك العهد نلحظ أن ثقافة الهكسوس ، قد تغيرت تغيرا محسوسا . والصورة الأثرية العامة لعهد « تحتمس » الثالث فى « فلسطين » تمثل أمامنا القضاء على ثقافة الهكسوس .

ويمكن وضع تواريخ تقريبية لعهد الهكسوس المتأخر فى فلسطين ، وهو العهد الذى ميز بوجه خاص بالفخار الحورانى ، إذ يظهر لنا من المصادر المدونة ، ومن المصادر الأثرية أن هذا العهد قد استمر نحو قرنين من الزمان أى من حوالى عام ١٦٥٠ ق . م . حتى عام ١٤٤٥ ق . م . وذلك عندما أخمد « أمنحتب الثانى » ثورة أوقد نارها القوم الذين حاربهم والده سنين عدة .

---

(١) راجع : O. I. P. XXXIII Chap. IV.

(٢) راجع : Loud, loc. cit. & S. A. O. C. No. 17.

وقد يكون من الأمور التى يظهر فيها التكلف أن يرسم الإنسان خطا فاصلا بين عهد الهكسوس والعهد الذى جاء بعده ، وذلك لأن نفوذ الهكسوس لم يقض عليه فى سنة معينة ، ولكن يمكن القول بوجه عام أن عمود الهكسوس الفقرى قد كسر ، وأن ثقافتهم قد قضى عليها بالحروب الطاحنة التى شنها « تحتمس » الثالث ، ومن بعده ابنه « أمنحوتب الثانى » .

ولقد حاولنا فيما سبق أن نوضح أن كلمة « حورانى » قد استعملت بسبب أن بعض المظاهر الأشد تمييزا لثقافة الهكسوس المتأخرة يمكن قرنها بالصور المادية التى كان يستعملها قوم الحورانيين القاطنين شمالى « مسوبوتاميا » ، وهم الذين كانوا يعاصرون الهكسوس ، على أنه ليس من الضرورى فى هذه الحالة أن يكون قوم الهكسوس المتأخرين ، يتكلمون اللغة « الحورانية » وذلك لأن الثقافة يمكن نقلها بطرق ملتوية . وعلى أية حال فإن انتشار المواد الحورانية فى بلاد الهكسوس يدل على حركة هجرة أقوام حدثت . ولدينا دليل أكيد فى أحد الأسماء ، وهو كلمة « خارو »[1] وهى التى استعملت فى عهد الإمبراطورية المصرية لتدل على « سوريا » وفلسطين ، ولدينا حجج تدعم هذا الرأى فيما وجدناه فى شكل بعض أسماء العبيد الذين وجدت أسماؤهم على قطعة من الحجر الجيرى التى عثر عليها فى مصر ، ويحتمل أن تاريخها يرجع الى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة[2] .

وإذا وجدت متون أخرى زيادة على ما ذكرنا يمكن أن توضح الموقف كثيرا ، فإن الاسم الجديد الذى أطلق على « فلسطين » و « سوريا » وحده ذو أهمية

(١) راجع : Breasted. A. R. § 420 (Thutmose III), 798 A. (Amenhotp II). & 821 - 22 (Thutmose II). & cf. Griffith, "The Demotic Pap. in the John Rylands Library", P. 421 etc.

(٢) وقد نشر محتويات هذا الأثير الأستاذ ستينورف الذى اعتبرهم أسماء سامية راجع : A. Z. XXXVIII P. 15 - 18. غير أن جتساف فى (A. Z. LXIV P. 54 - 8) يلاحظ أنه وإن كان معظمها ساميا فإن بعضها حورانى ، وكذلك يقترح أن اسم « سمقن » أحد ملوك الهكسوس فى مصر يحمل اسما حورانيا .

بالغة فى توضيح الموقف ، ويلاحظ أن انتشار الثقافة الحورانية فى شكلها الثابت نسبيا فى أنحاء أجزاء كبيرة من فلسطين وسوريا فى عهد الهكسوس المتأخر، (ومن المحتمل حتى حوالى عام ١٤٤٥ ق م) يحمل معنى أوضح لوجهة النظر إلى الحوادث التالية، إذ نجد بعد انقضاء جيلين من ذلك التاريخ (١٤١١ — ١٣٧٥ ق م) أن « أمنحوتب الثانى » قد واجه فى هذه البلاد عصيانا علنيا أو سريا ، وقد كان كثير من رؤساء الثورة يحملون أسماء حورانية كما هو معلوم من قبل[١] .

وفضلا عن ذلك نجد أن مملكة « متنى » وإن كانت فى ذلك الوقت قد تحالفت مع مصر، كان لها مطامع فى قطر مصبوغ بالصبغة الحورانية . على أن هذا البحث وإن كان ليس له اتصال بالمسألة التى نفحصها الآن، فإن الغرض منه إبراز نقطة خاصة هى أن العنصر الهكسوسى الحورانى الذى كان يعيش فى فلسطين وسوريا فى منتصف القرن الخامس عشر يمكن أن يكون منتسبا إلى عنصر حورانى فى نفس البلاد فى نهاية هذا القرن . والواقع أنه يحتمل أن أهل متنى والحورانيين الذين كانوا يقطنون سوريا وفلسطين كانوا ذوى قرابة وطيدة منذ حوالى منتصف القرن السابع عشر، وانتشروا جنبا لجنب[٢] .

وقبل أن نترك هذا الموضوع ، ورغبة فى تأكيد وجهة نظرنا ، يستحسن أن نقيد هنا براهين أثرية عن العلاقة بين الهكسوس المتأخرين ، وعصور العمارنة ، والواقع أن الروابط عديدة ومشجعة لتقرير حقيقة وجود علاقة كبيرة من الوجهة الثقافية ، والوجهة الجنسية بين العهدين . ولا بدّ أن يعتبر ذلك طبعيا ، ولا يكاد يكون فيه ما يناقض الرأى العام القائل بأن ثقافة الهكسوس كانت قد تغيرت من

---

(١) راجع : Gustavs, "Die Personennamen in den Tontafeln von Tell Ta-annek" (Deutscher Palestina. Verein Zeitschrift L. (1937) P. 1 - 18)

(٢) راجع : A. A S O R., XIII, P. 44 & Reveue Biblique XLIV (1935) P. 34 - 41·

أساسها حوالى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وهذه العوامل الخاصة التى لا يمكن تقديرها الآن تماما، ولكنها فى الوقت نفسه تظهر على أعظم جانب من الأهمية قد نشأت من فحص بقايا العهدين، وهى التى وجدت فى « مجدو » . فقد وجد فى العهد الأخير أن الرسوم التى على الفخار الملوّن لا تخرج عن أنها رسوم « حورانية » محوّرة . وكذلك يظهر أن طراز الأختام الأسطوانية المستخرج من كركول — نوزى، كان من خصائص العصر الأخير، كما كان من خصائص العصر الأوّل، هذا ويدل فحص الهياكل التى وجدت هناك على أن نفس العنصر فى كلا العهدين كان واحدا[١] وكان العالم « الكنعانى » الذى واجه العبرانيين عندما دخلوا هذه البلاد يرتكز إلى حدّ بعيد على شعب أساسه من الهكسوس .

السلالات التى تألف منها شعب الهكسوس :

إن أعمال الحفر الحديثة التى قامت بوجه خاص فى «سوريا» قد وضعت أمامنا فكرة حسنة عن حياة الهكسوس وعاداتهم، وبذلك يمكننا أن نرى أولئك القوم فى بيوتهم، وفى مصانعهم، وقد عثرنا على أشياء كثيرة من التى صنعوها، فيمكننا أن نصوّرهم كذلك فى معاملتهم التجارية مع البلاد الأخرى، كما أننا نعرف بعض السلع التى كانوا يتجرون فيها، وقد وصلتنا تفاصيل كثيرة عن حياة الهكسوس، ومع ذلك عندما يطرح السؤال من هم الهكسوس ؟ فإنه لا يسعنا إلا الاعتراف بالجهل التام[٢] ولكن من المؤكد أن ثقافتهم كانت مختلفة بدرجة ظاهرة تلفت الأنظار عن الثقافة التى سبقتها، مما يحتم علينا الاعتراف بأن هذه الثقافة قد جاءت

(١) راجع (لأجل التفاصيل التى لا يمكن سردها هنا) O. I. P. XXXIII, 156 (Pottery) 182 - 84. (Cylinder Seals) & 192.

(٢) راجع الحصول على مختصر عن الآراء الخاصة بأصل هؤلاء القوم : Walther, Wolf "Deutsche Mongenlandische Gesellschaft Zeitschift" LXXXIII. (1929) P. 67 - 79.)

إلى حدّ بعيد عن طريق شعب جديد . على أن الأمر لم يكن ليقتصر على حد وفود طبقة قوية من الحكام ليقوموا بهـذا التغيير الكلى فى الثقافة، إذ كان الأمر أعظم من ذلك، فالقليل الذى لدينا من البراهين الخاصة بفحص الهياكل العظمية، يدل على أن جنسا من أجناس البحر الأبيض المتوسط القدامى ، قد حل محـله جزئيا فى خلال عهد الهكسوس جنس يشبه الجنس الألبى، على أن هـذا البيان لا يرتكز الا على فحص أشكال بعض جماجم قليـلة العدد عثر عليها فى « مجدو »[١] ، غير أنها لا يمكن أن تمثل كل جماعة الهكسوس، وعلى الرغم من القليل الذى نعرفه عن هذا الموضوع المعقد فإنه مع ذلك يحتمل أن عددا من السلالات قد اشتركت فى تنشئة الهكسوس[٢] ، ولا غرابة إذا فى أن تكون الجماجم التى وجدت تدل على أن أصحابها كانوا من سلالة من السلالات التى كان لها شرف الاشتراك فى هجرة الهكسوس ، وكذلك كان من بين الطوائف اللغوية التى ذكرت « الساميون » و « الحورانيون » و « الهنود الإيرانيون » و « الحيتـا »، وقد أراد « يوسـفس » أن يرى فيهـم العبرانيين والواقع إن نسـبة كل أولئك الأقوام إلى الهكسوس لا يخرج عن دائرة الاحتمالات ، فالأسماء السامية مثل « يعقوب هر » و « يعقوب بعل » قد عرفت بوضوح فى النقوش الخاصة بالهكسوس[٣] .

وهذه الأسماء، بصرف النظر عن بعض الأسماء المصرية التى انتحلها الهكسوس لأنفسهم مثل « أبو فيس » و « تيتى »[٤] ، هى الأسماء الوحيدة التى حققت نسبتها

---

(١) راجع : Hrdlicka in O. I. P. XXXIII P. 192 & S. A. O. C Strata XV - XII.

(٢) راجع : Spieser in A A S O R XIII, P. 47 - 52.

(٣) راجع : Hall. J. E. A., V. P. 75 & Max Borchardt A. Z., L. (1912) P. 6 - 8. غير أن تحقيقات بورخات لم تقبل كلها إذ عدّ البعض أن اسم خيان ليس سامى الأصل .

(٤) راجع : Gauthier L. R. II, P. 139 - 44 ; Newberry, "Notes on the Carnavon Tablet No. I", P. S. B. A., Vol. XXXV, (P. 117 - 22).

للهكسوس ، وقد فشلت المحاولة التى بذلت لتوحيد العلاقات اللغوية لأسماء الهكسوس التى وردت فى المصادر الإغريقية ، إلا إذا كان رسم الأسماء المصرية المعروف كتابة يحقق ما يماثله فى المصادر الإغريقية . وعلى ذلك كان يوجد فى الهكسوس عنصر سامى واضح قد اختلط فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس . هذا إذا استثنينا عنصرا غير سامى لم يحقق بعد . وهذا ليس بغريب بالنظر إلى التفوق الشامل للسامية (ويشمل ذلك العاموريين والكنعانيين) فى فلسطين وسوريا حوالى ٢٠٠٠ ق . م . كما يدل على ذلك متون[١] « اللغة » التى تنسب إلى أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة المصرية ، وكذلك اللوحات الكابودشية التى تشير إلى مدن شمال سوريا .

الساميون هم العنصر الهام لقوم الهكسوس : وعلى أية حال فإن الساميين لا يكاد يتألف منهم العامل الرئيسى المسئول عن الزحف الجديد الذى شنته آسيا على مصر، وقد تعزى غلبة الأسماء السامية المعروفة لنا الآن لتفوق الساميين فى العدد ، ولكن يمكن أن يرجع سببها لعدم كفاية الأدلة التى فى متناولنا أو لأن العناصر غير السامية قد هضمت بسرعة ، ويجب ألا ننسى الاشتباكات الخاصة بالتغيير الأساسى فى الثقافة ، وأن أقواما من سلالة غير سامية كانوا يزحفون على حدود عريضة شمالية فظهر الحورانيون فى الأناضول ، أما الكاسيون الذين كان يظهر أن بعض آلهتهم من أصل هندى إيرانى فكانوا يجرفون كالسيل فى « مسوبوتاميا[٢] » ،

---

(١) راجع : Sethe, "Achtung"; Albright, J. P. O. S. Vol. VIII. P. 223 - 56.

(٢) راجع : Gotze, "Kleinasian" (Handbuch der Altertums wissen schaft, 3 Abt. 1. Teil 3 Bd.; "Kulturgeschichte des Alten Orients, 3 Abschnitt, I Lfg. [Munchen, 1933], P. 69, N. 4; Ignace J. Gelb, "Inscriptions from Alishar and Vicinity", (O. I. P. XXXVII. [1935 PP. 13 f and 16.

ومن مكان ما خارج فلسطين وسوريا ، وفد قوم من الأجانب جلبوا معهم صناعة معادن راقيـة ، وأفكارا جديدة فى صناعة الفخار، وكذلك أحضروا الحصان والعربة ، وآراءا جديدة فى إقامة حصـون غريبة تماما عن البـلاد التى اتخذوها موطنا جديدا لهم . ولما كنا لا نزال فى بحر دراسة الشرق الأدنى فلا يمكننا إذا أن نخبر من أين أتت تلك العناصر ؟ أو من الذين نقلوها[1] إلى مصر ؟ ولكن منذ أن بدأنا نتعرف على الهكسوس فى مصر ، يمكن الإنسان عند البحث عن أصلهم أن يرجع فى ذلك إلى اقتفاء آثارهم فى شمالى « سوريا » وبعد ذلك نجد على أية حال أن الأثر قد أخذ يتضاءل، فإذا أردنا أن نحصل عليه ثانية كان لابدّ من قطع مسافات طويلة، وقد تزداد الصعوبة باحتمال أن الأثر لم يكن فرديا قبل «سوريا» إذ من المحتمل أنه كان يحتوى على وحدات قد جاءت ثم عادت بحالة يسودها سوء النظام، والارتباك التامان . .

من أين أتى الهكسوس : وإذا اقتفينا أثر المعدن الجديد وهو البرنز ، والأشكال المعدنية الجديدة إلى منابعها الأصلية ، فقد تكون هذه طريقة مجدية للوصول إلى الحقيقة التى نتبعها ولا نزاع فى أن ذلك يكون له فى النهاية قيمة ثمينة للغاية ، غير أن ما كشف من المواد للآن قليل جدا لا يكفى أن يكون أساسا متينا للبحث ، وقد ظنّ البعض[2] أن بلاد القوقاز قد تكون مصدر هذا المعدن وهذه الأشكال المعدنية ، غير أنه وجد بالمقايسة أن أشكال المعادن التى عثر عليها فى هذه البلاد ، كانت على وجه عام أحدث من التى وجدت فى « سوريا »

---

(١) ومما يلاحظ أن المدنية فى الأردن كانت قد محى معظمها منذ القدم فى الألف الثانية . (راجع Nelson Gluck in A. A. S. O. R. XIV. (1934) P.82.) وهذا الاتفاق مع الحوادث التى كانت جارية فى فلسطين لا يمكن أن يكون مجرّد صدفة .

(٢) راجع : Henri Hubert "De Quelques objets de Bronze trouve à Byblos", "Syria" VI, (1925) P.16-29, Henri Frankfort, "Archaeology and the Sumerian Problem" (*S. A. O. C. No. 4 [1932] PP. 52-57.*

وفلسطين وقد نشر العالم « شيلدا »[١] النظرية القائلة بأن بلاد « سومر » نفسها كانت مركزا مبكرا لنشر هذه الأشكال المعدنية[٢] ، ومما لاريب فيه أن أقدم نماذج من الأشكال التي تشبه أو تقرن ببعض الآلات المعدنية[٣] التي تعدّ من الطراز الهكسوسي قد وردت من « مسوبوتاميا » ويمكن أن يذكر على وجه خاص مقبض الخنجر الذى على هيئة هلال ، وكذلك رءوس (البلط) التي لها ثقوب تثبت فيها[٤] ، وقد ظهرت كذلك الدبابيس القصيرة فى « مسوبوتاميا » منذ ٣٠٠٠ عام .

أما فكرة صناعة البرنز نفسها ، فإن من الحقائق الثابتة أنها كانت معروفة فى «سومر» والأناضول فى النصف الأول من الألف الثالثة[٥] ، فى حين أن مصدر الصفيح وحتى النحاس ووجود معدنيهما فى « سومر » يجب أن يبحث عنهما خارج هذه الأصقاع[٦] ، ولذلك يقترح « لوكاس » أن كلا من « أرمينيا » و « إيران » قد تكون مصدرا لاستخراج الصفيح : ومن الأدلة التي سيقت حتى الآن يظهر أن بلاد « مسوبوتاميا » لها ضلع فى هذه المسألة ، ولكن علينا أن ننتظر نتائج حفائر منتظمة فى بلاد القوقاز ، والأصقاع الأخرى التي يظنّ وجود هذه المعادن فيها قبل أن نكوّن فكرة ثابتة[٧] . و إذا كانت المواد المسوبوتامية من عهد الألف الثالثة ق . م . وهى المقابلة لنفس مواد الهكسوس تبرهن على أن لها

---

(١) راجع : Stefan Przeworski in Archiv Orientali, VIII (1936) P. 395.

(٢) راجع : (A A A. XXXIII (1936) P. 113 - 9.

(٣) راجع مثل التي فى O. I. P. XXXIII, Pl. 149 : 2 - 3, cf Woolley, "Ur Excavations II. The Royal Cemetery" (London, 1934) Pls. 152-154b.

(٤) راجع : Woolley, op. cit. 239, 310; Speiser, "Excavations at Tepe Gawra", I, (Philadelphia, 1935), P. 109, 114, 183.

(٥) راجع : O. I. P. XXXIII, P. 162.

(٦) راجع : Albright, A. A. S. O. R, XII. § 20.

(٧) راجع : Lucas in J. E. A. XIV. (1928) P. 108.

علاقة مباشرة بالحالة التي نبحثها، فإن ذلك قد يبرهن على أنها إنتاج سامى أو سومرى مهما بعدت شقة الزمن بين العهدين .

الموطن الأصلى للحصان : والفكرة العامة المتفق عليها الآن أن الحصان له علاقة أصلية بالأقوام الآرية ، والظاهر أنه يمكن اقتفاء أثر أصل الكلمة المصرية والسامية الدالة على لفظة الحصان إلى اللغة الهندية الإيرانية ، وهى « أسوا » فى السانسكرت « أسفا »[1] .

ومن الواضح أن الكلمة المصرية « سسمت » مشتقة من اسم الجمع العبرى (الكنعانية) « سوسيم » وكلمة « سسمت » لا تمثل إلا الحروف الساكنة للاسم وحرف التاء فيها تاء التأنيث . وعلى أية حال فإن وجود وسيط « سامى » فى نقل الكلمة إلى المصرية يجعلنا نظن بعض الشيء أن الجنس الهندى الآرى نفسه لم يأت إلى مصر ، ولكن من جهة أخرى يحتمل أنهم قد اختلطوا بعنصر سامى من بين الهكسوس . ولدينا كلمة أخرى نجدها فى اللغة المصرية وهى « مرين » ومعناها « جندى سورى » أو خيال (سائق عربة)، والظاهر أنها تنسب إلى الكلمة المتنية « مارينا » وهذه الكلمة الأخيرة قد قرنت بالكلمة السانسكرتية « ماريا » ومعناه « الرجل الفتى » (الشاب)[2]؛ والكلمة المصرية «ورريت » التى تدل على «العربة» اشتقاقها غامض . وتوجد كلمة أخرى تدل على العربة وهى « مركبة » وهى سامية الأصل .

وكذلك قد تكون عاملا وسيطا بين الهنود الإيرانيين والمصريين .

ولا نزاع فى أن الحصان والعربة وما يلزمهما من عدد قد أدخلت فى مصر فى عهد الهكسوس ، وبصرف النظر عن الاعتقاد السائد أن مهدها الأصلى آرى ،

---

(١) راجع : Childe, "The Aryans" (New York, 1926) PP.18,83,109.

(٢) راجع : Meyer. "Gesch". P. 12. § 465 ; Childe. "The Aryans", P. 19.; Gunn, A. A. S. O. R., XIII, P. 49. f. n. 119.

وأنهـا لم تستعمل فى جنوب شرقى آسيا ومصر إلا فى عهـود[١] متأخرة نسبيا ، فإن الاشتقاقات التى اقتبسناها عن أصل الحصان والعربة وغيرهما تعدّ حججا على وجود الهنود الآريين فى الشرق الأدنى ، ولكن مع هذه الحجج لايمكن أن نثبت أو ننفى وجود الآريين فى مصر .

نسبة اختراع الحصون المستطيلة للآريين : وكـذلك قد نسب إلى الآريين اختراع بناء الحصن المستطيل وطواره الخاص ، و إن كان ذلك لم يدعم إلى الآن بالبرهان البين[٢] . حقا إن هـذا الطراز من الحصون كان غريبا عن مصر وفلسطين وسوريا وكان أول ما ظهر فى الآثار الخاصة بالهكسوس فى هذه البلاد . ولا شك فى أن النظرية التى تربط مثل هـذا الطراز من الحصون بمـا يشابهها من المبـانى فى « إيران » و « ترنس كاسبيا » (ما وراء بحر خوارزم[٣]) نظرية مغرية غير أنها تحتـاج لإثباتات أكثر لتجعلها حقيـقة مؤكدة . وعلى أية حال هل هـذه الحصون مبانى آرية ؟ والواقع أن الشكل المستطيل الذى اتخذته مدن الهكسوس عنـد تشييدها يشعر بأن هـؤلاء القوم كانوا يسكنون فى بلاد ذات سهول حيث كان الشكل الذى تبنى على غراره المدن لا يقيد بتعاريج طبيعة قمة التل الذى تقام عليـه ، وعلى ذلك نستنتج أن حل مسألة الهكسوس يقع بوضـوح تام فى أراض

---

(١) وقـد كانت العجلات تسـتعمل فى بابل فى أزمان أقـدم قارة Henri Frankfort, Thorkild Jacobsen and Conrad Preusser, "Tell Armâr and Khafaje" (Oriental Institute Communications", No. 13 [Chicago, 1932], Figs. 44 – 45.

(٢) راجع : Petrie, "Hyksos and Israelite Cities", (London, 1906) PP. 2 - 10; Albright in J. P. O·S. II, 122 f, in Society of Oriental Research, Journal, X, (1926) P. 245 - 254; B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) P. 8.

(٣) راجع : Garstang, "The Hittite Empire", [London, 1929] pp. 81 f.

بعيدة جدا من مصر . والواقع أن التحصينات التى تنسب إلى العهد النيولتيكى وعصر البرنز المبكر كانت عظيمة الانتشار فى أوربا بما فى ذلك جنوبى « روسيا » ويمكن أن يكون ذلك له علاقة بالمسألة فإذا كان هذا الغرض صحيحا فإن بلاد القوقاز يحتمل أن تكون طريقا ممكنا للهجرة . ومع كل يمكننا أن نقرر ما يأتى عن وجود المعسكرات الأجنبية فى الجنوب الغربى من آسيا ومصر :

من المحتمل جدا أن سلالة جديدة، قد أحضروا الفكرة التى تشمل عدة خصائص ثابتة وأنهم أقاموا تلك المبانى بأنفسهم تحت إشرافهم ، لا أن الفكرة قد نقلت إلى مصر ونفذت بطريق غير مباشر .

على أن الصعوبة الحقيقية فى قبول فكرة وجود عنصر هندى إيرانى بين الهكسوس هو انعدام وجود العلاقات اللغوية فى « فلسطين » و « سوريا » حتى عهد العمارنة[١] ، ولم يحقق وجود أسماء هندية إيرانية فى الوثائق الحورانية المبكرة بما فى ذلك الوثائق التى عثر عليها فى « أربخا[٢] » فى شمالى سوريا على أنه من باب الحيطة فقط نعيد إلى الذاكرة أن من أهم النقط الخاصة بالهكسوس فى مصر ، أنهم على ما يظهر قد انتحلوا اللغة المصرية لغة لهم ، وأن ملوكهم اتخذوا لأنفسهم الألقاب الملكية ، هذا إلى أنهم فى بعض الحالات كانوا يحملون أسماء مصرية ، مما كان يغطى على سمات أصول مسمياتهم اللغوية .

---

(١) راجع : Joh. Friedrich Arier in "Syrien und Mesopotamian" (Reallexikon der Assyrlologie", 1, (1928), P. 144-148); Childe, "The Aryans", PP. 18 - 20; N. D. Mironov in "Acta Orientalia" XI (1933) P. 150 - 170; A. B. Keith "The Indian Historical Quarterly", XII. (Calçutta, 1936) P. 571 - 575.

(٢) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII, P. 51. and Gardiner "*Onomastica*", *II. P. 177 & Vol. II. P. 273.*

الهكسوس يصطبغون بالصبغة المصرية : وقد يعترض بأن ما ذكرنا لا يعدّ أدلة حقيقية على قبول الهكسوس الذين وصلوا إلى مصر الثقافة المصرية قبولا شاملا . والجواب على ذلك نجده فى أن ملوك البطالمة قد أقاموا مبانيهم على الطراز المصرى ، واستعملوا اللغة المصرية الفصحى فى نقوش آثارهم ، واتخذوا الألقاب الفرعونية التقليدية شعارا لهم ، ومع ذلك فإنهم عاشوا عيشة الإغريق[1] . حقا قد يلفت النظر مع ذلك أن البطالمة لم يتسموا بأسماء مصرية كما فعل بعض ملوك الهكسوس . ومن الأدلة التى تبرهن على أن الهكسوس قد حاولوا أن يعدّوا أنفسهم لقبول الثقافة المصرية ما نشاهده فى استعمالهم إشارات هيروغليفية رديئة الصنع لا تفهم فى نقش عدد عظيم من الجعارين، والنقطة الهامة فى ذلك هى أنه على الرغم من أن اللغة المصرية كانت غريبة عنهم ، وأن استعمالهم لها كان غالبا استعمالا رديئا فإنهم مع ذلك اتخذوها لغة لهم .

والظاهر أن الحورانيين هم العنصر الوحيد الذى قد برز بوضوح نتيجة للبحوث الحديثة، دالا على أنه كان ضمن العناصر التى تكون منها الهكسوس، ومع ذلك فإنه لم يتعرف على اسم من الأسماء غير السامية التى تسمى بها الهكسوس بأنه حورانى الأصل[2] . وعلى أية حال فإن الأستاذ « البريت » يرى أن بعض الأسماء الملكية مثل « سمقن » و « شارك » و « خيان » ترجع إلى أصل حورانى ، وقد استعملنا فى مناقشاتنا حتى الآن كلمة الحورانيين ، لتدل على عصر الهكسوس المتأخر . وقد كان أساسنا فى ذلك تشابه الصفات فى الصناعات التى كانت قائمة فى بقعة شمالى « مسوبوتاميا » وهى التى كانت فيها اللغة الحورانية اللغة السائدة فى ذلك العصر . ويدل مقدار صبغ مدنية الهكسوس بعناصر الثقافة الحورانية فى عهدهم المتأخر؛ على

---

(١) راجع : Edwin Bevan, "A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty" (London, 1927) P. 118 - 124.

(٢) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. Vol. XIII, P. 512, Leary, "From the Pyramids to Paul", (New York, 1935) P. 17.

أن ذلك لم يأت عفوا بل جاء عن طريق هجرة واسعة النطاق، ويحتمل أنها بدأت فى « أرمينيا » حسب الرأى الحديث . وهذا الرأى مضافا الى صبغ مدنية فلسطين وسوريا بصبغة حورانية شديدة فى عهد الهكسوس المتأخر، مما يرجح كفة اشتراك الحورانيين فى هجرة الهكسوس بدرجة عظيمة ، و على أقل تقـديرفى مظاهرها المتأخرة[٢] فى حين أنه قد يكون من الصعب أن يبرهن على عدم احتمال وجود التأثير الحورانى بين الهكسوس الاول ، فإن هذا التأثير على أية حال لم يكن قويا كما كان فى عهدهم المتأخر . وعند ما نقول ذلك يحضر الى ذهننا الأسماء القليلة التى من هذا النوع فى المتون الكابودنشية التى يرجع تاريخها الى القرن العشرين قبل الميـلاد ، ولكن مهما كانت معلوماتنا قليلة عن موضوع أصول هؤلاء السلالات التى يتألف منها الهكسوس، فإن وجود أى عنصر جديد فى الجهات المجاورة يحتم فحصه . فبعد مرور قرن أو أكثر أى فى خلال القرن الثـامن عشر نجد سـلالة الحورانيين فى جماعات منظمة قد تصادموا مع « الخيتا » فى غاراتهم على «حلب» و « بابل» ؛ ونرى أن ثلاثة أجيال من ملوك « الخيتا » (حنوشيليش ، موشيليش، ختيليش) قد تكلموا عن الحورانيين فى تاريخهم . وإذا كان بعض المتون يحيطه الإبهام بالنسبة لموقع بلاد هؤلاء القوم، فإنا نعرف مع ذلك أن بعضهم كان يسكن على وجه التأكيد شمالى « سوريا »[٣] .

---

(١) راجع : Gotze, "Hethiter, Churriter und Assyrer", (Oct. 1936) P. 105.

(٢) والواقع أن العـلاقة الملحوظة الآن بين القوانين الحورانية وما جاء به الرسل العبرانيون له تأثير بين فى شرح هـذه المسألة . أما عن الحورانيين والحوريين فيمكن الرجـوع الى ما قال : Speiser, A. A. S. O. R, Vol. XIII, 26 - 31; Albright, "The Horites in Palestine", in "From the Pyramids to Paul", P. 9 - 26.

(٣) راجع : Emil Foreer, "Die Boghazkoi-Texte in Unschrift II. (W. V. D. O. G. XLII), (1922) 12. A. i 24-25; 14 a i 12 and 16; 17. A rev. (?) III. 16, 18, 23, 33; 19: 4, 8; 20. II. 15; 21. III. 9 - 15; 23. A. I. 30; 30; Edgar Sturtevant and George Bechtel, "A Hittite Chrestomathy", (Philadelphia, 1935) P. 185.

وعلاقة هؤلاء «الحورانيين» بهجرة الهكسوس الأولى محض تخمين، ومع ذلك فإنه بسبب عنصر الزمن الذى وجدوا فيه، وما لدينا من تأكيدات على أنه كان يوجد دم سامى بين الهكسوس يجدر بنا إذا ألا نهمل ما قد يكون هناك من علاقة .

على أن أى دليل لقرن الحورانيين بهجرة الهكسوس الأولى يكون أساسه الجوار، فإذا لم يكن للجماجم علاقة فى تدعيمه ، فعندئذ يجب أن تعتبر « الخيتا » ضمن السلالات التى يحتويها شعب الهكسوس لنفس السبب وهو الجوار. على أن كل معلومات لدينا عن الحورانيين الأول الذين ذكرناهم الآن، ندين بها « للخيتا » الذين تلاقوا معهم فى غارات قاموا بها على « سوريا » و « مسوبوتاميا » ويظهر أن فحص هذا الموضوع من الوجهة الأثرية ليس فيه أمل يذكر بالنسبة للأناضول، على أنه من المحتمل أن تسفر حفائر مقبلة فى كل من بلاد «الأناضول» وشمالى « سوريا » عن علاقات ثقافية لها أهميتها[١] .

والآثار الحورانية التى تعدّ أقدم مما سبق فى شمالى « سوريا » لم تحقق بعد بصفة قاطعة، وكذلك لدينا عنصر آخر يحتمل عدّه من الهكسوس، ويجب فحصه، مع العلم أنه يشتمل على صفة تختلف اختلافا ظاهرا عن العناصر التى عالجناها حتى الآن ، وهذا العنصر هم قوم « الخبيرو » ، وقد كان أوّل ظهورهم فى التاريخ فى « مسوبوتاميا » حوالى نهاية الألف الثالثة ق م ، وقد كان لهم اتصال وثيق بالحورانيين فى القرون التى تلت[٢] ، ولم يكن الخبيرو طائفة لها لغتها الخاصة أو جنسيتها الخاصة، بل كانوا على ما يظهر قوما أرخوا لساقهم العنان، يتألفون من سلالات مختلفة ، ويحمل معظمهم أسماء سامية ، ولكنهم أحيانا يدّعون لأنفسهم صلات لغوية أخرى[٣] .

(١) راجع : T. J. Meek, "Hebrew Origins", (New York and London, 1936) P. 5. حيث يقترح أن بعض الهكسوس يمكن أن يكونوا من أصل «لوى» .

(٢) راجع : Speiser in A. A. S. O. R,. XIII. P. 34.

(٣) راجع : Edward Cheira in A. J. S. L, XLIX. (1932) P. 117. f; Speiser in A. A. S. O. R., XIII, P. 35.

على أن تحقيق أسماء « الخبيرو » فى المتون يتوقف كلية على النص عليها بأنها أسماء « خبيرو » ، فهؤلاء القوم على ذلك يؤلفون طائفة لاجنسا له طابعه الخاص ، وإنه لمن الصعب أن يضع الإنسان تعريفا يحدد به هذه الطائفة قبل رقيهم فيما بعد ووصولهم الى مرتبة طائفة قومية هى طائفة اليهود [١] ؛ ولكن كلا من الأثرى « خبيرا » و « سبيزر » قد وجد من دراسته لوحات « نوزى » تعابير خاصة يظهر أنها تنطبق على كل « الخبيرو » وهى : أغراب ، عبيد مغيرون ، جوالون ، أعداء أجانب ، مخاطرون [٢] .

وفى حين أن غالبية « الخبيرو » ساميون ، فإنهم كانوا فى العادة على اتصال وثيق مع العنصر الحورانى المنتسب الى « الهكسوس » . ولما لم يكن هناك وحدة جنسية أو لغوية بين « الخبيرو » القدامى ، فإنه من المحتمل عدم وجود وحدة ثقافية بينهم .

وفى الإمكان البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التى لاحظناها ، وبين قصص الأنبياء ، فمن المحتمل أن إبراهام هو « هاعبرى » أى البدوى ، قد صور يزور مصر فى رحلة سلمية [٣] . والواقع أنه قد قرن غالبا بين رحلته ورحلة « ابشا » الذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر فى عهد « سنوسرت » الأول ؛ كما أسلفنا ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذى لاحظنا فيه لأول مرة أدلة على وجود

---

(١) راجع : Meek, "Hebrew Origins", PP. 1 — 45. Wilson, "The Eperu of the Egyptian Inscriptions", A. J. S. L., Vol. XLIX, P. 275-80; Parzen, "The Problem of the Ibrim (Hebrews) in the Bible", ibid, P. 254-61; Gunn, "A Note on the Aperu", A. A. S. O. R, Vol. XIII, P. 38, note, 93.

(٢) راجع : Chiera in A. J. S. L. Pl. XLIX, 118-24; Speiser A. A. S. O. R., XIII, P. 36. f.

(٣) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII, P. 43 & 52.

الهكسوس فى مصر كما سبق تفصيله . و بعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة يعقوب مصر، واتخذوها موطنا لهم . ومن المحتمل أن لدينا فى هذا الحادث ذكرى لاحتلال الهكسوس الشامل للوجه البحرى[١] . والواقع أن تكوين الهكسوس الجنسى لا يزال موضوعا بعيدا عن الحل ، ويجوز أن بعض نواحيه لن يكشف عنها أبدا، غير أنه واضح أن العنصر السامى كان قويا فيه، وكذلك يظهر أن الحورانيين قد لعبوا دورا هاما فى هجرة الهكسوس ، ومن المحتمل أن بعضا من طائفة « الخبيرو » المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين . ومن بين الذين يجوز إسهامهم فى هذه الهجرة كذلك الهنود الإيرانيون فإنهم على ما يظهر قد قاموا بنصيب هام فى هذه الحركة .

ويجب عند فحص مسألة التكوين القومى للهكسوس أن تعالج من وجهات النظر اللغوية والجنسية والثقافية ، على ألا تعالج ناحية من هذه النواحى بأهمية دون معالجة النواحى الأخرى بنفس الأهمية، لأنه من المعقول أن نفرض أن أسرة حورانية الأصل مثلا، لها مخصصاتها الجنسية والثقافية، قد تتكلم بإحدى اللهجات السامية بعد استيطانها « سوريا » و « فلسطين » مدة جيل من الزمان . وتشير

---

(١) لانزاع فى أن قصص الأنبياء تحفظ لنا فى ثناياها ذكريات فى حوادثها لها قيمتها التاريخية . وقد أماط عن بعضها الكشوف الأثرية الحديثة من ذلك القصص التى تحتوى على عناصر من القانون الحورانى (Gen. 31 : 19-35) . وتدل شواهد الأحوال على أن يوسف كان وزيرا لأحد (Gen. 41 : 39 - 44) الفراعنة الهكسوس فى مصر . وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس . وقد وصف يعقوب بأنه أرامى جوّال فى وقت كان يميز فيه العبرانيون بينهم وبين الآرميين بوضوح جلى (Deut. 26 : 5) وهذا قد يدل على استمرار تقاليد قامت على حقائق . وكذلك يمكننا أن نشير هنا إلى أن اسحاق و يعقوب كانا قد تزوجا من آراميات (Gen. 25 : 20 & 28 : 2 - 5) . والعبارة التى اقتبست كثيرا (Nun. 13 - 22) عن «حبرون» بأنها بنيت قبل زاون (تانيس — أواريس) بسبعة أعوام لم تحقق قط حتى الآن من الوجهة الأثرية . وكذلك من الصعب أن يعالج الإنسان موضوع شراء إبراهيم عليه السلام لكهف فى حقل « ماخيلاه» من «عفريم الحيتى» (Gen. 23) غير أنه ليس لدينا على ما يظهر سبب يدعو لعدم سكنى الحيتا فى حبرون فى ذلك العهد .

البراهين اللغوية الخاصة بالألف الثانية قبل الميلاد الى أن اللهجات السامية كانت سائدة فى هذه البلاد[١] ، وإذا أردنا مثلا أن نقتبس مثالا حيا ينطبق على الحالة التى نتكلم عنها حيث نجـد كل أنواع الجنسيات والقوميات والعـادات يختلط بعضها ببعض تحت نفوذ لغـة واحدة رئيسية ، فلدينا الولايات المتحدة الحالية . ومهما يكن أصل تكوين الهكسوس فإن اللغات التى استعملوها ، كانت تميل إلى الاختفاء أمام اللغة السائدة فى البلاد ، فى حين أن العادت كانت تمكث مدة أطول من اللغة والجنس على ما نعلم ، ويمكن الكشف عن هـذا الجنس إذا كان فى الإمكان جمع طائفة كافية من الجماجم لدرسها . وقد أبرزنا فيما سبق الدور الذى لعبه الساميون فى هجرة الهكسوس ، والظاهر أن نفوذهم كان عظيما بسبب انتشار لغتهم ، ومع ذلك فليس لنا الحق فى أن نقول إن من يحمل اسما ساميا بين قوم الهكسوس لم يكن حورانيا أو حيثيا (خيتا) أوهنديا إيرانيا ، إذ نجد من بين ملوك الهكسوس من كان يحمل أسماء مصرية محضة ، ومع ذلك فإن أولئك الملوك لم يكونوا منتسبين إلى أصل مصرى . على أن استمرار بقاء أسماء من مسميات الطوائف التى كانت لغاتهم خاضعة لسيادة لغة أخرى يكون مفيدا للغاية ، وبهذه المناسبة يجب ألا نتغاضى عن التنبيه على أن عددا من أسماء الهكسوس قد بقى إلى الآن لم يحقق لغويا . وهكذا سيظل موضوع أصل شعب الهكسوس فى حاجة إلى أدلة جديدة بعد أن استعرضنا الوثائق الحديثـة العظيمة التى وصلتنا عنـه حتى الآن ، ولذلك كان الكشف عن متون جديدة من البقاع التى احتلتها الهكسوس مساعدا عظيما لحل هذه المسألة ، ويجب أن يكون قيـام بحوث أثرية جديدة فى سـوريا وما وراءها على أساس العنـاية الدقيقة فى جمع الأدلة الثقافية ونتائج فحص العظام جزءا من الطريقة التى تتبع لحل هذه المسألة .

---

(١) راجع : Albright, in J. P. O. S. Vol. VII, P. 254.

الاسرة الثامنة عشرة

أحمس الأول



١٥٥٨ — ١٥٨٠

أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة : لقد كان « مانيتون » المؤرخ المصرى القديم محقا عند ما جعل « أحمس » الأول فاتحة ملوك الأسرة الثامنة عشرة على الرغم من أنه من أسرة كانت تسيطر على جزء كبير من البلاد فى عهد الأسرة السابعة عشرة . إذ الواقع أنه فى حكم هذا الفرعون قد طويت صحيفة من تاريخ البلاد سطر عليها عهد استعباد الشعب المصرى مدة قرن ونصف من الزمان ، ثم بدأ صحيفة جديدة كان أول ما خط فيها آيات بينات تحدثنا عن استقلال البلاد وطرد الغزاة الغاصبين من أرض الكنانة ، ثم الاصلاحات التى قامت



(١٤) تابوت أحمس الأول

فى طول البلاد وعرضها بعد استتباب الأمن فى الداخل والخارج على أسس متينة هيأت لمن جاء بعده من الفراعنة الشجعان أن يؤسسوا دولة مترامية الأطراف تمتد من الشلال الرابع جنوبا إلى أعالى نهر دجلة والفرات شمالا، وتدين لها كل الأمم المجاورة ماديا وأدبيا حتى أصبحت فى عهد « تحتمس » الثالث الذى يلقبه مؤرخو الغرب « بنابليون» الشرق الامبراطورية الأولى فى عالم التاريخ القديم. وقد كانت المثل الذى احتذته الامبراطوريات الغربية العظيمة قديمها وحديثها فى تأسيس ملكها ومدّ سلطانها .

أعماله الحربية فى الخارج والداخل : والواقع أن الحادث الجلل الذى يعلم به حكم « أحمس » الأول الذى خلف أخاه « كامس » هو متابعة الحروب العظيمة التى نشبت بين المصريين والهكسوس وهى المعروفة بحروب الاستقلال التى كانت أمجد صحيفة فى التاريخ المصرى . وقد فصلنا القول فى هذه الحروب الطاحنة فى موضعه، ولم تمض أربع أو خمس سنوات على بداية هذا النضال العنيف حتى أفلح « أحمس » فى طرد الهكسوس من البلاد جملة بل سار بجيشه حتى بلاد « زاهى » (فينقيا) حيث يحدثنا « أحمس » عما أحرزه من انتصار . وبعد أن تم له الفوز فى هذه الأصقاع الأسيوية عاد ثانية موليا وجهه نحو الحدود الجنوبية حيث كان السود قد اقتنصوا فرصة اشتغاله بالحروب فى آسيا، وزحفوا شمالا نحو البلاد المصرية فلحق بهم، وأعمل السيف فيهم فى مذبحة عظيمة كما دوّن ذلك على جدران قلعة « سمنة » الملك « تحتمس » الثانى [١] .

على أنه لما قفل راجعا وجد أن بعض الثورات قد اندلع لهيبها فى داخل البلاد ولا يبعد أن الذين قاموا بتدبيرها أفراد من الذين تخلفوا فى البلاد من الهكسوس بعد طردهم وهذا ليس بالحادث المستغرب لأن طرد قوم بأكملهم استوطنوا البلاد مدة طويلة دفعة واحدة يعدّ من الأمور الصعبة التحقيق . ولا نزاع فى أن الثورتين

---

(١) راجع : L. D. III. Pl. 47c.

اللتين قام بهما «آتا» ثم «تتاعان» وكان يجرى فى عروقهما الدم الهكسوسى، قد هزم كل منهما فى ثورته هزيمة منكرة، ومن ثم لم نسمع بقيام ثورات داخلية بعد ذلك.

والظاهر أنه بعد هـذه الحروب لم تصادفنـا حوادث خطيرة فى حكم هـذا الفرعون، بل تدل الأحوال على أنه أخذ فى تنظم حكومة البلاد و إصلاح ما تخرب فيها خلال حرب الاستقلال ممـا استنفد الجزء الأكبر من مدة حكمه .

اللوحة التى أقامها فى معبد الكرنك تخليداً لأعماله وأعمال والدته :

والواقع أنه ليس لدينا تواريخ بعـد السنة الخامسة من حكم هـذا الفرعون، وهى السنة التى قضى فيها القضاء المبرم على قوة أعدائه شمالا وجنوبا ، الى أن نصل الى السنة الثانية والعشرين من حكمه، حيث نجد «أحمس» قد أقام لوحة عظيمة بمعبـد «الكرنك» تكشف لنـا عن نواح عدّة من نشاطه ، وما قامت به والدته «أعح حتب» من أعمال عظيمة وعلاقتها بجزيرة «كريت» وملكها، وما قام به للآلهة ، وبخاصة الإله «آمون» من جليل الأعمال مما يكشف لنا عن حالة البلاد المـادية والصناعية وقتئذ، ولذلك لم نر بدًا من إثبات محتويات هذه اللوحة بأكملها على الرغم ممـا فيها من النعوت البليغة التى يصف بها هذا الفرعون نفسه، ثم نعلق على ما جاء فيها من حقائق جسيمة قد نوه عن بعضها الأستاذ «ادورد مير» فى مؤلفه التاريخ القديم[1] .

وهاك النص كما جاء فى الأصل المصرى القديم مع التعليق عليه .

(١) يبتدئ النص بذكر ألقاب الفرعون الخمسة الرسمية[2] :

وهى (١) حور — عظيم الشكل (٢) العقاب والصل = حسن الولادة (٣) حور القاهر = الضام الأرضين (٤) ملك الوجه القبلى والبحرى = رب الأرضين نب بحتى رع (٥) ابن الشمس = الذى يحب أحمس عاش مخلدا (راجع تفسير الألقاب الملكية مصر القديمة جزء أول ص ١٦٧—١٦٨)

---

(١) راجع : .Meyer, "Gesch." II, 1. P. 54-55

(٢) لم تذكر ألقاب هذا الفرعون الخمسة كلها على أثر واحد خلافا لهذه اللوحة (راجع Gauthier (L. R. Vol. II. P. 177. (V) .

ألقاب أحمس ووصف عظمة ملكه : ابن أمون رع من جسده ومحبوبه ووارثه، ومن أعطى له عرشه، الإله الطيب حقيقة، قوى الساعد والذى لا يشوبه مين، وإنه أمير يشبه الإله « رع » وتوأم ولدى « جب » (إله الأرض) ووارثه الذى يتمتع بالسرور، وصورة « لرع » الذى فطره، والمتقم له الذى جعله على الأرض، والذى يضىء دهورا، رب الانشراح، ومانح النفس فى أنوف السيدات (؟)، والشديد البأس ... معطى الحياة، ومقيم العدالة، ملك الملوك على كل أرض، الملك (له الحياة والعافية والصحة) الذى يضم الأرضين، عظيم الاحترام، القوى فى الظهور، ... من يخضع له، وآلهتهم يحملون له الحياة والسعادة، وهو واحد فى السماء، والثانى على الأرض، ومن يخلق من صوته النور، محبوب « آمون » ومن يثبت الوظائف مثل الإله، حسن الوجه (أى بتاح)، المسيطر على السنين مثل جلالة « رع » (أى يحكم سنين عدة)، ومن يجعله الإله يعرف محرابه، وما يلزم لكل عيد إله، ملك الوجه القبلى فى بلدة « بوتو »، والأمير على مصر، وعماد السماء، وسكان الأرض، ومن استولى على ما تحيط به الشمس، ومن قد ثبت على رأسه التاج الأبيض، والتاج الأحمر، ومن نصيب كل من « حور » و « ست » تحت سلطانه (أى مصر كلها)، والمضىء الطلعة فى شبابه، ومن قدر لتاجه أعجوبة مزدوجة فى كل ساعة، رفيع الريشتين، ومن يكون أمامه الصلان القويان على جبينه مثل ما يكونان على جبين « حور » عند ما يسيطر على الأرضين، وهو ملك له الحياة والسعادة، مستول على التيجان فى « خمس » وصاحب التاج، حور المغمور بالحب، ومن يأتى له الجنوب والشمال والشرق والغرب، وهو سيد باق، ومن وطد أرضيه (مصر) ومن استولى على إرث من أنجب، ومن تتراجع أمامه الأرضان قاطبة، وقد أعطاه إرثيهما والده الفاخر، وقد سيطر على طبقة « الحنمت »[2] وقبض على طبقة الرخيت[3] (المتعلمين) وقدم له الخضوع « البعت » (القبلى الخاصة). وكان كل فرد يقول إنه سيدنا، وسكان بحر إيجه جميعا يقولون أنه إلهنا، والأراضى تقول : نحن أتباعه وأنه ملك قد نصبه « رع » أميرا، وجعله « أمون » عظيما. وقد أعطياه الشواطىء والأراضين دفعة واحدة، وكذلك ما تضىء عليه الشمس، ويقف الأجانب فى موكب واحد عند باب قصره، والوجل منه فى بلاد « خنت نفر » (قبائل البجة القاطنة ساحل البحر الأحمر والنيل) ورثيره فى أراضى « الفنخو »، والخوف من جلالته فى هذه الأرض (مصر) مثل الخوف من الإله « مين » فى السنة عند ما يأتى (أى فى سنة القحط)، وإنهم

---

(١) كوم الخبيزة الحالية فى شمال الدلتا وهى التى ولد فيها حور أو أهل الشمس أو بنو الإنسان كما يقول جاردنر (Onomastica Vol. I. P. 112.) .

(٢) الحنمت قد يقصد منها رجال الدين كما يقول « ادورد مير » .

(٣) رخيت هم المواطنون سكان الدلتا .

يحضرون الطرف الغالية عنـد ما يأتون محملين بالهدايا إلى الفرعون ، وعندئذ يخرج الملك و بصحبته أتباعه مثل القمر فى وسط النجوم ، يسير فى رقة ، و يخطو فى تؤدة ، و بقدم ثابتة ، ونعل طائع ، يرفرف عليه بهاء « رع » و يحميه « آمون » والده الفاخر ، و يفسح له الطريق ، والقطران يقولان : حقا إنا نراه ، وحبه يملأ كل إنسان ، وتنبهر العينان برؤية هـذا الملك ، والقلوب تنبض بحبه ، وتلحظه كأنه « رع » عند إشراقه ، وهو مثل قرص الشمس عند ما يسطع ، ومثل شمس الظهيرة عند ما تضىء العينين ، وأشعته فى الوجوه مثل أشعة « آتوم » وهو فى شرق السماء عند ما ترقص النعامة فى وديان الصحراء (أى فى وقت الظهيرة) ومثل « ياخو » (إله الشمس) عند ما يرسل أشعته وسط النهار ، وقت ما تكون الديدان جميعا محرورة ، وهو الإله الأوحد الذى أرضـعه نجم الصباح (إيزيس) ، ومن مدحتـه الإلهة « سشات » (إلهة الرياضة التى علمت الملك) ، ومن تكتنفه هيبـة الإله « تحوت » (إله العلم) الذى يمنحه معرفة الأشياء ، و إنه الذى يهدى الكاتب إلى الدقة ، وعظيم فى فنون السحر ، و إنه مالك الحب أكثر من كل الملوك ، وهو « حور » (الملك) الذى يحبه « رع » ، والذى يجعل القلوب تثنى عليه والأفئدة تقدم له المديح فى الأجسام .

طلب الملك إلى رعيته أن يحترموه : اصـغوا يأهل الوجه القبـلى ، و يا رجال الدين ، و يأهـل الوجه البحرى ، و يأيها النـاس جميعا ، يا من يتبعون هـذا الملك فى خطواته ، أعلنوا فخاره للآخرين ، وتطهروا باسمه ، وتطهروا بحياته (بحلف اليمـين) . تأملوا إنه إله على الأرض فقـدموا له الخضوع مثـل « رع » . اثنوا عليـه مثل ثنـائكم على القمر ، فهو ملك الوجه القبـلى والوجه البحرى « نب بحتى رع » الذى يضع فى الأغلال كل أرض أجنبية .

دعوة القوم إلى تبجيل الملكة «أعح حتب» ومديح تلك الأميرة لمـا لها من سلطان : قدموا المديح لسيدة البلاد ، وسيدة جزر «بحر ايجة» ، فاسمها رفيع الشأن فى كل بلد أجنبى ، فهى التى تضع الخطة للجماهير ، زوج الملك ، وأخته الملكية ، لها الحياة والسعادة والصحة ، وهى أخت ملك ، وأم ملك ، الفاخرة ، والحـاذقة التى تهتم ، وتضطلع بشئون مصر ، ولقـد جمعت جيشها ، وحمت هؤلاء ، فأعادت الهاربين ، وجمعت شتات الذين هاجروا ، وهـدأت روع الوجه القبلى (أى مملكة طيبة) ، وأخضعت عصاته ، الزوجة الملكية ، « لعح حتب » العائشة .

الهدايا والمبانى التى أمر الفرعون بإقامتها للإله « آمون » : والآن أمر جلالتـه بصياغة آثار لوالده « آمون رع » تشمل ؛ أكاليل عظيمة من الذهب ، وقلائد من حجر اللازورد الحقيق ، وتعاويذ من ذهب ، و إبريق ماء عظيما من الذهب ، وآنية ماء وأباريق من الفضة ، وآنيـة لصب ماء

القـربان من الذهب ، ومائدة قربان من الذهب والفضـة ، وعقود « منت » من الذهب والفضـة يخللها حبات من اللازورد والفاروز وآنية « تاب إن كا » من الفضة ، وقاعدتها من الفضـة ، وآنية « تاب إن كان » من الفضة ، وحافتها من الذهب ، وقاعدتها من الذهب والفضة ، وآنية « ثنى » من الفضة وآنية ماء من الجرانيت الأحمر مملوءة بالزيت ، وآنية « وشمم » كبيرة من الفضة والذهب وحافتها من الذهب ... من الفضة ، وعودا من الأبنوس ، والذهب والفضـة ، وتماثيل الهول ... من الفضة ، وسبت من الذهب .

ثم أمر جلالته أن تنزل السفينة فى النهر ، واسمها « وسرحات » (تمثال آمون صاحب التمثال النصفى القوى) ، وأن تكون من خشب الأرز الجديد من أحسن خشب المدرّج (أى جبال لبنان) لتقوم برحلة السنة الجديدة ... ولقد أقمت عمد أعلام من خشب الأرز ، وكذلك السقف والأرضية ، وأعطيت ... »

أهمية هذا النص من الوجهة التاريخية : هذا النص على ما يحتويه من تفاصيل دقيقة ، و إشارات بعيدة إلى أمور جسام فى حيـاة الفرعون « أحمس » الأول يرى فيـه المؤرخون أنه عبارات مـدح تقليدية تشغل نحو سـتة وعشرين سطرا منه ، وستة الأسطر البـاقية تعدد إصلاحات هذا الملك التى قام بها لإعادة أثاث معبـد « آمون » وأوانيـه ، وأن الملك لم يشر إلا إشارة عابرة مبهمة عن حروبه فى خلال تلك الجمل المملة المتتابعة ، ولكن الواقع أن هـذه اللوحة تعدّ على جانب عظيم من الأهمية من النـاحية التاريخية والثقافية والأدبية فى عهد هذا الفرعون ، و بخاصة لأنها تشير من طرف خفى إلى علاقة مصر بجيرانها ، وتصوّر لنا حالة البلاد ، وعلاقتها بالملك ، وأمه « أعح حتب » ثم الدور الذى لعبته هذه الملكة فى إدارة سكان هـذه البلاد . وقـد كان أوّل من لفت النظر إلى مكانة هذه الملكة فى تسيير أمور الدولة فى عهد ابنها «أحمس» هو الأستاذ « ادور دمير » ممـا سنفصله هنا :

تبتدئ اللوحة بذكر ألقاب الفرعون الخمسـة التى لا بد أن يحملها كل فرعون بعد تتويجه ملكا على البلاد ، ثم يذكر لنـا « أحمس » أنه من نسل الآلهة ، وأنه وارث « أوزير » والإله « رع » أوّل من حكم على الأرض ، ونشر فيها العدالة ،

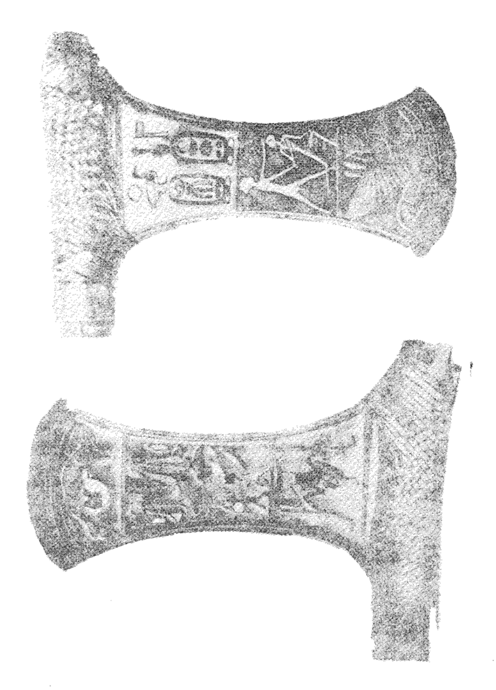
ثم يذكر لنا هذا الفرعون أنه أصبح ملك الملوك بعد انتصاراته على الغزاة القاهرين حتى أن آلهتهم يقدمون له الحياة والسعادة ، ثم يذكر لنا المتن أنه واحد فى السماء ، والثانى على الأرض ، فهــل يعنى بذلك أن والدته كانت شريكته فى ملك مصر؟ وبعــد ذلك يقول إنه ملك الوجه القبــلى فى « بوتو » و « بوتو » كانت العاصمــة الدينية للوجه البحرى منــذ القدم ، فهل معنى ذلك أنه بعد أن كان حاكما على الوجه القبلى وحده، أصبح يمتد سلطانه حتى «بوت» العاصمة الدينية للوجه البحرى بعد طرد الهكسوس ؟

ولا نزاع فى أن هــذا المعنى هو المقصود من المتن ، إذ بعد هــذه الجملة يأتى مباشرة : إنه حاكم « تميرا » أى أرض مصر كلها ثم يستمر المتن قائلا إنه قد استولى على ما تحيط به الشمس وأن نصيبى « حور » و « ست » وهما الوجه القبلى والوجه البحرى قد أصبحا تحت سلطانه وأن سكان الجنوب والشمال والشرق والغرب يأتون اليــه طائعين ، وأن طبقات سكان مصر الثلاث « رخيت » (العــامة) وسكان الوجه القبلى « بعت » (الأغنياء) و بنو الإنسان (حنممت) لا يعقدون الأيمــان إلا باسمــه ، وأنهم يمدحونه ، ويعظمونه مثــل ما يعظمون و يمدحون الشمس والقمر ، ثم بعــد ذلك تأتى فقــرة لم نلحظ مثلها فى النقوش الملكية قط ، وأعنى بهــا ذلك الأمر الذى دعا به « أحمس » النــاس للتعظيم من شأن أمــه الملكة « أعح حتپ » وهى التى تحمل لقب ســيدة الأرض (أى مصر) وأمــيرة شواطئ « حايونبوت » وكلمة « حايونبوت » كناية عن سكان جزر البحر الأبيض، وهى فى هذه الفقرة لابد يقصد منها جزيرة « كريت» وما جاورها من الجزر . و بعد ذلك تأتى عقود المديح التى صيغت لهذه الملكة فاستمع اليها : « اسمها رفيع الشأن فى كل بلد أجنبى ، فهى التى تقود الجماهير، زوجة ملك ، وأخت ملك ، و بنت ملك ، وأم ملك ، الفاخرة والحاذقة التى تهتم وتضطلع بكل شئون مصر، وهى التى جمعت جيشها ، وحمت أولئك الناس ، وأعادت الهاربين ، و جمعت شمل الذين هاجروا

وهدأت روع الوجه القبلى (أى مملكة طيبة) ، وأخضعت عصاته بوصفها الزوجة الملكية « اعح حتب» العائشة : ففى هذه الكلمات التى فاه بها ابنها، تظهر فيها هذه الملكة بأنها هى التى أنشأت مصر الجديدة، وأنها الروح الذى أقال مصر من عثرتها، وكتب لهـا النجاح، يضاف إلى ذلك أنه قد يستنبط من هذه الكلمات أنها لا بد كانت قد قامت بنشاط محس فى خارج بلادها ؛ إذ كان لا يمكنها أن تحمى الهار بين وتجمع شتاتهم إلا فى البلاد الأجنبية، وكذلك كان فى مقدورها أن تقود هناك جيشها إلى النصر . ومن أجل ذلك يجب أن نسلم أنها بعد وفاة زوجها « تاعا » الشجاع، أخذت فى يدها مقاليد الأمور بعزم وحزم معضدة ابنها « كامس» المحارب الذى كان على ما يظهر لا يزال حدث السنّ . على أن مظهرها هـذا ليس فيه ما يتناقض مع موقف « كامس » . ولمـا تولى « أحمس » وقـد كان على ما يظهر حدث السنّ أيضا، أصبحت هى الوصية الحقيقية على عرش «طيبة»؛ ولكن لابدّ أنها كانت فى الوقت نفسه قد عقدت أواصر المودة والصداقة بينهـا و بين ملك « كريت » ومن المحتمل أنها تزوّجت منه ، وذلك لأنه لا يمكننا تفسير عبارة « أميرة شواطئ حايونبوت » على أى وجه آخر كما يقول « ادورد مير» .

ومما سبق يتضح — إذا كان التفسير الذى أوردناه مقبولا — أن الهكسوس قد وقعوا بين مخالب مملكة « طيبة » وجزيرة « كريت » التى أصبحت حليفتها ، وبهذا أصبح من السهل حصار « أواريس » والتغلب عليهـا . ونجد فى هذه الأنشودة الملكية فضلا عن ذلك ما يثبت هـذا الزعم ، فطبقات الشعب الثلاث تقول « إنه سـيدنا » و يقول أهـل « حايونبوت » نحن فى ركابه ، والأراضين تقول : نحن ملكه . وفى استطاعة الإنسان أن يميز بوضوح ثلاث طوائف مختلفة، الرعية المصرية وأهل « كريت » حلفاء مصر ، وهم الذين يقومون لهـا بالمساعدة الحربية ، ثم سائر العـالم (أى سوريا و بلاد السودان) ، وهى الأراضى التى يظلها سلطان مصر .

وقد كان أثر هذه العلاقة الوثيقة التى توثقت عراها بين مصر «وكريت» على جانب عظيم من الأهمية ، وبخاصة فى الثقافة والصناعة التى تبودلت بين أهل البلدين منذ زمن بعيد ، وقد زادتها هذه الروابط الجديدة قوة مما جعلها تنمو وتعظم فى الأزمان المقبلة .



(١٥) سلاح بلطة أحمس الأول

والواقع أن تبادل الثقافة والصناعة بين البلدين قد ظهر أثره فى سلاحين من أسلحة الزينة فى نفس العصر الذى نحن بصدده، قد كان يحملهما الملك « أحمس » وكذلك فى قطعة أخرى من الحلى باسم « كامس » وجدت مع مجوهرات والدته «اعح حتب» فنجد أنه قد نقش على أحد وجهى خنجر «أحمس» المعلق فى خيط من الذهب اسم الملك ، وكل حرف من حروفه قد غطى بصفيحة من الذهب الجميل الصنع ، ثم نجد بعد ذلك أنه قد صيغ على نفس الوجه أسد يقتفى أثر ثور ثم أربع جرادات ، ويرى فى صنع هذا الخنجر تأثير الفن الكريتى المحض ، إذ قد وجد فى هذه الجزيرة وفى « مسينا » خناجر مطابقة لخنجر الملك « أحمس » غير أن الصناعة كانت مصرية وكذلك نجد نفس التأثير « الكريتى » فى (بلطة) « أحمس »[1] (انظر ص ٢٠٧) يضاف إلى ما سبق أن الفرعون قد أشار إلى البلاد التى تغلب عليها كما ذكرنا آنفا .

أما علاقة هذا الملك بشعبه ، وما يحملونه له من رهبة وتجلة فى قلوبهم ، وما يحيط به نفسه من الأبهة والعظمة عند خروجه على الناس فى المحافل الرسمية ، فقد جاء وصف كل ذلك فى قطعة رائعة ربما تذكرنا بعهد ملوك الدولة العباسية ، وما كانت توصف به مواكبهم ، وكذلك ينطبق على سلاطين المماليك ، وما كانوا يحيطون به أنفسهم من مظاهر الملك الرائعة ، فاستمع إلى هذه الفقرة التى لم نجد لها مثيلا فى النقوش المصرية التى طبقت هذا العصر، ولم نقرأ مايشابهها فى العصور التى تلت : ويطلع الملك وحاشيته كأنه القمر فى وسط النجوم ، يسير فى رفق وبخطى وئيدة ، وبقدم ثابتة ، ونعل ينطبع على الثرى أثره ، ويرفرف عليه بهاء « رع » ويحميه « آمون » والده الفاخر ، مفسحا له الطريق ، والقطران يقولان : حقا إنا نراه ، وحبه يغمر كل إنسان ، وتنبهر العينان لرؤية هذا الملك ، والقلوب تخفق له ، وتنظر اليه كأنه « رع » عند إشراقه الخ .

(١) راجع : Furtwangler, "Die Antiken Gemmen III, 20; Fimmen, "Die Kretische-Mykenische Kultur", P. 204. ff.

إصلاحات أحمس : ولا عجب فى أن نرى « احمس » يصف نفسه بهذه الأوصاف ، ويجعل قومه المدينين له يرددونها بصوت عال ، فهو جدير بكل مراسيم الاحترام ، وآيات الحب والإعظام لأنه هو الذى خلص البلاد من ربق العبودية الأجنبية .

ثم نرى بعد ذلك « أحمس » يوجه عنايته نحو إصلاح ما أفسده الدهر من آثار إلهه العظيم « آمون » الذى كان بزعمه قد هيأ له النصر على الأعداء ، هذا فضلا عن أنه كان إله الدولة ، وحامى حماها ، فأمر بصنع أوانٍ جديدة لمعبده « بالكرنك » معظمها من خالص النضار والفضة ، والأحجار الغالية على يد مهرة الصناع ، ومن أوصاف تلك الأوانى وحدها يمكننا أن نعرف ما وصل إليه الفن المصرى من الدقة والإتقان ، وحسن الذوق فى زمنه ولا بدّ من أن الذهب كان يوجد بكثرة فى مصر الآن وبخاصة بعد أن أخضع بلاد النوبة التى كانت أكبر مصدر لهذا المعدن الكريم ، وكذلك نجد أن هذا الفرعون قد صنع سفينة الإله « آمون » التى كانت تجرى فى النيل بين « الكرنك » و « الأقصر » تحمل تمثال الإله فى عيد رأس السنة من خشب الأرز الجديد . وفى وصف هذا الخشب بالجديد فوز جديد « لأحمس » الأول ، إذا أنه قد أحضره من الجبال الواقعة على شاطئ « لبنان » مما يبرهن على أن هذه الجهات قد أصبحت فى قبضة يده كما يدل على ذلك النص المصرى .

مبانيه : والظاهر أن هذا الفرعون كان فى الوقت الذى أمر فيه بصنع الأوانى والحلى الخاصة بمعبد « آمون » كان قد بدأ يحوّل عنايته لإعادة بناء المعابد الهامة فى عاصمة الملك . على أن بقاء عاصمة البلاد ، وأهم مركز دينى بدون إصلاح ما خرب منها لأكبر دليل على ما كانت تحتاج إليه البلاد من تنمية الثروة الضرورية لنهوض البلاد من كبوتها المادية الطويلة الأمد ، قبل أن يهتم مليكها بإنشاء الكماليات ، وما تطمح إليه نفسه ، وقد كان ذلك يحتاج إلى نهوض جيل جديد يجرى فى عروقه دم الحرية تنتعش به البلاد مما حل بها من خراب واضطهاد .

على أن المبانى التى أقيمت فى هذا العهد فى « طيبة » و « منف » قد ابتلعتها التغيرات التى حدثت فى مبانيهما فى الأزمان التى تلت ، والتخريب الذى لحق بهما على يد الأجانب ، ولكن لحسن الحظ قد حفظت لنا الوثائق التى تحدثنا عنها فى محاجر « طرة » أن « نفربرت » حامل خاتم الفرعون ، ورفيقه ، قد نقش لوحتين مؤرختين بالسنة الثانية والعشرين من حكم « أحمس » ، وقد سجل عليهما فتح محاجر لقطع الأحجار اللازمة لبناء معبد « بتاح » بمنف ومعبد « آمون » بطيبة ، ونجد قبل النص فى أعلى اللوحة ألقاب الملك « أحمس » ثم ألقاب زوجه « أحمس نفرتارى » بصورة بارزة تفوق ألقاب زوجها ، والنص هو :

السنة الثانية والعشرون من حكم الفرعون «أحمس» بن « رع » معطى الحياة . هذه الحجرات الخاصة بقطع الأحجار قد فتحت من جديد ، واستخرج الحجر الجيرى الأبيض الجيد من عيان (اسم الإقليم القديم) لبناء معابده التى ستبقى ملايين السنين ، وهما معبد « بتاح » فى « منف » ومعبد « آمون » فى « الأقصر » ولكل الآثار التى يقيمها جلالته له (أى لآمون) وقد جرت الأحجار بالثيران التى غنمها جلالته فى انتصاراته على « الفنخو » .

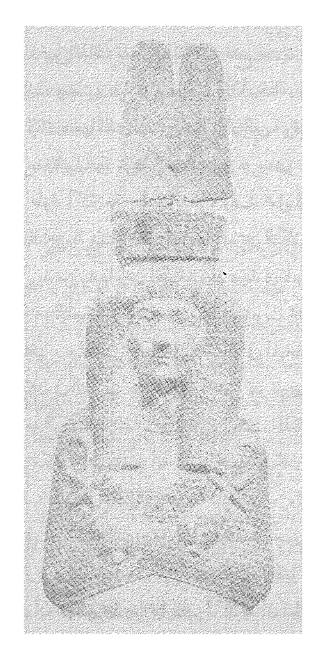
وبعد هذا النص يأتى ذكر « نفربرت » الذى قام بهذا العمل ، وما يحمله من ألقاب ، وقد وصف نفسه بأنه ساهر على إصلاح المبانى الأثرية ، ويرى تحت هذا النقش رسم ستة ثيران تجر زحافة عليها قطعة كبيرة من الحجر ، ويلاحظ أن السائقين الثلاثة الذين يسوقون الثيران أجانب كل منهم له لحية قصيرة ، ولا يبعد أنهم كانوا من الأسرى الذين ساقهم « أحمس » معه إلى مصر [١] .

الملكة نفرتارى : ومما يلفت النظر فى هذه اللوحة بروز اسم الملكة «أحمس نفرتارى » مما يدل على الأهمية العظمى التى كانت تمتاز بها الوارثة الملكية فى الأسرة الفرعونية فى هذا العهد . والواقع أن الأثرى « ويجول » قد وجد اسمها منقوشا وحده فى محجر مرمر فى وادى أسيوط [٢] . وقد كشف لها عن عدة تماثيل صغيرة

(١) راجع : L. D. III, Pl. 3; Petrie, "History", II, P. 37.
(٢) راجع : A. S, XI, P. 176.

تمثلها، مع أنه لم يعثر لزوجها « أحمس » على تمثال واحد حتى الآن . هـذا وقد وجد لها تمثـال ضاع رأسه فى « معبد الكرنك » [1] .

ومن المدهش أن هذه الملكة كانت تقدس أكثر من زوجها، وقد بقى تقديسها على مر السنين أكثر من أى ملك آخر، فقد وجدت آثار تدل على ذلك حتى عهد



(١٦) الملكة أحمس نفرتارى

(١) راجع : Wiedemann, "Gesch". P. 316.

الأسرة الواحدة والعشرين . والواقع أنها كانت تعد فى نظر المصريين إلهة مثل آلهة طيبة العظام، وكان لها طائفة خاصة من الكهنة تقوم على خدمتها كما كان لها محراب مقدّس يوضع على سفينة مقدّسة يحمل على الأكتاف فى الاحتفال بالأعياد العظيمة، وقد كان القوم يدعونها بصيغة القربان المعروفة[1]، وتلقب على الآثار بالإبنة الملكية، والأخت الملكية ، والزوجة الملكية العظيمة ، والأم الملكية ، والحاكمة العظيمة ، وسيدة الأرضين، فهى بذلك تضارع الملكة « اعح حتب » أم « أحمس» الأول فى نفوذها إذ كانت وصية عليه أيام حداثته كما أسلفنا . والظاهر أنها عاشت مدة طويلة بعد وفاة زوجها الذى مات فى سنّ الأربعين، وقبرها مجهول مكانه حتى الآن ، ولكن وجد تابوتها فى خبيئة الدير البحرى ، وهو موجود الآن بالمتحف المصرى ، ويبلغ طوله أكثر من عشرة أقدام ، وقد عمل الغطاء على هيئة صور الملكة ، وتلبس التاج والريشتين الطويلتين ، المميزتين للمليكة أو الالهة، وذراعاها مثنيتان، وفى كل يد من يديها رمز الحياة، وقد وجد فى تابوتها موميتان: إحداهما حقيرة فى منظرها ، والثانية التى كانت موضوعة فى تابوت ثان محفوظة حفظا جيدا ومحنطة تحنيطا متقنا . والظاهر أن أصحاب الشأن فى المتحف المصرى، قد ظنوا أن الجسم الذى كان فى التابوت هو جسم « أحمس نفرتارى » ، وأن الجسم الثانى كان دخيلا وضعه الكهنة عند ما كانوا ينقلون الجثث الملكية فى مخدعهم الأخير، ولذلك حفظ فى مكان خاص، غير أنه تأثر فى هذا المكان بالرطوبة، فتصاعدت منه رائحة كريهة ، فدفن فى الحال فى حديقة المتحف . ولكن أخذ الشك يخامر «مسبرو» بعد فى أن الجسم الذى دفن فى الحديقة هو جسم الملكة « نفرتارى » ، ولذلك أخذ الأثريون يندبون النهاية المحزنة التى لاقتها جثة الملكة « أحمس نفرتارى » ، غير أن « مسبرو » على ما يظهر أكد لنا أن الجسم لم يفقد قط، وأنه

---

(١) راجع : Petrie, "History", II, P. 37. ff.

(٢) راجع : Maspero, "Guide" No, 1173. bis·

الآن فى مكانه بالمتحف المصرى . ولكن الدكتور « إليت سمت » عند ما أخذ يفحص الأجسام التى وجدت فى خبيئة الدير البحرى أكد بأن واحدا من الجسمين يحتمل أنه جسم الملكة ، لأنه كان جسم امرأة قد حفظت على الطريقة التى كانت متبعة فى عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة . وتدل نواجز فكها الأعلى البارزة التى كانت من مميزات الأسرة على أنها «نفر تارى» ، فاذا كان هذا هو الواقع ، فإن جسمها هو الذى يحمل رقم ٦١٠٥٥ [١] فى متحف القاهرة . ويمكن الإنسان أن يقول : إنها عند مماتها كانت امرأة طاعنة فى السنّ هزيلة الجسم تكاد تكون صلعاء ، وقد غطت هذا الصلع بجدائل من الشعر المستعار . ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أنها كانت أكبر من أخيها « أحمس » بسنين عدّة ، وقد لفظت النفس الأخير فى عهد ابنها « أمنحوتب الأوّل » .

اللوحة التى أقامها فى العرابة للملكه تيتى شرى : ومن الآثار القليلة الهامة التى بقيت لنا من عهد هذا الفرعون لوحة عثر عليها فى « العرابة المدفونة » [٢] ولا بد أنها نقشت فى أواخر حكمه ، وألفاظها تنم على أنها ليست من الطراز التقليدى فى عبارتها بل يجد الإنسان فيها التعبير عن الأحاسيس بالبر البنوى نحو الوالدة ، إذ الواقع أن « أحمس الأوّل » وزوجه « نفر تارى » قد أظهرا فى نقوش اللوحة فضل جدّتهما عليهما ، وحبهما لإحياء ذكرياتها بتوسيع قبرها الرمزى المقام فى « العرابة المدفونة » . وهاك النص :

والآن اتفق أن جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سنب بحتى رع » ابن الشمس « أحمس » كان جالسا فى قاعة الاستقبال (فى القصر) فى حين كانت الأميرة الوراثيـة ، صاحبة الحظوة العظيمة ، والرقة الفائقة ، بنت الملك ، وأخت الملك ، والزوجة المقدّسة ، والزوجة العظيمة « أحمس نفر تارى » كانت مع جلالته ، وكان الأول يتكلم للأخرى باحثين عما فيه صلاح أولئك الذين هنالك (الأموات) و يتكلمان عن تقديم القربان ، وتقريب الضحايا على المذبح : وتزيين اللوحة الجنازية التى سيشرع فى عملها

(١) راجع : Catalogue of Cairo Museum, No. 61. 55.

(٢) راجع : Ayrton, Currelly, Weigall, "Abydos", III, Pl. LII.

فى عيد أول يوم من كل فصل ، وفى العيد الشهرى لأول الشهر، وفى عيد خروج الكاهن « سم » وعيد ليلة التضحية، اليوم الخامس من الشهر ، وفى عيد اليوم السادس من الشهر، وفى عيد « حكر » وفى عيد « واج » (عيد الخمر) ، وفى عيد الإله «تحوت» ، وفى عيد بداية كل فصل فى السماء والأرض . وعندئذ قالت له أخته إجابة على ماقال لماذا قد ذكرت هذه الأشياء ؟ فقال لها الملك نفسه ؛ إنى قد كنت : أفكر فى والدة والدتى بنفسى (وهى التى كانت كذلك) والدة والدى، الزوجة الملكية العظيمة، والدة الملك الراحلة «تتى شرى» وعلى الرغم من أن قبرها وضريحها موجودان فى هذا الوقت على أرض طيبة ، والعرابة على التوالى فإنى مع ذلك قلت لك ذلك لأن جلالتى يرغب فى إقامة هرم لها ومحراب فى جبانة « العرابة المدفونة » بمثابة أثر لها من جلالتى ، فبحيرته المقدسة ستكرى ، وتغرس الأشجار حولها ويؤسس قربانه ، ويمدّ بالرجال الذين تحبس عليهم الأراضى المجهزة بالماشية ، وسيكون له كهنة جناز يون ومرتلون كل واحد منهم يعرف واجباته ، وعلى أثر نطق جلالته بهذه الكلمات أقيمت هذه المبانى على وجه السرعة . وقد فعل ذلك جلالته لأنه كان يحبها أكثر من أى شىء على أنه لم يفعل ملوك سبقوه مثل ذلك لأمهاتهم ، وعند ما تمت المبانى جاء جلالته ومدّ ذراعه ، وحنى رأسه (إجلالا) ، ونطق لها بصيغة دعاء القربان الملكى ، وقدّم قربانا للإله « جب » (إله الأرض) ولتاسوع الآلهة العظام ، ولتاسوع الآلهة الصغار ، وللإله «أنوبيس» فى محرابه المقدس ، ومقدما آلافا من القربان من الخبز والجعة والثيران ، والأوز والماشية إلى روحها ... » (بقية النقش قد فقد) .

الكشف عن الآثار التى ذكرت على هذه اللوحة : وقد كشف كل ما تبقى من هذه المبانى الأثرية « كارلى » (Abydos III.) فى الصحراء على بعد بضعة أميال جنوبى « العرابة المدفونة » إذ بنى لها « أحمس » الهرم على مسافة قريبة من الحقول ، وعلى مسافة ميل فى الصحراء أقام معبدا مدرّجا على جانب التل ، وبين هاتين النقطتين أقام محرابا ، وعلى مسافة منه بنى الضريح الوهمى ، وكان المحراب يحتوى على سلسلة من الحجرات الصغيرة أقيمت أمامه اللوحة التى ترجمناها الآن . أما الضريح أو القبر فيشتمل على عدّة حجرات وممرّات محفورة فى أصل الصخر الذى تحت رمال الصحراء، وقد كان الوصول إليها من جحر صغير حقير قطع فى الصخر الذى تغطيه الرمال حتى أن كشفه كان يعدّ من المعجزات ، ومع ذلك فإن هذه الحجرات السفلية قد نهبت فى الأزمان القديمة، ولم يجد الحفارون

المحدثون إلا بعض قطع صغيرة من ورق الذهب مما يدل على أن حجرة الدفن كانت هناك أيضا، وقد كان الرأى السائد أن القبر والمعبد اللذين فى جانب التل هما للملك «أحمس» نفسه، ولكن من المحتمل جدا أن القبر والمحراب هما الضريح الأصلى للملكة «تيتى شرى» المشار إليه فى النقوش وأن الهرم والمعبد المدرج هما اللذان أشير إليهما فى النقش بأن «أحمس» قد أقامهما لجدته العظيمة .

ونجد لهذا الفرعون بعض الآثار تدل على أنه أقام بعض المبانى فى معبد «العرابة» إذ عثر فعلا على نقش غائر يمثل رأس «أحمس» الأول[١] .

أسرة أحمس الأول : وقد كانت أسرة الفرعون «أحمس» الأول كثيرة العدد ، ومما يسترعى النظر هنا أن زوجته وأولاده كثيرا ما كانوا يضعون أسماءهم فى طغراء ملكية، وقد كان هذا الاستعمال شاذا فى هذه الأسرة ، مما لم يوجد مثيله فى أى عهد آخر بهذه الصورة ، وأكبر مميز عرفنا به أفراد هذه الأسرة هو أنهم كانوا يعبدون بعد مماتهم ، وقد وجدت أسماؤهم منقوشة فى مقبرة . «أنحور خورى» (L. D. III. Pl. 2d.) وفى مقبرة «خع بخت» ويشاهد كل منهما يتعبد إليهم (Ibid) .

ومعظم أولاد هذا الفرعون من زوجه «نفرتارى» ونخص بالذكر منهم «مريت آمون» وهى أكبر أولاد الملكة «نفرتارى» وقد توفيت صغيرة ، ثم الأميرة «سات آمون» وهى ثانى بناتها وتوفيت وهى طفلة ، والأمير «سابا إير» وهو أكبر أولادها الذكور وتوفى صغيرا ،ثم «سا آمون» ومات كذلك صغيرا، والملكة «أعح حتب» وهى ثالثة بناتها ، ثم «أمنحتب» وهو ثالث أولاد «نفرتارى» الذكور ، وقد أصبح فيما بعد ملكا . وأخيرا «سات كامس» وهى رابعة بناتها وتوفيت فى سن الثلاثين، وقد كانت تحمل الألقاب التالية «بنت الملك» ، وأخت

---

(١) راجع : Petrie. "Abydos", II, XXXII.

الملك، وزوج الملك[١]، ولذلك يقول عنها «ويجول» إنها كانت ابنة الملك «كامس» وأنها تزوّجت من «أحمس» الأوّل، وبذلك لا تكون ابنته كما ذكر «بترى»[٢]. وقد وجدت موميتها مع الموميات الملكية الأخرى المحفوظة بالمتحف المصرى[٣]، ويدل جسمها على أنها كانت قوية البنيـة تكاد تشبه الرجال فى تركيب جسمها، ويبلغ طولها ما بين خمس وست أقدام، وكانت ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين عند وفاتها لأن شعرها الأسود لم يعبث به المشيب.

مربية الملكة نفرتارى: ومن مشهورات نساء هـذا العهد مربيـة الملكة «نفرتارى» التى تدعى «رى» وقد حفظ جسمها بين الموميـات الملكية (رقم ٦١٠٥٤)، ويدل على أنها كانت رشيقة القوام جميلة الطلعة ماتت وهى فى مقتبل العمر، وكانت ذات شعر غزير مصفوف فى ضفائر عدّة، وكانت صغيرة القدمين واليدين جدا. ويدل بروز أسنان فكها الأعلى على أنها من الأسرة المـالكة.

ومن بين زوجات «أحمس الأوّل» الثانويات «سنسنب» وهى التى وضعت لهذا الفرعون ولدا اسمه «تحتمس» وهو الذى أصبح فيما بعد «تحتمس الأوّل»، ولمـا كان من غير زوجتـه الأولى أصبح لا يستحق وراثة الملك، بل تولى العرش بعد وفاة «أحمس» ابنـه «أمنحتب» الأوّل كما يقـول «بترى» غير أن ذلك غير محقق[٤].

بعض آثار هذا الفرعون: ولا يفوتنـا أن نذكر هنـا أنه وجد لهـذا الفرعون بعض آثار أخرى منهـا آنية من المرمر محفوظة بالمتحف المصرى، ومنقوش عليها اسمه[٥]، وآنية للزينة على شكل صقر من الخزف الأزرق[٦]. وقد رسم

(١) راجع: Maspero, "Momies Royales", P. 541.

(٢) راجع: Petrie, "History", Vol. II. P. 43.

(٣) راجع: Cat. Cairo Mus No. 61063.

(٤) راجع: Petrie, "History", II, P. 43.

(٥) راجع: Mariette, "Catalogue de Boulaq", 6me. Ed. 536.

(٦) راجع: Mariette, "Monuments", P. 52.

على أحد جوانب قاعدته صورة ثلاثة أسرى ، سودانى ، وسورى ، ولوبى ، على أن ما يلفت النظر فى هـذا النقش هو وجود لوبى بين أولئك الأسرى مما يدل على أن هـذا الفرعون قد حارب اللوبيين ، اللهـم إلا إذا كان هـذا الرسم تقليديا وحسب فإنه لا يدل على قيـام أية حرب بينه و بين اللوبيين .

ووجد « شفرييه » حديثا قطعة من الحجـر يستدل منها على أنها جزء من جدار معبد له وجدها فى حشو (البوّابة) الثالثة فى أثناء[1] العمل فى معبد « الكرنك » .

ووجد له كذلك عدّة جعارين محفوظة الآن فى كثير من متاحف أوربا وبخاصة المتحف البريطانى « ومتحف اللوفر » ومتحف « ليـدن » ومتحف « تورين »[2] .

وله كذلك تمثال مجاوب فى المتحف البريطانى من الجرانيت المحبب[3] ، وتمثال صغير من الحجر الجيرى الأبيض فى متحف « تورين »[4] .

مومية أحمس الأوّل : وتدل مومية هذا الفرعون الذى تديـن له مصر بتحريرها النهائى من ربق عبودية الهكسوس ، وبتأسيس أسرة تعدّ من أشهر أسر العالم إن لم تكن أعظمها ، مما جعله من أعظـم ملوك التـاريخ المصرى ، على أنه مات فى ربيع العمـر بين الأربعين والخمسين ، وكذلك نستنبط من موميتـه التى وجدت بين الموميات التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى ، أنها لرجل قوى الجسم عظيم المنكبين عريضهما ، طوله نحو خمسة أقدام ، وست بوصات ، أسود الشعر مجعده ، له ثنايا بارزة بعض الشيء ، وتلك من مميزات الأسرة ، وقد طوّق جيده بإكليل من الأزهار .

---

(١) راجع : A. S, Vol. XXXVI. (1936) P. 137.

(٢) راجع : Gauthier, L. R. Vol. II. P. 179 - 80.

(٣) راجع : Budge, "History" Vol. III. P. 185.

(٤) راجع : Orgurti, "Catalogo Illustrato dei Monumenti Egizii del R. Museo di Torino". II. P. 72. & No. 39et. Regio museo de Turino I. P. 412. No. 3032.



(١٧) مومية أحمس الأول

الأميرة أحمس حنت تمحو والدة حتشبسوت : و بالإضافة إلى زوجته الأولى تزوج من نساء عدة ، نذكر منهن غير ما ذكرناه آنفا الأميرة « أنحابى » التى وضعت له ابنة أطلق عليها الأميرة « أحمس حنت تمحو » وهى التى يقال إنها أنجبت له من « تحتمس » الأول حتشبسوت الذائعة الصيت ، ومن ثم نرى أن « أحمس الأول » لم يكن مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فقط ، بل كان له نصيب وافر فى أنه أنجب لهذه الأسرة بعض أفرادها المشهورين .

عبادة أحمس الأول : والظاهر أن عبادة « أحمس الأول » كانت منتشرة فى البلاد ، وبخاصة فى العرابة المدفونة حيث أقيم له ضريح وهمى وشعائر دينية وقد ظلت عبادته حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وبخاصة لأن تمثاله كان يقوم بالفصل فى المخاصمات التى كانت تقوم بين أفراد الشعب ، ولا أدل على ذلك مما جاء على اللوحة التى عثر عليها فى «العرابة المدفونة» وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى (راجع .A. S. XVI. P. 161) .

وهذه اللوحة أقامها كاهن مطهر للإله « أوزير» ويدعى « موسى » ويشاهد فى أعلاها صورة السفينة المقدسة يحملها ثمانية من الكهنة وفى وسطها محراب للإله « أحمس الأول » وأمامه صورة الملكة « نفرتيتى » تلوح بكلتا يديها صاجتين ، ويرى أمام السفينة الكاهن « موسى » يتضرع للإله « أحمس » ليحكم فى صالح ابنه « باسر» .

ويتلخص ماجاء من النقوش على هذه اللوحة فيما يأتى :

كان « باسر» بن « موس » يملك حقلا ادعى بعض الأهالى ملكيته (على ما يظهر) وقد كان يظن أن « باسر » لابد أن يرفع للإله أوزير وكهنته ظلامته ، إذ أنه هو الإله الأعظم فى تلك المنطقة ، غير أنه رفعها إلى الملك «أحمس الأول» الذى كان على ما يظهر على جانب عظيم من القداسة بوصفه مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، والظاهر أن الحكم فى هذه القضية قد صدر بحركة قام بها حامل المركب

المقدسة التي كانت تحتوى محراب تمثال الإله . وهـذه الحركة كانت إما بلفته نحو صاحب الحق و إما بإشارة من التمثال نفسه ، وفى كلتـا الحالتين كان هـذا من عمل الكهنة أنفسهم . وهـذا هو نفس ما نشاهده اليوم عندما يحمـل جثمان أحد المشايخ فإننا نشاهد الحملة يحدثون مثل هذه الحـركات المصطنعة فيقفون طويلا أو يلتفتون نحو مكان خاص ويفسرون ذلك بأنه كان مُرتاد الشيخ ومن الأماكن المحببة إليه . وأظن أن مثل هـذه الحركات تأتى من إيحاء نفسى يصوّره الخيـال والشعور بالرهبة والخوف فيتمثل حقيقة فى أذهان الحمـلة . وقد يكون ذلك كله محض تمويه واختلاق يدفع إليه الرشوة أو المحاباة .

رجال الدولة والحياة الاجتماعية فى عهد احمس الأول

مقـدمـة : عنـد ما يفحص المؤرّخ تاريخ مصر فى أى عصر من عصورها القديمة ، تعترضه صعوبة لا يمكن التغلب عليها إلا بعد بحوث طويلة قد لا تجدى فى النهاية ، وبخاصة عند ما يريد إبراز شخصية فرعون من آثاره التى تركها لنا . حقا يمكننا أن نعرف طراز الفرعون الخاص ، أما إبراز شخصيته وبيان الناحية التى ظهر فيها فذا ممتازا فذلك لا يتسنى لنا إلا فى حالات قليلة جدا ، لأنا نرى كل فرعون يحـدّثنا فى آثاره عن فتوحه فى الخارج وما قام به من مبان وأعمال ضخمة فى داخل مملكته ، فى جمـل وعبارات ومناظر تقليدية ثابتة تناقلتها المـلوك منذ فجر ظهور الوثائق المدوّنة مثل منظر ضرب الفرعون المظفر أعداءه بصولجانه ، وقد وجدناه للمرة الأولى على لوحة «نعرمر» ، وقد بقى هذا المنظر ينتحله كل ملك بعده حتى العهد الرومانى ، وهذه التقاليد ثابتة فى المناظر الملكية . هذا ونجد مثل ذلك فى النقوش التى من هـذا الصنف ، فكانت متبعة عن قصد ، لأن كل فرعون يرغب فى أن يظهر أمام العالم بأنه هو الملك المؤله التقليدى ، وكان لذلك تأثيره السيىء على فهمنا تاريخ أولئك الملوك . ولمـا كانت العادات تحتم أن يوصف الفرعون أو يمثل وهو يقوم بعمل خاص فإن كل فرعون كان يرغب فى اتباع هـذا التقليد دون مراعاة

للصدق فى القول أو العمل ؛ ففى عهد الأسرة الثامنة عشرة مثلا كان من مفاخر الملوك أن يسيروا على رأس جيوشهم ويقهروا بلاد آسيا ويعودوا منها بالغنائم . وقد ذكر لنا « أمنحتب الثالث » وكذلك « توت عنخ آمون » أنهما ذهبا إلى بلاد آسيا وقهرا الأعداء . والواقع أنهما لم يذهبا قط إلى هذه الجهات للغزو والفتح كما تحدثنا الآثار صراحة عن ذلك كما سيأتى بعد . وكذلك نعلم أن « تحتمس الرابع » قد سار على رأس جيشه وهزم السوريين وخلد انتصاراته برسم إحدى المواقع على ظهر عربته التى عثر عليهما فى قبره . وقد أراد « توت عنخ آمون » أن يظهر هو من ناحيته بدور الفاتح فترك لنا رسم موقعة حربية على جدران أحد الصناديق التى وجدت فى قبره ، وهو كما نعلم لم يذهب قط إلى ساحة القتال . كل ذلك يجعلنا نشك كثيرا فى القيمة التاريخية للمناظر التى تركها لنا أولئك الملوك . حقا فى استطاعتنا أن نستخلص بعض حقائق تاريخية من النقوش الملكية فى كثير من الأحوال على الرغم مما فيها من مبالغات ، ولكن إذا أردنا أن نعلم شيئا عن الحالات الاجتماعية المعاصرة لكل فرعون أو نختلس بعض نظرات سانحة عن شخصيات أولئك الفراعنة وشعوبهم . فعلينا أن نوجه عنايتنا وكل اهتمامنا الى النقوش التى تركها لنا كبار رجال الدولة الذين كانوا يقومون بالأعمال الحكومية فى عهد كل ملك ويتعاملون مع أفراد الشعب من كل الطبقات . فالواقع أن الموظف المصرى منذ عهد الدولة القديمة كان شخصا مغرما بالتحدّث عن نفسه ، إذ كان دائما حريصا على أن يذكر لخلفه كل ما قام به من أعمال جليلة وما ناله من شرف وفخار على يد سيده الفرعون مدّة خدمته له ؛ ولا شك فى أننا مدينون لمثل أولئك الأفراد وما دوّنوه على جدران مقابرهم بجزء كبير من تاريخ البلاد الحقيقى أى تاريخ البلاد الاجتماعى . فإن الموظف عندما كان يعدّد لنا ما ناله من منح وشرف على يد مليكه يذكر لنا لمحات هامة عن أعمال سيده وعلاقته بشعبه ، بل أحيانا تسعدنا المقادير فنجد بعض المناظر فى قبور علية القوم يظهر فيها الفرعون وأفراد أسرته . فمثلا يدين التاريخ لما دوّن على مقابر

رجال عهد « اخناتون » فى معرفة عصر الانقلاب الدينى الذى قام فى عهده . وأكثر من ذلك النقوش التى تركها لنا كل من « أحمس بن أبانا » و « أحمس بننخبت » اللذين عاصرا أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة، فهى تعد حتى الآن مصدرنا الوحيد عن الحروب التى شنها « أحمس الأول » ومن بعده « أمنحتب الأول » و « تحتمس الأول » لطرد الهكسوس من مصر . هذا فضلا عن أن المقابر التى بقيت محفوظة بعض الشىء من عهد الأسرة الثامنة عشرة قد وجد على جدرانها مناظر عدّة تكشف لنا الغطاء عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية معا

ومما يؤسف له جدّ الأسف أن عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة كان فقيرا فى المقابر الشعبية المؤرخة التى تحتوى على مناظر ونقوش مما نحتاج إليه فى كشف النقاب عن أحوال البلاد الداخلية وأحوال معيشة أهلها وعاداتهم وبخاصة أخلاقهم .

على أننا مع ذلك عند ما نفحص تاريخ موظفى هذا العصر وألقابهم الرسمية نرى بعض الضوء على كثير من النقط الغامضة فى تاريخ البلاد وبخاصة من الوجهة الإدارية والدينية .

فمنذ عهد « أحمس الأول » نجد أن الألقاب الدينية المحضة قد أخذت تفسح الطريق لغيرها من الألقاب الحربية والإدارية الجديدة . على أننا نجد مع ذلك أن الفرد الواحد كان يشغل عدّة وظائف فى آن واحد . ولا بدّ من أن نشير هنا الى أن الأفراد الذين كانوا يحملون هذه الألقاب معظمهم من عامة الشعب الذين كوّنوا أنفسهم بأنفسهم فى تلك الفترة التى اختفى فيها كل الأمراء الوارثيين الذين قد قضى عليهم منذ نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

وقد كان من أوّل نتائج توسيع رقعة البلاد ومدّ حدودها فى الجنوب أن عين الفرعون نائبا له فى السودان كما فصلنا القول فى ذلك، وكذلك كان من جراء ظهور

« طيبـة » واتخاذها عاصمة للملك بوصفها مقر الإله « آمـون » أن عين لها حاكم خاص أطلق عليه لقب «عمدة المدينة الجنوبية». كما أصبح للإله «آمون» أملاك خاصة وموظفون مختصون بإدارة شئون أملاكه التى كانت وقفا عليه فى آسيا وبلاد النوبة . وقد أصبح اسمه يقرن بهذه الوظائف مثل « مدير مخازن غلال الإله آمون » كما كان يقرن اسم الفرعون باسم كل إدارة من إدارات مملكته .

ولا شك فى أن ذلك يدلنـا على كيفية زيادة ثروة الإله « آمون » بمـا كان يقدّمه له الفرعون من أموال وأملاك حتى انتهى الأمر إلى أن أصبحت أملاكه ورجال إدارته يمثلون حكومة فى قلب حكومة الدولة؛ هذا فضلا عن عظم سلطانه الدينى فى البلاد ، فنجد مثلا أن نائب بلاد « كوش » المسمى « سنى » الذى بدأ حياته الحكومية فى عهـد « أحمس الأول » وبقى فى خدمة الحكومة حتى عهد « تحتمس الثـانى » قد بدأ يصعد إلى قمـة المجد بوظيفة « مـدير مخازن غلال الإله آمون » و « مـدير الأعمال فى الكرنك (راجع Urk, IV. P. 40) وعلى الرغم من أن هـذه الألقاب كانت موجودة فى وظائف الدولة منـذ عهد الدولة القديمة إلا أنها بدأت تأخذ معانى جديدة وسلطانا أعظم فى عهد الدولة الحديثة . فمثلا وظيفة « مدير أعمال الفرعون فى الكرنك » كانت تدل على بداية قيـام مبان ضخمة جدا فى هـذه البقعة ممـا جعل « طيبة » إحدى عجائب العـالم ، وأعطى حامل اللقب مكانا عليـا لم يكن يحلم بمثله نده فى عهد الدولة القديمة أو الدولة الوسطى، ومن التجديدات الهـامة التى تسترعى الأنظار فى الدولة الحديثـة الوظائف والألقاب التى اكتسبتها المرأة فى هذه الفترة . والواقع أن المرأة المصرية لم تكن محجوبة عن الأنظار كما هى العادة فى التقاليد الشرقية ؛ بل كانت الملكة والفلاحة على السواء تظهر كلتاهما فى المجتمع منذ الدولة القديمة، ولكن ظهور المرأة فى المجتمع الراقى قد ازداد زيادة محسة فى عهد الدولة الحديثة، وبخاصة لتمسك القوم بتقاليد وراثة الملك ، وما كان للمرأة من نصيب فى حكم البلاد، فكان للملكة حاشيتها الخاصة

وأملاكها وموظفوها، وقد عظم سلطان الملكات حتى كن يعين أصحاب الحظوة عندهن فى أعلى مناصب الدولة، وكذلك أخذ الفراعنة يتخذون لأنفسهم وصيفات وخليلات ومربيات ومرضعات لأولادهن . وقد نتج عن ذلك أن كل من اتصل بأولئك النسوة عن طريق النسب أو المصاهرة يمنح أعظم الوظائف فى الدولة كما سنشرح ذلك فى حينه .

ولما جلبت الخيل إلى مصر فى تلك الفترة وأنشئ أسطول بحرى للبلاد خلقت وظائف جديدة لم تكن معروفة من قبل بطبيعة الحال، هذا فضلا عن أن علاقات مصر بما جاورها من البلاد قد أوجد فى البلاط الفرعونى جوا جديدا وحياة جديدة دعت الى إنشاء وظائف عدة لم يسمع بمثلها فى عهد الدولة المصرية السابقة. والآن سنحاول هنا فحص ألقاب أهم الموظفين فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وما تركه كل منهم من آثار هامة يمكن أن تكشف لنا عن بعض نواحى حياة القوم فى خلال هذه الأسرة . وسنتناول فحص آثار كل موظف وتاريخ حياته الحكومية فى عهد الملك أو الملوك الذين عاصرهم وبخاصة من الناحية الاجتماعية بقدر ماتسمح به الأحوال .

أحمس بن أبانا : كان « أحمس بن أبانا » فى نظر المؤرخين المحدثين أهم شخصية بين موظفى عهد « أحمس الأول »، وقد كان يحمل الألقاب التالية : (١) رئيس بحارة الفرعون . (٢) ورئيس بحارة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى الملك «زسركارع» (أمنحوتب الأول)، (٣) وحاجب الملك. على أن ألقابه لا يمكن أن نستخلص منها كثيرا عن حياته ولكنه ترك لنا على جدران قبره فى « الكاب » ترجمة حياته التى يحدثنا فيها عن شجاعته وما ناله من فخار وترف ، ولحسن الحظ قد قص علينا فيها تاريخ الحروب التى شنها الفرعون « أحمس » على الهكسوس وكانت نتيجتها طردهم من البلاد ، وهذه الوثيقة تعد مصدرنا الهام عن حرب الخلاص كما سبق شرحه. والمناظر التى تركها لنا على جدران قبره قليلة

فقد حطم معظمها، وما بقى منها يقدّم لنا معلومات ضئيلة عن أسرته ، فنرى من بينهم أحد أحفاده المسمى « جرإرى » الذى كان يحمل لقب « رسام آمون » وقد مثل واقفا أمام والده، كما نشاهد حفيدا آخر يدعى « باحرى » ويشغل وظيفة « رسام آمون » ، وقد نقش منظره واقفا أمام جدّه « أحمس بن أبانا » وزوجه يرتل صيغة القربان .

وقد مثل « أحمس بن أبانا » وزوجه جالسين معا وتحت كرسيهما قرد أليف يأكل من سلة فاكهة ، وقد كان يقلد فى ذلك « أحمس » الذى كان يمدّ يده ليأخذ بعض الطعام من مائدة قربان أمامه . غير أن هذه المائدة لم تصوّر على الجدار ولكن النقوش تدل على وجودها، وهذا يعنى أن المفتن لم يتم رسم المنظر .

أحمس بننخبت : وكذلك ظهر فى بلدة « الكاب » جندى آخر فى هذه الآونة يسمى « أحمس بننخبت » وكان يحمل لقب « محارب الفرعون » ولقب «حامل الخاتم» و «حامل خاتم الوجه البحرى»، وهذا اللقب الأخير يرجع تاريخ استعماله إلى الدولة القديمة . هذا إلى أنه كان يحمل ألقاب الشرف القديمة الآتية : « الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد » . وقد كانت فى الأزمان القديمة ألقابا تحمل معناها الحقيق، غير أنها أصبحت فى ذلك العهد تمنح مثل ألقاب الشرف والأوسمة الحالية . وقد لعب « أحمس بننخبت » مثل « أحمس بن أبانا » دورا هاما فى حروب الهكسوس ، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران قبره فى « الكاب » وقد بلغ من العمر أرذله إذ امتدّ به الأجل حتى عهد « تحتمس الثالث » والملكة « حتشبسوت »، وقد كانت آخر وظيفة شغلها هى (مربى الأميرة « نفرورع » ابنة « حتشبسوت ») كما ذكرنا ذلك .

« سنى » : أما « سنى » الذى تحدّثنا عنه فيما سبق فقد بدأ حياته فى عهد « أحمس الأوّل » حتى عهد «تحتمس الثانى»، وقد كانت دائرة عمله فى الأصل بلدة « طيبة » حيث كان يشغل وظيفة « أمير » أو « عمدة المدينة الجنوبية »

و « المشرف على مخازن غلال آمون » و « مدير أعمال معبد الكرنك »، وقد عين فيما بعد « نائب الملك صاحب كوش » ولقب بـ«ابن الملك » و « المشرف على الأراضى الجنوبية » (راجع .Urk. IV. P. 40, 142) .

نفر برت : ومن رجال هذا العصر « نفر برت » الذى كان يلقب « مدير الخزانة الخ » كما أسلفنا .

عاباو : وكان من أهم الأسلاب التى يستولى عليها الفرعون من البلاد الأجنبية الماشية، ولذلك كان المشرف على ماشية الفرعون يعدّ من الموظفين الذين لهم أهمية . ومن بين هؤلاء « عاباو » الذى كان يلقب (بالمشرف على ثيران الفرعون « أحمس الأوّل » ، وقد عثر له على لوحة فى حفرة شجرة من التى غرست فى معبد « سيتى الأوّل » فى العرابة (راجع فى .J. E. A. Vol. XIX & XXII, 2) .

باكا : وتدل النقوش على وجود مشرف آخر على الماشية فى عصر هذا الفرعون أيضا ويدعى « باكا » ، وقبره فى « طيبة » الغربية بذراع أبو النجا (Gauthier, "Dra Abu'l'Naga",P.49.) .

إيوف : ذكرنا فيما سلف أن الملكات العظيمات اللاتى عشن فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة كن يحتفظن بموظفين يقومون على خدمتهنّ الخاصة ، ومن بين هؤلاء الموظفين الذين تركوا لنا شيئا عن أعمالهم « إيوف » الذى يقص علينا خبر المنسح التى نالها من اثنتين من هؤلاء الملكات على لوحة عثر عليها فى « إدفو » فيقول لنا : « إنه بدأ خدمته فى عهد الملكة « اعح حتب » والدة « أحمس الأوّل » وظل فى الخدمة حتى عهد الملكة « أحمس » زوج « تحتمس الأوّل » ووالدة الملكة « حتشبسوت » والمتن الذى على هذه اللوحة هو :

قربان يقدّمه الفرعون « لحور إدفو » و « أوزير » و « أزيس » ليقدّموا خبزا وجعة وثيرانا وإوزا وكل شىء طريف وطاهر لروح الزوجة الملكية العظيمة وأم الفرعون « أعح حتب » المنتصرة ولابنها «أحمس الأوّل» المنتصر . ولقد نصبنى كاهنا ثانيا للقيام على أوقاف مائدة القربان وحارسا لباب المعبد

وكاهنا مطهرا . « أيوف بن أريت ست » يقول : « لقد أصلحت قبر بنت الملكة «سبك أم ساف» بعد أن وجدته آيلا للخراب » ثم يقول هـذا الكاهن « أنتم يا من تمرون بهذه اللوحة سأخبركم وسأجعلكم تسمعون عن حظوتى لدى الزوجة الملكية العظيمة « اعحـحتب » . لقد نصبتنى لأقدم لها القربان وكذلك وكلت إلى أمر تمثال جلالتها ومنحتنى مائة رغيف « ست » وعشرة رغفان « برسن » وقدحين من الجعة وقطعة لحم من كل ثور، وكذلك أعطيت أرضا عاليـة وأرضا منخفضة (للزرع) وكذلك وهبتنى كرة أخرى منحة ، فقـد أعطتنى كل متاعها فى إدفو لأديره لجـلالتها . وكذلك أغدقت على الزوجة الملكية العظيمة «أحمس» التى يعزها « تحتمس الأول المنتصر فضلا آخر، فقد نصبتنى كاتبا لحامل الخاتم الإلهى، وقد وكلت إلى رعاية تمثال جلالتها وأعطتنى مائه رغيف وإناءين من الجعة وقطعة لحم من كل ثور وكذلك منحت أرضا عالية وأرضا منخفضة . (راجع .Breasted, A. R. Vol. II. Par. III. ff) .

حرى : وفى جبانة «ذراع أبو النجا» فى « طيبة الغربية » يوجد قبر موظف يدعى «حرى» كان يحمـل لقب « المشرف على مخازن غلال زوج الملك وأم الملك « أعح حتب » (راجع : .Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 12) .

غير أننا لا نعرف عن هذا الموظف غير لقبه هذا ، ولم يبق لنا من رسوم قبره إلا منظر وليمة . وقد بقى يشغل وظيفته هذه حتى عهد « أمنحوتب الأول» .

تتى كى : ومن كبار الموظفين فى عهد «أحمس الأول» عمدة المدينة الجنوبية «طيبة» المسمى «تتى كى» وكان يلقب كذلك «ابن الملك» غير أن هذا اللقب هنا لا يعنى أنه كان نائب الفرعون فى بلاد كوش كما لا يعنى أنه هو ابن الفرعون نسبا لأن والده كان مجرد موظف يلقب « بالمشرف على متنزه الفرعون » . وكانت أمه تدعى «ربة البيت» وهو لقب يطلق على كل زوجة عادية. وعلى ذلك فهذا اللقب كان مجرد لقب فخرى أعطيه « تتى كى » وحسب .

أهمية مناظر قبر تتى كى : وتشمل مقبرة « تتى كى » هذا سلسلة مناظر قيمة على الرغم ممـا أصابها من تكسير ومحـو ، والواقع أنها تعد مثالا من أمثـلة الآثار القليلة التى عثر عليها فى هذا العهد فى « طيبة » وغيرها فبوساطتها أمكننا أن نأخذ فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة . فهذه المناظر

بغض الطرف عن أنهـا تعد مثالا عن عهـد الانتقال بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة تمدنا ببعض نقط هامة ورسوم جديدة كما نجد فيها المناظر القديمة التى يرجع عهدها الى عهد الدولة القديمة (راجع J. E. A. Vol. XI. P. 10. ff; Pl. II.) .
فنجد على الجزء العلوى من الجـدار الشرقى من المزار منظرا مزدوجا مثل فيه عبادة البقرة المقـدّسة « حتحور » العزيزة سـيدة « دندرة » . وهنا نشاهـد الملكة «أحمس نفرتارى» تحرق البخور وتصب المـاء على قربان محروق وضع أمام البقرة المقدّسة التى يشـبه لون جلدها لون البقرة التى على توابيت ملكات الفرعون «منتوحتب» (راجع ج ٣). والظاهر أن هذا أول منظر من هذا النوع نشاهده فى مقبرة خاصة على أن طراز الرسم هنا يذكرنا بطراز الدولة الوسطى .

منظر الوليمة : أما الجزء الأعلى من الجدار الغربى فنشاهد فيه « تتى كى » يقدّم قربانا ويحرق بخورا للإله « أوزير » وخلفه شخص يدعى « سورس » يلقب بالمحارب يضحى بغزالة . وفى أسفل يشاهد والدا « تتى كى » وهو يقدّم لهما قربانا (Ibid, Pl. III.) . وعلى الجدار الشمالى نرى منظر وليمة، وقد جلس فيها « تتى كى » وزوجه « سنب » فى مقصورة ترتكز على عمـد على هيئة سـيقان البشنين وتحت مقعدهما جلس كلبهما المسمى «عزا» وأمامهما الضيفان نساء وعذارى . ويلحظ أن أحد الضيفان قد غالى فى التمتع بالوليمة أكثر مما يجب وأفرط فى معاقرة الشراب حتى غلب عليه القىء ، فنراه فى هذه الحـالة و إحدى السيدات تقدّم له بشفقة إناء يفرغ فيه ما زاد على جوفه (Ibid. Pl. IV.) ، على أن منظر القىء الذى كان يحدث لأولئـك الذين يفـرطون فى المآكل والمشرب فى الولائم يرى هنـا للمرة الأولى فى عهد الدولة الحديثة على ما يظن ، ولم يكن هذا يقتصر على الرجال بل تعدّاهم الى السـيدات ، فنراهن وقد أخذت منهنّ الخمر المصرية اللذيذة كل مأخذ يقئن من شدّة الإفراط .

الإشراف على الحصاد : ومن المناظر الطريفة التى أخذت تظهر منذ هـذا العهد المنظر الذى مثل فيـه « تى كى » وزوجه وهما جالسان تحت شجـرة يشرفان على آخر مرحلة للحصاد فى حقلهما ، فنرى أمام « تى كى » رجالا و بنات يذرون الحبوب التى كانت توضع بعد ذلك فى حقائب وتحمل على ظهور الحمير وقد خارت قوى حمار ناء بحمـله . و بعد ذلك تجمـع الحبوب حتى تصـير كومة كبيرة حيث تكال و يدوّن مقدارها كاتب جلس فوق كومة القمح . وهذه المناظر كانت مستعملة فى الرسوم بطبيعة الحـال منذ الدولة القديمة ، ولا تزال تشاهد حتى الآن فى ريف مصر وصعيدها .

الاحتفال بالجنازة : أما الجدار الجنوبى فقد خصص لمناظر الاحتفالات الجنازية ، وقد كان معظمها يستعمل منذ عهد الدولة الوسطى ، وكذلك فى عهد الدولة القديمة (Ibid. Pl. V.) ، ففى الجزء الأعلى نشاهد تابوت المتوفى تحت عرش ، وقد وضع على زحافة يجرها ثوران وثلاثة رجال . ونشاهد مثل هذا المنظر فى مقبرة « نب كاوحر » التى كشفنا عنها فى سقارة (A. S. Vol. XXXVIII. Pl. XCVII.) ، وكذلك نشاهـده فى مقبرة « سـنفرو آنى مرتف » فى دهشـور (De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Pl. XXII.) ؛ غير أنه فى كل من هذين المثالين يرى أن التابوت قد وضع على قارب صـغير بدلا من الزحافة ، وأنه كان يجـرّ برجال فقط . وقد ظهرت الثيران والزحافات فى عهد الدولة الوسطى فى مقبرة «انتف اقر» (Davies and Gardiner, "The Tomb of Antefoker", Pl. XIX, XXI.) ونلحظ فى هذا المنظر أنه يتقدّم نحـو الجنازة راقصون يسمون « موو » يرقصون رقصة جنازية خاصة ، ويرجع تاريخ هذه الرقصة وممثليها إلى عهد الدولة القديمة ، وقد عثر عليها أوّل مرة فى مقبرة « نب كاوحر » فى سقارة .

ومن المناظر الهامة كذلك هنا المنظر الذى نشاهد فيه مومية المتوفى موضوعة فى محراب على تل من الرمال وأمامها كاهن يحرق البخور . وهـذا المنظر جزء من

الاحتفال بفتح الفم الذى نقرأ عنه فى متون الأهرام ونشاهده كذلك فى مقابر الدولة القديمة . وستتكلم عنه فى ترجمة الوزير « رخ مى رع » .

شعيرة تكنو : وفى مناظر مقبرة « تتى كى » نشاهد كذلك منظر إقامة الشعيرة الغامضة المسماة إحضار «تكنو» ، فيشاهد رجل ملفوف فى عباءة إلا رأسه على أن صفة هذه الشعيرة الحقيقية غير معروفة ، والظاهر أنها تمثل تضحية إنسان ، ويحتمل أنها تمثل شعيرة قديمة تنحصر فى ذبح خدم ليكونوا مع سيدهم فى عالم الآخرة (راجع Gardiner, "The Tomb of Amenemhet", P. 51. & 52.) .

مركز المرضعة الملكية : وفى المنظر الذى مثلت فيه « أحمس نفرتارى » تتعبد للبقرة « حتحور » صورة امرأة واقفة خلف الملكة مباشرة ، وقد كتب عليها مرضعتها « تتى حمت » والظاهر أن هذه المرأة هى إحدى أقارب صاحب المقبرة « تتى كى » ، ولا غرابة فى أن نرى رسمها هنا لأن مركز المرضعة الملكية على وجه عام كان له أهمية كبرى وتأثير عظيم كما سنرى بعد ؛ فقد كان زوج المرضعة الملكية وأولادها يشغلون فى كثير من الأحوال مناصب عظيمة فى الدولة .

رعى : وقد حفظت لنا الآثار اسم مرضعة أو مربية أخرى للملكة « أحمس نفرتارى » وتلقب : مرضعة زوج الإله « أحمس نفرتارى » المرحومة ، وهى السيدة «رعى» وموميتها من أحسن الموميات التى بقيت سليمة بين موميات خبيئة الدير البحرى (Elliot Smith, "The Royal Mummies", Pls. VI.) .

تحوتى : ومن الموظفين الذين عاصروا «أحمس الأول» الكاهن الأكبر للإله «آمون رع» المسمى «تحوتى» وكان يحمل كذلك لقب المشرف على حاملى الأختام .

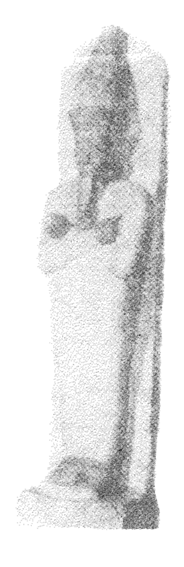
ومن المدهش أنه لم يعثر له للآن على آثار غير مخروط واحد فى جبانة شيخ عبد القرنة (راجع Legrain, "Repertoire", P. 9. No. 14.) مع عظم مكانته بين موظفى الدولة .

امنحتب الأول



١٥٥٧ — ١٥٣٥ ق٠م

ذكرنا فيما سبق أن « أحمس » الأول كان له أولاد كثيرون من زوجاته الكثيرات، وقد كانت أكثرهن خصبا على ما نعلم زوجه الأولى وأخته، « نفرتارى » إذ وضعت له ستة أطفال على أقل تقدير، وكانوا الأولاد الشرعيين الذين ينتخب



(١٨) أمنحتب الأول فى صورة الإله « أوزير »

من بينهم الوارث للعرش . وأكبر أولاد « أحمس » هو على ما يظهر ، الأمير « سابا ايرى » ، وقد كان يحمل كل الألقاب التى تؤهله لولاية العرش ، غير أن المنية عاجلته وهو فى صباه فأصبح الوارث بعده للعرش أخوه « امنحتب » .

ولما لاقى « أحمس » الأوّل حتفه كان ابنه « امنحتب » الأوّل ، لا يزال حدث السنّ لم يبلغ مبلغ الرجال ليتولى العرش بنفسه ، فأخذت « نفر تارى » زمام الحكم فى يدها ، وأصبحت الوصية على العرش ، كما فعلت والدتها «اعح حتب» مع « أحمس » الأوّل كما سبق ذكره . ولا غرابة فى أن نجد هذا النشاط من جانب «نفر تارى» إذ قد عرفنا أنها كانت صاحبة نشاط عظيم فى عهد زوجها «أحمس» الأوّل . وهى بلا شك تعدّ ثانية الملكات اللائى — بما لهن من حق مقدّس شرعى — لم يجلسن فى عقر دارهنّ خاملات ، بل أخذن على عاتقهنّ أعباء الملك ومهامه ، مدّعين لأنفسهنّ المساواة بل التفوّق — بما يحملن من ألقاب — على أزواجهنّ وأولادهنّ فى حكم البلاد . ولا نعجب إذا رأينا الملكة « اعح حتب » التى كانت قد بلغت من الكبر عتيا الآن تلعب دورها من وراء الستار فى إغراء « نفر تارى » فى أخذ مقاليد الأمور فى يدها لتكون هى الوصية على عرش ابنها الصغير كما فعلت هى من قبلها مع « أحمس» الأوّل . وقد عاشت «اعح حتب» حتى السنة العاشرة من حكم « امنحتب » الأوّل . غير أنها قد أحجمت عن التدخل فى مهام الحكم إلى أن وافاها المنون ، وقد عثر على تابوتها كما سبق الكلام عن ذلك .

حروب أمنحتب الأوّل : والظاهر أن أوّل حملة قام بها « امنحتب » الأوّل كانت على بلاد « كوش » كما سبق القول عن ذلك عند الكلام على ترجمة « أحمس » بن « أبانا » ، فقد صعد الفرعون فى النيل فى سفينة « أحمس » بن « أبانا » حيث يقول هذا الضابط البحرى : إنه هزم العدوّ وعاد إلى مصر مظفرا . أما فى آسيا فلا نعرف أنه قام بحروب فيها ، ومع ذلك فإنه يحتمل أن هذا الفرعون قد حاول طوال مدّة حكمه أن يسير على متابعة سياسة

والده الاستعمارية ؛ والواقع أننا نجد فى نقش مؤرخ بالسنة الثانية من حكم « تحتمس » الأوّل ، أن دولته كانت تمتد من « تمبوس » (فى النوبة العليا) حتى « نهر الفرات » ، وليس لدينا ما يحملنا على الشك فى هذا التصريح ، كما أنه ليس من المعقول أن يكون المصريون قد أوغلوا كل هذه المسافة فى السنة الأولى من حكم « تحتمس » الأوّل ، بل يجب أن يعزى ذلك التقدّم إلى عهد « أمنحتب » الأوّل . ولما كانت الوثائق تعوزنا تماما لمعرفة مصدر هذا التقدّم فى الفتوح المصرية فى عهد كل من هذين الملكين ، فإنه من المحتمل جدا أن تأسيس الامبراطورية يعزى إلى حكم « أمنحتب » الأوّل الذى كان حكمه طويلا نسبيا .

أما عن الحملة التى يقال إن الفرعون قام بها على اللوبيين (؟) فقد جاء ذكرها فى ترجمة حياة « أحمس بننخبت » (Urk. IV. P. 36) حيث يقول : وقد رافقت ثانية ملك الوجه القبلى والبحرى « زسر كارع » (أمنحتب الأوّل) المرحوم ، وقد أحضرت له من شمالى « يامو » التابعة لحقول « كهك » ثلاث أيد ، وقد قال الأستاذ « زيته » إن حقول « كهك » هذه مكان غير معروف ، يحتمل أنه فى الشمال الغربى من مصر . كما يقول : إن « حقول يامو » يحتمل أن تكون إحدى الواحات الواقعة فى الصحراء اللوبية[1] . أما «مسبرو» فيقول: «إن الفرعون قام بحملة إلى « لوبيا » بعد حملته على « أثيوبيا » . وتسكن قبيلة «كهاكا» بين بحيرة « مريوط » و « واحة آمون » ، ولا بدّ أنها قد هاجمت بجرأة المقاطعات الغربية من الدلتا . وقد نظم الفرعون حملة عليهم مخلدا ذكرى انتصاره بصنع لوحة صغيرة من الخشب ، نجد ممثلا عليها الملك المظفر ملوحا بسيف فى يده على العدو الذى كان طريحا على الأرض عند قدميه[2] » .

---

(١) راجع : Sethe, Urkunden IV. Bearbeitet & Ubersitzt P. 19.

(٢) راجع : Rosellini, "Monumenti Storici", Vol. III, 1. Pl. 108. & Pl. 11b.

والظاهر أن أعمال « أمنحتب » الأول الحربية قد وقفت عند هذا الحدّ ، إذ ليس لدينا من الآثار ما يشير إلى أى انتصارات أخرى قد أحرزها فى مدّة حكمه الطويل . غير أن هذا لم يمنع معاصريه من الاحتفال به بوصفه فرعونا فاتحا مظفرا، إذ نشاهده مصوّرا على لوحة صغيرة من الخشب محفوظة بمتحف « اللوفر » وهو يضرب بسرور أمراء البلاد الأجنبية [١]، كما نراه فى مشهد آخر واقفا فى عربته على أهبة مطاردة عدوّين أو الحمل عليهما ، وقد أمسك بهما وهما فى حالة إغماء [٢] . أما فى الصيد والقنص فتدل المناظر التى وصلتنا من عصره على أنه كان صيادا ماهرا، إذ نجده مثلا وهو يقبض على أسد من ذيله ، وقد رفعه فى لمح البصر فى الفضاء قبل أن يقضى عليه [٣]، والواقع أن هذه المناظر كانت من الأمور التقليدية عند المصريين فى حروبهم وصيدهم، غير أنها أحيانا كانت ترتكز على حقائق تاريخية هامة .

ولا مراء فى أن البلاد المصرية كانت فى حاجة إلى فترة من الراحة ، والنزوع عن متابعة الحروب ابتغاء أن تشفى من الجروح التى أصابتها مدّة الحروب الطويلة التى عانتها البلاد فى عهد والده وسلفه مع الهكسوس . وسواء أرغب « أمنحتب » عن الحروب لعدم ميله إليها ، أو لأسباب سياسية ، فإن الجيل الذى عاش فيه قد استفاد من كراهيته للحروب، كما استفاد الجيل السابق من حب والده « أحمس » لشن الغارة على العدو وقهره . ولا غرابة إذا فى أن نرى المدن فى عهد «أمنحتب» قد استعادت حياتها العادية ، ونمت فيها الزراعة ، وازدهرت التجارة مما زاد فى ثروة مصر وجعلها على استعداد تام للقيام بفتوحها المقبلة على يد فراعنتها الشجعان .

---

(١) راجع : Ibid. PP. 108-110 & Pl. 11, A. D.

(٢) راجع : Maspero, "The Struggle of the Nations", P. 101.

(٣) راجع : Rosellini, "Monumenti Storici", Vol. III, P. 110 & Pl ,11 ,E.

المبانى فى عهده : لم يكن حب المبـانى الضخمة قد شاع فى عهد هـذا الفرعون لدرجة تستنفد ماليـة الدولة ، وذلك لأن الحالة الاقتصادية لم تكن قد بلغت شأوا بعيد من الرخاء، ومع ذلك نجد لهذا الفرعون آثارا عدّة فى أنحاء البلاد . ففى « أبريم » نجـد وثيقة تدل على أنه قد نحت كهفا فى جبال « أبريم » ببلاد النوبة ، وأهداه للآلهة « ساتت » إحدى آلهة الشلال[١] .

وفى «الكرنك» وجد له «بوابة» فى الجانب الجنوبى من المعبد (A. S. IV. P. 15) ونقش عليها ما يأتى :. « لقـد أقام الملك « أمنحتب » تذكارا لوالده « آمون » رب « طيبة » بوابة عظيمة ، ذرعها اثنان وعشرون ذراعا . عند واجهة المعبـد المزدوجة، وقد صنعها من حجر «عيان» (أى من الحجر الجيرى الأبيض المستخرج من محاجر « طره »)، وكذلك يشير النقش إلى ... ... بناء بيته (آمون) وتأسيس معبـده ، وإقامة (بوابته) الجنوبيـة التى يبلغ ارتفاعها عشرين ذراعا من الحجر الأبيض الجميل[٢] .

وقـد جاء فى نقش مهشم فى مقبرة شريف يسمى « إننى » (وتقع مقبرته فى «شيخ عبد القرنة» فى الجهة الغربية من طيبة) وكان مدير الأعمال فى «الكرنك» ، ما يشير إلى بعض مبان ربمـا كانت « بالكرنك » نفسه ، أقامها هـذا الفرعون ، وأحضر إليهـا المرمر من محاجر « حتنوب » الواقعـة بالقرب من « أسيوط » فيقول النقش :

وكانت أبوابهـا مغشاة بنحاس عمل من قطعـة واحدة ، وبعضها كان من « السام » (خليط من الذهب والفضة) . وقـد خصت كل ما عمله جلالته من الجمشت والنحاس الأسيوى ، من عقود وأوان وقلائد (لتمثال الإله)، وكنت المشرف على كل أعماله ، وكان كل الموظفين تحت إدارتى[٣] .

---

(١) راجع : Ibid. Vol. III, 1, PP. 73-79. & Pl. XXVIII, 1

(٢) راجع : Sethe, Urkunden IV. PP. 42-43.

(٣) راجع : Sethe, Urkunden IV. P. 53-54.

إقامة معبد بالدير البحرى : وقد أقام هذا الفرعون معبدا صغيرا فى مكان معبد « الدير البحرى »، ولكن « سنموت » مهندس الملكة « حتشبسوت » أزاله من مكانه لإقامة معبد الملكة وقد عثر هناك على لبنات باسم هذا الفرعون، ووالدته « أحمس نفرتارى »[١] .

وقد استعمل بناءو معبد « حتشبسوت » لبناته فى بناء منحدرات لرفع الأحجار الضخمة ، وهذا الكشف له أهميته إذ يدل على أن هذا المكان كان موقعا مختارا لإقامة المعابد ، وكذلك يدل على أن ملوك هـذه الأسرة كانوا لا يعبثون بمعابد أجدادهم حتى ولو كانوا من أسرتهم .

وقد أقام « أمنحتب » كذلك بمناسبة الاحتفال بعيد « سد »(العيد الثلاثينى) معبدا صغيرا فى النهاية الشمالية من جبانة « طيبة الغربية »[٢] . ونجدهنا كلا من الإله « حور » (الصقر) والإله « ست » النوبى يقدّم له رمز أبدية السنين[٣] .

المعبد الجنازى : وكذلك بنى لنفسـه معبدا جنازيا لخـدمة روحه (كا) فى الصحراء فى نهاية الجزء الجنوبى من جبانة طيبة الغربية، وهـذا المعبد يؤلف الآن جزءا من الخرائب المعروفة بمعبد مدينة هابو ، ولكنه عند بنائه كان قائمـا بمفرده[٤] ، والظاهر أنه كان بجوار هـذا المعبد حديقة تحيط بحيرة صناعية لا تزال بقاياها موجودة ، وقـد عثر على تمثال جميل لهـذا الفرعون فى هـذا المعبد وهو الآن بالمتحف المصرى ، وقـد رسمت على قاعدته صـورة والدة الفرعون الملكة « أحمس نفرتارى » .

---

(١) راجع : Winlock. "Excavations at Dier el Bahri", P. 113 & 208.
(٢) راجع : J. E. A. Vol. III, 147,
(٣) راجع : J. E. A. Vol. IV. P. II. Pl. IV.
(٤) راجع : Weigall, "Guide", P. 243.

وفى « العربة المدفونة » أقام هذا الملك معبدا تكريما لوالده « أحمس » الأول . وكذلك أقام بعض المبانى فى « الكاب » [١] ، وفى « معبد كوم امبو » أقام محـرابا من الحجـر الأبيض المستخرج من « طرة » [٢] . وفى « شـط الرجال » وهـو واد صحراوى بالقرب من جبل « سلسلة » بين الأقصر وأسوان ، نشاهد على الصخور نقشا لمهندس بناء يدعى « بنيتى » يدل على أنه كان يعمل فى عهد هذا الفرعون ، والفراعنة الثلاثة الذين خلفوه لقطع الأحجار [٣] ، وفى « سلسلة » نفسها نشاهد لوحة محفورة فى الصخر عليها صورة هذا الفرعون ، مهداة من موظف يدعى « بينامون » (Peynamon) ، وهذا النشاط فى تلك المحاجر التى يستخرج منها الحجـر الرملى يدل على استعماله فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لأوّل مرة فى بناء المعابد التى كان يستعمل فى إقامتها الحجر الجيرى المجلوب من « طرة » [٤] . فيما مضى .

ويوجد لهذا الفرعون آثار عدّة « فى متحف القاهرة » وفى مختلف متاحف أوربا ، غير أنه كالمعتاد لا يعرف مصدرها ، لأنها وصلت إلى تلك المتاحف عن طريق تجار الآثار أو خلسة وأهمها ما يأتى : (١) رأس جميل وطغراء ، وهما جزء من لوحة لفـرد يدعى « بافون آمـون » (Pafunamon) كان محفـوظا بمتحف الجيزة [٥] . (٢) جزء من « محراب » [٦] . (٣) مائدة قربان من الجرانيت الأسـود بمتحف برلين (No. 2292) . (٤) إناءان وجدا بمتحف « برلين » معلم على أحدهما حجمه وهو أحد عشر « هنا » أى ٣١٧ بوصة مكعبة أو ٢٨,٨ بوصة مكعبة لكل

(١) راجع : Ibid. P. 311.

(٢) راجع : A. *Z.* XXI. P. 78.

(٣) راجع : Petrie, "Season", P. 476.

(٤) راجع : L. D. III, Pl. 200.

(٥) راجع : Virey, Catalogue Giza P. 693.

(٦) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 321.

« هن »(١) ، والإناء الثانى فى متحف « اللوفر »(٢) ، أما الجعارين فكثيرة جدا فى عهد « أمنحتب الأوّل » منها عدد عظيم ذو طابع خاص خشن الصنع ، وكذلك توجد بعض لويحات مربعة الشكل ، واسطوانتان . واحدة منها عليها صورة الملك واقفا(٣) ، وفى متحف « اللوفر » جعران يشاهد عليه الملك يضرب عدوا بحربة ، ويتبعه فهد صيد(٤) .

لوحة كارس : هذا عن آثار الملك نفسه ، وما قام به من أعمال ، أما عن جدّته « أعح حتب » التى بقيت على قيد الحياة مدّة طويلة فى أيام حكمه ، فلدينا لوحة تذكارية لمدير أملاك هذه الملكة العظيمة ، الذى يدعى « كارس » واللوحة مؤرخة بالسنة العاشرة من حكم « أمنحتب » الأوّل حفيدها ، وقد عثر عليها فى جبانة « ذراع أبو النجا » وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ولما كانت هذه اللوحة تظهر لنا ما كانت عليه هذه الجدّة المسنة من العظمة ، والاعتراف بالجميل للموظف المخلص ، وما كان يجب عليه بدوره أن يتصف به من جميل السجايا أوردناها بنصها(٥) . وهاك الترجمة :

السنة العاشرة الشهر الأوّل من فصل الصيف ، اليوم الأوّل من حكم جلالة ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى « زسر كارع » ابن الشمس من جسده « أمنحوتب الأوّل » محبوب « أوزير » معطى الحياة ،

مرسوم صادر من أم الملك بتأسيس مقبرة وشعائر جنازية لمدير الأملاك « كارس »

أمر الأم الملكية للأمير الوراثى حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، ومدير بيتى الذهب ، ومدير بيتى الفضة ، والمدير العظيم لأملاك الأم الملكية « أعح حتب » ، والحاجب المسمى « كارس » ، لقد أمرت الأم الملكية أن يقام ضريح لك فى « العربة المدفونة » وأن يدوّن عليه كل

(١) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 32,

(٢) راجع : Birch, "A History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman", 12.

(٣) راجع : (Flinders Petrie Collection)

(٤) راجع : Petrie, "History", II. P. 51,

(٥) راجع : Urkunden IV, P. 45-49.

الوظائف ، وكل الإنعامات التى نلتها ، وأن يبق تمثالك فى المعبــد ضمن أتباع الإله العظيم (أى لأجل أن يشترك فى أعياد الإله) وأن يوقف لهـا (أى التماثيل) قربان من اللحم ، وتعظم وتثبت قربانها كتابة : وتقــدّم لك قربان ملكية كما تحب الزوجة الملكية أن يقــدّم للأمير الوراثى حامل خاتم الوجه البحــرى والحاجب « كارس » .

مديح كارس : المحبوب الوحيد ، الذى يسكن فى جسم « سخمت » (الملكة) ومن يقتفى خطوات أميرته ، ولذلك فإنه حل فى قلبها قبل الناس ، وهو واحد يسكن فى قلب سيدته حقيقة ، وهو الذى يفضى إليه بالأسرار ، والذى يقف على مشاريع ســيدته ؛ ومن يتجاوز حديثه ما فى داخل القصر ، ومن يجد الكلام (أى يجد حلا للكلام) ، ومن يجعل الصعب سهلا ، ومن تعتمد ســيرته على كلامه ، ومن تقر به إليها حقيقة ، ومن يعرف سوانح القلب ، السعيــد المنطق فى حضرة ســيدته ، والمهاب كثيرا فى بيت الأم الملكية ، الرزين فى الملمات الممتاز القول ، ومن يخفى فى نفســه أحوال القصر ، ومن فــمه مختوم على ما يسمعه ، الأمير الذى يحل المعضــلات ، مدير البيت العظيم « كارس » المرشــد اليقظ لأعمال الأم الملكية ، ومن لا يفضل الليل على النهار الحاجب « كارس » .

نداء لقارئى النقش : يقول : يأيها الأمراء والكتّاب ، والمرتلون والتابعون ، ورجال الجيش ، إن آلهتكم المحلية ستمــد حكم وستحييكم ، وإن وظائفكم ســترثها أولادكم بعد عمر طويل ، إذا قلتم قربانا يقدّمه الفرعون « لآمــون » ذى الريشتين الرفيعتين رب الحياة ، واهب الحب ، ورب الدفن ، ومن يمنح الدفن بعد الشيخوخة ، لأجل أن يعطى قربانا من خبز وبقر وأوز ، وكل شىء جميل طاهر مما يقدّم على مائدة رب الكل ، لمدير الخزانة الملكية ، ومدير البيت العظيم للأم الملكية ، « كارس » لأنه رجل صــدق أمام الأرضين ، ومستقيم حقا ، برىء من المين ، وعميد العدالة ، وحامى البائس ، ومنجى من لا خلاص له ، وجاعل المتخاصمين يخرجان من عنده منشرحين بما يخرج من فمه ، يزن بالقسطاس المستقيم ، والثانى الذى يحبيه (الملك) بالاسم ، ومن يخفى مثل الإله فى ساعته (أى ساعة خدمته) ليستمع إلى الحديث ، وإنه فى قلب سيدته حقيقة ، ومن رفعت منزلته أميرة الأراضين ، مدير ماله ثدى ، وماله قرن وحافر ، (كناية عن الحيوان بأنواعه) مدير البيت العظيم « كارس » ابن « عقا » والذى وضعته ربة البيت « تشا » .

مغزى هذا النقش : ومما جاء على هذه اللوحة نفهم أن الملكة المسنة لابد كانت مغرمة بمدير قصرها ، وإن شئت فقل مدير خاصتها ، كما يعبر عن ذلك الآن ، وإنها بأمرها إقامة قبر له فى « جبانة أوزير » المقدّســة الواقعة فى البلد المقــدّس

---

(١) سخمت هى إلهة القوّة والحرب فى صورة لبؤة .

(العرابة) قدّمت له هدية ثمينة كان يطمح إلى مثلها كل مصرى يريد أن يكون له ضريح فخم بجوار إله الموتى العظيم الذى يسكن فى ذلك البلد المقدّس .

والواقع أنه إذا كان « كارس » هذا صادقا فى نصف ما قصه علينا فإنه كان حقيقة جدير بأحسن قبر يمكن للملكة المسنة سيدته أن ترفع بنيـانه فى العرابة ، فأى عاهل من عواهل عصرنا لا يقـدّم عن طيب خاطـر ونفس مطمئنة ما يكافئ به خدمات رجل يحـل المعضلات و يجعل الصعب سهـلا ، و يضاف إلى ذلك أنه فضلا عن حل المعضلات يجمع إلى نفســه تلك الصـفة التى لا يقدر على إحرازها إلا القليل من الناس ، وهى قدرته على أن يطبع على لسانه ، ويختم عليه ممـا يصل إلى مسامعه ؟ ولكن من الجائز أن أمثال أولئك الموظفين الذين تخرج فى مدرستهم « كارس » كانوا وقفا على مصر منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سـنة مضت ، وأنهم أصبحوا لا يتخرجون فى تلك المدرسة بعد .

ولقد ضربت الملكة « أعح حتب » المثل فى معاملة خدّامها المخلصين ، وهى بذلك تقدّم المثل الأعلى لعالمنا الجديد قبل مماتها بقليل ، فى حياة حفيدها .

وفاة أمنحتب الأوّل : وقد توفى « أمنحتب » الأوّل بعد أن حكم البلاد ما يربى على عشرين عاما ، وقد خلد لنـا « إننى » مهندس فنّ العمارة حادث موته فى الكلمات التالية فى نقوشه التى تركها لنا عن حكم هذا الفرعون إذ يقول : ”ولـما أمضى جلالته حياته فى سعادة وسنين سلام رفع إلى السماء، وانضم إلى إله الشمس وذهب معه “ .

ابتكاره فى الدفن : وقد كشف عن معبده الجنازى عام ١٨٩٦ بعد الميلاد عند حافة الصحراء الغربية فى « جبانة ذراع أبو النجا » ، غير أنه لم يحقق حتى الآن مكان قبره ، رغم ما قدّم المستر « كارتر » من البراهن القوية [١] ، على أنه هو القبر الذى

(١) راجع : J. E. A. Vol. III. P. 147.

كشفه اللورد « كارنرفون » عام ١٩١٤ ميلادية على مسافة ٨٠٠ متر من المعبد الجنازى الذى أقامه هذا الملك، إذ يعتقد المستر « ويجل » أن قبره هو القبر الذى يحمل رقم ٣٩ فى النهاية الجنوبية من وادى الملوك، ولذلك فإن حقيقة مكان دفنه لا تزال غامضة للآن ، وعلى أية حال فإنه على الرغم من الزعم القائل بأن خلفه «تحتمس» الأول ، هو الذى يعتبر أول من أنشأ عادات الدفن فى « وادى الملوك » ، فلا بدّ من الإذعان بأن « أمنحتب الأول » كان أول من وضع تصميم فكرة فصل المعبد الجنازى عن القبر ، وبذلك كان فى إمكانه أن يحصل على سرية القبر لبعده من الخطر الذى كانت تهدّد به القبور، وقد زار قبر « أمنحتب الأول » لجنة الفحص التى شكلت فى عهد « رعمسيس التاسع » لفحص مقابر الملوك فى الجهة الغربية من « طيبة » كما جاء فى ورقة « أبوت » وهاك ما جاء فيها :

" إن الأفق الأبدى للملك « زسركارع بن شمس » « أمنحتب » وهو الذى يبلغ عمقه مائة وعشرين ذراعا فى قاعته العظيمة ، وكذلك فى ممره الطويل ، وهو الذى يقع فى شمالى معبد « أمنحتب صاحب الحديقة » ، وقد وضع عمدة البلد «بيزر» تقريره عنه للملك «خع أم واس» (رعمسيس التاسع) للضابط الملكى « نسو آمون » ، ولكاتب الفرعون، ولمدير بيت المتعبدة المقدّسة للإله « آمون رع» ملك الآلهة (أى الملكة) ، وللضابط الملكى « رع نفر كا إم با أسن » ، ولحاجب الملك ، وللحكام العظام قائلا (فى هذا التقرير) « إن اللصوص قد سرقوه » — قد فحص اليوم ، ووجده البناءون سليما " .

وأول ما تجدر ملاحظته هنا أن هذا القبر كان غريبا فى شكله بالنسبة للمقابر الأخرى التى فحصت ، وبخاصة عمقه الذى كان يبلغ مائة وعشرين ذراعا ، إذ لم توجد مقبرة أخرى حفرت فى واجهة هذه الصخور تقرب من هذا العمق ، وذلك لأن المقابر العميقة كلها قد حفرت فى الواجهة الأخرى من الصخرة فى وادى الملوك . والواقع أن مقبرة هذا الفرعون تعدّ الأولى بين طائفة المقابر الطويلة العمق التى انتشر نموذجها فى عهد الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين .

عبادة أمنحتب الأول والملكة نفرتارى : ولا غرابة فى أن يكون قبره عظيما بهذا الوصف ، فإنه كان يعدّ إلها يقدسه المصريون ، ولما كانت أمه

« نفرتارى » قد أصبحت فى نظر الشعب تمثل « إزيس » فإنه كان بدوره يمثل « أوزير » حامى الجبانة ، وقد مثل على غراره فى اتخاذ ألوان الآلهة الجنازية ، فنجده مثلا ممثلا باللون الأسود يتبعه ابنه « سابا ايرى »[1]. وفضلا عن ذلك كان شكله يحشر مع الآلهة الأخرى لتزيين داخل التوابيت ولحماية موميات عباده[2]. ولهذا الفرعون تمثال فى « متحف تورين » يمثله جالسا على عرشه فى جلسة ملك يتحدث إلى رعيته أو فى هيئة إله يتقبل خضوع عباده[3]، ورسم التمثال تقرأ فيه مرونة يد النحات فى إبداع تصويره بدرجة مدهشة فى عصر مثل هذا ، *فالرأس أعجوبة فى اللطف والرشاقة الطبيعية* . والواقع أن الإنسان يشعر بأن النحات كان يحس لذة وسرورا فى نحت تقاسيم هذا الفرعون ، وفى إخراج هذا المحيا الذى ارتسمت عليه السماحة وهدوء الحالم فى نومه[4]، والواقع أن عبادة هذا الملك قد بقيت أكثر من سبعة قرون إلى أن نقل تابوته ، ووضع مع توابيت أعضاء أسرته الآخرين فى المكان الذى بقوا فيه مختبئين حتى كشف عنهم اللصوص فى عصرنا هذا . على أن جسمه كان قد نقل قبل ذلك مرات عدّة بعد أن سرق قبره طبعا . فنعلم أن موميته قد دفنت ثانية فى عهد الملك « باسبخانو » الأول ، بعد مضى نحو خمس وستين سنة على ذلك ونقل ثانية فى حكم الملك « بترم » الأول ، أى بعد ثلاثين سنة من دفنته الثانية ، وبعد ذلك بنحو قرن نجد تابوت الملك مودعا قبر الملكة « انحابى » وذلك فى عهد الملك « سى أمون » ، ولكن بعد ذلك لا نعرض إلى أى تاريخ بقى فى هذا المخدع الأخير ، وعلى أية حال فإنه كان لا بد من نقله مرة أخرى كما ذكرنا حيث وجد أخيرا فى الدير البحرى ، ومن ثم إلى

---

(١) راجع : Rosellini, "Storici", Vol. III. 1, PP. 98 - 106.

(٢) راجع : Pl. XXIX,

(٣) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 319.

(٤) راجع : Champollion, "Lettres à M. le Duc de Blacas d'Aulps Relatifs au Musee Royal de Turin" Vol. I, PP. 20, 21

« متحف القاهرة » ثم من هنا إلى ضريح سعد ، ثم إلى بيت مدير مصلحة الآثار في الدور السفلى، ثم نقل إلى الدور العلوى ، ثم نقل إلى المتحف أخيرا .

وصف تابوته وموميته : وقد صنع تابوته على صورة جسم آدمى وطلى باللون الأبيض ، ووجه يشبه وجه تمثاله ، وقد رصعت عيناه ، وخطت بالكحل مما أصبغ على كل الجسم حيوية مدهشة . وقد لف الجسم بنسيج من الكتان برتقالى اللون، وقد ثبت في مكانه بشرائط سمراء اللون تقريبا ، ثم غطى بغطاء وجهه من الخشب والنسيج المقوّى ، وقد طلى باللون الذى طلى به خارج التابوت ، وكانت المومية ، مزينة بأكاليل زهر من الرأس إلى القدم غير أنها قد ذبلت الآن . وعلى هذه الأكاليل وجد زنبور لابد أنه قد اجتذبته رائحة الأكاليل العطرية في وقت الدفن ، و بقى سجينا بوضع الغطاء على التابوت وقد استمرّ الزنبور محفوظا لم يصبه أى عطب بمواد المحنط ، وقد حفظ جناحاه الشفيفان دون أن يصيبهما أى تعفن مدّة هذه القرون الطويلة [١] .

ولا تزال مومية هذا الفرعون ملفوفة في كفنها لم تفحص بعد كأن قوته الإلهية في الأزمان القديمة قد بقى سرها حتى الآن لحافظت على جسمه فلم ينله أى ضرر ، على الرغم من التقلبات التى مرت عليه طوال هذه القرون ، وكذلك بقى اسمه في الشعب المصرى يتردّد على شفاههم حتى يومنا هذا دون أن يفطن إليه أحد اللهم إلا علماء الآثار ، إذ ظل اسمه باقيا في الشهر القبطى برموده (Phamenoth) ومعناه عيد « أمنحتب [١] » .

والظاهر أن زوجه « اعح حتب » الثانية لم تلعب دورا هاما في تاريخ حياته ، لأن أمه « أحمس نفرتارى » قد غطت عليها . حقا إننا نجد اسمها مذكورا على عدّة آثار ، كما نجدها ممثلة على الآثار عدّة مرات مع زوجها « أمنحتب الأوّل » ولا بد

(١) راجع : Memoires de la Mission Française, Vol. I. PP. 536 - 7.

أنها أخت الملك من أبيه وأمه، إذ كانت تحمل اللقب «الأميرة الوراثية» الذى أعطيته ابنتها «أحمس»، وإلا لما فضلت على أخيها وزوجها «تحتمس» الثانى الذى كان من أم من عامة الشعب، كما سنرى بعد. وقد عثر على تابوتها فى خبيئة الدير البحرى، وهو الآن فى المتحف المصرى. أما الجثة فلم يعثر عليها (Gauthier L. R. Vol. II. P. 208,). وقد توفى «أمنحتب الأوّل» ولم يعقب منها ذكرا، مما عقد أمر وراثة العرش بعض الشىء كما سنرى.

عبادة امنحتب الأوّل فى جبانة دير المدينة : (راجع B. I. F. A. O. Tome. 27 P. 159. ff.).

كانت عبادة الفرعون أمنحتب الأوّل تعدّ أهم عبادة وأطولها مدّة بين الفراعنة الذين قدّسهم الشعب المصرى بعد مماتهم. وليس بعجيب أن الجزء الأعظم من الآثار الخاصة بعبادته مصدرها طيبة. لأن كلا من معبده وقبره قد أقيم فى هـذه الجهة، غير أن الأهم من ذلك هو أنه إذا فحصنا هذه الآثار نفسها بالتفصيل نجد أنها كلها تنسب إلى جبانة «دير المدينة» التى كانت تسمى قديما جبانة خدام مأوى الصدق. وقد دلت البحوث الحديثة على أن هذا الاسم يدل على عمال الجبانة الملكية. ومن ذلك نعلم أن خدام «مكان الصدق» هـم العمال الذين كانوا يقومون بنحت مقابر الفراعنة فى هذه البقعة وهى المعروفة الآن «بأبواب الملوك». وهؤلاء العمال كانوا بطبيعة الحال من طبقة فقيرة من أهل البلاد، ولم يكن من المحتمل أنهم هم الذين يقومون بالشعائر الجنازية لهـؤلاء الملوك، بل كانت فى أيدى كهنة المعابد الجنازية الخاصين بذلك. غير أن العمال كانوا بدورهم موظفين ملكيين، فليس من المدهش اذن أن يقوموا بعبادة الملوك رؤسائهم بعـد موتهم. وقـد كانت عبادة أمنحتب الأوّل على وجه خاص شائعـة عندهم ولذلك أصبح هـذا الفرعون الوحى الذى يفصل بينهم فى خصوماتهم الصغيرة (راجع J. E. A. Vol. III. P. 176.).

العمال وأمنحتب الأول . والواقع أن أمنحتب الأول كان أول من نحت قبره فى صخور تلال طيبة ،فكان أول من أحسن للعمال وأوجد لهم عملا فى الجبانة الملكية وهم الذين أطلق عليهم خدام « مكان الصدق » . ولا يبعد أن يكون هو المؤسس الأول لطائفة العمال الذين كانوا يقومون بنحت المقابر الملكية، ولا غرابة فى ذلك فكل ما لدينا من وثائق عن هذا الموضوع يرجع تاريخه إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة . (راجع .B. I. F. A. O., P. 161) ، وقد قام بفحص هذا الموضوع الأستاذ "شرنى" فى مقال رائع (راجع ibid) ويتلخص فيما يلى :

(١) كانت عبادة الملك « أمنحتب الأول » منتشرة عند العمال فى جبانة طيبة الملكية ، كما يدل على ذلك آثارهم الجنازية والمدنية . والسبب فى ذلك هو العلاقة الوثيقة التى توجد بين جماعتهم وأمنحتب الأول الذى أسس طائفتهم .

(٢) كان يوجد فى «طيبة» الغربية أشكال عدّة لعبادة « أمنحتب الأول » مقابلة للتماثيل الخاصة به فى محاريب مختلفة . وقد عرفنا منها اثنين على وجه خاص من آثار عمال الجبانة وهما أمنحتب سيد المدينة (أى مدينة العمال) وأمنحتب محبوب آمون »؛ ويمكن تمييزها بالتاج الذى كان يلبسه كل من صورة الفرعون فى هاتين الحالتين .

(٣) كان أحد محاريب الفرعون فى قرية العمال . وكان تمثال الفرعون فى الأعياد المختلفة يحمل فى حفل جبانة « دير المدينة » ، وأحيانا كان يحمل حتى « وادى الملوك » .

(٤) كان تمثال « أمنحتب الأول » يفصل فى المخاصمات بين العمال بوساطة الوحى الذى كان ينطق به التمثال فى المحراب أو فى خلال المواكب .

(٥) كان العمال أنفسهم يقومون بعمل الكهنة لعبادة هذا الفرعون . وقد كان العمال على وجه خاص هم الذين يقومون بحمل تمثال الفرعون فى المواكب .

الموظفون والحيـاة الأجتماعيـة فى عهد « امنحتب الأول »

كارس : من أهم النقوش التى تحدثنا عنهـا فى حكم هـذا الفرعون نقوش لوحة الموظف « كارس » ويرجع تاريخها إلى السنة العاشرة من حكم « أمنحتب الأول » وقد تكلمنا عنها فيما سبق .

وكان يحمل الألقاب التالية : — الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضـة ، ومدير البيت ، وحاجب الفرعون ، ومدير البيت العظيم للأم الملكية ، والمدير العظيم لبيت الأم الملكية « اعح حتب » (Urk. IV. PP. 44 - 49)

حورمنى : فى متحف « فلورنس » لوحة لموظف كبير ، يدعى « حورمنى » لم يعـثر على قبره بعد وكان يحمـل الألقاب التالية : الكاتب وحاكم نخن . وتدل نقـوش اللوحة على أنه كان من الأفراد أصحـاب المكانة إذ يقول : لقـد أمضيت سـنين عدة عمدة لبـلدة « نخن » وقد جمعت خراجها لرب الأرضين . ولقد مُدحت ولم توجد فرصة قط للومى ، ولقد بلغت الشيخوخة فى « واوات » وأنا محبوب سيدى ، وذهبت نحو الشمال بالجزية للملك كل عام ، وقد خرجت من عنده وأنا برىء ، ولم يوجد عنـدى زيادة (راجع .Urk. IV. P. 76 - 77) ومن ذلك نعلم أن عمدة « نخن » التى كانت تعدّ الحدّ الفاصل بين مصر وبلاد النوبة ، كان مسئولا عن جميع خراج البلاد الجنوبية وعن حسن سـير الأحوال فيهـا أمام الفرعون . ولسنا نعـلم إذا كان هذا الموظف قـد رقى إلى مرتبة حاكم إقليم « واوات » فى بلاد النوبة السفلية أو أن بلاد « واوات » كانت تحت إدارة بلدة « نخن » ، إذ نعرف فيما بعـد خلال الأسرة الثامنة عشرة أن إدارة نائب الفرعون فى بلاد النوبة كانت تمتد من نخن حتى كاراى (راجع ص) .

رنى بن سبك نخت : وفى متحف تورين تمثال لموظف يدعى « رنى » (راجع .Urk IV, P. 74) يحمل الألقاب التالية : — الأمـير الوراثى ، والمشرف

على كهنة نخب . وقد دوّن على التمثال النقش التالى : قربان يقدّمه الملك لنخبت البيضاء صاحبة « نخن » (الكوم الأحمر) لتعطى كل شىء جميل وطاهر مما يوضع على مائدتها فى كل عيد للسماء للأمير والكاتب الماهر عند الإله الطيب ، الحازم فى كل الأشياء الصغيرة المرحوم « رننى » يقول : « لقد خدمت ملك زمانى وقد عرفته طفلا ورجلا ، وذكراى موجودة فى القصر ، وعرفت « حور » (أى الملك) ، وقد بلغت من العمر أرفعه فى مدينتى ، وقد قادنى قلبى لخدمة الملك ولم أكن خسيسا فى فؤاد (الفرعون) ولا مثيل لى واسمى طيب فى كل البلاد الأمير الوراثى ، والمشرف على كهنة نخب « رنى » الأمير الذى أنجبه الأمير الوراثى « سبك نخت » المرحوم .

ومن النقش نعرف الاتصال الوثيق الذى كان بين هذا الأمير وبين الفرعون والظاهر أنه كان فى خدمة والده من قبل لأنه يقول إنه عرف الفرعون طفلا ورجلا .

رنى بن سبك حتب : وقد أنجبت مدينة الكاب موظفا آخر فى عهد هذا الفرعون يدعى « رننى » يحمل الألقاب التالية : الأمير الوارثى والحاكم والمشرف على الكهنة والكاتب ، ووالده يدعى : الأمير الوراثى «سبك حتب » ، وعلى الرغم من أن ألقاب هذا الموظف ليس فيها ما يسترعى النظر إلا أن قبره الذى عثر عليه فى «الكاب» قد زين بمناظر تكشف لنا القناع عن بعض نواحى الحياة الاجتماعية اليومية فى هذا العصر ، وتشمل مناظر زراعية نجد فيها تجديدا لم يلحظ من قبل ، فنشاهد عربة بخيلها تنتظر «رنى» يركبها . وذلك خلافا لما نشاهد فى مناظر الدولة القديمة إذ كان صاحب الضيعة يركب فى محفته التى كانت تحمل على أكتاف خدمه عند ما يريد الإشراف على مزارعه (راجع "Excavations at Giza", Vol. V, Fig. 123) أو كان يركب فى هودج يحمله حمار (راجع Wrkh w. w, Ibid. P. 246.) ولكنا نشاهد الآن العربة التى تجرها الجياد تحت تصرف صاحب الضيعة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة أى فى عهد ثانى ملوكها « أمنحتب الأوّل » مما يدل على أن صاحب المقبرة كان من أصحاب الثروة العظيمة إذ كان لا يقتنى الخيل والعربات

إلا أغنياء هذا العهد . ومن المناظر الطريفة فى هذه المقبرة منظر الإشراف على عدّ الماشية وبخاصة الخنازير. فيقص علينا النقش الخاص بذلك ما يأتى : « الإشراف على تسلم الماشية بوساطة الأمير الوراثى والحاكم والمشرف على الكهنة والكاتب « رنى » المرحوم : اثنان وعشرون ومائة ثور ، ومائة رأس غنم ، وعشرون ومائة من الماعز ، وخمسمائة وألف خنزير » .

وكذلك يشاهد صاحب المقبرة فى وليمة ومعه أفراد من أسرته من بينهم حفيد يسمى « سبك حتب » وقد كان هذا الطراز من المناظر شائعا لتمثيل أفراد الأسرة بأسمائهم ورسومهم بطريقة منطقية مفهومة فنية ، خلافا لما كان متبعا فى الدولة الوسطى فقد كان يذكر على لوحة المتوفى الجنازية كل أسماء أفراد أسرته لمدة أجيال مضت بطريقة مرتبكة يصعب فهمها ، ومثال ذلك أسرة « تحوتى حتب » حاكم مقاطعة البرشة (راجع Newberry, "El Bersheh", Vol. I pls. XXIII-XXX)
وفى مناظر هذه المقبرة نشاهد الراقصين « مورو » والمسلتين والأشجار والحدائق ، ويرى هنا الإله «أنوبيس» واقفا داخل المحراب فى حين أن «أوزيرختى أمنتى» يقف خارجه وراء « أنوبيس » (راجع L. D. III. Pl. 11e.) . وهناك منظر آخر غريب فى بابه نجد فيه كاهنين أولهما هو الكاهن المحنط «وتى» ورئيس الخزانة المقدّسة وكلاهما يصب ماء الطهور على رأس المتوفى الجالس على إناء كبير (راجع تفسير هذا المنظر فى كتاب حفائر الجيزة ("Excavatfons at Giza", Vol. IV. P. 69. ff.)
وقد كان الملك فى مثل هذا المنظر بدلا من الكاهنين الإلهيين « حور» و « ست» ثم فيما بعد « حور » و « تحوت » (راجع Jequier, "Les Monuments Funeraires de Pepi I.", Vol. III. P. 39. fig. 27.) وهذه المناظر الجنازية قد أصبحت من خواص قبور الأسرة الثامنة عشرة كما سنشاهد ذلك فيما بعد (راجع Taylor, "The Tomb of Renni", Pl. II-VII.) .

إنني : ومن أعظم الشخصيات البارزة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة « أننى » الذى عاصر عدّة ملوك مبتدئا بحكم الفرعون « أمنحتب الأوّل » حتى « تحتمس

الثالث » وقد تكلمنا عن نقوشه فيما سبق ، وكان يحمل الألقاب العظيمة التالية كما وجدناها فى قبره بشيخ عبد القرنة : المشرف على مخازن غلال الإله آمون ، والأمير ، والحكم ، والذى يملأ قلب مليكه ، والكاتب ، ومدير كل الأعمال فى « الكرنك » ، والمشرف على كل الأختام فى « الكرنك » ، ومدير كل الأعمال فى الجبانة الملكية ، والمشرف على كل الصناع فى بيت آمون ، والقاضى .

ويشمل قبر «أنتى» بعض مناظر ثمينة يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام : (١) مناظر خاصة بحياته اليومية . (٢) مناظر جنازية . (٣) مناظر تدل على حوادث معينة فى حياة الموظف الحكومية . وهذه الظاهرة أصبحت شائعة فى نقوش مقابر الأسرة الثامنة عشرة ، وقد بلغت قمتها فى عهد « أخناتون » حيث نجد طراز هذه المناظر قد شغل معظم جدران مزارات القبور كما سنرى بعد .

ففى القسم الأول من مناظر مقبرة « أنتى » نرى المتوفى يتسلم الحيوانات الأليفة والطيور مثل الحمير والماعز والخنازير والغنم والكراكى . راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 109.

وكذلك نجد مناظر صيد السمك (Wreszinski "Atlas" I.) Pl. 262b.

ومنظر وليمة ، ومنظر صيد فى الصحراء كذلك Porter £ Moss,Ibid P. III. & Wreszinski 262a.

والمنظر الأخير رسم على طراز الدولة الوسطى ويذكرنا بمناظر قبور « ميرو بنى حسن » (راجع "The Rock Tombs of Meir", Vol. I, Pls. VI, VII, VIII, & "Beni Hasan", Vol. I. Pl. XII.) ؛ ومما يلحظ فى المنظر الأخير صورة لضبع قد رميت بسهم وتحولت بجزئها الخلفى لتهاجم كلب الصيد الذى انقض عليها . أما المنظر الثانى (الجنازى) فى هذه المقبرة فيشاهد رسم سير الجنازة والمسلات والأشجار والبركة والراقصين « موو » ، كما يشاهد بطبيعة الحال المتوفى جالسا مع زوجه على كرسى وأمامهما مائدة القربان المحملة بكل ما لذ وطاب من أنواع الطعام (راجع Porter & Moss, Ibid. P. 109.) . ويشاهد فى القسم الثالث الحصاد ولا بد أن

ضيعته كانت واسعة النطاق إذ ترى الكتبة يحملون تقاريرهم والمشرفين على الحصاد ذاهبين ورائحين . وقد يجوز أن هذا المنظر يعبر عن حصاد محصول الإله « آمون» الذى كان « أنتى » مشرفا على مخازن غلاله (Wreszinski, Ibid I, Pl. 264). ومما هو جدير بالذكر هنا أن المفتن المصرى فى مناظر الحصاد بدأ فى محاولة رسم البقعة المجاورة لمكان الحصاد على جدران المقابر. وفى الدولة القديمة نجد رسم أدغال البردى فى مناظر حيـاة البطاح (راجع Capart,"Memphis. A l'Ombre des Pyramides", fig. 381, 382.) فى حين أن مناظر الصحراء قـد ميزت برسم تعاريج وأعشاب من نباتات الصحراء مبعثرة هنا وهناك مما يدل على أنها أرض رملية قاحلة (راجع Davies, "Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep", Pl. XXII.)؛ ثم نشاهد بعد الدولة القديمة أن مناظر الصيد قد خطت خطوة إلى الأمام وذلك بإضافة إطار لمنظر الصيد للتدليل على وجود جزء خاص من الصحراء مسوّر بشباك كانت تساق إليـه الطرائد (راجع "The Rock Tombs of Meir" Vol. I. Pl. 8. and "Beni Hasan". Vol. I. Pl. 13.). أما فى مقبرة «إنتى» فلدينا منظر معين كامل نشاهد فيه بيتا ذا طابقين محاطا بجدار عال . وفى الحديقة نرى مخازن غلال مخروطية الشكل ومبانى مقببة يحتمل أن تكون مخازن من نوع خاص ، كما يلاحظ أن المبانى فى هذا المنظر مختفية بعض الشىء بجدران سور يدل على ذلك الأشجارالتى قد ظهـرت فروعها من فوق الجدران بصورة طبعية . (راجع Wreszinski, "Atlas". Pl. 60a — c.) كل ذلك يوحى أن المصرى قـد أخذ يصوّر أمامنـا الطبيعة كما هى (landscape) .

وسترى مناظر طبعية فيما بعد أكثر إتقانا وتجديدا فى مقابر عظماء القوم فى أواخر هذه الأسرة .

بن آتى : من النقوش الهامة التى بقيت لنا مدوّنة على صخور «شط الرجال» نقوش « بن آتى » الذى عاصر ثلاثة فراعنة مبتدئا بالفرعون « أمنحتب الأوّل »

والظاهر أنه كان مكلفا قطع الأحجار من هــذه الجهة وكان يحمــل الألقاب التالية : المشرف على أعمال « أمنحتب الأول » المرحوم « بن آتى » ، والمشرف على أعمال « مبانى الفرعون » تحتمس الأول « بن آتى » ، والمشرف على أعمــال الفرعون « تحتمس الثــانى » (راجع .Urk IV, P. 52) ، وكذلك نجد أنه عاش فى عهــد الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » غير أننا نجده هنــا مشرفا على مبانى معبد آمون . وقد وجد له النقش التالى فى نفس الجهة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «منخبر رع » معطى الحياة والآلهه الطيبة « ماعت كارع » المبعوثة ثانيــة ، والمشرف على أعمال معبــد « آمون » « بن آتى » المرحوم . (راجــع .Petrie, "Season", P. 14, 357) ولدينا موظفون آخرون من هــذا العهد غير أننــا لا نعرف عنهم إلا القليل حتى الآن وهم :

أمنمحات : وقــد عثرنا له على لوحة محفوظة الآن فى متحف « جنيفا » ، وقد ذكر عليها ألقابه : كاتب قربان معبد « أمنحتب » ويعتبر الأستاذ « ڤيدمان » أن هذا اللقب يعادل لقبا آخر يرجع إلى عهــد الدولة القديمة وهو كاتب المــائدة . (Rec. Trav. Vol. XVIII, P, 124.)

آمــــو : وفى معبــد سراية الخادم بشبه جزيرة سيناء كشف عن عتب باب لموظف يدعى « آمو » ، ولا بد أن الفرعون كان قد أرسله بوصفه حامل خاتم ملك الوجه البحرى فى بعثة ، والواقع أن صاحب هذه الوظيفة كان يقوم فى معظم الأحيان برحلات إلى هــذه الجهات فى عهود مختلفة . أما ألقابه الأخرى فهى : الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيــد ، والدائم الحب فى بيت الملك .

أتف نفر : توجد فى متحف « اللوفر » لوحة لموظف يدعى « أتف نفر » وتذكر لنا لوحته أنه كان « حاكم الواحة » وقد ذكرنا أن الواحات فى عهد الأسرة الثامنــة عشرة كانت مقسمة قسمين : الواحات الشماليــة والواحات الجنوبية .

غير أن « أتف نفر » لم يخبرنا فى لوحته أى قسم كان تحت إدارته ، والظاهر أنه كان عمـدة المدينة قبل عمل هـذا التقسيم . وقد ذكر لنا على هذه اللوحة أنه كان قريب الفرعون ومحبوبه وقد عاش فى عهـد « أمنحتب الأول » وقد جاء فى آخر لوحته هذه التى لا تحتوى إلا على ألقابه وصيغة القربان الجنازية أن ابنه « حورام أخت » الكاتب هو الذى أقام له هذا الأثر (Urk. IV. P. 50, 51.) .

بازو : وفى المتحف المصرى لوحة أهداها خادم الإله منتو » رب « أرمنت » للفرعون « أمنحتب » الأول ويشاهد فى الجزء الأعلى منها الفرعون المذكور وأمير ملكى يتعبدان للإله «منتو» وفى أسفل اللوحة نشاهد «بازو» نفسه راكعا فى هيئة تعبد ، وتدل كل الأحوال على أن هذه اللوحة كانت فى معبد « أرمنت » بالوجه القبلى (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire," P. 10. ff. V.) كان هـذا الموظف يشغل وظيفـة « رئيس خبازى معبـد آمون » ، وقد عثر له على لوحة فى خبيئة معبـد الكرنك التى كشف عنهـا « لجران » ، ويشاهد عليهـا الملكة « أحمس نفر تارى » والفرعون « أمنحتب الأول » يتعبدان لثالوث « طيبة » وهم « آمون » و « موت » و « خنسو » .

وقد أهدى لهم «نب يوتب» هذه اللوحة (راجع Legrain, "Repertoire", P. 28. No. 43.) .

حـــوى : ذكرنا أن عبـادة كل من « أمنحتب الأول» والملكة « أحمس نفر تارى » كانت شائعة فى عصرهما وظلت بعدهما عدّة قرون . وفى عهدهما نجد « حوى » الذى كان يلقب « خادم الإله آمون » قد ترك لنا لوحة يتعبد فيها لهما ، وكذلك نشاهده يتعبد للفرعون « أحمس الأوّل » (راجـع Lacau, Ibid P. 7 & Pl.. XXIV) .

تحتمس : عثر لهذا الموظف على أداة كتابة من الخشب عليها طغراء «أمنحتب الأوّل »وقد لقب عليها بالكاتب والمدير الملكى ، وكاتب الحريم مما يدل على أنه كان صاحب مكانة فى البيت المـالك (راجع Rec. Trav. T. XIV. P.56.) .

تحتمس الأول

أسرة تحتمس الأول : خلف « أمنحتب الأول » على عرش الملك « تحتمس الأول » ، وتدل المعلومات التى لدينا حتى الآن على أنه ليس ابنه كما يدعى البعض أحيانا ، إذ أن « تحتمس » أعلن فى صراحة فى المرسوم الصادر بتوليته الملك أنه وضعته والدته « سنسنب » ، ومن ذلك نعلم أن أمه لم تكن زوجة ملك شرعية ، أو بنت ملك شرعية ، ويشاهد فى أعلى اللوحة التذكارية التى نقش عليها هذا المرسوم « تحتمس الأول » وخلفه زوجه « أحمس » ، والملكة « نفرتارى » والدة « أمنحتب الأول » التى شاركته فى عرش الملك . ومن المحتمل كما يظن البعض أن زوجه « أحمس » هذه كانت إحدى أخوات « أمنحتب الأول » الشرعيات وأن « تحتمس » بزواجه منها أصبح ملكا على البلاد ، غير أن هذا الزعم لا يمكن الجزم به ، والواقع أن الدور الخفى الذى مثل فى حادث تولية هذا الملك لا يزال مجهولا لنا كما جرت العادة فى مثل هذه الأحوال الخاصة . على أن هناك رأيا آخر يدعى الآخذون به أن « أحمس » زوج الفرعون « تحتمس » هى أحمس « حنت تامحو » بنت الملك « أحمس » الأول من زوجة ثانوية تدعى « إنحابى » والحقيقة أننا نجد « تحتمس » يتكلم عن « أحمس » هذه بأنها أخته ، مما يدل على أنه هو كذلك كان ابن الملك ، ولكن من زوجة أخرى تدعى « سنسنب » كما ذكرنا ، وأخيرا يتكلم « تحتمس » عن نفسه فى بعض النقوش بأنه ابن ملك ، وأن والده ابن ملك » وذلك يدل على أن والده وجدّه كانا ملكين ، ولما لم يكن ابن « أمنحتب الأول » فلا بد إذا أن يكون ابن « أحمس الأول » ، وحفيد « سقننرع »[1] . ومهما يكن من أمر فإن الموضوع لا يزال يحيطه الشك والإبهام معا .

---

(١) راجع : Weigall, "History", Vol. II. P. 264. ff.

تاريخ تتويجه ملكا على البلاد : ولا بد أنه توج ملكا على البـلاد حوالى عام ١٥٣٥ ق . م . أى بعـد وفاة « أمنحتب » مباشرة ، وقد استقينا معلوماتنا عن إعلان تتويجه ملكا على البـلاد من نسخ مرسـوم توليته على عرش البـلاد أرسلت إلى حاكم بلاد النوبة « تورى » الذى كان قد عين حديثا لإدارة شئونها ، ولقب بلقب جديد هو ابن الملك للبـلاد الجنوبية (كوش) ، وكان يقوم بإدارة هذا الإقليم فى عهد سلفه « أمنحتب » الأوّل على ما يظهر حاكم الكاب ، والواقع أنه كان الوالى على بلاد السودان كما سنشرح ذلك فى حينه .

ولا نزاع فى أن هذا المرسوم كما يبدو كان قد وزع على حكام البلاد قاطبة ، وقد وجد منه حتى الآن ثلاث نسخ ، وهاك[1] نص المرسوم :

« مرسوم ملكى الى ابن الملك حاكم بلاد « كوش » « تورى » . لقد أرسل إليك هـذا المرسوم لتكون على علم بأن جلالتى (له الحياة والسـعادة والصحة) قـد أشرق ملكا على الوجهين القبلى والبحرى جالسا على عرش « حور » الأحياء ، الذى لن يكون له مثيل طول الأبدية . وستكون ألقابى كالآتى : حور (١) الثور القوى » محبوب آلهة العدالة (٢) سيد العقاب والصل الذى يظهر بالصل العظيم فى قوته ، حورالذهبى — من سنيه جميلة ، ومن يجعل القلوب تحيا ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى عاخبر« كارع » — ابن الشمس «تحتمس» — يعيش مخلدا أبدا . مر على ذلك بتقديم القرابين لآلهة الفنتين (الواقعة) فى نهاية الجنوب لأجل أن يقدم الناس قربانا لحياة وعافية وصحة ملك الوجهين القبـلى والبحرى « عاخبر كارع » معطى الحياة ، وكذلك مر بحلف اليمين باسم جلالتى الذى ولدته الأم الملكية « سنسنب » والتى تتمتع بصحة مجدّدة . وهـذه رسالة لتعلمك بالأمر ، وبأن البيت المـالك فى صحة وعافية (التاريخ) السنة الأولى ، الشهر الثالث من فصـل الشتاء فى يوم الظهور (أى ظهور الفرعون وعلى جبينه الصل وهو علامة على التتويج) .

أوصاف تحتمس الأوّل : ولا غرابة فى أن نجد هذا الفرعون يحمل لقب «الثور القوى» فإن هذا اللقب كان ينطبق عليه وعلى ما قام به من أعمال الشجاعة . إذ كان طويل القامة عريض المنكبين ، متين البنية قادرا على تحمل أهوال الحروب

---

(١) راجع : Urkunden IV. PP. 79 — 81

من غير مللٍ و إعياء ، وقد صـوّرته تماثيله بوجه ممتلىء مستدير ، وأنف طويل ، وذقن مربعة ، وشفتين تميلان إلى الغلظ ، ومحيا ترتسم عليه ابتسامة ولكنها فى الوقت نفسه تمثـل قوّة الإرادة ، ولا نزاع فى أن هـذا الفرعون قد حمل معـه عند تولى العرش روح الجيل الناشئ الذى جاء على أعقاب تخليص البلاد من نير الهكسوس فقد نما وترعرع فى عهد « أمنحتب الأوّل » ذلك العهد الذى كان يسوده السلام بوجه عام ، وكان أبناء جيله يفخرون بتلك الانتصارات التى أحرزوها على أقوام الجنوب من غير كبير عناء ، ممـا جعل روح الطموح تدب فى نفوسهم إلى الغـزو ومتابعة الفتح ، وبخاصة فى آسـيا ، تلك البـلاد التى فرّ إليها أولئـك القوم الذين



(١٩) مومية تحتمس الأوّل

سيطروا على بلادهم بيد من حديد أكثر من قرن ونصف . والواقع أنهم لم يفكروا في غزو بلاد أفريقية ثانيــة ، إذ كان يخيل إليهم أنه ليس فيها مجــال واسع يسعر نار مطامعهم ، لأن كل البلاد السودانية حتى ملتقى النيــل الأزرق بالنيل الأبيض كانت ملكا لعاهلهم ، وكان الآلهة المصريون يعبدون فى « نباتا » كما كانوا يعبدون فى « طيبة » بنفس الحماس والتقى .

حروبه فى السودان : ولكن أهالى الســودان من ناحيتهم أخذوا يقومون ببعض مناوشات ولذلك عزم «تحتمس» على أن يقوم بنفسه بحملة عليهم لإخضاعهم قبل أن يولى وجهه شطر آسيا مطمح أنظاره ومعقد آماله ، فسار على رأس جيشه حتى وصل إلى « تومبس » الواقعة بعد الشلال الثــالث مباشرة ، غير أنه وجد أن السودانيين الذين كانوا لا يزالون يذكرون هزيمتهم على يد « أمنحتب » الأول ، لا يريدون قتالا . وعلى أية حال فإن كل عصيان عند الحدود قد أخمد فى الحال ، وخلع على أثر ذلك كل أمير معــاد لمصر . وقد وصلنا وصف هذه الحمــلة من حياة « أحمس » بن « أبانا » وكذلك من حيــاة سميه « أحمس بننخبت » وكذلك على لوحة نقشت فى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون على صخرة فى جزيرة « تومبس»[١] (Tombos) .

النص الذى يتحدّث عن حروبه فى السودان والنهرين : والنص الذى جاء على هذه اللوحة لا يحتوى على حقائق كثيرة فى صميم الموضوع بل معظمه تعابير بليغة فى وصف الفرعون ، وماله من جاه وسلطان ، وقوة وبطش وسنضع ترجمتها حرفيا أمام القارئ بمثابة نموذج لتلك النصوص التى يشحذ المؤرخ فكره فى عبارتها ليستخلص منها حقائق تاريخية سهلة المأخذ ، مختصرة العبارة . وهاك النص :

« السنة الثانية الشهر الثانى من فصل الفيضان ، اليوم الخامس والعشرون فى حكم جلالة الثور القوى محبوب آلهة العدل ..... « تحتمس » الأول .

---

(١) راجع : Urkunden VI. PP. 82. ff.

لقد حضر وظهر بوصفه رئيس الأرضين ليحكم ما يحيط به قرص الشمس ، والوجه القبلى والوجه البحرى : وبخاصة نصيبي « حوروست » (أى مصر كلها) ، وهو الذى وحد الأرضين وجلس على عرش « جب » ولبس التاجين القويين (سخمتى) . وقد تسلم جلالته بحق إرثه ، واطمأن على عرش « حور» ذى الدرج ، ليمدّ حدود « طيبة » على « خفت حرنبس » (من ضواحى « طيبة ») ، وليصبح سكان الرمال ، والبرابرة الذين يمقتهم الإله ، وسكان جزر البحر الأبيض ، وقوم « رتحوقابت » خداما لها ، وهو الذى يجعل سكان الجنوب يقلعون شمالا وسكان الشمال يصعدون جنوبا ، وكل البلاد الأجنبية يأتون محملين بجزيتهم للمرة الأولى (فى التاريخ) للاله الطيب « تحتمس » الأول عاش مخلدا ، وإنه « حور » المظفر ، رب الأرضين وهو الذى يخدمه ... ... ومستعمراتهم تابعة له لأنهم يقبلون الأرض بين يديه ، وأصحاب السقاية يحنون أمام جلالته ، ويخضعون أمام الصل الذى على جبينه ، وهو الذى قد طرح أرضا رجال بلاد النوبة ، ولم يفلت من قبضته السود إلا بمشقة (؟) ؛ وقد ضم إليه الحدود التى على كلا الجانبين (للنيل) ولم يفلت واحد من أهالى الذين أتوا فلم يبق منهم واحد ، أما بدو النوبة فقد سقطوا على وجوههم من الفزع ، وخروا على جنوبهم فى بلادهم ، وانتشرت رائحة جثثهم فى وديانهم ، ولطخت أفواههم بالدماء كأنها صوب المطر ، أما الذين قتلوا ... ... فحملوا إلى مكان آخر ، وقد انقض التمساح على الهارب الذى كان يريد أن يختبىء أمام « حور » قوى الساعد (وهذا كله) حدث بقوة الفرعون وحده ، ابن آمون ، ونسل الإله صاحب الاسم الخفى (كلمة آمون معناها الخفى) وسلالة ثور التاسوع (أى سلالة آمون) ، والصورة الفاخرة لأعضاء الإله ، والذى يفعل ما تحبه أرواح « عين شمس » (أى الملوك القدامى) . وهو الذى برأه أرباب « حت عات » (معبد بعين شمس) ، وهو حصن لكل جيشه ، والجسور على مهاجمة قبائل الأقواس التسعة مجتمعين كأنه فهد فتى بين قطيع من البقر المطمئنة . قد أعمتهم قوة جلالته ، وهو الذى وصل إلى حدود الأرض من قاعدتها ، والذى اخترق نهايتها بقوته المظفرة ، والذى يبحث عن الحروب ، وليس من يجسر على مواجهته ، وهو الذى فتح الوديان التى كان يجهلها الأوّلون ، والتى لم يرها حاملو التاجين ، وحدود بلاده الجنوبية وصلت إلى بداية هذه الأراضى (بلاد النوبة) ، ومن الشمال إلى تلك المياه التى تسير من الشمال إلى الجنوب (يعنى نهر الفرات لأن مياهه تسير عكس مياه النيل الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال) ولم يحدث لملك آخر شىء مماثل لهذا ، وقد وصل اسمه إلى دائرة السماء ، وكذلك وصل إلى الأرضين ...... والناس تعقد الأيمان باسمه فى كل البلدان ، لأن شهرة جلالته عظيمة جدا ، ولم ير الإنسان مثيلا لذلك فى تاريخ الملوك القدامى منذ عهد أتباع « حور» . وهو الذى يعطى من يتبعه نفسه (أى نفس الحياة) ، ومن يسير على نهجه قربانه ، حقا إن جلالته هو « حور » الذى استولى على دولته لملايين السنين ، وهو الذى تخدمه جزر المحيط ، والأرض جميعها تحت

قدميه ، ابن الشمس من جسده ، ومحبوبه « تحتمس » عاش مخـلدا أبديا ، المحبوب من « آمون » رب الآلهـة ، والده الذى صوّر جماله ، ومحبوب تاسوع الكرنك ، معطى الحياة ، والثبات والعـافية والصحة ، وفرح القلب على عرش « حور » لأنه قائد كل الأحياء مثل رع مخلدا » .

ما نستخلصه من هذا النص : وهذه النقوش على ما بهـا من الإغراق فى أوصاف الفرعون ، وما قام به من ضروب الشجاعة لقمع أولئك السود ، قد جعل بعض المؤرخين يستنتجون من استعاراتها أشياء لا وجود لها فى المتن ، ولا أدل على ذلك من استنتاج وجود قلعة بناها الفرعون فى جزيرة « تومبس » مع أن المتن الذى استخلص منـه ذلك هو فى الواقع تشبيه للفرعون بأنه حصن كل جيشـه ، والذى يجسر على مهاجمة قبـائل الأقواس التسعة مجتمعة ، الفهد الفتى بين قطيع من البقر الهادئة ، على أن ذلك لا يمنع أن الفرعون كان قد أقام حصنا فى هـذه الجهة ، والمهم فى هذا النقش هو أن مؤلف هذه الوثيقة كان يعرف من غير شك بلاد النهرين ، (كما يقول برستد) أو ذهب إليها ، وقد نظر بدهشة واستغراب إلى اتجـاه سير نهر الفرات الذى كان يخالف سير نهر النيل ، فقد كان ذلك النهر يجرى من الشمال إلى الجنوب نحو مصبه بدلا من أن يجرى شمـالا مثل النيـل ، ولذلك سمـاه المصريون « المـاء المقلوب الذى يجرى إلى أسفل بدلا من الذهاب إلى أعلى » . والواقع أن هذا وصف دقيق للغاية لمصرى كان يعتبر نهر بلاده هو النموذج الذى كان لابد أن تكون كل أنهار العالم على غراره[1] ، والأهم من كل هذا هو السؤال التـالى : كيف يمكن « تحتمس » الأول أن يدّعى وصول حدود امبراطوريته إلى هـذا النهر مع أنه لم يمض على اعتلائه عرش الملك إلا سنة واحدة ، وليس لهذا الجواب حل إلا إذا كان سلفه « أمنحتب الأول » هو الذى وصل فى فتوحه إلى هذه البلاد النائية ، وإن كانت آثاره لم تحدّثنا عن ذلك كما سبقت الإشارة لذلك ،

(١) وقد دحض جاردنر هذا التقسيم و برهن على أن المصرى كان يفهم المتن على حقيقته لا بقلب المعنى (راجع Gardiner "Onomastica" Vol. I. P. 160. ff.) .

والظاهر أن الفرعون فى غزوته هذه قد مكث حوالى عام يحارب السود، إذ وجدت نقوش فى « تنجور » التى تقع على مسافة خمسة وسبعين ميلا فوق الشلال الثانى تحدثنا عن عودته إلى مصر.(١)

نقوش أخرى عن حروبه فى السودان : « السنة الثانية — الشهر الأول من الفصل الثالث — نهاية حملة الشتاء» . وكذلك وجدت لوحة فى جزيرة «أرجو» التى تقع على مسافة أربعين ميلا جنوبى الشلال الثالث كتب عليها اسم هذا الفرعون غير أنها لم تنشر.(٢) ومهما يكن من ضعف قوة النوبيين فإن دلائل الأحوال تدل على أن حملة « تحتمس» إلى الشلال الثالث كانت عنيفة ، وقد ازداد عنف هؤلاء القبائل النوبية فى السنة التالية فى مهاجمة الحدود المصرية باستمرار . وليس لدينا معلومات تنقع الغلة إلا ما جاء فى تاريخ حياة « أحمس بن أبانا » وقد جاء ذكر هذه الحملة كذلك فى حياة « أحمس بنخبت » حيث يقول : "لقد تبعت الفرعون « عا خبر كارع » وأسرت له فى « كوش » أسيرين غير ثلاثة آخرين أسرتهم فى « كوش » لم تحسب (رسميا)(٣) " ، وقد عسكر الفرعون فى طريقه إلى عاصمة ملكه بعد انتهاء هذه الحملة بالقرب من جزيرة « سهل » عند الشلال الأول ، وكانت القناة التى حفرها «سنوسرت» الثالث تكرى من جديد، وعند ما تم كريها مرت سفن الفرعون فيها ، وقد دوّن نقش على صخور « سهل » يحدثنا عن ذلك . وهاك نصه : " السنة الثالثة الشهر الأول من فصل الصيف اليوم الثانى والعشرين من حكم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر كارع » معطى الحياة . قد أمر جلالته بحفر هذه الترعة ، بعد أن وجدها مسدودة بالأحجار ، ولم تكن تمر فيها سفينة ، وقد عاد فيها بعد ذلك (أى بعد حفرها) بقلب فرح بعد أن قتل أعداءه (نقشه) ابن الملك « تورى » " ، و « تورى » هذا هو ابن الملك (نائب الملك فى السودان

---

(١) راجع : P. S. B. A., Vol. VII,P. 121.

(٢) راجع : Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt P. 472.

(٣) راجع : Urkunden IV. P. 36.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك[1]) . وكذلك نقش على صخور «سهل» لوحة أخرى أرخت بنفس التاريخ السابق ، وقد جاء فيها : " لقد سار جلالته فى الترعة منتصرا مظفرا فى عودته بعد إخضاع بلاد « كوش » الخاسئة (نقشه) تورى " (راجع .Urk IV. P. 89)، وفى نفس اليوم نجـد نقشا آخر يدل على وصوله إلى « الفتين » دون على صخور « أسوان » نفسها جاء فيه بعد ألقاب الفرعون أن " « تحتمس » المحبوب من الإلهة « ساتيت » سيدة «الفنتين» لقد عاد جلالته من « كوش » بعد أن أخضع أعداءه " (راجع Urk IV. P. 88) .

حروب تحتمس الأول فى آسيا : وبعـد أن فرغ تحتمس من حروبه فى السودان ، ووطـد أركان ملكه هناك أخذ يفكر فى المشروع العظـيم الذى قام بتنفيذ جزء منه والده وأخوه ، وذلك هو القضاء على الهكسوس فى « آسـيا » بعد أن قضى عليهم والده فى مصر ، ثم أخذ أخوه فى مطاردتهم فى آسيا على ما يظهر ، يضاف إلى ذلك أنه كان يريد تأسيس امبراطورية واسـعة النطاق كان قد وضع أساسها فى عهـد الأسرة الثانية عشرة ، وبقى حبـل الاتصال بين المصريين والأسيويين موصولا ، كما نجـد آثاره فى عهد الأسرة الثالثة عشرة . والظاهر أن أهل سوريا أو بعبارة أخرى الهكسوس الذين كانوا يقطنون هذه البلاد ، مضافا إليهم من تقهقر منهم أمام « أحمس » كانوا قـد عقدوا أواصر المهادنة والإخاء بينهم وبين أهل نهرين[2] على حساب مصر ، ولا بد من أنه قد حدث بعد مناوشات أو غارات اتخذ منها الفرعون ذريعة للقيام بحملة تأديبية إلى تلك الأصقاع . ولقد كان فى نفس هذا الفرعون كما قلت أن يغسل عن قلبه الأذى الذى بقى عالقا فى قلب الشعب المصرى من أولئك الغزاة الذين استعبدوا بلادهم حقبة طويلة من الدهر . وسـنرى فيما بعد أن تلك الخطة هى التى سار على نهجها الفراعنة الذين خلفوه حتى

---

(١) راجع : .Urkunden IV, P. 89 - 90

(٢) المقصود من بلاد نهرين فى خلال الأسرة الثامنة عشرة هو بلاد المتنى كما شرح ذلك الأسـتاذ جاردنر (راجع .Onomastica", Vol. I. P. 171. ff") .

قضوا على الهكسوس ، وأسسوا أعظم امبراطورية ظهرت فى الشرق القـديم بل فى العالم كله فى ذلك العهد .

ومما يؤسف له أن الآثار التى تحدّد لنا تاريخ غزوه لآسيا بالضبط لم يكشف عنها بعد هذا ، فضلا عن أن كل ما وصل إلينا عن هذه الحروب قد جاء عن طريق غير مباشر ، وهو ما يسرده لنا « أحمس » بن أبانا ، « وأحمس بننختب » فى تاريخى حياتهما . وعلى الرغم من أن هذه المعلومات مقتضبة جافة عن هذه الحروب فإنها تحدّثنا عن أعظم المخاطرات الحربية التى حدثت فى العالم القديم ، وقـد علمنا فيما بعـد من غير المصادر المعاصرة ، أن « تحتمس الأول » قـد وصل فى زحفه على نهـر الفرات الى المنحنى العظيم بالقرب من « قرقميش » ، وأنه أقام هنـاك لوحة تذكارية لانتصاره ، فقد أخبرنا « تحتمس الثالث » أنه وجد اللوحة التى أقامها جدّه هناك عند ما وصل الى هذه النقطة فى حملته الثامنة ، وأقام هو بدوره لوحة أخرى على الجانب الأيمن لنهر الفرات ليظهر للملأ أنه قـد ذهب فى فتوحه الى أبعد من جدّه بقليـــل .

هذا هو كل ما وصلنا عن حروب تحتمس الأول فى تواريخ من جاء بعـده ، وهو من مصدر مصرى . أما عن المقاومة التى اعترضته أو عن قوة جيشه أو الخسارة التى حاقت به ، وكذلك الطريقة التى حاول أن يحافظ بها على فتوحه فإنا قد تُركنا فى ظلام حالك ، وإن شئت فقد بقى كل ذلك صحيفة بيضاء حتى الآن . والواقع أن الأعمال الحربية التى نهض بأعبائها « تحتمس الأول » قد غطت عليها حروب « تحتمس الثـالث » الكثيرة . ومع ذلك فإن الحملة إذا كانت تقدّر بأهمية نتائجها بالنسبة لمـا كانت تشتمل عليه من قوة فى ساحة القتال ، فإنه لا يوجد إلا القليل

---

(١) تقع مدينـة قرقميش (وبالبابليـة جرجيش) على أعالى نهر الفـرات على مسافة نيف ومائة كيلو متر من الشمال الشرقى من مدينـة حلب (انظر المصوّر التقريبى لشمال سـوريا) راجـع Gardiner, "Onomastica", *Vol. I. P. 132. ff.*

من الحملات التى دوّنها لنا التاريخ القديم تستحق الالتفات أكثر من تلك المخاطرة التى قام بها « تحتمس الأول » فى آسيا، وإذا نظرنا الى عمله هذا باعتباره جزءا من تاريخ الشرق القديم فإنه كان بداية الصراع الدنيوى للاستعمار بين آسيا وإفريقيا ، وبين ثقافة وادى النيل ، وثقافة بلاد نهرين ، وهو ذلك الصراع الذى كانت عواقبه وبالا على كلتا المدنيتين ، وانتهى أخيرا بسقوطهما ، فهوت أوّلا مصر أمام الفرس وثانية أمام الإسكندر الأكبر . أما إذا اتخذناها جزءا من تاريخ مصر فإنها كانت النقطة التى تحوّل فيها الشعب المصرى للمرة الثانية الى شعب حربى ساد العالم بعد أن كان سيده ومعلمه فى الفنون والصناعات والعلوم قبل ذلك النهوض الحربى .

ومن الغريب أننا لا نعرف شيئا عن الطريقة التى بها قبض تحتمس على زمام الأمور فى تلك الأصقاع العظيمة التى فتحها بحدّ السيف. ومن البدهى أنه قد اتخذ بعض التدابير للمحافظة على هذه الفتوح ، وأن حملته لم تكن مجرّد انتقام بل كانت محاولة حقيقية لتأسيس السيادة المصرية على تلك البقعة الشاسعة من آسيا التى تبتدئ من الحدود عند برزخ السويس،وتنتهى عند منحنى الفرات العظيم، وهى التى يمكن تصوّرها القنطرة بين آسيا وأفريقيا . ولا أدل على وجود نظام حكومى فى هذه الجهات تحت سيطرة مصر من أنه لم تحدث حروب تستحق الذكر فى عهد خلفه «تحتمس الثانى» والملكة « حتشبسوت » ، كما أنه لم يسمع بثورات علنية فى «سوريا» لتنزع النير المصرى عن عاتقها. وقد بقيت الحال كذلك الى أن اعتلى عرش الملك «تحتمس الثالث» .وعندئذ ألف فلول أمراء الهكسوس والولايات الأخرى حلفا لنزع النير المصرى ، ومن ثم شبت الثورات هناك . ولذلك قال « تحتمس الثالث » فى نقوش تاريخ حروبه التى دوّنها على جدران معبد الكرنك : تأمل! أنهم قد بدءوا بالعصيان على جلالته من أول«يرزة» (يوده) حتى مستنقعات العالم (أى إلى ما وراء نهر الفرات) .

مبانى تحتمس الأول

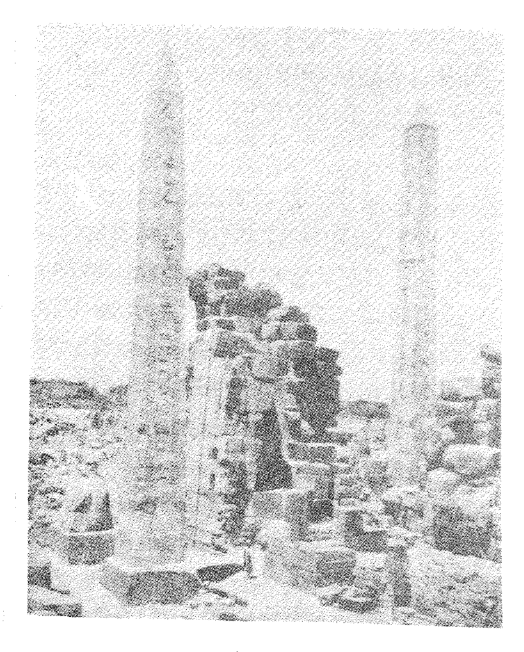
ولا نزاع فى أن « تحتمس الأول » بعد أن مدّ فتوحه إلى تلك الجهات النائية أخذ يشعر بأن ضغط الهكسوس وجبروتهم قد زال نهائيا ، وأنه كان من حقه وقتئذ أن يفتخر بسيادته على العالم كما جاء على نقش تركه لنا فى « العرابة المدفونة » فاستمع إليه : « لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وقويت الذين كانوا فى خوف، وطردت عنهم الشر، وجعلت مصر سيدة كل الأراضى » .

ويدل ما وصلنا حتى الآن من الكشوف الأثرية على أن « تحتمس الأول » لم يقم بأية حروب أخرى، بل على ما يظهر وجه كل جهوده إلى إقامة المبانى العظيمة تخليدا لأولئك الآلهة الذين وهبوه النصر على أعدائه، وبخاصة إله الدولة «آمون رع» وإله الآخرة « أوزير » .

فكان أول أثر أقامه هو قاعة عمد فسيحة الأرجاء كل عمود منها ذو ستة عشر وجها : وقد جاء ذكرها فى نقش د ن خلف (البوّابة) الخامسة فى معبد «آمون» كما يأتى : يعيش الملك الطيب رب الأرضين ، وسيد القربان، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تحتمس » ابن الشمس من جسده . لقد أقامها (القاعة) لتكون أثرا لوالده « آمون رع » سيد الأرضين ، أقام له قاعة عمد فاخرة تمثل بجمالها الأرضين ، ولذلك أعطى الحياة مخلدا (راجع Urkunden IV, P. 92.) .

إقامة مسلتين : ولما اقترب أوان عيده الثلاثينى أراد أن يحتفل به على ما يظهر على نهج أصبح متبعا فيما بعد ، وذلك أنه رغب فى إقامة مسلتين عظيمتين فى معبد «آمون» أمام (البوّابة) التى كان قائما ببنائها وهى (البوّابة) الرابعة الآن . وقد كان يدير أعمال البناء رجل عظيم يدعى «إنى» وهو الذى كان يقوم لسلفه «أمنحتب الأوّل» بأعمال البناء كما سبقت الإشارة الى ذلك، وسندعه يتحدّث إلينا عما أنجزه فى عهد « تحتمس الأوّل » بعد أن فرغ من التحدّث عن « أمنحتب الأول » فنراه فى بادئ الكلام عن أعماله يقدّم بعض مدائح لسيده فيقول :

الإله الطيب الذى يؤدّب النوبيين ، رب القوة ومبدّد الأسيويين ، والذى جعل حدوده تمتد حتى قرنى الدنيا (تعبير عن نهاية الدنيا من الجهـة الجنوبية) ونهايتها فى سماء «حور» والذى يؤتى له بخشب أرز الغابة مثل ما يؤتى له بخشب مصر ، والذى يأتى اليـه النوبيون يحملون جزيتهم ، مثل ما يحمل له دوم الفنتين ، وسكان الرمال يحملون اليه جزيتهم مثل ما يؤتى اليه بجزية الوجه القبـلى والوجه البحرى ، وهى التى يقدّمها جلالته الى والده «آمون» فى «طيبة» كل عام ، وتوكل إليه هذه الأشياء جميعا ... ...



(٢٠) مسلتا تحتمس الأوّل وحتشبسوت

لأنه ملأ قلبه منى (وثق بى) ولذلك رقيت أميرا ، ومدير شونة ، وحقول القربان كانت تحت إدارتى ، وكل المبانى القيمة كانت جميعها تحت رعايتى ، وقد أشرفت على المبانى الأثرية العظيمة التى أقامها فى الكرنك فقد أقام قاعة العمد الفاخرة بأعمدة على هيئة سيقان البردى ، وكذلك أقمت أبراج (البوابتين) العظيمتين بالقرب منها مستعملا حجر «عيان» الأبيض الجميل ، وكذلك أقام عمد الأعلام الفاخرة أمام المعبد من خشب الأرز من أحسن خشب المدرج (يعنى جبال سواحل لبنان) ونهايتها من السام ، ورأيت كيف كان يقام ... ... موشى بالذهب ، ورأيت كيف كان يقام الباب العظيم المسمى «قوى منظرآمون» وكان مصراع بابه العظيم من نحاس آسيا وصورة الإله التى عليه (أى المصراع) من ذهب ، ورأيت كيف أقيمت المسلتان العظيمتان أمام مدخل المعبد من الجرانيت الأحمر ، ورأيت كيف بنيت السفينة الفاخرة التى طولها مائة وعشرون ذراعا ، وعرضها أربعون ذراعا لينقل عليها هاتان المسلتان (من محاجر أسوان الى طيبة) ، وقد أحضرتا صحيحتين لم تمسا بسوء وأنزلتا فى الكرنك ، ورأيت كيف حفرت البحيرة التى حفرها جلالته على الجانب الغربى للدينة وغرست جوانبها بكل أنواع الأشجار البهيجة ، وأشرفت على كيفية حفر قبر جلالته ، وكنت وحيدا ولم يره إنسان ، ولم يسمع به أحد ، وكنت أنا الذى أبحث عن الصالح لذلك ... فى عمل دائم (يقصد القبر) ، وكان رأسى يقظا للبحث عن كل مفيد ، ووضعت ملاطا من الطين على جدران مقابره ليرسم عليها ؛ وهذه الأعمال لم تعمل منذ الأزمان الغابرة قط . وقد أنجزت ما كلفت بعمله هنا كما يجب ... سور لها ؛ أدّيت للخلف (كل مفيد) ، وكان ذلك ما يرغب فيه قلبى ، وميزتى كانت فى العلم ، فلم أتلق تعليمات مسن ، ومدحت بعلمى بعد السنين التى وصلت بها إلى ما أنجزت (من عمل) وقد قدت ... لأنى كنت الفم الأعلى لكل أعمال البناء ، وثبت قدمى فى القصر ، وكافأنى جلالته بالعبيد وكان دخلى من مخازن بيت الفرعون يوميا ثم ارتاح الفرعون من الحياة وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنى عمره فى حياة راضية » .

مسلات تحتمس الأول : استعرض « انى » فى هذا الجزء من تاريخ حياته كل ما قام به «تحتمس الأول» من أعمال البناء والتعمير فى معبد«الكرنك» ، ولا تزال مسلة من المسلتين اللتين أقامهما منصوبة فى مكانها ، أما التى فى الشمال فقد رآها السائح « بوكوك » قائمة فى زمنه ، وهى الآن ملقاة على الأرض ، ويبلغ ارتفاع المسلة الجنوبية ٦٤ قدما ، وقاعدتها سبعة أقدام مربعة ، ويبلغ وزنها ١٤٣ طنا ، وعمودها الأوسط قد نقش عليه من الجهة الشمالية والجهة الجنوبية ألقاب الفرعون . أما النقوش التى على جانبها الشرقى والغربى فتحدثنا عن إهداء المسلة . وهاك الإهداء :

الجانب الغربى : «حور : الثور القوى محبوب «ماعت» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «عا خبر كارع» صورة «آمون» أقامه (الأثر) بمثابة أثر لوالده «آمون رع» سيد الأرضين، وقد أقام له مسلتين عظيمتين فى الجهة الأمامية للعبد وصنعت قمتهما الهرمية من السام» .

الجانب الشرقى : «حور : الثور القوى الذى تحبه آلهـة العدل ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، صاحب العقاب والصل (نبتى) الذى يضىء بالصل ، العظيم فى قوته ، «عا خبر كارع» = الذى انتخبه رع — وحور = الجميل السنين ، الذى ينعش القلوب ، ابن الشمس من جسده «تحتمس المضىء جمالا ، لقد أقامها بمثابة أثر لوالده «آمون» رب تيجان الأرضين فى «الكرنك» وعلى ذلك فانه منح الحياة مثل رع مخلدا» .

أما المسلة الثانيـة فمنقوش عليها اسم «تحتمس الثالث» ممـا يجعل الإنسان فى حيرة لأول وهـلة ، إذ أنه لم يتـول الملك إلا بعـد سنين عدة بعـد موت «تحتمس الأول» ، ولذلك أصـبح من الصعب أن يفهم الإنسان كيف يمكن أن تبقى المسلة الثانية بدون نقش هـذه المدة الطويلة . ولمـاذا لم ينتحلها «تحتمس الثانى» لنفسه مع أنه هو الذى خلف «تحتمس الأول» ؟ ولهذا السبب نجد أن الأستاذ «زيته» جعل «تحتمس الثالث» خلف «تحتمس الأول» لمدة قصيرة، ثم خلع عن العرش وعاد إليه فيما بعد . ولكن لا يغرب عن الذهن أن «إننى» عاش حتى عهد «تحتمس الثالث» ، وعلى الرغم من أنه أحضر المسلتين الى الكرنك فى عهد «تحتمس الأول» فإن من الجائز إقامة إحداهما و إبقاء الأخرى ملقاة على الأرض دون نقش كما حدث فى المسلات التى جىء بها فيما بعد الى أن أخذ فى إقامتها لمـا تحتاج تلك العملية من عناء كبير فى عهد تحتمس الثالث . ولا يبعد أن «إننى» كان مكلفا بهذه العملية، وأنه قد تكلم عن موضوع إقامتهما معا على الرغم من أن واحدة منهما أقيمت بعد الأخرى بعد سنين[1] ، و يوجد جزء من مسلة فى جزيرة «الفنتين» وهو البقية الباقية من مسلتين عظيمتين كان مزمعا إقامتهما حـوالى نفس الوقت

(١) راجع : Brugsch, “Thesaurus”, V. P. 1290.

فى معبد هذه المدينة ، إذ يقول النقش الذى بقى : « لقد صنع هذا بمثابة أثر لوالده « خنوم » (إله إلفنتين) فقد قطع له مسلتان من الجرانيت بمناسبة عيده الثلاثينى الأوّل » .

ومن الجمل التى تلفت النظر فيما جاء على لسان « إننى » قوله عن قبر الملك !

« وأشرفت على كيفية حفر قبر الملك ، وكنت وحيدا ، ولم يره أحد ولم يسمع إنسان به » .

وهذه الجملة تشعرنا بالتكتم الهائل الذى كان يتخذ عند حفر قبر الملك ، وذلك لأن العصر المرتبك الذى سبق عصر الأسرة الثامنة عشرة ، والأسرة السابعة عشرة كانت تنهب فيه قبور بعض الملوك ، ويسرق مافيها من الذهب ، والمجوهرات . ولا بدّ من أن الفرعون « أمنحتب الأوّل » كانت فى ذهنه هذه الفكرة عند ما نحت قبره فى الصخر الى عمق بعيد ، وفصل بينه وبين معبده الجنازى ليكون بمأمن من خطر اللصوص . وقد قلده « تحتمس الأوّل » فى حفر مقبرته بعيدا عن أعين اللصوص وانتخب مكانا لمدفنه فى الركن الجنوبى من الوادى العظيم المشهور الآن باسم « وادى مقابر الملوك » وقد كان فى ذلك الوقت واديا قاحلا لم تمسه يد إنسان . وقد نحت لهذا القبر باب صغير مغالاة فى إخفاء مكانه ، هذا الى أنه نحت نحتا خشنا بحيث لا يغرى العين ، فكان بمثابة جحر فى سفح الصخرة لايكاد يزيد ارتفاعه عن قامة رجل متوسط الطول ، بعد ذلك يجتاز الإنسان عدّة درجات تؤدّى الى حجرة مربعة مقطوعة فى الصخر ، ومن ثم عدّة درجات تحدر من هذه الحجرة مؤدية الى حجرة الدفن التى يرتكز سقفها على عمود واحد فى وسطها ، وقد كانت جدرانها مغطاة بملاط من الطين الذى ذكره « انى » فى وصفه ، وكان يوجد فيها تابوت من حجر الكوارتسيت أى الحجر الرملى ، لتوضع فيه الجثة ، ولم يبق من هذا التابوت إلا بعض قطع[1] .

---

(١) راجع : Weigall, "Guide", P. 223.

على أن نشاط هذا الفرعون فى أعمال التعمير لم تقتصر على معبد الكرنك الذى وصفه لنـا « إننى » مهندسه وصفا رائعا ، بل نجد له آثارا عظيمة فى طول البلاد وعرضها ، مما يدل على مقدار ما أصاب البلاد من التخريب فى عهد الهكسوس ، وبخاصة فى المبانى الدينيـة . وقد كانت أول ماوجه إليـه عنايته بعـد الكرنك الإصلاحات التى قام بها فى معبد « العرابة المدفونة » الذى كان يهتم به كل ملك مصرى تقريبا . وقد وجد له فعلا لوحة خلد عليها أعماله الطيبة التى عملها فى هذا المعبد المقدّس للإله « أوزير » واللوحة موجودة الآن بمتحف القاهرة [١] .

وهاك نص اللوحة :

مستشارو الملك يمتدحون تقريره فى توجيه عنايته لمعبد أوزير :

ما أعظم هذا لإدخال السرور على قلوب الشعب ، وما أمتع هذا لوجوه الآلهة عند ما تنعم بآثار للإله « أوزير » أو عند ما تفخم الإله « خنتى أمنتى » (اسم من أسماء أوزير) الإله العظيم الأزلى ، الذى رفع مكانته « آتوم » والذى جعله عظيما أمام ... ... والذى عمرت الأرض لحبـه ، والذى يخدمه ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى ، منذ أن عمرت هذه الأرض . إنك ملك ، وإنك منه ولدت ، وإنه أنجبك من سويداء قلبه لتعمل ما عمله على الأرض ، ولتجدّد محاريب الآلهة ، ولتحفظ معابدهم ، وإنك صاحب الذهب ، والفضة ملكك ، و« جب » إله الأرض ينفتح لك عما فيه (من كنوز) والإله تنن (رب المعادن) يهب لك مايملك ، وكل البلاد الجبلية تخدمك ، وكل البلاد السهلة تحت تصرفك ، وكل الأحجار الثمينة محبوسة على بيتك ، ولا يوجد حقا من يقول لك لا . من تجد ، وما ترغب فيه نفسك يحدث لا محالة .

الملك يكلف وزير المالية أن يقوم بانجاز العمل :

وأصدر الملك الأمر الى وزير المـالية أن يشرع فى العمل ، وعلى ذلك أرسل صناع المعبد كل صانع ماهر من طائفته ، وأحسن من فيهم من خدمهم العاملين بالتعليمات ، والمدرّب فيما تعلمه والذى لا يتعدّى ما كلفه .

وتم صنع الآثار لوالده أوزير ، وثبت تمثاله الى الأبد ، وقد كان صنعه متينا وسريا جدا دون أن يراه أحد أو يلمحه ، ودون أن يعرف صورته أحد ، وكذلك صنع له القارب الذى يحمل على الأعناق المسمى « وتس نفرو » (حامل جمال الإله) من الفضة والذهب واللازورد ، والنحاس الأسـود ، ومن كل الأحجار الأخرى الثمينة .

(١) راجع : Urkunden IV, P. 94 - 102.

الملك يقدم للمعبد آلات ثمينة ويهتم بالقربان التى تقدم بانتظام

وقد أوقفت عليه موائد قربان معها أوان كثيرة ، وصاجات « تخم » وصاجات سششت ، وقلائد منيت ، ومباخر، وأوانى تى ، وقربانى موجودة هناك فلم أمنعها ولم أمتنع عن تقديمها .

تجديد قارب الاله المقدس الذى يسبح فيه :

وصنعت له القارب « نشمت » الفاخر ، من خشب الأرز الحقيق من أحسن المدرّجات (أى جبال لبنان)، وكانت مقدّمته ومؤخرته من معدن السام ، فجعل الفيضان فى عيد عند ما يقوم برحلته فى عيد إقليم « بقـر » (وهو الإقليم الذى فيه قبر أوزير المقدّس) .

الملك يأمر بإقامة تماثيل الآلهة الأخرى التى تعبد فى هـذا المعبد :

وأمر جلالتى بنحت تماثيل للتاسوع الأعظم الذين فى العرابة ، وأن يذكر كل باسمه ، وهم «خنوم» رب « حرور » (الشيخ عباده الحالية) الذى يقطن هنـا ضيفا ، و « خنوم » رب الشلال ، وهو ضيف العرابة ، والإله «تحوت» مرشد الآلهة ، وساكن « حسرت » والإله « حور » ساكن «ليتوبوليس ، وحور المنتقم لوالده» ، والإله « وبوات » رب الوجه القبلى ، والإله « وبوات » رب الوجه البحرى ، ويجب أن تصنع تماثيلهم سرا وتكون فاخرة ، وأن يكون حامل كل إله من معـدن السام ، وأن يكون صنعها أمتن من صناعتها من قبـل ، وأن تكون أفخم ممـا عمل فى السماء ، ومخيفة أكثر من تصميم العالم السفلى (دوات) ومحترمة أكثر من سكان المحيط الأبدى (نون) .

لماذا فعل الملك كل ذلك

لقد عمل جلالتى كل هـذا لأجل والدى « أوزير » لأنى أحبه أكثر من كل الآلهـة الأخرى ليبق اسمى ، وتدوم آثارى فى بيت والدى « خنتى أمنتى » رب العرابة مخلدا أبدا .

الملك يأمر كهنـة المعبد أن يحيوا ذكراه كمـا يجب :

اسمعوا أنتم يأيها الآباء المقدّسون القائمون على هـذا المعبد ، وأنتم يأيها الكهنة المطهرون ، وأنتم يأيها المرتلون ، وأنتم يأيها الكهنة « اميواست عا » و ياخدمة المعبـد أجمعين ، قدّموا القربان لهرمى ، وقربوا الى مائدة قربانى » وحافظوا على آثار جلالتى ، اذكروا اسمى وتذكروا لقبى ، وقدّموا الهـدايا لتمـاثيلى ، وعظموا صورة جلالتى ، وضعوا اسمى فى فم خدمكم ، وذكراى عند أولادكم ، لأنى كنت ملكا فاخرا يستحق مايفعل له (من القربان) وكنت شجاعا جديرا بأن يذكر اسمه بحسب مافعلت على هذه الأرض ، وكما تقرون أنتم حقا ، وليس فيما تشهدون كذب ولا مبالغة .

الملك يعلن الأعمال الطيبة التى عملها فى معابد مصر والتى عملها فى البلاد جميعا :

لقد أقمت آثارا للآلهة ، ونفخت محاريبهم للمستقبل ، وجعلت معابدهم ثابتة الأركان وأعدت ما كان قد تهدم ، فعملت أكثر مما عمل فى الأزمان السالفة ، وجعلت الكهنة يعرفون واجباتهم ، ولقد أرشدت الجاهل إلى ما لا يعرفه ، وعملت أكثر ما عمله الملوك الذين كانوا قبلى ، وكان الآلهة فى غبطة فى عهدى ، ومددت حدود أرض مصر إلى ماتحيط به الشمس ، وجعلت من كان فى خوف منتصرا ، (أى أن المصرى الذى كان يمشى مكسور الجناح مهضوم الحق فى عهد الهكسوس أصبح الآن يمشى وهو المنتصر القوى) وأبعدت ذلك الفزع عنه ، وجعلت مصر السيدة ، وكل أرض أخرى عبيدا لها ، كما يفعل إنسان منفرد يحب « آمون » وابن إله الشمس من جسده ، والمحبب إليه « تحتمس » الذى يسطع مثل « رع » والذى يحبه « أوزير » « خنتى أمنتى » الإله الأعظم رب العرابة ، وحاكم الأبدية ، الذى منح الحياة والثبات والسعادة والصحة ، وقد ظهر بوصفه ملكا للوجه القبلى والوجه البحرى على عرش « حور » صاحب الأحياء وقلبه فرح مع قرينته مثل « رع » مخلدا » .

مغزى هذه اللوحة : وتدل ظواهر الأمور على أن هذه اللوحة قد أقيمت فى « العرابة المدفونة » بعد انتهاء الفرعون من حروبه فى السودان وآسيا . إذ نجد فيها ما يشير إلى ذلك ، ولا غرابة فقد كان ديدن الملوك من قبله ومن بعده أن يقيموا للآلهة العظام الذين وهبوهم النصر فى ساحة القتال المبانى العظيمة اعترافا منهم لهم بالجميل على مساعدتهم ، وكذلك ليظهر الفرعون ما فعله لبلاده ، وما يرجو منهم أن يفعلوه له مكافأة واعترافا بالجميل .

والواقع أن هذه اللوحة مفعمة بالمعلومات العظيمة عن حالة البلاد فى ذلك الوقت مما جعلنا نترجمها هنا برمتها . فنرى أولا أن الملك قد جمع مستشاريه وحادثهم فيما يريد القيام به فى معبد الإله « أوزير » بالعرابة المدفونة ذلك البلد الذى كان الكعبة التى يحج إليها كل مصرى غنيا كان أو فقيرا ، لزيارة الإله « أوزير » الذى كان أعظم الآلهة فى أعين الشعب المصرى وملوكه فى عهد الدولة الوسطى ، وفى الدول التى تلت، بوصفه إله الآخرة ، التى كان يرجو كل مصرى أن ينال فيها مقاما محمودا مثل « أوزير » . ولذلك فإنهم خاطبوا الفرعون

بقولهم : إنه بعمله هذا وهو تجديد ما خربته يد الدهر فى معبد هذا الإله يدخل السرور على قلب الشعب المصرى ، وبخاصة ملوك مصر فإنهم منذ الأزل كانوا ولا يزالون خدّاما لهذا الإله العظيم بوصفهم أولاده مثلما كان حور ابنه . فالملك بإقامة هذه الآثار ، وصنع أثاثه نال مساعدة كل الآلهة بما لديها من كنوز ومال ونشب ، وعلى ذلك أمر الفرعون باستخدام أمهر الصناع ، لإعداد المعبد بكل ما يلزمه على أن ينفذ له ذلك وزيرماليته ، وقد كان أهم ما صنع له تمثاله وقاربه اللذان يستعملان فى الاحتفال بعيده ، كما كان يفعل منذ قديم الأزل فى المكان المعروف باسم « بقر » وهو المقر الذى يزعم القوم أن فيه دفن أوزير بالعرابة المدفونة . على أن الفرعون لم يكتف بصنع تمثال « أوزير » وحده بل أصدر الأمر بعمل تماثيل لتاسوع الآلهة الذين كان « أوزير » على رأسهم ثم يذكر لنا الفرعون بعد ذلك السبب الذى من أجله عمل كل هذا للإله « أوزير » فيقول لنا إنه كان يحبه أكثر من كل الآلهة لأجل أن يخلد اسمه فى العرابة ، ولأن « أوزير » هو إله الآخرة الذى سيكون مصير تحتمس إليه فى العالم السفلى ، ولذلك طلب الفرعون من الكهنة فضلا عن ذلك أن يحيوا اسمه ، ويقدّموا له القربان ، وأن يجعلوا أولادهم من بعدهم يحيون ذكر الفرعون حتى تبقى على مدى الدهور ذكراه مثل « أوزير » ثم إنه يذكرهم بأنه كان ملكا شجاعا دافع عن بلادهم ، وأنه ليس فيما يقوله كذب أو افتراء ، ولذلك يذكرهم بما قام به من جليل الأعمال فى أرض الكنانة فيقول : « إنه قد أقام المبانى الأثرية الدينية للآلهة فى طول البلاد وعرضها ، وأنه أصلح ما خربه الهكسوس فى زمن محنة البلاد ، فهو بذلك قد عمل أكثر مما عمله أى ملك قبله ، هذا إلى أنه جعل الكهنة يعرفون حدودهم وواجباتهم وعلم الجاهل ما يجب علمه ، ثم ينتقل إلى ما قام به من الفتوح العظيمة المنقطعة القرين : « فيقول لقد وسعت رقعة أرض مصر ، فجعلتها تشمل كل ما يحيط به قرص الشمس ، وبذلك أصبح من كان يمشى خائفا وجلا مزعجا من

المكسوس وطغيانهم يمشي مرفوع الرأس لأنه أصبح الفائز المنتصر على ذلك العدو الذى طرد من البلاد وجعل مصر سيدة العالم، مهيبة الجانب فى كل المعمورة ، وبعد أن كانت خاضعة ذليلة أصبحت كل البلاد المتمدينة عبيدا لها ، ذلك هو « تحتمس الأول » أو بعبارة أخرى ابن القمر الذى أضاء مصر وجعل نورها يمتدّ من الشلال الرابع إلى أعالى دجلة والفرات .

وعلى الرغم مما صرح به « تحتمس » بأنه أقام مبانى كثيرة للآلهة فإنا حتى الآن لم نعثر له على آثار فى الوجه البحرى ، ومصر الوسطى . أما فى مصر العليا فنجد له غير ما ذكرنا عدّة مبان ؛ ففى « نبت » القريبة من « نقادة » أعاد بناء معبد الإله «ست» ، وقد عثر على قائمتى باب وعتب منه وهى مصنوعة صنعا جميلا[1] ومن المحتمل أن تصميم بناء معبد الدير البحرى كان قد وضعه مهندسو «تحتمس الأول» وإن كانت كل الرسوم والأشكال قد عملت فى عهد ابنته الملكة « حتشبسوت » وفى دير المدينة وجدت لبنات طبع عليها طغراؤه (L. D. III, Pl. 17. ff.) . أما فى الدير البحرى فقد أقام معبدا من أهم المعابد التى أسست فى عهد أسرته ، وقد حدث فى نقوشه تغييرات عدّة مما يدل على الأحقاد العظيمة التى كانت بين أولاده وأحفاده (L. D. III, Pl. 27, 2) . غير أن « ويجول » يقول : إن الذى أقام هذا المعبد هو « أمنحوتب الأول » ، وأن « تحتمس الأول » نسبه لنفسه[2] ، وقد دلت أعمال الحفر على صدق ذلك .

ووجد له فى « ابريم » محراب صغير قطع من الصخر ، ويشاهد الملك منقوشا عليه بين الإله «تحوت» والآلهة «ساتيت» معبودة الشلال[3] . ويشاهد فى « سمنه » و«قمة» عند الشلال الثانى أن هذا الفرعون أخذ فى إعادة بناء بعض الأجزاء المتهدّمة

---

(١) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 65

(٢) راجع : Weigall, "Guide", P. 244,

(٣) راجع : Champollion, "Letters", (Ed. 1868) P. 114.

فيها ، وذلك لمـا كان لها من الأهمية لحماية الحدود منـذ عهد الأسرة الثانية عشرة ويشاهد فى « سمنه » قائمة بالهدايا التى كانت تقـدم للاله « آمون »[١] وفى « قمة » يلاحظ أن النقوش التى نقشها هذا الفرعون قد اغتصبها « تحتمس الثانى »[٢] .

وقد ذكر اسم هذا الفرعون على بعض مقابر طيبة[٣] . هذا وقد عثر له على بعض قطع من الآثار منها تمثال جالس من حجر الديوريت بالحجم الطبعى تقريبا فى متحف « تورين »[٤] ، وكذلك يوجد له قطعتان من تماثيل ملقاتان حتى الآن فى «الكرنك» أمام القاعة الواقعة خلف (البوّابة) الخامسة كما يقول « بترى »[٥] هـذا إلى بقايا تمثال ضخم أمام (البوّابة) السابعة عند الطرف الغربى، وقد نصبه «تحتمس الثالث» فى السنة الثانيـة والأربعين من حكمه[٦] . أما الجعارين فقـد عثر له على كثير منهـا فى صور مختلفة، ونخص بالذكر منها جعرانا نقش عليه طغراؤه، واسم «حتشبسوت» وقد سميت فيه ابنة « رع »[٧] . وهـذا الجعران يحتمل أنه عمل فى عهد اشتراكها فى الملك مع والدها قبل وفاته بقليل كما يقول « بترى »[٨] .

أسرة الفرعون تحتمس الأوّل : لم تكن أم « تحتمس الأول » كما ذكرنا من قبـل من نسل فرعونى بل كانت على ما يظهر من عامة الشعب ، وقـد جاء ذكرها فى المنشور الذى أصـدره « تحتمس » عن توليته الملك كما سـبق ذكره[٩] . ولم نعثر على اسمها ثانية إلا فى نقشين : أحدهما فى الدير البحرى حيث نجدها ممثلة

(١) راجع : L. D. III. Pl. 47c.

(٢) راجع : Ibid. Pl. 59a.

(٣) راجع : Champollion, "Notices", P. 501 &, 519.

(٤) راجع : Lanzone, Catalogue of Turin, 1374.

(٥) راجع : Petrie, "History", II, P. 69.

(٦) راجع : Melanges d'Arch. Egypt. Maspero. I. P. 46.

(٧) راجع : Louvre Mus.

(٨) راجع : Gauthier, L. R, II. P. 221.

(٩) راجع : A. Z. XXIX, (1891) P. 117.

وقد ذكر اسمها مع صورتها[١] . وكذلك على هرم صغير لمرتل الملكة المسمى « تتى » وهو محفوظ الآن بمتحف « أشموليان » بأكسفورد[٢] .

وكان لتحتمس زوجتان : إحداهما شرعية وهى « أحمس » ، ويحتمل أنها بنت الملك « أحمس الأول » وأخت « أمنحتب الأول » . وقد ولدت له الأميرة « حتشبسوت » وفى هـذا خلاف ، والزوجة الثانيـة هى « موت نفرت » التى أنجبت له « تحتمس الثانى » كما سنرى . وكان لتحتمس الأول أولاد آخرون من زوجات أخر نخص بالذكر منهم « أمنحتب » وكان يشـغل وظيفة كاهن ، وقد عثر على قبره فى شيخ عبد القرنة (راجع Urk IV. P. 105.) .

وقد جاء فى نقوشه ما يأتى : « الكاهن المطهر بكر أولاد الملك «عا خبر كارع» أمنحتب الذى وضعته أمه « تحوتى سنتى » وكان أمنحتب هـذا له أسرة ، إذ قد تزوج فى حياة والده » وقد بقى لنا بعض مناظر من قبره ، منها مناظر صيد الطيور ، والنزهة فى الحقول مع زوجه وأولاده (راجع Urkunden, IV. P. 107. ff.) .

وكذلك كان له ابن آخر يدعى « وازمس » وقد عين رئيس الوزارة « أمحتب » للقيام على تربيته هو و إخوته ، وقد عثر على قطعة من الحجر منقوشة من معبد هـذا الأمير الذى مات على ما يظهر وهو صغير السنّ (راجع Ibid, P. 108.) ، وقـد جاء عليها ... ابن المـلك « وازمس » ولكن ينبغى أن يكون عمـدة الحاضرة ورئيس الوزراء « امحتب» هو المشرف على تربيـة أولاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر كارع » لأن مكانته عظيمة جدا . وكذلك أشرف على تربية هذا الأمير وأخيه « أمن مس » وهو ابن ثالث حاكم « نخبت » (الكاب الحالية) المسمى « باحرى » (راجع Ibid. 110.) .

---

(١) راجع : "The Temple of Dier El Bahri". P. 12 — 14. & "Dier El Bahri", Part. I. Pl. XIII.

(٢) راجع : Newberry, P. S. B. A., Vol. XXVII, (1905) P. 102, No. 60.

وقد مثل الاثنان على جدران قبر هـذا الحاكم جالسين على حجره . وقد مثل الأول فى قـبره على لوحة واقفا وراء والده « تحتمس الأول » . أما الثـانى وهو « أمن مس » فقـد عثر له على قطعة من إناء فى[1] منطقة أهرام الجيزة كتب عليها ما يأتى : « السنة الرابعة من حكم الملك « تحتمس الأول » ذهب بكر أولاد الملك الذى كان قائدا أعلى للجيش للنزهة ليروح عن نفسه ...... » . هذا كل ما وصلنا من هـذا النقش ، وهو يذكرنا بقصة الحـلم التى دونها « تحتمس الرابع » على لوحته المشهورة أمام تمثال « بو الهول » والواقع أن الأمراء فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان لزاما عليهم أن يزوروا (بو الهول)، ويقوموا بالصيد والقنص هناك قبل توليهم الملك، والظاهر أن أول من ابتدع هذه العادة هو هـذا الأمير أو أحد الأمراء الذين جاءوا قبله ، وسنفصل القـول عن ذلك فى حينـه . ومن تاريخ هـذه اللوحة نفهـم أن « تحتمس الأول » كان قد تولى الملك وهو فى سنّ الكهولة تقريبا، أى كان فوق الخامسة والأربعين على الأقـل ، ومات وهو فى سنّ الستين تقريبـا ، وقد دفن فى القبر الذى أعدّه له « إنى » مدير أعماله ، غير أن جسمه نقل بعد ذلك ببضع سنين إلى قبر ابنته « حتشبسوت » الذى أعدّته لها ولوالدها كما سنتكلم عن ذلك فيما بعد . و بعد انقضاء قرون عدّة على ذلك نقل الكهنة كل الموميات الملكية التى بقيت إلى خبيئة الدير البحرى وقد وجد جسم هذا الفرعون من بين أولئك الملوك وهو الآن بالمتحف المصرى فى تابوته المصنوع من الخشب .

الموظفون والحيـاة الأجتماعيـة فى عهد « تحتمس الأول »

باحرى : يعد « باحرى » من أعظم رجال عهد «تحتمس الأول» وقد كان أوّل ظهوره فى مدينة «الكاب» مسقط رأسه، وألقابه كالآتى : «حاكم نخب»، وحاكم «دندرة» والمشرف على الأراضى الزراعية فى الجنوب من أوّل «اسنا» حتى «نخب» (الكاب) ، والكاتب المـاهر، وحاسب الحبوب، والمشرف على كهنة

(١) راجع : Breasted, A. R. II. § 321.

« نخب » ، والمقرب لدى سيده ، والمشرف على الكهنة ، والحارس الوحيد على ممتلكات سيده، والمعروف لنفسه بقلمه ، وكذلك كان يلقب « مربى » ابن الملك « وازمس » .

ومن ذلك نعلم أن هذا العظيم كان من أكبر رجال الدولة إن لم يكن أعظم أمير فيها فى هذه الفترة . ولا غرابة فى ذلك فإن أمراء « الكاب » كانوا منذ الأزمان القديمة موالين للبيت المالك ، ولذلك بقوا يحملون ألقابهم الوراثية . وقبر « باحرى » يعد من أكبر المصادر التى يمكن للباحث الحصول منها على معلومات طريفة، تكشف لنا النقاب عن نواح عدة من الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية فى هذه الفترة التى بدأ يسطع فيها نجم ملوك الأسرة الثامنة عشرة فى داخل البلاد وخارجها ، ولذلك آثرنا أن نفصل القول عن محتوياته بعض الشىء لما يشمله من مناظر طريفة ووثائق هامة تكشف النقاب عن كثير من حياة القوم ، ونبتدئ هنا بلوحته الجنازية التى ترك لنا عليها نقشا دينيا يعد من أهم المصادر عن ديانة القوم فى هذا العهد، وبخاصة لأنه يقدم لنا نوعا جديدا من الوثائق التى كان يدونها عظماء القوم من هذه الأسرة فى مقابرهم : وتبتدئ اللوحة هكذا :

الصيغة الدينية : «قربان يقربه الملك لآمون رب عروش الأرضين ، وملك الأبدية والملك سيد الريشتين العظيمتين المنفرد بين من سبقه والعظيم ، وأسن الأزليين ... ... والذى خلق الناس والآلهة والهيب الحى الذى يخرج من المحيط الأزلى (نون) ويمنح الناس النور (مثل) «نخبت» البيضاء صاحبة «نخن» (الكوم الأحمر) ربة السماء، وربة الأرضين، وللاله « أوزير » « خنتى أمنتى » سيد «الأرض العظيمة» (اسم مقاطعة طينة) وللالهة «حتحور» ربة الصحراء صاحبة القلب القوى بين الآلهة وللاله « بتاح سكر » رب « شتيت »(١) وللاله « آنوبيس » رب « روستاو » (جبانة الجيزة) وللتاسوع الأكبر، وللتاسوع الأصغر......ألف من الخبز والجعة والثيران والأوز، وألف من القربان والمأكولات وألف من المشروبات والخضر وكل ما ينبت على ظهر الأرض ، وألف من كل شىء جميل طاهر ، تقدم أمام رب الأبدية ، وكذلك يقدم خبز «سنو» مما يخرج أمام الإله ، ولبنا مما يقرب على مائدة القربان ، وماء

(١) مكان معبد الإله « سكر » إله الموتى فى « منف » ثم أطلق فيما بعد على معابد آلهة أخرى (راجع Gauthier, "Dic. Geog". V. P. 150.) .

للشرب مما يخرج من « الفتنين» [1] ومما فاض ... ... فى عيد الشهر، وفى عيد اليوم السادس، وفى عيد « نصف الشهر » وفى عيد « الخروج العظيم » وفى عيد « ظهور نجم الشعرى » وفى عيد « واج » ، وفى عيد « تحوت » وفى عيد « الولادة الأولى » الذى ولدت فيه « ازيس » ، وفى عيد «ظهور مين » وفى عيد « ظهور الكاهن سم » ، وفى عيد « وجبة العشاء » ، وفى عيد « بداية النهر » ، فى السماء فى أيامها (الحقيقية) من الشهر ، وفى عيد « كل يوم » .

وتوضع لك الملابس الطاهرة المصنوعة من نسيج « بقت » (نوع فاخر من نسيج الكتان) وهى الثياب المخلوعة من أعضاء الإله [2]. وتصب لك الزيوت النقية ، وتشرب المياه من حافة المائدة ، وتشاركهم (أى الآلهة) فى القربان التى عليها لأنك شريف بين أوّل الممدوحين لأجل أمير « الكاب » الكاتب « باحرى » المرحوم الذى يملأ قلب سيده جداً .

خطاب عن مصير المتوفى فى عالم الآخرة : إنك تدخل وتخرج (من القبر)، وقلبك فرح بحظوة رب الآلهة (آمون) وتدفن دفناً جميلا بعد عمر طويل عند ماتحل الشيخوخة ، وإنك تتخذ مكانك فى تابوتك ، ويضمك القبر الصحراوى فى الغرب ، وتصير روحاً حية تحصل (أى الروح) على الخبز والماء والهواء ، وتتحول إلى بجعة (فنكس) أو حمامة أو باشق ، أو طائر كما تحب [3]، وتعبر فى القارب ، ولن تطرد ، وتسبح فى مجرى النهر . وسيحدث أنك تعيش مرة ثانية ، ولا تبعد روحك عن جسمك ، وتؤله روحك مع المنعمين ، وتتحدث إليك الأرواح السامية ، وتجتمع بها ، وستأخذ ما يقدم لك على الأرض ، وستستولى على الماء ، وتتنسم الهواء ، وتخوض فيما يحبه قلبك ، وسترد إليك عيناك (ثانية) لترى بهما وأذناك لتسمع بهما ما يقال ، وفمك لتتكلم (به) وساقاك لتمشى بهما ، وتتحرك بذراعيك وكتفيك ويكون لحمك قويا ، وعروقك سليمة ، وليس فيك شىء خبيث ، ولبك معك صحيح ، وقلبك معك كما كان من قبل ، وإنك تصعد إلى السماء وأنت تخترق عالم الآخرة فى كل صورة (تحبها) ، وينادى بك يوميا إلى مائدة الإله الكاهن الطيب (اوزير) وتتسلم الخبز «سنو » الذى يؤتى به أمامك ، وقربان رب الأرض الفاخرة (أوزير أو أنو بيس) : لأجل روح عمدة « نخب » وعمدة « دندرة » الذى يحسب الغلال من « دندرة » حتى « الكاب » والمرشد اليقظ والخالى من التعب الكاتب « باحرى » المرحوم .

---

(١) كان المعتقد على حسب خرافة قديمة أن منابع النيل هى فى الشلال عند « إلفنتين » .

(٢) كانت الملابس التى توضع على تمثال الإله تبدل من وقت لآخر كما يفعل بالكسوة الشريفة وكسوة الأولياء الآن فى مصر الحديثة فكان يستعملها الكهنة والأهلون كما هى الحال الآن .

(٣) كان المصرى بعد الوفاة يستطيع بوساطة تعاويذ سحرية أن يتحول إلى أشكال مختلفة ويعود فى صورها إلى الحياة الدنيا ، وهذا الاعتقاد لا نزال بقاياه موجودة فى مصر الحديثة كما كان يعتقد أن روحه كانت تتمتع بما يقدم له من ماء وطعام وهذا أيضا اعتقاد له نظيره فى أيامنا .

إنك تأكل خبز « شنس » بجانب الإله عند « السلم العظيم »[1] لملك رب التاسوع ، وإنك تعود إلى بيتك إلى مكان إقامتك بين رجال محكمة «أوزير» العليا وتذهب للتنزه بينهم ، وتتصادق مع أتباع « حور » وتطلع وتنزل ، ولن تنكص على عقبيك ، ولن تصد عن باب الآخرة (دوات) ، ويفتح لك بابا الأفق ، ويفتح لك مزلاجا الباب بنفسيهما ، وتصل إلى قاعة العدالتين[2] ، ويرحب بك الإله الذى فيها ، وتنزل فى أعماق العالم السفلى ، وتسير فى مدينة النيل (حرا) ، ويفرح قلبك بزراعتك حقولك فى أرضك التى فى حقول الغاب[3] ، وطعامك يتألف مما عملته أنت ، ويرد إليك الحصاد بكثرة ، وترمى لك حبال المرسى من سفينة العبور ، وتسبح على حسب مايحبه قلبك ، وتخرج فى كل صباح ، وتسكن (فى قبرك) ثانية كل مساء ، وتضاء لك الشعلة ليلا إلى أن تشرق الشمس على جسمك ثانية ، ويقال لك مرحبا مرحبا بك فى بيتك هذا للأحياء ، وإنك ترى « رع » فى أفق السماء وتشاهد « آمون » عندما يشرق ، وتكون حسن اليقظة فى كل يوم ، وتمنع عنك كل الشرور فى الأرض ، وتمضى حياتك إلى الأبد سعيدا فى حظوة الإله الذى فيك[4] ، وقلبك معك وهو لا يغشك ، وطعامك يبقى فى مكانه (الصحيح) : لأجل الكاتب « باحرى » المرحوم .

باحرى يتحدث عن سلوكه فى الحياة : يقول كنت شريفا نافعا لسيده وحازما لاينسى وكنت أنهج على طريق واحدة (فقط) بعد امتحانها ، وأعرف مخارج الحياة ، وكنت أفحص الحدود فى الوثائق ، وكذلك الشاطىء[5] فيما يخص كل الأشياء الحسنة للفرعون ، وكذلك كل أمور بيت الملك (له الحياة والسعادة والصحة) فإنها مثل النيل عندما يصب فى البحر الأبيض المتوسط (أى تسير فى مجراها الطبيعى) وكان فمى ثابتا لأنه كان يعمل الخير للفرعون ، وكنت أخاف عجز الحساب ، ولا أتصامم عن الحساب ، ولم آخذ رشوة من المحاصيل ، وكان قلبى هو الذى يقودنى إلى الطريق التى يحبها الفرعون وقد جعل قلبى معروفا ، وجعلنى مبرءا فى قاعة العدل [... ... ...] ودل على أخلاقى حتى أنى أخضعت العظماء ، وجعل [... ... ...] خطوتى إلى الأمام ، وجعلتنى أخلاقى الحسنة أرتفع ، وقد نوديت [... ... ...] بوصفى إنسانا خاليا من الإثم ، وقد وضعت فى كفة الميزان فخرجت منها وافى الحساب خاليا من الدين ،

---

(١) مكان غير معروف فى الكرنك .

(٢) أى قاعة المحاكمة وكان المصرى ينظر لكل شىء من ناحيتين وهما العدالتان .

(٣) الحقول التى كان لزاما على المتوفى أن يقوم بالعمل فيها .

(٤) كان المصرى يعتقد أن الإنسان يسكن فيه الإله وينظم حياته .

(٥) أى ومثل النيل فى طريقه السلسة إلى البحر فإنه يحدد الحدود والشاطىء فكذلك كان المتوفى يحدد أملاك الفرعون وشاطئه مع غزارتها .

و رحت وغدوت وقلبي يحمل نفس الاخلاق (لم يتغير)، ولم أنطق كذبا على أى إنسان آخر لأنى أعرف الإله الذى فى جوف الناس، وإنى أعرفه، وأفرق بين هذا وذاك (الخير والشر)، وأنجز الأمور على حسب الأوامر، ولم أغير رسالة مرسلها، ولم أنطق بألفاظ العامة، ولم أبلغ عن أناس لايجب التبليغ عنهم، وكنت مثالا للطيبة، و إنى إنسان ممدوح خرج من بطن أمه ممدوحا حاكم «نخب» «باحرى» المرحوم الذى أنجبه مربى ابن الملك الكاتب «آتف ترى» المرحوم الذى وضعته ربة البيت «كامى» المرحومة.

باحرى يطلب إلى قارئى نقوش قبره أن يدعو له بقربان :

يقول : «استمعوا انتم يا من فى الوجود، إنى أتحدث إليكم بدون كذب، يأيها الأحياء والموجودون وأنتم يأيها الرجال العظماء الذين على الأرض، وأنتم يأيها الكهنة المطهرون وزملاؤهم، وكل كاتب فى يده لوحة كتابة، وكل مدرب على كلام الإله (أى على اللغة المصرية)، وكل فرد ممتاز بالنسبة لمرءوسيه، وصاحب فم عال فى عمله. إنكم ستكونون ممدوحين من «رع» رب الأبدية، ومن «نخبت» البيضاء صاحبة «نخن» ومن كل الآلهة الذين يجعلون الفرد سعيدا فى وظيفته، (كان لكل وظيفة إلهها الحامى لها، ولذلك يطلب المتوفى أن يدعو له إلهه على حسب وظيفته)، و يرغب فى أن يرثه أولاده فى وظيفته، إذا قربتم قربانا يقدمه الفرعون على حسب ما جاء فى الكتب، وكذلك تعويذة خروج الصوت كما كان يقول الأولون وكما كان يجب أن يخرج من فم الاله، وإن كل إنسان يثنى يده (أى مقدما قربانا) سيحصل على العدل بذلك، و يفعل كما يجب على حسب القانون ... فى هذا الأمر الكتابى : ألف لك من الخبز وألف لك من الجعة، ومائة ألف من كل شىء جميل مما يقرب وما يصب «يا أوزير» حاكم «نخب» وحاكم «إسنا» ليشرح قلب المشرف على الخاتم فى سياحته إلى الجنوب (للتفتيش) الكاتب الماهر فى الحساب «باحرى» المرحوم.

ما يطلبه «باحرى» من القراء لا يكلفهم شيئا، وما يبتغى هو أن يكافئوا عليه فى عالم الآخرة :

إنى أتحدث إليكم، و إنى أجعلكم تعرفون أنها قراءة بدون قصد، فليس فيها ذم ولا هجاء و إنها ليست شجارا مع آخر، ولا استغلال فرد وقع فى حرج مؤقتا، بل إنه حديث لذيذ للتسلية لا يشبع القلب من سماعه، فهو نسيم الفم، ولا يؤكل، ليس فيه إجهاد ولا نصب و إنه لحلولكم عند ماتسمعونه، وستجدوننى عندما آتى إليكم، وطالما وجدت فى أرض الأحياء هذه ولم يشك منى إله، ولقد أصبحت روحا تام العدة، وحقا لقد أعددت مكانى فى الجبانة ومعى حاجاتى من كل شىء، ولم أتركها لتعمل لى (أى القربان) حقا حقا إن والد ذلك المتوفى المبجل هو الذى قرب له القربان وإنه لاينسى من يقدم له الماء، و إنه لحسن أن يستمع إليه.

ولسنا فى حاجة الى الإشارة الى ما جاء فى نقوش تاريخ حياة هذا الرجل العظيم من معلومات على جانب عظيم من الأهمية من الوجهة الدينية والخلقية فى هذا العهد، على الرغم مما تنطوى عليه عباراته من مبالغات يمكن معرفتها بدون كبير عناء ، ومع ذلك فإننا نستخلص من هذه المبالغات نفسها أمورا عدة عن حياة القوم .

المناظر الاجتماعية والخاصة فى مقبرة « باحرى » : (انظراللوحة رقم٢١)

تحتوى مقبرة « باحرى » على مناظر عدة عن حياته الخاصة وحياته الحكومية ، وكذلك على مناظر جنازية عامة ، وهـذه المناظر قـد شفعت لحسن الحظ بنقوش مفسرة لها مما جعلها ذات مزايا عظيمة ، وبخاصة لأنها تلقى بعض الضوء على حياة القوم اليومية وأعمالهم بما فيها من فكاهات ومداعبات حلوة قل أن نحصل عليها فى وثائق تلك الأزمان السحيقة ، ففى منظر نشاهد « باحرى » يتبعه خدمه حاملين ملابسه ونعاله وكرسيه والمعدات التى تلزمه ، وتقول لنا النقوش عن هذا المنظر : إنه يخص أعمال فصل الصيف وأعمـال فصل الشتاء، وكل الأعمال التى أنجزهـا فى الحقول عمدة «نخب» وعمدة « دندرة » وهو الذى يشرف على الحقول فى أراضى الجنوب الكاتب وحاسب الغلال « باحرى » المرحوم .

ويلحظ فى المنظر أن عربة « باحرى » تنتظره ، غير أن أحد جواديها نفـد صبره ، وأراد أن يرخى لساقيه العنان فوبخـه السائس قائلا : قف ولا تتحرك ، ولا تكن عاصيا أيها الجواد الممتاز ، يأيها (الأمير) الذى يحبه سيده ، ومن يفخر به الحاكم « باحرى » أمام كل إنسان .

ويشاهد أمام « باحرى » منظر الزرع والحرث فيرى محراثان تجرهما ثيران على حسب المعتاد ، غير أننـا نشاهد محـراثا ثالثا يجـره أربعة رجال بالحبـال والعمال الذين يحرثون بالمحاريث التى تجرها الثيران يقولون : « إنه يوم جميل يشعر فيه الإنسان بالنسيم ، والثيران تحرث ، والسماء تعمـل على حسب ما ترغبـه قلوبنا ، دعنـا نعمل لهـذا الشريف (Taylor, "The Tomb of Pahari at El-Kab," Pl. III - VII) . وكذلك نرى حراثا ينادى رفيقا له يسير أمامه قائلا : أسرع أيهـا

القائد إلى الأمام بالثيران تأمل ! إن الأمير واقف ينظر إلينا » مما يشعر — كما هى الحال الآن — أنهم لا يعملون إلا إذا كان صاحب العمل منتبها إليهم مراقبا إياهم.

وفى نفس المنظر نجد رجلا يحطم قطعا من الطين بفأسه، وينادى رفيقه الذى يعمـــل معه قائلا « يا صديق أسرع فى العمل حتى ننتهى فى وقت مبكر »، غير أن ذلك يحفظ زميله فيجيبه قائلا : « إنى سأعمـــل أكثر من العمل الذى يجب أن أعمله للشريف فالزم الصمت » .

أما العمال الذين كانوا يجرون المحـــراث فإنهم كانوا مرحين، إذ أن « باحرى » عندما كان متجها نحو النهـــر مارا بهم ، حضهم على الإسراع فى عملهم فأجابوه : إننا نفعل ذلك ، انظر إلينا لا تخف على حقول الغلال، إنها حسنة جدا » .

وقد أجاب على ذلك الحـــراث المسن قائلا : « حقا إن مقالك مدهش جدا يابنى ، فإن السنة طيبة خالية من الأمراض ، وكل أعشابها جيدة، والعجول فيها ممتازة أكثر من أى شىء .

أما القمح الذى قد نضج فكان يحصده عمال بمحشاتهم وخلفهم امرأة وطفل يلتقطان ما ترك خلف الحصادين ، فى حين نشاهد امرأة ثالثة تحمل ســـلة وبعض الخبز . ويلحظ أن أحدهم ينادى الحصادين قائلا « أعطنى حزمة ؟ انظر سنأتى فى المساء فلا تعد لشح البارحة، تخل عنه اليوم » (أى اترك لنا بعض السنبل نلتقطه اليوم) . وفى نهاية حقل الحصاد توجد مظلة صف فيها أوان للشرب على قواعد من الخشب، ويشاهد اثنـــان منها خارج المظلة يروح عليهما خادم بمـــروحة من عسف النخل لتحفظ برودتها . وبعـــد ذلك يحمل القمح المحصود فى سلال كبيرة معلقة فى قضبان ومحمـــولة على الأكتاف للدرس ، وهنا يرى « باحرى » يقبض بيده على غصن ، ويأمر حاملى السلال بالإسراع خوفا من الفيضان الذى كان يهدد الحقول قبل حصد الغـــلال منها . ثم يسمع عامل وهو عائد ليأخذ حمـــلا جديدا يقول بصوت عال ، « ألم أحمل القضبان طول اليوم كرجل ؟ وهذا ما أحبه » .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن النغمة التى كانت سائدة فى هـذه المحادثات نغمة مرح تدل على الجد والإخلاص، وهـذا المرح بعينه نجده فى الدولة القديمة ، وقد عبر عنه فى أغنية حاملى المحفة (راجع كتاب الأدب جزء ٢ ص ٢٢٣) .

وبعد ذلك يفرغ العمال السنبل فى مكان الدرس حيث تدوسه الثيران، وهناك يرى صبى يعمل بمكنسته باستمرار ليحفظ السنبل[1] فى مكانه .

أما العامل الذى يسوق الثيران فى دوراتها التى لا تنقطع فكان يغنى وهو ماش !
« ادرسى لنفسك ، ادرسى لنفسك يأيتها الثيران ، ادرسى لنفسك ، ادرسى لنفسك فإن التبن لعلفك ، والغلة لأسيادك ، ولا تجعلى قلوبك تخمد فإن الجو بارد » .

ثم يذرى بعد ذلك القمح ويكال ويوضع فى المخازن ، ويشاهد كاتب جالس على كومة عالية من الغلال مسجلا ما يكال ويخزن وهو « تحوتى نفر » ؛ ويشاهد كذلك هنا حصد الكتان . وذلك أن شجيرات الكتان كانت تنتزع بجذورها ويزال عنها ما علق بها من طين ثم تحزم السيقان وتحمل إلى رجل مسن جالس تحت شجرة حيث ينزع منها البذور بآلة كالمشط الضخم ، ويخاطب الولد الذى أحضر له الحزم قائلا : « إذا أحضرت لى تسعا وإحدى عشرة ألف حزمة فإنى أنا الرجل الذى أفصلها كلها » غير أن الولد يجيبه بوقاحة غير محترم سنه المتقدم قائلا : « أسرع لا تكن ثرثارا يأيها العامل القذر » .

وفى منظر آخر يشاهد « باحرى » يعمل بيديه فيجلس على كرسى وأمامه أدوات الكتابة يدوّن حساب الحيوان الذى كان يساق أمامه ، والنقوش المفسرة لهـذا المنظر تقول : « حساب عدد القطعان بوساطة أمير « دندرة » والمشرف على حقول بلاد الجنوب المحبوب لدى سيده ، من أول بيت « حتحور » حتى « الكاب » الكاتب « باحرى » . ومن ذلك نعلم أنه كان يدير أملاك الفرعون من « دندره » حتى مدينة « الكاب » ويلحظ أن الماشية التى كانت تحصى هنا كانت تشمل ثيرانا وبقرات وعجولا وحميرا وماعزا وجداء وخنازير . وقد كانت بعض هذه الماشية نائمة على الأرض لتكوى ،

---

(١) هـذه المناظر تشاهد حتى الآن فى قرى الوجه البحرى التى لم تدخلها الآلات الحديثة للحرث والزرع والدرس .

ويشاهد أمام « باحرى » أخوه المسمى كذلك « باحرى » ويلقب بالكاتب . ويرى « باحرى » كذلك فى منظر آخر جالسا فى مقر وظيفته يتقبل الذهب من رؤساء البلاد الجبلية ؛ وقد كان يقدم إليه فى هيئة حلقات ويوزن أمامه ويدون أخوه « باحرى » قيمة كل وزنة . وقد فسر هذا المنظر بما يأتى :

تسلم ذهب رؤساء أهل الجبال ، تسلم الجزية من رؤساء أهل هذه البلدة بيده المدير اليقظ الذى لا يكل ، والذى لا ينسى ما هو مكلف به الأمير « باحرى » المرحوم » (راجع .Urk. IV. P. 126) .

ثم نرى « باحرى » يسير إلى شاطئ النهر على قدميه حيث يرقب شحن السفن المحملة بالغلال المستحقة لمخازن غلال الحكومة ، وتقول النقوش عن ذلك :

« شحن السفن بالقمح والشعير » . ويقول العمال : هل سنمضى طوال اليوم فى حمل القمح والشعير ؟ إن المخازن مفعمة والأكوام تفيض على حافاتها ، والسفن قد شحنت شحنا ثقيلا ، والقمح يفيض منها ومع ذلك فان السيد يحضنا على السرعة ، تأمل ! فهل صدورنا من برنز (أى لا تكل)[1] .

ويلحظ أن البحارة الذين فى السفن يميلون إلى جنب ويملئون أوانيهم للشرب .

وكل المناظر السالفة تحدثنا عن حياة « باحرى » الرسمية ، وهناك مناظر أخرى تبحث فى حياته الخاصة ، وتصحبه زوجه ، فنجده فى منظر يلحظ سير العمل فى ضياعه الخاصة ويتسلم محاصيله ، وكذلك نجده مع تلميذه الصغير الأمير « وازمس » الذى يجلس على حجره معطيا إياه هدايا بمناسبة يوم عيد ، والنقوش تحدثنا : ابتهاج القلب بكل شىء ، والراحة ، وتسلم الهدايا ، والتعبد « لنخب كاو » بوساطة مربى الأمير ، « وازمس » الحاكم « باحرى » . (Naville Ibid. Pl. IV.) والواقع أنه يشاهد أمام « باحرى » والأمير أطفال محضرون ... وقربان ، وكل أنواع الأزهار فى صباح السنة الجديدة (كما تحضر بعض الأطفال فى أيامنا هدايا لبعضهم فى العيد) .

---

(١) هذه هى الشكوى التى نجدها من أصحاب رءوس المال فانهم يريدون أن يبتزوا كل مجهود العامل لكثرة الانتاج ولذلك يقول العامل : هل صدورنا من نحاس أى لا تحس ، ولذلك يريد السيد أن يجعلها تعمل باستمرار .

ولا بد أن « باحرى » كان على وئام مع أقاربه وأصهاره ، إذ نشاهد والدى زوجه وأقاربه كلهم مجتمعين على مائدته فى يوم عيد رأس السنة الذى كان يعد من أعظم الأعياد، ولذلك يلحظ أن منظر الوليمة الذى نشاهد فيه كل الأقارب تحتل مكانة عظيمة فى رسوم مقبرته (Ibid. Pls. VI, VII.) ؛غير أن هذه الوليمة قد جمعت بين مناظر الدنيا ومناظر الآخرة فيرى « باحرى » هو وزوجه جالسين على أريكة ربط فى أسفلها قرد أليف يأكل من سلة فاكهة، والظاهر أنه كانت توجد أمام « باحرى » وزوجه مائدة قربان غير أنها محيت فيما بعد على يد مغتصبين، ويشاهد ابنهما « أمنمس » الذى كان يرتدى جلد فهد واقفا أمامهما يمثل دور الابن المحبوب لوالديه (كاهن) بعد موتهما » ، وذلك بتقديم القربان مما يبرهن على أننا أمام وليمة جنازية لا تشاهد إلا فى مثل هذه الأحوال ، وإن كانت تمثل ما يحدث فى عالم الدنيا حقيقة .

وأمام « باحرى » وزوجه مائدة جلس إليها رجل وزوجه، وعلى المائدة مالذ وطاب من طعام وأكاليل وأزهار وزجاجات نبيذ، وهذان هما «أحمس بن أبانا» المشهور وزوجه « إبوتى » . وعلى مائدة أخرى يشاهد « اتف ترى » وزوجه « كم » وهؤلاء هم أجداد «باحرى» ووالداه، وخلف أولئك نرى أقارب «باحرى» وأصدقاءه جالسين على بساط يأكلون ويشربون الخمر ويشمون الأزهار .

ومن طريف ما يشاهد فى هذا المنظر أن سيدة تسمى «سات آمون» (بنت آمون) قد رفعت يدها امتناعا عن قبول قدح نبيذ قدم لها، غير أن الساقية لم تأخذ هذه الإشارة علامة على الرفض وقالت : لحضرتك ، اشربى حتى السكر وافرحى ، واصغى لما تقوله رفيقتك، لا تضجى من تناول (الخمر). ولكن ابنة عمها المجاورة لها لم تعبأ بمثل هذه الترهات فتنادى الساقية : قدمى لى ثمانية عشر قدحا تأملى ! إنى أحب أن أشرب حتى أثمل، فإن جوفى جاف كالهشيم. راجع Naville, Ibid P. 25. Pl. VII) ومن الغريب أننا نشاهد الساقيات يلححن على الضيفان

فى تناول الخمـر فتقول إحداهن : «اشربن لا ترفضن ، إنى لن أترككن» ، وتقول أخرى ، « اشربن لا تعكرن صفو الوليمـة ودعن الكأس يأتى إلى ، تأملن ! فإنه دور الأمير أن يشرب الآن » .

والظاهر من ذلك أن صاحب الوليمة كان لا يعد نفسه سعيدا إلا إذا ثمل كل ضيفانه . على أن هذه الوليمة لم تكن لتقتصر على احتساء بنت العنب بل كان فى نواحيها طائفة من المغنين والموسيقيين والراقصات .

ويمكن القول من صور أقارب « باحرى » الممثلة على جدران قبره أنه قد دون أسماء ستة أجيال من أسرته ابتداء من جدّ والديه حتى أحفاده .

ولا نزاع فى أن أمثال قـبر هذا العظيم يعـد تحفة لكل مؤرخ يريد أن يبحث فى الحياة المصرية من أى ناحية أراد، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن أمثال هذا القبر المحفوظ قليل جدا (أنظر اللوحة رقم ٢١) .

رعى : يوجد قبر هذا العظيم فى جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ١٢٤)، وقد كان مزينا بمناظر عدّة ولكن لم يصلنا منه إلا بعض قطع فى حيازة مستر « مند » يشاهد فيها الكهنة يقومون بشعيرة دينية . وقد كان يحمل الألقاب التالية : مدير بيت الإله الطيب « تحتمس الأول » وكذلك لقب « مدير مخازن رب الأرضين » وكلا اللقبين من أهم ألقاب الدولة (راجع Gardiner and Weigall, “Catalogue”, No. 124.) .

ساتب إحو : كان يحمل الألقاب التالية : عمدة طينة بالقرب من (العرابة المدفونة) والأمير الوراثى والحاكم، والمشرف على كهنة « طينة » . وقد كانت زوجه كذلك من الشخصيات الهامة : إذ كانت مرضعة للملكة المستقبل «حتشبسوت» ، فكانت تحمل لقب مرضعة الملكة «حتشبسوت» ، وقد جاء ذكرها فى مقبرة زوجها (راجع Urk. IV. P. 517.) . ولا شك فى أن المرضعات الملكيات كن ذوات نفوذ

عظيم فى البـلاط ، ولدينا عدد عظيم منهن ذكرن فى نقوش الأسرة الثامنة عشرة ، ويلحظ أنهن كن أمهات لموظفين عظام فى الدولة، ولا غرابة فى ذلك فمن المحتمل أن بعضهن كن ينتخبن من أسر كريمـة ، فضـلا عن أنهنّ كنّ يخلقن بحكم مركزهن جوّا من المحبـة بينهن وبين الأمراء والأميرات الذين ربوا فى حجورهن . وسنرى ما كان لذلك من تأثير فى وظائف الدولة وسير الأحوال فيها عند الكلام على النظام الحـربى . وقد أقام « ساتب إحو » قبرا له هو وزوجه فى « العـرابة المدفونة » وجد له فيـه تمثـال جالس وهو الآن فى مجموعة جامعـة « بنسلفانيا (راجع Maciver and Mace, "El-Amrah and Abydos," Pls. XXXII-XXXIII) .

وقد خرب هـذا القبر فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين، وعثر فيه على أشياء دخيـلة ؛ غير أنه وجدت فيـه لوحة لموظف يدعى « إن حرمس » يحمـل لقب « المشرف » على مخازن « طينة » من عهد «تحتمس الثالث»، ويحتمل أنه أحد أعضاء الأسرة المحدثين (Porter and Moss, "Bibliography," V, PP. 67, 68.) .

سات رع : وهى مرضـعة أخرى للملكة . « حتشبسوت » وكانت تسمى كذلك «إن» وتحمل لقب المرضعة التى ربت سيدة الارضين مما يدل على أنها كانت تعمل فى عهـد حكم الملكة وليس لدينا عن هـذه السيدة إلا نقوش على لوحة من الحجر الجيرى الأبيض محفوظة الآن بمتحف « فينا »، ولم تذكر عليها أسماء أفراد أسرتها (Urk, IV. P. 241.) .

نفراعح : كانت هـذه السيدة مربية أخرى من مربيات « حتشبسوت » وكانت تحمل لقب « المربية العظيمة » وكان زوجها «يويا» يشغل وظيفة الكاتب الملكى التى تعد من أكبر وظائف الدولة، إذ كان شاغلها يعد كاتم أسرار الفرعون. وقد كان ابنها « بوام رع » وهو أخو « حتشبسوت » من الرضاعة من أعظم رجال الدولة الذين كانت تعتمد عليهم « حتشبسوت » (كما سيأتى بعـد) ، وقد رسم

فى قبره (بالحوخة رقم ٣٩) المرضعة الملكية وزوجها (Davies, "The Tomb of Puyemra", Pl. 28.) • وليس من الغريب أن نجد أكثر من مرضعة واحدة لإرضاع طفل واحد ، إذ علمنا أن الأطفال المصريين كانوا يرضعون إلى أن يبلغوا السن الثالثة من عمرهم (Maxims of the Scribe Ani. Erman," The Literature of the Ancient Egyptians," P. 239.) • هذا فضلا عن أن لقب مرضعة كان يحمله الرجال والنساء على السواء ، كما شاهدنا فى نقوش « أحمس بننخبت » وفى هذه الحالة كان اللقب بطبيعة الحال يعنى (مربى) ، ومن المحتمل أن بعض المرضعات من النساء كن يعملن بوصفهن مربيات للأطفال الملكيين بعد فطامهم ، وهذا مايوحى به لقب « سات رع » .

أحمس (حومعى) : عاش فى عهد هذا الفرعون وكان يحمل الألقاب التالية « مدير بيت زوج الإله » ومدير مخازن غلال زوج الإله «أحمس نفرتارى» (راجع L. D. Text. III. P. 286.) •وقبر هذا العظيم فى «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٢٢٤) ، وليس فيه من المناظر إلا منظر وليمة عادى مثل فيه بعض أقاربه (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue," No. 224.) •

امنحتب بن سنى تحوتى : كان هذا الموظف يحمل لقب « كاهن مطهر » ، كما كان يحمل اللقب الهام « بكر أولاد الفرعون تحتمس الأول » . وهذا مثل آخر لعدم دلالة هذا اللقب على معناه الأصلى ، وذلك لأننا نعلم من قبره فى «جبانة شيخ عبد القرنة » أن والده يدعى « سنى تحوتى » • (راجع Urk. IV, PP. 105-106.) ومن بين المناظر الهامة فى قبره منظر مثل فيه هو وزوجه يتسلمان هدايا رأس السنة ، ومنظر آخر وهو يقدم قربانا لوالديه ؛ ونعلم من نقوش قبره أن أخاه « نفرحتب » كان يحمل الألقاب التالية : — الأمير الوارثى والحاكم ، ورجل الملك العظيم ، والرجل الممتاز فى خزانة ملك الوجه البحرى » والد الإله الرابع للإله « آمون » (لقب كاهن) (راجع Porter and Moss ,"Bibliography" Vol. I. P. 184. وكذلك الكاهن الرابع للاله آمون .

نخت : كان « نخت » أيضا يحمل لقب كاهن مطهر . وقد عثر له على تمثال فى معبد « رعمسيس » الثانى فى الكرنك . ومن ألقابه أيضا « مطهر الإله خنسو » ورئيس طائفة الكهنة الأولى وكذلك رئيس الطائفة الثالثة (راجع Legrain, "Repertoire," No. 76.) .

بوى : لم يعثر لهذا الموظف إلا على لوحة محفوظة الآن بمتحف مدينة « درسدن » بألمانيا (راجع A. Z. XIX. P. 66ff.) ويلقب البانى العظيم للفرعون « تحتمس الأول » وهذا يذكرنا بالنشاط العظيم الذى قام به ملوك هذه الأسرة فى هذا المضمار ، وقد كان ابنه يحمل نفس اللقب فى عهد « تحتمس الثالث » .

وسر : يعد « وسر » من مناظر قبره الذى حفر فى «جبانة شيخ عبد القرنة» شخصية غريبة ، إذ تدل ملابسه المزركشة وتأنقه على نوع من الطراوة والليونة ، إذ نراه مرتديا حلة ذات أهداب بألوان مختلفة ، وممسكا بيده منديلا أحكم لفه فى يده اليمنى ، ونرى فى يده اليسرى طاقة أزهار قد افتن فى تنسيقها ، يشم رائحتها بنوع من الرخاوة (J. E. A., X. Pl. IX, P. 41.) . ويجب ألا نخدع بمثل هذا المنظر الذى يدل على الترف والإغراق فى التأنق الذى يظهر به أولئك الأفراد المنعمون فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة فإن هؤلاء المتأنقين وأولادهم هم الذين ساعدوا على بناء مستقبل مصر العظيم الذى جعلها على رأس ممالك العالم ، إذ لم يكن الفساد بمعناه الحقيق قد دب فى نفوسهم ، فعند ما بدأت الامبرطورية تنحط لم يكن اللوم واقعا على أولئك المترفين فى « طيبة » أو على النسوة اللائى كن يعاقرن بنت الحان بل كان يرجع إلى أسباب أخرى .

وكان « وسر » هذا يلقب بالكاتب ومدير بيت الفرعون « تحتمس الأول » . وقد تعزى رفاهيته ورقته فى الملبس إلى الوظيفة التى كان يشغلها . ومن المناظر الهامة فى قبره منظر صيد ، وقد استعمل فيه العربة ، وهو من المناظر الأولى التى استعملت فيها العربة للصيد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وهذا دليل آخر على

أنه من عليـة القوم ، إذ كانت العربة وقفا على الأغنياء والمياسـير فى هـذه الفترة (Davies, "Five Theban Tombs", Pl. XXII. P. 23.) .

وسرحات : ولدينا مدير بيت آخر من عهد هذا الفرعون يدعى «وسرحات» وقد جاء ذكره على لوحة أخيه فى « تورين » (Rec. Trav. Vol. IV. P. 125.) .

باك : ولدينا مخروط نقش عليـه اسم موظف يدعى « باك » ويحمـل لقب مدير البيت العظيم (Mission Archeologique Française, Vol. VIII. P. 15.) .

سبك حتب : أما قصر « تحتمس الأول » فكان له حارس يسـمى « سبك حتب » كما كان يحمل لقب « حارس قاعة الإدارة » (راجع Schiaparelli, "Catalogue" No. 1566.) .

بن إن رع : كان مراقب الماشية (راجع Mission Archeologique Française, Vol. VIII. P. 64.) .

عاخبركا : كما كان « عاخبركا » مدير المهمات (Ibid. P. 289, 171.) .

منخ : وكان للملكة كذلك مدير بيت يدعى «منخ» ، وقد أهدى محرابا نحت فى الصخر غرب السلسلة وقد مثل فيه مع زوجه ، وهو ابن « إننى » الذى تكلمنا عنه فيما سبق (راجع Weigall, "Guide to the Antiquities of Upper Egypt," P. 368.) .

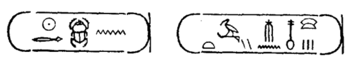
تحوتى بن قارى : كان هذا الموظف يلقب مدير النحاتين وله قبر فى «الكوم الأحمر» (هيرا كنبوليس) (Porter & Moss, "Bibliography", V. P. 197.) وفيه لوحة سرد فيهـا تاريخ حياته على الصورة المألوفة من مدائح وصفات عظيمة (راجع Urk. IV. PP. 130. ff.) .

جاء فيها : « مدير النحاتين الذى قد حباه الإله منــذ طفولته ، وهو مرشد الفرعون ، والذى يسهر على الأعمــال ، ذكى الفؤاد فى عمــل كل شىء ممتاز ، ثابت الجنان بين العظماء ، ومن يذكر اسمــه لصفاته (الطيبة) ، وليس فيــه ما يعيبه عنــد سيده ، لا يخرج الإثم من فــه ، صادق الجنان بين الأشراف .

ترجمة حياته : « لقد فعلت ما يحبه الناس ، وما تمدحه الآلهة ، ليجعلوا بيتى يبقى إلى الأبد ، ويمكث اسمى فى فم النــاس بعد سنين تمر عند ما يرى (القوم) الآثار التى أقمتها فقد بنيت لنفسى بيتا للنزهة وهو بيت الجبانة ، وقد عمل الناس فيه على حسب ما يحبون ، ولم يكن هناك إنسان متــذمر من العمل ، وكنت أخرج من بيوتى إلى سفينتى ، وإلى حقولى التى كنت أديرها بنفسى ، وكنت أحرث بثيرانى الصغيرة السن فى حقولى التى اكتسبتها بنفسى حتى قربان الجبانة ، وإنه إلهى الذى أعطانيها ، ولقد أنجزت ما يحبه قرينى (روحى) وقد أرشدنى إلى قبرمتين ، وكنت فى حظوة رب الأرضين ، وهو الذى جعلنى فى قلب الناس حتى أصبحت ممدوحا عند الإله ، ولقد عمــل ذلك لأنى كنت ذا أخلاق ممتازة ، ولم ينسب لى عمل سوء عند القوم ، إذ لم أغتصب من آخر متاعه » .

هــذه لمحة عن حياة « تحوتى بن قارى » كتبها عن نفسه ، على الرغم مما فيها من جمل نجدها مكررة فى حياة غيره من عظماء هذا العصر ، إلا أننا نلحظ فيها بعض جمل تدل على ما كانت تنطوى عليه روح هــذا المثال العظيم ، صاحب الشــعور المرهف ، إذ يخبرنا أنه قــد كسب كل شىء يمتلكه بكده واجتهاده ، وأنه قد بنى قبره دون أن يرهق العمال فى إقامته ، بل كانوا يعملون على حسب ما يحبون ، فــلم يكن هناك سبيل لذمه ، إذ لم يتذمر أحد من العمل ، هذا فضلا عن أنه كان شفيقا على الحيوان فلم ينتخب لحرث أرضه إلا الثيران الصغيرة السن القوية البنية ، وكانت تعمل فى حقوله التى اكتسبها بنفسه حتى قبره ، كل ذلك يظهر لنا روح ما كانت عليه حالة البــلاد فى ذلك الوقت . ونجــد اسمه كذلك مذكورا فى بردية جنــازية محفوظة الآن فى متحف « اللوفر » ، ومنها نعرف أن والده كان يسمى « قارى » وأمه تدعى « تى » (راجع .Urk. IV., P. 135) .

الفرعون تحتمس الثانى



كيف تولى الملك : ذكرنا أن « تحتمس الأول » لم ينجب من زوجه الشرعية « أحمس حنت تاوى » وارثا لعرش الملك ، وأن أولاده الكبار الذين كان يرغب فى أن يتولى واحد منهم من بعده الملك قـد ماتوا فى حياته ، ولم يبق له من خلفه الذكور إلا ابن واحد من زوجة غير شرعية تدعى « موت نفرت » ، وفى الوقت نفسه كان له ابنة واحدة من أخته وزوجه الشرعية « أحمس حنت تاوى » وهى «حتشبسوت » . والظاهر أن «تحتمس» الأول كان يرغب فى أن يجعلها خليفته



(٣٢) مومية الملك تحتمس الثانى

على عرش الملك ، كما تدعى هى ذلك فى النقوش التى خلفتها لنا مما سيأتى ذكره ، ولكن يظهر أن الأمور سارت على غير رغبته ، وتولى العرش « تحتمس » الثانى ابنه بعد أن تزوّج من أخته « حتشبسوت » ، وبذلك أصبح توليه الملك فى نظر الشعب شرعيا لاغبار عليه . وتدل كل الأحوال على أن هـذا الزواج كان زواجا رسميا ليظهر أمام الشعب المصرى أن على أريكة الملك فرعونا ، ولكن الواقع كانت « حتشبسوت » هى المسيطرة على البـلاد لأنها كانت الوارثة الحقيقية للعـرش . هذا فضلا عن أن « تحتمس » الثانى لم يخلق ليكون فرعونا .

وصف تحتمس الثانى : حقـا إنه كان شابا أنيقا طويل القـامة ، عريض المنكبين ، غير أنه مع ذلك لم يكن قوى البنية[1] . ويدل شكل رأسـه الكبير على أنه كان أكثر ذكاء من والده المحـارب العظيم . وقـد كانت ملامحه تتفق مع ملامح أفراد أسرته ، فنشاهد فيها أسنان الفك الأعلى البارزة ، والذقن الغائرة بعض الشىء ، ويلحظ أنه وقت وفاته كان أصلع الرأس ، وأن الشعر الذى كان باقيا على رأسـه كان شعرا مستعارا مجعدا تجعيدا مصطنعا ليظهر طبعيا . وقد دل تجميل أظافر قدميه على أنه كان يعتنى بهـا اعتناء بالغا . ولا نزاع فى أن كل مظاهره كانت تدل على إغراقه فى الترف والتأنق ، كما تنم على ذلك تقاسيمه التى تشعر بشىء من الأنوثة ، وإن شئت فقـل التخنث . والحقيقـة أنه كان على النقيض من أختـه وزوجه « حتشبسوت » التى كانت تدعى الرجولة فى معظم مظاهرها ، ولذا كان النفور مستحكما بينهما طوال مدّة حكمه .

أوّل وثيقة تدل على توليه حكم البلاد : وأوّل وثيقة لدينا تدل على أنه تولى الحكم مباشرة بعد والده « تحتمس » الأوّل ما تركه لنـا « إننى » فى تاريخ حياته عن هـذا الفرعون إذ يقول عند ممات « تحتمس الأوّل » : (راجع Urkunden IV, P. 58.) .

---

(١) راجع : Elliot Smith, "The Royal Mummies," P. 28 – 31.

« وقد ارتاح الفرعون من الحياة ، وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنيه فى سعادة ، ثم ظهر الصقر الذى فى العش على العرش ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر ن رع » (تحتمس الثانى) ، وبذلك أصبح ملكا على الأرض السوداء (مصر) وسيطر على الأرض الحمراء (الصحراء) واستولى على الأرضين مظفرا . وكنت أثير الفرعون فى كل أماكنه ، وما فعله لى كان أعظم مما عمله لى من سبقه ؛ وفى عهده وصلت إلى سن الشيخوخة الموقرة ، وكنت فى حظوة جلالته كل يوم ، فأجلس على مائدة الملك ، وآكل من خبز إفطار الفرعون ، وأشرب من جعته ، وكذلك كنت أتمتع باللحم السمين والخضر وأنواع الفاكهة المختلفة ، والشهد والفطير ، والخمر وزيت الزيتون ، وكان الكل يسألون عن أحوالى راجين لى الصحة والحياة ، لأن الملك نفسه كان لحبه لى يسألنى عن أحوالى وصعد إلى السماء ، وانضم إلى الآلهة » .

ففى هذه الفقرة من تاريخ حياة « إننى » نعلم علم اليقين أن « تحتمس الثانى » هو الذى تولى العرش مباشرة بعد وفاة والده « تحتمس » الأول ، أما ما يقال من أن « حتشبسوت » أو « تحتمس » الثالث هو الذى تولى الحكم بعد « تحتمس الأول » ، فقول لا يرتكز إلا على أسباب ظاهرية ، قد خلقها التطاحن على عرش الملك فى عهد التحامسة[1] .

منزلة « إننى » عند تحتمس الثانى : ومع هذا التحقيق التاريخى الذى تركه لنا « إننى » فى هذه المسألة العويصة قص علينا كذلك حياته مع هذا الفرعون ومكانته فى القصر الملكى ، ووضع لنا كذلك صورة من ألوان الطعام الذى كان ينفرد به الفرعون والذى كان « لإننى » شرف مشاركة سيده فى تناوله معه حتى فى الإفطار، فكان يأكل فطير شعت ، ولا بدّ أنه هو نفس الفطير الذى يأكله علية القوم وقت الإفطار مع الشهد حتى الآن ، كما كان يأكل اللحم السمين والخضر ، وأنواع الفاكهة والخمور وزيت الزيتون ، كل هذه الألوان تعدّ حتى الآن أحسن المأكولات وأشهاها وأغلاها قيمة ، وسنعود إلى « إننى » كرة أخرى عند ما يحدثنا عن عهد « تحتمس الثالث » .

(١) راجع : Sethe "Das Hatshepsut Problem noch Einmal." Untersucht.

محاربة تحتمس الثانى بلاد السودان : وقد كانت فاتحة أعمال هذا الفرعون إخماد العصيان الذى قام به بعض القبائل السودانية على مقربة من الشلال الثالث ، وقد حفظت لنا نقوش هذه الحملة على الصخور الواقعة على الطريق بين أسوان والشلال الأول ، وهاك ما جاء فيها حرفيا .

« السنة الأولى الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم الثامن ، وذلك عندما ظهر جلالة «حور» الثور المظفر ، الشديد القوى ، صاحب العقاب والصل — صاحب المملكة الإلهية « حور الذهبى — صاحب الصور القوية ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى — عا خبرن رع » ابن الشمس — تحتمس الجميل الطلعة على عرش حور الأحياء لأن والده «رع» حاميه ، وأمون رب عروش الأرضين يقهران أعداءه » .

وصف قوة الملك : كان جلالته فى قصره ، وكان صاحب شهرة عظيمة ، وخوفه يعم الأرض وهيبته فى أقاليم بحر « ايجـة » (حاونبوت) وكان شطرا الأرضين (أى مملكة حور ومملكة ست) تحت سلطانه ، وأقوام الأقواس التسعة تحت قدميه جميعا ، و إليه تأتى سكان سينا « منتيو » حاملين الجزية ، و بدو بلاد النوبة (انتو يزت) بسلامهم (التى فيها أتاواتهم) وحدوده الجنوبية قد وصلت حتى قرن الأرض ، وحدوده الشمالية حتى آخر العالم ، وآسيا أصبحت من رعايا جلالته ، فلا يصد رسوله أراضى الفنخو .

إعلان قيام ثورة فى بلاد النوبة : وجاء من يخبر جلالته أن بلاد « كوش » الخاسئة فى طريقها إلى الثورة ، وقد كانوا رعايا رب الأرضين يفكرون فى إعلان العدوان ، وقد كان الثوار على وشك أن يسرقوا المصريين ، وذهبوا للاستيلاء على قطعان الماشية التى كانت خلف الحصون ، التى أقامها والدكم فى حملته المظفرة ، ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى « تحتمس » الأول عاش مخلدا ، لصد البلاد الأجنبية الثائرة ، وهم بدو النوبة أهل «خنت حن نفر» . وهو أمير يقطن شمالى بلاد كوش الخاسئة ، وقد آرسلت الأسرى للساعدة ، ومعهم اثنان من بدو بلاد النوبة من أبناء أمير « كوش » الخاسئة ، وهما اللذان فرا أمام رب الأرضين فى اليوم الذى قام فيه الإله الطيب (الملك تحتمس الأول) بمذبحة ، وكان من جرائها أن قسمت هذه البلاد خمسة أجزاء ، وكان ابن كل أمير يحكم جزءا ، وعند ما سمع جلالته هذا الخبر هاج كما يهيج الفهد وقال جلالته : إنى ما دمت حيا ، وما دام «رع» يحبنى ، وما دام والدى رب الآلهة ، وسيد تيجان الأرضين يرعانى فإنى لن أدع واحدا من رجالهم يعيش ، وسأجعل الموت يحل بينهم .

الثورة تخضع وتعود المياه إلى مجاريها :

وأرسل جلالته جيشا عرمرما إلى بلاد النوبة للسرة الأولى ليشن حربا لإخضاع كل من أعلن الثورة على جلالته ، والذين عصوا سيد الأرضين . وقد وصل جيش جلالته إلى « بلاد كوش » الخاسئة ، وقد كانت شهرة جلالته هى القائدة لهم ، والخوف منه جعل طريقهم حرة ، وعلى ذلك هزم جيش جلالته أولئك الأجانب ، دون أن يفلت واحد من رجالهم جميعا وذلك حسب أمر جلالته ، عدا واحد من أبناء « كوش » الخاسئة سيق حيا أسيرا ، ومعه أهله إلى حيث كان جلالته ، ووضعوا تحت نعل الإله الطيب ، ثم ظهر جلالته على العرش المدرج ، عند ما جىء بالأسرى الذين ساقهم جيش جلالته ، ومن ثم أصبحت هذه الأرض تابعة لجلالته كما كانت من قبل . وعندئذ هلل المدنيون المصريون ، وفرح رجال الجيش ، وابتهلوا بالدعاء لرب الأرضين ، ومجدوا هذا الإله الممتاز بما تستحقه إلهيته . وقد وقع ذلك لما لجلالته من الشهرة ، وذلك لأن والده آمون يحبه أكثر مما أحب أى ملك آخر منذ أن وجدت هذه الأرض — ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تحتمس الثانى » الذى وهب الحياة والثبات والسعادة مثل رع مخلدا » .

أهمية هذه النقوش : وهذه النقوش فى الواقع تكشف لنا عن حقائق عدة : أولا يظهر أن أهل بلاد « كوش » كانوا يعلمون بأنه كان يوجد خلاف على تولية العرش ، وأنهم قد انتهزوا هذه الفرصة وأعلنوا العصيان ، وقد ظن الأستاذ « زيته » أن « حتشبسوت » التى خلعها هذا الملك من العرش ، هى التى أرسلت الجنود الأسرى لمساعدة الثورة على الملك « تحتمس » الثانى[1] وذلك عند ما يقول المتن ، وأرسل الأسرى للمساعدة » . ورأى « زيته » أن هذا يحبذ الفكرة القائلة : إن « حتشبسوت » تولت الملك أولا ثم خلعت منه كما سيجىء تفصيل ذلك .

ثانيا : نعلم أن الفرعون والده « تحتمس الأول » كان قد أقام حصنا عند الشلال الثالث ، وأن البلاد على ما يظهر كانت قد قسمت خمسة أقسام تحت إدارة خمسة من أولاد الأمراء ، هرب منهم اثنان وأصبح مكانهما خاليا . ولا يبعد أن هذا التقسيم قد حدث فى عهد « تحتمس » الأول . وتدل شواهد الأحوال

(١) راجع : Urkunden IV, P. 139, and translation, P. 68.

على أن الملك لم يرافق هذة الحملة ، بل يحتمل أن الفرعون قد قابل الحملة فى عودتها عند الشلال الأوّل ، والظاهر أنها قد قطعت المسافة ذهابا و إيابا فى مـدّة خمسة أسابيع ، وبخاصــة أن الفيضان قد جعل المرور فى الشلال أمرا يسيرا؛ ولا يبعد أنه قد جمع حاشيته فى « أسوان »، حيث قابل هناك رجال جيشه يسوقون إليه الأسرى . ومما يذكر بهذه المناسبة أن الملك «مرنرع» أحد ملوك الأسرة السادسة قد عقد مجلسا لحاشيته فى صحراء أسوان منذ ألف سنة مضت ، وربمـا كان ذلك الحادث سـنة اتبعها الفراعنة من بعده. ومما يلاحظ فى نقوش هـذه اللوحة أيضا أن الفرعون أعلن فى بداية كلامه أنه كان صاحب شهرة عظيمة ، وخوفه منتشر فى الأرض، وهيبته فى أقاليم بحر « ايجه » الخ ممـا يدل على أنه كان يريد أن يسير على نهج والده الذى سلمه إرث ذلك الملك الواسع ،ولكنه على ما يظهر كان ضعيف الأخلاق سهل القياد ، مما جعل زوجه « حتشبسوت » تجعله طوع بنانها ، إذ لم يمض طويل زمن حتى جعلته يأتمـر بأمرها ، وأصبحت هى صاحبة الحل والعقد فى البـــلاد .

النقوش الأخرى التى تشـير إلى حروبه فى السودان وسوريا :

وقد عثر على اسم هذا الفرعون على قطع من الحجر فى جبل بركال عند الشلال الرابع مما يشعر بأن فتوح مصر قد امتدت إلى هذه النقطة فى عهده[(١)]. وكذلك وجد « نافيل » نقوشا مهشمة جدا من عهد هـذا الفرعون فى الدير البحرى يظهر أنها تنسب إلى حملة قام بها « تحتمس » الثانى إلى ســوريا غير أنها مهشمة جدا ، وغير مرتبط بعضها ببعض ، ممـا جعلنا نعرض عن إثباتها هنا[(٢)]. وذكرلنا « أحمس بننخبت » حربا أشـعل نارها هذا الفرعون على البدو (شاســو) الذين يعيشون على الحدود

(١) راجع : Wilkinson, "Thebes", P. 472.

(٢) راجع : (Naville, "Deir el-Bahari", Vol. III, P. 80).

السورية فيقول : وتبعت الملك « عاخبرن رع » (تحتمس الثانى) وأسرت فى أرض « الشاسو » عددا عظيما من الأسرى الأحياء لم أعدهم[١] .

وفى واحة الفرافرة التى تقع على بعد ٢٠٠ ميل غربى أسيوط يوجد نقش ذكر فيه اسم « تحتمش الثانى » يشعر بأن هذا الفرعون قد أخضع القبائل اللوبية التى تسكن فى هذه الواحة ، والواحات الأخرى الواقعة فى الصحراء الغربية .

والظاهر مما وصلنا حتى الآن من الآثار أن « تحتمس » الثانى لم يقم بأية حروب أخرى غير التى أشرنا إليها .

مبانى تحتمس الثانى

وقد قام بأعمال التعمير والمبانى التى تركها والده من غير أن تتم فى معبد « الكرنك » ، بل يحتمل أنه نحت تماثيل لنفسه وأقامها هناك . ومن المدهش أنه لم ينحت اسمه على المسلة الثانية التى تركها والده خالية من النقش بعد أن أحضرها إلى « الكرنك » وقد يعزى ذلك لعدّة أسباب : منها أن هذه المسلة ربما لم تنصب عدّة سنين ، وذلك لأن المبانى الأخرى التى كانت قائمة على قدم وساق فى هذا المعبد قد حتمت تأخير نصبها فى مكانها مؤقتا ، وبخاصة أن ذلك كان يحتاج إلى مجهود جبار .

ثانيا . إن الجفاء الذى كان بين الملك وبين « حتشبسوت » قد يكون حائلا فى انتحالها لنفسه وبخاصة أن الملكة كانت متفانية فى حب والدها ، وآثاره كما سنرى بعد .

وثالثا يحتمل أن المسلة كانت تعد فى نظر الملوك أثرا يقام بمناسبة العيد الثلاثينى ، وأن « تحتمس الثانى » لم يحتفل لنفسه بأى عيد من هذا النوع لأنه لم يكن قد أتم مدة الثلاثين سنة اللازمة للاحتفال بهذا العيد ، لأنه لم يحكم أكثر من

---

(١) راجع : Urkunden IV. P. 43,

عشرين سنة ، ولم يعترف به ولى عهـد من قبل للملك قبل توليته العرش ، ولذلك فإنه لم يقطـع مسلات لنفسه ، ولم ينتحل المسلة الثانيـة التى أحضرها والده من « أسوان » بل نصبها « تحتمس الثالث » ، وانتحلها لنفسها فى عيده الثلاثينى . وهذا ما يظن أنه قد حدث (١) .

وقد بدأ « تحتمس » الثانى اقامة (البوابة) الثامنة ، وكتب جزءا من نقوش المدخل ، وكذلك نحت لنفسه تمثالين نصبا أمام هـذه البوابة ، هذا بالإضافة الى أن عددا من حجرات هذا المعبد قد تم نقشها فى عهده (٢) .

وفى مدينة «هابو» تدل النقوش على أن هذا الفرعون قد أضاف بعض المبانى للعبد الذى أقامه فى الأصل «أحمس» الأول ، وانتحله لنفسه فيما بعد « تحتمس » الأول ، وفى معبد الأمير « وازمس » فى طيبة عثر على قطع من تمثال كتب عليـه السنة الثامنة عشرة من حكم تحتمس الثـانى (A. S., I. P. 99.) وهذا التاريخ غاية فى الأهمية لأنه يبرهن لنا على أن ما قاله «مانيتون» من أن هذا الملك حكم عشرين عاما يقرب من الحقيقة .

والظاهر أنه أقام بعض المبانى فى «اسنا» إذ وجد عمودان هناك نقش عليهما اسمه ، واحد منهما عليه ألقاب ، واسم الابن المحبوب من الالهة « سات » (٣) . أما الثانى فقد اغتصبه لنفسه «رعمسيس» الثانى ، وهـو جزء من مسلة ، وقـد ذكر عليه الإلهين « تننت » ، و « منتو » (٤) . ومن المحتمل أن هذين العمودين قد نقلا من معبد « طود » المقابلة « لاسنا » على الضفة الثانية للنيـل . وذلك لأن اسمها ذكر على كل منهما .

---

(١) راجع : Weigall, "History," II. P. 286.

(٢) راجع : Petrie, "History," II. P. 76.

(٣) راجع : Pierret, "Rec. d'Inscription," P. 3.

(٤) راجع : Ibid. II. P. 43.

آثار فى معبد قمة : وقـد ترك لنا على معبد قلعة « قمة » نقوشا على بابه قام بتدوينها حاكم السودان (سنى) الملقب بابن الملك . والظاهر أنه وضع اسمه بدلا من اسم والده : وهاك النص :

على المصراع الأيسر : دونها بتعطف الملك عمدة المدينة الجنوبية ، والمشرف على مخازن غلال « آمون » وابن الملك ، ومدير البلاد الجنوبيـة « سنى » والذى يسيطر على كل بلاد المـازوى لأنه كان رجلا ممتازا فى قلب جلالة ملك الأرضين له الحياة والسعادة والصحة .

على المصراع الأيمن : التعبد للاله «خنوم» ، وتقبيل الأرض أمام ... ... ضرب حتى عنان السماء ، وحتى عرض الأرض ، وحتى قرار البحـر ، على يد ابن المـلك ، المشرف على البـلاد الجنوبيـة « سنى » يقول : الحمـد لك هكذا يقول لك آلهة الأفق ، ويتضرع لك حاكم النجـوم ، ويرفع من شأنك تاسوع الفيضان العظيم (الفيضان العظيم هو المحيط فى صورة بقرة) كل يوم أبد الآبدين .
(راجع .Urkunden IV. P. 141. ff) .

وفى « سمنه » نجد اسم « تحتمس » الثانى مع والده فى نقش مدون فيه قائمة عطايا للإله « آمون » على الجدار الأمامى للعبـد (راجع .L. D, III. Pl. 47c) . ووجـــد له لوحة يحتمل أنها من معبـــد « هليـو بوليس » نقش عليهـا ألقابه (Urkunden IV, P. 144.)) . وتوجد عدة آثار أخرى مختلفة ذكر عليها اسمه ، منها لوحة لشخص يدعى «باخن» يقدم قربانا لهذا الملك وهى محفوظة فى متحف تورين [١] ، كما نجـد اسمه فى النقش الذى خلفه « بنعاتى » مدير الأشغال على صخور شط الرجال (راجع .Petrie, "Season", P. 476) . وقد نحت «تحتمس» الثانى تمثالا لوالده « تحتمس » الأول وهو محفوظ الآن بمتحف « تورين » وقـد جاء عليه : « الإله الطيب رب الأرضين « عاخبر ن رع » محبوب « آمون » معطى الحياة مخلدا ، صنعه (التمثال) بمثابة أثر لوالده « تحتمس » المشرق مثل الشمس المرحوم» [٢] . وكذلك أهدى لوالدته تمثالا كشف عنه فى معبد الأمير « وازمس » أحد أولاد تحتمس الأول .

---

(١) راجع : : Lanzone, "Catalogo Generaie dei Musei di Antichità Regio Musco di Torino", 1458.

(٢) راجع : .Urkunden IV, P. 143

وقد نقش عليه ما يأتى : « الإله الطيب رب الأرضين «عاخبرنرع» صنعه بمثابة أثر لوالدته الزوجة الملكية ، ووالدة الملك المرحومة « موت نفرت » . هـذا وقد أقيم فى عهده معبـد فى « بوهن » (وادى حلفة) ؛ وقد ظهر هذا الملك على جدرانه هو و «حتشبسوت» فى مرتبـة واحدة من الأهمية[1] . وفى عهد هذا الفرعون بدأ يظهر فى أفق الحكومة المصرية « نب آمون » الذى كان يلقب الأمـير ، والحاكم اليقظ الذى لا يعرف الملل ، مدير قاعة الفرعون (أى إدارة الموظفين) المرحوم « نب آمون » . وقد كان له مكانة عظيمة فى عهد تحتمس الثالث .

تحسن الأحوال بين تحتمس الثانى وحتشبسوت فى أواخر أيامه :

والظاهر أن الجفاء الذى كان بين « حتشبسوت » ، وتحتمس الثانى أخذت تقل حدته وحل محله بعض الود والمهادنة ، وبخاصة فى أواخر أيام هذا الفرعون الذى كان يمتاز بضعف البنية ، وخور الإرادة ؛ ولا نعلم سببا لهذا الجفاء إلا ادعاء « حتشبسوت » أنها هى الوارثة الشرعية للملك ، وأن أخاها دخيل على العرش . والظاهر أن سبب هذا الود والصفاء الذى ظهرت بوادره بينهما أن «حتشبسوت» لم تكن قـد انجبت بعـد ولدا ليكون وارثا لعرش البـلاد ، ولم تكن رزقت من « تحتمس » الثانى إلا ابنـة واحدة وهى الأميرة « نفرو رع » التى وضعتها فى أول عهد هـذا الفرعون ، ولذلك أعيدت أواصر الزوجيـة بينه و بينها رجاء أن تنجب ولدا يتولى عرش مصر ، ولكن الأقـدار جاءت على عكس ما أرادت ووضعت أنثى سمتها « مريت رع حتشبسوت » . ومن الغريب أن الآثار لم تحدثنا عنها قط فى أول الأمر ، وبذلك ضاعت آخر فرصة على « حتشبسوت » الطموحة فى إبقاء الحكم فى يد ابن لها .

تحتمس الثالث والعقبة فى تولية الملك :

وكان الملك « تحتمس » الثانى بلا شك قد أنجب أولادا آخرين من زوجات أخريات . ولكن من بين هـؤلاء كان له ولد يدعى باسمـه وكان بارزا وهو الذى

(١) راجع : Maciver & Woolley, "Buhen", P. 11.

تسمى فيما بعد « تحتمس الثالث » ، وهو من إحدى زوجات الفرعون الثانويات ولم يكن الدم الملكي يجرى فى عروقها ، وكانت تسمى « إزيس » وتدل ظواهر الأحوال ، وما وصل إلينا من النقوش التى ترجع إلى عهد « تحتمس الثالث » أن والده قد نصبه ملكا على البلاد على الرغم من صغر سنه، على أن يتزوج من أخته « نفرو رع » ، عند ما يبلغ الحلم ، ومن ثم حانت الفرصة « لحتشبسوت » أن تضرب ضربتها السياسية الهائلة التى كانت نتيجتها أن تولت حكم البلاد بوصفها وصية على « تحتمس » الثالث، وابنتها « نفرو رع » وبعد ذلك نفذت ما كانت تصبو إليه نفسها فأعلنت نفسها ملكة شرعية على البلاد .

الموظفون فى عهد تحتمس الثانى والحياة الأجتماعية

نب آمون : كان «نب آمون بن « تى رس » من أشهر الموظفين الذين عاشوا فى النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، إذ قد بدأ حياته الحكومية فى عهد « تحتمس الثانى » واستطاع أن يمر بالعاصفة التى هبت بين «حتشبسوت» و « تحتمس الثالث » و بقى يعمل فى خدمة الأخير . وقد كان فى أول الأمر يلقب الأمير الوراثى والحاكم والمدير اليقظ الذى لا يكل . ومدير ديوان الفرعون . وذلك فى عهد « تحتمس » الثانى .

أما فى عهد « تحتمس » الثالث فكان يحمل الألقاب التالية « الأمير الوراثى والحاكم ومدير بيت الزوجة الملكية « نبتو » المرحومة . وكذلك نجده يلقب « المدير اليقظ الذى لا عيب فيه : ومدير السفينة الملكية (وفى رواية أخرى السفن الملكية) ومدير المطابخ ، وأخيرا المحظوظ عند رب الأرضين ، الممدوح من الإله الطيب (أى الملك) . وقبره فى جبانة « ذراع أبو النجا » ، وقد ترك لنا فيه لوحة ذكر فيها صيغة القربان الذى يطلب أن تقرأ له ، ثم تكلم عن مصيره بعد الموت وتاريخ حياته الحكومية ، وأخيرا قدم رجاء للقارئ فى هذه اللوحة ، وسنورد ترجمتها لأهميتها وهى :

« قربان[1] يقدمه الملك « لآمون رع » الذى خلق كل كائن ، ملك الأبدية والملك حاكم « تاسوع الآلهة » ، وللإله «أوزير خنتى أمنتى» (أول أهل الغرب) ، وللإله «أنوبيس» رب «روستاو» ، ولآلهة الأزمان الأولى الذين برءوا السماء والأرض والأرض العالية (الجبانة) أرباب الطيبات والمأكولات ، والغذاء والقربان ...... لأجل أن تبقى مائدة القربان حافلة بكل شىء طيب وطاهر بما ينزل من السماء وينبته النيل على ظهور الحقول من شراب ونبات ...... »

حديث عن مصير المتوفى بعد الموت : « إنه يتخذ مكانته فى التابوت ، ويدفن على الأرض فى القبر الصحراوى فى الغرب ويمكث صحيحا فيه على الأرض دائما مخلدا ، الأمير الوراثى والحاكم الممدوح من الفرعون « نب آمون » المرحوم الذى انجبه « تى رس » المرحوم ، والذى وضعته سيدة البيت « إبو » المرحومة ، ولأجل أن يصبح روحا حيا . ليت الخبز والماء والهواء تصل إليه ، ويتحول إلى صورة بجعة أو حمامة ... ... إنك تتسلم خبزا مما يخرج أمام « أوزير » وقربان رب الأرض العالية لأجل حضرة مدير بيت الزوجة الملكية « نبتو » ... ... وتذهب للنزهة معهم ، وتتنعم مع أتباع « حور » وتطلع وتنزل ، ولا أحد يعترضك ، ولا أحد يمنعك عند باب العالم السفلى ... ... والمزالج تنفرج لك من نفسها ، وأنت تصل إلى قاعة العدالتين ، والإله الذى فيها يرحب بك ويجعلك تنزل فى داخل العالم السفلى ... ... وقلبك مبتهج بحرثك أراضيك ، وحقول الغاب (يارو) وحاجياتك توجد مما عملته ، ويأتى إليك المحصول بكثرة ، ويؤذن لك بالخروج نهارا والعودة ليلا إلى قبرك ، وتقاد لك عين « حور » هناك (أى المصباح) إلى أن تضىء الشمس على جسمك ... ... كما كانت حالتك على الأرض ، وترى « رع » فى أفق السماء ، وتشاهد « آمون » ... ... تخترق الأبدية بصحة فى حظوة الإله الذى فيك ، وقد عملت لك عيناك لتبصر بهما ، وأذناك لتسمع ما يقال ، وفمك لتتكلم ...... ولحمك صلب (أى لم يتعفن فى القبر) وعروقك جيدة ، وأنت تتمتع بكل أعضائك ، ويوضع لك الخبز والماء على الموائد كل عيد ...... ومن يقدم لك قربانا بعد يوم الدفن سيعطى الحقول والماشية ، وينعش بالماء ويمنح العبيد والإماء ، ليسر قلبه عندما يقدم لى الماء ... ... ويقول ابنه ويتوارث حفدته هذا القول (لأنه لم يتحول عن سيده) : إن روحى تحيا وتصير نفسى قدسية ويصبح اسمى معظما فى فم الناس ، وأطلع مع الشمس فى وقت واحد ، وسأحرق البخور فى المعابد ، وسأتبع إلهى الذى فى بلدتى[2] إلى « زسرو » (الدير البحرى) إلى الأفق الغربى وسيخرج الناس إلى بطاقة زهر[3] هذا الإله عند ما يغيب فى أفقه » .

---

(١) راجع : Urk. IV. P. 145. ff.

(٢) كان لكل بلدة إله محلى يتعبد القوم إليه ويحترمونه ولعل المشايخ التى لها أضرحة فى القرى والبلدان المصرية الآن صدى لذلك .

(٣) ومن ذلك نعلم أن وضع طاقات الأزهار على القبور كانت عادة مصرية ترجع إلى آلاف السنين ، ونجد الطاقات موضوعة بمثابة قربان منذ عهد الدولة القديمة ، كما نشاهد ذلك فى مقبرة « دواكا » بالجيزة .

ترجمة حياة «نب آمون» : لقد منحني سيدى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «تحتمس الثانى» المرحوم حظوات فنصبنى « مدير إدارة الفرعون » وقد منحنى سيدى ملك الوجه القبلى «تحتمس الثالث» معطى الحياة حظوة ، إذ رفعنى أكثر مما كنت من قبل فنصبنى مدير بيت الزوجة الملكية «نبتو» المرحومة . وقد منحنى سيدى ملك الوجه القبلى والبحرى «تحتمس الثالث» معطى الحياة فضلا ، فقد عيننى «مدير كل سفن الفرعون» ولم يعمل ما يشقينى ، ولا يوجد اسم ضدّى ، ولم أقترف غلطة مع زميلى ، ولقد وصلت إلى (سن) التبجيل لأنى كنت ممدوحا عند الفرعون » .

المتوفى يطلب إلى قارىء اللوحة أن يقول صيغة القربان له :

اسمعوا أنتم يا من فى الوجود ، إن ما قلته ليس فيه كذب ، وأنتم يأيها الأحياء يا من فى الوجود ، وأنتم يأيها العظماء ، ويأيها الرجال الذين على الأرض ، وأنتم يأيها الكهنة المطهرون ، ويأيها المرتلون ، ورجال مجلس عدالة « الكرنك » وكل الكتّاب الذين يمسكون بألواح كتابتهم ، والماهرون فى كلام الإله ، إن «رع» رب الخلد سيد حكم ، و «آمون» الذى كان فى الأرضين منذ الأزل سيغنى أولادكم عندما تقولون : قربانا يقدّمه الفرعون من الخبز وألفا من الجعة ، ومائة ألف من كل شىء طيب وطاهر مما يعيش منه الإله لروح مدير بيت زوج الفرعون المسمى «نب آمون» المرحوم بالقرب من الإله العظيم حاكم الأبدية » .

مضمون هذه اللوحة :

ومن كل ما جاء على لوحة « نب آمون » نستطيع أن نكون فكرة واضحة عن عقائد القوم فى هذه الفترة ، وما كان للاله « آمون » من مكانة ، واعتقاد القوم فى إمكان رجوعهم إلى عالم الدنيا بأجسامهم الأصلية ، ولذلك كان المتوفى يعمل كل ما فى قدرته ليجعل كل أجزاء جسمه سليمة معفاة حتى يمكنه أن يخرج من القبر فى خلال النهار ويعود إليه ليلا . وكان كذلك يمقت الظلمة ، ولذلك كانت تضاء له عين « حور » وهى هنا تعبر عن مصباح ، ولكنها فى الواقع تعبر عن كل شىء طيب فى الحياة الآخرة . وكذلك نشاهد فى النص أن المتوفى لا بدّ أن يحاسب على أعماله فى الحياة الدنيا ، ويقف أمام « أوزير » رب الآخرة ، وهناك تفحص كل أعماله ، ولذلك نجد المتوفى لم يعترف بأى خطيئة ارتكبها مع زميل له ، وليس له شىء من الآثام ، وأخيرا نجده يطلب من كل مار على قبره أن يقرأ له صيغة القربان التى كان يعتقد أنها تنقلب إلى حقيقتها المادية بعد تلاوتها بالألفاظ . ويلحظ أنه يغرى المارة بأن كل من يقرؤها سيناله خير

كثير ، وبخاصة لأن الآلهة سيمدحونه ويكيلون له الثراء والغنى ، وأن أبناءه سيرثونه من بعده .

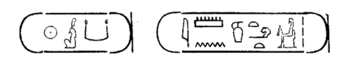
ومن المناظر التي تلفت النظر فى قبر هذا الموظف منظر تسلم « نب آمون » وزوجـه جزية الوجه البحـرى ، من خادمات (راجع Urk. IV. P. 153. ff.) ولا بد أن تكون هـذه الجزية هى ما كان يجبى من خراج من أرض الملك الخاصة لأن « نب آمون » كان مدير بيته .

خع أم واست : كان « خع أم واست » من أبناء الجنـدى العظيم « أحمس بننخبت » الذين شاهـدناهم ممثلين على جدران قبره « بالكاب » حيث كان يحمل لقب « ابن الملك » الأول فى « نخب » ثم ألقـابا أخرى مهشمة ، وأخيرا لقب « كاهن الروح » لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « أمنحتب الأول » . (راجع L. D. III. Pl. 43b) . ومما هو جدير بالملاحظة أن لقب خادم الروح (كا) كان خاصا بالأفراد فى عهد الدولة القديمـة ، وكان فى الاستطاعة أن يكون للفرد أكثر من خادم واحد من هذا الصنف ، وفى عهد الدولة الوسطى أصبح لكل فرد خادم واحد على وجه عام . أما المـلوك فكان لهم كهنة يطلق على الواحـد منهم لفظة « حم نتر » (خادم الإله) وكان هذا الكاهن لا يخدم إلا الملك والإله فحسب ، وفى عهد الدولة الحديثة نرى أن خادم الروح (كا) كان يقوم بخدمة الملوك كما كان يقوم بخدمة الأفراد ولعل السبب فى ذلك يعزى إلى الانقلاب الذى حدث فى العهد الإقطاعى ، والمساواة الدينية المطلقة التى نشأت فى هذا العهد .

تحوتى نفر : وكان يلقب « الكاتب حاسب الغـلال » ويشاهـد فى رسوم مقبرة « باحرى » الكائنة بالكاب وهو يؤدى واجباته تحت إشراف هذا الرجل العظيم ، وهو الذى نشاهده جالسا على كومة القمح مسجلا المقادير التى كانت تخزن فى المخازن. وفى مقبرة والده « سن رس » عمـدة « طيبة » (شيخ عبـد القرنه رقم (٣١٧) كان يلقب « الكاتب حاسب الغلال » فى مخازن قربان « آمون » المقدسة ، (راجع Porter and Moss, "Bibliography", Vol. I. P. 171.) .

إبو : وهى المرضعة العظيمة التى ربت الإله (تحتمس الثالث)، وقد تزوج «تحتمس الثالث» من ابنتها «سات اعح» وكانت أخته من الرضاعة ، ولذلك أصبحت تلقب زوج الملك العظيمة «سات اعح» ، وهذا يدل دلالة واضحة على المكانة السامية التى كانت تحتلها مربيات الفراعنة فى هذا العهد (Urk. IV. P. 604.) .

حتشبسوت وتحتمس الثالث



مقدمة

تعقد الأمور بعد وفاة تحتمس الثانى بسبب وراثة العرش :

لما ارتاح الملك « تحتمس الأول » من الحياة الدنيا وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنى حياته بقلب فرح» ـ كما ينص التعبير المصرى على لسان مدير أعماله « إننى » ـ



(٢٣) الملكة حتشبسوت

كان الشيب قد خضب لحيته وذهب بشعر رأسه ، ولا بد أنه قد مات محزونا كسير القلب ، إذ قد وارى التراب ثلاثة من أنجاله الذكور فى حياته ، أكبرهم «وازمس» ، وقد توفى فى أول حكمه ، ثم لحق به أخوه « أمنمس » الذى كان قائدا للجيش وولى عهده ، وأخيرا ابنة تدعى «نفرو بتى» وهى ابنة زوجه الشرعية المسماة الزوجة الملكية العظيمة « أحمس حنت تامحو » أكبر بنات سلفه «امنحتب ، الأول كما يدعى بعض المؤرخين ، و بنت أحمس الأول على أشهر الأقوال كما سنبرهن على ذلك بعد وقد عاشت « أحمس » هذه بعد وفاة زوجها «تحتمس الأول . وكذلك بقى لها بنت على قيد الحياة تدعى « حتشبسوت » ؛ ولكن تحتمس كان له ابن آخر من زوجة تدعى « موت نفرت » ؛ وقد كان الموقف إذا معقدا كما سبق شرحه ، فقد كان الوارث الحقيق فى مثل هذه الأحوال أكبر ابن شرعى خلفه الفرعون ، ولكنه كان فى هذه الظروف ابنة لا ابنا وهى «حتشبسوت» ؛ ومهام الملك كان لا بد أن يتولاها رجل . وقد كان الحل الوحيد للخروج من هـذا المأزق أن يتزوج « تحتمس » ابن الملكة «موت نفرت» من أخته « حتشبسوت » ، و بذلك يتوج ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . وقد كان هذا الزواج غير موفق . ولما توفى هذا الفرعون أصبح الموقف أشد تعقيدا ، إذ قد تكررت نفس المأساة ولم ترزق « حتشبسوت » من «تحتمس» الثانى إلا بنتين كبراهما تسمى « نفرورع » والصغرى تدعى « مريت رع حتشبسوت » ، وتوفى بعدها هذا الفرعون دون أن يعقب وارثا شرعيا ذكرا للعرش ؛ و بذلك وجدت «حتشبسوت» نفسها بعد ذلك أما لوارثة العرش ، ورئيسة البيت المالك التى لا ينازعها منازع ، وكانت لا تزال فى مقتبل العمر وريعان الشباب ، وقد وقع على عاتقها مسألة وراثة الملك فى نفس الصورة التى وجدت فيها البلاد بعد وفاة والدها «تحتمس» الأول . والواقع أن الموقف كان حرجا ولا بد من الخروج منه بصورة ترضيها وترضى الشعب المصرى . وتدل شواهد الأحوال على أن « تحتمس » الثانى كان ميالا إلى أن يخلفه ابنه « تحتمس » الذى أنجبه من إحدى زوجاته غير الشرعيات المسماة « إزيس » ، وقد كان « تحتمس » هذا لا يزال فى طفولته لم يبلغ الحادية عشرة وقت وفاة والده . والظاهر أن والده كان قد وكل أمره إلى كهنة معبد الإله « آمون » لتربيته تربية

دينية غير أنه لم يكن قد أصبح كاهنا بعد . وقد كان تحتمس هذا هو الذى انتخب ليكون وارثا لعرش الملك مع أخته « نفرورع » . وتحدثنا الآثار أن «تحتمس» الثانى هو الذى اختاره وارثا له كما سيقصه علينا «تحتمس» الثالث نفسه فيما بعد على آثاره ، والظاهر أن هذا الملك الفتى كان متفانيا فى حب والده فكان يمقت « حتشبسوت » التى كانت تتجاهل والده مدة حياته ، واتخذت من اعتلال صحته فرصة للسيطرة على شئون البلاد ، وقد كان لهـا هى من جهة أخرى حزب يشد أزرها من أشراف البلاد وعظمائها طوال عهد زوجها «تحتمس» الثانى ، ولم ينفض عنها هذا الحزب بعد موته بل أخذ يقوى حجتها فى تولى ، الملك غير أنه على ما يظهر لم يكن فى مقـدورها هى وحزبها أن يمنعوا تتويج الملك تحتمس الثالث لأن حكم النساء كان غير مرغوب فيه .

تحتمس الثالث يتولى عرش الملك : وتولى « تحتمس » الثالث عرش الملك غير أن الوصاية بحكم التقاليد والشرع كانت لا بد أن تبـقى فى يد الملكة «حتشبسوت» ما دام «تحتمس» وزوجه «نفرورع» لم يبلغا الحلم ، ولم يكن فى ذلك ما يدعو إلى الغرابة ، وقد حدثنا عن ذلك مهندس البناء «إننى» فى تاريخ حياته إذ يقول فى صراحة : " ثم صعد « تحتمس » الثانى إلى السماء واختلط بالآلهة ، ونصب فى مكانه ابنه « تحتمس » الثالث " ملكا على الأرضين . وقد صار حاكما (تحتمس الثالث) على عرش من أنجبه ، ولكن أخته (أخت تحتمس الثانى) الزوجة الملكية « حتشبسوت » كانت هى التى تدير شئون الأرضين حسب آرائها هى ، وقد كانت مصر تعمل مطأطئة الرأس لها وهى صاحبة الأمر ، وهى بذرة الإله الممتازه التى خرجت منه ، وأمراس سفينة الوجه القبلى ، ومرسى أهل الجنوب ، والأمراس الممتازة لمؤخرة سـفينة الوجه البحرى ، وهى سيدة الأمر ، وآراؤها متفوقة وكلتا الأراضين تطمئن عندما تتحدث ، وقـد جعلنى عظيما ، وملأ بيتى فضة وذهبا وكل الأشـياء الجميلة الأخرى التى فى بيت الملك دون أن أقول : إنى فى حاجة إلى شىء "[1] .

---

(١) راجع : Urkunden IV. P. 61 ff.

وهذا الوصف الرائع يقفنا على جلية الأمر إذ لا بد أن تسير الأمور على هذه الحالة، ولم يكن لأى إنسان ممن كانوا ينظرون إلى الموقف من جهته القانونيـة أن يبدى أى اعتراض، وبخاصة إذا علمنا أن التأريخ كان بسنى حكم «تحتمس» الثالث، وقد اتخذ لنفســه الألقاب الملكية الآتية عند اعتلائه عرش الملك وهى التى يقول عنها فى نقوشه فيما بعد: إن الإله "آمون" هو الذى اختارها له[1] (١) فاسمه الحورى = الثور القوى المتوج فى طيبة أو الثور القوى الذى ينعم فى الصدق أو الثور القوى محبوب إله الشمس. (٢) ولقبه سيد العقاب والصل = باق فى الملك مثل إله الشمس فى السماء، ومع هذا اللقب كان كذلك يلقب، جاعل الصدق يضىء، محبوب الأرضــين، عظيم القوة فى كل الممالك (٣) ولقبه حور الذهبى = عظيم القوة، متفوق فى المظاهر، عظيم الشجاعة، ضارب شعوب الأقواس التسعة (٤) ولقبه ملك الوجه القبلى والبحرى = مثبت وجود إله الشمس (٥) ولقبه ابن الشمس = «تحتمس». وكان يضاف إليه أحيانا الواحد الطيب صاحب الوجود، والواحد الطيب صاحب المظاهر، أمير الصدق، وأمير طيبة، وأمير عين شمس الخ.

ألقاب حتشبسوت قبل تولى الملك: أما "حتشبسوت" فقد كانت تلقب الزوجة الإلهية، والزوجة الملكية العظيمة، وقد ظهرت فى النقوش فى بادئ حكمه مرسومة خلفه كما كانت والدتها تظهر خلف "تحتمس الثانى". ومما هو جدير بالملاحظة هنا حتى فى قبرها الذى أقامته لنفسها حوالى هذا الوقت أنها لم تتعد أطماعها غير ما سمحت به التقاليد من الألقاب، إذ نجـد أنها كانت تلقب على تابوتها، الأميرة العظيمة التى أحبت لرشاقتها، وسيدة كل الأراضى، والابنة الملكية والأخت الملكية، والزوجة الملكية العظيمة، وسيدة الأرضين "حتشبسوت". وقد اعترف بمكانتها بعض كبار رجال الدولة الذين كانوا معاصرين لها ممن خدموا البيت المالك منذ أن أسسه "أحمس" الأول، ولم يألوا جهـدا فى إظهار شـعورهم نحوها،

---

(١) راجع: Breasted, A. R. II, § 143.

ونخص بالذكر منهم "أحمس نبتخبت" الذى مر ذكره إذ يقول : إن "حتشبسوت" قد أغدقت على الإنعام مرارا . وقد كنت مربيا لكبرى بناتها الأميرة " نفرورع " وهى لاتزال طفلة تحمل على اليدين . وكذلك كتب " إننى " بحماس : " إن جلالتها كانت تحبنى ، ولحظت قيمتى فى البلاط ، وملأت بيتى بالفضة والذهب وكل الأشياء الجميلة من البيت الفرعونى " ، وكذلك نشاهد أن " تورى " حاكم السودان نائب الملك ، و " بنياتى " كان لا يزال موكلا إليه قطع الأحجار فى جبل "سلسلة" وقد بقى " تحتمس " الثالث مدة سبع السنين الأولى بعد تتويجه على ما يظهر هو الحاكم للبلاد ، ولم تحاول " حتشبسوت " أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، وكل ما لدينا من الآثار يؤكد لنا ذلك ، غير أنه مما لا شك فيه أن مقاليد الحكم كانت فى يدها فعلا . فمثلا نجد فى " سمنه " فى بلاد النوبة نقشا[1] مؤرخا بالسنة الثانية اليوم السابع من الشهر الثانى من الفصل الثالث ؛ وفى هذا النقش ذكرت كل ألقابه . وقد أمر فيه بإقامة معبد وتجديد القربان للآلهة ، وهى التى كان قد أسسها " سنوسرت " الثالث فى عهد الأسرة الثانية عشرة . وقد ذكرلنا "تحتمس" أنه وجد فى " سمنه " معبدا مقاما من اللبن ، ولكنه أقام مكانه معبدا بنى بالحجر الجيرى الأبيض ، وأهداه إلى الإله « ددون » إله بلاد النوبة ، وكذلك إلى روح الملك « سنوسرت الثالث » مؤسس هذا المعبد هذا إلى أنه قرر أن العيد المعروف " بهزيمة القبائل " الذى أسسه هذا الفرعون ، لا بد أن يخلد وأن يكون تاريخ الاحتفال به فى اليوم الواحد والعشرين من الشهر الرابع من الفصل الثانى ، ثم يتحدث إلينا " تحتمس " الثالث عن عيد آخر يحتفل به فى الشهر الأول من الفصل الثالث ، ويحتمل أن هذا هو عيد تتويج الفرعون . وأخيرا يذكر لنا عيدا ثالثا يعرف بعيد " غل المتوحشين " وهو العيد الذى أسسه " سنوسرت " الثالث تكريما لزوجه " مرسجر " وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد .

---

(١) راجع : L. D. III. Pl. 47.

وفى متحف " تورين " توجد بردية (رقم ١) يذكر فيها كاتب يدعى " وسرمان " أنه خدم التاج ثلاث سنوات ، وقد أرخ الورقة بالسنة الخامسة من حكم تحتمس الثالث ولم يذكر اسم الملكة " حتشبسوت " مما يدل على أنه بعد توليته بخمس سنوات لم تعلن " حتشبسوت " نفسها ملكة شرعية على البلاد رسميا .

مدير بيت الإله آمون « سنموت » والدور الذى لعبه مع حتشبسوت:
والظاهر أن " حتشبسوت " كانت تفكر منذ تولية تحتمس العرش فى تكوين حزب يضم بين أعضائه كل رجالات الدولة المخلصين ، الذين أظهروا مهارة وحذقا من أبناء جيلها لتستعين بهم على قضاء مآربها ، ولتضرب ضربتها الحاسمة عند ما تحين الفرصة ، على أنه لم يفتها أن تجعل رجال الدولة القدامى لا ينفضون من حولها . وقد كان أول من وقع اختيارها عليه من شباب عصرها مدير بيت الإله " أمون " المسمى " سنموت " وقد كان شابا نشطا يسترعى محياه التظر ، قادرا طموحا ، وقد رأى بثاقب نظره أن الفرصة سانحة ليكون لنفسه منذ باكورة هذا العهد الجديد مجدا خالدا ، ولذلك يقول لنا : لقد كنت فى هذه الأرض تحت إدارة « حتشبسوت » منذ اللحظة التى لاقى فيها سلفها حتفه (أى تحتمس الثانى) فلم أضيع أى وقت لاكتساب حظوة الملكة التى كانت تقبض بيديها القادرتين الخلابتين على أقدار البلاد وإدارتها .

ولا نزاع فى أن « حتشبسوت » قد وحدت روحها بروح «سنموت» منذ أن وقع بصرها عليه ، وقد كان مستقبلها مرتبطا تمام الارتباط بأمر الوصاية . ومنذ اللحظة التى وطدت فيها أركان الوصاية على العرش بدأ نجم سعد «سنموت» السياسى يظهر فى الأفق ويسطع . وقد كان أول خطوة فى تمكن هذه العلاقة الوثيقة التى أحكمت أواصرها بينهما حقبة توفى على عشرة أعوام ، هى أن تجعل «حتشبسوت» خدنها « سنموت » المربى الأول لابنتها الابنة الملكية ، وأميرة الأرضين ، والزوجة الإلهية « نفرورع » وأن يكون بجانب ذلك مدير البيت العظيم لأملاكها ،

وأملاك ابنتها « نفرورع » ويحتمل كذلك أنه كان قيما على أملاك ابنتها الطفلة «مريت رع حتشبسوت» والواقع أنها بإسنادها كل هذه الوظائف الى «سنموت» قد جعلته شريكا فعليا معها فى حكم البلاد .

ولا نعرف عن ماضى هذا المحظوظ الجديد إلا النزر القليل ، وإن شئت فقل لا نعلم شيئا ألبتة . وتدل الأحوال على أن والديه لم يكونا من أصحاب المكانة فى الحياة الاجتماعية . فقد كان والده يدعى « رعموس » ووالدته السيدة « حات نوفر » وحسب . وكان له ثلاثة أخوة لم يتربع منهم واحد مكانة رفيعة فى الدولة إلا «سن من» ، وتعزى رفعته هذه إلى أخيه «سنموت» الذى عينه مساعدا فى إدارة شئون الأميرات ، أما أخوه الثانى فكان كاهنا بسيطا لسفينة « أمون » المقدسة ، والثالث وهو « باإرى » كان يشغل وظيفة « مشرف على الماشية » . وقد تزوج «سنموت» من اثنتين إحداهما تسمى « نفرت حور » . والظاهر أنه لم يرزق أولادا ، ولذلك فإنه فى أواخر أيامه وكل لأخيه « أمنحتب » القيام له بأداء الشعائر الجنازية التى كان يقوم بها ابن المتوفى حسب التقاليد المصرية المرعية . ويلاحظ أن « سنموت » لم يهتم بذكر وظائفه الدينية ، اذ لم يكن لها علاقة فى ترقيه ، وإذا ما ورد ذكرها ذكرت بغير اهتمام وبصفة عابرة . والواقع أنه كان يحمل لقب « كاهن السفينة المقدسة للاله أمون » ورئيس كهنة معبد « منتو » وكان من المعابد الصغيرة وقتئذ فى بلدة « أرمنت » ، هذا ولم تكن تغريه الوظائف الحربية فى جيل كانت تسوده السكينة والاستقرار .

وقد كان « سنموت» دائما إداريا من الطراز الأول ، ويحتمل أنه بدأ حياته فى إدارة ضياع « أمون » بمعبد الكرنك الشاسعة ، فلقد كان مع صعود نجمه وعلو منزلته ورفعة مكانته يعرف دائما بمدير بيت « أمون » . والواقع أن كل شىء فى إدارة ممتلكات معبد هذا الإله كانت بإشرافه ، وكذلك كان المشرف على الغلال والمخازن ، والحقول والحدائق ، والماشية والعبيد ومراقب قاعة « أمون » كل

ذلك فى قبضته بوصفه مدير البيت العظيم ، هـذا وكان يلقب كذلك المشرف على أعمال « أمون » ، وأحيانا كان يلقب " مدير كل أشغال الملك فى معبد «أمون» " أيضا . ولما رسخت قدمه وأصبح صاحب حظوة فى نفس «حتشبسوت» وتمكن من عطفها أصبحت تحت إدارته كل ثروة البيت المالك . وقد بدأ بالقيام بوظيفة



(٢٤) سنموت يحتضن الأميرة الصغيرة نفرورع

مدير البيت العظيم للملكتين « حتشبسوت » وابنتها الصغيرة « نفرورع » وانتهى به الأمر بعد فترة من الزمن أن أمسى المراقب والمشرف ، والمشرف على المشرفين لكل أشغال الفرعون ، كما كان كذلك المسيطر على عبيد الفرعون والمالية والأسلحة وقصر التاج الأحمر . يضاف إلى هذه الوظائف العامة الرفيعة وظائف أخرى خاصة كان لا يشغلها إلا المقربون جدا الذين كانت حظوتهم تسمح لهم بأن يشتركوا فى الإشراف على إعداد أخص أدوات الزينة الملكية للزيارات الرسمية وغيرها . ومن ثم نجده لا يفخر بأنه حاكم القصر الملكى وحده ، بل كان يتيه عجبا لأنه ملاحظ الغرفات الخاصة والحمام ، وحجرة النوم أيضا . على أن الانسان بعد أن يأتى على نهاية كل ما سردناه هنا عن قصة « سنموت » يرى من الصعب عليه أن ينسب ما بلغه من المراتب إلى المهارة والحذق فى تسيير الأمور وحدهما ، وكثيرا ما ينسب الإنسان إلى الأشخاص الذين يمثلون قصة من القصص أدوارا لم يقوموا بها قط فى الحياة ، وهذا هو الواقع فى الحالة التى نحن بصددها على وجه خاص ، إذ قد ذهب الكثيرون فى العلاقة التى بين «سنموت» و «حتشبسوت» مذاهب شتى . وفى الوقت الذى كان فيه « سنموت» يجمع الوظائف التى تدر عليه الذهب والفضة تباعا فى الكرنك والقصر كانت « حتشبسوت» وقتئذ المسيطرة الوحيدة التى لا منازع لها فى مصر .

سلطان حتشبسوت والعقبات التى اعترضتها فى تولى العرش :

والواقع أنها منذ موت والدها كانت سيدة الأرضين ، أولا مع أخيها «تحتمس» الثانى الذى كان لا حول له ولا قوة ، والآن مع ابنتها الطفلة وابن أخيها «تحتمس» الثالث . وما دام شريكاها لم يبلغا الحلم فقد كانت الحاكمة المطلقة فى البلاد، ومع ذلك كانت تشعر فى قرارة نفسها بأنه لو فحص موضوعها بعين العدل بوصفها الوارثة الشرعية لعرش والدها « تحتمس» الأول لكانت هى الحاكمة المطلقة للبلاد شرعا من بادئ الأمر ، مع أن الفرق بين ما فى يدها وبين ما تطمح إليه هو

فى اللقب وأسلوب الملكية ، وقد منعته التقاليد لحرمه النساء ، ولم تغتصبه امرأة منذ حكم الملكة « نفرو سبك » فى أواخر عهد الأسرة الثانيـة عشرة . والواقع أن تولى المرأة حكم البلاد المصرية كان من الأمور النادرة جدا، فقد ذكر لنا هردوت فى كتابه عن مصر (الفصل الثانى الفقرة المـائة) أن من بين الملوك الذين حكمـوا مصر وعددهم ٣٣٠ ملكا ، وهم الذين قرأ له أسماءهم أحد كهنة منفيس من كتاب لم يكن بينهم إلا ملكة واحدة تسمى «نوتكريس» وهى التى تولت العرش بعد قتل أخيها . وقد ذكر لنا « مانيتون » أنها آخر ملوك الأسرة السادسة ، وكذلك ذكر لنا « ارستاتونيس » وجاء فى ورقة « تورين » أيضا أنها الخلف الثانى للملك « بيبى » الثانى . وقد كانت مدة حكمها عاما واحدا ، ويقع تاريخ حكمها فى نهاية عهد هام من التاريخ المصرى إذ بانقضاء مدة حكمها ينتهى عهد مملكة «منف» ، وعلى الرغم من أن هذه الملكة كانت صاحبة شهرة فيما بعد فى التقاليد المصرية فإنه لم يصل إلينا شىء قط عن حكمها ، غير أن قائمـة الملوك التى فى متناولنا تحتـوى ثلاث ملكات يحملن لقب ملكات شرعيات لبسن التاج . ففى نهاية الأسرة الثانيـة عشرة نجـد الملكة « نفرو سبك» أو « نفروسبك شدتى » أخت الملك « امنمحات الرابع » قـد تولت الحكم بعـد وفاته (راجع الجزء الثالث من مصر القديمة ص ٣٥٤) . وقد جاء ذكرها فى ورقة «تورين» بوصفها ملكة تحمل لقب ملك مصر . أما الملكتان الأخريان اللتان ذكرهما «مانيتون» فيقع حكمهما فى الأسرة الثامنة عشرة . والظاهر من المعلومات التى وصلتنا حتى الآن أن «مانيتون» قـد خلط فى ترتيبهما التاريخى إذ يقول لنا أن أولاهما قد جاءت فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة وسماها « اكرفيس» (Kerphs) وأنها ابنـة الملك « هـوروس » والخلف الثانى للـلك « أمنحتب » الثالث ، ولا بد إذا أن تكون إحدى بنـات « أمنحتب » الرابع غير أن كلتيهمـا كانت تحمـل لقب الزوجة الملكية . ولكن قائمـة الملوك « بسقارة » ، وقائمـة « العرابة » لم يذكرا لنـا اسمى هاتين الملكتين ، وكذلك لم يذكر فيهما اسم الملكة

«نفروسبك» ، يضاف إلى ذلك أن «مانيتون» قد ذكر لنا ملكة تولت حكم البلاد فى وسط عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وأنها كانت خلف الفرعون «أمنوفيس» الأول الذى حكم البلاد عشرين سنة وسبعة أشهر . وقد حكمت إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ثم جاء بعدها الملك «تحتمس» (أى تحتمس الثالث) .

ولا نزاع فى أن «مانيتون» يقصد هنا على الرغم مما فى قائمته من الخلط والارتباك «الملكة حتشبسوت» = (سيدة النساء الشريفات)[1] . ومن ذلك يرى القارئ أن حكم النساء كان نادراً جداً فى مصر ، ولم تعترف به القوائم الرسمية كما ذكرنا . ومع ذلك نجد أن «حتشبسوت» كانت على وشك أن تخطو الخطوة الثانية لتقفز بها إلى عرش الملك رسمياً . وكان «سنموت» فى هذا الموقف يغضى بصره أو يتجاهل ما تريده «حتشبسوت» ، بل من المرجح جداً أنه كان محرضاً فعالاً لها ، إذ لا يمكن للمرء أن يتصور نجاحها فى مثل هذه المؤامرة الجريئة ، دون أن يكون مدير خاصتها وبيتها له فيها النصيب الأوفر ، بل كيف كان يمكن حدوث تعد على حقوق هذين الطفلين الملكيين دون اتفاق المربى الأعظم للملكة «نفرورع» ورضائه التام ، أو كيف كان يمكن إقامة أى مبنى فى معبد «أمون» على يد غاصب بغير اتفاق ورضى من مدير المبانى ، وقد كان «سنموت» يشغل كل هذه الوظائف الضخمة . وقد كان مصيره فى النهاية أن يقع عليه انتقام «تحتمس الثالث» ، والواقع أنه فى مثل هذه الأحوال لا يمكن تبرئته من الاشتراك فى هذه السياسة المعوجة التى كانت تسير فى تنفيذها سيدته التى رفعته إلى تلك المكانه العلية ؛ غير أن السؤال الهام الذى يتساءله المرء عن سبب اتخاذ «سنموت» هذه الخطة : أكان ذلك لافتتان «سنموت» أم كان طموحاً منه إلى مرتبة أعلى مما وصله حتى أنه ضرب بكل تقاليد القوم عرض الحائط ؟

---

(١) راجع : Sethe, "Das Hatshepsut Problem", P. I. ff.

أسباب ادعاء حتشبسوت أحقية عرش البلاد :

ومن الجائز أن «حتشبسوت» من جهتها قد أقنعت الشعب بأنها بنت الإله «أمون» نفسه من جهة وأن والدها قد نصبها على عرش البلاد من جهة أخرى ، وجعلها وارثته الشرعية ، وقد حاك خيال الكهنة قصة طريفة لذلك قد يكون فى ثناياها شيء من الحقيقة ، ومن المحتمل أن « حتشبسوت » قد أذاعتها قبل اغتصابها العرش مباشرة ، لتكون بمثابة دعاية ، وقد نقشتها على جدران معبدها « بالدير البحرى » الذى يعد بناء فريدا فى بابه ، نقشت عليه « حتشبسوت » كل تاريخ حياتها ، وما قامت به من جليل الأعمال فى حياتها كما سنفصل القول فى ذلك بعد .

وسنورد هنا ملخصا لهذه القصة من النقوش التى دونتها «حتشبسوت» فيما بعد على معبد الدير البحرى فى مناظر لا تزال باقية . ففى المنظر الأول من هذه المناظر نشاهد فيه مجلسا من الآلهة يرأسه الإله « أمون » وقد قرر فيه الجميع خلق « حتشبسوت » وفى خلال هذه الجلسة يذكر الإله «تحوت» الإله «أمون» بوجود « أحمس » الجميلة زوج الأمير الذى أصبح فيما بعد «تحتمس الأول» .
ويقترح عليه أن يتقمص صورته عندما يكون الأمير غائبا ، وبذلك يمكنه أن يدخل حجرة الملكة ؛ ثم تحدثنا القصة أن الإله « آمون » قد تزيا بزى « تحتمس الأول » ، ووجد الملكة فى غفوة فى قصرها الجميل ، فأيقظها شذى عطور الإله الذى استنشقته على الرغم من أنها كانت فى حضرة جلالته (الملك) (ظنا منها ذلك) ؛ وعندئذ ذهب إليها فى الحال وضاجعها ، وفرض عليها رغبته فيها ، وجعلها تنظر إليه بوصفه إلها (بعد أن تمثل لها بشرا سويا) من أجل ذلك فرحت عندما وقف أمامها وكشف لها عن جماله ، وسرى حبه فى أعضائها التى غمرها شذى العطر . وعندئذ قالت الملكة « أحمس » لجلالة هذا الإله « آمون » الفاخر رب طيبة : ما أعظم فخارك : إن رؤية محياك شيء بهى : لقد ألحقت جلالتى

بجمالك ، و إن روحك قـد تمثلت فى كل أعضائى ، و بعد ذلك فعل جلالة هـذا الإله كل ما يرغب فيه معها ثم قال لها سـيكون اسم ابنتى التى وضعتها فى جسمك ” خنمت أمون « حتشبسوت » لأن هذه هى الكلمة التى خرجت من فمك أنت وستتولى الملك فى هـذه البلاد قاطبة ، وستكون روحى روحها ، وسـيكون فضلى فضلها ، وكذلك «تاجى» حتى يمكنها أن تحكم الأرضين ”. وبعد ذلك طلب الإله « آمون » مساعدة الإله « خنوم » صانع الفخار الإلهى ليصور الطفل فى صـورة تجمـع كل الجمال ، وعنـدما أجاء الملكة المخاض اجتمع الآلهـة ، ووقف بجانبها القابلات عند الوضـع ، ولمـا وضعت الطفلة قدمتها الإلهة « حتحور « لآمون » الذى باركهـا ، وقدمها لكل الآلهة قائلا :” تأملوا أنتم ! ابنتى حتشبسوت كونوا محبين لها ” . و بعد ذلك نمت جلالتها بسرعة ، وقد كان النظر إليها يفوق أى شىء وقد أصبحت عذراء جميلة مزهرة مثل الإلهة «بوتو» فى عصرها [1] (أى حتحور) .

ولا يعزب عن الذهن أن « حتشبسوت » لم تذع هـذه الأقصوصة فى عهد والدتها بل كان ذلك بعـد مماتها ، فلا بد أن الملكة « أحمس حنت تاوى » قـد ماتت و ابنتها لا تزال تحمل لقب الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة فلم تر ابنتها ملكة رسميـة .

وكانت «حتشبسوت» تقصد من نشر هذه القصة التى ذكرناها هنا غرضين : الأول لتثبت أنها كانت ابنـة تحتمس الدنيوية ، والثانى أنها ابنة الإله « أمون » من جسمه ، وذلك لأن دمها الملكى لم يكن خالصا بالمعنى الحقيقى من جهة والدها لأن جدتها عن أبيها لم تكن من دم ملكى بل كان يعرف عنها أنهـا كانت من عامة الشعب ، و بعـد مرور عدة أعوام على ذلك أمرت بنقش وثيقـة تثبت فيها أن والدها «تحتمس» الأول قد نصبها على ملك مصر فى حفل عظيم من عظماء الشعب . إذ تدعى فيهـا أن ” تحتمس ” الأول أرسل إليها وهى لا تزال طفلة ، وقال لها :

---

(١) راجع Breasted, A. R. Vol II, § 217 ff.

تعالى لأضم بهاءك بين ذراعى لأجل أن ترى إدارتك فى القصر (بعد أن رآها مع والدها فى أنحاء البلاد) فتقومى بأعمالك الشرعية الفاخرة . وتتسلمى شرفك الملكى ، و إنك ستصبحين ممتازة بسحرك ، وستصبحين غنية بقوتك ، و إنك ستسيطرين على الأرضين ، و إنك ستتغلبين على العصاة ، و إنك ستشرقين فى القصر وسيتحلى جبينك بالتاج المزدوج ، وستسرين بإرثك لى ، و إنك ولدت لى ، وأنت يأخت التاج الأبيض ، والتى تحبها « وازيت » (صاحبة التاج الأحمر) . وسيقدم إليك التيجان من يجلس على عروش الأرض (آمون) ، وقد أمر جلالتى أن يحضر أشراف الملك ، والأعيان ، والسمار ، ورجال البلاط ، ورءوس كبار المدنيين لأعلن لهم مرسوما بأن جلالتى قد ضم بين ذراعيه جلالة ابنتى هـذه فى قصرها مقر الملك ، وقد عقد الملك الجلسة بنفسه فى قاعة طائفة « امى ورت » (طائفة من الكهنة) وقد كان هؤلاء القوم ساجدين على بطونهم فى البلاط فقال لهم جلالته : إن ابنتى هـذه « خنمت آمون » « حتشبسوت » لها الحياة أنصبها بوصفها نائبتى وعلى ذلك فهى وارثتى فى الملك ، وهى التى ستجلس على عرشى المدهش » وهى التى ستأمر وتنهى الرعايا فى كل وظائف القصر ، وهى التى ستقودكم فاسمعوا كلامها ، فهى التى تربطكم بأوامرها ، فمن يقدم لها الطاعة فإنه سيعيش ، أما من يقول سوءا فى حقها فإنه سيموت ، وكل من يسمع اسم جلالتها عندما تعين ينبغى عليه أن يأتى و ينادى بها ملكة مثل ما كان يفعل عندما يسمع اسمى ، وذلك لأن هـذه الإلهة هى ابنة إله ، والآلهة هم الذين يحاربون لها ، وهم الذين يحوطونكم بحمايتهم كل يوم كما أمر والدها سيد الآلهة « آمون » .

الشعب يرحب بالملكة حتشبسوت ويعترف بها ملكة :

وعلى ذلك سمع أشراف الملك وأصحاب المقامات ، ورءوس المدنيين هذا الأمر الخاص باعلاء شأن ابنته ملكة الوجه القبلى والوجه البحرى « ماعت كارع » لها الحياة مخلدة فقبلوا الأرض تحت قدميها ، ووقعت كلمات الملك فى نفوسهم ، ودعوا كل الآلهة لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عاخبر كارع » (تحتمس الأول) عاش مخلدا ، ثم خرجوا فرحين راقصين مغتبطين من عنده ، وقد سمعهم كل الناس ، وكل من فى حجرات القصر الملكى ، وقد أتوا وهللوا وفرحوا بذلك أكثر من كل شىء ، وقد كانت كل حجرة تختلف عن الأخرى (فى إظهار فرحها) وكان الجنود يأتون طائفة بعـد أخرى يرقصون و يقفزون وقلوبهـم فرحة ، وقد أعلنوا اسم جلالتها ملـكة ، ولكن جلالتها كانت لا تزال صـغيرة السن ؛ والإله العظيم قد استمال قلوبهم نحو ابنته « ماعت كارع » عاشت مخلدة ، ولقد كانوا يعرفون أنها حقيقة ابنة إله ، وقد دهشوا من شهرتها العظيمة أكثر من أى شىء آخر ؛ ولذلك كان كل إنسان يحبها من قلبـه ، و يدعو لهـا كل يوم ، وكل من ... ... وسيكون نضرا أكثر من كل شىء ؛ وكل إنسان يذكر (بسوء) اسم جلالتهـا يقرر الاله موته فى الحال ، لأن الآلهة هـم الذين يحوطونها برعايتهم كل يوم .

وهكذا سمع جلالة والدها هـذا و رأى أن كل الشعب قد أعلن اسم ابنته هذه ملكة مع أن جلالتها كانت لا تزال طفلة ، ومن أجل ذلك فرح قلب جلالته أكثر من كل شيء آخر . وأمر جلالته بإحضار المرتلين ليعلنوا اسمها العظيم بتسلمها شرف ملك الوجه القبلي والوجه البحرى ، وأن اسمها يختم به فى كل الأعمال الخاصة بعيد ضم الأرضين والطواف حول الجـدار ، ولأجل زينة كل الآلهة الموحدين للأرض لأنه علم أن من الخير الاحتفال بالعيـد فى يوم رأس السنة بمثابة بداية سـنين طيبة ، وأن تحتفل لها فى ملايين السـنين بأعياد ثلاثينية عديدة جدا . وعلى ذلك أعلنوا أسماءها ملكة الوجه القبلى والوجه البحرى .

هـذا ما ادعته « حتشبسوت » لنفسها فى دعايتهـا التى قامت بها لأجل اعتـلاء العرش . و يرى القارئ من ذلك أنها كانت على عرش الملك منذ حياة والدها أى أنها كانت شريكة له فى حياته . هذا فضـلا عن أنها فى نقوش أخرى تدعى أن والدها قد درّبها على صناعة الملك قبل أن يعلنها ملكة .

تولى حتشبسوت عرش الملك فعلا : غير أن الواقع لا يتفق مع هـذه الأقصوصة الجميلة ، إذ ظلت بعيـدة عن تولى عرش البلاد بصفة حقيقية طوال مدة حكم زوجها « تحتمس الثانى » ، وسبعة أعوام من حكم ابن زوجها « تحتمس الثـالث » وعندئذ كانت قـد أحكمت مؤامرتها ، واعتلت عرش البـلاد مدة ثلاثة عشر عاما انزوى فى خلالهـا « تحتمس » الثالث فـلم يسمع عنه التاريخ إلا فى مناسبات قليلة .

وقد ظل الشك يحوم حـول العام الذى أعلنت فيـه « حتشبسوت » نفسها ملكة شرعية على البـلاد ، و إن شئت فقل العام الذى اغتصب فيه الملك من ابن زوجها وابنتها الشرعيين ، إلى أن كشف « لانسج و « هايس » فى شـتاء عام سـنة ١٩٣٦ عن قبر والدى « سنموت » ومما وجد فى هـذا القبر أمكنه أن يحدد التاريخ الذى اغتصبت فيه « حتشبسوت » عرش الملك ، وقد حدده بين منتصف الشهر الأول من فصل الزرع أو منتصف الشهر الثانى منه ، فى السنة السابعة من حكمها ، أى حوالى ١٥ يناير أو ١٥ فبراير سـنة ١٤٩٤ ق . م . وفى هذا التاريخ أعلنت نفسها ملكة الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، ومن ثم عرفت بذلك ولا ندرى

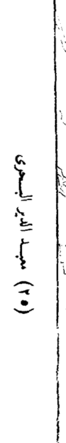
لماذا تجرأت « حتشبسوت » على اتخاذ هذه الخطوة دون أن تتبعها بما يليها من خطوات كان لابد منها فى مثل هذه الأحوال ، وأعنى بذلك القضاء على ابن أخيها جملة . ولكنها وقفت عند هذا الحد ، وتركت « تحتمس » الثالث ، يعيش فى عزلة وفى أمان ولكنه موحش ، وقد كان اسمه يذكر أحيانا على الآثار بصفه ثانوية ؛ ولكن لا يذكر إلا بعد اسمها الذى كان يحتل المكانة الأولى . والواقع أن « حتشبسوت » لم تكن سفاحة ولا محاربة ، وما وصل إلينا من المعلومات عنها يدل على أنها كانت بعيدة عن العنف ، ولم يكن حب سفك الدماء من طباعها ، ويمكن أن نستخلص ذلك من شخصيات الذين كانوا ملتفين حولها ، ويسيرون فى ركابها ، ونخص بالذكر منهم « سنموت » و « حبوسنب » و « نحسى » و « تورى » وهم كهنة ورجال إدارة لارجال حرب وسفك دماء . وسنتناول الكلام عنهم فى حينه . على أن الحملة الوحيدة التى قامت بها كانت حملة سلمية أرسلتها إلى بلاد بنت بعد اغتصابها الملك كما سيأتى شرحه .

أعمال حتشبسوت

إقامة معبدها الجنازى المعروف باسم الدير البحرى : أما باكورة أعمال « حتشبسوت » هى ورجل ثقتها عند بداية هذا العهد الجديد من تاريخ حياتها فتمتاز بالمنهاج الضخم لإقامة معبد كان الغرض منه دعاية سياسية قبل كل شىء ؛ فقد كان المعبد الذى وضع « سنموت » تصميمه ، وأتم بناءه يعد أكبر دعاية وأخلد عمل على مر الدهور كتب بالحجر وعلى الحجر لتبرر اغتصابها للعرش ؛ وقد كان غرضها أن تنقل جثمان والدها من قبره الذى جهزه له مدير المبانى « إننى » كما أسلفنا ، إلى قبر جديد فى « وادى الملوك » على أن يوضع فيه جثمانها بعد وفاتها مع جثمان والدها الذى خلفته على عرش الملك متجاورين فى تابوتين منفصلين وأن تقام لهما الشعائر الجنازية فى المعبد الذى أخذت فى إقامته فى الوادى ، يضاف إلى ذلك أنها اعتزمت تخصيص رواق ينقش على جدرانه مناظر تلك الأقصوصة المدهشة

التى كان الغرض منها إظهار « حتشبسوت » بمظهر الملكة التى أنجبها الإله الأعظم من ظهره ، وأن الإله « آمون » ووالدها « تحتمس » الأول اشتركا معا فى تتويجها ملكة شرعية على عرش مصر فى حياة الأخير . يضاف إلى ذلك أنه لما كان والدها « أمون » سيشاركها هو ووالدها « تحتمس » الأول فى هذا المعبد فقد خصصت أروقة أخرى فيه لينقش عليها مناظر تظهر فيها تعبدها و إخلاصها البنوى للإله . وقد تمثل ذلك التقى والتعبد فى صورة الحملة التى أرسلتها إلى بلاد «بنت» فى العام التاسع من حكمها ثم فى نقل المسلات من أسوان فى السنة السادسة عشرة من سنى توليها العرش .

وقد اختارت لإقامة هذا المعبد الجون العظيم الواقع فى صخور صحراء لوبية عند الدير البحرى حيث أقام «منتوحتب» الثانى معبده منذ حوالى ستمائة سنة مضت (راجع مصر القديمة جـ٣ ص٣٨) ولا بد من أن معبد « منتوحتب » كان قد تهدم فى ذلك الوقت بعض الشيء، ولكنه على أية حال كان نموذجا يمكن مهندس الملكة أن يهتدى به فى إقامة معبدها ، غير أنه قد تدركه الخيبة فى تقليده إذا لم يراع الحدود التى تفرضها طبيعة المكان الذى سيقام عليه البناء عند إنشائه من حيث الذوق والتأثير . ومنذ أن كشف عن معبد « منتوحتب » وتصميم بنائه صار من المعتاد أن ينكر المهندسون على واضع تصميم معبد « حتشبسوت » أى ابتكار فى إقامة هذا المعبد ، فمثلا يقول الدكتور « هول » : "إن معبد « حتشبسوت » كان تقليدا محضا لمعبد سلفها و إليه يرجع الفضل فى تصميمه لا إلى الملكة أو مهندسها «سنموت»" . غير أن هذا الحكم مبالغ فيه. حقا قد يكون مهندس «حتشبسوت» قد أخذ فكرة المعبد المدرج من بناء المعبد القديم الذى كان يقام معبد الملكة بجواره، غير أن هذا كل ما أخذه «سنموت» عن تصميم المعبد القديم . نعم قد يكون « سنموت » قد عظمت فى عينه فكرة هذا البناء عند ما رآه وأخذ الفكرة عنه ، وهذا بلا شك دليل على حسن ذوقه، ولكن القول بأنه لم يظهر أى عبقرية فى إقامة البناء



(٢٥) معبد الدير البحرى

Lindsley Hall del.

العجيب الذى شيده للملكة كمن ينكر على شاعر أخذ فكرة عن شاعر آخر، وصاغها فى قالب شعرى خلاب يفوق القالب الذى احتذاها صناعة ولفظا وتنسيقا . والواقع أن « سنموت » بعد أن أخذ فكرة المعبد عن المهندس « ارتسن » سلفه (بانى معبد منتوحتب الثانى) عمل على تفخيمها وتنسيقها حتى أخرج للناس بناء يمتاز عن سابقه فى كل شىء إلا أعمال البناء نفسها ، فعلى الرغم من أن المعبد الذى أقامه المنهدس « ارتسن » على ما يقال يروق بهاؤه الناظرين إليه على حدة فإنه عند ما يقرن بمعبد «حتشبسوت» الذى يدل درجه المتتابع، ومنحدراته الطويلة، وأعمدته الأنيقة على حسن ذوق مهندسه يظهر كأنه جذع شجرة بقى مغروسا فى الأرض إلى جانب شجرة نامية الأغصان ، وارفة الظلال، ومعبد « منتوحتب » كما هو يشتمل على منحدر واحد وطبقتين ، ويشغل الجزء الجنوبى من جون للدير البحرى العظيم ، وقد ترك متسع عظيم فى جهتة الشماليه للعبد الذى أقامته « حتشبسوت » .

سنموت وتصميم معبد الدير البحرى : وقد كان التصميم الذى قدمه « سنموت » للملكة عظيما على الرغم من أنه أخذ فكرة إقامته فى هذه البقعة عن سلفه، لأنه توسع فيه بطريقه ابتدع فيها شيئا جديدا من الدقة والتأثير، فقد كان الإنسان يصل إلى طبقاته الثلاث بمنحدرات خفيفة الميل تشعر الناظر بأن المهندس قد أراد أن يجعل مبناه يكاد يكون أفقيا فى هيئته الخارجية ، بما أظهره من المهارة فى جعل تدرجه لا يحس . هذ إلى أن تناسب قاعات العمد التى تواجه هذه المدرجات تكشف لنا كما يقول الأستاذ « برستد » عن حاسة التناسب والتنسيق المتقن مما يضحد القول السائد بأن الإغريق هم أول شعب فهم فن تنسيق قاعات العمد الخارجية فى المبانى ، وأن المصريين لم يعرفوا إلا استعمال العمد داخل مبانيهم وحسب ، وقد دلت الحفائر التى عملت حديثا على أن « سنموت » قد أزال بعض المبانى الدينية التى كانت موجودة لإقامة معبد " حتشبسوت " منها معبد صغير

للملك " امنحتب الأول " ووالدته " أحمس " ، وكذلك معبد صغير من عهد الأسرة الحادية عشرة[(١)] .

وقد زين الطريق الذى يبتدئ من باب المعبد شرقا إلى مسافة نحو ٥٠٠ متر حتى يصل إلى باب آخر وجدت آثاره بتماثيل « بو الهول » فى صورة الملكة نفسها على كلا الجانبين ، وقد كان الرواق السفلى كذلك مزينا بمثل هذه التماثيل ، وظاهر أن تحتمس الثالث أزالها من أماكنها ، عند ما تربع على عرش الملك ثانية ؛ وقد عثر على بعض أجزاء منها ، هذا وقد عثر على تماثيل الملكة فى صورة "أوزير" ؛ واحد منها فى النهاية القصوى من الرواق السفلى ، وكذلك كان يوجد واحد منها فى الرواق الأعلى . وفى قاعة العمد وجدت عدة كوى كانت تحتوى تماثيل للملكة فى صورة " أوزير " .

وكان الرواق الأعلى من المعبد مؤلفا من صف من تماثيل " أوزير " تمتد على طول المعبد ، ويمكن للأهلين أن يروها عند ما يعبرون إلى الشاطئ الشرقى من عند معبد الكرنك[(٢)] . والواقع أن الطريق التى كان لا بد أن يمر فيها موكب الإله "آمون" من الفخامة بقدر عظيم ، وذلك عند ما يقوم بزيارته من معبد الكرنك إلى معبد الدير البحرى فى وقت "عيد الوادى" المشهور ، فقد كانت تماثيل "بو الهول" مصفوفة على جانبى الطريق كل منها رابض على قاعدته التى يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ، وعرضها نحو متر ، مزينة بإطارات صور عليها أسرى يرسفون فى الأغلال ، فكانت هذه التماثيل تصور أمام الناظر موكبا مترامى الأطراف مؤلفا من تماثيل أسود نرى فيها قوة الفرعون تسيطر على مدن العالم المغلوبة على أمرها . ولا شك فى أن هذه التماثيل حينما كان يسطع عليها شمس مصر فى سمائها الصافية تمثل صورة رائعة لما كان لمصر من قوة خارقة للعادة فى ذلك العهد ، ولكن لا نكاد

---

(١) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 114.

(٢) راجع : Ibid. P. 214.

نتأملها حتى ندرك أن ذلك وهم كاذب، فإن ذلك البطل الفاتح الذى صور فى هيئة أسد ذى لحية هو فى الواقع امرأة قد جلست على عرشها بمساعدة شرذمة قليلة من رجال البلاط ، ومن المحتمل أنها لم ترجيشا غازيا قط ، ومع ذلك نراها مرسومة وهى تطأ الأعداء بقدميها حتى أولئك الآشوريين الذين يسكنون فى الجهات النائية غير المعروفة . ولا شك فى أن هذا نوع من الزهو لم يكن يحق حتى لتحتمس الثالث أن يفاخر به . وهكذا تضيع الحقائق التاريخية أحيانا عند ما تختلط بالفخر وحب الظهور وبخاصة فى التاريخ المصرى المفعم بمثل هذه المناظر الكاذبة . وقد عثر على بقايا أكثر من مائة وعشرين تمثالا من هذه التماثيل التى تمثل الملكة فى صورة "بو الهول" . غير أنه لم يوجد منها واحد سليم كما لم يمكن جمع أجزاء تمثال واحد منها . فقد أمر « تحتمس الثالث » بتحطيمهما جميعا، وشتت أجزاءها فى جهات مختلفة . وكانت كل هذه التماثيل تؤلف عنصرا من عناصر بناء المعبد ، اللهم إلا تمثالا واحدا من المرمر كان فى مقصورة الملكة ، فكان بعضها لتزيين الطريق المقدسة المؤدية للعبد على كلا الجانبين ، وكان البعض الآخر مقاما فى صور عمد فى الأروقة ، وبخاصة الرواق الأعلى فإن أعمدته كانت تتألف من تماثيل الملكة فى صورة أوزير .

ومن التماثيل الطريفة التى وجدت : بقايا تمثال لمربية الملكة، وقد مثلت جالسة تحمل صورة مصغرة للملك[1] وهذه المرضع تدعى "ين" وقد نقش على ظهر التمثال أنه عمل لأجل مربية الملكة "ماعت كارع" (حتشبسوت)، غير أننا لم نعثر على تمثال مربيتها الأولى "ست رع" التى كانت تعد من أكبر الشخصيات حظوة عندها وهم الذين كان على رأسهم "سنموت" .

---

(١) راجع : Ibid P. 212.

الحملة إلى بلاد بنت

الغرض من الرحلة : بعـد أن بدأت الملكة « حتشبسوت » فى إقامـة معبـدها الجنازى الذى أرادت أن تدون على جدرانه كل ما قامت به من جليـل الأعمال لوالدها «آمون» ثم لنفسها فكرت فى إرسال حملة سلمية إلى « بلاد بنت » لتحضر منها الأشجار ذات الروائح العطرية التى اشـتهرت بها تلك البلاد النائيـة ، وهى التى كانت تعد فى نظر المصريين بلاد الآلهة . على أن فكرة الرحلة إلى هـذه البلاد كما رأينا من قبـل لم تكن بالأمر المستحدث لدى مـلوك مصر ، إذ الواقع أنها قـد عملت عدة مرات فى عهد الدولة القديمة ، والدولة الوسـطى ، وقام بها بحارة مصريون (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص)؛ ولا شك فى أن هذه البلاد كانت ذات قيمة عظيمة للمصريين ، وبخاصة لأنها كانت منبع شجر المر (عنتى) الذى كان يستعمل بخورا فى الاحتفالات والشعائر الدينية هذا فضلا عن أنها كانت تمد المصريين بمنتجات أخرى مثل التبر والأبنوس والعاج والحيوان. يضاف إلى ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أن لهم علاقة قديمة بهـذه البلاد ، وأنهم من نفس الجنس الذى تألف منه شـعب « بنت » فقد كان رجال شـعبها يرسمون بلحى تقليدية طـرفها مقلوب كالتى يلبسها الآلهة المصريون . وكانت البلاد نفسها تسمى فى الأدب المصرى الأرض المقدسة أو أرض الإله ؛ غير أن الرحلات بين البلدين كانت قد انقطعت أسبابها لمدة طويلة من الزمن، وقد يعزى هذا إلى حالة البلاد التى كانت فى اضطراب قبل عهد الهكسوس مباشرة وفى خلال حكمهم . وقد دبر شئون هذه الرحلة الكاهن الأعظم « حبوسنب » ، ومن المحتمل أنه هو الذى وضع فكرتها ، لأنه يقال إنها قد جاءت على لسان وحى « الإله آمون » وهو كاهن أكبر . وقد نقشت خطـواتها ذهابا وإيابا على الجـدار الذى يقسم الرواق الأعلى من المعبـد ، وبداية المنظر على يمين الناظر إذ يرى الإله "امون" جالسا [١] .

---

(١) راجع : Naville, "Deir el Bahari", III. pls. 69 - 86, Breasted, A. R. II. § 246.

ونشاهـد كذلك الملكة تقص ما قاله الوحى فاستمع إليـه : كان جلالة الملك يتضرع إلى رب الآلهة (آمون رع) عنـد درج مائدة قربانه ، وعندئذ سمع أمرا من العرش العظيم ؛ إذ يقول وحى من الإله نفسه إن طرق أرض بنت ستقتحم ؛ وإن الطرق العامة إلى الهضاب التى تنتج أشجار البخور ستخترق ، وإنى سأقود الحملة بحرا وبرا لتحضر الأشياء العجيبة من تلك الأرض المقدسة لهـذه الإلهة (حتشبسوت) ؛ ولأجلى أنا مبدع جمالها » .

قيام الحملة : وقـد وضع على رأس هـذه الحملة ، رئيس الخـزانة ويدعى « نحسى » (= العبد) . وكانت الحملة تتألف من خمس سفن كبيرة شراعية يمكن عند الحاجة تسييرها بالمجاديف ، ولمـا كانت تفاصيل رسم هذه السفن كما نشاهدها على جدران المعبد تشعر بأنها تشبه السفن الشراعية التى كانت تسير فى النيل ، وأنه ليس لدينـا مايوحى بأية عملية نقل ، فلا بد إذا أن يفرض المرء أن هـذه الرحلة قـد عملت فى النيـل ، ومن ثم سارت فى قناة تخترق وادى طليات إلى البحيرات المرة ، ومن ثم إلى البحر الأحمر أما فى الأزمان القديمة فقد كان المعتاد أن تبدأ الرحلة من قفط على النيل ثم تخترق الصحراء عن طريق وادى الحمامات المشهور بمحاجره إلى « القصير » الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، وهناك كانت تبنى السفن ليركبها رجال الحملة إلى بلاد «بنت» ولكن هذه القناة التى سبقت قناة السويس الحالية ، وهى التى نسمع عنها بعد ذلك بقرون قليلة على وجه التأكيد ، يحتمل أنهـا كانت موجودة فعلا فى عهد «حتشبسوت» . وبعد ذلك تخبرنا النقوش أن الحملة وصلت إلى بلاد «بنت» وعلى الرغم من أن الميناء التى رست عليها الحملة ليست معروفة ، فإن المناظر التى رسمت على معبـد الملكة تظهر لنا أن الأشجار فيها كانت متصـلة حتى شاطئ المـاء مما يدل على أنها كانت بعيدة بعض الشىء عن مصب النهر، الذى يحتمل أن يكون نهر الفيل الذى يقع بين رأس الفيل ورأس جردافوى. أما أكواخ السكان التى كانت تبنى تحت ظلال الأشجار فكانت من أشجار الدوم ، وعلى شكل خلية النحل، وكان كل منها مقاما على طوار عال يرتكز على أوتاد دقت فى الأرض، وكان الإنسان يصل إلى باب الكوخ بسلم وربما كان ذلك لوجود المـاء فى هـذه

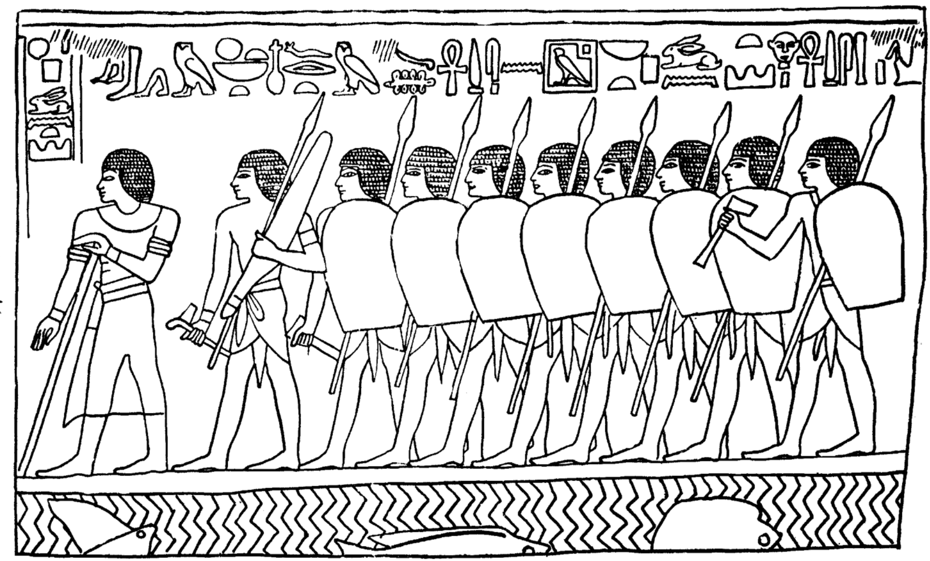
الأماكن) أما السكان فكانوا من صورهم يمثلون ثلاث سلالات مختلفة، اثنتان منها من الجنس الأسود الزنجى ، أما السلالة الثالثة فكانت تنسب إلى الشعب المصرى وهو الجنس السائد ، وذلك لأن المصريين قد لونوا أجسام هــذه السلالة باللون الذى انتخبه المصريون لأنفسهم ، وهو اللون الأحمر، وهذه السلالة الأخيرة المنتسبة للجنس المصرى كان أفرادها يلبسون لحية مستعارة صغيرة أسطوانية الشكل، وهى تشبه اللحيــة المستعارة التى يلبسها الآلهــة المصريون ولكن كانت وجوههم حليقة تماما ، وكانت شعورهم ترجل على الطريقة المصرية ، وكذلك كانوا يلبسون القميص المصرى القصير وحسب . وكانوا يستعملون الحمار لحمــل أثقالهم ، وكانت تحرس أكواخهم كلاب بيض مرخية الآذان ، وقد شوهدت كذلك النسانيس والقردة يتسلقون فروع الأشجار و يقفزون من غصن إلى غصن، كما نجد كثيرا من الطيور ممثلة . وقد شوهد فى هــذه البلاد الفهود وأفراس البحر ، والزرافة وغير ذلك من الحيوانات الإفريقية ، ويحتمل أن أكواخ القوم قــد أقيمت عالية تفاديا من هذه الحيوانات الضارية التى كانت تأوى إلى الأدغال التى كانوا يسكنونها أو اتقاء لضرر رطوبة المكان الذى أقيمت عليه .

الوصول إلى بلاد بنت : وعنــدما رست سفن الحملة عنــد الشاطئ نزل قائدها « نحسى » إلى الشاطئ أعزل، ولكن كان يتبعه حرس من الجنود يحمــلون الحراب (والبلط) والقوس والنشاب والدروع . وبعــد ذلك أنزلت الهــدايا من السفن ، واستعرضت بصفة مغرية على أخونة منخفضة . فنشاهد عليها معروضــا السماط من الخرز والأساور والخناجر ، (والبلط) والصناديق المصنوعة من الخشب ، وفى الحال حضر رئيس البلاد إلى البقعــة التى عرضت فيها هذه الأشياء ، وقــد كتب على صورته عظيم « بنت » « برحو » ولمــا كانت كلمة « برحو » قــد تعنى فقط متكلم القبيلة فإنها قد لا تكون الاسم الحقيقى الذى كان يدعى به ، وقد كانت تتبعه زوجه ، وهى امرأة قــد بدأ الكبر يبدو على محياها ، وترتدى ملابس صفراء

ولابد أنها كانت بدينة فوق المعتاد فى شبابها ، ثم زالت عنها تلك البـدانة المفرطة فارتخى جلدها ، وتدلى فى تجاعيد بعضها فوق بعض ، وقـد اتخذ المثال المصرى من ساقيها القصيرتين ، وفخـذيها الضخمتين موضعا لتمثيلها بشىء من المبالغة الفكهة ، وقـد كتب فوقها : زوجة « إتى » وهنا كذلك نعرف أن كلمة « إتى » قـد تعنى رئيسة ، لذلك لا يحتمل أن هذا هو اسمها العلم ، ويلاحظ خلفها ولدان وابنة ، وقد مثلوا ضخام الأجسام مثـل والدتهن ؛ وبعـد ذلك يأتى ثلاثة أتباع يقودون حمارا مسرجا ، وقد كتب فوقه المثال المصرى " الحمار الذى كان يحمل زوجه " (أى زوج الرئيس) ، وقد كتب فوق المنظر الذى يمثل هذه المقابلة التى كانت تمثل فى رجال الحملة والأهالى ما يأتى : « وصول السفير الفرعونى إلى أرض الإله ومعه الجنود الذين يساعدونه ، ومقابلته رؤساء « بنت » ثم مجىء رؤساء بنت ليقدموا الطاعة برءوس خاشعة ليستقبلوا أولئك الجنود التابعين للفرعون وقد قدموا المديح لرب الآلهة (آمون رع) ... وعند ما كانوا يلتمسون الأمان قالوا : لماذا أتيتم هنا إلى هذه الأرض التى لا يعرفها قوم (مصر) ؟ هل نزلتم من مسالك السماء أم هل سحتم فى ماء ذلك البحر الذى يملكه إله البلاد ؟ أم هل سلكتم سبل إله الشمس ؟ أما فيما يخص ملك مصر أليس لجلالته طريق حتى يمكننا أن نذهب إليه ونعيش بالنفس الذى يمنحه » .

وقـد نشأت بين الطرفين علاقات ودية ، وعلى ذلك ضرب القـائد المصرى خيامه وفيها أقام وليمة لضيفانه ، وهنا تقـول النقوش المفسرة : لقد نصبت خيمة السفير الملكى وجـنوده فى خمائل « بنت » ذات الشذى العطر بالقرب من ساحل البحر لأجل أن يستقبلوا رؤساء هذه البلاد ، وقد قدم لهم الخبز والجعة والخمر واللحم والفاكهة ، وكل شىء يوجد فى مصر حسب التعليمات التى أعطاها البلاط " . أما الرؤساء فأحضروا معهم هدية : أختام من الذهب ، وعصى للصيد ، وكومة عظيمة من راتنج (البخور) وهو الذى يقدره المصريون بدرجة عظيمة .

شحن السفن بمنتجات بلاد بنت : أما الحادث الثـانى الذى سنضعه هنا فهو شحن السفن بمنتجات البلاد المختلفة مثل العاج والأبنوس والأخشاب الأخرى وجلود الفهـد ، والذهب ، والبخور ، والقردة الحيـة ، والنسانيس ، وبخاصـة



(٢٦) الجنود المصريون في بلاد بنت

أشجار البخور التى نقلت بجذورها محفوظة فى سلات وقدور من الفخار . والنقوش التى على هذا المنظر كالآتى :

شحن السفن بحمولة ثقيلة جدا بالأشياء العجيبة من أرض بنت وهى :

كل الأخشاب الجميلة الغالية من أرض الإله ، أكوام من راتنج (البخور) ، وأشجار البخور المزهرة والعاج ، والعاج النقى ، و بالذهب الأخضر (الناعم) من أرض « امو » و بخشب القرفة ، وخشب خسيت (نوع من الخشب لم يعرف أصله غير أنه ذكى الرائحة) والبلسم ؟ (أموت) والراتنج ، والتوتية والنسانيس والقردة ، والكلاب ، وجلود الفهود الجنوبية ، ومواطنين من سكان هذه البلاد وأولادهم ولم يؤت بمثل هذا لأى ملك وجد منذ الأزل » .

عودة الحملة إلى مصر : وبعد ذلك عادت الحملة ، وعندما رست نجد السفن المحملة وحقائب البخور مرصوصة على ظهر السفن وأشجار البخور فى قدورها مزهرة ، والقردة والنسانيس تتسلق أمراس السفن وغير ذلك .

والنقش الذى يتبع هذا المنظر يقول : السياحة (إلى الوطن) والوصول بسلام : إن السياحة إلى طيبة قد قام بها بقلب فرح جنود رب الأرضين ، ورؤساء هذه الأرض (بنت) وخلفهم ، وقد أحضروا معهم أشياء لم يحضرها من قبل أى ملك...» ويلى هذا مشاهدة رئيس « إرم » و « إلم » ورئيسى « تميو » وهما قبيلتان غير معروفتين من بلاد بنت يتبعهما رجالها ، وكلهم قد ركعوا أمام « حتشبسوت » مقدمين لها الهدايا . والآن نرى بصورة أكثر تفصيلا الأنواع العظيمة المختلفة من منتجات هذه البلاد ، والمخلوقات الحية التى أتى بها إلى مصر . فقد كانت تحتوى على نوعين من الثيران ونوعين من الفهود ، واحد منها يظهر أنه كان أليفا لأنه مثل وحول رقبته طوق وله رسن ، وزراف ونسانيس ، وقردة ، وأشجار بخور نامية ، وأخشاب ثمينة مثل الأبنوس والعاج ، والتوتية للتكحل بها ، وحقائب من البخور ، وذهب وفضة ، وسام ولازورد ، وفيروزج ، وأصداف ، وعصى صيد ، وغيرها ؛ ثم قدمت الملكة « حتشبسوت » كل هذه الأشياء إلى الإله « أمون » . وتنص النقوش هنا على أنها أشرفت على وزن الراتنج والمعادن الكريمة

وكانت جلالتها تعمل بيديها ، فوضعت أحسن العطور على أعضائها ، حتى أن عبيرها كان كالأنفاس القدسية ، وانتشر شذاها حتى اختلط بشذى أرض « بنت » ، وكان جسمها مرصعا بالسام يسطع كالنجوم فى قبة السماء على مرأى من كل الأرض ؛ فعم الفرح كل الشعب ، ودعوا إلى رب الآلهة ، وامتدحوا صفات « ماعت كارع » الإلهية لما حدث لها من معجزات عظيمة ، إذ لم يحدث مثل ذلك فى عهد أى آلهة قبلها منذ الأزل .

وفى مقابل ذلك فرض أن «أمون» أجابها بالخطاب التالى : " مرحبا بابنتى الجميلة محبوبتى ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « ماعت كارع » (حتشبسوت) التى تقيم آثارى الجميلة ، والتى تطهر عرش تاسوع الآلهة الأعظم ليكون سكنا لى بمثابة ذكرى لحبها . وإنك الملكة التى استولت على الأرضين « خنمت امون حتشبسوت » عظيمة القرابين ، وما تقدمين من قرابين الطعام طاهر ، وإنك تسرين قلبى فى كل الأزمان ، وإنى قد منحتك كل الحياة ، والسلام من عندى ، وكل الثبات من لدنى وكل العافية منى ، وكل الصحة من قبلى ، وأعطيتك كل الأقطار ، وكل البلاد ليسر قلبك بها ، لأنى كنت منذ زمن طويل قد عزمت أن أمنحك إياها ، وستراها الأحقاب عشرات الآلاف من السنين المفيدة التى فكرت فى قضائها ، ولقد أعطيتك بلاد « بنت » حتى حدود أقاليم الآلهة التابعة لأرض الإله ، فإنه لم يطأ أرض خمائل البخور أحد ، والناس لم تعرفها ؛ بل كان يسمع بها مشافهة عن طريق الإشاعة منذ زمن الأجداد . على أن الأشياء العجيبة التى أتى بها هنا فى عهد آبائك ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى قد نقلت من يد إلى يد أخرى ، وكذلك منذ عهد أجداد ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى الذين عاشوا فى قديم الزمان ، وقد سلمت على أن يدفع ثمنها غاليا ، وإنه لم يصل فعلا إلى تلك الخمائل إلا رسلك ، ولكنى سأجعل جنودك تطؤها لأنى أقودهم بحرا وبرا ، وجاعلهم يخترقون مضايق مالية لا يمكن اختراقها ، وقد جعلتهم يصلون إلى خمائل البخور وأرض الإله إقليم فاخر ، وهو حقا مكان سرورى ، وقد أوجدته لنفسى ليكون تسلية لقلبى وقد جمع الجنود البخور كما يرغبون وحملوا سفنهم كما تشتهى قلوبهم من شجر البخور المزهرة ومن كل منتجات هذه البلاد الطيبة . أما أهل « بنت » الذين لم يعرفهم قوم مصر أولئك الأجانب أصحاب أرض الإله ، فانى استملتهم بالحب ، ليقدموا لك الحمد ، لأنك إلهة ، ولما لك من الشهرة فى كل الممالك ، وإنى أعرفهم لأنى سيدهم الحكيم ، ... ... وإنى « آمون رع » الخالق ، وابنتى التى تفل الأرباب « الملك ماعت كارع » (حتشبسوت) ولقد أنجبتها لنفسى . وإنى أنا الوالد الذى يبث الخوف بين قبائل الأقواس التسعة عند ما يأتون فى سلام إلى كل الآلهة ، ولقد عاد الجنود ومعهم كل الأشياء العجيبة ، وكل شىء طريف من أرض الإله أرسلت جلالتك فى طلبها : فأكوام راتنج البخور ، وأشجار نضرة تحمل بخورا عذبا ، قد كدست فى قاعة الأعياد لتحمل إلى رب الآلهة : ليت جلالتك تجعلينها تموق

(حدائق) معبدى حتى أستطيع أن أمتع قلبى بها وإن اسمى أمام الآلهة ، واسمك أمام كل الأحياء مخلد ، وعلى ذلك فإن السماء والأرض قد غمرتا بشذى البخور ، وسيكون عبيق العطر فى البيت العظيم .

وأخيرا نجد نقشا ربما كان أهم نقوش الحملة إلى « بنت » لأنه يمدنا بتاريخ عودة الحملة فى السنة التاسعة ، وفيه تحدث الملكة بلاطها عن نجاح الحملة فاستمع إليه : فى السنة التاسعة عقدت جلسة فى قاعة الاستقبال ظهرت فيها الملكة متوجة بتاج « آتف » على العرش العظيم المصنوع من السام فى وسط أبهة قصرها . وقد حضر الأشراف وعظماء رجال البلاط ليستمعوا إلى الخطبة . التى كانت ستلقى بمثابة تصريح للأشراف

خطبة الملكة : لقد ظهرت مخلدة أمام وجوهكم على حسب مارغب فيه والدى . حقا لقد كانت رغبتى هذه فى عمل ذلك ، لأعظم من أنجبنى ، وأعترف بجميل والدى الذى يمكننى من جعل قرابينه فاخرة وأقوم بما عجزعنه آبائى ، وهم الأجداد الملكيون ، كما فعلت الواحدة العظيمة (إزيس) لرب الأبدية (أوزير) ، وإنى أضيف زيادة على ما كان يفعل سابقا ، وإنى سأجعل الخلف يقولون : ما أجملها تلك التى حدث هذا على يديها ! لأنى سلكت مسلكا حسنا جدا معه ، وكانت أعماق قلبى ممتلئة بفكرة مايجب له . [وإن بهاءه فى السماء وعلى هذا العالم] ... ... ، ولقد فطن لتفوق عند ما أتكلم عن أشياء عظيمة أقولها بينكم ...... ، ولقد صدر مرسوم من جلالتى يأمر قوى بإرسال حمائل البخور من « بنت » ، وأن يجتازوا مسالكها ، ويكشفوا اتساعها ، ويفتحوا طرقها العامة على حسب أمر والدى آمون ... ... وقداقتلعت أشجار من بلاد الإله ، وغرست فى أرض مصر ... ... وقال جلالتى : إنى سأجعلك تعرف ماأمرت به ، لأنى أصغيت لوالدى ، وسمعت ما رسم به ، وهو أن تؤسس له « بلاد بنت » فى هذا المعبد ، وأن تغرس أشجار « بلاد الإله » بجانب معبده فى حديقته كما أمر . والآن وقد تم ذلك ... ... فقد أنشئت له « بلاد بنت » فى هذه الحديقة كما أمرنى فى « طيبة » وهى حديقة واسعة الفناء لأجله وسيتنزه فيها ... ... (ونهاية هذا النقش مفقود) .

وتدل الكشوف الحديثة على أن الأشجار العطرية التى أتى بها من « بلاد بنت » قد غرست فعلا فى حفر نقرت فى الصخر أمام المعبد ، وملئت بالطين الخصب ، أو وضعت فى جفان على مدرجات المعبد وقد عثر على هذه الحفر الحفارون المحدثون فى الردهة التى أمام المعبد ، وقد وجد أن بعضها كان لا يزال

محفوظة فيه جذوع هذه الأشجار الجافة ، غير أن هذه الأشجار ظهر أنها شجر اللبخ أو (برسا)[1] .

ولا نزاع فى أن مناظر هـذه الحملة تحتوى على تفاصيل كثيرة جديرة بالاهتمام من الوجهـة الفنية والعلمية والاجتماعية لمن أراد درس الجهات التى تشـير إليها ، وهى تلك البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمـر ، وتشمل الصومال حتى خليج عدن ، وما يقابلها من الجهة الأخرى . وممـا يلفت النظر ملامح أهـل « بنت » التى أحكم المثال إبرازها ، وهى تشبه كثيرا المصريين الذين نشاهدهم فى رسوم الدولة القديمة وكذلك شكل اللحية ، التى تشبه لحية الآلهة المصريين . وممـا يلفت النظر بنوع خاص أنواع السمك التى نشاهدها مصوّرة تحت السفن ، فهى فى الحقيقـة ليست من نسج خيـال المفتن ، بل درست ووجد أن كل نوع منها قـد وجد له نظـيره فى سمك البحر الأحمر ممـا يدل على قوة ملاحظة المصرى القـديم فى إخراج صورة طبق الأصل . وهذا السمك إما أن يكون قد أحضر للفتن المصرى بخاصة ، و إما أن يكون بعض رجال الفن قد صحبوا الحملة ، وهذا الرأى الأخير هو المعقول . وكذلك نلاحظ طائفة أخرى من التفاصيل فى الملابس الحربيـة التى كان الجنود المصريون يرتدونها ، والأعلام التى كانوا يحملونها ، هذا إلى صور فى قوارب مقدسة ، (و بلط) وأقواس ، وعصى رماية ، وطبول يدق عليها من كلا الجانبين ، كل هذه الأشياء قد مثلت فى أشكال رائعة . والواقع أن النقوش التى خلدت ذكرى هـذه الحمـلة العظيمة ، تعد فذة وأفخم صور نشرت لأى رحلة كشفية عرفها العـالم ، وهى جديرة بذلك البناء الفخم الذى تزينه . ولكن السير « فلندرز بترى » قد نقدها بأنها جامـدة لا روح فيها ينقصها قوة التعبير . ولا نزاع فى أنهـا تنقصها تلك القوة والدقة المدهشة التى يصبها المفتن فى صوره عند ما يكون عليما بأصـول التشريح .

---

(١) راجع : Naville, "Un dernier mot sur la Succession des Thoutmes", A. Z. XXXVII, P. 52.

وهذا ما نشاهده فى نقوش الدولة القديمة عندما يسمو الفن بالمفتن إلى أعلى مراتبه فى ذلك العصر السحيق ، ولكن إذا نظرنا إلى نقـوش الرحلة باعتبارها أجزاء من تصميم زخرفة عامة عملت على نطاق واسع ، فإنها تعـد ناجحة نجاحا باهرا ، ومن المحتمل أنه لو وضعت فيها تفاصـيل أكثر لكانت أقل تأثيرا فى النفس فى هـذه الأحـوال .

وصف معبد الدير البحرى : على أن السير «فلندرزبترى» عند ما تحدث عن تأثير المعبد برمتـه مدح هـذا البناء العظيم بكلمات سـتظل على وجه عام أكبر دليـل على مهارة المصرى فى فن البناء والذوق السليم فاستمع إليه : « فليقم أى نوع آخر من البناء هناك فإنه لن يكون بجانبـه إلا دخيلا هزيلا، وذلك لأن خطوط المدرجات والسـقف المنبسطة الطويلة ، والظلال العمودية ، التى ترسلها قاعات العمد تنسجم انسجاما تاما مع طبيعة المكان الذى يحيط بها » .

وقد وصف مسـتر « ربرت هتشتر »[1] معبد الدير البحرى على ما هو عليه الآن وصفا دقيقا فقـال : « إن معبد الدير البحرى يشـبه حسناء رقيقة ، قد تعطرت وتزينت ، يلفها رداء جمـع بين الأبيض والأزرق والبرتقالى ، وقـد وقفت وقفـة العالمة المتدللة بجمالها ، ومستندة إلى جبل يجمع بين اللون البرتقالى والقرنفلى والأحمر والأسمر والفاتح مما جعلها فاتنة الجبل المبتسمة » . وقد يكون هذا الوصف مطابقا لبعض الواقع ، فإن « سنموت » قد صمم بناءه ، ولكن ممـا لا نزاع فيـه أنه كان يترجم عن إلهـام امرأة بمـا أقام من حجر وجص .

مقبرة حتشبسوت وعلاقتها بمعبد الدير البحرى : أما نحت قبر جديد للملكة « حتشبسوت » ووالدها فقـد عزى أمره إلى « حبوسنب »، وقد حفر خلف جدار الصخرة العظيمة الواقعة وراء المعبـد نفقا طويلا فى الجـانب الشرقى من « وادى الملوك » حيث كان الباب ، وقد كان غرض الملكة أن تكون حجرة

(١) راجع : Baikie, "A History of Egypt", Vol. II, P. 74.

دفنها تحت محراب معبدها فى المعبد ، وهى تقصد من وراء ذلك أن تعقد شعائرها الدينية الخاصة بروحها (كا) فى معبـدها الذى أقامته لذلك ، على أن تقام هـذه الشعائر فى محراب المعبد الذى حفرت تحته مباشرة حجرة الدفن ، وبذلك يمكن لروحها أو قرينتها أن تصعد من الصخرة الصماء لتستقبل الشمس المشرقة كل يوم وترحب بها على ردهات المعبد. ويبلغ طول النفق الذى يؤدّى إلى حجرة الدفن هذه حوالى سبعمائة قدم وعمقه عموديا يبلغ ثلثمائة قدم ، وهو منحرف نحو اليمين ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى عيب فى الصخر ، مما جعل العمال يحرفون عن الاتجاه المستقيم . وحجرة الدفن التى وضع فيها تابوت الملكة قد كسيت جدرانها الخشـنة بقطع من الحجـر الجيرى الأبيض ، عليها متون دينيـه . أما التابوت الذى كان فيـه جثمان « حتشبسوت » فمصنوع من الحجر الرملى (كوراتسيت) .

نقل مومية تحتمس الأوّل والدها إلى قبرها : وكذلك وضـعت الملكة تابوتا آخر لمومية والدها « تحتمس الأوّل » الذى نقلته من مخدعه الأصـلى ودفنته ثانيـة بجوارها ، وقـد حقق هـذا الزعم وجود بعض قطع من جهازه الجنازى ، فى مدفنها الأصلى[1] ؛ إذ عثر على إناء كبير من المرمر باسمها ، غير أنها كانت تلقب هنا بالزوجة المقدّسة « حتشبسوت » وهـذا لقب كانت تنـادى به فى عهـد زوجها « تحتمس الثانى » فى الوقت الذى كان فيه « تحتمس الأوّل » قـد دفن ، وقـد نبذت هذا اللقب وتسمت بأسماء الملك عندَ ما نحت هذا القبر لها . وكذلك وجد إناء منقوش عليـه اسم « تحتمس الأوّل » واسم زوج والده « أحمس نفرتارى » وآخر كتب عليه اسم « تحتمس الأوّل » واسم ولده « تحتمس الثانى » الذى قدمه له ، وتلك الأوانى لا يحتمل أن تكون ضمن أثاث الملكة الجنازى .

---

(١) راجع : Davis, "Excavations at Biban el Moluk". The Tomb of Hatshepsut, P. 106.

وهذه المغالاة فى التعبد لوالدها قد جعلها تتخذ تلك الخطوة النادرة وهى نقل جثمان والدها إلى القبر الذى أعدته لنفسها، وذلك ما أحفظ « تحتمس الثالث » إذ عدّ ذلك العمل إحدى الإهانات المتكررة التى كانت تنهال عليه فى خلال تلك الفترة، لأن ذلك يجعل والده « تحتمس الثانى » أمام القوم مغتصبا، وأن «حتشبسوت» قصدت أن تتجاهل ذكراه بربط حكمها بحكم والدها «تحتمس الأول» دون فاصل، وجعل إقامة شعائرها وشعائر والدها واحدة . ثم رأت الملكة فضلا عن اقتسام قبرها مع والدها أن تضيف مقصورة فى معبدها الجنازى بالدير البحرى قد أهدتها إلى روح والدها « تحتمس الأول » و إلى روح والدته « سنسنب » التى كانت تعدّ جدّتها . على أنها لم تقم بعمل شىء مثل هذا « لتحتمس الثانى » بل كان اسمه لا يكاد يذكر فى كل نقوش المعبد، و إن كان « تحتمس الثالث » بدوره لم يذكر اسمه إلا نادرا . وقد تغالت « حتشبسوت » فى إظهار والدها على مبانى المعبد لدرجة أنها رسمت صورته، وذكرته فى النقوش التى على الجدران حتى يكون ظاهرا يراه كل الناس، ويشعرون بأنه مرتبط بها روحيا (١) .

أما القبر الأول الذى كانت قد حفرته « حتشبسوت » فى وجه صخرة تقع فى وادٍ عميق ، فقد هجر وبقى فيه تابوتها الجميل إلى أن كشف عنه « كارتر » فى عام ١٩١٦ ، ولما ازداد خطر لصوص القبور فى العهد المتأخر اضطرّ الكهنة إلى نقل الموميات من توابيتها ووضعها مع جماعة الملوك الذين جمعت جثثهم فى مقبرة الملكة « انحابى » التى لم يكن قد تم حفرها فى الدير البحرى، وهناك بقيت جثة الملكة هادئة فى مضجعها مدة تربى على ألفين وخمسمائة سنة على مقربة من المعبد الذى كان يوما موضوع فخارها . وعند ما نقل « إميل بركش » الموميات الملكية من خبيئتها فى عام ١٨٨١ بعد الميلاد عرفت مومية « تحتمس الأول » فى الحال، أما جثة « حتشبسوت » فلم يعرف لها أثر قط، على أنه من المحتمل جدا أن تكون

---

(١) راجع : Weigall, "History", II, P. 321.

إحدى الموميات العدة التى لم تعرف شخصيتها بعد فى هذه المجموعة الغريبة . والآن لا يمكن لمخلوق أن يقول إن هذه هى جثة « حتشبسوت » بعينها من بين هاتيك الجثث التى لم تحقق، وربما سرها ذلك أكثر من أن تترك معروضة للمتفرجين كما كانت الحال إلى زمن غير بعيد ، عند ما كانت موميات بعض أعاظم ملوك التاريخ المصرى معروضة للنظارة تشاهد هى والآثار التى خلفوها على حد سواء .

وقد كان قبرها الضخم لا يزال مفتوحا فى عهد « سترابون » عام ٢٤ ق . م، وكذلك فتح جزئيا فى عهد حملة «نابليون» سنة ١٧٩٩، وقد قام ببعض العمل فيه « لبسيسوس » سنة ١٨٤٤ غير أنه لم يعرف فى كلتا الحالتين بأنه قبر «حتشبسوت» وأخيرا كشف عنه « داڤيز » سنة ١٩٠٣ ، وأتم العمل الذى بدأه « داڤيز » المستر « كارتر » . وقد وجد القبر منهوبا نهبا تاما ، وكان أهم ما وجد فيه التابوتان المصنوعان من حجر « الكوارتسيت » وهما اللذان كانا يضمان جسمى « تحتمس الأول » و « حتشبسوت » .

على أنه فى الوقت الذى كان منكبا فيه « حبوسنب » فى نحت مقبرة الملكة كما أشرنا إلى ذلك كان « سنموت » موجها عنايته بوجه خاص إلى إتمام المعبد كما ذكرنا هو ذلك صراحة .

وتدل الحفائر التى قام بها « ونلك » على أن تصميم المعبد الأصلى قد زيد فيه ولم يتم بناؤه إلا فى العام السادس عشر من حكم الملكة أى حوالى عام ١٤٨٥ ق.م.(١)، وفى الوقت نفسه كان نشاط « سنموت » رئيس الأعمال الملكية كلها قد ظهر فى معظم بقاع الوجه القبلى ومصر الوسطى مما سنفصل فيه القول ، وبخاصة المسلات العظيمة التى أقامها تخليدا لذكرى هذه الملكة العظيمة فى الكرنك .

حتشبسوت تقيم مسلات : وقد ذكرنا من قبل أنه فى عهد « تحتمس الثانى » أحضرت مسلتان لإقامتهما احتفالا بعيد الملكة الثلاثينى وهذا العيد كان

(١) راجع : Winlock. "Dier el Bahari", P 149

أوّل خطوة حاولت بهــا أن تعلن نفسها ملــكة على البلاد ، وقــد تركت هاتان المسلتان دون أن ينقش عليهما كلمــة واحدة ، ولكنها بعد هــذا الحادث بثلاث عشرة ســنة كان فى مقــدورها أن تنقشهما كما أرادت . فحفرت على جهاتهما الأربع اسمها الجديد وألقابها ، وذكرت أن المسلتين قــد أقامتهما احتفالا بعيدها الأول الثلاثيــنى ، و تذكارا لوالدها « تحتمس الأوّل » والإله « آمون » .
وعلى قاعدة إحدى هاتين المسلتين نقشت متنا هاما بدئ بمديح نفسها ، ثم ذكرت فيه أن هذين الأثرين قــد قطعا من أحسن أنواع جرانيت الجنوب ، وأن قمتهما كانت من السام الذى يمكن مشاهدته من كلا جانبى النيل ، عند ما تسطع عليهما أشــعة الشمس حين شروقها ، وكذلك تحدثنا كيف أنها لم تذق طعم النوم ليــلا لتفكيرها فى معبد « آمون » هــذا ، وذلك لأنها أبصرت أن الكرنك كان موطن الإله ، والموضع الذى يميل إليه قلبه، وكيف أنها وهى جالسة ذات يوم فى قصرها قد فكرت أن «آمون» هو الذى برأها، وأنها قد أقامت هاتين المسلتين له . فتقول :

أنتم يأيها النــاس ، يا من ســترون آثارى هذه فى السنين المقبلة ، يجب أن تحدثوا عمــا فعلت ، واحذروا أن تقولوا : لا نعلم لــماذا قد عمل هــذا وأن جبــلا صنع كله من الذهب كأنه شىء عادى قد حدث ، وإنى أحلف بقدر ما يحبنى إله الشمس ، وبقدر ما يحبونى إلهى « آمون » وبقدر ما يملأ أنفى بالحيــاة الممتعة ، ولبسى تاج الوجه القبــلى الأبيض ، وبظهورى بتاج الوجه البحرى الأحــر ، وبمــا ضم إلىّ الإلهان « حــور وست » من نصيبهما فى مصر ، وبما أحكم من أرض مصر هــذه مثل (حور) ابن « إزيس » وبمــا صيرنى قويا مثــل « أوزير » ابن السماء ، وبمثل ما يغيب إله الشمس فى ســفينة المساء ، ويشرق فى سفينة النهار ، وبقدر ما ينضم إلى « إزيس » و « نفتيس » والدتيه فى السفينة المقدسة ، وبقدر ما تبقى السماء ، وبمــا صنعه إله الشمس ليبقى ، وبخلودى فى الأبدية مثل النجوم التى لا تغيب ، وبذهابى وغيابى وراء جبال الغرب مثــل « آتوم » (الشمس المغربة) ، بهذا أحلف أن هاتين المسلتين اللتين حلتهما جلالتى من السام ، هما لوالدى « آمون » حتى يصير اسمى مخلدا باقيا فى هــذا المعبد أبد الآبدين . وإنى أحلف أن كل واحدة منهما قــد صنعت من قطعــة واحدة من الجرانيت الصلب دون شــدخ أو وصلة ، وأن جلالتى هى التى أمرت بعملهما ، وقــد بدأ ذلك من السنة الخامسة عشرة اليوم الأوّل من الشهر الثانى من الفصل الثانى ، وإن العمل فى المحاجر نفسها استغرق سبعة أشهر» .

والآن يتساءل الإنسان ما الداعى لهذا اليمين المغلظ الذى عقدته لنا حتشبسوت فى ألوان شتى مما تعقد بها الأيمان العظيمة . هل عقدت هـذا اليمين لتؤكد لنا أن كلا من المسلتين كانت قطعة واحدة ، وأن قطعهما لم يستغرق من الوقت أكثر من سبعة أشهر معدودات ؟ إن هذا ليس بالأمر المستغرب لأنه قـد حسب أنه فى مثل هذا الوقت يمكن إنجاز مثل هـذا العمل[١] . ولكن شواهد الأحوال تنبىء بأن الملكة إنما أغلظت أيمانها لتدلل على أنها لم تغتصبهما بل أمرت « حتشبسوت » نفسها بصنعهما ، وكذلك أرادت « حتشبسوت » أن تفهم العـالم بأنها كانت صاحبة الأمر والنهى فى السنة التى أمرت بقطع المسلتين فيهـا ، ولذلك احتفلت بعيدها الثلاثينى الذى من أجله قطعت المسلتين مبرهنـة بهذا العمل على أنها كانت خلف « تحتمس » الأول على العرش ، وقـد أثبتنا فيما سبق أن المسلتين لم تنقشا إلا بعـد أن أصبحت هى الحـاكمة المطلقة على البلاد ، ولكنهما كانا قـد أقيما فى عهد « تحتمس الثانى » ، وعلى ذلك يكون قـد مضى نحو خمس عشرة سـنة بين نصبهما ونقشهما أى أنها فى كل ذلك كانت تريد أن تثبت أنهما قد أقيمتا أولا بأمر من « حتشبسوت » نفسها لا بأمر من « تحتمس الثانى » ومن ثم كان حلفها هذا اليمين المغلظ على صدق ما ادعته .

وبعد ذلك تستمر الملكة فى قولها عن المسلتين : اسمعوا أنتم يأيها الناس ! لقد أعددت لهاتين المسلتين أحسن معـدن « السام » وقد كلته بالحقت (هو مكيال سعته خمس لترات) كأنه حقائب (بر) ، وقد حددت جلالتى المقدار بكمية لم تر الأجداد من قبل أكثر منها ، فدع أولئك الذين يجهلون الحقيقة يعرفونها مثل العـالمين بها . ولا تجعـل من سيسمع ذلك يقـول إن هذا الذى قلته مين وكذب بل دعه يقول : ما أشبه ذلك بها (أى الملكة) إنها صادقة فى نظر والدها « آمون » . وإنه هو الذى جعلنى أحكم على الأرض السـوداء والأرض الحمـراء مكافأة لى على ذلك ، وليس لى عدو فى أى بلد ، فكل البلاد خاضعة لى ، وإنه وضع حدودى عند أقاصى السماء ، وقـد عملت لى دائرة الشمس (نفسها) وقد أعطانى من وحدت معه هـذا ، لأنه يعلم أنى سأقدمها له (ثانية) . حقا إنى ابنته وهو الذى يرفع

---

(١) راجع : Engelbach, "The Problem of the Obelisks", P 48

من شأنى ... وهو الذى أوجد مملكتى ، والأرض السوداء ، والأرض الحمراء قد أصبحتا تحت قدمى وحدودى الجنوبية قد بلغت حتى بلاد « بنت » وحدودى الشرقية قد وصلت الى مستنقعات آسيا ، والأسيويون فى قبضتى ، وحدودى الغربية بعيدة جدا حتى جبال « مانو » (جبل خرافى تغيب وراءه الشمس) وحدودى الشمالية قد وصلت ... وشهرتى بين كل رجال البدو » .(١)

الملكة تقيم مسلتين بمعبد الكرنك : وتدل الآثار على أن الملكة « حتشبسوت » قد أقامت مسلتين أخريين فى معبد الكرنك ، غير أن موقعهما بالضبط لم يعلم للآن ، ولم يبق منهما إلا قمة واحدة محفوظة الآن « بمتحف القاهرة » (٢) والظاهر أن « حتشبسوت » قد أقامتهما احتفالا « بعيد سد » العيد الثلاثينى) الثانى . هذا مع العلم بأن المدة التى كانت تنقضى بين الاحتفال بهذا العيد والذى يليه لا تحدد عادة بثلاثين سنة بل كان ذلك العيد يقام حسب هوى الفرعون الحاكم وما تقتضيه الأحوال . وليس فى مقدورنا الآن أن نحدد المدة التى انقضت بين الاحتفال بعيدها الأول وعيدها الثانى . وقد ترك لنا على نقوش الرواق الأسفل من معبد الدير البحرى منظر نقل مسلتين وإهدائهما . فنشاهد فى النقوش سفن النقل ممثلة فعلا ذاهبة نحو الشمال كأنها منحدرة فى النيل من أسوان حيث قطعت المسلتان ، ثم نجد بعد ذلك فى الجهة الشمالية من الجدار الإهداء فى « طيبة » . ويبتدئ المتن الخاص بهاتين المسلتين بألقاب الملكة ومدائح فيها ، ثم الأمر بجمع المواد لبناء السفن اللازمة لنقلهما ، ويلى هذا أمر بإعداد الرجال والجنود للنقل ، وأخيرا نقل المسلتين ، وقد هشم جزء كبير من هذه النقوش . فبعد ذكر ألقاب الملكة نجدها توصف بأنها هى هذا الجزء الفاخر من والدها « آمون رع » رب السماء ، الذى لم ينفصل بعيدا عن والد رب كل الآلهة ، والمضيئة اللامعة مثل إله الأفق ، وإلهة الشمس التى تمنح النور مثل

(١) راجع : Breasted, A. R., II. § 304 - 321.

(٢) راجع : Ibid § 304.

الشمس ، والتي تنعش قلوب الأهلين ، ومن شهرتها قد اشتملت الدائرة العظمى (الأرض) ثم يلي ذلك بعض جمل غير متصلة لتهشيم المتن نقرأ فيها ما يشير الى بناء سفن كبيرة جدا لنقل المسلتين من محاجر « أسوان » إلى « معبد الكرنك » ثم ما يشير إلى جمع كل الجيش لشحن المسلتين عند « إلفنتين » وتجنيد الشباب من كل الأرضين قاطبة . هذا بالإضافة إلى مناظر محفورة نشاهد فيها المسلتين موضوعتين على هذه السفن التي كانت تجر إلى أسفل النهر بسبعة وعشرين قاربا تسير بالمجاديف . وهذه القوارب كانت مرتبة في ثلاثة صفوف كل منها يقوده قارب رئيسي ، في حين أن قوارب أخرى مرافقة للسابقة كان فيها كهنة يرتلون الصلوات ، ويحرقون البخور ، رجاء نجاح المشروع ، والنقوش التي على هذا المنظر تتحدث عن « السياحة شمالا مع التيار بقلب فرح » وتشير إلى عيد الملكة الثلاثيني ، ثم نقرأ عن رسو السفن بنجاح عند « طيبة » المظفرة ، في حين أن السماء تبتهج والأرض في عيد » ونشاهد على الشاطئ عند الكرنك جنودا يحملون أغصان الأشجار احتفالا بهذه المناسبة ، كما نشاهد فرقة من الرماة يتقدمهم حامل بوق ، كما نشاهد الكهنة والجزارين يعدون الضحايا والجنود والضباط مسرعين ذهابا و إيابا ، وهنا يقول المتن عند ذلك « فرح بحارة سفن الملكة فيصيحون : اصغوا إلى الصياح ! إن في السماء لعيدا ، وإن في الأرض لفرحا ، لأن « آمون » قد زاد في عدد سني ابنته التي أقامت هذه الآثار لتجلس على عرش « حور » الأحياء مثل إله الشمس مخلدا . وهناك صيحات من مجاري الجنوب والشمال ، ومن شباب طيبة ، ومن فتيان « خنتنفر » (النوبة) بحياة وفلاح وصحة ، ملك الوجه البحري والوجه القبلي منخبررع (تحتمس الثالث) حتى تكون قلوبهم فرحة مثل إله الشمس مخلدا » . ونلاحظ أنه قد نقش فوق ضحايا القربان ما يأتي : قربان لروحك يارب الآلهة لأجل أن تمنح « ماعت كارع » الصحة في هذا العيد الثلاثيني لملايين السنين » .

ومما يلفت النظر هنا أن الجماهير كانت تحيي « تحتمس الثالث » كما كانت تحيي «حتشبسوت» ومن ذلك يتضح جليا أن «حتشبسوت» على الرغم من قبضها على كل السلطة في يدها وأنها كانت الحاكمة المطلقة اسما وفعلا فإنها كانت

مضطرة الى أن تعترف ولو شكلا بأن «تحتمس الثالث» كان شريكا لها فى الملك. على أن ذلك ليس بالمثال الوحيد الذى لدينا من هذا النوع عن ذكر «تحتمس الثالث» بصفة ثانوية مع «حتشبسوت»، إذ لدينا مثل آخر وهو لوحة دوّن عليها إصلاح قلعة الجبانة فى «طيبة» نجد فيها أن الملكة قد ذكرت ألقابها وأسماءها، ثم تحدث عن العمل الذى قامت به هى فى هـذه القلعة محبة منها لوالدها «آمون»، وكل ما فعلته لتحتمس الثالث هو أنها سمحت بأن تمثل صورته على أعلى اللوحة، واقفا وراء صورتها فى استكانة وذلة، واسمه لم يذكر قط فى إهداء هذه اللوحة[1]، وهكذا كانت «حتشبسوت» من وقت لآخر تسمح بنقش اسمه أو صورته على جدران المعبد، ولكن وجوده لم يكد يحس، إذ كان يرسم خلفها، ولا بدّ من أن هـذه الأعمال كانت تحز فى نفسه، وتجعله يتقد غيظا منها، ومن أولئك النفر الذين كانوا عونا لها على إثبات تلك الأفعال التى كانت تتنافى مع التقاليد والحق معـا، ولذلك كان أوّل ما قام به بعد اختفاء تلك العاهلة الطموحة التنكيل بأولئك الذين ساعدوا على إقصائه عن عرش ملكه الشرعى كما سنرى بعد.

وفضـلا عن المسلات التى أقامها «سنموت» لسيدته يقص علينا ما قـام به فى معبد «الأقصر» وفى معبد الإله «آمون» حيث وجد له تمثـال هناك، وفى «أرمنت» حيث وضع أساس معبد، ويحتمل مقـبرة للعجل المقدّس للإله «منتـو»[2].

سنموت يقيم لنفسه مقبرة فى جبانة شيخ عبد القرنة:

على أنه لم ينس نفسه فى هذا الوقت بل كان قد أصبح رجلا ميسورا، ولا ادل على ذلك من أنه أقام لنفسه قـبرا فخما يشعر بثراء صاحبه، وكثرة ماله، فقد أقامه فى جبانة «شيخ عبد القرنة» التى تقع على تل عال. وفى هذه المقبرة عثر «إثناسى»

---

(١) راجع: Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques Recueilles en Europe et én Egypte", P. 129.

(٢) راجع: Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 149.

على تمثال له من الجرانيت ممثل فيه وهو ممسك بالطفلة « نفرورع » . والتمثال موجود الآن بمتحف « برلين » ومن المدهش أنه كشف فى نفس المقبرة عن تمثالين مثل الأول ، وهما الآن بالمتحف البريطانى ، وفى هذا القبر كذلك وجد « لبسيوس » لوحة من حجر « الكوارتسيت » تشبه فى رسومها وصناعتها اللوحة التى عثر عليها « ونلك » و بالقرب من هذا المكان أيضا رأى « ديفز » قطعا من تابوت من « الكوارتسيت » عليها اسم « سنموت » ؛ وقد ذكر على كل تماثيل « سنموت » التى وجدت فى قبره أنها هدية ملكية ، وكذلك التمثال الذى وجد فى معبد الإلهه « موت » وآخر يحتمل أنه وجد فى « الكرنك » وهو الآن بمتحف « شيكاجو » وقد أهدته الملكة هذين التمثالين أيضا، ولكن من الطبعى أن الرجل الذى كان فى يده كل الأعمال الملكية كان من السهل عليه أن يحصل لنفسه على بعض ما أنتجته تلك المصانع الملكية .

ولعمر الحق لقد كان كل ما يريد « سنموت » أن يظهر به من مظاهر العظمة والأبهة والفخار فى أعين الشعب قد دونه على هذه التماثيل ليكون إعلانا ثابتا أمام أهل جيله ، ومخلدا له عند الأجيال المتعاقبة ، ويمكننا أن نضع أمام القارى صورة عن تقدير «سنموت» لنفسه من مجموعة تماثيله ومن النقوش الأخرى المختلفة كما يأتى يتحدّث عن نفسه ، فيقول :

[لقد كنت أعظم العظماء فى كل الأرض ، وكنت أمين أسرار الملك فى كل أماكنه وناصحا خاصا على يمين الملك ، مأمون الحظ أعطيت شرف الاستماع منفذا ، محبا للصدق ، لا أظهر تحيزا ، وإنى إنسان تصغى القضاة إليه ، وصمتى هو البلاغة بعينها ، وقد كنت إنسانا يعتمد السيد على ما ينطق به ، ومن تنشرح سيدة الأرضين بنصيحته ، ومن قد أفهم قلب الزوجة المقدّسة به تماما . وكنت شريفا يصغى إليه لأنى كنت أعيد كلمات الملك للرفاق . وكنت إنسانا تعرف خطواته فى القصر ، ونجى الملك المخلص ، أدخل محبوبا وأخرج محظوظا ، أدخل السرور على قلب الفرعون كل يوم . وكنت نافعا للملك ، مخلصا للإله ، لاغبار على أمام الشعب ، وكنت إنسانا منح الفيضان حتى أستطيع إدارة النيل ، وأسندت إلى شئون الأرضين . وما يجبى من الجنوب والشمال كان تحت تصرفى ، وأعمال كل الممالك تحت إدارتى ، يضاف إلى ذلك أنى كنت أطلع على كتب الكهنة ، ولم يوجد شىء منذ الأزل كنت أجهله .

مكانة سنموت فى التاريخ — ولا نزاع فى أن معظم هذه الجمل التافهة إلى حد السخرية ليست إلا صيغا محفوظة لإطراء النفس قد استعملها أفراد كثيرون قبل « سنموت » من عظماء القوم منذ أزمان سحيقة ، غير أنها فى حالة بطلنا هنا لم تكن كلها مبالغا فيها ، وأن « سنموت » كان حقيقة شخصية من أعظم العظماء فى البلاد قاطبة ، ولا أدل على ذلك مما وجد مدوّنا على قطعة من الفخار عثر عليها الأستاذ « ونلك » فقد خط عليها كاتب بالمداد الأسود حسابا يشمل خمسة الأشهر الأوّل من سنة ما من هذا العهد ، فقيد مواد ما خص الفرعون منها ويبلغ عددها أربع عشرة ، وماخص ضياع الملكة خمس عشرة ، وماخص بيت المال تسع عشرة ، وماخص « سنموت » تسع عشرة ففى هذا المتن ذكرت السلطات الأربع فى البلاد فلم يذكر من بينها بالاسم المجرّد إلا « سنموت » أى أن هذا الكاتب كان يعتبر « تحتمس » و « حتشبسوت » والمالية مجرّد مؤسسات . أما « سنموت » فكان لا يحتاج إلى لقب يفسر لنا مركزه أو من هو .

أما مقدار ما بلغه « سنموت » من الافتنان والجرأة فى الرفع من شأن نفسه ما يشاهد من وضع صورة له خلف كل باب من أبواب معبد الدير البحرى ، وذلك أن معبد الملكة « حتشبسوت » كان ذا ردهات عظيمة تؤدّى إلى مقاصير عدّة ، ولذلك كان له نحو عشرين خزانة صغيرة أو يزيد لحفظ أدوات العبادة ، وقد كان لكل من هذه المقاصير والخزانات باب خشبى يفتح إلى الداخل ، وعند ما يقام احتفال كان الكهنة يفتحون الأبواب ، ويقومون بأداء الشعيرة ، ثم يغلق الباب ويختم كرة أخرى . فلم يمكن بهذه الكيفية أن يوجد فرد فى المقصورة والباب مغلق عليه ، وعلى ذلك لم يكن فى استطاعة إنسان أن يرى ما كان مخبأ على الجدار الواقع خلف الباب عند ما يكون مفتوحا ، وقد استفاد « سنموت » من هذا الوضع فأمر برسم صورته وهو يتعبد أمام الآلهة ، وقد كلف نحاتا أن يكرر هذه الصور ويضعها فى الجدران خلف باب كل مقصورة أو خزانة فى المعبد ، وقد نحت كل منها

بما يناسب المقام على أن يجعل الصورة تتجه يمينا أو شمالا لتكون دائما مواجهة للذبح . وقد كتب أمام كل صورة صيغة الدعاء الذى يتلى و يتبعه باسم «سنموت» . والواقع أن هذا العمل كان يعد جرأة منقطعة القرين، إذ أن ذلك من حق الملوك وحدهم، فهم الذين كانوا يصورون فى محراب المعبد لمناجاة الآلهة، ولم يكن لأحد من الشعب أن يرسم فى مثل هذه الأحوال إلا إذا كان تابعا للفرعون وحسب، وفى هذه الحالة كان يرسم بصورة صغيرة جدا بالنسبة للفرعون، والواقع أن « سنموت » كان ضمن عصابة سياسية مجرمة تترنح نحو الهلاك، وأعنى بها عصابة الملكة « حتشبسوت » . ونحن نعلم أن « حتشبسوت » قد اختفت من مسرح الحياة قبل إتمام المعبد ، وأن كل عصابتها قــد انتقم منهــم « تحتمس الثالث » ولا بد من أنه فى هــذه الفترة قد أفشى أحد أعداء «سنموت» سر وضع « سنموت » صوره هذه فى هذا الوضع الشاذ ، ولذلك فإنها كما نشاهدها الآن قــد هشمت تهشيما مريعا لانتهاكه حرمــة المعبد لفعلته هذه، وكذلك لتشيعه السياسى، ومع ذلك فإن الذين كلفوا بهذا التهشيم قد أخطأهم حسابهم فتركوا بعضها، وبخاصة فى الخزانات الصغيرة التى كان لاينفذ النور إليها، و يمكن الإنسان أن يرى الآن منقوشا أمام صور « سنموت » ما يأتى : " تقديم المديح للإلهة « حتحور » " وأمام صورة أخرى نقرأ : تقديم المديح لآمون لأجل حياة وسعادة وصحة « حتشبسوت » من مدير البيت « سنموت »[1] . على أن « سنموت » قد ذهب فى غلوائه إلى أكثر من ذلك، إذ كشف الأستاذ « ونلك » حديثا عن قبر جديد له كان القصد منه أن يكون على غرار مقبرة «حتشبسوت» ولذلك حفر نفقه وحجرة دفنه تحت معبد الدير البحرى مباشرة. وفى سقف حجرة الدفن المزينة بالنقوش التى أعدّها « سنموت » لنفسه هنــا أمر بأن ينقش بحروف جميلة ضخمة ما يأتى : عاش « حور » طويلا، صاحب الأرواح العظيمة، محبوب الإلهتين، النضر السنين، حــور الذهبى صاحب الأكاليل المقدّســة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « ماعت كارع » محبوبة « آمون» العائش ، وحامل الخاتم ، مــدير البيت « آمون » « سنموت » الذى أنجبه « رع مس »

(١) Winlock, ibid, p. 105

والذى وضعته « حات نفرت » وهكذا نجد فى هذه العبارة اسم « سنموت » قد كتب بدون فاصل أو جملة إيضاحية ، مما يجعلنا نشعر أنه قد ربط اسمه باسم «حتشبسوت». ولا شك فى أن أى فرد من شيعة « تحتمس الثالث » كان يعلق على ذلك النص بما يطيب للخصم ، وبما تتطلبه عداوة الأحزاب وحب الانتقام كلما وجد إلى ذلك سبيلا، ولو فى أتفه الأشياء وأحقرها. وفى هذا النقش يشعر الإنسان أن « سنموت » كان يمهد السبيل للاشتراك مع « حتشبسوت » فى الملك .

مبانيها الدينية خارج طيبة

ومن المحتمل أن « سنموت » فى أواخر أيامه قد كلفته الملكة إصلاح المعابد وبخاصة ما بقى مخربا منها منذ عهد الهكسوس ، وكذلك بإقامة بعض المبانى خارج طيبة .

معبد الإله « بخت » : وقد كان من أهم هذه المبانى الدينية المعبدان اللذان حفرا فى الصخر على مقربة من « بنى حسن» وقد أهدى كل منهما للإلهة «بخت» التى تمثل فى صورة لبؤة .

المعبد الذى أقامته حتشبسوت فى المكان المعروف ببطن البقرة : غير أن أحدهما قد أقامته بالاشتراك مع أخيها فى أوائل حكمهما المشترك ، وهو الذى يسمى عند العامة «بطن البقرة» وهو معبد صغير كشف عنه « الدكتور أحمد فخرى » ويقع على مسيرة خمس عشرة دقيقة من معبدها الكبير «سبيوس أرتميدوس» وقد لخص الدكتور أحمد فخرى ما جاء فى نقوش هذا المحراب بما يأتى : يوجد فى نفس الوادى الذى أقيم فيه معبد «سبيوس أرتميدوس» (أى كهف أرتميدوس) كهف آخر ينسب نحته للملكة « حتشبسوت » والفرعون « تحتمس الثالث » ويدعى باسم « حت من » والوادى يسمى « ست » وقد كان مقدسا للإلهة « بخت » ويشاهد على جدران واجهة الصخرة حول الكهف وعلى الجدران « حتشبسوت » التى محيت صورها واسمها، والفرعون « تحتمس الثالث » يقربان

للإلهة « بخت » والإله « خنوم » سيد حرور (الشيخ عبادة) و إلى حتحور سيدة نفروس (بلنصورة) و إلى الإله «حور اختى» وقد تركت صورة الأميرة «نفرو رع» التى نشاهدها تتبع والدتها دون أن يلحقها أذى ،ونجد اسمها فى طغراء مسبوقا بلقبين لها ، ثانيهما لم تعرف به من قبل على الآثار التى كشفت لها حتى الآن وهــو لقب « يد الإله » وهو فى الواقع يشبه لقب الزوجة المقدّسة الذى كان يعد من ألقابها ، وفى عهد « سيتى » الأوّل أعيدت الصور والطغراءات الملكية التى كانت قد محيت من كهف « أرتميدوس » الكبير ، أما فى هــذا المعبد الصغير فيظهر أنه لم يقم فيه بأى إصلاح من هذا النوع .

وأما معبد « سبيوس أرتميدوس » فقد أقامته فى أيام حكمها المنفرد . و يطلق عليه المصريون المحدثون « اصطبل عنــتر » وقــد نقش على واجهــة الصخر فوق المدخل ذى العمد متن طو يل تعدّد فيــه « حتشبسوت » ما فعلته لهــذا المعبد ، وما قامت به من الأعمال الصالحات للالهة، وكذلك تقص علينا كيف أنها أعادت بناء المعابد التى هشمها أولئك الهكسوس الغــزاة . وهاك نص ترجمــة المتن حرفيا (راجع .J. E. A, Vol. XXXII. (1946) P. 45) .

” الحياة «لحور» = صاحب الصفات القوية ، وصاحب الإلهتين ، ذوالسنين السعيدة ، حور الذهبي = المقدّس المظاهر ، الإلهة الطيبة سيدة الأرضين «ماعت كارع» بنت الشمس حتشبسوت ... لقد أقامت هذا (؟) الأثر الخالد لتثبيت اسمها مثل السماء ، حتى تستطيع أن تحفر بمهارة تواريخ سيادتها على إقليم تلك التى على الجبل (يحتمل أن يشير هنا إلى الإلهة « بخت » ربة هذا المعبد) ، وعلى ما تضىء الشمس عليه فوق الصحراء ، (؟) وطيبه منتشر على ظهــر سلسلى الجبال (الصحراء الشرقية والصحراء الغربية) ، فهناك تنصب المواقد ، وهناك امتدّت المعابد لتكون متعة كل الآلهة ، كل منهم فى المعبد الذى يرغب فيه ، وروحه (كا) جالسة على عرشه . ولقد فتحت ... ... وسربقاعات عمدهم ، ولقد صنعت الحجرة الخفية ، وهى الجزء الداخل من البيت لتناهض حجرة ازالة أثر القــدم (وازالة أثر القدم شعيرة خاصة تقضى بازالة كل أثر للانسان بعد الاحتفال بالوجبة المقدسة) ، وكل إله قــد صنع جسمه من ذهب « عامو » ، وأعيادهم قد خلدت فى أفواه الناس ، ودورة العيد كلها تحدث فى وقتها المعتاد ، وذلك بالتمسك بالقواعد التى وضعتها بشدة ، والشعائر لاقامتها على حسب ما عمله (إله الشمس) فى الزمن الأزلى (؟) قد زيد فيها ،

وكان قلبي القدسي يبحث وراء (أهـل) المستقبل ، وقلب جلالة ملك الوجه القبـلى والوجه البحرى آخذ فى التفـكير فى طاعة من نطق بتبريك شجـرة أشد[1] (أى شجـرة اللبخ) إلى الأبد أى الإله « أمون » رب ملايين السنين ، ولقد عظمت الصدق الذى يحبه ، لأنى أعرف أنه يعيش عليه وأنه غذائى ، وأنى التهم لذته ، وأنى والصـدق لحم واحد ، وقـد ربانى لأجعل شهرته قوية فى هـذه الأرض ... ... إله الوجود «خبرى» الذى برأ كل كائن ، والذى قـدر « رع » وجوده عند ما ذرأ الأقطار ، وكانت كلها مجتمعة تحت إدارتى ، فالأرض السوداء والأرض الحمراء كانتا فى وجل منى ، وقوتى جعلت البلاد الأجنبية تحنى لى ، لأن الصل الذى على جبينى يهدى لى كل البلاد .

و بلاد « رشوات» (شبه جزيرة سيناء) و « اوو » (بلاد مجهولة) لم تعد مختفية بعد عن عين شخصى الفاخر ، و بلاد « بنت » تفيض لى على الحقول ، فأشجارها محملة بالمر الجديد . والطرق التى كانت مغلقة على كلا الجانبين أصبحت الآن مطروقـة ، وجيشى الذى كان غير معد قـد أصبح يملك ثروة منـذ أن أشرقت ملكا .

ومعبد سيدة « القوصية » الذى كان قد صار إلى الخراب ، قد التهمت الأرض محرابه العظيم ، وأمست الأطفال ترقص على سقفه ، والهـة الثعبان أصبحت لا تخيف ، والوضعيون اعتبروا ... ... بمثابة انحراف ، وأعيادها المقررة لم يحتفل بها ، و إنى قـد قدستها وأعدت بناءها ، وصنعت صورتها المقدسة من الذهب لتحفظ مدينتها فى قارب الموكب الأرضى .

أما الإلهة « بخت » العظيمة التى كانت ترود الوديان فى وسـط الشرق والتى ... ... الطرق التى غمرتها مياه المطر — إذ لم يكن هناك كاهن لصب المـاء — فقد جعلت معبدها جديرا (؟) ... ... لأجل تاسوعها ، وأبوابه من خشب السنط المطعم بالنحاس لأجل أن يكون ... ... فى الوقت المناسب ؛ وكان الكهنة قد عرفوا ميقاتها . (يذكر بعد ذلك بعض الآلهة ممن عنيت الملكة بمعابدهم وقربانهم) . والإله تحوت الذى أنجبه « رع » قد علمنى ... ... مائدة قربان من الفضة والذهب وصناديق كتان ، وكل أنواع الأثاث قد وضعت فى مكانها ... والذى كان يدخل وجها لوجه قائد التاسوع المقدس هو الإله «آمون» كان جاهلا بها ، ولم يكن هناك واحد على علم تام ببيته ، ذلك لأن والد الإله كان معدما (؟) ... ناظرا

(١) هذه الجملة تشير إلى خرافة تقـول إن إله الشمس أو الإله « تحـوت » أو آلهة الكتابة كتب بالنيابة عن نفسه اسم الملك على أوراق شجرة إشد الكريمة ، التى كانت فى قصر «الفنكس» فى «عين شمس» و بذلك تضمن له ملايين السنين للأعياد الثلاثينيـة ، ولا نزاع فى أنه كان يعتقد أن هـذا قد عمل للإله « رع » نفسه فى بادئ الأمر الذى يمكن أن يقال بأنه افتتح مهرجان هـذه الشجرة . ويحتمل أن شجرة « عين شمس » الحالية هى صدى لذكريات هذه الشجرة .

مع (؟) والده . وقد منح حاملو الإله ثاقب نظرى الفخم ، ولقد أقمت معبده العظيم من حجر عيان الأبيض (وبواباته) من مرمر «حتنوب» وأبوابه من نحاس آسيا ، والنقوش التى عليها صيغت من الذهب ، وصارت مقدسة بوجود صاحب الريشتين العاليتين بينها (يقصد الإله مين) ؛ ولقد فخمت هذا الأمجد فى عيدين وهما عيد تآلف الأرواح وعيد الإله «تحـوت» وهما اللذان قررتهما له من جديد ، وقد كانا من قبل فى فم الناس فقط ، ... ... وقد ضاعفت له القربان زيادة عما كان مقررا من قبـل ، وذلك بأن جعلت قربانا للالهة الثامنية أى للإله «خنوم» فى صوره المختلفة ، وللالهة «حكت» والإلهة «رننت» و «مسخنت» التى اتخــذت لتشكيل جسمى ، وللإلهــة «نحمت عاواى»[1] والإلهة «نحمت كاو» والإلهــة (أزيت — أو — ناس — ب — تو —)[2] (من يقول الناس عنها إن السماء والأرض ملكها) والإله «إمى» — وتيو — (الذى بين المحنطين) والبلدان لذلك فى عيد ، مما يدل على أن ذلك كان غير معروف (من قبلى) وكذلك الشرفات كانت لا تزال فى حيز التصميم قد هيأتها وجعلتها بهجة ، فى حين تأمل ! كنت أقدم بيوتا لأصحابها ، وكل إله قال فى نفســه عنى : إنه واحد سيخلد ، والإله «آمون» جعله يظهر ملك الأبدية على عرش «حور» .

اسمعوا أنتم يأيها المواطنون ، و ياعامة الشعب مهما كان عددكم . لقــد أنجزت هذه الأشــياء بتدبير قلبى ، ولم أغفل بوصفى إنسانا نساءة ، بل لقد قويت ما تداعى . ولقد رتقت ما تمزق ، وذلك منذ أن كان الأسيويون فى «أواريس» الشمال ، ومعهم قبـائل جائلة بينهم ، هادمين ما كان قائما ، وقــد حكموا بدون رع ، وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهى حتى عهد عظمتى ، وإنى ثابت المكانة ، على عروش «رع» ولقد تنبىء بى لعهد مستقبل لأنى ولدت فاتحا والآن لقــد أتيت بوصفى وحيدة «حور» أقذف النار على أعدائى ، ولقد نفيت ما تلعنه الآلهة ، والأرض قد محت طابع أقدامهم ، وهذه كانت القاعدة التى سار على هديها والد آبائى ، الذى جاء فى أوقاته المحدودة ، وهو الإله «رع» . ولن يحدث قط تخريب ما أمر به «آمون» وإن أمرى سيبقى ثابتا كالجبال ، وسيضىء قرص الشمس ، ويرسل الأشعة على ألقاب شخصى الفاخر وسيحلق صقرى فوق العلم الملكى حتى الأبدية .

هذا النص الذى تركته لنـا الملكة «حتشبسوت» يكشف لنا بعض الشىء عن الحالة التى كانت عليها المعابد المصرية فى العهــد الذى تلا طرد الهكسوس من البلاد ، إذ أنه على الرغم مما قام به أسلافها من ملوك الأسرة الثامنة عشرة من أعمال

(١) إلهة ، وهى رفيقة الإله «تحوت» فى الأشمونين (معنى الاسم) التى تخلص المنهوب .

(٢) اسم للإله أنوبيس (؟) .

التعمير والإصلاح ، فإن كثيرا من المعابد كان لا يزال مخربا تخريبا تاما ، وقد نهب ما كان بها من أدوات لإقامة الشعائر الدينيــة ، ولم يبق منها قليــل أو كثير ، حتى أن معبــد « القوصية » وهى آخر بلدة وصل إليها الهكسوس فى زحفهم على مصر الوسطى قد وجدته « حتشبسوت » مخربا ، وأن الأرض قد التهمت معبدها المجيد وأصبح سقفه ملق على الأرض ترقص عليه الأطفال . ولذلك كان أول هم الملكة « حتشبسوت » أن تقيم معبد الإلهة « بخت » العظيمة ، وتاسوعها ؛ فنحتت لهــا معبدا فى الصخر يقاوم الدهر ويغالبه ترســل الشمس عليه أشعتها . ولقد أجادت أو أجاد «سنموت» فى تنسيق حجره الداخلية ونقش عليها صور آلهة تاسوعها بالذهب ، وخلد أعيادهم ، وتضاعفت القرابين عما كانت عليه من قبل ، و بعد أن قامت ببناء هذا المعبد ، وتجديد أعياد الآلهة الذين كانوا فى هذا الإقليم كما ذكر فى هذا المتن ، نجدها تحدّث العــالم فى هذا النقش بأنهــا أعادت المواصلات بين مصر والبلدان الأخرى التى كانت قد انقطعت أسبابها بينهم ، فتقول لنا : إن شبه جزيرة « سينا » لم تعد بعد خافيــة عن نظر جلالتى و إن بلاد « بنت » تفيض على البلاد بأشجارها العطرية ، و إن الطــرق التى كانت مسدودة فى وجه المصريين شمــالا وجنو با قد فتحت ثم تحدّثنا « حتشبسوت » فى نهاية المتن عن الأعمال التى قامت بها فى طول البلاد وعرضها وبخاصة فيما خربه الهكسوس كما سبقت الإشارة إليه عند الكلام على طردهم .

والواقع أن هذه الملكة قد أقامت هــذه المبانى ، ونفذت تلك الإصلاحات دعاية لها كما ذكر فى فاتحة هذا المتن ، إذ يقول :

لقد أقامت هــذا الأثر الدائم لتثبيت اسمها العظيم بقوة مثــل السماء حتى تستطيع أن تنقش بمهارة تواريخ سيادتها على ذلك الإقليم الخ .

والواقع أن «سنموت» كان لا يرى وسيلة للدعاية لهــذه الملكة الصديقة دون أن يلجأ إليها و ينفذها ، إرضاء لها وتفانيا فى حبها ، غير أن « حتشبسوت » لمــا

رأت سلطان «سنموت» قد طغى على سلطانها أخذت تقلب له ظهر المجن ، ولكن الوثائق الرسمية تعوزنا فى هـذا الصدد ، غير أنها على ما يظهر أخذت تستل منـه السلطة التى كانت فى يده كما سيجىء بعد .

الأميرة نفرو رع وسنموت : والواقع أن نجم سعده قـد أخذ يأفل عند ما فارقت الحياة الأميرة والزوجة المقدسة «نفرورع» التى كان يقوم على تربيتها ويدير أملاكها ، وباختفائها فقد أعظم ركن من أركان مجده . وقد كانت على قيد الحياة بطبيعة الحال عندما وضع حجر أساس معبد الدير البحرى فى السنة السابعة من عهد « حتشبسوت » وكذلك كانت لا تزال حيـة ترزق فى السنة الثالثـة عشرة كما نعلم ذلك من نقش فى محاجر «سينا» ، وكانت تتمتع بالصحة عندما أقام «سنموت» قبره الأول ، وأقام فيه تماثيله المحفوظة بمتحف «برلين» ومتحف «لندن» و «شيكاجو» ولم تكن قـد فارقت الحياة عندما كان محراب الدير البحرى يزين بالنقـوش[1] ، غير أنها لم تظهر فى باقى مناظر المعبد التى بدئ فيها حوالى العام السادس عشر من حكم والدتها ، يضاف الى ذلك أن « سنموت » لم يدع لنفسه أنه كان القائم على شئونها فى نقـوش قبره الجديد حـوالى نفس التاريخ ، أو على تمثـاله المحفوظ الآن بمتحف القاهرة .

مريت رع حتشبسوت زوج تحتمس الثالث : وكانت الزوجة الثانيـة للفـرعون « تحتمس الثـالث » « مريت رع حتشبسوت » الـتى لقبت الزوجة الملكية العظيمة ، ووالدة وارث عرش الملك (أمنحتب الثانى) وفضلا عن ذلك فإنه إذا كانت « نفرو رع » قد واراها التراب فانتهت وصاية « سنموت » والقيام على تربيتها ، فإن عهـد حداثة « تحتمس الثالث » وقصر سـنه أصبحت كذلك فى خبر كان ، إذ قد نما وترعرع حتى صار كهلا ، قصير القامة قوى البنية ، ممتلئا

---

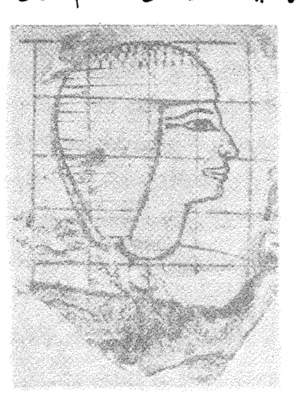
(١) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 250.

(٢) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 250.

نشاطا نابليونيا متأججا ، كانت جذوته قد أخمدت حتى الآن ، غير أن لهيبه سيندلع فيجعل العالم المعروف وقتئذ يحترق بناره . فقد كان الواجب أن يكون منذ زمن بعيد الحاكم المنفرد لمصر لولا قيام «حتشبسوت» فى وجهه، وإنا لا نحتاج الى شحذ مخيلتنا لنتصور ما كان يكنه من الحقد والبغضاء ، وحب الانتقام من هؤلاء الذين حرموه حقوقه الشرعية ، أو نرى الخطر الذى كان لابد أن يداهم « سنموت » حينما يتولى « تحتمس الثالث» الملك . وآخر تاريخ لدينا عن حياة « سنموت » الحكومية هو ماوجدناه على قطعة الخزف المؤرخة بحوالى منتصف السنة السادسة عشرة من حكم « حتشبسوت » . وإذا فرضنا أنه قد مضت سنة أو سنتان أخريان قبل الانتهاء من نقوش معبد الدير البحرى وتركيب آخر الأبواب التى خبئت وراءها صوره فإن فى استطاعتنا أن نقول : إنه عاش حتى السنة الثامنة عشرة، أى حوالى ١٤٨٣ ق.م وإذا كان هو الذى قام بآخر أعمال أقامتها « حتشبسوت » فى الكرنك فإنه لابد قد عاش حتى السنة التاسعة عشرة ، ولا نظن أنه عاش بعد ذلك التاريخ إذ لا يمكن أن يفلت من يد « تحتمس الثالث » الذى كاد صبره ينفد من رؤية هذا الرجل الذى أضاع عليه الملك نحو خمس عشرة سنة. والأمر الذى لانزاع فيه هو أنه قد سقط من عليائه ، وقضى عليه قبل اختفاء سيدته من عرش الملك ، وتلك الحقيقة يمكن استنباطها من القبر الذى أقامه فى هذه السنة إذ نجد فى قبره الجديد أن صوره قد هشمت فى حين أن صور « حتشبسوت » قد بقيت لم تمس بسوء ، ولذلك أعتقد أن الملكة نفسها هى التى غدرت به أو أهملته عند ما رأت أنه يسيطر على كل شىء فى البلاد كما يلمس من تصرفاتها معه بعد موت « نفرورع » .

سنموت يقيم قبرا ثانيا لنفسه : وتدل شواهد الحال على أن قبره الذى حفره تحت معبد الدير البحرى ليخفيه عن أنظار اللصوص لم يدفن فيه بعد وفاته، والقبر يعد من التحف الأثرية النادرة المثال ، إذ يصل إليه الإنسان بدرج طويل يبلغ

طوله ما يربى على تسعة وتسعين مترا وهذا القبر كان يتألف من بعض حجر بعضها فوق بعض ، ومتصلة بدرج منحدر، فعلى مدخل الحجرة الأولى عتب منقوش عليه الأمير والحاكم ، والفم الوحيد ، الذى يتكلم بسكون (أو بعبارة أخرى من سكوته بلاغة) وعظيم عظماء الملك، والرفيق المحبوب بعزة مدير بيت «آمون» «سنموت» المرحوم الخادم الصادق فى حبه والذى يفعل ما يلقى موافقة سيد الأرضين . وبعد ذلك يتحدر الإنسان عدة درجات إلى أن يجد لوحتين مستديرتى النهاية ، قد ثبتتا فى الجدار على كلا جانبى المنحدر ، وعلى إحداهما يوجد رسم تخطيطى بالمداد الأحمر لرأس صاحب المقبرة، وكتب عليها مدير بيت «آمون» «سنموت» وعلى الرغم من أن هذه الصورة رسم تخطيطى على الطريقة المعتادة التقليدية إلا أن المثال كان فى مقدوره أن يقنع أبناء العصر الحالى بأن «سنموت» كان ذا وجه يلفت النظر بأنفه الأقنى، ووجهه المغضن الذى ينم عن مزاج عصبى وكانت تجاعيد محياه من الأوصاف التى عرف بها ، كما يدل على ذلك رسم تخطيطى هزلى له عثر عليه



(٢٧) صورة سنموت (بالمداد الأحمر)

اللورد « كارنرفون » و « كارتر » فى مقبرة بهذه الجهة . والواقع أنه لم يتم إلا نقش حجرة واحدة فى مقبرته ، ومع ذلك فإنه لا يزال باقيا فيها ، مما يدل على أن يد النقاش لم تكد تنتهى منهـا إذ وجد على الجدران ما يدل على تواريخ التفتيش فى أثناء سـير العمل فيها .

وصف محتويات القبر : وجدران هذه الحجرة الأربعة قـد نقشت بدقة نقوشا عمـودية من الإشارات الهيروغليفية تحتوى على فصـول انتخبت من كتاب ما يوجد فى العالم السفلى ، وكتاب البوابات ، وكتاب الموتى ، وهى الكتب الدينية التى ترشد روح المتـوفى فى الحياة الآخرة عند ما يسبح مع الشمس فى سفينتها مخترقة محيط العالم السفلى ، وتخترق فى سياحتها (بوابات) جهنم المخيفة ، أو حقول القربان ، وقبالة باب هذه الحجرة لوحة رسمت على هيئة الباب الوهمى الذى تخرج منـه روح « كا » « سنموت » ثم تعود منه ثانيـة بعد أن تتنزه فى عالم الدنيا كل يوم . ونجده كذلك مرسوما مع إخوته وزوجه على هذه اللوحة ونراه كذلك جالسا يتحدث إلى والده ووالدته من نافذة فى أعلى اللوحة ، وأخيرا نراه كرة ثالثة جالسا وحده ، وأمامه غذاؤه فى داخل الباب الواقع أعلى اللوحة .

على أن الدرة الثمينة فى رسوم هذه الحجرة هو سـقفها . إذ نرى فيها مصـوّرا جغرافيا للسماء وهو يعد من أقدم المصورات التى وصلت إلينا وأحسنها ، وقد رسمه مفتن من أمهر المفتنين الذين عاشوا فى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة . ففى وسط النصف الشمالى نشاهـد مجموعة النجوم التى لهـا رأس ثور ، وهى ما يعرف فى عهدنا بالدب الأكبر ، ومجموعة النجوم القطبية . وفى عرض السماء رسمت الأعياد الشهرية الاثنا عشر ، كل منها فى هيئتـه ، بدورتها التى تقطعهـا فى أربع وعشرين ساعة ، وتحت ذلك نجد الأجرام السماوية الواقعـة فى شمالى السماء تمر فى موكب . وقبالة هذه فى جنوبى السماء نشاهد نجم الجوزاء أو الجبار يلفت بعناد وجهه بعيدا عن نجم الشعرى اليمانية التى تسعى وراء اقتناصه ، وهى ترنو إليه بطرفها سـنة بعد

سـنة دون جدوى . وفوقها نشاهـد قائمة نجوم (الدكان[١]) وقـد أدخل بينها اسم « حتشبسوت » بوصفها من الأجرام السماوية .

والواقع أنه مصور جغرافى جميل للسماء أقدم من الذى عثر عليه فى قبر « سيتى » الأول ، ولا نزاع فى أن كل من أراد أن يدرس علم الفلك عنـد قدماء المصريين لا يستطيع الاستغناء عن هـذا المصور الفذ . وقد برهن الأسـتاذ ونلك على أن هـذا القبر حفر حوالى السنة السادسة عشرة من عهد « حتشبسوت[٢] » . على أن الأحوال التى قضى فيها على « سنموت » وعلى مجده لا بد أن نتركها لخيال القارئ، لأن الآثار لم تحـدثنا عنها حتى الآن بكلمـة واحدة، غير أن الإنسان يمكنـه أن يتصور أنه على أثر وصول الأخبار بنهاية مدير البيت العظيم ، صدرت الأوامر بسد قبره الجديد المتناهى فى الفخامة ، وهو الذى أراد أن يباهى به فى الأبهة والسرية قبر سيدته وخليلته « حتشبسوت » ، ولا يبعد أن تكون هى التى أمرت بذلك ، وقد نفذت هـذه المؤامرة على جناح السرعة ، إذ قد نزل العمال إلى حجـرة دفنه المزخرفة ، وهشموا وجوه « سنموت » أينما وجدوها فى المناظر التى على الجدران ولم يفتهـم الرسم التخطيطى للرأس السالف الذكر ، إذا أصابوه ببعض العطب ، والظاهر أنه لم يكن لديهـم وقت للبحث عن اسم « سنموت » فى النقوش ، بل يحتمل أنه لم يكن واحد منهم يعرف القراءة ، أما طغراءات « حتشبسوت » فلم يمسوها بسوء . وأخيرا جمـع العمال بسرعة لبنات وأحجارا عند مدخل القبر ، ومن ثم أخذوا يسدونه ، غير أنهـم لم يستمروا فى عملهم طويلا حتى النهـاية بل تركوا بناء سد الباب ، وأخذوا يهيلون التراب والأوساخ بما يكفى لسده .

مصير سنموت . والظاهر أن « سنموت » كان يعلم علم اليقين أنه إذا ماتت « حتشبسوت » قبله أو إذا غضبت عليه، فإنه لن يلقى أى رحمـة على يد خلفها

---

(١) معنى كلمة دكان عشرة أيام وكانت السنة مقسمة عند المصريين الى ٣٦ « دكان » .

(٢) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 141.

أو على يدها ، وذلك لأنه أخذ احتياطا غريبا يحتال به على بقاء اسمــه إذا أزيل من جدران قبره لأن فى ذلك يكون القضاء على شخصيته أو روحه فى عالم الأرواح فيمكن الإنسان أن يرى فى قبره الذى بقى إلى الآن مخربا كيف أنه أمر بكتابة اسمه فى جهات متفرقة على واجهة الصخر، تحت طبقة الملاط التى وضعت على الجدران فإذا أزيلت الرسوم التى على طبقة الجص ظهر اسمــه منقوشا هناك مخفيا عن أعين أعدائه ، ولكنه ظاهر للأرواح (راجع .Weigall, "Guide", P. 148) .

على أن هذا المصير المؤلم لم يكن من نصيب « سنموت » وحده بل كان النهاية المحتومة لعــدد من كبار الرجال البارزين فى عهد « حتشبسوت » أو بعبارة أخرى رجال العصبة الذين آزروها وعززوا ملكها وسنتحدث عنهم فيما بعد .

مكانة الملكة حتشبسوت : ولا بد أن « حتشبسوت » قد مضت أيام حكمهــا تحفها الأبهة ، وتحيط بها العظمة ، وتتقلب فى أعطاف النعيم ، والمجــد المؤثل ، يلتف حول عرشها ويشد أزرها هؤلاء الرجال العظماء ، الذين ذكرناهم فيما بعد ، وذكرنا بعض ما قاموا به من عظائم المشروعات الضخمة التى جعلت اسمها فى أفواه أبناء الأجيال التى تلت حتى عصرنا الحالى، وستبقى ذكراها ما دام التاريخ يتحدث عن عظماء الرجال والنساء، ولا بد أن شهرتها بطبيعة الحال كانت قد ذاعت فى كل العالم المتمدين فى عصرها . ولا أدل على ذلك مما نشاهده على قطعة صــغيرة من الرسوم الملونة التى بقيت لنا من قبر « سنموت » إذ نرى عليهــا صور مبعوثين من جزيرة « كريت » النائية يحملون للملكة هدايا . ويظهر أن نشاطها كان منتشرا فى كل الجهات .

آثار حتشبسوت فى جهات القطر وخارجه : فنرى أنهــا قد أعادت فتح المناجم فى « سرابة الخادم » فى شبه جزيرة « سينا » إذ قد عثر على بعض قطع الفخار المــلون فى تلك الجهة باسمها ، ويمكن أن نذكر عرضا هنا أن كاتب أحد النقوش فى ذلك المكان قد كان مرتبكا فى موضوع اشتراك « حتشبسوت » مع

« تحتمس الثالث » فى الحكم حتى أنه كتب « ماعت كارع ـ تحتمس » بوصفها اسم فرعون واحد[١] ، وفى (وادى مغاره) توجد لوحة مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من حكمها عليها رسم كل من « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » الأولى ترتدى فوق ملابسها نوعا من السجف . وفى « بوتو » من أعمال الدلتا، وجد خاتم معبد « آمون » عليه اسمها[٢] ، وكشف فى « العرابة المدفونة » عن بعض أوانى المعبد عليها اسمها[٣] كذلك وفى مدينة « هابو » يوجد ما يدل على بعض أعمالها فى هذه البقعة .

وفى الكرنك تركت لنا آثارا عدة من أهمها ماعثر عليه حديثا المهندس «شفرييه» عند ماكان يشتغل بإصلاح (البوابة) الثالثة، إذ قد وجد أن « أمنحتب الثالث » صاحب هذه (البوابة) قد أخذ معظم أحجار معبد أقامته « حتشبسوت » فى هذه البقعة ، ووضعه فى حشو هذه البوابة ، وقد قطعت أحجاره من الجرانيت الأحمر المحبب ، ونقوشه غاية فى الدقة ، وقد زينت جدرانه الخارجية بأسماء مقاطعات القطر المصرى كل منها فى صورة إله النيل ، وفوق رأسه اسم الإشارة الدال على المقاطعة ، وهذه القائمة تعد من أهم القوائم التى عثر عليها حتى الآن .

وفى مدينة الكاب عثر على نقش لها هناك[٤]،وقد عثر «لبسيوس» على بوابة عليها اسمها فى « كوم امبو[٥] » وفى « وادى حلفا » (بوهن) أقامت معبدا عظيما[٦] .

وتوجد لها آثار عدة صغيرة كذلك منها لوحة فى « متحف اللوفر » مقدمة من « حتشبسوت » للملك « تحتمس الأول » والدها ، وقد مثل عليها جالسا

---

(١) راجع : Gardiner and Peet, “Sinai”. Pl. LX. No. 186.

(٢) راجع : Mariette, “Abydos” No. 1468.

(٣) راجع : L. D. III. Pl. 27.

(٤) راجع : Rosellini, “Mon. Storici. III, I. 130.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 28.

(٦) راجع : Maciver and Woolley, “Buhen”, Pl. 10.

يتقبل القربان[١]. كما توجد لوحة أخرى فى « متحف الفاتيكان » حيث نشاهد « حتشبسوت » تقدم القربان للإله « آمون »، ويرى « تحتمس الثالث » واقفا خلفها[٢]، وكذلك عثر على لوحة صغيرة نشاهد فيها الملكة ترضعها البقرة « حتحور » كما نشاهد فى الدير البحرى[٣]، إذ قد أقامت مقصورة خاصة لعبادتها تعد من تحف هذا المعبد، وترجع عبادة هذه البقرة إلى عهود قديمة، كما تكلمنا عنه فيما سلف فى الجزء الثالث (راجع جزء ٣ ص ٣٩) هذا وقد عثر لها على عدة تماثيل، بعضها موجود فى المتاحف الأوربية، وبخاصة من تماثيل « بو الهول » التى عثر عليها من بقايا التماثيل التى نصبت لها على الطريق المؤدى إلى معبد الدير البحرى، رءوسها رءوس رجال ملتحون، وقد أصلح الأستاذ « ونلك » عددا منها بعضه فى متحف « مترب ليتان » وبعضها فى المتحف المصرى، وخلافا لذلك نجد رأسين محفوظين من هذه التماثيل فى « برلين »، وكذلك رأس تمثال، وتمثال من غير رأس للملكة[٤]، كما يوجد تمثالان آخران لها فى « ليدن[٥] » ويوجد للملكة تمثال مجاوب فى « لاهاى[٦] ».

سبب تزيى حتشبسوت بزى الرجال : ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نذكر هنا أن بعض المؤرخين ينسبون تزيى « حتشبسوت » بزى الرجال إلى سبب خاص فيقول الأستاذ « ويحول » فى كتابه تاريخ مصر ما يأتى :

من المعلوم أن الملك « أحمس » الأول قد تزوج من امرأة تدعى « انحابى » وقد رزق منها بنتا تسمى « أحمس حنت تامحو » ومعنى « حنت تامحو » كما يقول

---

(١) راجع : Lepsius, Auswahl. XI.
(٢) راجع : Champollion, "Notices", II, 700-1
(٣) راجع : Grant collection. Petrie, "History", II, P. 91.
(٤) راجع : L. D. III, Pl. 25.
(٥) راجع : A. Z, XIII. P. 25.
(٦) راجع : Wiedemann. P. S. B. A. Vol. VII. P. 183.

« ويحل » سيدة قوم « التمحو » وهم أهل « لوبيا » ويستنتج من ذلك قوله : إنه من الجائز أن « أحمس » هـذه كانت أميرة من « التمحو » ولكنها لما كانت تلقب « بالابنـة الملكية » فيحتمل أن ملوك غرب الدلتا كان لهم ملك خاص فى أوائل حكم « أحمس » الأوّل ، إذ اقتبس المؤرخ « يوسفس » عن « مانيتون » أن الثورة التى قامت على « الهكسوس » كان قد نظمها ملوك « طيبة » أى ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وملوك آخرون من أجزاء مصر ، وأن والدة هذه الملكة « أحمس حنت تامحو » كانت بنت ملك من ملوك غربى الدلتا ، وقد ذكر الأستاذ « نيو برى » فى كتابه عن تاريخ مصر القديمة ص ١١٠ أن الأميرة « أحمس حنت تامحو » هى أم الملكة الشهيرة « حتشبسوت » التى ميزت نفسها بالتزيى بزى الرجال ، ولكن لباس نساء « التمحو » كان لا يمكن تمييزه من لباس الرجال وعلى ذلك يمكن القول بأن « حتشبسوت » كانت فى ذلك تقلد والدتها ، وعلى الرغم مما يعتور ذلك من الشكوك فإنه يقال : إنه كان يوجد ملك يحكم فى غرب الدلتا فى أوائل حكم « أحمس » الأوّل ، وأن الأخير قد تزوج من ابنة له تدعى « انحابى » لأسباب سياسية ومن الواضح على كل حال أن أحمس قد تخلص منه كما يدل على ذلك انفراده بالحكم ، وكذلك تدل شواهد الأحوال على أن « انحابى » قد توفيت قبل نهاية حكمه ، إذ يقول الدكتور « اليوت سمث » أن تحنيط جسمها يرجع إلى طراز التحنيط الذى ينسب إلى أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة وتدل موميتها على أنها كانت قوية البنية عريضة المنكبين ، صغيرة السن ، عظيمة القدمين ، بدينة ، ويحتمل أنها قد ماتت بعد وضع ابنتها « أحمس » مباشرة[1] غير أن هذا الاستنباط فى نسب « حتشبسوت » لا يخرج عن الظن والتخمين .

فالواقع أنه كان يوجد ملكتان فى بداية الأسرة الثامنة عشرة : إحداهما تسمى أحمس سيدة تامحو (أى سيدة أرض الشمال) والثانية تسمى أحمس سيدة تمحو (بلاد تمحو أى لوبيا) ومن ثم يلاحظ فى النطق بالاسمين تورية ظاهرة .

---

(١) راجع : Weigall, "History," Vol. II, P. 246.

وقــد كان أول من فطن لوجــود هاتين الملكتين الأثرى « دارسى » ثم جاء بعده الأستاذ « نيو برى » وقال ان اشتقاق هذين الاسمين من أصل واحد أى أن «تامحو» «وتمحو» موحدين لفظا ومعنى ، وهـذا الزعم غير صحيح (راجع Ancient Egypt, 1915 P. 99).

وحقيقة الأمر ما يأتى : عثر على موميــة فى خبيئــة الدير البحرى محفــوظة فى تابوت عارٍ عن النقوش ، وقد كتب على صدرها بالخــط الهيراطيق ما يأتى : البنت الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية سيدة « تمحو » . هذا وقد وجد على لفائف كتب عليها متن من كتاب الموتى نسب الى هــذه الملكة وهو : الابنة الملكية أحمس المسماة سيدة تمحو المــرحومة وهى طفــلة البنت الملكية المسماة « تنت حابى » .

ومن جهــة أخرى وجد تابوت من الخشب كتب على غطائه البنت الملكية والأخت الملكية أحمس ســيدة « تامحو » . وقد قال الأثرى دارسى فى تفســير ذلك أنه قد حدث خطأ فى وضع الغطاء على هــذه المومية ، ومن الجائز أن ذلك حدث فى عصرنا أو فى الأزمان القديمــة ، وأن هــذا الغطاء هو لصاحبة التابوت الأول ؛ على أن « مسبرو » يعتقد أنهما اسمان مختلفان ، وموضوع بحثنا حتى الآن هو فى أميرة تسمى أحمس ســيدة « تامحو » وقد وجد اسمها على قطعــة صغيرة من الآثار فى مجموعة بترى (History. of Egypt. II. P. 43.) هكذا : الأخت الملكية «أحمس سيدة تامحو» ، وكذلك وجد منقوشا فى مقبرة رجل يدعى «امنمحات» الواقعة فى «جبانة شيخ عبد القرنة» رقم ٥٣ من عهد « تحتمس الثالث » وذلك على لوحة رسم على جزئها الأعلى المتوفى وهو يقدم القربان إلى سيدتين جالستين ، الأولى تلقب البنت الملكية «أحمس» سيدة الأرض الشمالية (تامحو) والثانية أمها وتلقب : زوج الملك « أحمس انحــابى » ، يضاف إلى ذلك أنه قد عثر على لقب الأميرة الأولى فيما بعد فى قبرين أحدهما قبر « خع يخت » فى « دير المدينة » (رقم ٢) ويرجع عهده للأسرة التاســعة عشرة أو العشرين . ويلاحظ أن المتــوفى قد ظهر يقــدم

القرابين إلى صفين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة الجالسين أمامه ومن بينهم الزوجة الملكية العظيمة سيدة الشمال (تامحو) ؛ وكذلك وجد اسمها مرة أخرى بنفس الصورة فى مقبرة «انحر خعو» (مقبرة رقم ٢٩٩) التى يرجع عهدها إلى عصر رعمسيس الثانى، فنجد إذا من هذين النقشين أن الاسم موحد ولا شك أن أحمس سيدة بلاد الشمال هى «أحمس» بنت أنحابى . وقد وجدت مومية «أنحابى» فى تابوت امرأة تدعى « رعى » كما يستنبط ذلك من النص الهيراطيقى الذى وجد على لفائف المومية وهو : للابنة الملكية والزوجة الملكية « أنحابى » العائشة . وقد وجد اسم هذه الملكة كما ذكر « مسبرو » على توابيت « رعمسيس الأول» و « سيتى الأول » ، و « رعمسيس الثانى » . ومن كل ما سبق نعلم الحقائق التالية : أولا نعلم أنه كانت توجد ملكة تدعى أحمس حنت تمحو (أى سيدة بلاد التمحو) ووالدتها تدعى تنت حابى ، وثانيا توجد ملكة أخرى تدعى أحمس حنت تامحو (سيدة بلاد الشمال) وتسمى والدتها « انحابى » . وعلى ذلك يظهر أنه لا يمكن توحيد اسم الملكتين ولا اسم الأمين مع وجود تورية فى كل من اسمى الابنتين والأمين .

ولا نزاع فى أن أحمس سيدة بلاد الشمال ابنة « انحابى » هى والدة الملكة «حتشبسوت» وابنة الفرعون «أحمس الأول» (راجع Holscher, "Libyer und Agypter", P. 51 - 52) & Chronique d'Egypte No. 31. Janvier 1941. P. 39 - 42.) .

وخلاصة القول إذن أنه ليس هناك أية صلة بين الملكة « أحمس حنت تامحو » و بين بلاد التمحو أى بلاد لوبيا، وبذلك يكون ماظنه «ويجل» وغيره لا أساس له من الصحة، بل يجوز أن « أحمس حنت تمحو » التى يشير اليها «ويجول» هى بنت الملكة «تنت حابى»، التى أشرنا إليها فيما سلف، ومن الجائز أنها بنت « أحمس الأول» .

وأما تزييها بزى الرجال فإنها فعلته لتسمى ملكا لا ملكة ، إذ أن مصر كان لا يحكمها إلا الرجال ، وقد ضربت لها المثل فى ذلك الملكة « خنت كاوس »

فى عهد الأسرة الخامسة إذ سمت نفسها على نقوشهـا ملك الوجه القبلى والبحرى . وقد حافظت « حتشبسوت » على أن تكون مذكرا لا مؤنثا فى نقوشها كذلك » فكان ضمير الغـائب المذكر هو السائد فى كل وثائقها ، ولم يعرف لهـا غير تمثـال واحد فى زى النساء .

آثار أخرى للملكة حتشبسوت : هـذا وقد عثر على صندوق نقش عليه طغراءات الملكة فى خبيئة الدير البحرى ، ولكن لمـا كان اسم « آمون » قد محى منه ، فلا بد أن هذا القبر كان يمكن الوصول اليه فى عهد « اخناتون » ، ولم يكن وقتئذ فى قبر الملكة ، وعلى ذلك فقد ظن البعض أن الكلية التى وجدت فى هـذا الصنـدوق كانت لملكة تدعى « ماعت كارع » من عهـد الأسرة الواحدة والعشرين ، على أنه قد تكون من الصدف السعيدة إذا كان هـذا الصندوق قد استعمل ثانية بعد صنعه بعدّة قرون ، وتكون التى استعملته ملكة تحمل اسم ملكتنا « حتشبسوت »(١) . ولدينا بعض آثارها الخاصة ، منها استراكون من الحجر الجيرى الأبيض ، كتب عليهـا اسم « سات رع » مربيـة « حتشبسوت » الأولى ، فنشاهدها تدعو لمليكتها بقربان ملكى بوصفها إلهة ، وهـذه المربية كانت تعرف باسم « ين » أيضـا(٢) ، وكذلك وجد تمثـال لشخص يدعى « انيبى » ، بالمتحف البريطانى يمدح الملكة «حتشبسوت» و « تحتمس الثالث »(٣) . وقد عثر على بعض قطع من الآثار فى مدفنها ، وأهمها جزء من إناء منقوش عليـه اسم الملكة ، والكلمات التى تلى الاسم تدل على أنهـا قد توفيت عنـد ما نقش هـذا الإناء(٤) ، ولذلك يعتقد أن بعض الأشياء وجدت بالقرب من قبرها يحتمل أنها كانت جزءا

---

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales", P. 584.

(٢) راجع : P· S. B. A. IX. P. 183.

(٣) راجع : Lepsius; "Auswahl. Pl. XI.

(٤) راجع : Davis "The Tomb of Hatshepsut", P. 109, 5.

من أثاثها الجنازى . والواقع أن هـذه الآثار تعدّ ذات أهميـة عظيمة[1] ، ويحدثنا الأستاذ « بترى » عن هـذه الأشياء حديثا ممتعا ، وعن الملابسات التى أدت الى كشفها نقلا عن « جرفيل شستر » الذى أهداها للتحف البريطانى . فيقول لنا : إن مستر « شستر » كان قـد أخبره لصوص الآثار أنه توجد مجـوعة من الآثار تحتـوى على عرش ورقعـة (ضامة) ، وأحجار (ضامة) عدّة ، وقطعة من خرطوش من الخشب ، وقد وجدت كلها مخبأة فى إحدى الحجرات الجانبية لمعبـد الفرعون « رعمسيس التاسع » تحت حجر غير مثبت يسدّ المكان ، وقد أرشد أحد تجار آثار الأقصر المسـتر « شستر » إلى هـذه البقعة ، أما عن المكان فلا يمكننا إثبـاته أكثر من أنه كان فى بداية تلك الناحية من الوادى التى تقع بالقـرب من الصخرة خلف معبد « حتشبسوت » وهى التى كان فيها قبرها . على أن الآثار التى خبئت بهـذه الكيفية تشعر بأن قبرها كان قد سرق فى الأزمان القديمة ، وحمـل اللصوص معهم كل ما خف حمـله من أشياء حتى يمكنهم أن ينقلوها الى حيث شاءوا على مهل ، بعد أن لفت نظر رجال الحراسة الى ما حل بقبر الملكة ، ولا بدّ أن اللصوص قد دفنوا الأشياء التى ليس لهـا قيمة عظيمة فى مقبرة « رعمسيس التاسع » التى كانت بدورها قد نهبت فعلا وتركت مفتوحة، وتقع عند فم الوادى، إلى أن يجدوا الوقت المناسب لنقلها ، و يظهر أن القطع التى تتألف منها المجموعة كانت فى الواقع مرتبطة ، بجزء الطغراء المصنوع من الخشب لم يكن من السهل قراءة ما عليه من النقوش إلا لمن عرف إشارات اسم الملكة ، عن ظهر قلب ، كما أن التـاجر الذى باعها لم يكن يعرف الاسم ، وعلى ذلك لم يحاول أحد فى ذلك الوقت نسبة هذه الأشياء لهذه الملكة ، غير أن قطع (الضامة) المصنوعة من الخشب التى كانت كلها فى صور رءوس أسود هى من طراز قطعة (الضامة) الجميلة المصنوعة من حجر اليشب الذى يحمل اسم الملكة على الرأس والطوق[2] . وهذه القطعة محفوظة

(١) راجع : Rec. Trav. X. P. 126.

( ) راجع : Macgregor Collection. 2965.

الآن فى المتحف المصرى ، ولا يمكن أن تكون قد استعملت نموذجا للقلدين الأحداث للآثار . وعلى ذلك نجد أن القطعة الموجودة بالمتحف تؤرخ لنا القطع التى توجد فى مجموعتنا هذه وتؤكد أثريتها ؛ وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه القطع مرتبطة بقطعة الطغراء التى وجد عليها اسم الملكة ، وكذلك يحتمل كثيرا أن رقعة الضامة هى التى كان عليها هذه القطع ، ومن ثم لدينا دليل على صدق قصة هذه الآثار ، هذا إلى أن أسلوب صناعة العرش المصنوع من خشب نادر مطعم بدقة بالسام (يضاف إلى ذلك أن الصل الذى عليه مصنوع من نفس خشب الطغراء)، وشكله الدقيق الجميل المنظر يتفق مع ذوق صناعة العهد الأول من الأسرة الثامنة عشرة . ولا يوجد سبب يدعو إلى الشك فى هذه القصة على حسب ما أمكننا أن نصل إليه فى ظل نظام يسوده الإخفاء والسرية فرضه قانون مصلحة الآثار المصرية[1] . « والواقع أن ما يلفت النظر فى هذه القصة الطريفة هو إلقاء اللوم على قانون الآثار المصرية ، وعدم إلقاء أية مسئولية على جامعى الآثار من الإفرنج مما يشجع اللصوص على الاستمرار فى سرقة الآثار ، وإخفاء مكان وجودها ، وذلك ما يجعل قيمتها الأثرية تضيع ، والمثال السابق الذكر أكبر دليل على ما ذكرناه .

أشكال الجعارين فى عهد حتشبسوت : وقد عثر لهذه الملكة على عدة جعارين ولوحات صغيرة ، بعضها يحمل لقبها ، وبعضها يحمل اسم العقاب والصل . غير أن أهم طائفة من جعارين هذه الملكة هى التى نجد عليها اسمها مع اسم ملك ممن سبقوها فنجد من ذلك اسمها مع الملوك . « سنوسرت الثالث » و « سبك حتب » و « امنحتب الأول » والثالث ، وكذلك توجد جعارين تضم اسمها ، واسم تحتمس الثالث[2] .

---

(١) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 93.

(٢) راجع : Ibid. P. 94.

وقد كانت « حتشبسوت » أول من اخترع الجعارين التذكارية على ما نعلم ، فقد وجد لها جعران يحمل العبارة التالية ، «ماعت كارع » ذات الرائحة الذكية فى أنف آلهة « طيبة » . وهذه العبارة تشير إلى حملة « بنت » العظيمة التى كان أهم غرض لها إحضار أشجار العطور والروائح العطرية لمعبد الإله « آمون » بل لأجل تأليه الملكة نفسها[1] ، هذا وقد وجد لها جعران فى الواحة البحرية كما أخبرنى بذلك الدكتور أحمد فخرى مدير آثار الصحارى .

مصير حتشبسوت : ولكن مما يؤسف له أننا لا نعلم مصير مومية هذه الملكة كما ذكرنا ، على أن الشىء المحقق أن « حتشبسوت » قد دفنت فى مقبرتها التى أعدتها لنفسها ولوالدها ، ولكن الغريب فى ذلك أنها اختفت من مسرح التاريخ بغتة إذ نرى «تحتمس الثالث» يقود جيوشه إلى الحدود الشمالية لإخضاع الثورات التى قامت فى أملاك الدولة فى اسيا . (راجع ما ذكرناه عند كلامنا على الهكسوس) .

تحتمس الأول وآثار حتشبسوت : ويخيل لى أن « تحتمس الثالث » لم يظهر حب الانتقام مباشرة من « حتشبسوت » وآثارها فى البلاد ، بل لا بدّ أنه كان يساير الرأى العام الذى كان على ما يظهر لا يبغض « حتشبسوت » وبخاصة إذا كانت هى التى أبعدت « سنموت » عن إدارة دفة الحكم ، وبذلك كفرت عن أغلاطها معه أمام الشعب المصرى ، ومن المحتمل جدا أن « تحتمس الثالث » لم ير أن مركزه كان بعيدا عن الخطر لدرجة تسمح له بمهاجمة أعمال سلفه بعنف منذ بداية الأمر ، بل ربما اتبع سياسة الانتظار ، ثم الانقضاض . وفى خرائب الكرنك نجد بقايا مقصورة جنازية قد أهديت للملكة « حتشبسوت » وقد عثر عليها « الجران »[2] . وفى النقوش التى على جدرانها قد مثل الاحتفال

(١) راجع : A. S. XXXIX. P. 113.

(٢) راجع : Legrain and Naville, "Annales du Musee Guimet", XXX.

بجنازتها ، على أنه من المحتمل أن هذا المبنى قد أقامته « حتشبسوت » نفسها ليكون لها بعد وفاتها ، كما نشاهد مثل هذه المناظر فى قبور الأشراف ، وربما أقيمت هذه المقصورة فى وقت الاحتفال بعيدها الثلاثينى ، لأنه فى الواقع عيد يرمز به لإحياء الفرعون ثانية بعد حكم ثلاثين سنة ، وتجديد جسده ليحكم مدّة غيرها ، وهذا العيد بلا نزاع عيد أوزيرى الصبغة . وعلى أية حال فإنا نرى فى المناظر التى على جدران هذه المقصورة « تحتمس الثالث » يشترك فى الاحتفال بدفنها ، فيرى وهو يتقدّمها فى هيئة « أوزير » عابرا النيل إلى الجبانة الغربية كأنه يسير فى جنازتها ومن المحتمل أن هذه المقصورة قد أقيمت بعد موتها مباشرة [1] ، ولكنا مع ذلك نرى بعد مدّة لا يمكن تحديد مقدارها على وجه التأكيد أن العمل كان يسير بجدّ ونشاط فى معبد الدير البحرى كرّة أخرى بعد ممات « حتشبسوت » غير أنه فى هذه المرّة كان عمل تهديم لا عمل بناء فهشمت تماثيلها ومحى اسمها واسم من اشترك معها فى إبعاد « تحتمس » عن أريكة الملك . ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أنه كان من الأمور التى تثير الحقد ، وتورى نار البغضاء أن يضطر شاب طموح فى مقتبل العمر أن يعيش عيشة خمول مستمرّة ، وكذلك مما لا شك فيه أن تقاليد البلاط لم يتراخ فى أمرها عند ما تشبثت الملكة بحقوقها بشدّة فى شيخوختها ، ولم تسمح لهذا الملك الفتى بأية سلطة ، ولا شك فى أن «تحتمس» عندما رأى السنين تمرّ سراعا ، وأنه قد دخل على الثلاثين دون أن يرخى له العنان ، كل ذلك كان لا بدّ مما يجعله ثائرا هائجا حتى أصبح يحقد على كل شىء خاص بهذه المرأة المسنة ، غير أن كل شىء كان يأتى طوعا لمن ينتظر ويتأنى .

والواقع أن مصر قد نمت نموّا عظيما فى خلال العشرين عاما التى قضتها البلاد فى سلام ، وبفضل تجارتها وحسن تدبير مواردها ، واستغلال تربتها ، ولذلك فإنه عند ما ذهبت الملكة إلى السماء ، وهى تربى على الخمسين ، وكان تحتمس

---

(١) راجع : Weigall, "History", Vol. II, P. 339.

فى السنة الأولى من العقــد الرابع من سنى حياته ، عنــد ما أخذ مقاليــد الأمور فى يده جميعا ، وجد أداة عظيمة فى يديه استطاع بها بعد بضعة أسابيع من توليه العــرش منفردا أن يقذف بجيش عرمرم فى ساحة القتال فى سلسلة من الحملات ارتفعت مكانة مصر فى نهايتها ، وامتدّ سلطانها وعظمتها ، وعلى رأسها أوّل بطل فاتح فى تاريخ العــالم القديم ، يغزو ويفتح بقوّة لا تعرف الكلل ، وجيش أصبح مدربا مثابرا مدّة تربى على الثمانية والعشرين ربيعا .

عهد حتشبسوت كان عهد رخاء : وعلى ذلك فإن « تحتمس » الثالث مهما يكن رأيه فى سلفه وسياستها السلمية، ومهما يكن رأينا فى الطرق التى استعمل هو فيها موارد البلاد وخيراتها التى تركتها له ، فإنه مما لا جدال فيه أن العشرين عاما التى جنحت فيهــا عن الحروب ، وعملت على تنمية ثروة البــلاد كانت أكبر هدية قدّمتها « حتشبسوت » لتحتمس الثالث الذى قلب لها ظهر المجن بعد موتها ، على الرغم من تهيئتها له الفرصة للصعود إلى تلك المكانة السامية التى لم يسبقه إليهــا عاهل فى الشرق القديم بل فى العالم المتمدين فى عصره . وهكذا طويت صحيفة هذه الملكة بعــد أن حكمت إحدى وعشرين ســنة . وتسعة أشهر كما ذكرلنــا « مانيتون » أى فى السنة الثانيــة والعشرين من حكم « تحتمس الثــالث » الذى أنكر وجودها ملكة على البلاد كما أغفلت مدّة حكمها من القوائم الرسمية التى خلفها لنــا المؤرّخون المصريون ولكن كل ذلك لم يجــد نفعا ، وأنّى لهم ذلك ، والفــرد العظيم لا يمكن القضاء عليه بطرق العنف والجبروت ، فإذا حوول إخفاء أعماله من ناحية برزت نواحيه الأخرى الخالدة منادية بصوت عال بعظمة لا يمكن محوها بل تكتسح بقوّتها ما أمامها من عوامل الشر، وتفيض بضوئها على العالم، وهكذا نجد « حتشبسوت » يزدهر اسمها ويسطع كل يوم وعلى مر الدهور ، بين أولئــك العظماء الذين أسسوا مجــد مصر ، وهى إذا بذلك من النساء الخالدات التى لم يقو أعداؤها على القضاء على ما قامت به من جليل الأعمال .

الموظفون والحياة فى عهد « حتشبسوت »

سنموت : لا نزاع فى أن مهندس البناء « سنموت » يعدّ أهم شخصية فى عهد الملكة «حتشبسوث» وقد تكلمنا عن حياته الحكومية على وجه الإجمال فيما سبق. وقد كان هـذا الرجل العظيم يحمل ألقابا عدة متنوعة ، غير أنه يشار إليه فى النقوش فى معظم الأحيان بوصفه « مدير بيت الإله « آمون » لأن هذه الوظيفة كانت على ما يظهر عمله الأصلى . وقد أقام لنفسه قبرين الأوّل فى « جبانة شيخ عبد القرنة » وقد خرب تخريبا مريعـا على يد رجال « تحتمس الثـالث » (راجع Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 71.) ولا بد أنه كان من أجمل المقابر فى هذه الجبانة إذا حكمنا بما تبق لنا من رسوم سقفه الملون ، إذ قد بقيت لنـا قطعة من منظر استقبال الجزية الأجنبية، نشاهد فيها ثلاثة من أهل « كريت » يحملون أوانى مزخرفة بأشكال تنم عن الطراز المنوانى الذى يضم أشكالا حلزونية ورءوس ثيران وزهيرات، و يتميز الرجال بخصرهم النحيل، وأحزمتهم العريضة، وحللهم المزركشة إلى حدّ بعيد ، كما نشاهد فى رسـوم قصر « مينوس » فى « كريت » مثل ذلك ؛ (Wreszinski "Atlas" Pl. 235.) وهـذا شاهد عدل على مهارة الرسام المصرى وحسن إبرازه للصورة الصادقة التعبير، وقـد خلف « سنموت » عدّة آثار، وهاك ألقابه كما نجدها على هذه الآثار التالية :

(١) يوجد له نقش على صخور أسـوان : دوّن عليـه : قطع مسلتين للملكة « حتشبسوث » وعليـه الألقاب التاليـة : حامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب، ومدير البيت العظيم ، والأمير الوراثى، وصاحب الحظـوة العظيمة عند زوج الإله ، ومدير البيت العظيم للابنة الملكية « نفرو رع » (Urk. IV. PP. 396 – 7.)

(٢) وله محراب حفر فى الصخر فى السلسلة الغربيـة . ويلحظ هنـا أن « سنموت » قد مثل فى حضرة الآلهة، غير أنه مثـل بنفس حجمهم، وهـذا حق

كان يتمتع به الملوك وحدهم. ونجد له غير ما ذكر من الألقــاب ما يأتى : المشرف على مخازن غلال « آمون » والمشرف على القصر الخاص ومدير كل وظيفة مقدّسة (راجع .Ibid, P. 398) .

(٣) أما النقوش التى على جدران قبره فى « جبانة شيخ عبــد القرنة » فقد هشمت كلها تقريبا ، وما بقى من ألقــابه غير ما ذكرنا هى : "مدير أعمال ... ... والمشرف على أعمــال الفرعون ، ومــدير بيت «آمون» والمشرف على حقــول « آمون » " .

(٤) وعلى عتب من قبره نجد : المشرف على حقول « آمون »، ومدير بيت زوج الإله « حتشبسوث » والمشرف على إدارة الحكومة (Ibid. P. 400) .

(٥) وعلى مخروط من الفخار نجــد الألقاب التالية : كاهن « آمون » وسرحات (وهو اسم لقارب « آمون» المقدّس) ، والمشرف على ماشية « آمون» (راجع .Ibid, P. 403) .

(٦) تمثال من الجرانيت الأسود «لسنموت» يشاهد فيه وهو محتضن الأميرة «نفرورع» وهو الآن فى«برلين» (No. 2296) وعليه الألقاب التالية غير ما ذكرنا : «النائب ... ... جب، العظيم الحظوة عند رب الأرضين،والذى يمدحه الإله الطيب المشرف على مستأجرى حقول « مون »، والمشرف على عمال حقول « آمون » ، ورئيس عمال « آمون » ، والمشرف على إدارة الحكومة المزدوجة ، فم كل بوتى (أى من أهالى بوتو) الرئيس العظيم فى بيت « نيت » مدير القاعة الواسعة فى بيت الأمير (أى عين شمس) (أى قاعة العدل) (راجع Urk. IV. PP. 404 - 406) .

(٧) تمثال من حجــر الكوارتسيت (الحجر الرملى الأحمــر) وجد فى معبد الإله « موت » بالكرنك وهــو الآن بالمتحف المصرى (رقم ٥٧٩) ويشمل الألقــاب التالية الجديدة غير ما ذكرنا (١) محبوب الملكة (الصــقرة) صاحبة الأرواح القــوية ، ومن فى قلب « حــور » الظاهر فى « طيبة » ، والمشرف

على البقرات الجميلة ملك « آمون » ، ومدير البيت العظيم للملك ، والسمير الوحيد ومدير بيت النسيج للاله « آمون » . ومن نقوش هذا التمثال نعلم أن « سنموت » كان موكلا بكل المبانى فى « طيبة » و « أرمنت » و « الدير البحرى » ومعبد « موت » .

ثم يقول لنا : إنه عظيم العظماء فى كل الأرض قاطبة ، والذى يسمع له بين الناس ، والرسول الحقيق ، ومهدى الأرضين بلسانه ، وكاهن « ماعت » (إلهة العدل) ، ومدير القصر ، والسمير ، ومدير أعياد كل الآلهة ، ومدير المديرين ، ومدير أعمال بيت الفرعون ، ومدير الصناع ، والمشرف على كل كهنة « منتو » صاحب « أرمنت » ومرشد النـاس ، ورئيس الأرض قاطبة ، ورئيس طائفة الكهنة ، والمشرف على بيـوت الإلهة « نيت » وحاجب ملك الوجه البحـرى لكل السماو » والمـرافق للفرعون فى كل البـلاد الأجنبية ، فى الجنـوب والشمال والشرق والغرب .

(٨) نقوش الدير البحرى (Urk. IV. P. 416) .

(٩) قطعة من تمثال من الجـرانيت الرمادى عثر عليهـا فى « إدفـو » (A. S. Vol. IX. P. 106.)

(١٠) ثلاث أوان من الحجر المصقول (Urk. IV. P. 416-7) .

(١١) قطعة من الحجر مزخرفة من طيبة وعليها اسم موظف يدعى « توسى » (Tws) ويحمل لقب المشرف على خضر آمون (؟) وقد كتب عليه لقب « سنموت » بوصفه مدير بيت «آمون » (راجع .Urk. IV. 417) .

(١٢) تمثال من الجرانيت الرمادى « لسـنموت » وهو ممسـك بالأميرة « نفرورع » عثر عليـه فى خبيئة « الكرنك » ويحمل لقب الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد وكاتم السر فى بيت « آمون » (معبد آمون) ، ومرشـد بلاد الشمال (الوجه البحرى) وعمـاد القوم ، والمشرف على مخازن غلال

«آمون» فى المدينة الجنوبية (طيبة)، والمشرف على عمال حقول «آمون» فى ... والمشرف على عبيد «امون» ونائب الفرعون فى بيت «جب»، والمشرف على ثيران «امون» فى «الكرنك» ومدير بيت «امون».

(١٣) تمثال من الجرانيت الأحمر «لسنموت» والأميرة «نفرورع» من خبيئة الكرنك وهو الآن بالمتحف المصرى (رقم (No. 42115).

(١٤) تمثال آخر من الجرانيت الأسود من نفس المكان له وللأميرة «نفرورع» (No. 42116) وعلى ذلك يمكن تلخيص ألقابه قبل اعتلاء حتشبسوت الملك و بعده مما ذكرنا من الآثار وغيرها فيما يلى :

ألقاب سنموت قبل اعتلاء حتشبسوت العرش : (١) مدير البيت العظيم. (٢) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية. (٣) مدير بيت رب الأرضين. (٤) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية«حتشبسوت». (٥) مدير القصر الخاص. (٦) مدير البيت العظيم للابنة الملكية «نفرورع». (٧) مربى الابنة الملكية «نفرورع». (٨) مدير كل المبانى الملكية. (٩) المشرف على بيتى الفضة والمشرف على بيتى الذهب والمشرف على الأختام. (١٠) المشرف على مخازن غلال «آمون». (١١) المشرف على حقول «آمون». (١٢) المشرف على أراضى «آمون». (١٣) المشرف على ثيران «آمون». (١٤) رئيس عبيد «آمون». (١٥) المشرف على بيت «آمون» وسرحات (المركب المقدسة). (١٦) المشرف على مخازن غلال «آمون» (وسرحات). (١٧) ... ... آمون وسرحات. (١٨) الأمير الوراثى المشرف على كهنة «منتو» فى «أرمنت».

ألقابه بعد اعتلاء حتشبسوت العرش : (١) مدير بيت آمون. (٢) مدير البيت. (٣) المدير العظيم للبيت (الملكى). (٤) المدير العظيم لبيت آمون. (٥) المدير العظيم لبيت الملك. (٦) الوالد المربى الكبير للبنت

الملكية سيدة الأرضين والزوجة المقدسة «نفرورع» . (٧) المشرف على إدارة الأرضين (؟) (٨) مدير كل أعمال الفرعون . (٩) المشرف على أراضى آمون . (١٠) المشرف على حقول آمون . (١١) رئيس فلاحى آمون . (١٢) المشرف على الأرض المنزرعة للإله آمون. (١٣) المشرف على بقرات آمون. (١٤) المشرف على ثيران آمون . (١٥) المشرف على مخازن غلال آمون فى المدينة الجنوبية (طيبة) . (١٦) المشرف على مزارع آمون فى « من إست » . (١٧) المشرف على ثيران آمون فى معبد الكرنك . (١٨) المشرف على أعمال الإله آمون . (١٩) المشرف على مخازن غلال الإله آمون . (٢٠) كاهن الإله آمون للسفينة « وسرحات » . (٢١) المشرف على كهنة الإله منتو فى « أرمنت » . (٢٢) المشرف على إدارة آمون .

قطع الاستراكا المخطوطة التى وجدت فى مقبرة سنموت وأهميتها

التاريخية : كان من أعظم الكشوف الأثرية التى أماط اللثام عنها الأستاذ « ونلوك » أثناء تنظيف مقبرة « سنموت » مستشار الملكة « حتشبسوت » وأكبر شخصية فى عهدها كما ذكرنا ، مجموعة قطع الفخار المكتوبة باللغة المصرية القديمة وكلها خاصة بطوائف العمال والرسامين الذين وكل إليهم أمر حفر مقبرته وتزيينها؛ وقد دل فحص نقوش هذه المجموعة على أنها تكشف لنا عن ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية وهى حياة طائفة العمال الذين عملوا فى خدمة رجل من عظماء الدولة وأشهرها فى خلال الأسرة الثامنة عشرة .

وتشمل هذه المجموعة نحو خمسين ومائة قطعة من الخزف يرى فيما دون عليها كل من المؤرخ والقارئ العادى على السواء كل البيانات الضرورية لسير العمل فى هذه المقبرة ؛ وسنورد هنا مقدمة قصيرة مفيدة تحدثنا عن ظروف هذا الكشف وكذلك تظهر لنا كيف أن أنواع المجاميع التى كشف عنها من هذه « الاستراكا » المختلفة يمكن ربطها بأوجه نشاط الصناع المكلفين بنحت المقبرة :

فقــد كان الكتّاب المكلفون بالعمــل يجمعون كل يوم أثنــاء حفر المقــبرة قطع « الاستراكا » المستوية السطح مما تراكم من الحفر ويرسمون عليها تصميم الحجرات الجنازية التى لم تكن قد حفرت بعــد ، وكذلك كانوا يرسمون رسومات تخطيطية « كروكى » تمهيدا للقيام بالعمل فى نقوش القبر فينظمون المتون الدينية والجنازية التى كان لا بدمنها لتحلى بها الحجرات، وكذلك كانوا يقدمون تقارير مختصرة عن حالة العمل كما كانوا يدوّنون القوائم الخاصة بأسماء العمال ، وأخرى للجرايات أو الأشــياء التى تسلموها أو وردوها .

ويلفت النظر أن بعض هــذه القطع من « الاســتراكا » التى وجدت حول المقبرة كان قد استعملها التلاميذ الذين جاءوا ليدرسوا بأشراف الكتبة الذين نصبوا للقيام بالأعمــال الكتابية فى القبر ، لكتابة تمــارينهم التى كانت تنتخب من المتون الأدبية والدينية الشهيرة كما نجد قطعا نقشها أفراد لمجرد التسلية واللهو وقت ملاحظتهم سير العمل ، فنشاهد من بينها من وقت لآخر رسما تخطيطيا لحيوان وأشــياء أخرى على حسب مزاج الرسام وهوايته. هذه نظرة عامة على ما تحتوى هذه «الاستراكا» . والواقع أن هذه القطع يمكن تصنيفها عدّة مجاميع وهى :

(١) الاستراكا التى رسم عليها أشكال ليست من طراز ممتاز كلها، ويظهر أن رساميها كانوا بدائيين أو هواة وحسب ؛ وتنحصر فائدة ما جاء عليها فى أنها مسودات ورسم تمهيــدى للوحات التى كانت تتألف منها نقوش مقصورة القــبر الجنازية . فمثلا نجــد على أحدها رسما تخطيطيا لرءوس رجال يمكن الإنسان أن يتعــرّف فيها ملامح « سنموت » ، ومن بينها وجد رسم رأس بالحبر الأسود ويشاهد فيه أنه رسم على حسب قانون النسب المتبع عنــد المصريين . وكذلك نجد رســوما تخطيطية أخرى كثيرة لمناظر مركبة مثل منظر الأسرة ومناظر دينية وأكواما مكدســة من القرابين . ولا بد أنهــا كانت ترسم على الجدران بحجم أكبر ويكفى أن نذكر هنا تصميمين مختصرين وهما يدلان بلا شــك على مشروع تنظيم جزء من دهاليز القبر وحجراته فقد وجد إشارات تدل على مقاييس الأبعاد لهذه المبانى .

وفى مجموعة ثانية نجد المتون ونشاهد طائفة لا بأس بها تشمل رسوما تحضيرية للنقوش العظيمة التى كان لا بد منها لكمال زينة القبر، ومعظم هذه النقوش قد دُوّن بالهيروغليفية التخطيطية وقد كتب فى سطور عمودية أو أفقية على حسب ما تقتضيه طبيعة الرسوم التى معها . ويلاحظ هنا أحيانا أن الرسم الأولى لا يقدّم لنا إلا بداية السطور مما يدل على أن هذه القطع لم تكن إلا توجيهات مباشرة لتزيين المزار الجنازى والغرض منها رغبة الرسام فى أن يحسب حسابه مقدّما عن الطريقة التى يجب أن يوزع بها المتن حتى يملأ به سطح الجدار الذى تحت تصرفه .

وبجانب هذه الاستراكا المكتوبة بالخط الهيروغليفى وجدت أخرى خطت بالهيراطيقية وتشمل متونا دينية وجنازية . ونظن أن كثيرا من هذه الاستراكا كانت تحتوى على المسودات الابتدائية للمتون التى انتخبها الكتّاب لنقشها على جدران المزار، فقد وجد فعلا متن جنازى على الجدران وما يقابله على قطع « استراكا » . ومن بين « الاستراكا » الغربية المكتوبة بالهيروغليفية واحدة منها (رقم ٥٧) وتحتوى على المتن الذى يفسر عادة فى مناظر أخرى بلوحة الصيد فى المستنقعات أما الاستراكا الخاصة بالأعمال التى نفذت فى القبر فتعد أكثر أهمية أيضا إذ نجد الكتبة الذين كانوا يديرون العمل يوميا يدوّنون تقارير مختصرة عن سير العمل وهى التى تعد لتكتب فى يوميات الأعمال بلاشك وعلى الرغم من أن أعمال الحفر لم تنتج لنا إلا عددا صغيرا من هذه الوثائق فقد كانت كافية لإعطائنا فكرة عن تنظيم الأعمال ولتوضيح مدة سير العمليات فنجد مثلا على إحدى الاستراكا (رقم ٦٢) أن حفر المقبرة قد بدأ فى السنة السابعة من حكم تحتمس الثالث ، وعلى قطعة أخرى (رقم ٨٠) نعرف من المتن أن العمال كانوا ما زالوا مشتغلين فيه فى السنة الحادية عشرة . وهاك ما جاء على الاستراكون الأولى (رقم ٦٢) : « السنة السابعة الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الثانى ، بداية العمل فى المقبرة فى هذا اليوم : أحد عشر بناء حفروا عمقا كبيرا فى ستة قضب عرضا بجانب ذراع واحد فى الداخل » . وفضلا عن التقارير

اليومية يوجد كذلك قوائم بأسماء المأكولات والمشروبات وتعدادها . والغريب أن مجاميع الوثائق المختلفة من هذه الاستراكا تقدّم لنا معلومات يظهر أنها خاصة بطوائف كثيرة كانت تقوم بأعمال مميزة . فمثلا نجد بعض الاستراكا تشير إلى أن بعض العمال قد انتخبوا من الرجال التابعين لموظفين كبار فى وقت معين .

وفى الاستراكون (رقم ٨٣) نجد التكوين التالى : الرئيس الأعلى الملكى (ربما يكون هذا هو «سنموت») واحد وعشرون رجلا ، الوزير ، سبعة رجال ، مدينة نفروس ، ثلاثة وعشرون رجلا ؛ وكذلك ذكر على الاستراكون (رقم ٨٥) أن الكاهن الأعظم لسفينة «وسرحات» المسمى «سنى من» الذى يمكن أن يكون أخا «سنموت» قد قدّم ثلاثة عشر بناء ؛ ويظهر أنهم كانوا من المذنبين الذين يقومون بالعمل سخرة .

وعلى حسب ما جاء فى مجموعة الاستراكا (رقم ٦٣[1] — ٧٤) يفهم أن الجزء الأعظم من العمل فى هذه المقبرة كان يقوم به طائفة من العمال مؤلفة من خمسة أو ستة أشخاص منهم أربعة بنائين أو قاطعى أحجار . وهم : « تتى » (Tety) و « حابى حرسا أف » (Hapy-her Sa ef) و « سنى نفر » (Seny Nefer) و « بشاو » (Beshaou) ، وقد كلفوا نحت المقبرة وصقل الجدران وكذلك الكاتبان « أى أم حتب » (Ii em Hetep) و « أموتون » وكانا يعملان فى تلوين الجدران والزينة ، وفضلا عن ذلك كان هناك حاملون لحمل المياه وعجانون للجص (المونة) . ويمكن الإنسان أن يذهب الى أن هذه الطائفة من العمال كانت تحت إدارة موظف يقوم بوضع التقارير . على أن المعلومات التى يستقيها من قطع الاستراكا هذه تكون ذا فائدة عظمى لو وضع عليها تواريخها بصفة كاملة ؛ ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن الكاتب كان يكتب التاريخ مبينا الفصل والشهر واليوم مغفلا ذكر السنة . ومن بين هذه القطع التى لها علاقة غير مباشرة بالصنف الأخير الذى ذكرناه قطعة تثير الضحك ويظهر أن كاتبها كان ميالا للتنكيت (ورقمها ٧٨) وقد

(١) الأرقام هنا تشير الى مقال الأثرى « هايس » .

جاء عليها : لقد حضرت إلى هذه المقبرة لأجل أن أفتش على الذين يعملون فى نحت الأحجار من جهــة ، وفى يدى شظية من الحجــر الصلب لأكتب عليها أسماءهم ، ولكن القطع التى تحت تصرفى عديدة جدا أكثر من ثمــار شجر البرسا .

ونعود بعد إلى الاستراكا المكتوب عليها بالخط الهيراطيقى فنجد بعضها تحتوى على نقوش دينية (١٣٢ — ١٤١) وكانت كتن تنقل منه المتون التى تنقش على جدران المقبرة كأنشودة الصل التى على الاستراكا (رقم ١٤٠) وقد ذكر «سنموت» فى عنوانها . أما البعض الآخر فكانت أدبية (١٤٢ — ١٥٢) وتتميز عن السالفة بأنها ليس لها غرض جنازى قط بل كانت مجرد قطع من الشظيات كتب عليها التلاميذ الذين كانوا يتلقون دروسهم على يد الكتاب المكلفين بتسيير العمل فى المقبرة ، كما كانت العادة المتبعة . وربما يعزى ذلك إلى كثرة قطع الاستراكا عند حفر مثل هذه المقبرة الضخمة ، إذ كان الكاتب ينتهز هذه الفرصة و يدعو تلاميذه لتلقى الدروس فى هذه الجهة . على أن هذه التمارين يمكن معرفتها مما تحتويه من كتابات رديئة وما عليها من محو و إثبات ومما هو جدير بالذكر هنا أن المتون المصرية الكلاسيكية أى متون العهد الإقطاعى الأول كانت هى النمــاذج التى يسير القوم على هديها فى عهد «تحتمس الثالث» كما كانت نماذج احتذاها كتاب عهد الرعامسة فى الأوساط العلمية وأهمها قصة سنوهيت (١٤٠) وذم الحرف (١٤٧ — ١٤٨) ، وتعاليم « أمنمحات الأول » (١٤٢ — ١٤٣) وعلى الرغم من أن هذه قليلة فإنه يجب علينا ألا نهملها فهى أصح نقلا وأجمل خطا بكثير من التى عثر عليها فيما بعد فى عهد الرعامسة (راجع W. C. HAYES, "Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mût (No. 71) at Thebes (The Metropolitan Museum Egyptian Expedition (Vol. XV.) New York. 1942. .

سن من :

وهو شقيق «سنموت» *السالف الذكر* ، غير أنه لم يكن واسع الشهرة مثل أخيه ومع ذلك كان يحمل ألقابا عظيمة ، فكان يلقب « الأمير الوراثى » ، وحامل خاتم ملك

الوجه البحرى، والمشرف المربى العظيم للابنة الملكية (راجع.Urk. IV. P. 48) .
أما فى قبره فى « جبانة شيخ عبد القرنه » فكان يحمل الألقاب التالية؛ الكاهن المطهر لمقبرة « أحمس الأول » ، ومربى زوج للملك » « نفرورع » ومربى زوج الملك «حتشبسوت» ومدير بيت بنت الملك (Urk. IV. P, 418) . وقد عثر على تمثال له فى مقبرته، وعليه لقب مدير البيت،ومربى الزوج الإلهية، ثم الأمير الوراثى والحاكم وكاهن « آمون » وأخيرا لقب الذى يقترب من شخص الإله (الفرعون) (راجع Davies, P. S. B. A, Vol. XXXV. P. 283. ff. Pl. LII, LIII) .

حبو سنب :

يحتمل أن « حبو سنب » هذا كان أكبر شخصية فى عهد « حتشبسوت » لأنه كان يحمل لقب الوزير ، غير أن « سنموت » قد غطى عليه بما كان له من حظوة لدى الملكة : فمن قبره « بجبانة شيخ عبد القرنة » نعرف أنه كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب ، والقاضى والكاهن الأول للإله « آمون » والمرتل الثالث للإله « آمون » والمرتل الثالث للإله « أمون » فى معبد الكرنك، ومدير كل الأشغال الملكية، والمشرف على كل كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى (Urk. IV. P. 487 - 489). وقد نحت محرابا للإله فى السلسلة الغربية وقد ذكر عليه ألقابه التى ذكرناها، وكذلك الألقاب التالية « القاضى الممدوح من إلهه المحلى ، وفم ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى والفم الذى يهدئ كل البلاد قاطبه (Ibid. 485.) . ولكن ألقابه التى تعد أهم مما سبق توجد على تمثال له من الجرانيت محفوظ الآن « بمتحف اللوفر وهى كما يأتى (راجع Urk. IV. P. 471 - 7.) .

رئيس مقاطعات الجنوب العظيم ، والكاهن الأعظم (سم) لمحراب « حت بنو » (أى محراب المقاطعة السابعة لمصر العليا، وعمدة المدينة ، والوزير المشرف على المعابد ...، والمشرف على كل وظائف بيت « امون » ،وحاسب أبقار «امون»

والسمير الوحيد، وفم ملك الوجه القبلي وأذنا ملك الوجه البحرى، والذى فى قلب الإله الطيب والكاهن الأول للإله « أمون » .

أما الدور الذى لعبه «حبو سنب» فى حملة بلاد «بنت» فقد تكلمنا عنه . و يحدثنا على تمثاله الذى فى متحف اللوفر عن النشاط الذى قام به هذا الوزير فى عهد الملكة «حتشبسوت» ومن قبلها «تحتمس الثانى» (راجع Breasted, A. R. II. § 389)

الملك الطيب «عاخبر رع» (تحتمس الثانى) ... ... ويقول : ولقد نصبنى لأقوم بالعمل فى مقبرته المنحوتة فى الصخر ، وذلك لسمو تصميماتى ، وقد عيننى سيدى الملك « تحتمس الثانى » رئيسا فى « الكرنك » فى بيت « آمون » فى كل ... ...

والنقوش التى على هذا التمثال مهشمة ، غير أنه يمكننا أن نفهم منها أن هذا الوزير قد كلف إقامة قربان جنازية للإله « آمون رع » على حساب الفرعون ، فكان مكلفا عمل باب عظيم مغشى بالذهب والفضة والنحاس الأسود ، على أن يكتب الاسم العظيم بالسام ؛ وكذلك قام بعمل محاريب من الأبانوس مغشاة بالذهب وموائد قربان عدة من الذهب والفضة واللازورد والأوانى والقلائد وأقام معبدا من الحجر الجيرى الأبيض يسمى « تحتمس الثانى » مقدس الآثار ... ...

ومما يجب التنويه عنه هنا أن ذكر « تحتمس الثانى » فى النقوش محض اختلاق ، وذلك لأن النقش كان فى الأصل للملكة « حتشبسوت » ولكنه محى فى عهد « تحتمس الثالث » ووضع مكانه اسم والده كما يشاهد ذلك فى كثير من الآثار ، وقد كان نصيب مقبرة « حبوسنب » فى « جبانة شيخ عبد القرنه » هو نفس نصيب مقبرتى « سنموت » . ولا يزال فيها بعض بقايا لمناظر ملونة توضح لنا بعض الصناعات والحرف ، وهى تدل على الفن الرفيع فى الصناعة ، كما يحدثنا « حبوسنب » نفسه فى نقوشه (راجع Porter and Moss, "Bibliography", I. P. 96,) .

ولا نزاع فى أن « حبوسنب » كان يعد أقوى شخصية فى حزب « حتشبسوت » ، لأنه فضلا عن كونه الوزير الأول والقابض على زمام

المـالية ، فإنه كان الكاهن الأكبر للإله « أمـون » والمشرف على كهنة الوجهين القبـلى والبحرى ، و بذلك نراه جمع فى شخصـه كل الوظائف الإدارية ووظائف الكهانة فى جميع البـلاد . والواقع أن هذه كانت خطوة لجمع كل طائفـة الكهنة تحت سـلطان الكاهن الأول للإله « أمون » : وهـذا دليل آخر على سيادة الإله « أمون » على كل الآلهة المصرية قاطبة .

حبـو :

وكان والد « حبوسنب » يدعى « حبو » وقـد أقام له ابنـه لوحة جنازية نعلم منها أنه كان يحمل الألقاب التالية : المرتل الثالث للإله « أمون » فى « الكرنك » والقاضى الذى يمدحه رب مدينتـه . وقد جاء على هـذه اللوحة كذلك ذكر اسم أخ « حبوسنب » و يدعى « سا » « أمون » وكان يلقب الخازن الأول المقدس لمـالية « أمون » راجع Urk. IV. P. 469 - 71 .

تحوتى المشرف على خزانة حتشبسوت :

وقد كان « تحوتى » أحد الذين ناصروا الملكة « حتشبسوت » بكل ما لديهم من قوة ؛ ولذلك فإن قبره قد حاق به من التخريب والتلف ما نال قبور كل من كان حول «حتشبسوت» ؛ غير أن التلف الذى أصاب قبره كان منصبا على اسم الملكة ، وما يتصل به من ألقاب . وقد خلف «تحوتى» هذا «إننى» فى الإشراف على بيتى الفضة ، و بيتى الذهب وهذه الوظيفة قد أهلته للإشراف على القيام بعمل عدة آثار من المعادن الكريمة فهو الذى أنجز عمل غطاءى مسلتى «حتشبسوت» العظيمتين ، وكذلك هو الذى أشرف بشخصه على كيل الذهب ووزنه ، والمعادن الثمينة الأخرى التى وردت من حملة الملكة إلى بلاد « بنت » ، وهذا العمل قد خلد له فى نقوش الدير البحرى ومناظره (Naville, "Deir el Bahari", Vol. III. P. 79.) .

ومنظر الدير البحرى قد رسم مزدوجا ، ففى أحد الرسمين يشاهد «تحوتى» الموظف يسجل الكيل للملكة ، والثانى يشاهد فيه الإله « تحوتى » يقوم بنفس العمل للإله

« امــون » ومن اللوحة التى فى قبره نعلم أنه كان يحمل الألقاب التاليـة : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والكاتب ، والمشرف على الخزانة ، والسمير الوحيد ، والمقرب الممتاز عند سـيد رب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، مدير المبانى ، والمشرف على بيتى الفضة ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على ثيران «أمون» وحامل خاتم مالية الملك (راجع Urk. IV. P. 420. ff.) .

ما أنجزه من الأعمال : يقول لقـد عملت بوصفى رئيسا مصدرا التعليمات ، وأرشـد الصناع فى عملهم عند بناء السفينة العظيمة (لأجل عيـد) بداية الفيضان (المسماة) « عظيمة فى حضرة آمون » وكانت موشـاة بالذهب من أحسن ما وجد فى الصحراء وقد أضاءت الأرض بأشـعتها (وكذلك أردت عمـل) محراب لأفق الإله وكذلك عرشـه العظيم من السام (وأدرت العمل فى) « زسر زسرو » (اسم معبـد الدير البحرى) وهو معبد عشرات آلاف السنين (بوابتـه العظيمة مصنوعة من النحاس الأسـود وأشكالها مرصعة بالسام) وكذلك المعبد المسمى « مضيئا على الأفق » عرش آمون العظيم الذى هو أفقه فى الغرب، وكل أبوابه من خشب الأرز الحقيقى المغشى بالبرنز ومعبد أمون الذى هو أفقه الدائم الأبدى ، ورقعتـه موشاة بالذهب والفضـة حتى أن جمالها كان مثل أفق السماء ، وكذلك أشرف على عمـل محراب عظيم من أبنـوس بلاد النـوبة ، والسلم الذى تحتـه عال ومتسع من المـرمر الحـر من محاجر حتشبسوت و (عمـل) جوسق للإله موشى بالذهب والفضـة حتى أنه ينير وجـوه الناظرين بلألائه ، وكذلك أشرفت على عمل الأبواب العظيمة العاليـة الواسعة فى معبـد الكرنك وقد غشيت بالنحاس والبرنز وأشكاله المرصعـة كانت من السام . وعمـل قلائد فاخرة وتعاويذ كبيرة (لتمثال الآلهـة) من السام ، وكل الأحجار الغالية وعمـل المسلتين العظيمتين اللتين يبلغ طـولها ١٠٨ اذرع (ربما يقصد أن طـول كل واحدة منها ٥٤ ذراعا) موشاتين بالسام ، وهما اللتان ملأتا الأرضين ببهائهما (وأشرفت على عمل) بوابة فاخرة اسمها «ذعر أمون» وصنعت من النحاس من قطعة واحدة وعلى الجهـة المقابلة أيضا ، وعلى عمل موائد قربان كثيرة للإله «آمون فى الكرنك» مصنوعة من السام الذى لا يحصى ، ومن كل حجـر ثمين ، وعلى عمل عرش عظيم ومحراب مصنوع من الجرانيت الذى دعامته مثل عمد السماء وصنعه أبدى ، والآن قـد أهديت كل طرائف البلدان وجزيتها وأحسن ما فى تحف أرض بنت للإله « آمـون » رب الكرنك ، وكنت أنا الذى عملت قوائمها لأنى كنت ممتازا فى نظر الفرعون ، وقد عرف أنى إنسان يفعل ما يقول كتوم الأسرار ، وقد نصبتنى الملكة مرشدا فى القصر عالمة بأنى عالم فى عملى . وقد أمرتنى جلالتها . أن أكيل السام من أحسن ما تنتجه الصحراء فى وسط قاعة العمد الخاصة بالأعياد وقد كلته بمكيال «حقت»

لأجل الإله «امون» فى البلاد كلها وقد بلغ حسابه ٨٨١/٢ «حقت» (أى نحو ١٣٣/٤ بوشل) ... وكل هـذه الأشياء حدثت وليس فيها كذب . وكنت يقظا وكان لى ممتازا فى رأى مليكى حتى أنه أصبح فى استطاعتى أن أرتاح (بعد الموت) فى الصحراء العالية الخاصة بالمنعمين الذين فى الجبانة ، وحتى تبقى ذكراى على الأرض وحتى يعيش روحى مع (أوزير) رب الأبدية وحتى لا يصدها الحراس الذين يحرسون أبواب العالم السفلى ، وحتى تستطيع أن تخرج عند مناجاة أولئك الذين يضعون القرابين أمام قبرى فى الجبانة ، وحتى يغزر طعامها ، وحتى يكون عندها الماء وحتى تنهل ماء النهر الحى» .

والنقوش التى على جدران معبد «الدير البحرى» التى تصور لنا نشاط «تحوتى» يوجد ما يؤكد صحة ما جاء فيها من الوثائق التى تركها لنا على جدران قبره، إذ يقول (راجع : Breasted, A. R. II. §. 377.) تأمل ! إن كل الطرائف ، وكل الجزية من الأراضى كلها وأحسن عجائب بلاد «بنت» قد قدمت «لآمون» رب «الكرنك» لحياة وسعادة وصحة الملكة «ماعت كارع» (حتشبسوت) [معطاة الحياة والثبات والصحة] ، وإنه (أى آمون) قد منحها الأرضين لأنه يعلم أنه (أى الملك) كان سيقدمها (الطرائف والجزية) له . والآن كنت أنا الذى حسبتها ، وذلك لأنى كنت ممتازا جدا فى قلبه ... وقد بصر بأنى إنسان أعلم ما يقال ، مخفيا كلامى فيما يخص قصره ، وقد نصبنى مديرا للقصر، عالما بأنى كنت مدربا فى العمل ، ولقد حافظت (؟) على بيتى الفضة ، وكل الأحجار الثمينة فى معبد «الكرنك» وهى (الخزانة) التى كانت مفعمة بالجزية حتى سقفها ، ولم يحدث مثل ذلك فى زمن الأجداد وقد أمرنى جلالته أن أضع ... (ميزانا ؟) من السام من أحسن ما تنتجه الأرض العالية (أى جبال النوبة) فى داخل قاعة الأعياد؛ التى تكال فيها (أى الجزية) بالحقت ، لأجل «آمون» أمام وجه الأرض جميعا .

قائمة بذلك : ثمان وثمانون ونصف حقت من السام (أى ٣/٤ ١١ بوشل) أى ما يساوى : اثنين وتسعين وخمسمائة وثمانية آلاف دبن ونصف ، لأجل حياة وسعادة وصحة الملك «ماعت كارع» (حتشبسوت) معطاة الحياة مخلدة ، ولقد تسلمت رغفانا من التى تقدم للإله «آمون رع» رب «الكرنك» . وكل هذه الأشياء قد حدثت لى حقا ، وليس فيها مين ولا كذب فقد فعلتها . ولقد كنت يقظا وكان قلبى مخلصا لسيدى حتى يمكننى أن آوى إلى الأرض العالية للنعمين الذين فى الجبانة (راجع Urk.IV.P.426) .

أهمية هذه الوثيقة : ولا نزاع فى أنه من الأشياء الهامة تاريخيا أن يجد الإنسان وثائق ملكية رسمية ووثائق خاصة يؤكد بعضها بعضا . على أن هذه ليست الحالة الوحيدة ، فسنرى وثائق من هذا النوع من عهد «تحتمس الثالث» . على

أن ذلك يظهر لنا من جهة أخرى أن جزءا كبيرا من ترجمة حياة عظماء القوم يمكن الاعتماد عليه إلى حدّ ما ، على الرغم مما يحتويه من أسلوب منمق وألفاظ ضخمة .

امنحوتب المدير العظيم للبيت : ومن كبار الموظفين الذين كانوا يعملون على تحقيق أطماع « حتشبسوت » ومقاصدها « امنحتب » الذى نحت لنفسه قبرا فى « جبانة شيخ عبد القرنه » رقم (٧٣) . وقدظل هذا القبر لا يعرف اسم صاحبه حتى عهد قريب ، وذلك لأن رجلل ، « تحتمس الثالث » كانوا قد محوا اسمه من كل أجزاء المقبرة على أثر وفاة « حتشبسوت» وتولى « تحتمس » العرش . غير أنه عمل مجهود جديد فى رسم المقبرة رقم ٧٣ ، وقد عرف فى النهاية أن صاحبها هو « امنحتب » (راجع : Porter & Moss, "Bibliography". I, P. 100.) وألقابه كما يأتى : — الأمير الوراثى ، والسمير الذى يقترب من أعضاء الإله (أى المخلص له) ورئيس كل البلاد ، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين ومدير كل الأعمال الخاصة بالمسلتين العظيمتين لبيت « آمون » ومدير البيت العظيم وشجاع الفرعون ، والذى يهدئ بفمه كل الأرض قاطبة ، وعظيم العظماء فى كل الأرض جميعا ، ومدير البيت العظيم للفرعون ، والمشرف على ثيران « آمون » وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد (Urk. IV. P. 456 - 62) .

مناظر قبره الباقية : ولا يزال على جدران قبره عدة مناظر تشير إلى علاقة « امنحتب » بالملكة ، ومناظر أخرى من حياته اليومية ، منها منظر يشاهد فيه مقدما للملكة قلادتين ثمينتين ، كما يرى خلف « امنحتب » قطع فنية ثمينة منها عمد من الأبنوس ومموهة بالذهب ، ومرصعة باللازورد ، وعربات عظيمة مصنوعة من خشب السنط المجلوب من بلاد « كوش » مصفحة بالذهب ، وأقواس ، وكنانات من الفضة والذهب (؟) وتمثال للملكة فى صورة « بوالهول » من الحجر الأسود ، وتمثال للإله « آمون » من المرمر . وكذلك نشاهد المتوفى أمام مسلتين عظيمتين ، وقد جاء فى النقوش أنه هو : الأمير الوراثى الذى يدير العمل ،

وقــد أقام هاتين المسلتين العظيمتين فى بيت « آمــون » . (Urk. IV. P. 461.)
ويرى كذلك منظر يتسلم فيه المتوفى أزهارا ، وفى آخر يصطاد السمك والطيور .

دوانحج :

تقع مقبرة هذا العظيم فى « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ١٢٥) . والظاهر أنه لم يحــق به غضب المخربين وسخطهم فى عهد « تحتمس الثالث » . كما أصاب قبور غيره من موظفى « حتشبسوت » إذ قد بقى لنا بعض مناظر طريفة . وتدل ألقــابه على أنه كان من أصحاب الحـــظوة العظيمة إذ كان يتقلد الوظائف التالية (راجع .Urk. IV. P. 451) الحاجب الأول ، والحاجب الأول لكلتا الأرضين ، ومدير أعمال الفرعون ، والمشرف على كل الصناعات الملكية ، والمشرف على إدارة « آمون والمشرف على مخازن غلال الآلهــة الطيبة الخ » ، كما كان يحمــل الألقاب الفخرية الآتية : « الأمير الوراثى ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الوحيد .

ومن أهم المناظر التى تشــاهد فى مزار قــبره منظر الصناع وهم يقيمون عمود بوابة وكذلك وهم يضعون بابا وهميا وصندوقا كما تدل على ذلك النقوش ، وهذه الأشياء كانت تعمل للإله « آمون » (راجع .Wreszinski, "Atlas", Pl. 341 & Pl. 342; Urk. IV. P. 453 - 4.) .

نب أمون كاتب الحســابات الملكيــة فى حضرة والفرعون :

لدينا موظفان من عهد « حتشبسوت » بهذا الاسم ، وأهما « نب آمون » كاتب الحسابات الملكية فى حضرة الفرعون ، والمشرف على الغلال . وقد اغتصب قبره فى عهد الأسرة العشرين ، ومن أهم المناظر التى بقيت لنا فيه منظر تمثالين للفرعون «امنحتب الأوّل» والملكة « نفرتارى » (راجع .Prisse, "l'Art Egyptien", I[1]) .
وقبره فى « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٦٥) (راجع .Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 65) .

نب آمون الثانى كاتب حساب الحبوب :

وقبره فى " الخوخة " على الضفة اليمنى من النيل « بطيبة » ، ولم تنشر مناظره بعد ويلقب صاحبه " بالكاتب حاسب الحبوب فى مخازن القربان المقدّسة للإله « آمون » (راجع Ibid No 179) .

آمون امحب ويسمى محو أيضا : وجد ضمن التماثيل التى كشف عنها فى خبيئة « الكرنك » تمثال لموظف يدعى « آمون ام حب » وهو الآن بالمتحف المصرى (راجع Legrain, "Statues", No 42112) .

ويحمل الألقاب التالية : خادم الكاهن الأوّل للإله « آمون » (حبوسنب) ومدير بيت الكاهن الأوّل : وذلك يدل على عظم مكانة الكاهن الأكبر للإله « آمون » فقد كان له موظفون خاصون به ، كما كان للفرعون .

بو ام رع : كانت مقبرة « بو ام رع » من أهم المقابر التى كشف عنها فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . وقد عمل فى عهد كل من « حتشبسوت » والفرعون « تحتمس الثالث » وأهم وظيفة كان يشغلها فى كلا العهدين هى وظيفة مهندس بناء ، وإن كان لا يحمل هذا اللقب صراحة . وقد أبقى عليه الفرعون « تحتمس الثالث » لأنه كان أخاه من الرضاعة . فقد كانت « نفراعح » والدة « بو ام رع » مرضعة للفرعون « تحتمس الثالث » أما والده « بويا » فقد كان يحمل لقب « الكاتب الملكى » وكذلك كان يلقب بالقاضى أما ألقاب « بو ام رع » الأخرى فهى : الأمير الوراثى ، والفم الذى يهدئ كل الأرض قاطبة ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والكاهن الثانى للإله « امون » والمقرب من الفرعون فى كل الأشغال ، والمشرف على الثيران ، والمشرف على حقول « امون » والد الإله ، ومحبوبه ، (راجع ,Urk. IV. P. 521) .

وقد كشف لهذا العظيم عن تمثال فى معبد الإله « امون » « بالكرنك » وقد جاء عليه نقوش عن بعض ما كلفته الإشراف على إنجازه الملكة « حتشبسوت »

وهاك النص حرفيا الأمير الوراثى ، والسيد ، ومهدئ الأرض جميعها ، والذى يملأ قلب الملك فى كل عمل ، والذى ينادى بكل عمل فاخر ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والكاهن الثانى « لآمون » « بو ام رع » يقول : لقد فتشت عن محراب عظيم من الأبنوس المغشى بالسام من قبل ملكة الوجه القبلى والوجه البحرى ، « ماعت كارع » (حتشبسوت) لأمها « موت » سيدة « أشرو » وأشرفت على إقامة باب مصنوع من الحجر الجيرى الأبيض المستخرج من « عن » بوساطة ملكة الوجه القبلى والوجه البحرى « ماعت كارع » لأمها « موت » سيدة « إشرو » وقد أنفذت مقبرة « بو ام رع » المقامة فى « الخوخة » (بالعساسيف رقم ٣٩) من عبث رجال «تحتمس» وذلك لاتصاله به كما ذكرنا .

ويشمل هـذا القبر عدة مناظر تمثل لنـا نواحى من حياته الحكومية ، ونشاطه ، وقد تحدثنا عن بعضها مثل منظر المسلتين ، ومن أهم المناظر منظر « بو ام رع » وهو يستقبل وفود رؤساء البلاد الأجنبية ، وهم يحملون الجزية إلى مصر ، وكاتبه أمامه يحصى ما يقدمونه ، فنشاهد فوق صورة « بو ام رع » تسلم جزية محصول مستنقعات آسيا وطريق « حور » (وأنف حور) وجزية الأراضى الجنوبية ، والواحات الشمالية ، مقـدمة للملك لمعبـد « آمون » رب تيجان الأرضين والمشرف على الكرنك على يد الأمير الوراثى ، وحامـل خاتم ملك الوجه البحـرى ، والسمير الوحيـد الحب ... ... المرتل الأول ... « بو ام رع » صادق القول » .

والمنظر قسم ثلاثة صـفوف بعضها فوق بعض ، ففى الصف الأعلى نشـاهد الأسيويين يحملون جزيتهم ، وقد نقش فوقهم : جزية نهاية بلاد آسـيا ، والصف الثانى يرى فيه أناس من الشرق الأقصى للدلتا على حدود آسيا وقد نقش فوقهم : «تسجيل جزية «وتت حور» ثم نشاهد أحد أولئك الرجال « رئيس البساتين للقربان المقدس للاله آمون » وبجانبه نجد مائدتين محملتين بالقرابين (راجع .Urk. IV. P. 523) : أما الصف الأسفل فيشاهد فيه رجال من الواحات وقد كتب عنهم : تسجيل جزية إقليم الواحات رؤساء الواحات الجنوبية والشمالية . وفى إحدى المناظر نراه يراقب كيل غنائم الحرب التى كسبها « تحتمس الثالث » : مراقبة كيل الأكوام العظيمة من البخور (صمغ عنتى) ، وسن الفيل والأبنوس والسام من بلاد « عمـو » وكل نباتات حلوة ... ... والأسرى الأحياء الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته » .

كما نشاهده يفتش عن الآثار والأشياء الثمينة التى أهداها الفرعون لمعبد « آمون » : التفتيش عن الآثار العظيمة الفاخرة التى عملها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين «منخ رع» لولده « آمون » فى «الكرنك» من الفضة والذهب ، وكل الأحجار الكريمة الغالية بوساطة الأمير الوراثى ، محبوب الإله « بو ام رع » .

وفى منظر آخر نرى توريد الذهب إلى خزائن الإله «آمون» (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 149) حيث نشاهد كاتب خزائن الإله الأول والثانى يزنان ستة وثلاثين ألفا واثنين وتسعين وستمائة دبن (أى مايساوى ٣٣٣٩ كيلوجراما من الذهب) ويقول الذين أحضروه وهم واقفون فى خضوع : « إن الجبال قد فتحت أيديها بالذهب لأجل آثار « آمون » لحياة وصحة وعافية الفرعون » .

وفى أسفل هذا المنظر منظر آخر يشاهد فيه كيل الذهب أمام كاتب خزانة الإله الأول والثانى وفيه ممثلو الدول التى كانت تخضع أو تصادق مصر وهم يقدمون الذهب الذى كان يكال بمكيال ، وبلغ عدد كيله سبعة وثمانين ونصف مكيال . وهؤلاء يمثلون : سوريا ، وخيتا ، وكريت ، ولوبيا . وكذلك نشاهد مناظر صنع العربات والسروج ، والأسلحة ، والنجارة ، وصناعة الحدادة ، والمجوهرات والمحاريب ، وصناعة الأوانى (راجع Ibid Pl. 151-4.) .

نحسى : لقد ذكرنا فيما سبق أن « نحسى » هذا قد لعب دورا هاما فى الحمله التى أرسلتها الملكة «حتشبسوت» إلى بلاد «بنت» وقد كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى أو المشرف على الخاتم ، مما يدل على أن حامل هذا اللقب كان يوكل إليه قيادة الرحلات كما ذكر ذلك فى (الجزء الثالث) هذا فضلا عن أنه كان يحمل لقب الشرف ، « الأمير الوراثى » . وفى المنظر الذى يمثل عودة الحملة سالمة نشاهد أن « نحسى » كان أحد ثلاثة العظماء الذين ظهروا أمام « حتشبسوت » وهى على عرشها (راجع Naville, "Deir el Bahari", Vol. III. P. 85-6.) وقد قيل عن « نحسى » : تأمل ! « لقد صدر الأمر من صاحبة الجلالة إلى الحاكم الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد ، والمشرف على خاتم «نحسى» أن يسير بالجيش إلى « بنت » .

وهذا مما يفسر لنا أهمية الدور الذى لعبه فى هذه الحملة ، وفى محراب منحوت من الصخر فى « السلسلة الغربية » قد ذكر لقبه « المشرف على الختم » .

ومما يلحظ أن إسمه قد محى من النقوش التى على معبد « الدير البحرى » مثله فى ذلك كمثل «سنموت» وغيره، ولذلك يجب أن نفهم أنه كان فى خدمة «تحتمس» عند ما كان مشتركا مع « حتشبسوت » فى الملك (راجع Urk. IV. P. 419) .

تحتمس الثالث - انفراده بالحكم



مقـــدمة : لقد كان موضوع الخلافة على عرش مصر فى أسرة التحامسة مصدر نقاش عنيف ومجادلات طويلة بين علماء الآثار ، وذلك لصمت الوثائق الأثرية عن الإدلاء بتصريح واضح شاف فى هـــذه المسألة ، فقد تناول الأســتاذ « زيتة » هــذا الموضوع مرتين وعارضه فى رأيه علماء آخرون ، وبقيت الآراء والاستنباطات لحل هذا الموضوع متضاربة متناقضة الى أن كتب أخيرا الأستاذ « إجرتون » بحثــه المشهور بعد دراسة عميقة ردا على الأستاذ « زيتة » عن مقاله الذى عنوانه « مسألة حتشبسوت مرة أخرى » تحت عنوان «خلافة التحامسة»[1] . وقد أدلى بحجج قوية تجعلنا نعتقد أن الموضوع قــد حل على وجه تقريبى الى أن تطالعنا الآثار بمـا يدحضه أو يؤيده . ولذلك أصبح الرأى السائد كما ذكرت من قبل أن « تحتمس الأول » أعقبــه على عرش مصر ابنــه « تحتمس الثـانى » الذى تزوج من أخته من أبيــه المسماة « حتشبسوت » وبعــد وفاته خلفه ابنه « تحتمس الثالث » الذى رزقه من زوجة ثانوية تدعى « إزيس » وقــد أصبح ملك مصر رسميا وهو لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم بعد، وقد نصبت « حتشبسوت » نفسها وصية عليــه وعلى ابنتها « نفرو رع » التى كانت كذلك لا تزال قاصرة ، غير

(١) راجع : W. F. Egerton, "The Thutmosid Succession".



(٢٨) إزيس والدة تحتمس الثالث

أنها لم تلبث أن أعلنت نفسها ملكة شرعية على البلاد كما فصلنا فيما سبق . وقد بقى « تحتمس الثالث » منزويا بعيدا عن الحكم إلى أن ماتت « حتشبسوت » ، ولا نعلم إذا كانت هذه الملكة العظيمة قد ماتت حتف أنفها أو من جراء ثورة قام بها حزب كان يناصر الفرعون الفتى ليقضى على تلك المرأة التى كانت شوكة فى جنب والده وشجا فى حلقه . وعلى أية حال فإن « تحتمس الثالث » عند ما اختفت هذه المرأة من مسرح الحياة المصرية ، قبض على مقاليد الأمور وأخذ ينكل بأعدائه وهم أولئك الذين كانوا فى ركاب « حتشبسوت » أو عاملين فى بلاطها . ثم أخذ بعد ذلك فى القضاء على كل آثارها بصورة مروعة يشهد بشناعتها وعنفها ما أحدثه من التدمير والتهشيم فى الدير البحرى و بخاصة فى تماثيلها وطغراءاتها . هذا فضلا عما ألحقه بسائر آثارها فى كل أنحاء البلاد .

ولم يعترف « تحتمس الثالث » بحكم هذه الملكة بل جعل تواريخه التى تدون بها آثاره تبتدئ بالسنة الأولى التى نصب فيها فرعونا لمصر عندما أعلنه الإله «رع» ووالده « تحتمس الثانى » ملكا شرعيا على عرش مصر (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق م) .

قصة تتويج تحتمس الثالث : وقد نقش « تحتمس الثالث » منظر تتويجه على جدران معبد الكرنك فى خفل رائع مثل بوصف تمثيلى تتضاءل أمامه تلك القصص الخيالية التى نقرؤها أو نشاهدها على الشاشة البيضاء . وقبل أن نتكلم عن أعمال هذا الملك الفذ سنضع أمام القارئ ترجمة تلك النقوش العجيبة التى برر بها « تحتمس الثالث » وراثته لعرش الملك أمام شعبه الذى كان يقدسه .

وهذه النقوش ما تزال موجودة حتى الآن على الجدار الجنوبى الخارجى من المبانى التى أقامها فى معبد الإله « أمون » بالكرنك قبالة سلسلة الحجرات الجنوبية التى كانت تقام فيها الشعائر الدينية « لتحتمس الثالث » و « أمنحتب الأول » ويحتمل أنه نقشها فى العام الثانى والأربعين من حكمه بعد أن عاد مظفرا

من آخر حملة سار على رأسها إلى بلاد آسيا[(1)] . وهاك ترجمة النص على ما فيه من تهشيم .

السنة الثانية والأربعون ، عقد الملك جلسة ... حضر السمار ... أمر ملكى لأصدقاء الفرعون ... إنه الإله « أمون » والدى وأنا ابنه حينما كنت لا أزال فرخا فى عشه ، ولقد أحبنى حقا من لبه (وخصنى بالملك) وليس فى ذلك مبالغة ولا مين ، وكنت وقتئذ صبيا ، إذ كنت لا أزال طفلا حدثا فى معبده ولم أكن قد أصبحت بعد كاهنا ... فى جانب جلالتى ، وكنت فى هيئة الكاهن الذى يلقب عمود أمه أى كنت مثل الإله « حور » الطفل فى بلدة « خميس » [وتقع « خميس » فى المكان المعروف الآن « كوم الخبيزة » فى شمال الدلتا] وقد كنت واقفا فى القاعة ذات العمد البردية الشكل الواقعة فى الجهة الشمالية من المعبد (وهذه القاعة قد بناها « تحتمس الأول » بين البوابتين الرابعة والخامسة) . وعندئذ خرج الإله « أمون » من بهاء أفقه[(2)] مثل إله الشمس وكانت السماء والأرض فى عيد لجمال طلعته وعندئذ أتى بمعجزة عظيمة فقد كانت أشعته فى أعين الشعب كأنه « حور » إله الشمس عندما يشرق فى الأفق ، وعندئذ أخذ الشعب يبتهل إليه بالدعاء رافعين أيديهم...ثم قرب له جلالته (يقصد الملك الحاكم وقتئذ) البخور على النار وقدم له قربانا عظيمة من الثيران الكبيرة والصغيرة ومن صيد الصحراء ... ثم طاف حول القاعة ذات العمد البردية الشكل مارا بكلا جانبيها ولم يكن يدور فى خلد الناس الذين شاهدوا عمل الإله هذا أنه يبحث عن جلالتى فى كل مكان فى القاعة ، ولكنه عرفنى عندما كنت واقفا ... وعندئذ انبطحت على بطنى ساجدا أمامه فعرفنى ثانية وأنا على الأرض ثم انحنيت أمامه ... فوقفنى أمام جلالته ثم جعلنى أقف فى مكان السيد (وهو مكان خاص فى المعبد لا يدخله إلا الملك) ... وتعجب منى ... وإن ما أقوله ليس ببهتان وكان ذلك ... على مرأى من الناس ، وقد حفظ سرا فى قلوب الآلهة الذين يعرفون هذه ... ولم يكن هناك ما يدل عليها ... وفتح لى أبواب السماء وفتح لى بوابات الأفق (السماء والأفق يدلان على مسكن الإله فى المعبد وهو قدس الأقداس الذى لا يدخله أحد إلا الملك) وطرت إلى السماء بوصفى صقرا إلهيا لأطلع على سره الذى فى السماء ودعوت لجلالته ... ورأيت المخلوقات سكان الأفق فى طريقهم السرى فى السماء وأجلسنى « رع » نفسه وزينت بتيجانه التى كانت على رأسه وصله الثريد الذى كان على جبينه... ثم حليت بكل فضائله وأعانى كل علية الآلهة ثم ... « حور » عندما يقدم بشخصه نحو معبد والده « آمون رع » . وكذلك حليت بشرف الآلهة ... وألبسنى تيجانى ونقش لى ألقابى وثبت صقرى على البوابة (شعار الملك)

---

(١) راجع : Urkunden IV, P. 155.

(٢) أى فى احتفال كان يحمل فيه تمثال الإله « أمون » فى سفينته المقدسة على الأعناق .

وصيرنى مظفـرا مثل الثـور المنتصر وجعلنى أشرق فى طيبـة بوصفى « حور الثـور المظفر » الذى يضىء فى « طيبـة » وجعلنى أتوج بتاج السيدتين (العقاب والصل وهما رمزا الوجه القبلى والبحرى) وبارك مملكتى بوصفها مملكة « رع » فى السماء وباسمى هـذا صاحب السيدتين (أى مملكة مباركة مثل « رع » فى السماء) وقد صورنى صقرا من الذهب ومنحنى قـوته وشدة بأسـه وكنت بهيا بتيجانى هذه وباسمى هذا « حور الذهبى » (أى القوى صاحب البأس الفخم التيجان) ، وقد جعلنى أشرق بوصفى ملكا على الوجه القبلى والوجه البحرى (منخبرع) . وإنى ابنه الذى خرج كريم الولادة مثل الإله صاحب « حسوت » (أى « تحوت » إله العلم) ، وإنه يضم كل صـورى . بوصفى ابن الشمس « تحتمس سما خبر » له الحيـاة أبد الآبدين وقد جعل كل الأراضى الأجنبيـة تأتى خاضعـة لقوة جلالتى لأن الفزع منى كان فى قلوب قبائل الأقواس التسعة وكل البـلاد وضعت تحت موطىء قدمى ، وكذلك جعل النصر فى ساعدى وبذلك أمد حدود مصر .

وقد فعل ذلك والدى « آمون » لأن حبى كان عظيما من لدنه ، وكذلك فرح بى كثيرا أعظم من فرحه بأى ملك آخر وجد على الأرض منذ خلقت . وإنى ابنه محبوب جلالته وما ترغب فيه نفسى ينفذ .

ومما سبق نعلم أن «تحتمس الثالث» أراد أن يقابل أقصوصة تولى حتشبسوت عرش الملك بمثلها ويثبت للعالم أن الإله ووالده هما اللذان وضعاه على عرش مصر وأن ما فعلته « حتشبسوت » كان اغتصابا .

الملك الذى كان يحكم عند تولية تحتمس الثالث عرش المـلك :

على أن العقدة التى لم تحل بعد فى هذا المتن هى أننا لم نقف بعد على شخصية الملك الذى كان يحكم البلاد وقتئذ، هذا فضلا على أننا لم نعرف ماذا وقع من الأحداث بعـد هذا المنظر ، لأن النقوش مع الأسف وجدت مهشمة عند اسم الملك الذى حضر هذا الحفل لأن « تحتمس الثالث » لابد كان قد ذكر اسمه وهو يقص علينا قصته الخارقة للعادة من أجل ذلك سنضطر هنا إلى الاستنباط مما بقى لنا من الآثار، فعلى حسب نقوش « إننى » نعلم أن « تحتمس الثالث » تولى العرش بعـد وفاة « تحتمس الثانى » ، غير أن بعض المؤرخين يعزو تولية « تحتمس الثـالث » إلى مؤامرة قام بها كهنة معبد « أمون » وعلى رأسهم الكاهن الأعظم . على أن وقائع

الأحوال وتقاليد وراثة العرش فى تلك الفترة لاتشعر بأية مؤامرة ظاهرة إذ نقرأ فى النقوش سرد حوادث الاحتفال الرسمى الذى انتخب فيه الفرعون الذى كان على عرش الملك فى « طيبة » وقتئذ وارثه من بعده ولكن بصورة تمثيلية تدعو إلى العجب مما جعلها من المعجزات . وهذا الفرعون الذى انتخب هو « تحتمس الثالث » . حقا إن تدخل الإله أمون المباشر فى انتخاب الفرعون قد يكون فيه ما يشوش فكر القارئ ويجعله يظن أن ذلك كله كان حديث خرافة لأنه خارق للمألوف . ولكن لم يكن فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو العجب عند المصرى القديم بل قد لا يكون فيه غرابة للقارئ الحديث إذا وقف على الدور الهام الذى كان يلعبه الإله أو بعبارة أخرى الكهنة فى حكم البلاد فى تلك الفترة ؛ أليس هو الإله الذى كان يعتبر والد الفرعون وأن هذا الادعاء كان يعلن ويعرف فى كل العالم أجمع ولدينا قصة تولية « حتشبسوت » التى دونتها على جدران معبدها بالدير البحرى شاهد عدل . ولقد قلدها فى ذلك فيما بعد « تحتمس الثالث » فى معبد الاقصر ثم « الاسكندر الأكبر » ثم يوليوس قيصر .

وفى كثير من الأحوال عندما كانت تحتم الظروف كان لابد قبل التتويج من عمل انتخاب للملك من بين أعضاء الأسرة المختلفين إذا لم يعقب الفرعون ولدا يخلفه على العرش من دم ملكى طاهر . وليس لدينا معلومات أكيدة عن كيفية الاحتفال بهذا الانتخاب إلا من عصور متأخرة .

وصف الاحتفال بتتويج تحتمس : إن نقوش تولية «تحتمس الثالث» تضع أمامنا لأول مرة المناظر التى كانت متبعة بعد التتويج فى « طيبة » فى خلال النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولما كانت النقوش التى سردناها هنا ليست واضحة فقد آثرنا أن نستعرضها هنا بصورة جلية : ذلك أنه كان يحدد يوم لتتويج الفرعون مقدما ، وعند حلول هذا اليوم كان الكهنة يضعون الفرد الذى سيقع عليه اختيار الإله الأعظم « أمون » فى قاعة المعبد

العظمى ثم يخرج بعد ذلك الإله من محرابه فى موكب محمولا على الأعناق فى سفينته الإلهية ثم يتقبل التضحية المقدسة التى كانت تعد لمثل هـذا الاحتفال العظيم ، ثم يحمل بعد ذلك الإله على الأعناق ويطوف فى أركان القاعة باحثا عن ابنه الذى سيوليه العرش وعندما يصل إلى المكان الذى يقف فيه هذا المحظوظ يوحى إليـه فيقدمه له الملك الجالس على العرش فعلا وفى العادة يكون أباه، ثم يملى عليـه الإله ألقاب التتويج الرسمية التى سيحملها مدة حكمه . وهذا هو ما حدث بالضبط عند تتويج « تحتمس الثالث » والواقع أن نغمة هذه النقوش كانت لا تشعر بأى شىء مستغرب فى نظر المصرى بل كان كل شىء فيها يجرى عاديا .

وعلى أية حال لم نفهم منها أن هناك روح ثورة، بل كان كل ما حدث لا يخرج عن حد التقاليد التى كان يرتكز عليها نظام الحكم فى مصر وأعنى بذلك تدخل الإله المباشر فى كل ما يتصل بالحياة السياسية فى البلاد، وبخاصة فى كل أطوار الفرعون وكان لزاما على سلف « تحتمس الثالث » أن يشترك فى توليته على العرش كما فعل « تحتمس الأول » عندما ولى « حتشبسوت » أريكة ملكه إذا صدقنا ما نقشته فى أقصوصتها العريضة وكما فعل « رعمسيس الثانى» مع ابنـه « سيتى الأول » كما سيأتى بعد .

سن تحتمس الثالث عند توليه العرش وتربيته الأولى : غـير أنه فى موضوع تولية « تحتمس الثالث » يعترضنا سؤال جوهرى لابد من الإجابة عليـه وهو كم كان عمر «تحتمس الثالث» عندما وقع اختيار الإله « أمون» عليه وعندما انتزعه من أحضان الكهنة فى المعبد لتوليته عرش الملك؟ وقد ظن بعض المؤرخين أن « تحتمس الثالث » كان قبل هذا الحادث قد تزوج من أختـه « نفرورع » بنت « حتشبسوت » وأخته من أبيه، بيد أن الوثائق التاريخية لم تحدثنا عن هذا الزواج . والألفاظ التى استعملت فى المتون المصرية فى وصف « تحتمس الثالث» فى هذه الآونة تقطع بأنه كان لا يزال صبيا لم يبلغ الحلم بعد أن كان يطلق عليه

فى اللغة المصرية لفظة «أنوب» ومعناها الصبى الذى لا يزال قاصرا، هذا فضلا من أن والده كان قد وضعه بين أيدى رجال الدين فى معبد "أمون" لتنشئته وتربيته بين أحضان العلم والدين وليحبب إليه الكهنة الذين كان فى أيديهم مقدار عظيم من السلطة والقوة ، هذا فضلا عن أن والده كان يشعر بأنه هو الذى سيخلفه على عرش الملك، وكان « تحتمس » وقت توليته العرش لم يبلغ سنّ الرجال بين رجال الدين، بل كما ذكرنا كان يشغل وظيفة « الطفل حور » أو « عمود أمه » . ومن ذلك نعلم أنه كان طفلا حدثا أوحى إليه تمثال الإله « أمون » بأنه هو الذى سيتربع على سدة الملك . وتدل كل الشواهد على أنه لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره وكان هذا الاختيار بطبيعة الحال آتيا عن طيب خاطر من الفرعون الذى كان فى قبضته مقاليد الأمور فى البلاد وقتئذ .

والآن بقى علينا أن نثبت على وجه التأكيد اسم الفرعون الذى كان قد أقيم هذا الحفل فى حضرته وقد جاء فى نقوش «إننى» أنه عندما صعد «تحتمس الثانى» إلى السماء ولحق بالآلهة تولى مكانه ابنه « تحتمس الثالث » بوصفه ملكا على الأرضين وحكم على عرش من أنجبه وأخذت أخته « حتشبسوت » (أخت تحتمس الثانى) فى يدها إدارة حكومة البلاد ومن ثم نعلم أن « تحتمس الثالث » بدأ حكمه تحت وصاية « حتشبسوت » مدة ثم استأثرت هى بالملك فيما بعد كما شرحنا ذلك من قبل إلى أن ماتت وخلاله الجو، فنراه يتسلم مقاليد الأمور فى يده، وكان أول عمل قام به أن طار بجيشه العظيم إلى ربوع آسيا .

تحتمس الثالث يعلن الحرب على بقايا الهكسوس فى آسيا : وتدل شواهد الأحوال على أن « تحتمس الثالث » لم يتوان طويلا فى مصر بعد اعتلاء أريكة العرش . فقد كان الخلاف القائم فى مصر على تولية عرش البلاد والجفاء بين « تحتمس الثالث » و « حتشبسوت » معروفا فى الأقطار الأسيوية العامرة بالجم الغفير من الهكسوس الذين شتت شملهم أسلاف « تحتمس الثالث » وطردوهم

من مصر جملة والذين مازال حب الانتقام والأخذ بالثأر يأكل صدورهم وبخاصة أنهم أصبحوا هم المحكومين ويدينون لمصر بالطاعة . ولذلك لما تولت « حتشبسوت » اتخذوا على ما يظهر هذا الحادث ذريعة لإعلان الثورة ليتحرروا من ربق الاستعباد المصرى وقد أعلنت « سوريا » كلها العصيان على مصر فى تلك الفترة وقامت بثورة محبوكة الأطراف حتى أصبح لزاما على هذا الفرعون الفتى الجسور أن يقابل حلفا قويا مؤلفا من قبائل آسيا والولايات التى وطدت العزم على خلع النير المصرى الذى أثقل عاتقهم به « تحتمس الأول » وسلفاه من قبله منذ خمسين سنة مضت . ولا شك فى أن أكثرهم تحمسا كان أولئك الأقوام الذين طردوا من مصر من غير رجعة، وكان كل أولئك قد ألفوا حلفا بقيادة ملك « قادش » وهى بلدة على نهر الأرنت (نهر العاصى) على مسيرة مائة ميل تقريبا شمالى دمشق . وقد زحف الفرعون لمقابلة أولئك العصاة يحدوه غرض معين وهو منازلة ملك « قادش » والقضاء عليه فإذا تم له ذلك كان كل شىء عداه سهلا ميسورا نسبيا ، وذلك لأن سوريا لم تكن وقتئذ مملكة واحدة متحدة الكلمة بطبيعتها بل كانت مقسمة ولايات صغيرة يحكم كلا منها أمير أو ملك كما كان لها « بعل » أو إله خاص بها . وكانت أقوى هذه الممالك الصغيرة وأغناها مملكة « قادش » وقد أفلح ملكها فى أن يضم مؤقتا الولايات الأخرى تحت قيادته . فإذا كان فى الاستطاعة هزيمته فإن الحلف لا يفتأ أن تنحل عراه وتعود كل دويلة سيرتها الأولى من الاستقلال الذاتى ولذلك يصبح من السهل على « تحتمس » الاستيلاء على ولايات هذا الحلف الواحدة تلو الأخرى ، والظاهر أن « تحتمس » قد صمم على الزحف بسرعة خاطفة إلى « قادش » مباشرة ليضرب ضربته الحاسمة هناك .

موقعة مجدو : تعد موقعة « مجدو » التى قابل فيها « تحتمس الثالث » جيوش الحلف السورى بإمرة حاكم « قادش » أول معركة حربية فى تاريخ العالم القديم قد بقى عنها تفصيلات تذكر ؛ ويرجع الفضل فى ذلك إلى اليوميات

التي خلفها « تحتمس الثالث » على أحد جدران معبد الكرنك ؛ فقد جرت العادة على ما يظهر فى الجيش المصرى فى عهـد الامبراطورية أن تدوّن يوميات عن سير القتال فى أثناء الحملات التى كان يقوم بها الفرعون، وقد كان المكلف بهذه المهمة العظيمة رئيس كتّاب الجيش[1] . وقد كانت تحفظ نسخ من هذه اليوميات فى معبد الإله « امون رع » « بطيبة » ولم تصل إلينا منها إلا اليوميات التى أمر « تحتمس الثـالث » بأن تنقش مقتطفات منهـا على جدران معبـد الكرنك[2] . ومن حسن الصدف أنه قد وصلتنا تفاصيل عن أول انتصار له فى بلاد آسيا ، وهو ذلك الفوز العظيم الذى أحرزه فى موقعة « مجدو » وما وصلنا من تفصيل هذه الموقعة يعتبر أوسع تفصيل عرفناه عن غزواته فى هـذه الأصقاع . وبهذه المعلومات أصبح فى مقدورنا أن نتتبع بوضوح سير الحملة بصورة جلية أكثر ممـا كان ينتظر فى مثل هذا العصر القديم .

طريق جيش تحتمس إلى مجدو : وسـنكتفى هنا بتلخيص حركات جيش « تحتمس الثالث » الأولى التى قام بها لتنفيذ خطته التى رسمها لنفســه من بادئ الأمر . فقد سار بجيشه من قلعة « سيله » (وهى القنطرة الحالية) فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء فى السنة الثانية والعشرين من حكمه . وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور « نلسن » يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ ق . م . مخترقا الصحراء التى تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين فوصل « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام قطع فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلا، وكان قد حط رحاله فيها فى اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف فى السنة الثانية والعشرين من حكمه، ممـا يدل على أن الجيش كان يقطع فى سيره يوميا نحو اثنى عشر ميـلا ونصف ميل وهى سرعة حسنة فى بقاع معظم طرقها صحـراوية

(١) راجع : Helk, "Der Einfluss der Militarfuhren in der 18 Agyptischen Dynastie", P. 14.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 662,5.

قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع ، وبخاصة إذا عرفنا أن عددا عظيما من جيشه كانوا مشاة . ولم يمكث « تحتمس » في بلدة « غزة » إلا سواد ليله ؛ وفي الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميمما شطر « يحم » (يحتمل أن تكون يما الحالية) انظر (المصور رقم ٢) وتقع على مسافة ثمانين ميلا من « غزة » . وعلى الرغم من أن النقوش التي في متناولنا قد أغفلت ذكر يوم وصوله إليها نستطيع أن نستنبط أنه ألقى فيها عصا تسياره في اليوم الحادي عشر من نفس الشهر ؛ وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يوميا بنفس السرعة التي كان يزحف بها في ذهابه إلى « غزة » .

الجيش يعسكر في بلدة « يحم » ويعقد فيها تحتمس مجلسا حربيا :

والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام استطاع في خلالها « تحتمس » أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكامنه . وفي اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربي ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التي يجب أن يقتحمها الجيش إلى « مجدو » . وسنترك المؤرخ المصري عند هذه النقطة يقص علينا سير الحوادث : (راجع Urk. IV. P. 648ff.) .

« السنة الثالثة والعشرون[1] ، الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر في بلدة « يحم » لقد أمر جلالته أن يعقد مجلس حربي ليتشاور فيه مع رجال جيشه قائلا : إن ذلكم العدو الخاسيء صاحب "قادش" قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها ، وهو مقيم بها في تلك الآونة ، وقد ضم اليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات .... ومعه السوريون وقوم « قودة » بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم ، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا : سأقف هنا لمحاربة جلالته في بلدة « مجدو » فحدثوني ما يدور بخلدكم في هذا الخطب فأجابوا جلالته قائلين : كيف يتسنى للمرء أن يسير في هذا المضيق ؟ وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك في خارج المدينة ، وأن

---

(١) يلاحظ أن تغيير السنة من الثانية والعشرين إلى الثالثة والعشرين يرجع إلى أن « تحتمس » وصل غزة في يوم عيد تتويجه أي في اليوم الأول على حسب سني حكمه .

عددهم قد أمسى هائلا ، وهل يكون السير مستطاعا إلا إذا سار الجواد إثر الجواد والجندى إثر الجندى أيضا ؟ وهل ستكون مقدّمة الجيش بهذه الطريقة فى ساحة القتال فى حين أن المؤخرة تكون لاتزال واقفة هنا فى « عرونة » عاجزة عن محاربة العدو ؟ على أنه يوجد طريقان أخريان ؛ واحدة منهما تؤدى إلى « تاعناخ » والأخرى، تقع فى الجهة الشمالية من بلدة « زفتى » مؤدية إلى شمال « مجدو » ، وبذلك لا نضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر .

وفى هذه الأثناء جىء بمعلومات عن ذلكم العدو الخاسئ ، وبذلك استقر النقاش فى موضوع الخطة التى كانوا يتحدثون عنها فيما قبل .

ما قيل فى الخيمة الملكية : فأجاب الملك قائلا :

إنى ما دمت حيا وما دام الإله « رع » يحبنى وما دام والدى « آمون » يرعانى ، وما دام نفس الحياة ينعشنى بالحياة والقوة ، فلن أسلك إلا هذه الطريق المؤدية إلى « عرونة » وليذهب منكم من يشاء فى إحدى هاتين الطريقين الأخريين اللتين تحدثتم عنهما وليتبعنى منكم من يريد أن يسلك الطريق التى سيتخذها جلالتى لأن الأعداء الذين يمقتهم الإله « رع » سيقولون : هل سلك جلالته طريقا آخر لأنه يخاف بأسنا وبطشنا ؟ وعندئذ أجابوا جلالته قائلين : ليت الإله « آمون » والدك رب تيجان الأرضين وساكن الكرنك يرعى شعبك ويتعهده : تأمل ! إنا سنكون فى ركاب جلالتك أينما توجهت لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائما . وعندئذ أمر جلالته بإصدار منشور لكل الجيش جاء فيه : ان سيدكم المظفر سيكون فى طليعتكم لاقتحام ذلك المسلك الوعر الضيق . تأملوا : لقد أقسم جلالته يمينا قائلا إنى لن أسمح لجيشى المظفر أن يشق طريقه إلا فى هذا المكان ، لأن جلالته عقد العزم على أن يتقدم طليعة جيشه بنفسه . وقد وزعت التعليمات على كل جندى بالأمر بالزحف على أن يكون الجواد فى إثر الجواد فى حين أن جلالته كان يسير فى مقدمة جيشه .

الجيش يعسكر فى عرونا : وفى السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم التاسع عشر استيقظ الفرعون فى السرادق الملكى الذى كان قد ضرب له فى بلدة « عرونا » ثم سار جلالته موليا وجهه شطر الشمال فى رعاية الإله « آمون » رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه ... ... وكان الإله « آمون رع » يشد ساعد جلالتى ... وزحف جلالته على رأس جيشه المنظم فرقا (ولم يجد العدو أثرا) بل كان قد عسكر جناحه الأيسر عند بلدة « تاعناخ » فى الوقت الذى كان جناحه الأيمن قد ضرب خيامه فى المنحنى الجنوبى من وادى مجرى « قنا » ؟

وقد نادى جلالته أن سيروا فى هذه الطريق فالتق بالعدوّ فكسره وولى ذلك العدوّ الخاسىء الأدبار ... فيأيها الجند مجدوا المليك وتغنوا بشجاعة جلالته لأن ساعده أشد بأسا من أى ملك وأنه هو الذى سيحمى مؤخرة جيش جلالته فى « عرونا » .

وقد كانت مؤخرة جيش جلالته المظفر لا تزال فى بلدة « عرونا » فى حين أن مقدّمته قد برزت فى وادى مجرى « قنا » حتى ملئوا فم هذا الوادى .

وعندئذ قال رجال الجيش لجلالته : حقا إن جلالته قد ظهر بجيشه المنتصر وملأ جنوده الوادى فليصغ جلالته لقولنا هذه المرة فيحمى لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه ، وعند ماتتصل بنا المؤخرة نحارب أولئك الأجانب ، إذ لا نكون فى شغل شاغل من جراء مؤخرة جيشنا . وعلى إثر ذلك اتخذ جلالته مكانه عند فم الوادى حاميا مؤخرة جيشه المظفر ، وعند ما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريقة كان الظل قد مال (أى عند الظهيرة) .

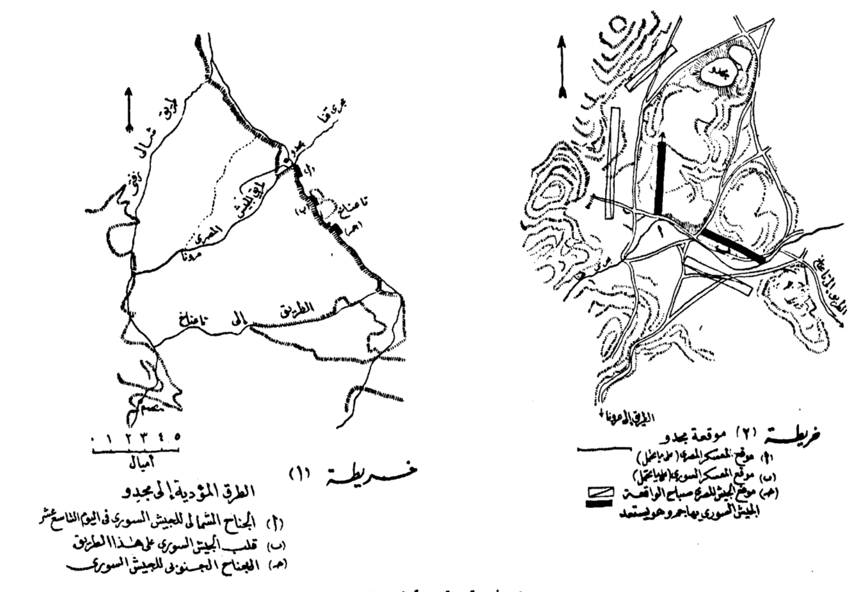
الجيش يعسكر عند مجدو ويستعد للموقعة : ووصل جلالته جنوبى « مجدو » على شاطئ مجرى نهر « قنا » فى مدّة سبع ساعات بعد ميل الشمس . وقد ضربت خيام معسكر جلالته هناك ثم أصدر أمرا لكل رجال الجيش وهاك نصه : استعدوا أيها الجنود وانتضوا سيوفكم لأن الفرعون سيخوض غمار حرب مع ذلك العدوّ الخاسىء عند الصباح الباكر لأنه ...... ثم ذهب الفرعون ليستريح فى السرادق الملكى وقد أمدّ الضباط بما يحتاجون ووزعت الجرايات على الجنود واتخذ كل حارس مكانه بعد أن تلق التنبيهات بأن يكون ثابتا فى مكانه شجاعا .

الجيش يهاجم الأعداء ويهزمهم : السنة الثالثة والعشرون ، الشهر الأول من الفصل الأول . اليوم الحادى والعشرون وهو اليوم الذى أعلن فيه الضباط عيد الهلال الجديد وفيه ظهر الفرعون فى الصباح وقد أعطى كل رجال الجيش الأوامر للاستعداد للمعركة (؟) ... ... وبعد ذلك انطلق جلالته فى عربته المصوغة من الذهب النضار مدججا بدرعه وزرده مثل الإله « حور » القوى الساعد رب البأس ومثل الإله « منتو » إله طيبة (وهو إله الحرب) وكذلك كان والده آمون يشد ساعده .

وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبى « ... ... قنا » ، أما الجناح الأيمن فكان معسكرا فى الشمال الغربى من « مجدو » ، وكان جلالته فى وسطهما يحميه الإله « آمون » فى حومة الوغى . وكانت قوة بأس الإله « ست » (إله الحرب) تدب فى أعضائه ، ففاز جلالته فوزا مبينا وهو على رأس جيشه ، وقد رأوا (أى الأعداء) جلالته والنصر حليفه ، ولذلك ولوا الأدبار نحو « مجدو » بوجوه

يغمرها الذعر والهلع تاركين خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هـذه المدينة بملابسهم (أى مستعملين ملابسهم ليتسلقوا بهـا) وذلك لأن أهل المدينـة قد غلقوا أبوابها فى وجوههم ولكنهم مع ذلك دلوا ملابسهم ليجروهم بهـا إلى داخل المدينـة ؛ ولو أن جنود جلالتى لم يتهالكوا على نهب متاع العدو لكان فى استطاعتهم الاستيلاء على « مجدو » وقتئذ عند ما كان عدو « قادش » الخاسىء وعدو هـذه المدينة يجرون متسلقين الأسوار ليدخلوا المدينة هربا لأن الخوف من جلالته كان قد سرى فى أجسامهم وضعفت أسلحتهم لأن صله (الذى على جبينه) قد طغى عليهم وهزمهم ، واسـتولى جلالته على خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة غنيمة باردة ، أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضا مثل السمك فى حبائل شـبكة وجيش جلالتى المنتصر كان يحسب متاعهم لأن سرادق هـذا العدو الخاسىء الذى كان محلى بالفضة ... ... وقد أخذ كل الجيش بأسباب الفرح مقدما الثناء لآمون لمـا وهبه من نصر لابنه فى هذا اليوم وكذلك قدموا الشكر لجلالته مادحين انتصاره . ثم أحضروا الغنيمة التى استولوا عليها حتى الأيدى والأسرى والخيل والعربات المصوغة من الذهب والفضة والكتان الجميل .

وصف حركات الجيش فى هـذه المعركة : هـذه هى رواية الكاتب المصرى بنصها وهى أول وصف لمعركة حربية فى العـالم ويمكن تلخيص حركات الجيش الذى كان يقوده ذلك القائد المبتكر فيما يأتى : لمـا عقد « تحتمس الثالث » مجلسه فى « يحم » فى اليوم السادس عشر من الشهر صمم هذا الفرعون على اختراق الطريق من « عرونا » إلى « مجـدو » فأمضى اليـوم السابع عشر فى الاستعداد للزحف ، وفى اليوم الثامن عشر زحف الجيش نحو « عرونا » حيث قضى فيهـا ليلة ، وفى اليوم التاسع عشر استؤنف الزحف نحو « مجدو » وكان الفرعون نفسه يغلظ الأيمـان أن يسير فى مقـدمة طليعة جيشـه فى المعبر الضيق فسار على رأس الجيش مخترقا هذه الطريق الوعرة ولم يحدث فى خلال اجتيازها حوادث تستحق الذكر اللهم إلا بعض مناوشات صغيرة . وسرعان ما تخطت مقدمة الجيش التلال حتى عسكر «تحتمس الثالث» بعد مشاورة ضباطه عند فم الممر ليكون فى مأمن من هجمات العدو على جناح كتائبه الممتدة فى طول المعبر وهم يسيرون متعثرين نحو العراء ، وقد تم خروج الجيش من هذا المعبر عند الساعة السابعة بعد الظهر ، ومن ثم عسكر



خريطة موقعة مجدو

الجيش المصرى فى وادى قنا، وفى هـذه الأثناء كانت قوة السوريين بلا نزاع قد ضربت خيامها فى نفس الوادى بالقرب من « مجدو » وكانت لهم قوة أخرى قد عسكرت عند « تاعنخ » وكانت مهمتها منع زحف المصريين و إعاقة تقدمهم من كلتا الطريقين . ومن المحتمل أنه كان للسوريين قوة أخرى تؤازرهم قد عسكرت وسط هـذين المكانين، غير أن هـذه القوة التى كانت عند « قنـا » قد أخفقت فى مهاجمة الجيش المصرى الزاحف لجهلهم بموقعهم، وكان السوريون على ما يظهر قد حشدوا كل جيوشهم فى وادى «قنا» لصد الجيش المصرى . غير أن المصريين هنا قد خدعوهم أيضا، ففى الساعة الأولى من اليوم العشرين انتشر الجيش المصرى عبر وادى نهر « قنا » إلى الشمال الغربى من « مجدو» ثم إلى الجنوب الشرقى من تل هناك مهددين بقطع مواصلات العدو ببلدة « مجدو » . ثم هاجمهم المصريون ثانية على غرة وعندما كشف السوريون حركة الجيش المصرى وقد ضرب عليهم الحصار فى وادى « قنـا » حاولوا على ما يظهر أن يقوموا بهجوم مضـاد، ولكن الجيش المصرى لم يعطهم الفرصـة لتنفيذ خطتهم . ولم يكد المصريون يهاجمونهم حتى هزموا وولوا هاربين، ولمـا رأى سكان بلدة « مجـدو » ما حدث لجيوشهم غلقوا أبواب مدينتهم فى الحال وأخذوا يجرون الفارين على جدران المدينـة بحبال صنعت ارتجالا من الملابس التى كان يرتديها أولئك الفارون . وقد هيأت عوامل الرعب والفـزع والذعر التى انتشرت بين رجال الجيش السـورى فرصة سانحـة للجيش المصرى للاستيلاء على المدينـة بالهجوم أثناء الاضطراب الذى أحدثه فرار جيش السوريين . غير أن جنود الجيش المصرى لم يكن فى استطاعتهم أن يقاوموا حب السلب الذى دب فى نفوسهم عنـد ما رأوا أسلاب العـدو أمامهم مكدسة وبخاصـة معسكر السوريين الذى كان يفيض بالخيرات والذخائر المغرية، ولذلك ضاعت عليهم فرصة الاستيلاء على « مجدو » ممـا جعل ضرب الحصار عليها أمرا لا مفر منه، وقد امتد زمن حصارها سبعة أشهر استسلمت بعدها المدينة صاغرة،

غير أن ملك « قادش » الذى كان رئيس العصاة وحامل لواء الثورة على « تحتمس » قد فرّ من المدينة لا لينجو بنفسه بل ليستعد لاستئناف الحرب من جديد على مصر وليكون سببا فى مضايقة الفرعون سنين عدّة .

أهمية هـذه الموقعة فى تاريخ الحروب : وأهميـة سرد حوادث هـذه الموقعة لا يحصر فى وصفها وحسب ، بل كذلك لأننـا نقرأ فى وثيقـة تاريخية لأوّل مرة فى تاريخ العـالم أن قائدا حربيا لم تقتصر مواهبه على أنه جندى شجـاع وقائد قدير ماهر فقط، بل لأنه كانت لديه الشجاعة كذلك ليخوض غمار مخاطرة قد كان يعرف عواقبها من قبـل ليصل إلى غرضه بسرعة خاطفة، بل قد أظهر فضـلا عن ذلك مهارة حربية فى وجه العـدوّ الذى جعـله يتأرجح فى يده كاللعبة فى يد الصبى .

ولا يبعد أن كان لهـذا الحادث العظيم فى تاريخ الحروب فى الشرق القـديم منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة أثره فى تدبير سير الحملة التى قام بها القائد الانجليزى « ألنبى » عام ١٩١٨ على الترك عنـد ما هزمهم فى نفس المكان ، إذ كان قـد ألقى بخيالته فى ممـر « عرونا » خلف الأتراك المنهزمين ، وقد يتساءل المـرء الآن فى استغراب عما إذا كان الضابط « لورنس » — بمـا كان له من المعلومات فى التاريخ القديم — قد أوحى إلى « ألنبى » بالفكرة التى جعلته يقوم بهذه الحركة الجريئة المـاهرة التى كان قـد سبقه اليها « تحتمس الثالث » الذى يلقبه مؤرّخو الغرب بحق « نابليون الشرق القديم » .

وصف حصار مجدو : بعـد انتصار « تحتمس » على جموع العدوّ الذى احتمى داخل أسوار مجدو نفسها حشد « تحتمس » جيشه الذى كان منهمكا فى السلب والنهب وحاصر المدينـة ، فأقام المتاريس حولهـا من الأشجار الخضراء ومن كل أشجـار فاكهتها ؛ ثم أخذ الفرعون مكانه فى الجانب الشرقى من المدينة بعد أن خصص جنودا ليحموا سرادق جلالته ، ثم أصدر أوامره لجيشه قائلا :

لا تجعلوا واحداً منهم يخرج خلف المتاريس إلا إذا كان آتياً ليسلم باب هذه الحصون (أى يلقى سلاحه) . والظاهر كما ذكرنا أن ملك « قادش » قد تسلل من المدينة قبل أن تسلم إذ لم يعثر له على أثر . وقد استمر الحصار سبعة أشهر أتى بعدها الأمراء خاضعين مسلمين متاعهم ومقدمين طاعتهم لاسم جلالته « طالبين النفس لأنوفهم » .

وفى مكان آخر تحدثنا النقوش أن أولئك الأسيويين الذين كانوا فى « مجدو » الخاسئة قد خرجوا ... قائلين : « هيىء لنا الفرصة لنسلم لجلالتك الغرامة ... » .

وقد تعطف الفرعون وأمر بأن يوهبوا نفس الحياة ، وذلك لأن المصريين كما يقول الأثرى « ويجول »[1] كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمة وانسانية . ولكن كان ضمن شروط الهدنة على ما يظهر أن يرسل كل أمير وارثه إلى مصر ليتعلم طرائق الحياة المصرية . وبعد ذلك أتى هؤلاء الأمراء حاملين عطاياهم من الذهب والفضة واللازورد والفيروزج ، ومعهم كذلك برنق وخمر وماشية كبيرة وصغيرة ومؤن للجيش ... ... وبعد ذلك عين الأمراء من جديد ، أى أنه صفح عنهم وأعادهم إلى ولاياتهم التى كانوا يحكمونها بوصفهم تابعين له . أما ملك قادش الفار فإن المصريين قد أخذوا أسرته رهينة عندهم إذ يقول فى ذلك « تحتمس » « تأمل : إن جلالتى قد أسر زوجات الخاسىء ملك قادش وأولاده وكذلك زوجات الأمراء الذين كانوا هناك »[2] .

ولما عاد « تحتمس » إلى مصر كان يفخر بقوله : « إن الإله « آمون » قد سلطه على كل الممالك المتحالفة فى أرض زاهى ، فحاصرها جميعاً فى بلدة واحدة ... ولقد حاصرتهم فى مدينة واحدة وبنيت حولهم سوراً جداره كثيف وقد أطلق على هذا الجدار « تحتمس صياد الأسيويين »

(١) راجع : Weigall, "History", Vol. II, P. 351.

(٢) راجع : Urkunden IV, 662-663.

وصف حملة تحتمس الأولى كما جاءت على لوحة جبل بركال :

هذا وقد وصف لنا فيما بعد « تحتمس الثالث » بنفسه حملته الأولى على بلاد « رتنو » (سوريا) فى نص اللوحة العظيمة التى أقامها فى جبل «بركال» على مقربة من الشلال الرابع فى معبد « آمون » فى السنة السابعة والأربعين من حكمه . وربما كان سبب إقامتها هناك ليظهر عظمته وجبروته لأهل هذه الأقاليم النائية لتكون عظة وعبرة فلا يقومون بثورات أو يحرضون على فتن ، وهاك ما جاء فيها :

والآن أقص عليكم أعمالا أخرى عظيمة فاسمعوا أيها القوم : لقد منحنى الإله كل أراضى « رتنو » الأجنبية فى الحملة الأولى عند ما هبوا بثورة لمحاربة جلالتى بملايين الرجال ومئات الألوف من عظماء كل الأراضى الأجنبية ؛ وقد اصطفوا فى عرباتهم وكان عددهم ثلثمائة وثلاثين أميرا وكان كل على رأس جيشه .

وكانوا إذ ذاك فى وادى « قنا » معسكرين بخيامهم كأنهم فى الواقع فى فخ وكان النصر حليفى عليهم إذ هاجمتهم ففرّوا فى الحال وسقط منهم على الأرض أكداس من القتلى ثم دخلوا « مجدو » فحاصرتها سبعة أشهر إلى أن اضطروا إلى الخروج منها متضرعين لجلالتى قائلين : اعطنا نفسك يا سيدنا لأن أجانب « رتنو » لن يعودوا قط مرة أخرى للعصيان ، وبعد ذلك أرسل الخاسىء (أمير قادش) ومن معه من الأمراء إلى جلالتى كل قومهم حاملين هدايا كثيرة من الذهب والفضة وكل جيادهم وما يتبعها من معدّات ، هذا إلى عرباتهم الفخمة المصفحة بالذهب والفضة ، وكل دروعهم وقسيهم ونشاشيبهم وكل آلات الحرب . وكانوا قد حضروا بكل هذه الأمتعة من أماكن قاصية لمحاربة جلالتى وها هم أولاء قد أحضروها الآن هدايا لجلالتى . وكانوا فى ذلك الوقت واقفين على جدرانهم (وقت الحصار) مقدّمين الخضوع لجلالتى راجين أن يمنحوا نفس الحياة ، وعندئذ جعلتهم يحلفون يمينا قائلين : لن نقوم قط بأى عمل عدائى كرة أخرى على « منخبررع » (تحتمس الثالث) أمدّ الله فى عمره أبديا وهو سيدنا ما دمنا أحياء لأننا شهدنا عظمته فليمنحنا نفس الحياة كما يجب لأن والده « آمون رع » هو الذى أكسبه النصر فى الواقع لا قوة الإنسان . وعلى أثر ذلك سمح لهم بالسير إلى بلادهم فعادوا جميعا ممتطين حميرا لأنى كنت استوليت على خيل عرباتهم وأخذت مواطنيهم معى غنيمة لمصر وكذلك استوليت على ماشيتها » .

الغنائم التى استولى عليها الفرعون تكشف عن ثروة هذه البلاد :

والواقع أن قائمة الغنائم التى غنمها « تحتمس الثالث » فى هذه الموقعة كما جاء ذكرها فى نقوش الكرنك تكشف لنا عن ثروة هذه البلاد المفتوحة وما كان يتمتع

به أمراء سوريا من نعيم العيش والأبهة . هـذا فضلا عن أنهـا تعطينا فكرة عن مقدار ما كانت عليه تلك الولايات من التقدّم فى الصناعات والحرف وفنون الحياة مما لم يكن فى الحسبان . وسنذكرهنا بالتفصيل قائمة هذه الأسلاب التى استولى عليها جيش « تحتمس الثالث » من « مجدو » لتضع أمامنا فكرة عامة عن مقدار ثراء القـوم واستعداداتهم الحربيـة التى كان لابدّ للفـرعون أن يقف أمامها وجها لوجه :

« فاستولى على ثلثمائة وأربعين أسيرا وثلاثة وثمانين يدا (كان الجندى تقطع يده بعـد قتله) وألفين وواحد وأربعين فرسا ومائة وتسعين مهرا وسـتة جياد ... ... وعربة مغشاة بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدوّ ، وعربة جميلة مصفحة بالذهب ملك أمير مجدو وثمانمائة واثنين وتسعين من عربات جيشه المخذول مجمـوعها تسعمائة وأربع وعشرون عربة (لا بدّ أنه قد ذكر ثلاثين عربة فى الأماكن المهشمة من النقش) ودرع جميـل من البرنز ملك الأعداء ، ودرع آخر من البرنز لأمير « مجدو » ... ... وعلى مائتى درع من دروع الجيش الخاصى ، وعلى خمسمائة قوس وسبعة قضبان من خشب المرو مصفحة بالفضة وهى من قضبان سرادق العدوّ » .

أسلاب الحيوان : واستولى جلالته على الحيوانات الآتية من هذه المدينة :
« ... ... ثلثمائة وخمسة وثمانين ... ... وألف وتسعمائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة وألفين من الحيوانات الصغيرة ، وعشرين ألفا وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة » .

ثم اسـتولى فيما بعد من أمير قادش على غنائم أخرى : « قائمـة بمـا استولى عليـه الفرعون فيما بعـد من متاع هـذا العدوّ الذى كان فى مدينة « ينعـم »[1] وفى « نجس »[2] وفى « حرنكر » . بالقـرب من البـلدين الآخرين فى رتنـو العليا) : هـذا بالإضافة إلى كل السلع التى هى ملك تلك المدن التى خضعت وأحضرت لجلالتى وهى : أربعمائة وسبع وأربعـون من نسائهـم والأمراء الذين كانوا معهن وثمان وثلاثون سيدة من سيداتهم وسبعة وثمانون طفلا من أطفال هـذا العدوّ ومن الأمراء الذين كانوا معـه ، وخمسة من أشرافهم ، وألف وستمائة وستة وتسعون من الذكور والأناث

(١) ذكرت بلدة « ينعم » كذلك فى متون تل العمارنة . وتقع على مسافة خمسة أميال ونصف ميل فى الجنوب الغربى من (تيبرياس Tiberias) .

(٢) أما « نجس » فهى نوخاشش التى ذكرت كذلك فى خطابات تل العمارنة وهى اقليم وبلدة قريبة من « حلب » (راجع Gardiner, "Onomastica" I, P. 169.) .

من العبيد والإماء والأطفال هذا غير المحار بين الذين استسلموا بسبب الجوع الذى لاقوه ، ومائة وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسمائة واثنين (والعدد المدون فعــلا هو ألفان وتسعة وعشرون فلا بد أن يكون العدد الناقص وهو أربعمائة وأربعة وسبعون قد جاء ذكره فى الأماكن المهشمة من المتن) . هذا خلاف الأطباق من الأحجار الغالية والذهب وأوان أخرى ... ... وإناء ذى مقبضين من صنع خارو (البلاد الأسيوية) وأوان وأطباق مفرطحة وأقداح للشرب مختلفة وغلايات وسكاكين يبلغ وزنها سبعمائة وأربعة وثمانين دبنا (أى أن الأدوات السالفة الذكر يبلغ وزنها ١٩١ رطلا من الذهب) . هذا إلى خواتم من الذهب كانت فى يد الصناع وفضة مصنوعة خواتم عدة تبلغ زنتها نحو تسعمائة وستة وستين دبنا (أى ما يقابل ٢٣٥,٤٦ رطلا من الذهب) وتمثـال من الفضة مصنوع ... ... ورأسه من الذهب ، وعصا بأوجه بشرية ، وستة كراسى للعــدو من العاج والأبنوس وخشب الخروب كلها مغشاة بالذهب ، وستة مساند للأقدام من متـاع العدو ، وست موائد من العاج وخشب الخروب ، وعصا من خشب الخروب مغشاة بالذهب ومرصعة بالأحجار الثمينة فى هيئة صولجان من متاع هــذا العدو أيضا . وكلها مصفحة بالذهب وتمثال لهذا العدو من الأبنوس مصفحة بالذهب ، ورأسه مرصع باللازورد ، وأوان من الشبه ، وملابس كثيرة لهذا العدو » (١) .

وهذه المدن الثلاثة التى استولى منها الفرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض فى الطرف الشمالى من لبنان ، وقد هاجمها « تحتمس الثـالث » عن قصد لغرض معين وذلك لأنه فكر أولا فى إيجاد وسيلة لمنع ملك « قادش » من الوصول إليها ، وقد كان لم يقهر بعد . فزحف جنوبا وثانيا ليجعل الطريق الشمالى الواقع بين جبـال لبنان فى قبضة يده لأهميته العظمى لحركاته الحربية ، ولذلك سار بجيشه شمالا واستولى على هــذه المدن ، وممـا يؤيد صحة ذلك أنه بنى هناك قلعة « تحتمس قاهر الأجانب » .

وبعد أن تم لتحتمس النصر على هــذه الصورة وجه عنايته لتنظيم الأقاليم التى فتحها فقــد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينيقيا .

---

(١) راجع : Urkunden. IV, P. 664.

سياسة تحتمس فى حكم الأقاليم المقهورة : غير أن « تحتمس الثالث » لم يكن قد كسر شوكة ملك « قادش » بعد، لأن شمالى سوريا كان لا يزال خارجا عن سلطانه إذ كان ملك المتنى (النهرين) فى ذلك الوقت المسمى « ساو ششتار » قد توغل فى هـذه الجهة واستولى على مملكة « حلب » التى كانت إلى هذه اللحظة خاضعة لحكم الحيثا[1] . ولذلك نجد أن « تحتمس الثالث » قد اكتفى فى هذه الحملة بما فتحه من أقاليم ونصب أمراء جددا غير الذين ثاروا عليه . وقد اتبع مع هؤلاء الأمراء الجدد طريقة تدل على بعد النظر فى الاستعمار السلمى ، إذ قد تركهم مدة طويلة يحكمون كما شاءوا ما داموا يدفعون الجزية السنوية بانتظام . بيد أنه ضمانا لحسن نياتهم والوفاء بعهودهم صحب معـه إلى مصر بكر ولد كل منهم وأسكنهم فى ناحية خاصة فخمة فى « طيبة » فى مكان يدعى « القصر فى طيبة » وكان ينشئهم ويربيهم تنشئة خاصة تجعلهم يميلون كل الميل بأرواحهم وأجسامهم إلى مصر والتفانى فى خدمتها ، وكان كلما خلا مكان أمير أو مات أحد الأمراء فى تلك الجهات الأسيوية نصب « تحتمس » ابنه الذى تربى فى مصر خلفا له . وهـذه هى نفس السياسـة التى سار على منوالها الإنجليز فى تربيـة أمراء الهنود فى الكليات الإنجليزية التى أسست عن قصـد لتنفيذ هـذا النظام ونخص بالذكر منها كليتى « اجمير » و « لاهور » .

غير أن سياسة « تحتمس » ومن بعدها سياسة الإنجليز الذين اقتفوا أثره لم تأت بالغرض المطلوب منهـا لأن كلا منهما قد نسى أن التعليم يفتق الأذهان وأن أول ما يستفيد منه الشخص هو حب الحرية والاستقلال ، وهـذا بعينه ما رأيناه بعد وفاة « تحتمس » ومن اتبع هذه السياسة ، فإن أولئك الأبناء الذين عادوا من مصر إلى بلادهم قـد شقوا عصا الطاعة على من استعمر وطنهم وهو نفس ما نجده اليوم مع الإنجليز وأولئك الأمراء الهنـود الذين يحاربون حتى النهـاية لنيل استقلالهم فى بلادهم ورفع النير الإنجليزى عنهم .

---

(١) راجع : Meyer. "Gesch"., II. 11. § 125.

و بعـد أن تم « لتحتمس الثالث » النصر على هـذا الوجه عاد إلى مصر بعد ستة أشهر من مغادرته لهـا ، وهذه مدة قصيرة جدا إذا قيست بمـا أحاطها من المصاعب فى تلك الأزمان السحيقة بل تعد سرعته فى الواقع أعجوبة ، إذ مما لاشك فيه أنه حتى فى عصرنا هذا تعد سرعة غزو بلاد كهذه والعودة منها بعـد تنظيمها من الأمور العظيمة ، ولا بد أن المصريين قـد شعروا أن « تحتمس الثـالث » عند ما عاد إلى مصر محملا بكل تلك الغنائم الهائلة قد انتقم لقومه انتقاما أثلج صدورهم التى كانت تحترق غيظا بسبب ما حاق بهم من الذل والخذلان فى أيام سيادة الهكسوس الذين ارتدوا بين أولئك الأمم الذين دحرهم « تحتمس » وجعل بلاده الأولى بين دول العالم . ولا نزاع فى أن الجملة المألوفة التى كان يستعملها كل فرعون لمـا قام به من جليل الأعمال كانت جديرة بأن تقال بحق عن أعمال «تحتمس الثالث» فى غزوته الأولى هـذه المنقطعة النظائر فى تاريخ الحروب وهى : « إذ لم يحدث مثلها قط فى عهد الآلهة الذين سلفوا منذ الأزل » .

تحتمس يقيم لنفسه معبدا جنازيا : وقد كان مثل « تحتمس الثالث » كمثل كل فراعنة مصر نسب كل انتصاراته العظيمة لإرشاد ومساعدة والده العظيم الإله « آمون رع » وغيره من الآلهة الذين يسكنون ربوع طيبة فأراد أن يخـلد ذكرى هذه الانتصارات بإقامة بعض المبانى الضخمة . غير أنه على ما يظهر قبل أن يبدأ فى مثل هذا العمل قد أخذ فى بناية معبده الجنازى العظيم على حافة صحراء « طيبة » فى الجهـة الغربية من النيل ، على مسافة قريبة من معبد « الرمسيوم » الحالى وأمام هذا المعبد أى فى الجهة الشرقية تقع الحقول ، وفى الجهة الغربية على مسافة ثلاثة أرباع ميل بعيدا عنـه تشرف الصخور التى كان معبد الدير البحرى العظيم الذى أقامته « حتشبسوت » ملاصقا لواجهتها . وهـذا المعبد الذى بدأ إقامته « تحتمس الثالث » أطلق عليـه اسم « منحة الحيـاة » ، وكان يتألف من ثلاث ردهات ، الأولى يصل إليها الإنسان من (بوابتين) عظيمتين أقيمتا من اللبن

وربما كانتا مكسوتين بالحجارة التي لم يبق منها شيء ، والردهة الثانية بنيت فى مستوى أعلى بقليل من الردهة الأولى وكانت مكسوة بالحجر الجيرى الأبيض وتوصل إلى الردهة الثالثة بطريق منحدر ، وكانت هـذه كذلك مكسوة بالحجر الجيرى ، أما جدران المعبد فكانت من الحجر الرملى والحجر الجيرى وجدرانه محـلاة بنقوش جميلة ملونة بألوان زاهية . والظاهر أن العمل فى هذا المعبد لم يتخذ شكلا جديا إلا بعد وفاة الملكة « حتشبسوت » مباشرة أو قبل موتها ببضعة أشهر وذلك لأن المعبـد قد تم بناؤه بعـد عودة « تحتمس » من حملته الأولى بستة أشهر . على أنه يمكن القول بأنه قد تم بناؤه بعد وفاة الملكة لأننا لم نجد اسمها مذكورا على جدرانه قط (١) . هذا فضلا على أننا لم نقرأ فى قائمة الأعمال التى قام بها « ثوتى » ما يشير إلى ذلك . وقد جاء ذكر هـذا المعبد على تمثال موظف يدعى (٢) « دودى » إذ يقول إنه كان رئيس الأعمال فى معابد عدة منها هذا المعبد ومعبد الدير البحرى ، ولكن لمـا كان هـذا الموظف قد ذكر أن مليكه وقتئذ كان « تحتمس الثـالث » ولم يذكر « حتشبسوت » . وكذلك لمـا كان « تحتمس الثـالث » قد قام ببعض أعمال الدير البحرى بعد وفاة هذه الملكة صاحبته ، فانه من المحتمل جدّا أن « دودى » هذا قد نقش تمثاله هذا عندما كان « تحتمس الثالث » يحكم البلاد منفردا . ومن المحتمل إذن أن هذا المعبد قد شرع فى إقامته بعد وفاة « حتشبسوت » .

إقامة معبد للاله بتاح : وقد شرع هذا الفرعون فى إقامة معبد صغير شمالى معبد الإله « امون » فى الكرنك (غير معبده الجنازى) . وأهداه للإله « بتاح » إله منف ولزوجة « الإلهة حتحور » إذ يقول : « لقد وجد جلالتى هـذا المعبد مبنيا باللبن وأعمدته من الخشب (٣) . غير أننا نعلم أن « حتشبسوت » قد أقامت (بوابتين)

---

(١) راجع : A. S. VII, P. 121.

(٢) راجع : Legrain, "Statues", Cat. Cairo Museum, No. 42122.

(٣) راجع : A. S. III, 107 - 110.

من الحجر لهـذا البناء القـديم[1] وأن الملك « تحتمس الثالث » قد أكمل البناء بإقامة محراب صغير من الحجر الرملى بدلا من الذى كان مقاما من اللبن والخشب ثم أضاف له (بوابة) ثالثة .

إقامة لوحة بهـا انتصارات تحتمس بالقـرب من وادى حلفا :

وقد كان من أول أعماله عند ما وصل مظفرا إلى عاصمة ملكه أن أرسل رسولا إلى حاكم « كوش » الملقب « بابن الملك » الذى كان معسكرا بقوة عظيمة فى بـلاد النـوبة السفلية يخـبره بانتصاراته ، ومن المحتمل كذلك أنه أمر بإذاعة ذلك بين الجنود وأهالى السودان وأن ينقش ذلك الخبر على معبد « بوهن » (وادى حلفا) وقد تم ذلك فى الحال وما بقى من هذا النقش يشعر بأنه قد وضع فى قالب يجعـل القارئ يحس أن هـذا الفرعون كان فى بأس الإله وقوته ، وقد أرخ هذا النقش بالسنة الثـالثة والعشرين ، وقد جاء فيه بعـد عبارات تصف الفرعون بأوصاف طنانة مبالغ فيها ما يأتى .

لقد قاد الفرعون بنفسه جيشه وقـد كان ذا بأس على رأس الجيش وكان الفرعون كلهيب من النار يعمـل بسيفه وقد انقض على العـدو ولم يكن أحد مثـله يذبح المتوحشين (السودانيـين) و يتغلب على الأسيو يين ، وقد أحضر معهم أمراءهم أسرى أحياء وعرباتهم المصفحة بالذهب تجرها جيادها وكذلك خضعت له قبائل اللوبيين متذللين تذلل الكلاب رجاء أن يمنحوا نفس الحياة[2] .

ولا نزاع فى أن عودة الفرعون مظفرا كانت من الحوادث التى لا يمكن أن تنسى قط فى تاريخ البلاد لأن هذه كانت المرة الأولى التى نشاهـد فيها فرعونا على رأس جيش مصرى اشتبك فى ساحة القتال فى موقعة حاسمـة فى أرض أجنبية مع ملك يسيطر على مملكة أسيوية كبيرة يؤازره جيش أسيوى جبار . وقد شتت الفرعون شمله بعد هزيمة نكراء . على أن هـذا الحادث كان فى الواقع يعد مسابقة حربيـة

---

(١) راجع : Weigall, "Guide", P. 106.

(٢) راجع : Maciver and Woolley, "Buhen", P. 30.

فى مضمار كانت مصر فيه هى الفائزة فوزا حاسما ، ولا بدّ من أن هذا النصر قد غير نظرة الأمة المصرية إلى العالم الذى حولها وعلاقتها الخارجية به .

ويحدّثنا الفرعون بقوله : « إن جلالتى قد أسس للإله « آمون » عيد نصر ، وقد احتفل به لأول مرة عندما حل جلالتى بأرض « طيبة » من حملته الأولى المظفرة فى السنة الثالثة والعشرين بعد أن هزمت السور بين الخاسئين ووسعت حدود مصر » .

تحتمس يقيم الأعياد لانتصاراته : والواقع أن « تحتمس الثالث » أقام ثلاثة أعياد ابتهاجا بانتصاراته فى عاصمة ملكه ، وقد أصبحت هذه الأعياد سنة متبعة تقام فيما بعد كل عام . وهذه الأعياد هى : العيد الأول للإله آمون وعيد إحضار الإله ، أما العيد الثالث فلم يعرف اسمه ، وإنما نعرف أنه كان يقام فى معبد « منحة الحياة » وهو كما ذكرنا اسم معبد « تحتمس الثالث » الجنازى . وكل هذه الأعياد كانت تعرف باسم أعياد النصر[1] .

تحتمس يفرّق الهدايا على معبد آمون : وقد كان من نتائج هذا الثراء الذى كان يتدفق على مصر منذ غزوته الأولى هذه أن أصبحت موائد قربان الإله « أمون » مفعمة بالضحايا وتضاعفت ثروة معابد الكرنك وعمها الخير ، وفضلا عن ذلك تحدّثنا الوثائق أن الفرعون أخذ فى بناء محاريب جديدة فى الكرنك وأن كل الأوانى التى أعدّت لها كانت من السام والذهب وكل حجر ثمين من الأسلاب التى غنمها جلالته فى حملته الأولى المظفرة . ويقول الفرعون : « إن جلالتى قد ساق معه كل زوجات ملك قادش الخاسىء وأولاده وأزواج الأمراء الذين كانوا هناك ومعهم أولادهم ، ووضع جلالتى هؤلاء النسوة ... » (هنا بكل أسف هشم النقش ولم يذكر أين أسكنهن وذكر فقط اسم اثنتين أو ثلاث منهن) « وقد أهدى كل ما خسروه لمعبد والدى « آمون » بمثابة جزء من الجزية التى فرضت على سوريا . أما مجوهرات زوجات ملك قادش الخاسىء فقد أخذت واستعملها جلالتى لتجميل السفينة المقدسة لعيد بداية الفيضان » (المعروف الآن بفتح الخليج) . وهذا العيد كان يعقد فى الشهر الأول من الفصل الثالث .

(١) راجع . Breasted, A. R. II. § 550 – 552.

العيد السنوى للاله آمون : أما ثانى حادث نقرأ عنه فى النقوش فهو احتفال الفرعون بالعيد السنوى الكبير للإله « أمون » بالأقصر وهو الذى كان يحمل فيه تمثال الإله فى سفينة من الكرنك إلى الأقصر والعودة به ثانية . والنقوش التى عثر عليها فى « الكرنك » عن هذا العيد مؤرخة فى السنة الرابعة والعشرين فى اليوم الرابع عشر من الشهر الثانى من الفصل الأول وفى هذا اليوم يحدثنا الفرعون قائلا : « إن جلالة هذا الإله الفخم سار فى احتفال ليقوم برحلته إلى مقره الشمالى (الأقصر)، و إن جلالتى قد أسس له قربانا عظيمة لهذا اليوم عندما المدخل المؤدى إلى الأقصر وتحتوى خبزا وعجولا وثيرانا وطيورا و بخورا وخمرا وكل هذه تؤلف جزءا من غنائم أول الانتصارات التى منحنى إياها «آمون» وقد أهديته ... لأجل أن أملأ مخازنه — فلاحين ليصنعوا له أنواعا مختلفة من الكتان، وفلاحين لحرث الأرض حتى تجنى محاصيل تملأ مخازن والدى « آمون » ثم استمر يقول إنه أهدى لهذا الإله ثلاث مدن وهى « ينعم » و « نجس » و « حرنكر » وهى التى سلمت له فى سوريا جزءا من ضياعه المقدسة[1] .

وتدل الأحوال والنقوش التى لدينا على أن خبر انتصار مصر قد وصل إلى بلاد « آشور » التى كانت وقتئذ قد بدأت تظهر فى الأفق الدولى والظاهر أن ملك هذه البلاد قد رأى بثاقب فكره أنه من الخير لبلاده أن يربط أواصر الصداقة والمهادنة بينه وبين مصر التى ظهرت على الملوك والدول المجاورة له . لذلك أرسل هدايا للفرعون فى السنة الرابعة والعشرين من حكم « تحتمس » وقد حرص الفرعون على أن يدونها فى يوميات تاريخ فتوحه الحربية إذ كانت هذه الهدايا فى الواقع دليلا على قوة سلطانه وشهرته وإن كانت فى الواقع لم تخضع له بلاد « آشور » ؛ وهناك قائمة بهذه الهدايا (راجع : Urkunden IV. P. 668.) .

جزية أمراء آشور : « قطعة من اللازورد الحقيق تزن عشرين دبنا وتسع قدات، وكذلك قطعتان أخريان من اللازورد (المجموع ثلاث قطع) وقطع وزنها ثلاثون دبنا فيكون مجموعها خمسين دبنا وتسع قدات (أى ما يعادل ١٢ رطلا من اللازورد) ، وكذلك لازورد جميل من بابل وأوان من آشور من حجر حرت الملون ... » .

---

(١) راجع : Breasted, A. R. II, § 554.

جزية سوريا : وفى الوقت نفسه وصل إلى الفرعون رسل من سوريا يحملون الجزية والهدايا من بينها « بنت الأمير ومعها حليها ولازورد من بلاده ومعها كذلك ثلاثون من العبيد ، هذا إلى خمسة وستين من العبيد والإماء ومائة وثلاثة من الجياد وخمس عربات مصفحة بالذهب وقضبانها كذلك من النضار وخمس عربات مغشاة بالسام وقضبانها من « العجت » فيكون المجموع عشر عربات هذا إلى خمسة وأربعين ثورا وعجلا وسبعمائة وتسعة وأربعين ثورا ، وخمسة آلاف وسبعمائة وثلاثة رءوس من الماشية وأطباق مفرطحة من الذهب ... لا يمكن وزنها ، وأطباق مفرطحة من الفضة وقطع (زنتها) مائة وأربعة دبنات وخمس قدات ، هذا إلى بوق من الذهب مرصع باللازورد وزرد من البرنز مطعم بالذهب ومحلى بحجر « نخن » الحقيق ... وثمانمائة وثمانية وعشرين إناء من البخور وألف وسبعمائة وثمان وعشرين زجاجة من النبيذ الحلو هذا إلى خشب « عجت » وخشب « عجت » ذى الألوان المختلفة ، وعاج وخشب خروب وخشب مرو وخشب « بسجو » وحزم عدة من خشب الحريق وكل طرائف هذه البلاد » .

أثر هذه الجزية فى الحياة المصرية : ولسنا فى حاجة هنا إلى لفت نظر القارئ إلى ما كانت عليه هذه البلاد من الثراء والغنى والتفنن فى الصناعة والتأنق فى إخراج قطع تعدّ فى عصرنا من قطع الفنّ الرفيع والذوق السليم كما يلاحظ أن الأمراء السوريين أخذوا يرسلون بناتهم ليكن فى القصر فى خدمة الفرعون بين وصيفاته وهنّ مجهزات بحليهنّ وخدمهنّ وحشمهنّ ، ويلاحظ من الآن أن كل هذه الخيرات التى كانت تجبى من سوريا ومن كل الفتوحات الأخرى ، كان للإله نصيب وافر منها ، ولم يفت الفرعون ذكر كل ذلك فى نقوشه الدينيـة التى دوّنها على المعابد التى كان يقيمها للآلهة المحليين فى طول البلاد وعرضها ، فنراه مثلا يقص علينا ما قدّمه للإله « بتاح » فى المعبد الذى أقامه له فى الكرنك فى هذه الفترة إذ يقول على اللوحة التذكارية التى أقامها فى هذا المعبد ما يأتى : « لقد ملأت معبد « بتاح » بكل شىء طريف (١) من ثيران وأوز وبخور وخمر وقربان ومن كل أنواع الفاكهة عندما عاد جلالتى من سوريا بعد حملته الأولى المظفرة التى منحنى أياها والدى « آمون » عندما سلطنى على كل بلاد

(١) راجع : A. S. III. P. 107.

زاهى المتحالفة وهم محصورون فى مدينة واحدة « مجدو » ... ... لأنى احتبلتهم فى هذه المدينة وأقمت حولهم حصارا يتألف من متاريس سميكة » .

وكذلك يحدثنا « أنه أقام لهذا المعبد أبوابا من خشب الأرز الجديد من أحسن أخشاب منحدرات لبنان وصفحتها بنحاس أسيوى وجعله (بتاح) ثريا وجعلته أعظم مما كان عليه من قبل ، فقد صفحت عرشه العظيم بالسام من أحسن ما تنتجه البلاد وكذلك أصبحت كل أوانى المعبد من الذهب والفضة وكل حجر ثمين غال ، وقدمت نسيجا من الكتان الجميل والكتان الأبيض والعطور المصنوعة من عناصر قدسية ، وكذلك لتكون إقامة شعائره سارة » .

ثم تحدثنا اللوحة بعد ذلك عن احتفالات ثلاثة كان لا بد لإقامتها من قرابين خاصة ، وأول هذه الاحتفالات هو عيد الإلهة « موت حتحور » التى كانت تعتبر زوج الإله « بتاح » ، وكان يعقد فى آخر يوم من السنة . والعيد الثانى كان يعقد فى اليوم السادس والعشرين من الشهر الأول من الفصل الأول ، والعيد الثالث هو كما ذكرناه من قبل وهو عيد زيارة الإله « آمون » لمعبد الأقصر . وكان الإله « آمون » فى عيده هذا يزور وهو سائر فى موكبه معبد الإله « بتاح » الذى كان فى طريقه ، وهكذا كان اهتمام الفرعون بأولئك الآلهة الذين قدروا له النصر فى ساحة القتال .

موت أحمس بننخبت ومآثره : وفى هذه الفترة من حكم « تحتمس الثالث » مات رجل من أعظم رجالات مصر الذين خدموا بلادهم ، وخلدوا ذكراهم بأعمالهم لا بمحتدهم وشرف أرومتهم ، ذلكم هو « أحمس بننخبت » الذى عاصر ستة فراعين من ملوك مصر وخدم خمسة منهم ، وقد ذكرنا ما قام به من عظيم الأعمال فيما سبق ، فقد انخرط فى سلك الجيش فى عهد « أحمس » وهو فى الخامسة عشرة من عمره واشترك معه فى حملته على سوريا فى السنة الحادية والعشرين من حكمه ثم يقص علينا فى نقوش تاريخ حياته أنه خدم فى عهد أخلافه «أمنحتب الأول » « وتحتمس الأول والثانى » وعاش حتى عهد « تحتمس الثالث » وعندئذ يقول لنا إنه بلغ من الكبر عتيا وكنت موضع رعاية جلالتهم ، وكنت محبوبا فى البلاط ثم يستمر قائلا

إن الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة « ماعت كارع » المرحومة كانت قد أغدقت على الإنعامات ثانية وكنت قد ربيت أكبر بناتها وهي الابنة الملكية « نفرورع » المرحومة عندما كانت طفلة رضيعة » .

ومما يؤسف له أن سائر نقوش تاريخ حياته قد هشمت ولم يبق منها شيء . ومما سبق نعلم أن هذا الجندى العظيم قد عاش بعد موت « حتشبسوت » وأن « نفرورع » كانت قد توفيت على ما يظهر منذ زمن بعيد . والمعلومات التى نستنتجها من تاريخ حياته لها أهمية عظمى فنعلم أولا أنه بعد ممات «حتشبسوت» بعامين كان لا يشار لاسمها بوصفها ملكة حكمت البلاد . وعلى الرغم من أن اللقب الذى كانت تحمله وهو « ماعت كارع » بوصفها ملكة فعلية فإن « أحمس بننخبت » لم يذكرها هنا بلقب الملكة بل « بالزوجة الإلهية » « وأرملة تحتمس الثانى » . كما نعلم ثانيا أن «تحتمس الثالث» لم يعجل بمحو اسمها من الآثار بعد اعتلائه عرش الملك بل انتظر مدة كما ذكرنا . وثالثا : نعلم أن « أحمس بننخبت » كان مربى الأميرة « نفرورع » قبل أن يقوم على تنشئتها « سنموت » اللهم إلا إذا كان لقب مربى الأميرة لقبا فخريا يمنحه المصريون فى البلاط أحيانا . ورابعا : نفهم من الحملة التى قام بها « أحمس الأول » على بلاد سوريا أنها كانت قد حدثت فى أواخر أيامه لا فى أوائل حكمه كما هو المفهوم لأنه لو صح ذلك لكان « أحمس بننخبت » قد بلغ سنا أرفع من التى وصل إليها إذ كان قد تخطى المائة عندما لاقى حتفه على فراش الشيخوخة .

تحتمس يقيم معبدا خاصا للإله آمون فى الكرنك : والظاهر أن « تحتمس الثالث » عندما عاد من حملته الأولى المظفرة التى جنى منها الخيرات الكثيرة والمال الوافر أراد أن يقيم للإله آمون معبدا يناهض فى عظمته وبهائه وضخامته معبد الدير البحرى الذى أقامته « حتشبسوت » للإله آمون ولنفسها . غير أنه أراد أن يقيم معبدا للإله « آمون » وحده بالقرب من معبده بالكرنك . والظاهر أنه بدأ فى إقامته على إثر عودته فى الحال كما تحدثنا عن ذلك اللوحة التى

تركها لنا فى معبد الكرنك وهى لوحة عظيمة مصنوعة من حجر الجرانيت . وقد احتفل بعيد وضع أساس هـذا المعبد فى السنة الرابعة والعشرين اليوم الثلاثين من الشهر الثانى من الفصل الثانى . وقد كان هذا الاحتفال يوافق أوّل يوم فى الشهر القمرى (Mariette, "Karnak" P. 12).

وهذه اللوحة مهشمة ولم يبق منها إلا الأسطر الافتتاحية غير أننا نفهم منها أن « تحتمس الثالث » قد أقام قائمتى العمد والمحراب اللتين يتكوّن منهما الجزء الشرقى من امتداد معبد الكرنك ، وقـد كان هذا المعبد شاسع المسافة حتى أن « تحتمس الثـالث » أمر بإزالة معبد قـديم للإله « نون » ووضعه فى أقصى الشرق ليفسح المكان لمعبده . على أن السبب الجوهرى على ما يظهر لإقامة « تحتمس الثالث » هذا المبنى العظيم شرقى معبد الكرنك يرجع إلى أن قائمة العمد التى أقامها « تحتمس الأوّل » بين (بوابتيه) الرابعة والخامســة تكون المدخل لمعبد الكرنك وكانت وقتئذ أكبر قاعة فى المعبد والوحيدة التى كان يمكن عقد احتفالات للإله فيها مثل الاحتفال الذى أقيم عند تولية « تحتمس » العرش على يد الإله « آمون » ووالده . غير أن هـذه القاعة كانت قـد أصبحت غير صالحـة لإقامة الاحتفـالات إذ كانت « حتشبسوت » قد نصبت مسلتها فيها ، وبذلك أصبحت بدون سقف وكان فيها طائفة من العمد عددها ستة فى الجهة الشمالية ؛ منها أربعة كان قد صنعها «تحتمس الأوّل » من خشب الأرز وهى التى جدّدها « تحتمس الثالث » ودوّن عمله هذا على أحد هذه الأعمدة إذ قال : [لقد أقامها (أى تحتمس الثالث) أثرا لوالده « أمونْ رع » وذلك باقامة أربعة عمد من الحجر الرملى أقيمت فى قاعة العمد تجديدا للتى أقامها الإله الطيب رب القربان (تحتمس الأوّل) من خشب الأرز، وقد أضاف جلالتى أربعة عمد زيادة على العمودين اللذين فى الجانب الشمالى ومجموعها ستة مغشاة بـ... ومؤسسة ... والذى أحضر بسبب اسم جلالتى وهى جزية كل البلاد التى منحنى إياها والدى الإله « آمون » مصنوعة من الحجر الرملى . وارتفاع كل منها ثلاثون ذراعا على كل جانبى (البوّابة) السامية العظيمة ... وكانت تضىء الكرنك ... من الحجر الرملى نقش بالألوان صور والدى « آمون » وكذلك صور جلالتى وكذلك صور والدى الطيب « تحتمس الأوّل » .

تأمل ! لقد أقمت ما كان متداعيا فيها بالحجر الرملى لكى يصبح هـذا المعبد مؤسسا ... مثـل السماء مرتكزة على عمدها الأربعة بوصفها آثارا ممتازة مفيدة لوالد الأبدية من الجرانيت والعاج والحجر الرملى ... والفضة « لجميل الوجه » (لقب يطلق على الإله بتـاح) وإنى أقسم بقدر ما يحبنى الإله « رع » وبقدر مايحبنى الإله « آمون » بأنى أقمتها من جديد فى الجهة الجنوبية بالإضافة إلى ما كان قد أضافه والدى » .

وعلى ذلك نجد أن الجزء الشمالى من القاعة وهو المكان الذى كان قـد وقف فيه « تحتمس الثـالث » عندما توج ملكا على البلاد قـد أصلحه هو ولكن الجزء الجنوبى كان لا يزال بدون عمـد وسقف ، وكانت قاعدة مسلة « حتشبسوت » التى أقيمت فيه قـد شغلت مكان ثمانية أعمدة أى ما يقرب من ثلث قاعة العمد كلها ، وعلى ذلك أصبحت القاعة غير صالحـة لإقامة المحافل فيهـا لوجود المسلة فى وسطها مما عاق فى الوقت نفسه وضع سقف لها ، ولهذا أقام «تحتمس الثالث» بنـاء حول كل من المسلتين ليكسو نقوش « حتشبسوت » التى كان يكره ذكراها هذا إلى أنه توقف عن عمل أى إصلاح فى القاعة التى توج فيها .

قاعة الأعياد : ولمـا كانت مثل هذه الحجرة لا غنى عنها لإقامة المحافل العظيمة فإنه بنى فى الجهة الشرقية من المعبد قاعة الأعياد التى نحن بصددها ، وقـد كلف مهندس مبانى « منخبررع سنب » الإشراف على هذا المبنى ، وكان هذا المهندس يحمل كذلك لقب الكاهن الأوّل للإله « أمون » وقد ذكرنا فى نقوش مقبرته علاقته بهذا المعبد الجديد[1] . أما النقش الذى على اللوحة التى دوّنت عن بناء هذا المعبد فهو :

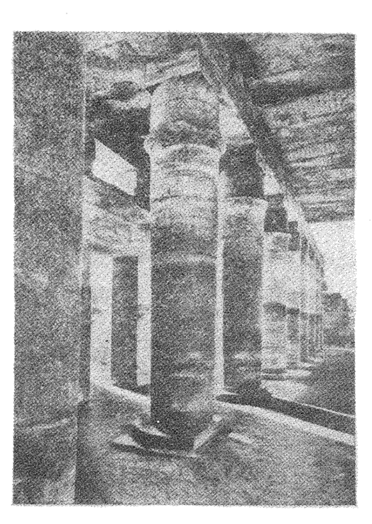
الوحى : « ... لقد أمر الملك نفسه بتدوينها على حسب ما ذكر الوحى لتنفيذ آثاره أمام الذين على الأرض — لقد رغب جلالتى فى إقامة هـذا الأثر لوالدى « آمون رع » فى الكرنك وهو إقامة مسكن يجمـل الأفق ويزين « خافت حرنبس » وهو المكان المخـتار لوالدى منذ الأزل (أحد ربوع طيبة) « آمون رع » رب طيبة ، ولقد أقمته له على هذه الكتلة من الحجـر الصلب رافعا اسمـه ومعظما له بدرجة عظيمة منذ ... ... ماء محراب « نون » عندما يصل فى مواعيده » .

---

(١) راجع : Breasted, A. R, II. § 772. ff.

إزالة المبانى القديمة : « لقد أقمته له على حسب رغبته وأرضيته بما فعلته له لأنى أقمت أولا محرابا فى الجهة الشرقية من هذا المعبد . تأمل ! لقد وجد جلالتى الجدار المحيط من اللبن ، وقد أزلت الجدار المبنى من اللبن لأجل أن أمد بناء هذا المعبد فنظفته وأزلت الأجزاء المخربة منه وأزلت السور الذى كان بجانبه وهو الذى امتد حتى المعبد وقد أقمت هذا المكان حيث كان السور لأقيم عليه هذا الأثر ... الكرنك ، فأقمته من جديد ونفذت ما كان قد أمر به ، ولم استحل لنفسى آثار غيرى وإن جلالتى ينطق صدقا ليعلمه كل واحد لأنى أمقت الكذب والمين . حقا إنى أعلم أنه مسرور بذلك » .

محافل التأسيس : « وقد أمر جلالتى أن يعد الحفل لوضع الحجر الأساسى عند حلول يوم العيد بالقمر الجديد ، وأن يمد حبل المقياس على هــذا الأثر فى الســنة الرابعة والعشرين الشهر الثانى من الفصل الثانى اليوم الأخير من الشهر وهو يوم العيد العاشر للإله « آمون » فى ... ... وقد جلس الإله



قاعة الأعياد بالكرنك

على عرشه العظيم و بعد ذلك سرت وراء والدى « آمون » وقد بدأ الإله فى ذهابه للاحتفال بعيده هـذا الجميل وقد تعجب هذا الإله ... ... وقد اتخذ هذا الإله مكانه لمـد حبل القياس لوضع الأساس ، وقد وضع جلالته أمامه هذا الأثر الذى حدده لجلالته ، وقد سر جلالة هذا الإله بهذا الأثر ... ... ثم تقدم جلالة هذا الإله واحتفل بهذا العيد الجميل لسيده » .

و يلحظ هنا أن الجزء الأخير من هـذا النقش مهشم ولا يمكن فهم شىء منه على وجه التأكيد .

هندسة المعبد : وهـذا المعبد العظيم الذى سردنا ذكره مما بقى من اللوحة التى نقشت عنـه لا يزال قائما حتى الآن و يحتوى على قاعة رئيسية فسيحة الأرجاء يرتكز سقفها على صفين من العمد يشـتمل كل منهما على عشرة عمـد ذات تيجان غريبة تمثل فى الواقع عشرة محاور ارتكازية لسرادق ، ولذلك يجد المتأمل فى القاعة أنها تمثل خيمة عظيمة ، وتحقيقا لهـذه الفكرة أقيم دهليز منخفض السقف حول جوانب القاعة ممـاثل للهدب المرفوعة على جوانب الخيمة ومن المحتمل جدا أن هـذا الطراز الفذ من المبانى كان يقصـد به « تحتمس الثالث » أن يبرز به فى صراحة صفات الفرعون الحربية . وأن يبرز اعتقاده بأن الإله « آمون » إله حرب من جهة أخرى وأنه إنما يأوى الى معسكر فى سرادق مثل هـذا لا إلى بيت أو محراب على غرار الآلهـة الآخرين . وفى جوانب هـذه القاعة وخلفها أقيمت حجرات عدة كما أقيمت أمام المعبد فى الجهة الغربية ردهة مكشوفة تفصـل بين هذا المعبد ومعبد الإله آمون الأصلى[1] . وهـذا المعبد يعرف بقاعة الأعياد و يعـد بحـق من أجمل المبانى فى طيبة ويبـلغ طول القاعة العظمى التى وصفناها نحـو ١٤٠ قدما وخلفها يقع المحراب أو قدس الأقداس .

حجرة الأجداد : أما الحجـرة التى حولها فيبلغ عددها نحـو خمسين حجـرة ومن بينها الحجرة التى تعرف « بحجرة الأجداد » وتقع فى الجهة الجنوبية وهى التى

---

(١) راجع : Weigall, "Guide", P. 103

أمر « تحتمس الثالث » بأن تنقش فيها نخبــة من أسماء أجداده ملوك مصر وأن يزاد فى قربانهم وأن تصنع لهم تماثيل وهذه الأسماء الملكية من المصادر التى يعتمد عليها فى تاريخ ملوك مصر كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وقد انتزع « بريس دافن » أحجار هذه الحجرة برمتها ونقلها إلى باريس حيث بنيت من جديد بمتحف اللوفر بالقسم المصرى . ومن غريب الصدف أن بعض التماثيل التى أمر بنحتها الفرعون لهذه الحجـرة عثر عليها فى خبيئة الكرنك مع غيرها من التماثيـل التى كانت منصوبة فى هذا المعبد .

الحملة الثانية : لم تحدثنا الآثار عن أى عمــل حربى قام به هــذا الفرعون فى حملته الثانية إلى بلاد رتنو لأن النقوش هنا مع الأسف مهشمة حتى عند الجزية التى كان يحملها له أمراء الممــالك المختلفة . وهاك مابقى لنا من النص :

« السنة الرابعة والعشرون : قائمة بالجزية التى أحضرت إلى عظمة جلالته من بلاد رتنو .

١ — جزية بلاد آشور : قطعة عظيمة واحدة من اللازورد الحقيق ... ...

٢ — جزية بلاد رتنو : ... جلود الحيوان « مخاو » لتجليد عربة صنعت من أحسن الأخشــاب ومائة واثنتان وتسـعون عربة ... وثلثمائة وثلاث وأربعون قطعة من خشب « نحب » وخمســون قطعة من خشب الخروب ومائة وتسعون قطعة من خشب « مرو » ومائتان وست قطع من خشب « نبى » وخشب « كانك » وأخشاب زيتون ... ...

ومن ذلك نرجح أن هذه الحملة قد قام بها « تحتمس الثالث » لتفقد أحوال البلاد التى فتحها من قبــل وما كان عليه الأمراء من الولاء له ولإحضار مقــدار عظيم من الخشب التى كانت البلاد المصرية تفتقر إليه والظاهر أن ملك آشــور لم يفته اظهار ولائه فبعث لجلالته بهدايا كثيرة أخرى .

الأشجار والحيوانات التى جلبها الفرعون من بلاد سوريا : وفى السنة الخامســة والعشرين (المتن هنا مهشم) والظاهر أن الفرعون قــد حارب بعض الولايات هناك وأنه أشعل النار فى بعض مدن واستولى على أسلاب من العدو ،

وفى هــذه الحملة أحضر الفرعون مجموعة من الأزهار انتخبها لتغرس فى مصر وقــد غرست فى « طيبــة » وأزهرت إزهارا يانعا . ونشاهــد أنه لمــا تم بناء المعبد فيما بعد نقشت أنواع هــذه الأشجار على جدران إحدى حجراته ويمكننا أن نشاهد ما تبقى منهــا إلى يومنا هــذا ونستطيع أن نعرف الأزهار العدة التى كانت تزين حديقة معبد « آمون » . وتحدثنا النقوش فى الســنة الخامسة والعشرين أن هذه الأزهار هى التى أحضرها جلالته فى هذه السنة والظاهر أنه كان قــد أحضر مع مجمــوعة الأزهار هــذه عدة طيور وحيوانات اســتؤنست فى طيبة كما يظــهر من المجموعة التى على جدران إحدى حجرات هذا المعبد . ويطلق على مجموعة الأزهار هذه جنينة النباتات . وعلى الرغم من أن الجزء الأعلى من الجدران التى رسمت عليها هــذه الأزهار والنباتات قد زال من عالم الوجود فإن ما تبقى منها يعطينا فكرة عما كانت تشتمل عليه تلك الحديقة .

ونجــد عليها كل النباتات التى وجدها جلالته فى أرض « رتنو » (بلاد سوريا) إذ يقول المتن : « إن كل النباتات التى كانت تنمو وكل الأزهار التى فى أرض الإله التى كشــفها جلالته هناك قد أحضرها عند ما ذهب ليخضع كل الممالك على حسب أوامر والده آمون . وهو الذى ألقاهم تحت موطىء نعليه » .

وقــد بقى على الجدران حتى الآن رسم ١٧٥ نباتا أو أجزاء من نباتات وقــد درسها العالم الألمــانى «شفينفورت» فوصل إلى النتائج الآتية : ظهر أن رسم بعض النباتات كان رسمــا علميا صحيحا متقنا وأن بعضها كان رسما تقريبيا قد اعتمد فيه على ذكريات مبهمة مما رآه المفتن . كما أن بعضها كان خياليا محضا . والواقع أن المفتن الذى رسمهــا كان يقوم برسم نباتات غريبة عنه . ولمــا لم يكن لديه وثائق يرجع إليها فإنه كان يعتمد على الخيال .

وقد عرف « شفينفورت » بعض النباتات من بين هــذه التى وجدت على الجدران منها الرمان الذى كانت زراعته قــد أدخلت فى مصر فى تلك الفــترة

مبـاشرة وكذلك عـرف Arum italicum ، و Dracunculus Vulgaris و Calenchoe والايرس (زنبق) ، غير أننـا لسنا متحققين من وجـود نبات Dipsacus ؛ و Chrysanthemum ونبات Convolvulus . ومـع أننا وجدنا بعض النباتات قـد رسمت بدقـة فإنه مع ذلك لم يمكن معرفتها وقـد أمر « تحتمس الثالث » بأن ترسم كل هذه النباتات ليضعها أمام والده آمون فى معبده العظيم حتى يذكر اسمه إلى الأبد (راجـع ;Capart, "Thebes" p 176 - 7 Breasted, A. R. II, § 193.

ولم يأت ذكر السـنة الخامسة والعشرين فى النـقوش الأخرى إلا على لوحة صغيرة نقشـت فى الصخر فى « سرابة الخادم » فى شـبه جزيرة سينا[1] ذكرلنا فيهـا رئيس المـالية المسمى « رى » أنه جاء على رأس حـملة فى هذه السـنة إلى تلك الجهة للحصول على الفيروز .

ولم يصلنا شيء عن حملته الرابعة ويحتمل أن نقوشها قد فقدت وربمـا كانت لتثبيت سلطانه فى الممتلكات التى فتحها ولذلك لا نعـلم شيئا عن حروبه فى السـنة السادسة والعشرين .

وفى السنة السابعة والعشرين لم نعرف له أثرا يذكر اللهم إلا لوحة نقشت على صخور «سرابة الخادم» ، وكذلك فى السنة الثامنةوالعشرين لم يصلنا عنها شيء مباشرة ولكن لدينا نقوش قبر هامة ذكرفيها هذا التاريخ وهى لمدير بيت الوزير «وسر» المسمى «أمنمحات» وكان قد جمع ثروة طائلة وأقام لنفسه مقبرة فخمة فى طيبة[2] . وفى نقوش مقبرة « أمنمحات » هذا معلومات هامة تلق بعض الضوء على حياة القوم وبخاصة الطبقة العليا منهم مما جعلنا نقتطف منها ما يأتى ، يقول أمنمحات عن نفسه :

---

(١) راجع : L. D. III, Pl. 29a.

(٢) راجع : Gardiner, "The The Tomb of Amenemhet", P. 71 ff.

حالة البلاد الاجتماعية والدينية من نقوش أمنمحات : لقد كنت خادما خدم سيده ورجلا قديرا عمل ما قال وقــد وضع رئيس الوزراء كل ضياعه تحت إدارتى وكل خاتم له تحت تصرفى ، وكان رئيس الوزراء يفعل كل ما يرضى الفرعون يوميا وجعل الحق يذهب لسيده الذى يحبه جلالته فى كل الأوقات وقد فعل كل ما يحبه الإله فى تأدية الأوامر وتنفيذ الأنظمة ... ... وذلك بعمل الحق الذى يحبونه مراعيا الفقير كما يراعى الغنى وحاميا الأرملة التى لا أقارب لهـا ومسريا عن روح المسن والشـيخ ومنصبا الأولاد فى الوظائف التى كان يشغلها آباؤهم وجاعلا كل إنسان سعيدا . والآن صاغ رئيس الوزراء مجوهرات عدة من الذهب والفضة واللازورد والفيروزج وكل أنواع الأحجار الكريمـة وصاغ أوانى من ذهب وفضــة ونحاس وبرنز وصــنع أثاثا من العاج والأبنوس وخشب الأثل (السنط) وكنت أنا الذى أشرفت على هذا . وكذلك نحت عدة تماثيل للقصر نفسه لتوضع فى محاريب الآلهة وكنت أنا الذى أشرف على هــذا العمل أيضا وغرس لنفسه حديقة غناء كبيرة جدا فى غرب المدينة الجنوبية (طيبة) فيها كل أنواع الأشجار الجميلة ومزينــة بكل أنواع أشجار الفاكهة وقد قمت أنا بهذا العمل . وكذلك أقام لنفسه قصرا كريما جدرانه من اللبن وأبوابه من الحجر . وقد كلفت بهذا العمل أيضا .

ولا نزاع فى أن هــذا المتن يلقى بعض الضوء على علاقة المـلك بوزيره وعلاقة الوزير بمدير بيته وحاسب غلاله كما يكشف لنا عن الثراء الذى كان يتدفق على البلاد فى ذلك الوقت ، وما كان يتمتع به الأغنياء وأصحاب الجـاه فى هــذه الحياة الدنيا من قصور فاخرة تبنى باللبن وحدائق غنــاء تزرع فيها أشجار الفاكهة ممـا لذ وطاب ولقد كان هــذا الثراء والنعيم هــو نفس ما يتطلبه المتوفى فى الآخرة . ولذلك نجد المصرى يتضرع للآلهــة أن يوهب روحه أو قرينه مثــل ذلك فاستمع إلى أهــل « أمنمحات » وهم يتوسلون إليه .

يا « أمنمحات » ليت ذكراك تبـقى فى بيتك وتماثيلك فى محاريبك وروحك حى ، وجسمك محفوظ فى قبرك بالجبانة ويبقى اسمــك فى فم أطفالك إلى الأبد ، يا أمنمحات ! إن الصخرة تمــد إليك ذراعيها وأرض الغرب تبتهج بصلاحك وتنحنى إجلالا لك بعد تلك السنين من عمرك الطويل المحترم وتفسح لك مكانا بين أتباعها الذين يعيشون فيها إلى الأبد يا أمنمحات ! ليتك تدخل وتخرج من الجبل الغربى كما تريد وتسير داخل (بوابات) العالم السفلى لتعبد إله الشمس عند ما يطلع من الجبال وتنحنى له عندما يغرب فى الأفق ، ليتك تتسلم القربان وتشبع بالأكلات على مائدة « أوزير » رب الأبدية ! وليتــك تتنزه كما ترغب على شاطىء بحيرة حديقتك ! وليت قلبك ينعم بأزهار حديقتك وليتك تروح عن نفسك تحت ظلال أشجارك ! وليت

ظمأك يطفأ من ماء البئر التي حفرتها أبد الآبدين ! وليتك تخترق جبال الجبانة وتخرج لترى بيتك فى أرض الأحياء، وتسمع صوت الغناء والموسيقا التي على الأرض وتكون روحا حارسا لأولادك إلى الأبد"! .

ويرى القارئ من هـذا النص أن المصرى كان متعلقا بعـالم الدنيا ولا يرغب إلا فى العودة إليه ليتمتع بنعيمه ولذائذه بعـد الموت حتى أنه كان يتمنى أن يخترق جبال الجبانة ويخرج إلى عالم الحياة الدنيا ويتمتع بالغناء والموسيقا فى قاعة بيته التى طالمـا تقلب فى أعطاف النعيم فيها .

تحتمس الثـالث يستولى على موانى ساحل فينيقيـة لتكون قاعدة لجيوشه : وتدل ظواهر الأحوال وما يستنتج من النقوش على أن «تحتمس الثالث» بعد أن وطد أركان السلام فى الربوع التى فتحها أخيرا رأى أنه لا يمكنه أن يسـير فى طريق الغزو شمالا بين جبال لبنان ليقضى على مملكة قادش دون أن يستولى على مدن فينيقيا الساحلية التى قد تصبح خطرا يهدده دائمـا من خلفه . وكذلك رأى أنه من العسير عليـه أن يهاجم بلاد النهرين ، (مملكة المتنى) دون أن يستولى على مملكة «قادش» الواقعة على نهر العاصى وكانت لا تزال خارجة عن سلطانه، ولذلك بنى « تحتمس الثالث » أسـطولا عظيما وجهزه بكل ما يلزم مر عتاد ليتمكن بمساعدته من النزول فى شمال ساحل فينيقية وبخطته هذه يمكنه أن يتخذ الساحل قاعدة حربيـة لمهاجمة قادش وما حولها من البلاد المعادية حتى إذا ما استولى عليها استطاع أن يسـير بجيشه من الساحل موغلا فى الداخل نحو بلاد المتنى وكل إقليم بلاد النهرين . ولا نزاع فى أن هـذه الخطة المبتكرة تدل على نبوغ فى الخطط الحربية لم يصل أحد اليه ولم يسبقه بهـا ، يضاف إلى ذلك أنه نفذها بنشاط ومثابرة تعرف الملل وعزم لا يعرف الكلل . وقد قال أحد المؤرخين المحدثين لو كانت هـذه الخطط بعينهـا استخدمت فى الحرب العالمية الأولى فى الحمـلة على الأتراك لانتهت الحملة فى العام الأول .

الحملة الخامسة : قام « تحتمس الثـالث » بجيشه زاحفا نحو « سـوريا » فى حملته الخامسة ليطفىء نار ثورة محليـة فى مكان لم يعرف اسمـه وربما كان

« وارثت » على ساحل فينيقية ، فإنه يقص علينا دون مقدّمات أنه استولى على المدينة ، ولا بدّ أنها كانت ذات شهرة عظيمة وثراء جم ، إذ استولى منها على مغانم كثيرة ، وقد كان فيها معبد للإله آمون بناه أحد ابائه ، وبعد أن استولى على تلك المدينة المجهولة أقلع بأسطوله وسار شمالا محاذيا للشاطئ حتى وصل الى مدينة « أرواد» العظيمة فحاصرها (انظر مصور رتنو العليا)، ولم يمض طويل زمن حتى سلمت وبسقوطها استولى المصريون على مقدار عظيم من ثروة فينيقية ، واتفق أن الاستيلاء عليها كان فى فصل الخريف ، وقد كانت الحدائق والخمائل محملة بالفاكهة والخمر يجرى كالغيث ، وحبوبها تحدر على جوانب الرمال أكثر من رمال الشاطئ ، وقد غنم رجال الجيش مغانم عظيمة بالسلب والنهب حتى أن «تحتمس» لم يكن فى مقدوره فى مثل هذه الأحوال أن يحفظ النظام بين رجال جيشه . والواقع أن رجال جيشه فى الأيام الألى كانوا ثملين ومعطرين بالزيوت الزكية الرائحة كأنهم يحتفلون بعيد فى مصر .

وعلى إثر هذه الهزيمة جاء أمراء الساحل حاملين جزيتهم مقدّمين خضوعهم ، وبذلك ضمن « تحتمس » لنفسه منفذا بل منافذ على سواحل البحر فى الشمال ليربط بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه الموغلة فى الداخل من جهة أخرى . ومن ذلك الوقت أصبحت مدن هذا الساحل قاعدة لأعماله الحربية فى داخل هذه البلاد تنفيذا لخطته التى كان قد وضعها لمهاجمة ملك « قادش » . وقبل أن ننتقل إلى حروبه مع ملك قادش نورد النص المصرى القديم عن هذه الحملة ليقف القارئ على مقدار الأسلاب التى استولى عليها الفرعون فى خلالها :

السنة التاسعة والعشرون : تأمل ! كان جلالته فى أرض « زاهى » ليخضع البلاد الأجنبية الثائرة عليه فى حملته الخامسة . تأمل ! إن جلالته استولى على « وارثت » ...... وهلل هذا الجيش لجلالته كما قدم ثناءه للإله آمون لما وهبه من نصر لابنه ، وقد كان ذلك سارا لقلب جلالته أكثر من أى شىء . وعلى إثر ذلك اتجه جلالته نحو مخازن القربان ليقدم القرب للالهين « آمون » « وحوراختى » من ثيران وعجول وطيور لأجل فلاح وعافية « منخبرع » (تحتمس الثالث) العائش مخلدا .

الغنائم التى استولى عليها من هذه المدينة : قائمة الأسلاب التى استولى عليها رجاله من العدو صاحب مدينــة « تونب » : أمير المدينــة ، ثلثمائة وتسعة وعشرون محاربا ، ومائة دبن من الفضة ومائة دبن من الذهب ، هذا إلى لازورد وفيروزج ، وأوان من البرنز والجمشت .

الاستيلاء على سفينتين من العدو فى أثناء عودة الفرعون إلى وطنه : تأمل ! إنه استولى على سفينتين مجهزتين بجارتهما ومحملتين بكل شىء ، من عبيد وإماء ونحاس وقصــدير واستفياذج (صنفرة) » ، وكل ما طاب .

وبعد ذلك سار جلالته إلى مصر إلى والده « آمون رع » بقلب فرح .

نهب أرواد :

تأمل ! ان جلالته نهب مدينة « أرواد » بما فيها من حبوب كما قطع كل أشجارها الجميلة .

خيرات بلاد زاهى :

تأمل ! لقد وجد كل منتجات بلاد زاهى فكانت حدائقها محملة بالفاكهة وقد بقى نبيذها فى معاصرها يسيل كالماء، كما كانت حبوبها مكدسة فى أجرانها أكثر من رمال الشاطىء، وقد غمر رجال الجيش بأنصبتهم .

قائمة الجزية التى جلبها جلالته من هذه الحملة :

أحضر واحدا وخمسين من العبيد والإماء واثنين وثلاثين جوادا وعشرة أطباق من الفضة وكذلك أحضر أربعمائة وسبعين إناء من الشهد وســتة آلاف وأربعمائة وثمانيــة وعشرين إناء من الخمــر ونحاسا وقصديرا ولازوردا ، وفلسبارا أخضر ، ونحو ستمائة وثمانى عشر من المــاشية الكبيرة وثلاثة آلاف وستمائة وستة وثلاثين رأسا من المــاشية الصغيرة ، ورغفانا مختلفة أنواعها ، وقمحا نقيا ، وحبوبا مطحونة ... وكل فاكهة جميلة من هذه البلاد . تأمل ! ان جنــود جلالته كانوا ثملين ومعطرين بالزيوت كل يوم كأنهم فى عيد فى مصر .

أثر الغنائم فى المصريين :

والواقع أن هــذه المغانم (إذا كانت الأرقام التى تدل عليهــا صحيحة) تشــعر ببداية إدخال الترف والنعيم على قوم مصر بصورة مزعجة مما لم يسمع به من قبــل فى تاريخ البــلاد ، ولذلك لا ندهش إذا كنا نرى أن هــذا اليسار والثروة الطائلة كان الخطوة الأولى فى انحلال الأخلاق وفساد العناصر الطيبــة فى البلاد مما أدى بعد زمن غير طويل إلى الانحطاط الخلقى والعسكرى معا . وسنرى أن الدم المصرى

أخذ يلتحم بالدم الأجنبي و يمتزج به من جراء ما كان يرد على البلاد من أجنبيات فاتنات لا ينقطع معينهن .

الحملة السادسة فى السنة الثلاثين :

وفى السنة الثلاثين قام الفرعون بحملته السادسة وكان غرضه على ما يظهر الاستيلاء على بلدة « قادش » (تل بنى مند) ، فأقلع من مصر ونزل بجيشه عند «سميرا» شمالى «أرواد» وتقدم نحو «قادش» الواقعة على الجانب الأيمن لنهر العاصى فى أقصى شمال الوادى العالى الواقع بين جبلى لبنان وكانت المدينة وقتئذ محصنة من جميع الجهات ؛ بنهر العاصى وفرع منه ثم بقناة حفرت لتوصل بينهما ، هذا إلى وجود تحصينات أخرى خلف هذه التحصينات الطبيعية لتحمى المدينة ، ولذلك كان الاستيلاء عليها يعد من الأعمال الحربية العسيرة المنال .

حصار قادش والاستيلاء عليها :

وقد حاصرها « تحتمس » مدة طويلة انتهزت فى خلالها بعض المدن الساحلية هذه الفرصة وشق أهلها عصا الطاعة على الفرعون ؛ من بينها مدينة «أرواد» التى قامت بثورة للتخلص من الجزية التى كانت تدفعها للفرعون سنويا ، ولكن على أثر سقوط « قادش » طار «تحتمس» على جناح السرعة إلى « سميرا » وأنزل جيشه فى الأسطول الذى كان فى انتظاره وأقلع به إلى مدينة « ارواد » وأوقع بأهلها عقابا صارما ، وقد كان هذا العصيان من جانب « أرواد » درسا عمليا «لتحتمس الثالث » ألا يسير فى خطته لغزو بلاد« النهرين» قبل أن تدين لسلطانه كل بلاد الساحل . ولذلك نجده قد أمضى صيف السنة الواحدة والثلاثين من حكمه وهى الحملة السابعة فى القضاء على أى ثورة وكبح جماح أى عصيان فى هذه الجهات .

وهاك النص المصرى الذى دونه عن الحملة السادسة فى السنة الثلاثين :

السنة الثلاثون : تأمل : كان جلالته فى بلاد « رتنو » فى حملته المظفرة السادسة .

الاستيلاء على قادش : وصل جلالته إلى مدينة «قادش» فاستولى عليها واجتث أشجار خمائلها وحصد غلاتها ثم سار إلى إقليم «سشريت» ومن ثم وصل إلى بلدة «سميرا» ثم وصل إلى بلدة «أرواد» وفعل فيها بالمثل .

جزية رتنو : قائمة بالجزية التى أحضرتها قوة جلالته من أمراء رتنو فى هذه السنة . تأمل ! ان أولاد الأمراء و إخوتهم سيقوا إلى المعاقل المصرية . تأمل ! ان كل من مات من بين هؤلاء الأمراء كان جلالته ينصب ابنه مكانه .

قائمة بأولاد الأمراء الذين أحضروا هذا العام : ستة وثلاثون رجلا . ومائة وواحد وثمانون من العبيد والأماء ، ومن الخيل مائة وثمانية وثمانون ، وأربعون عربة مصفحة بالذهب والفضة المطلية بالالوان .

ونعلم من هــذا النص فضلا عن الغنـائم التى استولى عليها الفــرعون أنه كان يســتولى على أبناء الأمراء و ينشئهم فى مصر تنشئة مصرية ثم يضعهم مكان آبائهم بعد موتهم كما سبق شرح ذلك .

الحملة السابعة والغرض منها : وقد كان الغرض الأول من هذه الحملة هو إخضاع بلدة عاصيــة تدعى « انراثو » (ألاوزا) وتقع على الساحل بالقــرب من « سميرا » وقد كانت فى حلف مع بلدة « تونب » ، وقد كان فى مقدور الفرعون وقتئذ أن يحشد قوة كبيرة فى أسطوله ويسير بها مباشرة لإخضاع هذه البلدة ، وقد تم له ما أراد إذ زحف بجيشه وأخضعها فى سرعة خاطفة ، وهاك النص المصرى عن هذه الحملة :

السنة الواحدة والثلاثون : مجموع الأسلاب التى استولى عليها جلالته فى مدينة «انراثو» (أولازا) الواقعة على ساحل «نهر الكلب» (إليوتيرس) أربعمائة واثنان وتسعون أسيرا أحياء ... ابن العدوصاحب « تونب » ... ورئيس ... الذين كان فيها والمجموع أربعمائة وأربعة وتسعون رجلا ، وســتة وعشرون جوادا ، وثلاث عشرة عربة وكل معداتها من آلات الحرب ، وقد استولى جلالتــه على هــذه المدينة فى مدة قصيرة وكل متاعها كان غنيمة له .

الجزية من بلاد رتنو : جزية أمراء «رتنو» الذين أتوا ليقبلوا الأرض من أجل قوة جلالته فى هــذه السنة ... ... عبيدا وأماء ... ... ذهبا واثنين وسبعين طبقا من الفضة من صنع هــذه البلاد ، وسبعمائة وواحدا وستين دبنا وقدتين من الفضة وتسع عشرة عربة مصــفحة بالذهب ومعدات من كل

الآلات الحربيــة ومائة وأربعة ثيران وعجول ومائة واثنين وسبعين بقــرة فيكون المجموع مائتين وستة وسـتين ، وكذلك أربع آلاف وستمائة واثنين وعشرين من الماشية الصغيرة ، وأربعين قالبا من نحاس البلاد ، وقصديرا ، ... ... وإحدى وأربعين سوارا من الذهب المحـلى بالصور وكذلك كل محصولها ، وكل الأخشاب ذات الرائحة العطرة فى هذه البلاد .

تموين الثغور : تأمل ! ان كل ثغر وصـل إليه جلالتى كان قـد مد بالخبز الجميـل وبالرغفان المتنوعة ، وبالزيت وبالبخور والنبيذ والشهد وكل الفاكهة الجيلة من هذه البلاد ... وكانت كثيرة يخطئها العـد ، وأكثر مما عرفها جيش جلالتى من قبل ، وهذا ليس بكذب فقـد دونت فى المذكرات اليوميـة فى القصر (أى الفــرعون له الحياة والفلاح والصحة) ، وقائمتها لم تدون فى هـذه النقوش بعدا عن كثرة الكلام ولأجل أن نورد مناسبتها فى هذا المكان (وكذلك فيما يخص محصول بلاد رتنو) فإنه لم يدون هنا لنفس السبب السالف الذكر بل دون فى إدارة بيت المال .

وكذلك لم يعلن محصول بلاد « رتنو » ويحتوى على كثير من البر النقى وعلى قمح فى سنابله وشعير و بخور وزيت أخضر ، ونبيذ وفاكهة وكل شىء حلو من البلاد وستسلم للخزانة مثل محصول بلاد كوش .

جزية بلاد أسيوية أخرى (١) : جزية أمير ... بلاد ... فى هذا العام ... وثلاثة وثلاثون قدحا للشراب وكذلك جلود وكل حجر ثمين من هـذه البلاد وكذلك أحجار أخرى عدة مرصعة بكل الأحجار الثمينة التى فى هذه البلاد .

وفى هذه السنة وصلت بعثة من بلاد بنت إلى مصر يحمـل رجالها إلى الفرعون جزية هـذه البلاد من العطور والفاكهة (٢) .

وكذلك وصل إلى الفرعون من بلاد « كوش » و بلاد « واوات » الجزية السنوية التى كانت تؤديها هذه البلاد لجلالة الفرعون وهى تلك المحاصيل التى اشتهرت بها هذه الأصقاع وهاك النص .

جزية بلاد كوش الخاسئة فى هذا العام : ... دبنا من الذهب وعبيدا وإماء من الزنوج س + ٦ وأسرى من الذكران من السود بصفة تابعين و يبلغ عددهم عشرا . هذا إلى مائة وثلاثة عشر من البقر والعجول ، ومائتين وثلاثين من الثيران مجموعها ثلثمائة وثلاثة وأربعون . هذا إلى سفن محمـلة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود ، ومن كل المحصولات الجيلة من هذه البلاد ، يضاف إلى ذلك حصاد الإقليم .

---

(١) راجع : Urkunden, IV, P. 694.

(٢) راجع : Urkunden, IV, P. 695.

جزية بلاد واوات : جزية واوات... دبنا من الذهب، وعبيدا وإماء من سود واوات وواحدة وثلاثين بقرة، وواحدا وستين ثورا فيكون المجموع اثنين وتسعين؛ هذا عدا سفن محملة بكل مالذ وطاب من هذا الإقليم، وكذلك حصاد واوات » .

ويلحظ فى محصول هـذه الجهات السودانيـة أنها كلها كانت مواد أوليـة وحيوانات هذا على عكس ما نشاهده من المنتجات الفنيـة العظيمة التى كانت ترد من بلاد آسيا مما يضع أمامنا الفرق بين البلدين المحتلين من حيث التقدم والحضارة

الحملة الثامنة وتعد أعظم غزواته : ظـل تحتمس الثالث فى مصر عامين بعد حملته السابعـة ثم قام بحملته الثامنة فى السـنة الثانية والثلاثين ، وتعد أعظم غزوة قام بهـا فى كل حروبه بعـد الغزوة الأولى . إذ تم « لتحتمس الثـالث » فى نهايتها كل ما كانت تصبو إليه نفسه وتتطلع إليه آماله ، وهو الوصول إلى نهر الفرات وإخضاع كل البلاد المجاورة له . وقـد دوّن لنا انتصاراته فى هـذه الحملة فى النقـوش التى على جدران معبـد الكرنك وكذلك فى لوحة جبـل « بركال » ، وسنفصل القول أولا فى هـذه الحملة ثم نورد المتنين اللذين وصلا إلينا، وكذلك نشير إلى ما جاء عن حملته هـذه فى حياة « أمنمحاب » الذى كان يرافقه فى كل حملاته فى بلاد آسيا .

فى السنة الثالثة والثلاثين من سـنى حكمه شرع « تحتمس الثالث » فى القيام بحملته الثامنة وهى التى وصـل فيها إلى قمـة مجده الحربى ، إذ فى غضونها عبر نهـر الفرات غازيا بلاد النهرين (المتنى) ، وقد كانت أول حركة قام بها هى غزو أقاليم «قطنة» (وهى بلدة المشرفة الحالية على مسيرة ثمانية عشر كيلو مترا شمالى شرقى حمص)[١] . وتدل الأحوال على أنه كانت قـد قامت اضطرابات فى بلدة « نجب » الواقعـة جنوبى فلسـطين ولذلك أرسـل الفرعون قوّة من جنـوده لإخضاعها وإخمادها بسرعة ، وقـد كان « أمنمحاب » ضمن فرقـة الحرس المختارة الذين يطلق عليهم

---

(١) راجع : Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", I, P. 166.

الشجعان ، وكان هو بالذات ضمن حرس الفرعون الذين ذهبوا فى حملة « نجب » هـذه وقد استولى فيها على ثلاثة أسرى . ولدينا من الأسباب ما يؤكد لنا أن الفرعون « تحتمس الثالث » لم يشترك فى حملة « نجب » هذه بالذات لأن نقوش التواريخ التى على جدران معبد الكرنك لم تأت بذكره ، بل ذكرت أنه هـو الذى بدأ الحملة فى « قطنه » بسوريا ويظهر[1] أن « أمنمحاب » قـد سافر شمالا لينضم إلى سيده فى سوريا فى الوقت المناسب ليشترك معه فى الواقعة التى دارت رحاها بالقرب من حلب مستصحبا معه الأسرى الثلاثة الذين استولى عليهم فى « نجب » ليقدمهم إلى الفـرعون .

وقد زحف الجيش المصرى نحو الشمال واشتبك مع العدو فى موقعة عند مرتفع « وعن » الواقعـة غربى « حلب » حيث يذكر لنـا « أمنمحاب » أنه استولى على ثلاثة عشر أسيرا وعلى سبعين حمارا ، وعلى عدد من الأسلحة المصنوعة من البرنز[2] .

كيفية الاستيلاء على قرقميش : أما الحادث الذى تلا هذه الموقعة فهو نشوب موقعة فى «قرقميش» ، وقد كان الاستيلاء على هذه المدينه معناه فتح الباب لأحسن طريق ممكن لعبور نهر الفرات ، وقد تم للفرعون عبور هذا النهر بقوارب بناها على مقـربة من « ببلوص » (جبيـل) بأخشاب من غابات لبنان ثم نقلت بطريق البر إلى « قرقميش » على عربات تجرها ثيران . والمفروض فى هذه الحالة أن هذه القوارب كانت قـد حملت أجزاء منفصلة على هـذه العربات ثم ركب بعضها مـع بعض فى « قرقميش » ، وذلك لأنه يكاد يكون من ضروب المستحيل نقل القـوارب برمتها غير مفككة الأجزاء مسافة طـويلة مثل هـذه برا فى ممرات وعرة كانت تستخدم طرقا وقتئذ . وهذا أول استعمال لعربات النقل المصرية التى تسـير على عجلات إذ كانت قبـل ذلك تنقل الأشـياء على زحافات مثل الأحجار

(١) راجع : Ibid I. P. 155.

(٢) راجع : Urkunden VI, P. 891.

وغيرها . وهذا النوع من العربات مميز عن عربة الركوب التى كان يجرها الجياد، وهى العـربة ذات العجلتين ، وهـذا التجديد فى وسائل النقل مثال آخر يضاف إلى الأمثلة الكثيرة التى تدل على عبقرية « تحتمس » فى الفنون الحربية . والواقع أن هذه العربات كانت جديدة على المصريين لدرجة أنهم أطلقوا عليها اسما جديدا « وررت » ومعناها « العظيمة » . يضاف إلى ذلك أن موضوع نقـل الجنود الغزاة فى قوارب يعبرون بها النهر يعد المثال الأول فى تاريخ العالم .

أما الحـرب التى حدثت بين الفريقين بعـد اقتحام المصريين نهر الفرات فلا نعرف منها إلا الشىء القليل اللهم إلا أن الحرب انتهت كالعادة بانتصار المصريين ولدينا فقرة مهشمة فى تاريخ تحتمس تقدم لنا بعض التفاصيل : وقد اقتفى اثرهم بمسافة نحو « إتر » (مقياس طول غير مجـدد يتراوح بين كيلو مترين وعشرة كيلو مترات ونصف) فى النهر ولم يفلت واحد منهم خلفهم بل فروا مثل قطعان الصيد لأن الخيل كانت تعدو(؟) ... "] . ومن ذلك يظهر أن الجيش المصرى بعد أن عبر نهر الفرات سار مع مجراه منحدرا مـع التيار مسافة قصيرة ليشتبك مع العدو الذى أبى الوقوف لمنازلة الجيش المصرى .

غنائم هذه الموقعة : ومما يلفت النظر أن المصريين لم يقع لديهم فى الأسر إلا ثمانون أسـيرا ، أما باقى الأسرى الذين سلموا أنفسهم فهـم ثلاثة أمراء مـع أولادهم ونسائهم وعبيدهم ويبلغ عددهم جميعا سـتمائة وستة وثلاثين نسمة . وقد ولى ملك المتنى الأدبار إلى بلاد أخرى وهى بلاد بعيدة ، وقد وصفت بلاده بأنها بلاد نهرين التى تركها سـيدها خوفا فى حين أن « تحتمس » استولى على مهل على الأراضى الواقعة شرقى نهر الفرات مباشرة قبل أن يعود لنصب لوحته التذكارية على الشاطئ الأيمن من النهر بجوار لوحة « تحتمس الأول » ؛ والظـاهر أن « تحتمس الثـالث » لم يوغل فى داخل أراضى المتنى إلى مسافة بعيدة ولم يصـل إلى عاصمتها « واش شوجانى » ولو كان وصلها لما فاته قط أن يدوّن مثل هـذا العمل العظيم على نقوش لوحته التذكارية . ومن الجائز أن الأرض الأخرى التى

هرب إليها ملك المتنى ليست إقليما بعيدا عن دولته، وذلك أنه كما يشير الأستاذ « جاردنر »[١] كانت ارض «المتنى» عبارة عن اتحاد من البلدان وأنه يحتمل أن نهرين لم تكن إلا أقليما من هذه الدولة .

علاقة المتنى بمصر : وعلى الرغم من أن « تحتمس الثالث » أعلن بإقامة لوحته على جزء من بلاد المتنى أن هذه البلاد كانت تعد تحت الحماية المصرية ومن رعاياها فإنها فى الواقع بقيت محافظة على سيادتها القومية ولم تمس ماديا بأى سوء وبقيت تعتبر أحدى الدول العظمى فى ذلك الوقت . و بعد مضى حكم فرعونين من فراعنة مصر على هذا الحادث نجد أن « تحتمس الرابع » قد تزوج من بنت ملك المتنى الذى كان على عرش هذه البلاد فى عهده . والواقع أنه لم يكن فى مقدور مصر أن تسيطر على الإقليم الذى على الضفة الأخرى من نهر الفرات . ولا شك فى أن « تحتمس الثالث » نفسه كان يعلم ذلك فى قرارة نفسه .

نتائج الحملة : ومن نتائج هذه الحملة المظفرة أن ملك الخيتا (ختى العظيم) أرسل للمرة الأولى سفيرا إلى الفرعون يحمل هدايا غالية[٢] ، لأنه قد رأى من الخير أن يطلب ود دولة فاتحة كانت قاب قوسين أو أدنى من حدود بلاده . ولا يبعد أن بلاد « بابل » قد حذت حذوه . أما بلاد اشور فقد طلبت ود مصر منذ السنة الرابعة والعشرين من حكم هذا الفرعون[٣] . ويحتمل أنها عادت إلى طلب مهادنتها ثانية الآن[٤] .

العودة إلى مصر : ولما فرغ « تحتمس الثالث » من الوصول إلى مطامعه العظيمة وهى غزو « نهرين » أخذ فى العودة إلى وطنه ، غير أن رحلته

(١) راجع : Gardiner, Ibid. I. P. 178.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 701.

(٣) راجع : Urkunden, IV. P. 701.

(٤) راجع : Ibid, 701.

إلى أرض الوطن لم تكن خالية من الحوادث فقد حاول بعض أمراء سوريا عرقلة طريقه فى عودته ويقص علينا « أمنحاب » أنه حدثت معارك فى « سنجار »[(١)] ، ويحتمل أن هذه هى قلعة « سنجار » على نهر العاصى بعد بلدة « حماه »[(٢)] بالقرب من « قادش »[(٣)] ، وفى أرض « تخسى » التى لم تبعد كثيرا عن « قادش » يقص علينا « امنوسى » أن ثلاثين مدينة قد نهبت[(٤)] . والظاهر أن « تحتمس » بعد أن هدأت الأحوال فى « تخسى » سار شمالا ثانية إذ كان على ما يظهر يشك فى إخلاص الولايات الصغيرة التى تركها خلفه . غير أنه ليست لدينا وثائق تثبت وقوع حروب فى هذه الجهات .

تحتمس الثالث يخرج لصيد الفيلة : ولما فرغ الفرعون من أعماله الحربية أراد أن يرفه عن نفسه ببعض الرياضة بالصيد والقنص مقتفيا فى ذلك أثر جدّه فضرب سرادقه عند بلدة « نى » (يحتمل أنها « قلعة الموضيق » الواقعة على مسافة ٤٠ ك . م . شمالى غربى حماة) لصيد الفيلة[(٥)] . ولقد أظهر « أمنحاب » شجاعة فى هذا الطراد عندما قطع خرطوم الفيل الذى التفت نحو سيده ليقتله ، وبعد هذا الصيد استأنف « تحتمس » سيره نحو الوطن دون وقوع أى حادث آخر اللهم إلا إذا كان الهجوم الثانى على « قادش » قد حدث فى هذه الفترة ، ولكن لأسباب ذكرناها من قبل يظهر أن هذا الاحتمال ليس له مبرر[(٦)] .

عبقرية تحتمس الثالث فى تنظيم هذه الحملة وأثرها فى توطيد ملكه :

وهكذا أتم هذا القائد أعظم فتوحه خطرا وأبعدها أثرا وأعظمها شأنا ، فلم تكن

---

(١) راجع : Ibid, IV. P. 891.

(٢) راجع : Gardiner, Ibid, I, 158.

(٣) راجع : Urkunden, IV, P. 892.

(٤) راجع : Gardiner Ibid. I, 150 & 157.

(٥) راجع : Urk. IV, P. 698, Gebel Barkal, 17. Armant, 7.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 894.

حملاته المقبلة موجهة إلا لتدبير أحوال الامبراطورية التى كسبها بحد السيف ولتوطيد الأمن فيها ، ولقد أظهر « تحتمس » ثانيا فى هذه الحملة عبقريته الحربية التى كانت لا تنحصر فى الوصول بنجاح باهر إلى هدفه البعيد المرمى فحسب بل ظهرت بصورة بارزة فى بنائه السفن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ثم نقلها بطريق البر حتى مكان الموقعة على عربات تقل . وهـذا فى الواقع يعد عملا جبارا وبخاصة عندما يعلم الإنسان أن جيشه كان يبلغ عدة آلاف من المحاربين . غير الخيل والعربات التى كان لا بد من نقلها بعد تجميعها عبر الفرات ، مضافا إلى ذلك جيش مشاته .

القائد تحتمس الثالث والقائد مونتجمرى : وعندما نقرن الأشياء الصغيرة بالأمور العظيمة ، نرى أن هـذا العمل المبتكر الذى قام به « تحتمس الثالث » بحد السلاح والذكاء وبما لديه من وسائل ساذجة يذكرنا بما قام به القائد « مونتجمرى » عندما عبر نهر الرين على سفن عبور جىء بها برا من الساحل بسرعة خاطفة ، ونجد أن الأول قد ابتكر هذا الحل منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة تقريبا وعمل به الثانى فى عصر الابتكار والمخترعات الفذة ، ومع ذلك فلا بد من الاعتراف بأن الفضل للتقدم .

والآن نورد المتون الخاصة بهذه الحملة من المصادر المصرية :

الحملة الثامنة عام ثلاثة وثلاثين من حكم «تحتمس الثالث» : السنة الثالثة والثلاثون. تأمل ! كان جلالته فى بلاد رتنو، ثم وصل إلى إقليم « قدنا » فى حملته الثامنة المظفرة .

عبور نهر الفرات والتغلب على الأراضى الواقعة على تلك الضفة : سار جلالته إلى بلاد « نهرين » فى مقدمة جيشه شرق هذا النهر وأقام لوحة أخرى بجوار اللوحة التى نصبها والده « عاخبر كارع » (تحتمس الأول) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى تأمل ! إن جلالته سار شمالا متغلبا على البلاد ومخربا أقاليم « نهرين » التابعة للعدو الخاسى .

الحروب المظفرة على نهر الفرات : ... ... وبعد ذلك انحدر شمالا مقتفيا أثرهم مسافة « إتر » فلم يلتفت واحد منهم خلفه ولكنهم أرخوا لسيقانهم العنان كأنهم قطيع بقر الوحش . تأمل ! إن خيلهم هربت .

غنائم هذه المدينة : قائمة الأسلاب التى غنمها كل الجيش : ثلاثة أمراء ونساؤهم وعددهن ثلاثون كما أخذ ثمانين أسيرا ومن العبد والإماء ستمائة وستة ومعهم أولادهم أما الذين سلموا خاضعين ومعهم زوجاتهن وأولادهم ....

تحطيم مؤسساتهم : ... ... وحصد غلالهم

عودة الفرعون إلى بلدة « نى » حيث اصطاد فيلة : ثم وصل جلالته إلى مدينة «نى» فى سيره جنوبا، وعند ما عاد جلالته نصب لوحة تذكارية فى حدود نهرين فمدّ بذلك حدود مصر...

جزية بلاد « رتنو » : قائمة الجزية التى أحضرها أمراء رتنو : خمسمائة وثلاثة عشر من العبيد والإماء ، ومائتان وستون جوادا ، وخمسة وأربعون دبنا وتسع قدات من الذهب (أى نحو أحد عشر رطلا) ، وأطباق من الذهب من صنع بلاد « زاهى » ... وعربات مصفحة بالذهب وكل معداتها الحربية ، وكذلك ثمانية وعشرون ثورا وعجلا صغيرا وعجولا كبيرة وخمسمائة وأربعة وستون لحلا وخمسة آلاف وثلثمائة وثلاثة وعشرون من الماشية الصغيرة ، وثمانمائة وثمانية وعشرون إناء من البخور وزيت أخضر ، ... ... وألف من كل شىء طريف من هذه البلاد ، هذا إلى مقادير عظيمة من كل أنواع الفاكهة .

(٨) إمداد الموانى — جزية لبنان — حصاد بلاد زاهى : تأمل ! كانت هذه الموانى تمد بكل شىء مما يجبى لها على حسب ما فرض سنويا على أمراء لبنان سنويا .

(٩) جزية بلد أسيوى آخر (اسمه مهشم) : جزية أمير ... وأربعة طيور من هذا البلد . تأمل ! إنها فى عيد كل يوم (؟) .

(١٠) جزية بلاد سنجار (بابل) : جزية أمير بلاد « سنجار » س + ٤ دبنات من اللازورد الحقيق وأربعة وعشرون دبنا من اللازورد الصناعى ، ولازورد بابلى ... .

(١١) جزية بلاد أشور (؟) : جزية أمير آشور : رأس كبش من اللازورد الحقيق ، ولازورد زنته خمس عشرة قدة ، وكذلك أوان ... .

(١٢) جزية بلاد « خيتا » العظيمة : جزية بلاد « خيتا » هذا العام ثمانى حلقات من الفضة زنتها أربعمائة وواحد دبنا (أى ٧٤ و ٩٧ رطلا) ، هذا إلى قطعتين كبيرتين من حجر أبيض ثمين وخشب « ثاجو » .

(١٣) العودة إلى مصر : عاد جلالته إلى مصر فى سلام بعد مجيئه من بلاد نهرين بعد أن وسع حدود مصر .

(١٤) أسلاب غزوة إلى بلاد بنت : أحضرت إلى جلالته هذا العام طرائف ألف وسمائة وخمس وثمانون « حقت » من البخور المجفف (عنتى) (نبات عطرى) ... ... دبنا من ذهب بلاد عامو (وهى بلاد مشهورة بالذهب على ساحل البحر الأحمر) ... ...

(١٥) جزية بلاد كوش : جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام وهى ١٥٥ دبنا وقدتان من الذهب ومائة وأربعة وثلاثون من الإماء ، ومائة وأربعة عشر ثورا وعجلا ، وثلثمائة وخمسة وعشرون عجل بقر مجموعها أربعمائة وتسعة عشر من الماشية ، هذا عدا سفن محملة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود وكل شيء طريف من هذه البلاد .

(١٦) جزية بلاد واوات : جزية بلاد « واوات » هذا العام ... ... دبنا من الذهب ، وثمانية من العبيد والإماء ، واثنا عشر عبدا مجموعها عشرون نسمة ، هذا إلى أربعة وأربعين ثورا وعجلا ، وستين عجلا من الأبقار مجموعها مائة وأربعة رءوس من الماشية . يضاف إلى هذه سفن محملة بكل طريف من هذه البلاد ومن حصاد هذا الإقليم أيضا (١) .

أما المصدر الثانى الذى جاء فيه ذكر هذه الحملة فهو ما دوّن على « لوحة بركال » وقد وصف « تحتمس الثالث » هذه الحملة بما يأتى :

والآن سار جلالتى إلى شمال حدود بلاد آسيا وقد أمرت ببناء سفن نقل من خشب الأرز فى « جبيل » مما تنبته تلالها وهى أرض الإله الواقعة على مقربة من « صيدا » ، ثم حملت على عربات ذات عجل وجرت بالثيران ، وقد أرسلت قبل جلالتى لتستعمل فى عبور ذلك النهر العظيم الذى يجرى فى هذه الأرض الأجنبية وهى « نهرين » .

التعليق على هذه المتن : فمن هذه المتون نعلم خلافا لما ذكرناه أن الفرعون قد أرسل حملة فى هذه الفترة إلى بلاد « بنت » عادت محملة بخيرات هذه البلاد المعروفة وهى البخور والذهب . هذا فضلا عن أنه عند ما عاد إلى مصر ، كانت بلاد « كوش » ، وبلاد « واوات » قد أرسلت جزيتها السنوية المعتادة مما يدل على أنها كانت على ولائها للفرعون . ومما يلحظ هنا أن « تحتمس الثالث » قد عدّ الهدايا التى قدمها له كل من ملك « بابل » وملك « خيتا » بمثابة جزية كالجزية التى كانت تدفعها البلاد الخاضعة لحكمه . وإن عدّ ذلك مخالفا للواقع .

---

(١) راجع : Urkunden, IV, P. 696 – 703.

أما قصة صيد الفيلة عند «نى» فقد جاء ذكرها فى ترجمة الجندى «أمنمحاب» كما جاءت كذلك فى لوحة «بركال» وقد قصها علينا الفرعون نفسه: وذلك أنه عندما كان الفرعون يستجم فى بلدة «نى» قام بنزهة للصيد والقنص وبخاصة صيد الفيلة فى هـذه الجهة ممـا يدل على أن هذا الحيوان كان لا يزال يوجد على شاطئ نهـر الفرات فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ويقص علينا « أمنمحاب » حادثة مثيرة خطرة وقعت للفرعون وهى أن قطيعا من الفيلة شوهد واقفا على شاطئ النهر وقـد كان الصائد فى استطاعته أن يكون على مقربة منـه دون أن يرى إذا اختبأ خلف الصخور، غير أن أكبر هذه الفيلة لمح الفرعون وهاجمه على حين غفلة، وعلى ذلك يقول « أمنمحاب » بينما كنت واقفا فى المـاء بين صخرتين ضربت يد الفيـل (خرطومه) وهو حى أمام جلالته، وقد كافأنى جلالتـه على ذلك بالذهب، وخلع على ثلاث حلل، والظاهر أن هذه الهدية كانت بدلا من الملابس التى كانت لا بدّ قد مزقت خلال هجومه على الفيل .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن بطلنا « أمنمحاب » هـذا كان على ما يظهر مغرما بسرد القصص العريضة النسج، إذ قص علينا كذلك مخاطرة أخرى حدثت له مع ضبع هاجمته فى الصحراء فى وقت كانت عصاه كل ما يحمله من سلاح، وعندما دون هذه القصة على جدران قبره أو عز إلى المفتن أن يمثـل الضبع فى حجم جواد ضخم ذى عينين متقدتين مكشرا عن أنياب حادّة كأنه يريد أن يلتهم من أمامه التهاما .

قصة صيد الفيلة كما جاءت على لوحة بركال : أما تحتمس الثالث فقد ذكر لنا قصة صيد الفيلة على لوحة « بركال » .

« والآن أقص مغامرة أخرى هيأ لى الإله رع » فيها النصر ، فقد أظهر على يدى فيها عمـلا عظيما من أعمال الشجاعة عند مورد ماء فى بلدة « نى » فقـد هيأ لى أن التـقى بقطيع من الفيـلة ، وحارب جلالتى سربا عدده مائة وعشرون فيـلا لم يسبقنى إليه ملك منذ عهد الآلهة من الذين توجوا قبلى بالتاج الأبيض ، والظاهر

أن الفرعون قد نسى أن يسر « أمنحاب » بطل هذه القصة فيذكر لنا مخاطرته ونجدته القيمة لمليكه اللهم إلا إذا كانت قصته من نفس نسيج قصة الضبع .

الحملة التاسعة فى السنة الرابعة والثلاثين والغرض منها : وفى السنة الرابعة والثلاثين قام تحتمس الثالث بحملته التاسعة المظفرة إلى بلاد زاهى، والظاهر أنه بعد عودته من إقليم الفرات لم يكن الأمن قد استتب فيه تماما هذا إلى أن «لبنان» قد شقت عصا الطاعة على الفرعون فى تلك الآونة ولهذا اضطر إلى القيام بحملته هذه للاستيلاء على ثلاث مدن منها وقد غنم مغانم كثيرة . وفى نفس العام نشاهد الفرعون قد وسع سلطانه فى الجنوب ، إذ أسر أولاد أمير « ارم » المجاورة لبلاد كوش وأخذهم رهينة عنده لعصيان والدهم .

المتن المصرى : مقدمة . قهر إقليم نجس السنة الرابعة والثلاثون . تأمل ! لقد سار جلالته إلى أرض « زاهى » فى حملته التاسعة المظفرة وقد استولى جلالته على بلدة « نجس » وأهالى بلاد أخرى كانت فى إقليمها وقد أخضعهم جلالته جميعا .

٢ — قائمة بالبلاد التى قهرت هذا العام : بلدان ، وثلاثة بلدان خضعا فى إقليم « نجس » فيكون المجموع ثلاث أماكن (؟)

٣ — أسلاب الحروب : الأسرى الذين أحضرهم جلالته من هذه البلاد...أما الرجال الذين ساقهم أسرى فعددهم تسعون وهم الذين سلموا ومعهم نساؤهم وأولادهم ... ثم أربعون جوادا ، وخمس عشرة عربة مغشاة بالفضة والذهب ، وأوانى ذهب وحلقات من الذهب وزنها خمسون دبنا وتسع قدات ، وآنية من الفضة من هذه البلاد . هذا إلى حلقات من الفضة زنتها مائة وثلاثة وخمسون دبنا ، ونحاس غفل وقصدير وجشت وأسلحة من كل أنواع الخشب المختلف ، وثلثمائة وستة وعشرون ثورا وأربعون ماشية صغيرة بيضاء وما يربى على أربعين ماشية صغيرة أخرى وسبعين حمارا ، وخشب كثير من خشب « ثاجو » وكراسى عدة من الخشب الأسود وخشب الخروب ، هذا إلى عمد سرادق منمقة بالجشت ومرصعة بالأحجار الثمينة : وكذلك كل نوع جميل من خشب هذه البلاد .

٤ — جزية بلاد رتنو : جزية أمراء رتنو هذا العام (ثلاثون + س) من الجياد ، وعربات مصفحة بالذهب والفضة وملونة عددها تسعون : هذا إلى سبعمائة واثنين من العبيد الإماء وخمسة وخمسين

دبنا وست قدات ، من الذهب ، وأوانى فضة مختلفة من صنع البلاد زنتها ... دبنا وست قدات ، وذهب وفضة ولا زورد وحجر « منو » الثمين وأوان من كل نوع ، وثمانين قالبا من نحاس بلاده (أى مستخرج من هـذه البلاد) وأحد عشر قالبا من القصـدير ومائة دبن من الألوان وبخورجا ف وأخضر وجلد ؟ ... وثلاثة عشر من الثيران والعجول وخمسمائة وثلاثين لحل بقر وأربعة وثمانين حمارا وأسلحة كثيرة مرصعة بالجمشت ؟ وأوانى كثيرة من النحاس وستمائة وثلاث وتسعين آنية بخور وزيت حلو أخضر والفين وثمانين آنية ، وستمائة وثمانى زجاجات خمر ، وعربات من خشب « تاجو » وكل نوع ثمين من خشب هذه البلاد .

(٥) تموين الثغور : « تأمل لقد كانت كل موانى جلالته ممونة بكل شىء طريف مما أخذه جلالته من بلاد زاهى ويشمل ذلك سفنا من « كفتيو » وسفنا من « جبيل » وسفن « سكتو » المصنوعة من خشب الأرز ، محملة قضبانا وساريات هذا إلى أشجار عظيمة لنجارة جلالته .

(٦) جزية بلاد قبرص : جزية أمير قبرص فى هذه السنة : مائة وثمانية قوالب من النحاس النقى وسبيكة من النحاس زنتها ألفان وأربعون دبنا ، وكذلك خمسة قوارب قصدير، وألف ومائتا قطعة من القصدير وعشرة ومائة دبن من اللازورد وسن فيل واحد ، وقطعتان من خشب « تاجو » .

(٧) جزية بلاد كوش : جزية بلاد كوش الخاسـة وهى (٣٠٠ + س) دبنا من الذهب وستون من العبيد والقيان السود ، وأولاد أمير « ارم » ... فيكون المجموع أربعا وستين نسمة ، هـذا إلى ثيران وعجول فيبلغ عددها مائة وخمسة وحول بقر عددها مائة وسبعون فيكون المجموع الكلى مائتين وخمسة وسبعين هذا عدا سفن محملة بالعاج والأبنوس وكل منتجات هذه البلاد ، وكذلك غلة « كوش » .

(٨) جزية واوات : خراج بلاد واوات هو ألفان وخمسماية. وأربعة وخمسون دبنا من الذهب وعشرة من العبيد والإماء وثيران ... ثيرانا وعجولا ... وحولا ... مجموعها ، ... هذا فضلا عن سفن محملة بكل طريف من هذه البلاد ، وغلة واوات أيضا .

تعليق على هذا المتن : مما سبق يتضح أنه فضلا عن الجزية التى كانت تأتى إلى مصر من جهات آسيا المختلفة قد أخذت قبرص كذلك ترسل جزيتها وربما كانت ضمن البـلاد الخاضعة لمصر وقتئذ . هـذا ونشاهد أن « تحتمس الثالث » قـد فرض على أمراء لبنان وغيرهم أن يمـدوا الموانى الفينيقية بالمؤن اللازمة لحمـلاته كما فرض عليهم بناء السفن نفسها وبذلك أصبح فى مقدوره أن ينزل فى أى ميناء ويسير بجيشه فى داخل البـلاد ويقبض على كل ثورة فى حينها . ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن قـوة « تحتمس » الحربيـة ونظامها كانت الأولى من نوعها فى العالم

المعروف وقتئـذ ولا أدل على ذلك من أن ملك قبرص بماله من سفن كان يخشى بأس هذا الفرعون وأصبح خاضعا لإرادته هذا إلى أن الأسطول المصرى جعـل جزر الشمال تخشى بأس الفرعون وأصبح سلطانه ممتـدا على شرق البحر الأبيض المتوسط حتى بحر إيجه مما جعـل قائده « تحوتى » يعد الجزر التى فى وسط البحر (بحر إيجه) من الممتلكات التى تحت سلطانه إذ كان يلقب حاكم الأقطار الشمالية .

الحملة العاشرة : والظاهر أن أمراء بلاد « نهـرين » الذين غاب عنهـم « تحتمس الثالث » مدة عامين بعد حملته القاسية أخذوا يتألبون عليه وكونوا حلفا قويا على رأسه أمير نعتـه « تحتمس الثالث» بقوله ذلك العـدو الخاسئ صاحب نهرين » ؛ ومن المحتمل أنه يقصد به ملك « المتنى » أو أحد الأمراء الذين كان ضلعهم مع الهكسوس والذين كانوا لا يزالون يأوون إلى هـذه الجهات ؛ ولكن «تحتمس الثالث» كان دائمًا على أهبة الاستعداد لمنازلة عدوه فى أية لحظة كانت ، ويرجع الفضل فى ذلك لاستعداد أسطوله بكل المؤن والذخائر لنقل جيشه وسيره فى محاذاته أينما حل ، ولذلك لما دعا داعى الحـرب سار « تحتمس » فى الحـال بجيشه إلى سهول بلاد نهرين فى السنة الخامسة والثلاثين على رأس حملتـه العاشرة المظفرة ، فقابل العدو فى مكان يدعى « إرينا » ويحتمل أنه فى أسـفل بلاد نهر العاصى . وانتصر عليهـم جلالته وسقط الأعداء الواحد فوق الآخر أمام جلالتـه وبذلك انفصم عرا اتحاد بلاد نهرين وشتت شملهـم جملة ، واسـتولى على كل ما كان لهم من عدة وعتاد حتى أصبحوا عاجزين عن أى مقاومة أخرى بل ظلوا خاضعين تمام الخضوع لهذا الفرعون الجبار مدة طويلة .

نص المتن المصرى[1] : (١) الحملة العاشرة سنة خمس وثلاثين من حكم تحتمس الثالث السنة الخامسة والثلاثون تأمل : كان جلالته فى « زاهى » فى حملته العاشرة المظفرة ، .

---

(١) راجع : Urkunden IV, 707.

(٢) الانتصار على أمراء « نهرين » وحليفتهم أرينا :

ولما وصل جلالته إلى بلدة « أرينا » تأمل : إن هذا العدو الخاسئ صاحب نهرينا قد جمع خيله ورجله ... ... من أطراف الأرض وكانوا أكثر عددا من رمال الشاطئ، وكانوا على استعداد لمحاربة جلالته ومن ثم زحف جلالته لمنازلتهم ، وقام جيش جلالته بهجمة بجدل العدو واستولى عليه وانتصر جلالته على هؤلاء الأجانب بقوة والده «آمون الذى منحه الشجاعة والنصر» ... ... نهرينا وولوا الأدبار مجدلين على الأرض بعضهم فوق بعض أمام جلالته .

(٣) الأسلاب الحربية التى استولى عليها الفرعون :

قائمة الأسلاب التى استولى عليها الملك نفسه من هؤلاء الأجانب أمراء « نهرين » ... ... دروع من الجلد المطعم بالجمشت وقبعة من النحاس المطعم بالجمشت .

(٤) الأسلاب التى استولى عليها الجيش : « قائمة بأسلاب جيش جلالته من هؤلاء

الأجانب الخاسئين : عشرة أسرى ، ومائة وثمانون جوادا ، وستون عربة ... ... خمسة عشر زردا مرصعة بحجر الجمشت ... ... وخمس قبعات من النحاس المرصع بالجمشت ، وخمس أقواس من صنع بلاد خارو » .

(٥) جزية بلاد رتنو : « جزية أمراء رسو فى هذا العام وهى : مائتان وستة وعشرون

جوادا وعربة واحدة مصفحة بالذهب ، وعشر عربات + س مصفحة بالذهب والفضة ، وأوان من الذهب ، ... ... وأربعة وثمانون إبريقا من البخور ، وتسعمائة وتسعة وثمانون إبريقا من الزيت الحلو ، وثلاثة آلاف وتسعمائة وتسع وتسعون زجاجة من الخمر .

(٦) تموين الثغور وخراج بلاد لبنان — حصاد بلاد زاهى : « تأمل ! كانت

كل الثغور ممونة بكل شىء طريف حسب جزيتها التى كانت تدفع سنويا . هذا إلى جزية "لبنان" وحصاد "زاهى" من حبوب و بخور وزيت أخضر ونبيذ ... ... » .

(٧) جزية بلاد أسيوية أخرى : (المتن هنا مهشم ولكن يحتمل أنه قياسا على ما سبق يشير إلى قبرص و بلاد الخيتا) : « ... ... آنية من الذهب ... ...

خشب تاجو وكل الخضر الجميلة من هذه البلاد .

(٨) جزية كوش و بلاد واوات : « ... ... وسفن محملة بكل شىء طريف

(المتن هنا مهشم ولم يبق منه إلا الجملة السابقة) .

ومما يلحظ فى أسلاب هـذه الحملة والجزية التى يدفعها الأهلون أن الزيت والخمر وحصاد البـلاد أخذ يتدفق على مصر بكثرة ، كما أن الذهب كان يأتى إلى مصر فى هيئة حلقات ولا بد أنه كان يستعمل فى الصناعة ، كما نلحظ أن الزرد والدروع والأقواس كانت تأتى إلى مصر جزية أو أسـلاب حرب ، وأهم من ذلك كله أن « تحتمس الثالث » لم ينس قط فى أى حمـلة من حملاته التى ذكرناها أن يجعـل المـوانى دائما على اسـتعداد تام وذلك بفرض ضريبة خاصـة لتموينها وإعدادها إذ كانت فى الواقع قوام المحافظة على جيشه أثناء إيغاله فى الجهات النائيـة داخل آسـيا ، وكذلك نلحظ أن البـلاد التى كانت ترسل ما فرض عليهـا من جزية كان لا ينقص عددها بل ظل آخذا فى الازدياد .

الحملتان الحادية عشرة والثانية عشرة : (٣٦ ، ٣٧ من سنى حكم هذا الفرعون) لم تمدنا الآثار المكشوفة حتى الآن عن الحملة الحادية عشرة بأية معلومات قط[١] . أما الحملة الثانية عشرة فلم يبق لنا منها إلا بعض أجزاء تحدثنا عن الجزية التى كانت تدفع لمصر سنويا ، وقد ضاع الجزء الأول وبخاصة اسم الحمـلة والسنة التى سارت فيها وكذلك جزية «رتنو» وتموين الموانى الساحلية وخراج «لبنان» وحصاد بلاد « زاهى » ، ثم يذكر لنا متن مهشم جزية بلاد لم تسم باسمها ولم يبق فيها إلا بعض كلمات وهى : معدن شاكر من الفتين ، وكحل ... ... وحيوانات صغيرة ، وخشب للاحراق .

جزية بلاد كوش الخاسئة : « سـبعون دبنا من الذهب وقدت وس + ١٠ عبيد وإماء سـود ، س + ٢ من الثيران وعجول وس بقرات مجموعها ... ... هـذا عدا السفن المحملة بالأبنوس والعاج وكل الأشـياء الطريفة من هـذه الأرض . يضاف إلى ذلك حصاد هـذه الأرض من البر » .

جزية واوات : « ... ... دبنـا من الذهب ، وأربعـة وثلاثون من العبيـد والإماء وأربعة وتسعون من الثيران الكبيرة والعجول والفحول ، هـذا عدا السفن المحملة بكل طريف وحصاد « واوات » أيضا » .

---

(١) راجع : Urkunden IV, P. 714.

الحملة الثالثة عشرة — السنة الثامنة والثلاثون : والظاهر أن تحتمس الثالث سار بجيشه إلى بلدة « يونجس » من أعمال سوريا ، إذ على ما يظهر قد قامت ثورة بجوارها ، وهذه البلدة هي إحدى المدن الثلاث الواقعة جنوبي « لبنان » والتي أعطى كهنة « أمون » خراجها وقد أخمدت نار الفتنة بسهولة واستولى جيش الفرعون على خمسين أسيرا وكذلك استولى على أسلاب كثيرة كما سنرى في المتن .

المتن المصرى : « السنة الثامنة والثلاثون . تأمل : سار جلالته إلى بلاد «زاهى» فى حملته الثالثة عشرة المظفرة ، قد أخضع جلالته بلدة ... ... هذا إلى البلاد التى فى إقليم نجس »

أسلاب الجيش من هذا الإقليم : « قائمة الغنائم التى أحضرها جيش جلالتى من «نجس» : خمسون أسيرا ... ... وخيلا ... ... وعربات مصفحة بالذهب والفضة ومجهزة بأسلحتها . هذا إلى الذين استسلموا فى إقليم « نجس » مع زوجاتهم وأولادهم » .

جزية بلاد رتنو : « قائمة الجزية التى أحضرت بقوة جلالتى فى هذه السنة : « ٣٢٨ جوادا ، وخمسمائة واثنان وعشرون عبدا وقينة ، وتسع عربات مصفحة بالذهب والفضة و ٦١ عربة ملونةفيكون المجموع ٧٠ عربة : هذا إلى قلائد من اللازورد الحقيق ... ... وأوانى « إكا » ذات مقبضين ، وثلاثة أطباق مفرطحة ورءوس ماعز ، ورأس أسد ، كلها من صناعة « زاهى » ... ... وألفان وثمانمائة وواحد وعشرون دبنا وثلاث قدات من ... ... (؟) ، ومائتان وست وسبعون قطعة من النحاس ، وستة وعشرون قالبا من القصدير ، وستمائة وست وخمسون قالبا من « الكندر » ، وألف وسبعمائة واثنان وخمسون آنية من الزيت الحلو ، والزيت الأخضر ، وزيت « سفت » ، ومائة وخمس وخمسون زجاجة نبيذ ، واثنا عشر ثورا ... ... وألف ومائتان من الماشية الصغيرة وستة وأربعون حمارا وزرافة (؟) ، وخمس أسنان فيلة وموائد من العاج وخشب الخروب ، وأحجار « منو » البيضاء زنتها ثمانية وستون دبنا ، وإحدى وأربعون درع حرب ، وحراب من الشبه ، ودروع وأقواس ، وكل الأسلحة الحربية وخشب حلو من هذه البلاد» . وكل الأشياء الطريفة من هذهالبلاد .

تموين الثغور — جزية لبنان = حصاد بلاد زاهى : «وقد مونت الثغور بكل شيء طريف على حسب ما ضرب لها سنويا فى خلال سياحة السفن منها شمالا وجنوبا ، وكذلك أتاوة «لبنان» حصاد بلاد « زاهى» ، من غلال وزيت أخضر ، وكندر ، ونبيذ ، وشهد » .

جزية قبرص : « الجزية التى يحملها أمير قبرص ... قالب نحاس من بلاده ... وجواد واحد » .

جزية اقليم « إرخ » [1] (الالاخ) : « جزية أمير « إرخ » خمسة عبيد وجارية ، وقطعتان من نحاس بلاد وخمسة وستون شجرة خروب ، هذا إلى كل أنواع الخضر الحلوة من بلاده » .

غنائم حملة بلاد بنت : « الطرائف التى أحضرتها قوة جلالتى من بلاد « بنت » مائتان وأربعون « حقت » من البخور المجفف » .

جزية بلاد كوش الخاسئة : « ١٠٠ + س دبنا وستقدات من الذهب ، وستة وثلاثون عبدا وأمة من الزنوج ، ومائتان و إحدى عشرة من البقر والعجول ، ومائة وخمسة وثمانون لحل بقر ، مجموعها ثلثمائة وستة من الأبقار والفحول ، هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس . وكل المحاصيل الجيلة من هذه البلاد ، وكذلك حصاد هذه البلاد » .

جزية بلاد واوات : « الفان وثمانمائة وثلاثة وأربعون دبنا من الذهب ، وست عشرة أمة وعبدا من الزنوج ، وسبعة وسبعون رأسا من الثيران والعجول ، هذا إلى سفن محملة بكل الحاصلات الجميلة لهذه البلاد » .

ومما هو جدير بالذكر فى هذه الحملة جزية بلاد جديدة لم تذكر من قبل وهى « ارخ » (الالاخ) وهى إقليم فى بلاد آشور ، غير أن أميرها على ما يظهر كان فقير الحال كما تدل ضآلة الهدية التى قدمها إلى الفرعون ، وكذلك نشاهد أن الفرعون لم يغفل عن علاقته مع البلاد المجاورة له ، فأرسل حملة إلى « بلاد بنت » عادت إلى مصر محملة سفنها بطرائفها المعتادة وهى البخور (عنتى) .

على أن أهم شيء يلفت النظر هو ما نشاهده من زيادة الضرائب التى كانت تجبى للوانى التى اتخذها قاعدة حربية للمحافظة على أملاكه الأسيوية ، فكانت هذه الثغور محطا لتموين السفن الداخلة إليها والخارجة منها . ولذلك كان ما يجبى لها يؤخذ من بلاد «لبنان» و بلاد «زاهى» مما تنتجه من حبوب وزيت وكندر وشهد . وكذلك يلاحظ أن ما يجبى من بلاد النوبة وبلاد « كوش » وبلاد « واوات » من الذهب والماشية أصبح مقداره عظيما جدا كما تدل على ذلك الأرقام التى

---

(١) أو اريخ (= الالاخ) فى شمال سوريا كما يظن « جاردنر » (راجع Gardiner "Onomastica", Vol. II. P: 273).

جاءت فى القوائم ، ويحتمل أن هـذا الذهب كان يستخرج من « وادى علاقى » الشهير بتبره الغزير .

الحملة الرابعة عشرة فى السنة التاسعة والثلاثين والغرض منها : يظهر أن أوّل غرض للفرعون من هـذه الحملة كان تأديب البدو الذين يقطنون الشمال الشرقى من الأقاليم الواقعة على الحدود المصرية ، وذلك لأنهم كانوا دائما فى حاجة إلى تذكيرهم بوجود يد قوية تكبح جماحهم ، ونحد من غربهم حينما يثور ثائرهم ، وتطيش أحلامهم ، غير أن « تحتمس » بعظمته قـد مر على حادث إخضاعهم مر الكرام فلم يدون لنا كاتب يومياته أى تفصيل . فبعد أن ذكر لنـا عرضا أن جلالته كان فى بلاد « رتنو » ، بعد أن ذهب لإخضاع البدو الخاسئين (شاسو) أخذ يعدّد لنا ما تدفق على البلاد المصرية من خراج البلاد التى كانت تدين بطاعته ، كما سنوردها هنا .

المتن المصرى : « السنة التاسعة والثلاثون : لقد كان جلالته فى بلاد رتنو فى حملته الرابعة عشرة المظفرة بعد أن ذهب لاخضاع البدو الخاسئين .

جزية بلاد رتنو : قائمة جزية أمراء « رتنو » فى هذا العام : مائة وسبعة وتسعون من العبيد والإماء ، ومائتان وتسعة وتسعون من الجياد ، وطبقان من الذهب ، وحلقات منه أيضا زنتها اثنا عشر دبنا وقـدتا ... وثلاثون دبنا من اللازورد الحقيق ، وطبق من الفضـة وكذلك س حقات من الفضة وإبريق ذو مقبضـين ، وإناء برأس ثور ، وثلثمائة وخمس وعشرون آنية من الفضـة وكذلك حلقات من الفضة زنتها الف وأربعمائة وخمس وتسعون دبنا وقدتا واحدا (يعادل ٤٣٤٫٣٣ رطلا) هذا إلى عربة مغشاة بالذهب والفضة ... ... صنعت من حجـر أبيض ثمين وحجر متو الأبيض وكل الأحجار الغالية المختلفة من هـذه البلاد وكندر وزيت حلو ، وزيت أخضر ، وزيت « سفت » وشهد . هـذا إلى ثلثمائة وأربعة وستين إناء ، وألف وأربعمائة وأربعة من قـدور « منو » مملوءة بالنبيذ ، وأربعة وثمانين عجلا ، وألف ومائة وثلاثة وثمانين من المـاشية الصغيرة ... وجمشت ... وكل أنواع الفاكهة الحـلوة من هذه البلاد ، هـذا عدا كل المحاصيل الجميلة التى تنتجهـا هذه البلاد » .

تموين الثغور — جزية بلاد لبنان — محصول بلاد «زاهى» : كانت كل الثغور ممونة بكل طريف كما كان مفروضا لها من الجزية لأجل السفن المنحدرة شمالا والصاعدة إلى الجنوب ، وكذلك جزية بلاد «لبنان» ومحصول بلاد «زاهى» ، من برنق ، وكندر ، وزيت أخضر ، ونبيذ » .

جزية بلاد أسيوية أخرى : (المتن مهشم) .

جزية قبرص : « جزية أمير قبرص (إسى) : ســنا فيلين ، وأربعون قالبا من النحاس وقالبا من ... ، القصدير... » .

جزية بلاد أجنبية أخرى : جزية أمير ... ... (المتن مهشم).

جزية بلاد كوش : « جزية بلاد كوش الخاسئة فى هذا العام : ١٤٤ دبنا وثلاث قدات من الذهب ، ومائة وواحد من العبيد والإماء الزنوج ، وأبقار وعجول ، وفحول بقر... المجموع... ، هذا عدا سفن محملة بكل شيء طريف من هذه البلاد ، ومحصول بلاد « كوش » الخاسئة أيضا » .

جزية بلاد واوات : « جزية بلاد «واوات» هذا العام... دبنا من الذهب و... من العبيد والإماء... وثيران وعجول عددها خمسة وثلاثون ، وأربعة وخمسون فحلا ، مجموعهما الكلى تسعة وثمانون من الماشية . هذا عدا سفن محملة بكل طريف من هذه البلاد ومحاصيلها أيضا » .

ومما يلفت النظر فى قوائم هذه الجزية التى دونت فى هذا العام أنه لم يذكر بينها بلاد « نهرين » وبلاد أشور وغيرها من البلاد التى تقع على مقربة من نهر الفرات ربما تكونان قد ذكرتا فى المتنين المهشمين .

الحملة الخامسة عشرة — السنة الأربعون : الظاهر أن «تحتمس الثالث» لم يقم بحروب فى هــذه الحملة ، وكل ما ذكره لنــا المؤرخ المصرى هو الجــزية التى جبيت من الأراضى التى كانت تحت ســلطان الفرعون ، إذا كان ما ذكره الأستاذ « زيته » حقا . والواقع أنه لم يبق من بداية النقش ما نستنير به [١] .

ويخيل لنا أن الفرعون لم يقم بأى غزو فى السنتين الأربعين والحادية والأربعين بل كانت تأتى الجزية إليه دون قيــامه بأية حروب ، ممــا يدل طبعا على استتباب الأمن ، وقد أورد لنا الأستاذ « زيته » تحت حوادث السنة الأربعين ما يأتى :

« [السنة الأربعون] تأمل ! ذهب جلالته إلى بلاد ... فى حملته المظفرة » .

قائمة جزية أمير « أشور » وأمراء « رتنو » فى هذا العام : (راجع خراج السنة الرابعة والعشرين) (Urk. IV. P. 726.)

---

(١) راجع : Urkunden IV, P. 726.

وهاك قائمة الجزية التى أرسلت إلى مصر من البلاد الخاضعة فى السنة الحادية والأربعين .

قائمة جزية بلاد رتنو : « قائمة جزية أمراء رتنو التى أحضرت بقوة جلالته فى السنة الحادية والأربعين... : أربعون قالبا من القصدير، وجمشت لتزيين الدروع، وسيوف «الحو» (بلطه) وحراب مرصعة بالجمشت، ...من هذه البلاد وثمانى عشرة سنا من أسنان الفيلة، و ٢٤١ شجرة خروب، و ١٨٤ ثورا ، و... ماشية صغيرة ... » .

تموين الثغور — محصول «زاهى» : تأمل ! كانت الثغور ممونة بكل شىء طريف كالمعتاد فى كل سنة ، هذا إلى محصول "زاهى" كذلك من بر وكندر » .

الجزية من بلاد «خيتا» العظيمة : «جزية أمير «الخيتا» هذا العام...ذهب...وفضة...» .

جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام : « ١٩٥ دبنا وقدتان من الذهب، ومن العبيد والإماء الزنوج ثمان ، هذا إلى ثلاثة عشر عبدا زنجيا جىء بهم ليكونوا خدما ، مجموعهم واحد وعشرون نسمة ، و... ثيران وعجول و... فحول بقر مجموعها ... هـذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس وكل شىء طريف من هذه البلاد ، وكذلك محصول بلاد « كوش » الخاسئة » .

جزيه بلاد «واوات» : « ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وأربعون وثلاث قدات من الذهب وخمسة وثلاثون ثورا وعجلا ، وتسعة وسبعون فحل بقر ، مجموعها مائة وأربعة عشر ، هذا إلى سفن محملة بسن الفيل وخشب الأبنوس وكل شىء طريف ، وكذلك حصاد بلاد « واوات » :

وأهم ما يسترعى النظر فى هذه الجزية مقدار الذهب الذى كان ينهال على مصر من هذه الأصقاع وبخاصة من بلاد «واوات» ، هذا إلى استمرار إرسال العبيد والإماء من بلاد « كوش» ، وكذلك العاج والأبنوس. والواقع أنها لا تزال المواد الرئيسة فى التجارة بين مصر والسودان اللهم إلا الرقيق وقد بطل الاتجار فيه منذ زمن قريب.

الحملة السادسة عشرة والأخيرة عام ٤٢ والغرض منها : تدل كل الأحوال على أن ملك «قادش» كان لا يزال مصرا على عناده وتمسكه بقوميته واستقلاله، فلم يعترف يوما ما بالسيادة المصرية على بلاده، ولذلك كان دائما يتحين الفرص ليثير الأمراء المجاورين له ، ويحرضهم على العصيان، والقيام يدا واحدة بثورة للخلاص من عبء النير المصرى ، وقد أفلح فعلا فى اجتذاب ملك «المتنى» و إقليم

« تونب » إلى جانبه ، فأعلنوا العصيان على مصر . ولما علم « تحتمس » بهذا الحلف ، سار بأسطوله إلى شواطئ فينيقيا ، ونزل فى ميناء « سميرا » وهاجم ميناء «عروقات» فاستولى عليها عنوة، ومن ثم زحف مباشرة على «تونب» (بعلبك ؟) على مقربة من قادش ونهر العاصى، ونذكر هنا أن أميرا من أمراء هذه البلدة كان قد دافع عن بلدة « وارثت » فى خلال الحملة الخامسة التى قام بها هذا الفرعون . على أن النقوش لم تقدم لنا أية تفاصيل عن الاستيلاء على « تونب » ، وعلى أية حال فإنه بعد سقوطها بدأ الفرعون حصار قادش ، وتفاصيل حصار هذه البلدة قد يكون مجهولا لنا لولا ما قصه علينا « أمنمحاب » والظاهر أن الفرعون لم يهاجم المدينة إلا بعد فصل جنى الحصاد، ولم يجد كبير عناء فى الاستيلاء عليها، وذلك أن العدو كما يقص علينا « أمنمحاب » تفاديا لمحاصرة المدينة اشتبك فى موقعة مع الفرعون خارجها ، وفى هذه الموقعة لجأ ملك « قادش » إلى حيلة ساذجة ظنا منه أنه ربما استطاع بها تشتيت شمل الجيش المصرى والتغلب عليه، ذلك أنه أطلق العنان لفرس أمام جياد عربة الفرعون ظنا منه أنها تهيج الجياد وتجعلها غير صالحة للقتال ، و بذلك ينشر الذعر والارتباك فى صفوف الجيش المصرى ، ولكن « أمنمحاب » لما رأى ذلك فطن للحيلة التى دبرها العدو وقفز من عربته فى الحال والسيف فى يده وانطلق خلف الفرس وشق بطنها وقطع ذيلها وحمله للفرعون . فلما رأى الأعداء أن حيلتهم قد انفضح أمرها لاذوا بالفرار إلى داخل المدينة واحتموا وراء جدرانها ، وقد أمر الفرعون بعمل نقب فى سورها وهنا نجد أن «أمنمحاب » يظهر شجاعته ثانية و يفخر بأنه هو الذى اخترق جدران هذه المدينة الحصينة وقد سلمت بعد أن أسر أمراء «نهرين» الذين اشتركوا مع ملك «قادش» فى هذه الحروب ولذلك لم ير الفرعون ضرورة للسير شمالا ، ولا غرابة إذا قررنا هنا أن سقوط « قادش » قد سحق آخر قوة للهكسوس الذين أحاقوا بالبلاد المصرية أكبر مصيبة . و بذلك اختفت آثارهم جملة ، وكانت لا تزال عالقة بالأذهان فى البلاد المصرية . وقد برهنت الكشوف الحديثة على أن ما رواه كتاب

اليونان فى هذا الصدد صحيح” وهو أن «تحتمس الثالث» هو الفرعون الذى قضى على قوة الهكسوس الذين التجئوا إلى آسيا بعد أن طردهم أسلافه من مصر وقضوا عليهم قضاء مبرما” . كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

المتن المصرى : « السنة الثانية والأربعون . تأمل ! كان جلالته فى بلاد «زاهى» فى حملته السادسة عشرة المظفرة لقمع الثورة التى كانت فى أراضى « الفنخو » . تأمل ! كان جلالتــه على طريق الساحل لإخضاع بلدة « عرقت » وكذلك البــلاد الواقعة فى إقليمها ... ... ثم زحف حتى ... ... (اسم بلد مهشم) فأخضع هذه المدينة وإقليمها » .

التغلب على تونب (بعلبك ؟) : « ثم زحف إلى تونب ، وقهر المدينة وحصد غلاتها ، واجتث أشجارها » .

الغنائم من هذه المدينة : ... ... تأمل ! الأسرى الذين أسلمتهم (هذه المدينة) إلى جلالته وما أحضره الجيش إليه » .

العودة إلى قادش والتغلب على ثلاث مدن فى إقليمها : تأمل ! لقد عاد فى سلام ووصل إلى إقليم « قادش » واستولى على ثلاث مدن فيه .

قائمة الغنائم التى استولى عليها منها :

ممتلكات أمراء «نهرين» التى استولى عليها الفرعون من ثلاثة المدن : تأمل ! لقد استولى جلالته على أهالى « نهرين » الخاسئين ومن ساعدهم ، وعلى خيلهم ، وستمائة وواحد وتسعين أسيرا ، وتسع وعشرين يدا ، وستة وأربعين جوادا ... ... » .

جزية بلاد رتنو : «قائمة جزية أمراء بلاد رتنو هذا العام : ٢٩٥ عبدا وقينه ، وثمانية وستون جوادا ، وثلاثة أطباق من الذهب ، وأطباق من الفضة وأوان من النحاس اللامع ، هذا إلى حلقات من الفضة ، ... و ٤٧ قالبا من القصدير ١١٠٠ دبنا من القصدير ، وألوان ، وخشب جوز ، وكل الأشجار الجميلة من هذه البــلاد ، ودروع من النحاس مرصعة بالجمشت ، وآلات حرب ... ... وكل فاكهة حلوة من هــذه البلاد » .

تموين الثغور ومحصول زاهى : وكانت كل الثغور ممونة بكل شىء طريف ، كما هو المتبع فى حساب كل سنة ، وكذلك محصول هذه البلاد أيضا » .

جزية بلاد أسـيوية أخرى : (يحتمل أنها قبرص أو الحيتا) : « الجــزية التى أحضرها أمير ... فى هذه السنة ... ... فضة ... ... وكذلك أطباق ورءوس ثيران زنتها ٣٤١ دبنا وقدتان ، وثلاثة وثلاثون قدتا من اللازورد الحقيق وعصا جميــلة من خشب « تاجو » ... ... قالب نحاس منها (من مناجم هذه الجهة) . ...

جزية أمــير « تنى » : « الجزية التى أحضرها أمير « تنى » : آنيــة من الفضة من صنع « كفتو » (كريت ؟) ، وكذلك أوان من حديد ، وأربع أيد من الفضة زنتها ســتة وخمسون دبنـا وثلاث قدات » .

جزية بلاد « كوش » : « جزية بلاد كوش الخاسئة فى هــذه السنة : ... ... دبنا من الذهب و ... عبيدا وإماء من الزنوج وثيرانا وعجولا ، و ... فحول بقر مجموعها ... ... هذا إلى سفن محملة بكل شىء طريف من هذه البلاد ، وكذلك حصاد بلاد كوش الخاسئة » .

جزية « واوات » : « جزية واوات فى هذه السنة ٢٣٧٤ دبنا من الذهب وقدت واحد ، وعبيد و إماء من الزنوج ... وثيران وعجــول ... ... وفحول بقر مجموعها ... هذا إلى سفن محملة بالعــاج والأبنوس ، وكل شىء طريف من هذه البلاد ، وكذلك حصاد بلاد « واوات » .

وأهم ما يرى فى جزية هذه السنة، جزية أمير « تيناى » ، وقد ورد فيها لأول مرة ذكر الحديد ، وكذلك الفضة من صنع « كفتيو » ، وقــد اختلف المؤرخون فى موضع هذا الإقليم المسمى «كفتيو » وقــد كتب أخيرا « وين رايت » مقالا عنه وقال إنه يقع فى آسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط (J. E. A. Vol. XVII, P. 26.) غير أن هذا الرأى واه من أساسه كما سنذكر ذلك بعد .

وبعد أن انتهى « تحتمس الثالث » أوكاتبه بعبارة أخرى من تدوين حملاته على جدران معبد الكرنك ختمها بالعبارة التالية : تأمل ! لقد أمر جلالته بتدوين الانتصارات التى أحرزها منذ عام ٢٣ من حكمه حتى العام الثانى والأربعين منه، وهو نفس العــام الذى دوّنت فيه هــذه النقوش على هذا المحراب لأجل أن يمنح الحياة مخلدا .

حروب تحتمس الثالث ونتائجها : هذه هى الحروب التى أمر «تحتمس الثالث » بتدوينها على جدران معبد الكرنك وهى الحروب الخاصة بفتوحه فى آسيا وحدها كما يرى القارئ ولا نعلم أنه توجه إلى آســيا ثانية بعد هــذا العام . هــذا ولا نعرف له حروبا أخرى قام بها إلا حملة واحدة إلى بلاد الســودان فى آخر أيام حياته كما سيأتى .

والظاهر أن الحملات التي قام بها «تحتمس الثالث» على بلاد آسيا مرة بعد أخرى والقضاء على كل مقاومة وعصيان، قد أعطت أمراء « سوريا » وبلاد «نهرين» درسا عمليا فى نهاية الأمر بأنه لا طائل من العصيان وبث الثورة على هذا الفرعون الجبار، إذ قد علموا أنه مهما كانت سرعتهم فى جمع شملهم وتحالفهم على «تحتمس» فإنه كان أسرع منهم ، وأن أية مساعدة كانوا ينالونها من أولئك الأقوام الذين حقدوا على مصر ، وأضمروا لها العداء لا تجدى، فإن تحتمس كان أعظم منهم خطرا وأشدّ بأسا، وأن أبعد هذه الولايات من مقر حكمه كانت كأقربها إليه ويمكنه أن ينقض عليها فى سرعة خاطفة بما اتخذه من استعداد، وما أوتيه من يقظة وانتباه، فقد جعل البحر خادما خاضعا له يركبه وينقض على عدوه من خلفه فى حين أنه كان يرقب هجومه من الأمام، وكذلك علم هؤلاء الأقوام أن «تحتمس الثالث» ذلك الجندى السريع الحركة القوى البطش لم يكن وحشا كاسرا محبا لسفك الدماء فى ساحة الوغى، بل كان إنسانا رحيما رقيق الطبع لم يرق فى عينه — حتى فى أشدّ المواقف — ذبح ألد أعدائه إذا كان فى استطاعته الخروج من هذا المأزق بأية وسيلة .

وقد كان من نتائج كل ذلك أن أمضى « تحتمس » المدة الباقية من حياته دون أن يرى أى ثورة فى الأقاليم الأسيوية التى فتحها ، ولم يكن أخلافه من بعده فى حاجة إلى إشعال حروب مستمرة فى تلك البقاع كالتى خاض غمارها «تحتمس الثالث»، بل كانت حروبهم لا تتعدى حملة أو حملتين إذا مادعا الأمر لتذكير أولئك الأقوام بقوة مصر الحربية وعظمتها . وقد بقى هذا الولاء ، واستمر هذا الرعب من قوة مصر مدّة طويلة إذ قد عرف الولاة من حروبهم مع «تحتمس» أن مصر عدوة يخشى بأسها ، وأن « تحتمس » فى الوقت نفسه كان صديقا يعتمد عليه حتى أن أولئك الأقوام المغلوبين فى آسيا قد زعموا أنهم سيجدون هذه الصفات فى أخلافه مما جعلهم يطلبون يد المساعدة فيما بعد عند ما تحرجت الأحوال

فى بلادهم وانقضت الممالك المجاورة الفتية القوية على ولاياتهم فكانوا يذكرون أيام سيادة «تحتمس» وقوة سلطانه ووفائه، وبعد انقضاء أربعة أجيال على وفاته لم يكن فى مقدور أخلافه أن يحموا الأمراء التابعين لهم فى بلاد نهرين من عسف الخيتا ولذلك ذكر أولئك التعساء أيام بطل مصر الأكبر « تحتمس الثالث » وما كان عليه من قوة وسلطان فكتبوا إلى ملك مصر إذ ذاك قائلين : من ذا الذى كان يجسر على نهب « تونب » دون أن يفتك به « منخبريا » (لقب تحتمس الثالث باللغة الآشورية) .

ولا نزاع فى أن الرجل الذى استطاع أن يترك فى نفوس القوم الذين فتح بلادهم منذ أربعة أجيال مثل هذا الأثر بقوته وبأمانته الساهرة فى المحافظة على وعده لهم بحمايتهم لا بدّ أن يكون أعظم بكثير من رجل حرب وحسب كما يصفه أحيانا بعض من لم يدرس حياته درسا دقيقا ، بل الواقع أن « تحتمس الثالث » كانت فيه كل صفات الرجولة الكاملة .

منشآت تحتمس الثالث الدينية

لم يغفل « تحتمس الثالث » أيام قيامه بالحروب الطاحنة التى شنها على أمراء آسيا عن إقامة المبانى الضخمة لآلهته الذين منحوه النصر على أعدائه ، بل على العكس كان يعتبر إقامة المبانى لهم من أعظم الواجبات وأقدسها، وقد ذكرنا جانبا منها ، وبخاصة ما أقامه فى معبد الكرنك للاله أمون والإله « بتاح » . وقد كان أكبر عون له على إقامة المبانى الدينية ما كانت تفيض به البلاد مما كان يتدفق عليها من الذهب والفضة والمواد الأولية الأخرى ، وبخاصة الأخشاب النادرة التى كانت تجلب إليها من آسيا وبلاد «الكوش» هذا فضلا عما كان يجلب إليها من أوان من صنع تلك الجهات .

مسلات تحتمس الثالث : وقد كانت إقامة المسلات الضخمة فى عصر هذه الأسرة أهم ما يلفت النظر . حقا إنها لم تكن بدعة محدثة بل كانت قد أقيمت

فى عهـد ملوك الأسرة الثانية عشرة وحتى فى عهد الدولة القديمـة . غير أن نحت المسلات الضخمة كان قد بطل استـعماله، وربما كان سبب ذلك ما صارت إليه حالة البلاد من فقر وما انتابها من اضطرابات داخلية ، وظلت الحال كذلك حتى جاءت الأسرة الثامنة عشرة فأحيا ملوكها تلك العادة ، فقطع « تحتمس الأول » مسلتين ضخمتين أقيمتا فى «معبد الكرنك» ، ثم جاءت بعده الملكة «حتشبسوت» وأقامت أربع مسلات كما فصلنا القول فى ذلك آنفا . غير أن « تحتمس الثالث » قد ضرب الرقم القياسى فى هذا المضمار فأقام ما لا يقل عن سبع مسلات .

العيد الثلاثينى الأول : وقد كان المعتاد أن تقام هـذه المسلات احتفالا بعيد « سـد » وهو العيد الثلاثينى أى فى العام الثلاثين من إعلان ولى العهد ملكا على البـلاد وقد احتفل « تحتمس الثالث » بعيده الثلاثينى ثلاث مرات؛ ولا بد أن أول هـذه الأعياد كان فى السنة الثلاثين من تنصيبه ملكا وذلك لأن إعلانه وارثا على العرش قد وقع فى نفس السنة التى تولى فيها عرش البلاد .

ونعـلم من نقوش مهنـدس البناء « بو إم رع » الذى كان يعيش فى عهـد « حتشبسوت » أنه قد كلف بقطع مسلتين من محاجر « أسوان » لعيد «تحتمس» الثلاثينى الأول ، وقـد ترك لنا « بو إم رع » نقوشا فى مقبرته ومنظرا نشاهده فيه وهو يتسلم تقارير من سـتة من المشرفين على الأعمال ، و يرى خلفهـم مسلتان ، وقد كتب فوق صورته ما يأتى « فحـص الآثار الفخمة العظيمة التى أقامها مـلك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » لوالده «آمون» فى الكرنك من الذهب والفضة وكل حجر ثمين غال بوساطة الأمير الوراثى والحاكم والد الإله « بوام رع » (١) .

أما النقوش التى على المسلتين فهى : « إن « تحتمس الثالث » قـد أقامها أثرا لوالده « آمون » ليمنحه الحياة مخلدا . » ويحتمل أن المسلتين اللتين يتحدث عنهما « بو إم رع » هما اللتان كانتا منصوبتين أمام (البوابة) السابعة فى الجهة الجنوبية من الكرنك ،

---

(١) راجع : Breasted, A. R. II. § 624.

ومن القطعة الباقية من المسلة الشرقية أمكن « انجلباخ » مهندس البناء أن يستخلص أن طولها يتراوح بين ٩٥ — ١٠٥ أقدام أى أن المسلتين كانتا أطول من مسلتى « حتشبسوت » اللتين كان يبلغ طول الواحدة منهما ٩٧,٥ قدما ويحتمل أنهما كانتا تماثلان مسلة « اللاتران » القائمة الآن فى روما ويبلغ ارتفاعها ١٠٥,٥ أقدام وتعد أطول مسلة موجودة الآن ، وقد كشف حديثا عن بقايا المسلة الغربية كما كشف عن أساسها . وفى عيد « تحتمس الثالث » الثلاثينى الثانى، كلف مهندسا ثانيا أن يقطع مسلتين لإقامتهما احتفالا بهذا العيد، ويحتمل أن «منخبررع سنب» السالف الذكر هو الذى قام بهذه المهمة ، ويوجد بجانب محراب معبد الكرنك منظر يشاهد فيه « تحتمس الثالث » يقدم سلات للاله آمون وعدة هدايا ومن بينها مسلتان يحتمل أنهما هما اللتان كلف « منخبررع سنب » قطعهما وإعدادهما . ونجد على واحدة منهما النقش التالى : «لقد أقامه أثرا لوالده « آمون » رب طيبة، فنصب له مسلتين عظيمتين شامختين من الجرانيت قمتهما من السام عند (بوابة) المعبد المزدوجة . ويشير « منخبررع سنب » إلى عمله فى إقامة هاتين المسلتين بما يأتى « كنت أفتش عند ما كان جلالته يقيم مسلات وأعلاما عدة لوالده « آمون » ، وقد أدخلت السرور على جلالته عند ما كنت أقيم آثاره » [(١)] .

مسلة القسطنطينية : ومن المحتمل أن واحدة من هاتين المسلتين أو جزءا من واحدة منهما هو القائم الآن فى القسطنطينية ، وهى التى نقلها الامبراطور « ثيودورس » . والواقع أن الموجود فى القسطنطينية الآن هو الجزء الأعلى من مسلة كانت فى الأصل أطول بكثير من أية مسلة موجودة الآن . غير أنه لا يمكن الجزم بأنها إحدى هاتين المسلتين اللتين كلف إقامتهما « منخبررع سنب » أولا، والنقوش التى على هذه المسلة من الأهمية بمكان ، اذ يمكننا أن نحدد بها على وجه عام تاريخ إقامتها فاستمع إليها :

« رب النصر وغالب كل البلاد ، والذى جعل حدوده تصل إلى قرون الأرض ومياه نهرين بقوة وظفر على رأس جيشه » .

(١) راجع : Urkunden IV, P. 933.

ولما كان « تحتمس » قد عبر نهر الفرات بعد عيده الثلاثيني الأول ، فلا بدّ أن هاتين المسلتين قد أقيمتا بعد هذا التاريخ أى بعد الحملة الثامنة ، ومن ثم نعلم أن المسلتين قد أقيمتا فى عيده الثلاثيني الثانى ، والنقوش التى على مسلة «القسطنطينية» هى :

على الواجهة الجنوبية : « ... تحتمس الثالث قد أقامها أثرا لوالده « أمون رع » رب طيبة ، أقام له مسلة عظيمة من الجرانيت الأحمر وقمتها من السام ليهبه الحياة مثل « رع » مخلدا » .

الواجهة الشمالية : « ... تحتمس الثالث الذى رباه « آمون» بمثابة طفل بين ذراعى الإلهة «نيت» الأم المقدسة ليكون ملكا ، وهو الذى استولى على كل الأراضى طول الزمن : رب الأعياد » .

الواجهة الشرقية : « ... تحتمس رب الظفر غالّ كل الأراضى ، والذى جعل حدوده تمتد إلى كل قرون الأرض ، والمستنقعات إلى نهرين ... » .

الواجهة الغربية : « ... تحتمس الثالث» الذى عبر المنحنى العظيم لنهرين بالقوة والظفر على رأس جيشه موقعا مذبحة عظيمة بينهم » .

هذا ونجد « تحتمس الثالث » قد أقام فى آخر أيامه على ما يظهر مسلة واحدة أمام (البوابة) الثامنة فى الجهة الجنوبية من معبد «الكرنك» . وهذه المسلة يبلغ ارتفاعها ١٠٥,٥ أقدام، وقد أتى بها من أسوان بعد حفر نقوشها وإعدادها، وقد كان « تحتمس الثالث » يفخر بهذه المسلة على وجه خاص لأنها تعد المثال الوحيد لإقامة مسلة منفردة ، لا اثنتين كما كانت العادة المتبعة وهاهو ذا يقول :

الواجهة الجنوبية : « لقد أقامها بمثابة أثر لوالده « آمون رع » رب طيبة ، فنصب له مسلة فى الردهة الأمامية للعبد قبالة «الكرنك» بمثابة المثال الأول لإقامة مسلة فرد فى طيبة لأجل أن يمنح الحياة» (١) .

الواجهة الشمالية : « ... تحتمس الثالث بن آمون من جسده والتى حملته له الإلهة « موت » فى «أشرو» (وهو اسم معبد الإله «موت» بالكرنك) ، وأعضاؤه مثل أعضاء الذى صورها ابن الشمس « تحتمس » جميل الخلق ، محبوب « آمون رع » رب طيبة ، معطى الحياة مثل رع » .

---

(١) راجع : Breasted, A. R. Vol. II. § 626ff.

الواجهة الشرقية : « ... تحتمس الثالث الغنى بآثاره فى بيت آمون الذى جعل آثاره أعظم من آثار أجداده الذين كانوا قبله ، وهى تفوق كل ما سبق ، ولا تشبه فى أى شئ ما عمل فى بيت والده آمون لأجل أن يعطى ابن رع تحتمس حاكم هليوبوليس الحياة بوساطته » .

الواجهة الغربية : « ... تحتمس الثالث الذى يمدح «أمون» عندما يشرق فى «الكرنك» وإنه يرسل آمون ليستريح فى البيت المسمى « حامل التيجان » ، فى حين أن قلب آمون يكون فرحا لآثار ابنه المحبوب المسماة « البقاء فى الملكية » فاجعله يبقى و يكرر لك الاحتفال بملايين هـذه الأعياد الثلاثينية . ابن الشمس « تحتمس » جميل الخلق معطى الحياة » .

تحتمس الرابع يقيم مسلة جده فى مكانها : غير أن تحتمس الثالث قـد عاجلته المنية قبل أن يرى هـذه المسلة مقامة أمامه اذ قضى وهى لم تنصب بعد، وقـد بقيت مهملة بعد موته نحو خمس وثلاثين سـنة . لأن ابنـه « أمنحتب الثانى » على ما يظهر لم يكن ميالا لإتمام الآثار التى لم تكن قـد تمت إقامتها فى عهد والده ، ولكن « تحتمس الرابع » كان يتصف بأخلاق تمتاز عن أخلاق سلفه إذ كان يميل كل الميل لإتمام و إصلاح الأعمال العظيمة التى عملت فى المـاضى ، ولا أدل على ذلك مما فعـله لتمثال « بو الهـول » من إزالة الرمال عنه، ونصب لوحة تذكارية أمامه دون عليها ما قام به من جليل الأعمال لهذا الإله العظيم الذى كافأه بتنصيبه على عرش الملك كما سنرى بعد . ومن أجل ذلك اهتم بنصب مسلة جده فى مكانها الأصلى ، ودوّن عليها نقوشا طويلة تدل على ورعه واحترامه لجـده العظيم وهى[1] :

الواجهة الشمالية من اليمين : « ... تحتمس الرابع الذى يقبض بقـوته مثل رب « طيبة » عظيم البأس مثل « منتو » والذى جعله والده « آمون » مظفرا على كل البلاد ، والذى تأتى إليه البلاد المجهولة وخوفه فى نفوسهم — ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذى يضئ فى التيجان محبوب « امون » ، نور أمه ، معطى الحياة » .

---

(١) راجع : Breasted, A. R. Vol. II. § 830.

الواجهة الشمالية من اليسار : « ملك الوجه القبلي والوجه البحـري ، محبوب الآلهة ومن يمدح عظمته تاسوع الآلهة ، ومن يرسل رع ليستريح فى سفينة الشمس المسائية ، والذى يمدح «اتون» فى سفينة النهار ، رب الأرضين « منخبرورع » (تحتمس الرابع) الذى يجمل طيبة دائما ، والذى يقيم آثارا فى الكرنك ، وتاسوع آلهة بيت آمون مرتاحون لما فعله ابن آتون من جسده ووارثه على العـرش « تحتمس الرابع » الذى يضئ بالتيجان محبوب « امون رع » .

الواجهة الجنوبية من اليسار : « ... تحتمس الرابع الذى أنجبه « رع » ومحبوب آمون لقد كان جلالته هو الذى جمل المسلة الفردية المتناهية فى العظم ، وهى التى كان قـد أحضرها ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « منخبر رع » (تحتمس الثالث) ، وبعد أن وجد جلالته أن هـذه المسلة بقيت ملقاة على جانبها خمسا وثلاثين سـنة فى يد الصناع فى الجهة الجنوبية من معبـد الكرنك أمر والذى بأن أنصبها له . أنا ابنه والمخلص له » .

الواجهة الجنوبية من اليمين : « ابن الشمس تحتمس الرابع ، المضئ فى التيجان ، لقـد أقامها فى الكرنك ، وصنع قمتها من السام حـتى أن جمالها أصبح يشع على طيبة ، وقـد نحتت باسم والده الإله الطيب « منخبر رع » (تحتمس الثالث) ، وقد فعل ذلك ملك الوجه القبلي والوجه البحرى ، رب الأرضين « منخبرورع » (تحتمس الرابع) ، محبوب «رع» فى بيت «امون» ليعطى الحياة بواسطته ، ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذى يضئ فى التيجان » .

الواجهة الغربية من اليمين : « ... تحتمس الرابع الذى انتخبه آمون أمام الشعب ، والذى انجبته له الالهة « موت » التى يحبها أكثر من أى ملك . وعندما يرى جماله يسر لأنه وضعه تماما فى قلبه وهو الذى وضع الجنوبيين والشماليين تحت تصرفه ، وجعلهم يقدمون الخضوع لاسمه ، وقد أقامها بمثابة أثره لوالده «امونرع» ناصبا له مسلة عظيمة عند (البوابة) العليا للكرنك (أى مدخل الكرنك فى الجهة الجنوبية وهو الذى تؤدى إليه البـوابات الأربع الجنوبية) قبالة طيبـة لأجل أن يعطى الحياة على يديه ابن « رع » ومحبوبه « تحتمس الرابع » الذى يضئ فى التيجان » .

الواجهة الغربية من اليسار : « ... منخبرورع (تحتمس الرابع) الابن الأكبر ، النـافع لمن أنجبه والذى يفعل ما يسر رب الآلهة منذ أن عرف سمو تصميمه ، وأنه هو الذى أرشده إلى الطرق الجميلة ، والذى غل له قبائل الأقواس التسعة تحت قدميه . تأمل ! إن جلالته كان يقظا فى تجميـل أثر والده ، فقد كان الملك نفسه هو الذى يوجه العمل لأنه كان ذكى الفؤاد مثل « الذى جنوبى جداره » (يقصد الاله « بتاح » إله الحرف والصناعات والجمال) ، وقد أقامها فى الوقت المحدد ، وقد سر قلب من صوره ، ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذى يضىء فى التيجان » .

الواجهة الشرقية من اليمين : « الإله الطيب الشديد القوى ، ملك يستولى بانتصاراته و يبث ذعره بين الأسيو يين وزئيره بين البدو والنو بيين ، وهو الذى رباه والده آمون ليقوم بمهام الملك ثانية فى حين أن أمراء البلاد كلها يقدمون الخضوع لاسم جلالته وهو الذى يتكلم بفمه ، وينفذ بيديه ، وكل ما أمر به قد تم ، ملك الوجه القبلى « منخبرو رع » (تحتمس الرابع) «صاحب الاسم الخالد فى الكرنك معطى الحياه » .

الواجهة الشرقية من اليسار : « ... منخبرو رع الذى ضاعف الآثار فى الكرنك من ذهب ولازورد وفيروزج ، وكل حجر ثمين فاخر . والسفينة العظيمة لعيد ابتداء النهر المسماة « وسرحات آمون » قد صنعت من خشب الأرز الجديد الذى قطعه جلالته من بلاد رتنو وغشاها كلها بالذهب وكل زخرفتها صنعت للمرة الأولى لأجل أن تستقبل بجمال والده « آمون » عند سياحته فى عيد « ابتداء النهر » . ليت ابن « رع » تحتمس الرابع الذى يضىء فى تيجانه يعطى الحياة على يديه .

تاريخ هذه المسلة : وهذه المسلة تعد مثالا فخما لما أخرجته يد المفتنين والمهندسين المصريين المهرة ، و يبلغ وزنها حوالى ٤٥٥ طنا ، ولها تاريخ مخجل ففى عام ٣٣٠ بعد الميلاد نقلها «قسطنطين» الأكبر عاهل الدولة الرومانية إلى الإسكندرية رغبة منه فى إرسالها إلى بيزنطة لتجميل عاصمة ملكه الجديدة ، ولكن بعد ٢٧ عاما من هذا التاريخ . نقلها ابنه «قسطنطيوس» إلى «روما» وأقامها فى ميدان «ماكسياس» وفى عام ١٥٨٧ بعد الميلاد كشف عنها ملقاة ومكسرة ثلاث قطع فأصلحت ونصبت فى المكان الذى هى فيه الآن وهو ميدان « اللاتيران » عام ١٥٨٨ على يد «دومنيكو فونتانا» بأمر من البابا «سكتس الخامس» الذى كان يعتقد فى قرارة نفسه أن أمره برفع الصليب على قمتها مشوها إياها برهان على انتصار المسيحية على الوثنية ، ومن المضحك أن نفس هذا التشويه قد نال تسع المسلات الأخرى المنتشرة فى أنحاء روما ، و يبلغ ارتفاع كل واحد منها حوالى تسع وعشرين قدما . وربما لا نكون مبالغين فى مطلبنا إذا انتظرنا من أولى الأمر فى «روما» إذا كانوا يريدون المحافظة على تلك الآثار الرفيعة التى تدل على عظمة القومية المصرية والتى اختلست من أرضهم أن يعيدوها إلى سيرتها الأولى التى كانت عليها بقدر المستطاع ، ولعمر الحق

إن تعاليم المسيح السامية لاتحتـاج إلى مثل هذه الرفعـة الوضيعة لأن البعوضة قد تتسنم أعلى قمم الجبال وأشهقها وهى مع ذلك بعوضة .

تحتمس الثالث يقـيم مسلتين فى معبــد عين شمس وتنقلان إلى الأسكندرية : وقد أقام هذا الفرعون احتفالا بنفس العيد الثالث الثلاثينى الذى أقام من أجله المسلة السابقة الذكر مسلتين أخريين بمعبد الشمس « بهليو بوليس » ويربى طول الواحدة منهما على سبعين قدما وقد نقلهما من مكانهما الأصلى مهندس إغريقى يدعى « بنتيوس » إلى الأسكندرية حوالى العـام الثانى عشرق . م . ، وفى خلال القرن الرابع عشر من الميلاد سقطت إحداهما من فوق قاعدتها وقد نجت بأعجوبة من التهشيم الذى أصاب زميلتها فى « اللاتران » .

إحداهما نقلت إلى «لندن» : وقد أهداها محمد على باشا إلى الأمة الانجليزية عام ١٨٣١ بعد أن كانت قد أهديت لها مرات عدة من قبل وقد بقيت بعد إهدائها ملقاة على الأرض حتى عام ١٨٧٧ وهو العـام الذى نقلت فيـه إلى انجلترا على يد « جون و يمـان ديكسون » بالنيابة عن السير « أرزمس ولسن » وقد أقيمت على شاطىء نهـر التاميز . ومن العجب العجاب أو من الجهل المخجل الفاضح أن يسميها القوم هناك « مسلة كليو باترا » .

الأخرى تنقل إلى نيو يورك : وقد أرادت الولايات المتحدة أن تجارى انجلترا فى ذلك فنقلت المسلة الثانية إلى « نيو يورك » وسماها الأمريكيون « مسلة كليو باترة » أيضا وهى الآن قائمة فى « سنترال بارك » .

والنقوش التى على مسلة «لندن» ليست على أهمية أعظمى، وأهم مافيها نقش الإهداء :

« تحتمس الثالث » قد أقامها تذكارا لوالده «حوراختى » الذى أقام له مسلتين فى عيد « ســد » الثالث (العيــد الثلاثينى) لأنه أحب والده كثيرا ، ليت ابن الشمس تحتمس يعطى الحيـاة على يديك

أما نقوش مسلة « نيو يورك » فطموسة ، ولا تقرأ و بخاصة نقش الإهداء ، والنقوش الأخرى هى :

الجانب الشرقى : حور الثور القوى الذى يضىء فى طيبة محبوب الإلهتين الباقى فى الملك مثل « رع » فى السماء والذى أنجبه « آتوم » رب عين شمس من جسده والذى سواه « تحوت » وهما اللذان صوراه فى البيت العظيم فى جمال أعضائه ، عالمين أنه سيدير شئون الملك ، باق إلى الأبد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » (تحتمس الثالث) محبوب آمون الإله العظيم ، التاسوع المقدس معطى الحياة والثبات والسرور مثل « رع » مخلدا .

الجانب الشمالى : حور الذى أخذ التاج الأبيض المغتبط بضرب حكام الممالك التى تقترب منه كما قرر والده « رع » له النصر على كل الأرض ، وقوة السيف بساعده لأجل أن يمد حدود مصر « ابن الشمس تحتمس » .

تعليق المؤرخين المحدثين على نقل المسلات من أماكنها الأصلية :

وهكذا يرى القارىء أن بعض ما أقامه أعظم فرعون فى مصر من الآثار قد نصبت كالأعلام فى العالم المتمدين تطل على ربوع «القسطنطينية» «فروما» «فلندن» ثم «نيو يورك» فى حين أن بلاد الآلهة التى أهديت إليهم هذه الأعلام الشامخة لا تملك مسلة واحدة من بينها . حقا إن مصر موطن المسلات الأصلية لا تملك إلا خمسة أمثلة من أعظم منشآتها المعمارية ، من بينها مسلة حقيرة قطعت من الحجر الخشن أقامها « سيتى الثانى » فى حين أن أعظم هذه المسلات شهرة وأكثرها جمالا منصوبة الآن فى ممالك متحضرة لا يعتنى أهلها بها عناية تليق بها لدرجة أنهم لا يسمونها بأسماء الملوك العظام الذين أقاموها ، والواقع أنه مما يسجل بالعار على المدنية الحديثة أن نشاهد هذه الآثار الفخمة التى تحدث عن مجد أثيل غابر قد أخذت تفقد من روائها وجمالها ، إلى درجة أن نقوشها قد أخذت كذلك تتلاشى ويضيع رونقها .

ويقول «أنجلباخ» مهندس البناء الإنجليزى ماذا عساه يكون شعور «تحتمس الثالث» عندما أمر بقطع هذه المسلات للاله « رع » لو أدرك أن واحدة منها ستنقل إلى أرض لم يكن يحلم بوجودها فى العالم، وأن الثانية ستقع فى يد قوم كانوا وقتئذ شعبا يهيم على وجهه فى الأحراج . ومع ذلك فإن هذه المسلات بعد أن تقلبت

عليها غير الزمن وخيف عليها الغرق وأخطار القنابل لا تزال باقيــة منتصبة فى مكانها بعد أن مضى على صنعها حقبة من الزمن تربى على ٣٤٠٠ عام ؟ .

وكذلك يعلق على ذلك المؤرخ « ويجل » بقوله الصائب : و إذا كان غرور جيل مضى من الإنجليز قــد استحل لنفسه إقامة مســلة فى بلادهم ، قطعت من أنفرحجر الجرانيت الأحمر لا يمكن أن تحفظ قيمتها وما تنطوى عليه من معان إلا إذا كانت قد بقيت فى التربة التى نشأت فيها، كما أن جمالها كان فى حفظ لونها الرشيق الأصلى ، فإن أقل ما كان يمكن أن يقوم به أهالى «لندن» فى أيامنا هذه من الاحترام والتقدير لهذا الجندى القديم الذى لابد أنه يحتدم غيظا وحنقا (يعنى تحتمس الثالث) هو أن يحافظوا على نظافة أثره الذى أقامه لعيــده الثلاثينى المقدّس ، فيميطوا عنه ما لحق به من أذى وألا يسموه بالاسم المفجع الخاطئ « مسلة كليو باترا » .

تحتمس الثالث والسودان

حملته إلى بلاد السودان فى الســنة الخمسين : يدل ما وصل إلينا من النقوش على أن آخر حملة حربية سار على رأسها « تحتمس الثالث » كانت إلى بلاد السودان فى السنة الخمسين من حكمه ؛ أى قبل الاحتفال بعيده الثلاثينى الثالث . والظاهر أنه مكث فى هذه الحملة مدّة أكثر من المعتاد فى تلك الجهات ممـا يدل على أن الأمر على ما يظهر لم يكن هينا ، فقــد بقى « تحتمس الثالث » قرابة ثمانية أشهر فى السودان ، ومالدينا من الوثائق يدل على اهتمام هذا الفــرعون منذ بداية حكمه بشئونه وعلاقته به ، و بخاصة من الوجهة الدينية وقد أشرنا فيما سبق إلى أعماله الدينية فى هذه الجهات ولكن لمـا كانت علاقة مصر بالسودان لها خطرها فى كل الأزمان ، فإنا سنتناول هنا أعماله منذ حكمه الأول المنفرد حتى وفاته .

إصلاح معبد سمنه : وقد كان أول عمل صالح قام به هــذا الفرعون بعد توليته العرش على أثر وفاة والده هو إصلاح محراب الفرعون « سنوسرت الثالث »

الذى كان قائما فى معبد «سمنة» الواقعة عند الشلال الثانى. والواقع أننا لم نعثر على شىء من بقايا المعبد الذى أقامه « سنوسرت الثالث » هناك قط اللهم إلا إذ كانت لوحة « سمنة » الثامنة جزءا منه ، وقد ثبتها « تحتمس الثالث » فى جدار المعبد الجديد الذى أقامه . هذا إلى أنه دوّن على الجدران الجديدة القوائم القديمة التى كان قد نقشها « سنوسرت الثالث » بأسماء الأعياد والقرابين .

تأليه سنوسرت الثالث : يضاف إلى ذلك أن هذا المعبد قد خصص للالهين «خنوم» و «يدون» ولكن يلاحظ أن «تحتمس الثالث» قد أضاف إليهما إلها ثالثا وهو «سنوسرت الثالث» إذ كان مؤلها بوصفه بطل مصر الذى فتح بلاد النوبة وثبت حدودها عند الشلال الثانى، وأقام هناك لوحته الشهيرة[1] وهنا يلحظ من جانب «تحتمس الثالث » لفتة سامية تشعر باحترام أكبر فاتح للأسرة الثامنة عشرة ، لأكبر فاتح فى الأسرة الثانية عشرة وتلك اللفتة لم نشاهدها بكل أسف فى الأسرة التاسعة عشرة التى كان دين ملوكها تخريب معابد من سبقهم حتى آبائهم اللهم إلا «سيتى الأول» فكان مصلحا لا مخربا وقد أتم « تحتمس الثالث » هذا المعبد فى السنة الثانية من حكمه، وتدل النقوش دلالة صريحة على أن « حتشبسوت » لم تشترك معه فى الملك وقتئذ ؛ إذ نشاهد فى النقوش التى رسمها على جدران هذا المعبد لتجديد قربانه «سنوسرت الثالث» على عرشه، وأمامه يقف «تحتمس الثالث» وهاك النص :

« السنة الثانية — الشهر الثانى — الفصل الثالث — اليوم السابع فى عهد جلالة الملك « تحتمس الثالث » معطى الحياة .

مرسوم التجديد : ما نطق به جلالة الفرعون له الحياة والفلاح والعافية — حامل الخاتم الملكى والسمير الوحيد وابن الملك وحاكم البلاد الجنوبية [تورى ؟] . اجعل القرابين المقدسة تنقش وهى التى أوقفها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب القربان « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) ...

---

(١) راجع : Weigall, "History", Vol. II. P. 397.

فى معبد والده الإله « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة ، والولد المنتقم ، لأجل أن يقوم بأعمال ممتازة لوالده الذى أنجبه ، وقربان الصيد حتى يذكر اسمه فى بيت والده « خنوم » الغال لأقوام الأقواس التسعة ، وقاهر الشاسو (البدو) حينما كان الفرعون « خع كاورع » (سنوسرت الثالث » بين الأحياء وحينما كان حيا ... ... الإله وقد جعل القرابين المقدسة تقدّم للآلهة ، وكذلك قدّم قربان جنازى للوقى من جلالتــه ، وأنشئت قرابين جديدة أيضا ... ... فى بيت والده « ديدون » ، وليذكر اسمـه فى بيت والده « خنوم » غال قبائل الأقواس التسعة ، وقاهر الشاسو (البدو) .

قائمة سنوسرت الثالث : « يقدّم برا من الجنوب وشوفانا لهم (الآلهة) وماء «واوات»... لوالده « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة وقربانا لعيد رأس الفصول ، خمسة عشر حقتا من بر الجنوب لأجل والده « آمون » المهيمن على بلاد النوبة ، وكذلك خمس وأربعون وستمائة حقت وعشرون حقتا من الشوفان ... ... لوالده « خنوم » غال قبائل الأقواس التسعة ، وقربان عيد أول الفصول : خمسون حقتا من بر الجنوب ، وخمس وعشرون وأربعمائة من بر الجنوب ومن الشوفان عشرون حقتا كل سنة لوالده « خنوم » غال الأقواس التسعة ، وثور من القطيع لصيد السنة الجديدة لأجل والده « ددون » ، وثور ... ... وثور من القطيع للعيد المسمى « طرد المتوحشين » وهو الذى يقع فى الشهر الرابع من الفصل الثانى فى اليوم الواحد والعشرين ، قربان عيد « أوّل الفصول » : خمسون حقتا من بر الجنوب ، واثنان ومائتا حقت من بر الجنوب أيضا ، وخمسة عشر حقتا من الشوفان ؛ وفى كل سنة لعيد «طرد المتوحشين» يقدّم كان ملكى ، ٨ ... ... لأجل العيد الذى يقع فى أوّل الفصل الثالث (الشهر التاسع) : ثور من القطيع لوالده « خنوم » غال قبائل الأقواس التسعة وقاهر « الشاسو » : ٦٢ حقتا من بر الجنوب كل سنة لزوج الملك ... ... حقتا من بر الجنوب كل سنة لزوج الملك العظيمة « مرسجر » فى عيد « طرد المتوحشين » : ١٣٥ حقتا من بر الجنوب و ١٠ حقات من الشوفان ؛ أما للفرعون « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) فيقدّم ... ... وقد فرض جلالتــه هذه الأشياء على حكام قلاع الفنتين الجنوب ، وجعلها مستحقة كل عام على الدوام دون انقطاع » .

الإهداء للإله «ددون» و«سنوسرت الثالث» : وكذلك يشاهد فى داخل المعبد على الجدار الغربى قارب مقدس يحتوى على محراب فيــه تمثال « سنوسرت الثالث » ويرى خلفــه « سنوسرت الثـالث » والإله « ددون » ، والإله يضم الملك ، وهنا يخاطب الإله « ديدون » الملك « تحتمس الثالث » قائلا : "يابنى المحبوب « منخبررع » ما أجمل هـذا الأثر الحسن الذى أقمته لابنى المحبوب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) ، لقد خلدت اسمه إلى الأبد لتبقى أنت مخلدا" .

وعلى الجدار المقابل يشاهد منظر مماثل للسابق يقول فيه الإله « ددون » :
« لقد جددت ولادته مرة ثانية فى الذكريات ، ولقد قدمت له موائد قربان كثيرة من الفضة والذهب والبرنز والنحاس والأبنوس . ومكافأتك على ذلك هى الحياة الراضية مثل « رع » مخلدا .

أما نقش الإهداء الكامل فيوجد على الجدار الخارجى من جهة الغرب وهو :
الإله الطيب « منخبررع » (تحتمس الثالث) لقد أقامه بمثابة أثره لوالده « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة وللملك « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) فأقمت لهما معبـدا من حجر بلاد النوبة الأبيض ولو أن جلالتى قد وجده من لبنات مهدمة ، كما يفعل ابن على حسب رغبـة والده الذى أهداه القطرين ، والذى أحضره إلى « حور » رب هذه البلاد . ولقد قررت فى قلبى القدسى أن أقيم هذا الأثر لأجعله قويا على حسب ما أعطى ... لأجل أن أخلد بنيسه أبدا لأنه أعظم من أى إله ، وقـد منحنى كل الحياة والثبات والانشراح مثل « رع » مخلدا[١] .

ومما سبق نرى أن « تحتمس الثالث » لم يقم بأى عمل عدائى فى بلاد النوبة أو فى السودان فى المدة الأولى من حكمه ، وقد ظلت الحـال كذلك حتى السـنة الخمسين من عهد هذا الفرعون كما أسلفنا ، غير أننا لا نعرف إذا كان قد قام بغزو هناك أم لا ، إذ أن ما وصل إلينا عن هذه الحملة مبهم ، حيث نقرأ عند ما كان الفرعون مارا فى القناة التى عند الشلال الأول قد اضطر لتطهيرها من الأحجار التى سـدتها كما جاء ذكر ذلك فى نقوشه التى تدل على أنه أمر بحفرها فى تلك الفترة كما سنذكر هنا ؛ وخلافا لذلك نجد الفرعون قـد خلد ذكرى انتصاراته على بلاد النوبة بمـا وجدناه منقوشا على واجهـة كل من برجى بوابة من بوابات الكرنك ، فنجد قائمـة بأسماء سبع عشرة مدينة وإقليما مما استولى عليها فى هذه الجهات[٢] ، وكذلك نجد على إحدى القوائم منظرا مهشما الآن تهشيما شديدا يمثل الملك يضحى بأعدائه النوبيين أمام الإله « آمون » ، وقد فسر هـذا المنظر بالمتن التالى : إحضار الأسرى الأحياء إلى مصر ، وقد سيقت كل قطعانهم معهم إلى مصر ، ولقـد ملأ مخزن والده رب الآلهة بـ ... من الرؤساء الذين ظفر بهم ، ولم يفعل الملوك مثل هذا من قبل فى هذه الأرض ، وسيبقى اسمه أبد الآبدين .

(١) راجع : Urkunden IV, 193 - 198.
(٢) راجع : Daressy, "Rec. Trav.", XI, P. 154.

هذا وتوجد قائمة أخرى أكثر عددا من السالفة نقشها الفرعون من صورتين على كل من برجى البوّابة السادسة لمعبد الكرنك، وهذه القائمة تحتوى على سبع عشرة ومائة بلد و إقليم فتحها الفرعون. وقد رسم فوق إحدى هاتين القائمتين منظر يشاهد فيه الإله « ديدون » إله بلاد النوبة يقود الملك « تحتمس الثالث » و يقــدّم له هذه البلاد، وفوق القائمتين نجد المتن التالى :

« قائمة بأسماء البلاد الجنوبيــة : بلاد النوبيين الذين هزمهم جلالته فى مذبحــة عظيمة لا يحصى عدد قتلاها وقد ساق كل رعايا النوبيين أسرى أحياء إلى طيبة ليسر قلب والده « آمون رع » رب طيبــة تأمل ! فإن كل الأراضى أصبحت رعايا جلالته كما أمر والده « آمون » .

وكذلك نجــد أن « تحتمس الثالث » دوّن قائمة أخرى على البوّابة السابعــة تحتوى عددا عظيما جدا من أسماء البلاد والأقاليم دوّن منها الأستاذ « زيتــه » نحو ١٤٤ اسما[١]. ويقول الأستاذ « برستد » إن هذه القائمة ربما كان يربى عددها على أربعمائة اسم[٢]. ومما يؤسف له جد الأسف أن معظم هذه الأسماء مجهول موقعه لنا حتى الآن ممـا عقد موضوع جغرافية بلاد السودان، ولذلك لا نستطيع أن نحــدّد على وجه التأكيد إلى أى حد وصل «تحتمس الثالث» فى فتوحه فى الأقاليم السودانية، ومن المؤكد أنه قد وصل فى زحفه حتى «نباتا» عند الشلال الرابع على أقل تقدير؛ إذ قد عثر الأستاذ «ريزنر» على لوحة له عند جبل « بركال » (أى الجبل المقدس) غير أنه لم يتحدث فيها عن حروبه فى الســودان[٣] . وفضلا عمـا ذكرنا يوجد نقش قصير فى مقبرة « انى » يشير إلى أسرى وأسلاب من بلاد النوبة، وقــد قال عنه « برستد » أنه من عهد « تحتمس الثالث » غير أن الأســتاذ « زيته » يقول إنه من عهد « تحتمس الأوّل » وقــد نشأ تضارب الرأيين من اختلاف كيفية قراءة طغراء الملك، والمرجح أنه من عهد « تحتمس الأوّل »[٤] .

---

(١) راجع : Urkunden IV, P. 801 – 806.

(٢) راجع : Breasted, A. R. II. § 259.

(٣) راجع : A. Z. LXIX. (1933) P. 24.

(٤) راجع : Breasted, A. R. II., § 259; Urkunden IV, P. 70.

نقوش القناة : وعنـد ما قام « تحتمس الثالث » بحملتـه إلى بلاد النوبة فى شتاء السنة الخمسين من حكمه كان فى سن الشيخوخة ، والظاهر أنه لم يعد من حملته حتى فصل اعتـدال الجو فى مصر ، أى فى أبريل . والمفهوم أنه عنـد ما بدأ الرحلة كان فى فصـل فيضان النيـل وهو الفصل الذى كانت تذهب فيه الحمـلات عادة إلى بلاد السودان ، ويرجـع السبب فى ذلك إلى أنه كان من اليسير على السفن أن تسير عبر الشلال فى هـذه الفترة ولكن عنـد العودة كانت الميـاه منخفضة ولذلك كان من المستحيل على السفن المرور فى هذه الجنادل الصخرية الوعرة ، وقد فطن ملوك مصر منذ الدولة القديمة لهذه الظاهرة ، فاتخذوا لأنفسهم الحيطة ، وشـقوا قناة لعبور سفنهم فى العودة متفادين بذلك الشلالات ، وقـد تبعهم فى ذلك ملوك الأسرة الثانية عشرة ، إذ قد حفر «سنوسرت الثالث» قناة هناك ، ولكنها سدّت ، وقد كراها « تحتمس الأول » واستعملها ثانية فى حروبه ، وقـد وجد « تحتمس الثالث » أنها سدّت بالأحجار كرة أخرى فأمر بكريها لتعود منها سفن حملته ، وقد ترك لنا وثيقة تحدّثنا عن عمله هذا نقشت على صخرة فى هذه الجهة بعينها وهذا نصها . «فى السنة الخمسين الشهر الأوّل من الفصل الثالث ، اليوم الثانى والعشرون من حكم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبررع » (تحتمس الثالث) معطى الحياة أمر جلالته بحفر هـذه القناة بعد أن وجدها مسدودة بالأحجار لدرجة أنه لا يمكن لسفينة أن تسبح فيها ، وقد انحدر فى النيل عليها وقلبه منشرح لأنه ذبح أعداءه . واسم هذه القناة هو « فتح هذا الطريق فى جمال منخبررع العائش مخلدا » . وعلى صيادى « الفنتين كرى هذه القناة سنويا » .

ومن ذلك نعلم أن « تحتمس الثالث » لا بدّ قد سار فى حملته هـذه لتأديب العصاة فى السودان إذ يقول إنه عاد بعد ذبح أعدائه . يضاف إلى ذلك الغنائم التى تركها على بوابات معبد الكرنك ، غير أنه يحتمل أن تكون قوائم تقليدية كان الفراعنة يتوارثونها كما جرت العادة ولكنا نشك كثيرا فى أن يأتى « تحتمس الثالث » مثل هذا العمل . وقد كان «نحى» حاكم السودان فى عهده هو الذى قام له بإصلاحات عدّة أجريت فى معبد « سمنة » كما يشير إلى ذلك نقش مهشم .

الآثار التي خلفها تحتمس الثالث

حدود امبراطورية تحتمس الثالث : دان العالم المتمدين لسطوة «تحتمس الثالث» وعز سلطانه حتى صار قبل وفاته يسيطر على امبراطورية تمتد من أعالى نهر دجلة والفرات شمالا حتى مدينة نباتا عند الشلال الرابع جنوبا ، ولم يخف على فطنة « تحتمس » أن يحدد لأخلافه من بعده حدود امبراطوريته كما فعل « سنوسرت الثالث » عند ما وضع لوحة الحدود الشهيرة عند « سمنة » . إذ أنه لما عبر نهر الفرات أقام لوحة تذكارية فى الجهة الغربية من هذا النهر لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت إليها فتوحه فى الشمال ، غير أنه لم يكشف عنها حتى الآن مع الأسف ، ولا نعلم ماذا دون عليها على وجه التحقيق ، أما فى الجنوب فقد حدد فتوحه كذلك بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل « بركال » على مقربة من مدينة « نباتا » وهذه النقطة هى على ما يظهر آخر ما وصل إليه الفتح المصرى فى كل عصور التاريخ القديم ، وقد حدثنا فيها هذا الفرعون عن قوة سلطانه ، وما أحرزه من انتصارات على الأسيويين دون أن يشير إشارة صريحة إلى انتصاراته على بلاد « كوش » ، ولا عجب إذن إذا كان «تحتمس الثالث» قد تغاضى قصدا عن ذكر انتصاراته على السودانيين تفاديا من جرح شعورهم أو التنديد بهم فى عقر دارهم . فهل يا ترى قد تغافل « تحتمس الثالث » فى اللوحة التى أقامها عند نهر الفرات عن ذكر انتصاراته على الأسيويين (؟) و إذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها فقد يكون ذلك ليس ببعيد على رجل ضرب الرقم القياسى على ما يظهر فى ميدان الحرب والسياسة معا . وبين هذين الأثرين ؛ أى لوحة الفرات ولوحة جبل « بركال » تقع امبراطورية « تحتمس الثالث » التى دانت له بحد السيف ومضاء العزيمة وحسن السياسة ، وسنرى فيما يلى أن آثاره قد عمت كل جهات هذه الامبراطورية بدرجة لم يسبق لها مثيل فى عهد أى فرعون قبله ؛ وسنتحدث عن هذه الآثار بشىء من اختصار بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا مبتدئين من بلاد « نهرين » شمالا حتى « نباتا » جنوبا .

آثاره فى آسـيا : أقام تحتمس لوحة تذكارية عند أقصى حـدود فتوحه الشمالية على نهر الفرات بالقرب من مدينة « نى »[١] التى تقع على مسافة أربعين ميلا فى الشمال الشرقى من « حماة » ، غير أننا لا نعرف ما جاء فيها حتى الآن . أما آثاره الأخرى فى آسيا فنعرف منها اللوحات التى تركها لنا فى شبه جزيرة سينا[٢] ، إذ قد عثر له على لوحة فى « سرابة الخادم » مؤرّخة بالسنة الخامسة والعشرين ، وقـد رسم فى أعلاها منظر يشاهد فيه الفرعون مقدّما قربانا للإلهـة « حتحور » ويلحظ أن أحد كبار موظفيه المسمى « تاى » يقبض بيده على مروحة خلف الفرعون ويحمل الألقاب التالية : «الأمير الوراثى والحاكم وحامل الخاتم والسمير الوحيد والمشرف على المـالية — تاى » ثم يأتى بعـد ذلك مديح للفرعون ونص الغرض الحملة من وهو استخراج المعادن من هذه الجهات[٣] .

وكذلك وجد له لوحة فى هـذه الجهة مؤرّخة بالسنة السابعة والعشرين يرى عليها الملك ثانية يقدّم قربانا للإلهة « حتحور » ربة هذه الجهة[٤]،وكذلك وجد جزء من باب باسم هذا الفرعون بجوار هذه اللوحة . وفى «وادى مغارة» عثر له على نقوش من عهده أيضا مؤرّخة بالسنة السادسة عشرة ، وفى سرابة الخادم[٥].وكذلك وجدت قطع من أوانى الفخار المطلى عليها اسم « تحتمس الثالث » أيضا[٦] .

---

(١) تحتمل أنها «قلعة الموضيق» الحالية الواقعة على مسافة أربعين ميلا فى الشمال الغربى من «حماة» .

(٢) قد وجد لهذا الفرعون فى «سرابة الخادم» آثار مؤرّخة بالسنين الآتية الخامسة ، والثالثة عشرة والخامسة عشرة ، والسابعة والعشرين . (راجع Gardiner and Peet, "Sinai", P. 180, 196, 198) وكذلك ذكر اسمه فى نفس المصدر من ١٨٨ — ٢٠٤ ، وله مبان فى هـذه الجهة (راجع Petrie, "Researches in Sinai", P. 79) .

(٣) راجع : Urkunden IV, P. 886 - 889.

(٤) راجع : Petrie, "History", II, P. 126.

(٥) راجع : Murray, "Handbook for Travellers in Egypt" (Ed. London 1880) P. 3.

(٦) راجع : Birch, "Pottery" P. 56.

ننتقل بعـد ذلك إلى التحـدّث عن آثار « تحتمس » فى الدلتـا ، ففى بلدة كوم الحصن الحالية التى تقوم على أنقاض بلدة « آمو » القديمة التى تقع فى المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري يظهر أنه قد أقام فيها معبدا، وقد بقيت بعض آثاره على الرغم من تهدّم المعبد تهدّما شاملا ، فقد عثر له على آنية من أثاث المعبد اشتراها « بترى » من القاهرة وقد نقش عليها : « محبوب » « حتحور » « سيدة آمو » وهـذا الإناء موحد مع أسـلوب الأوانى التى عثر عليها فى أساس معبـد « قفط » الذى بناه هذا الفرعون (Petrie Collection) .

وفى « عين شمس » قام هـذا الفرعون بأعمال عظيمة فقد عثر « ليبسيوس » على لوحة مستدير أعلاها رسم عليها منظر يشاهـد فيه « تحتمس الثالث » يقـدّم قربانا للإله « حوراختى » ، وأسفل هذا المنظر دوّن النقش التالى .

« السنة السابعة والأربعون من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبررع » ابن الشمس « تحتمس الثالث » ، عاش مخلدا . أمر جلالته بإحاطة هذا المعبد بجدار سميك من الحجر لأجـل والده « حوراختى » الخالد وذلك عندما نظف عين شمس (بيت رع) ... » (١) .

ويوجد فى متحف القاهرة عمود باب نقش عليه إهداء من «تحتمس الثالث» وهاك نصه : « لقـد صنعه تذكارا لوالده « آمون » رب عين شمس ، فأقام له (بوّابة) من حجر « بينوت » تسمى « طاهرة قربان منخبررع » محبوب آلهـة عين شمس » (٢) . وفى « منف » أقام معبـدا للإله « بتاح » على حسب ما جاء فى نقش فى «سقارة» (٣)، وكذلك وجد له فى « منف » لوحة من البرنز (راجع .A. S. III. P. 141) ، وفى بلدة « غراب » الواقعة عند مدخل الفيوم أقام هذا الفرعون معبدا ومدينة حوله عند نهاية سد الفيوم (٤).

---

(١) راجع : .L. D. III. Pl. 29b

(٢) راجع : Breasted, A. R. Vol. II. § 643; Sharpe, "Egyptian Inscriptions", Vol. II. P. 34.

(٣) راجع : .Petrie, "History" II, P. 403

(٤) راجع : .Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob", Pl. XXX

وعثر على « باب عتب » عليه اسمه موجود الآن فى مدينه « ادليد » [١] ، وكذلك عثر على أحجار أخرى [٢] ، نقش عليها اسم « تحتمس الثالث » والمحو الذى على هذه الآثار يدل على أن المعبد قد ظل قائما حتى عهد « أخناتون » أى أن اسم آمون كان يمحى كلما وجد على حجر من هـذه الأحجار ، والظاهر أن المعبد قـد خرب وأزيل من مكانه وبنيت على أنقاضه المنازل . ولا شك فى أن هذه المدينة قد خربت فى عهد الغزو الأجنبى الذى حدث فى عهد « مرنبتاح » ولم تعد تسكن بعد .

وفى « البرشـه » نقشت على الصـخر لوحة مؤرخة بالسـنة الثالثة والثلاثين من حكم « تحتمس الثالث » وقـد دون عليها دعاء بملايين أعياد ثلاثينية [٣] . وفى «أخميم» [٤] نقش منظر على حجرة قطعت فى الصخر يشاهد فيه «تحتمس الثالث» يتعبـد للإله « آمون مين » . وكذلك وجد له نقش فى موقع المعبد القائم هناك [٥] . وفى العرابة المـدفونة عثر على تمثال ضخم جدا للاله « أوزير » نقش على ظهره اسم هذا الفرعون [٦] .

كما وجد له آثار معبـد هناك أيضا (راجع .Petrie, "Abydos", II. Pl. LVII) . وبوابة عليها اسمه وقربان ومواد أساس (راجع .Ibid. I, Pls. LXI, LXIV, Ibid. II. Pl. XXXIII & ibid II, Pl. XXXIV; ibid. I. Pl. LXI.

راجع : ("Ancient Egypt", 1915, P. 24; "Rec. Trav." XXXIV, P. 52)

وفى سمهود وجدت له جعارين (راجع A. S. XII. P. 82) .

وفى «دندرة» وجدت له نقوش فى إحدى الحجرات السرية تنص على إصلاح الآثار على يد الفرعون رب الأرضين «منخبر رع» وسيد التيجان «تحتمس الثالث»

---

(١) راجع : .Ibid. Pl. XXIV

(٢) راجع : .Petrie, "Kahun". P. 32. Pl. 22

(٣) راجع : .L. D. III, Pl. 26f

(٤) راجع : .Ibid. Pl. 29d

(٥) راجع : .Murray, Ibid. P. 431

(٦) راجع : .Mariette, "Abydos"

على حسب ما وجد فى الكتابات القديمة التى ترجع إلى عهد « خوفو »[1] . ولا تزال توجد قطعة حجر من آثار « تحتمس الثالث » فى معبد « دندرة » الحديث . وكذلك أهدى هذا الفرعون صاحات من الفيروزج طولها ١٦ أصبعا تشاهد صورتها فى مبانى المعبد الذى يرجع إلى عهد البطالمة[3] .

وفى وادى الحمامات وجد نقش عليه اسم الفرعون مما يدل على أنه كان يرسل الحملات لقطع الأحجار من هناك[4] .

معبد قفط : أما فى « قفط »[5] ، فإنه بنى معبدها كله من جديد ، وهذا المعبد كما هو معروف خاص بعبادة الإله « مين » إله هذه البلدة و إله الصحراء . وعلى الرغم من أن هذا المعبد أعيد بناؤه بعد « تحتمس » مرات عدّة فإن آثار هذا الفرعون قد بقيت الى الآن إذ عثر فى أساسه على نماذج آلات ومجاديف وأوان من المرمر وكمية عظيمة من الفخار منقوش على أهمها اسم « تحتمس الثالث » محبوب « مين » صاحب « قفط » وقد قطعت أحجار هذا المعبد من الحجر الرملى المستخرج من محاجر « سلسلة » بدلا من الحجر الجيرى الأبيض الذى كان يستعمل فى بناء المعابد قبل هذا العهد . أما أعمدته فقد نحتت من الجرانيت الأحمر ، ومثل عليها الملك يقدّم القربان للإله « مين » ، ومن المحتمل أنها استعملت ثانية فى معابد محدثة إذ قد بقيت فى متناول القوم حتى العهد المسيحى فنقلت خرائب المعبد واستعملت لإقامة الكنيسة القبطية الموجودة فى هذه الجهة ، ولم يبق منها إلا هذه الأعمدة .

---

(١) راجع : Dumichen, "Baugeschichte des Denderatempels und Beschreibung der einzelnen Theile des Bau Werks nach den an seinen Mauern befindlichen Inschriften", I.,

(٢) راجع : Dumichen, Ibid, Pl. III. d

(٣) راجع : Ibid. Pl. 11, c

(٤) راجع : Murray. "Guide", P, 326.

(٥) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. XIII - XVI.

وفى «طوخ» وجد له مبان[1] وفى خرائب بلدة «نبت» (بلاص) المقابلة لبلدة «قفط» على الضفة الثانيـة للنيل وجدت قوالب من اللبن باسم هـذا الفرعون و باسم ابنه «أمنحتب الثانى» مما يدل على أنهما همـا اللذان أقاماها ؛ هـذا الى أنه وجد حديثـا بعض قطع من الأساس وكذلك قائمة باب من الحجر الرملى نقش عليها اسم «تحتمس الثالث»[2] .

أما فى الكرنك فقـد أقام «تحتمس الثالث» مبانى نخمة أشرنا الى معظمها فيما سلف .

معبد مدينة «هابو» : وفى مدينة «هابو» أتم هـذا الفرعون المعبد الذى كان قد بدئ فى بنائه منـذ عهد جده ، وهو الذى بنى معظمه والده وزخرفه هو و «حتشبسوت» . وهذا المعبد لم يكن فى ذلك الوقت إلا مبنى صغيرا ، وفى نهاية الأسرة «الثامنة عشرة» أصلح من شأنه الفرعون «حور محب» ثم «سيتى الأول» و «رعمسيس الثانى عشر» ثم أخيرا الفرعون «بينوزم» (الأسرة الواحدة والعشرون) ، وذلك على حسب ماذكره كل منهم على الجدار الأمامى للمعبـد ، وبعد ذلك جاء «طهراقا» (فى الأسرة الخامسة والعشرين) وأضاف للعبد ردهة أمامية و(بوابة) مخترقا بذلك حدود معبد «رعمسيس الثالث» . وفى عهد الأسرة الثلاثين أضيفت ردهة أخرى أمام السابقة ثم جاء «بطليموس العاشر» وأضاف بوابة أمام هذه الردهة الأخيرة ، وأخيرا أضاف الامبراطور «أنطونيوس» ردهة أمام كل ذلك[3] .

أما فى معبـد الدير البحرى فإن «تحتمس الثـالث» أتم بناءه بعـد موت «حتشبسوت» إذ يلاحظ فى هذا المعبد باب بأكمله قد نقش باسمه[4] ممـا يدل على أن المعبد لم يكن قد تم فى عهدها .

(١) راجع : "Rec. Trav". XVI. P. 44.

(٢) راجع : Petrie, "History", II, P. 128.

(٣) راجع : L. D. III, Pls. 7, 27-8, 37-38.

(٤) راجع : Dumichen, "Historische Inschriften altægyptischer Denkmaler", II, Pl. XXIV.

وفى معبد « الأسرة الحادية عشرة » الملاصق لمعبد « حتشبسوت » أقام « تحتمس الثالث » مقصورة صغيرة للبقرة المقدّســة التى كانت تعدّ صــورة من صور الإلهة « حتحور » الموكلة بحماية هذه الأماكن الصحراوية ، وقد وضع فى هذه المقصورة



(٣١) مقصورة البقرة حتحور

تمثال بقرة ، وقد مثل الفرعون نفسه يرضع اللبن المقدّس من ثديها ، والمقصورة والتمثال موجودان الآن بالمتحف المصرى (١) .

وفى بلدة « طود » الواقعة جنوبى « طيبة » عثر على قطع من الحجر منحوتة نقش عليها اسم هذا الفرعون (٢) ، جاء فيها : " يعيش حور... ملك الوجه القبلى والبحرى «منخبر رع» المختار من «رع» عمله بمثابة أثره لوالدته «نخبت» ربة «عفخ» وقد أقامه لها معبداً" .

معبد تحتمس الثالث فى أرمنت : أقام تحتمس الثالث فى بلدة أرمنت معبداً ضخماً للإله «منتو» يعدّ من أكبر الآثار التى خلفها لنا هذا الفرعون بين مبانيه كلها وقد عثر على بعض بقايا هذا المعبد من النصف الأوّل من القرن التاسع عشر وبخاصة ما وجده « لبسبسويس » من قطع منقوشة نحت عليها اسم هذا الفرعون (راجع L. D. IV. Text. P. I.) . وكذلك نقل « الكونت سنت فريول » أثناء سياحته فى شتاء ١٨٤١ — ١٨٤٣ ميلادية عدّة قطع من معبد «أرمنت» معظمها يرجع إلى عهد هذا الفرعون وهى الآن محفوظة بمتحف «جرينوبل» (٣) .

الكشف عن المعبد : وقد كشف حديثاً (٤) عن هذا المعبد كشفاً علمياً فى السنين الأخيرة، وتدل قطع الأساس والنقوش العدّة ورسم بوابته على جدران مقبرة الكاهن « خنسو » فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٣١ وما عليها من نقوش على أن هذا المعبد كان من معابد الدرجة الأولى التى أقامها هذا الفرعون، ولا غرابة فى ذلك فإن الإله « منتو » كان يعدّ إله الحرب الأعظم بين الآلهة المصرية فى كل عصور التاريخ . وثالوث « أرمنت » كان يتألف من الإله « منتو »

---

(١) راجع : Maspero, "Guide", (1910) P. 125.

(٢) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 362.

(٣) راجع : Tresson, "Catalogue Descriptif des Antiquities Egyptiennes de la Salle Saint Ferriol". (Grenoble, 1933.)

(٤) راجع : Mond & Meyer, "Temple of Armant" P. 25 - 27. & Pl. IX.

والإلهة « إيونيت » ثم الإلهـة « تننيت » أى من ذكر وأنثيين ، على غرار « ثالوث أسوان » .

ولم يبق لنا قائما من جدران هذا المعبد إلا بعض جدران البوّابة السفلية . وقد عثر على قطع عدّة من الأحجار عليها اسم « تحتمس الثالث » أعيـد بناؤها فى المعبد البطليموسى . وعلى الرغم مما أصاب المعبد من التخريب والتدمير فإنه قد بقى لنا على جزء البوّابة المحفوظ منظر من الأهمية بمكان عظيم . وهذا المنظر يمثل موكبا على الواجهة الداخلية من الجناح الشرقى للبوّابة فى الجهة الشمالية ... ... وهو يفسر لنـا بالصور والنقوش نتيجة حملة مظفرة قام بها هـذا الفرعون فى بلاد النوبة ، ويحتمل أنها نزهة للصيد والقنص قد عاد الفرعون منها بغنائم ؛ ومـما يلفت النظر أن الرسوم قد نقشت برشاقة ودقة بالغة ، كما أنها رسمت بكل عناية مـما جعلها تحاكى الطبيعة . وقد اختلف علماء الآثار فى العهد الذى تنسب إليه ، غير أن كل شواهد الأحوال تدل على أنها من عصر « تحتمس الثالث » .

الموكـب : وهذا الموكب يسترعى النظر فى تفاصيله . ففى بدايته نشاهد حيوانا ضخما تدل كل ملامحه على أنه بلا شك خرتيت (وحيد القرن) غير أن تمثيل سيقانه لا يطابق الواقع . وتدل النقوش التفسيرية الخاصة بهـذا الحيوان على أن صيده كان حدثا جللا فى تاريخ الصيد والقنص عنـد المصريين القدامى ، ففضلا عن رسم هذا الحيوان على جدران المعبد وكيفية صيده نلاحظ أن « تحتمس » الثالث قد أمر بنقش مقاييس أجزاء جسمه عرفنا منها أن طول قرنه كان نحو ذراع وشبر، وارتفاع ساقه الأمامية خمسة أذرع ونصف، ومحيطه ثلاثة أذرع وخمسة أشبار ، ومحيط قدمه الأمامى ذراعان وشـبر، ومحيط بطنه ثلاثة عشر ذراعا وشبران وطول ساقه الخلفية أى المحيط بالقرب من العجز خمسة أذرع وثلاثة أشبار . ويلاحظ أن بعض هـذه المقاييس لا ينطبق على الواقع الآن بل فيه مبالغة، ولم يبق لنا من صور الرجال الذين كانوا يقبضون على هذا الحيوان إلا بعض أجزاء، غير أن رسمهم

يدل على أنهم كانوا أقوياء . وبعد ذلك نشاهد فى الموكب حاملى الجزية، وتشمل ريش نعام وبيض نعام وثيرانا ، وركائز من المعادن ، وفطائر وقردة . هذا ونشاهد أسماء بعض البلاد التى استولى عليها الفرعون، وغير ذلك من المناظر المألوفة .

وقد كتب فى نهاية الموكب النقش التالى : « الغنيمة التى استولى عليها الفرعون فى صحراء أراضى بلاد « الكوش » الخاسئين فى خلال حملته الأولى المظفرة عند ما كان وحيدا معتمدا على ساعده القوى، ولم يكن معه شخص آخر . (و إذا[1] كان الإنسان يقص كل حادث قام به هذا الفرعون على حدته فإن ذلك يفوق المليون وعشرات الألوف بل و يفوق رمال شاطىء البحر عددا » .

والواقع أن هـذا النقش لا يدل دلالة واضحة على شىء معين ، اللهـم إلا أن الفرعون قام بحملة مظفرة فى بلاد النوبة لم يحدّد لنا تاريخها .

وقد عثر على بقايا تمثالى « بو الهول » بالقرب من بوّابة المعبد السالفة الذكر، نقش على صدر كل منهما اسم الفرعون « تحتمس الثالث » ومن المحتمل جدا أنهما ضمن تماثيل « بو الهول » التى كانت قد نصبت على كلا جانبى الطريق المؤدّى الى بوّابة المعبد كما نشاهد ذلك فى معبد الدير البحرى الذى أقامته « حتشبسوت » .

على أن أهم أثر عثر عليه فى هذا المعبد هو اللوحة العظيمة المنحوتة فى الجرانيت الأحمر باسم هـذا الفرعون، والظاهر أنها قد سقطت من مكانها الأصـلى ، وهو واجهة (البوّابة) ، وممـا يؤسف له أنها قد وجدت مهشمة ، وقد يكون ذلك عمـدا . وكان ارتفاعها الأصلى حـوالى ٢٢٢ سنتيمترا وعرضها حـوالى ١٢٤ سنتيمترا . أما ارتفاع النقوش الباقية فهو نحو ٨٠ سنتيمترا .

ويشاهد فى أعلى اللوحة منظر يحتـوى على قرص الشمس المجنح نقش تحتـه مباشرة : "حور بحدت الإله الأعظم ، ليته يعطى الحياة" ، وأسفل هذا النقش منظران يفصلهما نقوش هى[2] : "إنى أعطيك ملايين السنين وأجعل الممـالك كلها

(١) ومعنى ذلك أن أعماله يخطئها العد .

(٢) وتدل قائمة الخراج على أن « أرمنت » و « إلفنتين » كانتا تدفعان خراجا أكثر من أى إقليم فى الوجه القبلى .

تخضع تحت نعليك، إنى أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة، وكل القوة والنصر"، ويشاهد فى المنظر الذى على اليسار الفرعون : ابن الشمس محبوب « تحتمس » رب الصدق وهو لابس لباس الرأس « نمس » وقميصا مجعدا ، يقف أمام الإله « منتو » الممثل برأس صقر وجسم إنسان ، وخلف الفرعون نشاهد الإلهة « إيونيت » إحدى إلهات الثالوث الأرمنتى، وتلبس على رأسها قرص الشمس، وقرنين وممسكة بيدها اليسرى الفرعون، وتحميه بيدها اليمنى، وخلفها نقش مايأتى : إنى أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة والفلاح ، وملك الأرضين تحت سلطتك باقيا مخلدا" .

أما المنظر الذى على اليمين فمشابه للسالف، إذ نشاهد الملك ثانية أمام الإله « منتو » رب « طيبة » بنفس الملابس غير أن لقبه فى هذه المرة مدوّن فوقه وهو : "الإله الطيب رب المحافل «منخبر رع » معطى الحياة مخلدا" . وخلفه نشاهد الإلهة « تننيت » رافعة يدها ولابسة تاج العقاب، والنقوش التى تتبعها هى نفس النقوش التى وجدت مع الإلهة « إيونيت » وهاك ترجمة اللوحة [1] : يعيش « حور » (الملك) الثور القوى المضىء فى « طيبة » ملك الجنوب والشمال ، صاحب الإلهتين — المتمكن فى الملك مثل « رع » فى السماء : حور وست صاحب التيجان المقدسة ، شديد البأس . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى — رب الأرضين، وسيد الاحتفالات « منخبر رع » — ابن الشمس من جسده، «تحتمس» أمير الصدق ، محبوب الإله « منتو » رب « طيبة » والقاطن فى « أرمنت » العائش مخلدا [2] .

السنة الثانية والعشرون ، الشهر الثانى من فصل الشتاء ، اليوم العاشر [3] . موجز الأعمال العظيمة ، والانتصارات التى أحرزها هذا الإله الطيب ، وهى كل سانحة مواتية من البداية منذ أول وجود جيل من

---

(١) راجع : Mond & Meyer, Ibid Pl. CIII.

(٢) هذه هى نفس الألقاب الملكية التى يحملها « تحتمس الثالث » كما وجدناها على لوحة بركال .

(٣) لا يمكن الباحث أن يعرف من هذا المتن الحادث الذى يشير إليه هذا التاريخ ، إذ الواقع أنه يرجع إلى مدة شهرين قبل أى تاريخ مدوّن لعهد هذا الفرعون أى قبل سفره من « تارو» (القنطرة الحالية) على رأس حملته الأولى فى عام ٢٢ الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس والعشرين ، ومن المحتمل إذن أن هذا التاريخ هو بداية حكمه منفردا بعد موت «حتشبسوت» .

الناس . على أن ما فعله له سيد الآلهة ورب «أرمنت» هو تعظيم انتصاراته حتى يمكن التحدث عن فتوحه ملايين السنين فى المستقبل ، هـذا إذا أغضينا النظر عن ذكر أعمال الشجاعة العظيمة التى كان يقوم بهـا جلالته يوميا (= فى كلا الفصلين نهارا وليـلا) وذلك لأن الإنسان لو ذكر كل حادثة بالاسم لأخطأه عدها كتابة .

فقد فوق سهامه إلى لوحة من النحاس بعد أن تكسرت أهدافه الخشبية ، وصارت كأنها يراعات هشة ، وقد وضع جلالته نموذجا منها فى معبد « آمون » وهو هدف سمكه ثلاث أصابع رشق فيه سهمان من سهامه ، فقد جعل السهم ينفذ فى الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر . و إنى أتكلم على حسب ما قام به فعلا دون مين أو كذب وقد حدث ذلك أمام كل الجيش ، وليس فى ذلك كلمة مبالغ فيها .

و إذا اتفق أنه خرج للصيد فى أية صحراء فإن عدد غنائم مطاردته يكون أعظم من غنائم كل الجيش ، فقد أردى بسهامه سبعة أسود عندما خرج للصيد فى لمح البصر ، وكذلك استولى على قطيع من البهم الوحشية فى ساعة ، حتى أنه عندما حان وقت تناول الإفطار كانت ذيولها قد جهزت ليلبسها وتجر خلفه . وقد قضى على مائة وعشرين فيلا فى جبال إقليم بلدة «نى» عند ما كان عائدا من بلاد «نهرين» وقد عبر نهر الفرات وضرب البلاد التى على شاطئيه ؛ إذ بددتها النيران إلى الأبد ، وأقام لوحة انتصاره على شاطئه الشرقى ، وكذلك أردى خرتيتا قتيلا عندما كان يقوم بنزهة طراد فى إقليم صحراء بلاد النوبة ، عندما ذهب إلى إقليم « ميو » باحثا عمن ثار عليه فى هذه الأرض ، وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطىء النهر (أى نهر الفرات) ولم يتوان جلالته فى الذهاب نحو بلاد « زاهى » (سوريا) ليقضى على الثائرين الذين كانوا هنـاك ، وليوزع العطايا على من بقوا على الولاء له . ويشاهد أسماءهم ... ... كل مملكة على حسب وقتها (؟ ؟) . وقد كان جلالته يعود على أثر كل حادثة بعـد فلاح هجماته بالقوة والظفر . وقد جعل مصر على الحالة التى كانت عليها عندما كان « رع » ملكا عليها (أى أن العدالة كانت تسودها) .

[تاريخ (؟) السنة الثـانية والعشرون الشهر الرابع من الشتاء اليوم (؟)] . الخروج من « منف » لقهر أقاليم « رتنو » الخاسئة فى أوّل موقعة مظفرة ... ... فعل ... ... [مجدو] وقد شق جلالته الطرق ، واقتحم كل ممر لجيشه (أى أمام جيشه) من الممرات التى كانت تضيق كلما جدّ فى السير ، وكان هو على رأس جيشه كله ، فى حين أن الممـالك كلها كانت مصطفة متحفزة للواقعة عند فم الوادى ... ... وقد دب الخور فى رجال العـدو ، وولوا الأدبار إلى مدينتهم ومعهـم رئيسهم الذى كان فى ... ... وهم ... ... يرجعون ... ... ومتاعهم على ظهورهم ، وقد عاد جلالته فرحا ، وأصبحت كل هـذه البلاد الأجنبية من رعاياه ... ... وقد حضر الأسيويون جميعا يحمـلون الجزية ... ... السنة التاسعة والعشرون الشهر الرابع من فصل الشتاء ... ... » .

اللوحة تلخص أعمال تحتمس الثالث : والظاهر من مضمون هـذه اللوحة أن « تحتمس الثالث » بعد أن أتم حروبه أراد أن يضع ملخصا لها فى معبد الإله « منتو » إله الحرب ، كما أنه أراد أن يضع أمام الشعب المصرى ما قام به من ضروب الشجاعة فى الصيد والقنص ممـا لم يسبقه إليه أحد ، وكذلك فى فن الرماية وإصابة الهدف ممـا لم يجاره فيه أحد من قبله حتى تولى ابنه « أمنحتب » الثانى فضرب الرقم القياسى فى ذلك المضمار كما سيجىء بعد . ولكن ممـا يؤسف له جد الأسف أن هذه اللوحة لم تؤرخ بسنة محددة ، ولكن تدل ظواهر الأمور على أنها دونت بعـد حملته المظفرة التى قام بها إلى بلاد النوبة فى السنة الواحدة والخمسين . ويدل على ذلك إشارته إلى لوحة « بركال » التى أقامها فى السنة السابعة والأربعين إذ يقول : وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطىء النهر ؟ » والمرجح أنه يشير هنـا إلى « نهر الفرات » .

وقد أشار « تحتمس الثالث » فى لوحته هـذه إلى حسن سياسته فى معاملة الولايات التى فتحها فى « سوريا » إذ تخبرنا أنه كان يذهب فى حمـلاته إلى هذه البلاد ليقهر العصاة ويوزع الهدايا على من كان مواليا له من الأمراء هناك .

وفى «صفون» (اسنا) فى نقش من عهد الامبراطور «كلوديوس» نجد ذكر اسم لوحة عظيمة لهـذا الفرعون[1] . وفى معبد الإله « سبك » بمدينـة « الكاب » عثر على واجهة معبـد نقش عليها اسم « تحتمس[2] الثالث » . يضاف إلى ذلك أنه يوجد فى هـذه الجهة معبد صغير محاط بطائفة من العمد مثل معبـد « الفنتين» الذى تهدم[3] .

(١) راجع : L. D., IV, Pl. 8a.

(٢) راجع : Champollion, "Notices" P. 266.

(٣) راجع : Wilkinson, "Topography of Thebes" P. 430.

ويوجد فى معبد أدفو نص من عهد البطالمة يحدثنا أن تحتمس الثالث أقام معبدا للإلهة « حتحور » فى هذه البلدة[1] .

آثاره فى كوم امبو والفنتين : وكان يوجد فى « كوم امبو » (بوّابة) عظيمة أمام حرم المعبد الكبير أقامتها الملكة « حتشبسوت » ، ولكن « تحتمس الثالث » هو الذى حفر نقوشها ، ويلحظ أن البطالمة كانوا قد أصلحوا عتبة هذه البوّابة[2] . غير أن هذه المبانى قد طغى عليها النيل . ويوجد فى هذا المكان كذلك عتب باب نقش عليه اسم « تحتمس الثالث » وكان لا يزال موجودا إلى عهد قريب[3] .

وفى الفنتين أقام « تحتمس » معبدا على الجزيرة للإله « خنوم[4] » وكان هذا المعبد لا يزال قائما حتى عام ١٨٢٢ حيث أمر بهدمه لبناء قصر لمحمد على الكبير فى هذه الجهة ، ولا تزال بعض قطع من أحجاره مبنية فى جدار « المرسى » غير أننا لانعلم من أى معبد أتى بها ، إذ كان يوجد فى الجزيرة معبد آخر، والظاهر أنها من معبد أقامه « تحتمس » وأصلحه البطالمة ، وقد عثر كذلك على قطعة حجر عليها اسم هذا الفرعون عند محطة أسوان ، وقد ذكر أن مسلة من معبد « الفنتين » موجودة فى بيت «سيون» (راجع .Birch, "History", P. 102) وعليها اسم هذا الفرعون ، ووجدت فى هذه الجهة لوحة يشاهد عليها « تحتمس الثالث » يتعبد إلى ثالوث أسوان ، وهم الإله « خنوم » والإلهة « عنقت » والإلهة « ساتت » Lepsius, "Letters" I. pp. 101 & 218. ومن المحتمل أن هذا الفرعون قد أقام معبدا على جزيرة «بجة» إذ وجد له تمثال هناك (راجع Wilkinson, "Topography of Thebes" P. 470) .

---

(١) راجع : A. Z. IX, P. 97.

(٢) راجع : L. D. III. Pl. 281.

(٣) راجع : A. Z., XXXI, P. 78.

(٤) راجع : Budge, "A History of Egypt", Vol. IV. P. 135; Urk. IV. P. 822.

آثاره فى بلاد النوبة : أما فى بلاد النوبة فقد بنى « تحتمس الثالث » مبانى أثرية كثيرة جدا تشهد بنشاطه العظيم المنقطع القرين فى هذه الأقاليم ، إذ نجد له فى كل موقع أثرى يد خالدة هناك لإقامة المعابد للالهة المحلية . ففى « كلابشة »[١] عثر له على تمثال من الجرانيت فى المعبد المقام هناك ، وكذلك وجدت قطعة من الحجر عليها اسمه .

وفى « كوبان »[٢] يوجد نقش عليه اسمه . وفى معبد « دكة »[٣] جاء ذكر « تحتمس الثالث » وفى معبد « كورتى »[٤] عثر على حجر باسم « تحتمس الثالث » كما وجد اسمه فى قطع أساس المعبد الذى كان قد أعيد بناؤه فيما بعد . أما فى معبد « أمادة » فقد وجدت بوابة فيه نقش على أحد جانبيها اسم « تحتمس الثالث » . وعلى الجانب الآخر نقش اسم « أمنحتب الثانى » ابنه ؛ فى حين أن إسميهما وجدا سويا على العتب ، وهذا النقش يدل على اشتراكهما فى الحكم سويا[٥] . وكذلك نجد فى نفس المعبد لوحة عظيمة نقشت فى السنة الثالثة من عهد « أمنحتب الثانى » ، وقد جاء فيها أن هذا البناء كان قد أقيم فى نهاية حكم « تحتمس الثالث » وأن اشتراك هذين الملكين فى الحكم لم يدم طويلا . يضاف إلى ذلك أنه يوجد فى نفس المعبد منظر نشاهد فيه الإلهة « إزيس سلكت » تضم إليها « تحتمس الثالث »[٦] . وقد جاء فى إهداء هذا المعبد ما يأتى : « الإله الطيب رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى منخبررع بن الشمس محبوبه تحتمس حاكم العدل ، وهو الذى أنشأه بمثابة أثر لوالده « حور اختى »

---

(١) راجع : Baedeker, “Egypt”, P. 307.

(٢) راجع : Murray, “Guide” P. 538.

(٣) راجع : Stuart, “Nile Gleanings” P. 136.

(٤) راجع : Lepsius, “Letters” P. 124.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 65b.c.

(٦) راجع : L. D. III, Pl. 45.

(٧) راجع : L. D. III. Pl. 45d.

الإله العظيم رب السماء ، فأقام له معبدا ، من الحجر الصلب ، ابتغاء أن يعطيه الحياة الأبدية »
راجع Urk IV P. 822 .

وفى « الزية »[(١)] توجد مناظر صوّر فيها « تحتمس الثالث » يتعبد للاله « رع » وللاله « ديدون » وللملك « سنوسرت الثالث » . وكذلك نشاهد كلا من الإلهة « وازيت » والإلهة « موت » تضم الفرعون ، كما نشاهده يقدم القربان للالهة «حتحور » ، والإله « حور » ، صاحب « بوهن » وما عم (عنيبة) ، والإله « تاخنس » . وكذلك عثر له فى هذا المكان على لوحة مؤرخة بالسنة الحادية والخمسين — الشهر الثانى من فصل الصيف — اليوم الرابع عشر من حكم جلالة الثور القوى « تحتمس » ويأتى بعد ذلك أوصاف الملك وما قام به من ذبح الأعداء والتغلب عليهم بقوة الإله حور صاحب « ماعم » (عنيبة)، وأن جلالته قد وصل إلى قرن الأرض ليهزم الأسيويين . وهذا يدل على أن أعمال هذا الفرعون كانت مضطردة حتى آخر أيام حكمه[(٢)] .

وفى « ابريم » توجد مقصورتان فى الصخر،واحدة منهما عليها اسم « تحتمس الثالث » وفى داخلها نشاهد صور الملك يتعبد للإله « حور » صاحب « ماعم » أما الأخرى فنشاهد على جدرانها نفس الفرعون يتعبد للاله « حور » صاحب « ماعم » والإلهة « ساتت»[(٣)] . وهاتان المقصورتان قد حفرهما « نحى » حاكم السودان الملقب « بابن الملك » وأهداهما لهذا الفرعون .

وفى « وادى حلفا » أقام « تحتمس الثالث » معبدا من اللبن للاله « حور » صاحب « بوهن » وقد نقش « تحتمس » على عمود فيه لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكمه ، وهذه اللوحة تشبه فى كثير من عباراتها اللوحة التى

---

(١) راجع : Ibid, 46.
(٢) راجع : Urk. IV. P. 810-13.
(٣) راجع : Champollion, "Notices" P. 79.

نقشت فى «الزية» الواقعة بالقرب من «ابريم» ، والظاهر أن كاتب الأخيرة قد نقل كل الجمل المألوفة والاصطلاحات المتبعة فى مثل هذه النقوش من لوحة وادى حلفا[١] .

ولا غرابة فى أن يكون « نحى » حاكم السودان هـو الذى نقش للملك هاتين اللوحتين فهو الذى كان مشرفا على أعمال التعمير فى قلعتى « سمنه وقمة » وإعادة معبديهما[٢] ، وتجـديد آثار « سنوسرت الثالث » كما ذكرنا من قبل ، وقـد أقام نحى هذا معبدا فى جزيرة « ساى » الواقعة على خط عرض ٤٢/٢٠ شمالا ولا تزال بقاياه موجودة هناك حتى الآن[٣] .

وفى « دوشة » نشاهـد منظرا رسم فيه « تحتمس الثـالث » و « سنوسرت الثالث » معا ، وكذلك « تحتمس الثالث » يقدّم قربانا إلى « حور تاخنس »[٤] .

و يعتبر « تحتمس الثالث » المؤسس لمعبد « صولب » العظيم ، وهنا كانت تقوم المؤسسة العظيمة « منوخع ام ماعت » الواقعة عند الشلال الثالث . وهذا المعبد قـد زاد فيه كثيرا الفرعون « أمنحتب الثـالث »[٥] .

وأخيرا نجد اللوحة العظيمة التى عثر عليها «ريزنر» بالقرب من جبل «بركل» عند الشلال الرابع .

ومما سبق نرى نشاط هذا الفرعون المنقطع النظير فى كل أنحاء الامبراطورية وما ذكرناه ربما كان القليل مما تخفيه تربة مصر فى جوفها من آثار هـذا الملك ، إذ تطالعنا الكشوف كل يوم بالعجب العجاب من آثاره التى ترفع من شأنه وتعلى من مكانته فى ميدان الحروب والسياسة والمعمار . ولا أدل على ذلك ممـا كشف له حديثا فى معبـد « أرمنت » وبخاصة اللوحة العظيمة التى تحدّثنا عن نواحٍ كثيرة من «نواحى» حياته كما أسلفنا ذلك .

(١) راجع : Urk. IV. P. 806 - 10.
(٢) راجع : L. D. III, Pls. 47 - 56, 57 - 59a, 64b.
(٣) راجع : Ibid, Pl. 59b - c.
(٤) راجع : Ibid, Pl. 59. d, e.
(٥) راجع : Budge, "A History of Egypt", IV. P. 59.

لوحة جبل بركل[1] : ولما كانت هـذه اللوحة من الأهميـة بمكان آثرنا أن نأتى هنا على تاريخها وترجمتها حرفيا : عثر الأستاذ « ريزنر » على لوحة للفرعون « تحتمس الثالث » مصنوعة من الجرانيت الأحمـر فى الردهة الأولى من ردهات معبد الإله « آمون » العظيم فى جبل « بركل » ، وقد عثر عليها فى داخل هذا المعبد أمام العمود الثانى من الصف الثانى من الجهة الشرقية فى الجزء الشمالى من هـذه الردهة . ولا بدّ أنها كانت بطبيعة الحال مرتكزة على هـذا العمود فى خلال عهد الاحتلال المروى الأخير لهذا المعبد ، وتدل محتويات هذه اللوحة على أنها كانت فى الأصل قد أقيمت فى « بركل » فى غير هذا المعبد (B. 500.) ويفهم من كل المعلومات التى لدينا حتى الآن أنه لا يوجد فى هذا المعبد جزء يرجع عهده إلى ما قبل الجزء الأخير من الأسرة الثامنة عشرة . يضاف إلى ذلك أنه ليس لدينـا إلا معبد واحد يمكن نسبته إلى عهد « تحتمس الثالث » وهو (B. 300. first) ، وقد نظف الفرعون «طهراقا» خرائبه وبنى على أساسه معبدا آخر (B. 300. Second) ، فإذا كانت هذه اللوحة قد أقيمت فى هـذا المعبد كما يعتقد الأستاذ « ريزنر » فلا بدّ أن « طهراقا » قـد نصبها فى معبده الجـديد أو نقلها الى الردهة الأولى فى المعبد (B. 300. Second) حيث توجد الآن لوحتان وتمثال للفرعون « بعنخى » على أن هذا مجرّد زعم ولكن يجوز أن « طهراقا » قـد أسند هذه اللوحة على العمود الذى وجدت بجواره ، وبقيت فى مكانها طوال القرون التى تلت وهاك ترجمتها :

التاريخ : « السنة السابعة والأربعون الشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم العاشر من حكم جلالة « حور » (يأتى بعد ذلك ألقاب « تحتمس الثالث ») .

الإهداء : لقد عمل (هـذا) بمثابة أثر لوالده « آمون رع » رب « الكرنك » فى قلعة « ذبح الأجانب » (سماخاستيو) وأقام له مأوى للأبدية لأنه (أى آمون رع) جعل انتصارات جلالته أعظم من انتصارات أى ملك كان ، وقد استوليت على قوم الجنوب بأمر حضرته ، وعلى الشماليين بإرشاداته . وهو الذى جعل ابن رع « تحتمس الثالث » حاكم « طيبة » يعطى الحياة مثل «رع» مخلدا » .

---

(١) راجع : Reisner, A. Z. LXIX, 31.

قوة تحتمس الثالث : الإله الطيب الذى يسيطر بسيفه ، والذى يضرب الجنوبيين ، ويحز رءوس الشماليين ، والذى يهشم رءوس القوم الأشرار ، ومن يوقع مذبحة بين « آسيا » ويقهر عصاة بدو بلاد النوبة ، ويصل إلى نهاية الأراضى التى هاجمته ، وإنه يهيج عند ما يقترب منه أى إنسان فى ميدان القتال ، وقد وقفت أمامه كل البلاد الأجنبية كلة واحدة مستعدين للنزال ، ولم يكن هناك مناص للفرار قط ، وذلك لأنهم كانوا يعتمدون على جموع عظيمة من المحاربين ، وعدد من الناس والجياد يخطئه الحصر . ولقد جاءوا بقلوب قوية ، ولم يستول على لبهم أى وجل ، ولكن شديد القوى قد تغلب عليهم فهو قوى الساعد الذى يطأ أعداءه . وإنه ملك يحارب منفردا دون وجود جموع لحمايته ، وإنه أحسن من ملايين الجنود ، لا يوجد من يضارعه إذ هو محارب متفوّق فى ساحة الوغى ، لا يثبت أحد أمامه ، والذى يهزم دفعة واحدة كل الأراضى الأجنبية وهو على رأس جيشه ينقض انقضاض التمساح ، وكالشهاب المنقض بين قوسى السماء عند ما يخترق القبة الزرقاء ، وهو الذى ينزل المعمعة ... ... قاذفا عليه نفسه الملتهبة كأنه نار ، وهو الذى يجعلهم لا حول لهم منخبطين فى الدماء ، وصله يهزمهم ، وإلهة اللهيب تتغلب على أعدائه . وهو الذى هزم جيش «المتنى» فى ساعة ، واختفوا كلهم كأنهم لم يوجدوا قط بفضل هيبة السيد (؟) ، وذلك على غرار ما آتاه الإله الطيب العظيم القوّة فى القتال بساعده ، وهو الذى يوقع المذبحة بين كل الناس ، وهو قائد نفسه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبررع » الممتاز ، ملاذ قومه المهاجم كل أرض ، والمبارز فيها وجها لوجه منجى (مصر) فى ساحة القتال ، الحامى الذى لا يخشى الحساد ، الثور القوى القلب من حدوده الجنوبية عند الأرض أى عند آخر أقصى هذه الأرض ، ومن حدوده الشماليه عند تخوم « آسيا » الشمالية أى عند عمد السماء . وإنهم يأتون إليه محنيي الرءوس راجين منه نفس الحياة .

حملة نهرين : تخريب البلاد الواقعة غربى نهر الفرات .

إنه ملك فى شدّة بأس « منتو » (إله الحرب) يستولى ولكن لا يستولى منه على شىء يطأ بالقدم كل البلاد الأجنبية الخارجة دون أن يحميهم أحد فى بلاد « نهرين » التى فرّ منها سيدها فرقا . ولقد خربت مدنه وقبائله وأشعلت النار فيهم وجعلها جلالتى كأن لم تغن بالأمس ، وحملت كل أهلهم غنائم ، وقدتهم أسرى أحياء ، وقطعانهم يخطئها العد وكذلك مواشيهم . واستوليت منهم على المؤن (؟) وحصدت غلتهم ، واجتثثت كل أشجار فاكهتهم ، وأقاليمهم كانت ... ... وقد خربها جلالتى حتى أصبحت مزرعة ... ... الأشجار فيها .

بناء سفن لعبر الفرات : والآن سار جلالتى نحو الحدود الشمالية من « آسيا » وقد أمرت ببناء عدد كبير من سفن النقل من خشب الأرز على تلال أرض الإله بالقرب من « سيدة جبيل »

(بلوص) وقد حملت على عربات (ذات عجل) تجرها ثيران ، وقــد سافرت قبل جلالتى لأجل أن أعبر بها ذلك النهر العظيم الذى يجرى بين هذه البلاد الأجنبية و « نهرين » .

عبر الفرات وغزو نهرين : « و إنه ملك معظم (بقوة) ساعديه فى الواقعة ، وعابر « الفرات » مقتفيا إثر مهاجمه على رأس جيشه ، و باحثا عن ذلك العــدو التعس فى أرض المنفى الأجنبية (الجبال) تأمل ! لقد هرب أمام جلالته خوفا إلى أرض أخرى وهى مكان بعيد ، وعلى ذلك أقام جلالتى لوحة على جبال « نهرين » وقد نحتت فى الصخرة على الضفة الغربية من نهر الفرات .

انتصار تام بأمر الإله رع : لم يبق لى عدوّ فى الأراضى الجنوبية ، وأقوام الشمال يأتون منحنين لقوّتى و إنه الإله « رع » الذى أمر بذلك . ولقد كبلت كل ما تحيط به عينه (رع) وقد منحنى الأرض طولا وعرضا . وضمت لى فى حزمة واحدة قبائل الأقواس التسع والجــزر التى فى وسط المحيط ، وجزر اليونان ، وهى الأراضى الثائرة عدوّة مصر ، ولقــد عدت جنو با نحو مصر بعد أن أعملت السيف فى « نهرين » الذين كان ذعرهم عظيما فى فم البدو ، فغلقت أبوابهم بسبب ذلك فلم يغادروها لخوفهــم من الثور (الملك) . فهو ملك بطل حصن حصين لجيشه ، وجدار من حديد أو من برنز لمصر (!) يهاجم كل الأرض بسيفه دون أن يحميه أحد ملايين الناس ، يصيب الهدف كل مرة يرمى فيها : وسهامه لاتخطئ الهدف ، و إنه لبطل منقطع القرين ، والإله « منتو » الشجاع فى ساحة القتال .

صيد الفيلة : والآن أتيحت لى فرصــة للنصر أمر بها لى الإله « رع » إذ هيأ لى عملا عظيما من أعمــال الشجاعة عند مورد فيلة بلدة « نى » فقــد جعلنى أتصادم مع قطيع من الفيــلة ، فحارب جلالتى سربا منها يتألف من ١٢٠ فيلا ، على أن هــذا العمل لم يحدث مثله قط على يد ملك منذ زمن الإله من أولئك الملوك السابقين الذين تسلموا التاج الأبيض . و إنى أقص هذه الأشياء دون فخار ومن غير كذب . وقد أنجزتها على حسب ما أمر لى به والدى « آمون رع » رب الكرنك الذى يرشــد جلالتى إلى الطريق السوى بخططه المتفوّقة . فهو الذى وحد لى الأرض السوداء والأرض الحمراء ، وكل ما تحيط به الأرض أصبح فى قبضتى .

الحملة الأولى على بلاد رتنو : والآن أقص عليكم أعمالا (أخرى) فاستمعوا أنتم يأيها الناس . لقــد أمر لى (بمنحى) كل أراضى « رتنو » فى الحمــلة الأولى عندما أتوا لمحاربة جلالتى بملايين الرجال ومئات آلاف الناس من رؤساء كل البلاد الأجنبية ، ووقفوا على عرباتهم وكان عددهم ٣٣٠ أميرا كل أمير منهم على رأس جيشه .

موقعــة مجدو : والآن كانوا فى وادى « قنا » ، والواقع أنهم كانوا قد ضربوا معسكرهم فى مصيدة (!) ولذلك أحرزت فوزا عظيما بينهم ، إذ هاجمهم جلالتى فهربوا فى الحال وتساقطوا أكواما من القتلى .

حصار مجدو : وبعد ذلك دخلوا مجدو نفسها فحاصرها جلالتى سبعة أشهر دون أن يبرحوها إلى أن خرجوا متضرعين لجلالتى قائلين : امنحنا نفسك ياسيدنا لأن أهل « رتنو » لن يعودوا إلى ثورة ثانيـــة .

استسلام مجدو : وبعد ذلك أرسل عظيم قادش المنهزم كما بعث الرؤساء الذين كانوا بصحبته إلى جلالته كل قومهم محملين بالهدايا الكثيرة من الذهب والفضة ، وكذلك جيادهم وما يتبعها وعرباتهم العظيمة المصوغة من الذهب والفضة ، وكذلك الملونة منها ، هذا إلى دروع مواقعهم الحربية وقسيهم ونشابهم وأسلحتهم الحربية وهى التى كانوا قد أتوا بها من بعيد لمحاربة جلالتى ، فقد جلبوها الآن هدايا لجلالتى ، وقد كانوا وقتئذ واقفين على جدرانهم مقدمين الثناء (الخضوع) لجلالتى طالبين أن يمنحوا نفس الحياة .

سفر الرؤساء : وبعد ذلك سمح لهم جلالتى أن يتخذوا سبيلهم إلى مدنهـــم . وقد رحلوا كلهـــم ممتطين ظهور حميرهم ، لأنى كنت قد اســـتوليت على خيل عرباتهـــم ، وأخذت أهل مدنهـــم غنيمة كما استوليت على ماشيتهم .

الإله آمون رع أخضع كل العالم للملك : وإنه والدى (امـــون رع رب الكرنك) الذى منحنيها إذ أنه إله ممتاز مظفر صاحب المشاريع التى لا تخيب ، وهو الذى بعث جلالتى لأســـتولى على كل أراضى أقوام الأجانب جميعا . ولقـــد هزمتهم على حسب ما أمر به بالسبل التى اعتاد العمل بها ، ولقد جعلنى أضرب كل الأقوام الأجنبيـــة دون أن يجسر أحد على مهاجمتى ، وصولجـــانى هو الذى تغلب على البدو ، وعصاى هى التى ضربت قبائل الأقواس التسع . وجلالتى أخضع كل البلاد ، وأرض « رتنو » أصبحت تحت نعلى ، وأهالى بلاد النوبة صاروا عبيد جلالتى .

جزية البلاد الأجنبية : وإنهم يخدموننى جميعهم ، مقدمين جزية من ملايين المحاصيل المعدة من آخر العالم ويشمل ذلك ذهب بلاد « واوات » الجم بمقدار يخطئه العد .

ما يدفع زيادة من السفن والخشب من بلاد كوش : ويبنى هناك للبلاط (أى للملك له الحياة والسعادة والعافية والصحة) كل ســـنة ثمانى سفن (تيو) وسفن نقل ، هـــذا فضلا عن البحارة مضافا إلى ذلك الجزية التى يأتى بها النوبيون من العاج والأبنوس ، وكذلك يحضر لى خشب بناء السفن من « كوش » ويشمل ألواحا من خشب الدوم ، وخشب « تيت » (أو أشياء من الخشب) (؟) لا حصر لها من هناك من خشب السنط من أرض الجنوب . وكان جيشى يقطعها من « كوش » وكانت توجد هناك بوفرة (!) ، وكذلك عدد عظيم من سفن النقل من خشب « ماما » وقد أحضرها جلالتى مظفـــرا .

خشب الأرز من زاهى : وقد قطع لى من « زاهى » خشب أرز حقيق من « لبنان » وأحضر إلى البلاط (أى للملك له الحياة والسعادة والصحة) ، وقد كان يؤتى لى بخشب بناء لمصر أحضر جنوبا ... .

خشب الأرز من بلاد ناجاو : وقدمت قطع من خشب الأرز الحقيق من « ناجاو » من أحسن ما تنتجه أرض الإله كأنها المرمر السليم لأجل أن تصل إلى البلاط دون أن تمضى الفصول هناك كل سنة (أى فى قطعها و إعدادها) .

خشب وانراتا : ثم يعود جيشى وما فى حامية « وانراتا » ... الذى من أرز انتصارات جلالتى بخطط والذى "آمون رع" الذى أمر لى بالسيطرة على كل الأقوام الأجنبية . ولم أترك أية واحدة منها (أى من خشب الأرز) للأسيويين لأنه الخشب الذى يحبه "آمون" . وأنه هو الذى صد صلحاءهم ... وأشرارهم ليسوا فى آمان (؟) .

خطاب الفرعون لقوم الجبل المقدّس : و يقول جلالتى : استمعوا إلى يا أهل الجنوب الذين فى الجبل المقدس الذى كان يسمى : "عروس الأرضين" بين القوم (أى المصريين) (؟) وهى لم تكن معروفة بعد ، لأجل أن تعرفوا قوة "آمون رع" المدهشة أمام وجه كل الأرضين .

أعجوبة النجم : .. وكان الحراس ؟ على وشك المجىء لمقابلتى ليلا ليقوموا بتغيير الحرس وكان يوجد حارسان جالسين وجها لوجه ، وقد طلعت نجمة من جنوبيهما . ولم يكن قد حدث مثل ذلك : ثم اختفت فى الجهة الثانية قبالتهما مباشرة (أى فى الجهة الشمالية) ولم يبق إنسان واقفا هناك (أو بينها) .

هزيمة عدو : (يحتمل أن ماجاء فى التكسير تكملة للسطر السالف) ... وقد سقط أكوام من القتلى والآن ... على ظهورهم والنار فى وجوههم . ولم يجد واحد منهم يده ، ولم يمكنه أن ينظر خلفه ولم يجدوا خيلهم التى كانت قد شتتت فى ... .

العودة إلى مصر : ... لأجل أن أجعل كل الأراضى الأجنبية ترى عظمة جلالتى . ولقد حضرت جنوبا بقلب فرح لأنى انتصرت لسيدى (آمون رع رب الكرنك) ... وهو الذى قدّر لى هذه الانتصارات ، والذى جعل الخوف منى فى ... فى زمنى وكذلك مكن الخوف منى فى كل الأقوام الأجنبية وقد هربوا منى بعيدا ، وكل ما يضىء عليه الإله « شو » أصبح مكبلا تحت قدمى .

خطاب الفرعون لرجال الحاشية : وقال جلالتى نفسه ... لأنى عظيم التجربة بسبب القوة والنصر اللذين أعطانيهما والدى الفاخر « آمون رع رب الكرنك » وهو الذى جعلنى سيد أقسام الأرض

الخمسة ، وحاكما على كل ما تحيط به الشمس . وإنى قوى ... وقد جعل الخوف منى حتى ... الشماليون والذعر من جلالتى حتى ... الجنوبيون حتى أنه لا توجد طريق ضـدى ، وقد ختم لى كل الأرض وليس هناك حدود لما استوليت عليه بالنصر ، ونخارى أصبح فى بلاد « رتنو » وخوفى فى ... وهم يحضرون لى محاصيلها إلى المكان الذى فيه جلالتى فى كل فصل . والأرض الجبلية تحضر لى مابها من كل شيء طريف فهى تنشر أمامى ما أخفته عن الملوك الأول ... كل حجر فاخر غال وكل النباتات العطرية الحلوة التى تنمو ببلاد « بنت » وكل شيء طريف من أرض الجنوب وكل ما يأتى عن طريق التجارة تحت تصرف جلالتى ... فانه ملكه وإنى سأملأ بيته وسأجعله يعود لحمايتـه ... فى ساحة القتال . وفضـلا عن ذلك سأقدم قربانا من الأشياء المدهشة من كل الأراضى ... التى يهاجمها سيفه القوى . وقد قدر لى (سيفه) النصر على كل الأقوام الأجنبية .

جواب رجال البلاط : فأجاب أولئك السمار (رجال البلاط) ... « آمون رع » سيد الكرنك الإله العظيم الأزلى خالق الجمال ، إنه أعطاك كل الأرض . أحضرها قربانا له لعلمك أنك خرجت منه وفضلا عن ذلك فإنه هو الواحد الذى يرشد جلالتك إلى الطريق ... .

وصف قوة تحتمس الثالث ودخله : ... وقد جعلت الخوف منى فى قوم «آسيا الشمالية» ولذلك لم يعق رسـولى . وقطع جيشى عمد الأعلام من مرتفعات الأرز ... لأجل آثار آبائى ، وكل آلهة الوجه البحرى ، وأمام جلالتى سفن نحتت من الأرز ... معى ساحل أرض لبنان بمثابة ؟ حصن ...؟ ... أوفى الحصن ... وكل رؤساء لبنان كانوا يشحنون السفن الملكية لأجل أن يؤتى بها نحو الجنوب ، ويحضر كل الأشياء العجيبة ... الى البلاط (أى الملك له الحياة والسعادة والصحة) وأمراء الـ ... ... ورؤساء «رتنو » الذين كانوا يجرون عمد هذه الأعلام بثيران إلى الساحل و يحضرون حاملين جزيتهم أمام جلالته إلى البلاط فى ... ... حاملين كل المحاصـيل الجميلة التى أتى بها من الجنوب بمثابة جزية سـنوية مثل كل رعايا جلالته .

ما يقوله الناس : أما ما يقوله الناس (المصريون) فيا بينهم مدحا لى فهـو ... ... الأقـوام الأجانب قدروا نخارك ، والزئير قد انتشر (سمع صداه) فى آخر العالم وحضرتك الفاخرة يرتعد أمامها قلوب الـ ... ... قوم .

اللعنة يقولهـا القوم : ... ... وكل النوبيين الذين سيعددون تصميماتك ، سيعاقبهم والدك . وعندئذ كان جلالته ؟ ... .

أما عن آثاره الصغيرة كالتماثيل واللوحات والجعارين وغيرها من التحف الصغيرة الحجم فهى لا تعـد ولا تحصى . وسـنورد هنا بعضها ممـا يوجد فى متاحف العالم غير ما له من الآثار العدة التى يعج بها المتحف المصرى . وأهمها .

التماثيل : يوجد لهذا الفرعون تماثيل عدة ، غير أن الكبير الحجم منها على وجه عام قليل . ففى الكرنك عثر له على قاعدة تمثال ضخم جالس من الحجر الجيرى الأبيض الصلب ، فى النهاية الغربية من واجهة البوابة الثامنة[١] ، وفى المتحف البريطانى يوجد له رأس تمثال ضخم من الجرانيت الأسمر ولا يعرف أين جسمه حتى الآن[٢] . وفى متحف القاهرة له تمثال أكبر من الجسم الطبيعى بقليل من الحجر الجرانيتى الأحمر عثر عليه فى «الكرنك» . وقد كان موضعه فى الحجرة التى تقع على محور محراب مبانى « تحتمس الثالث » فى النهاية الشرقية للعبد[٣] ، وكذلك كشف له فى الكرنك عن تمثال جالس من الجرانيت مهشم قطعا وركبت أجزاؤه بعضها مع بعض[٤] ، والواقع أنه كان يوجد له عشرات التماثيل فى معبد الكرنك ، كما ذكر ذلك « مريت »[٥] .

وفى متحف « تورين » يوجد تمثال جميل من حجر الديوريت الأسود والأبيض[٦] ، و يوجد له تمثال آخر جالس من الجرانيت الرمادى القاتم بدون رأس عثر عليه فى بلاد النوبة ، ويحتمل أنه عثر عليه فى « الفنتين » وذلك لأنه وجد عليه أسماء آلهة هذه البلدة ، وهو الآن بمتحف « فلورنس » بإيطاليا[٧] .

أما فى المتحف المصرى فيوجد له التمثال العظيم المصنوع من الشيست الأغبش اللون و يعدّ من القطع الفنية النادرة المثال و بخاصة الرأس الذى يمثل صورة صادقة (راجع .A Brief Description of the Principal Monuments (1946) P. 31)

---

(١) راجع : Mariette "Karnak", Pl. 38d.

(٢) راجع : Petrie, "History", II, P. 137.

(٣) راجع : Mariette, "Karnak" P. 34.

(٤) راجع : Virey, Guide Mus. Giza P. 214.

(٥) راجع : Mariette, "Karnak". P. 36.

(٦) راجع : Lanzone. "Cat. Turin" P. 1376.

(٧) راجع : Schiaparelli. "Catalogue", P. 1503.

كما يوجد له تمثال آخر هناك منحوت من المرمر الأبيض يمثله راكعا وفى يديه إناءان يحتويان خمرا أو ماء وقد عثر عليه فى دير المدينة (راجع Ibid. P. 32).

هذا إلى تمثالين له فى صورة « بو الهول » نحتا من الجرانيت الأحمر القاتم عثر عليهما فى قاعة الأعياد بالكرنك. وعلى الرغم من أنهما يمثلان توأمين فإنه توجد بعض اختلافات فى صنعهما (راجع Ibid. P, 134.).

وفى العرابة[1] المدفونة توجد بقايا جذع تمثال وعرشه نقش عليه اسم « تحتمس الثالث »؛ وفى الأسكندرية يوجد لهذا الفرعون تمثال نقش عليه «تحتمس الثالث» محبوب « أنيت » سيدة « دندرة »[2]، وله كذلك جزء من تمثال خلف معبد الكرنك، وقطعتان من تمثالين وجدتا أمام البوابة الأولى لقاعة العمد فى الأقصر[3]، كما وجد له تمثال نصفى من الجرانيت الأحمر فى الكرنك[4]. وفى مرسيليا وجد له تمثال من البرنزغير أنه لم يذكر فى الدليل الذى كتبه «مسبرو» لهذا المتحف[5] وقد جاء ذكر تمثالين له فى نقوش « تحتمس الرابع »[6]؛ وفى حجرة خلف قاعة العمد فى معبد « تحتمس الثالث » بالكرنك وجد تمثالان من الجرانيت الأحمر فى صورة « بو الهول » ومعهما مائدتا قربان[7]، هذا وفى المتحف البريطانى لوحة رسمت عليها صورة هذا الفرعون، وقد قسمت هذه اللوحة إلى مربعات يقصدمنها تفسير نسب رسم أجزاء التمثال (راجع Arundale & Bonomi, "Gallery". P. 33.)

---

(١) راجع : Mariette, "Abydos" 348-9.

(٢) راجع : Brugsch, "Recueil" IX, 3. P. 18.

(٣) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 358.

(٤) راجع : Vierey, Cat. Guizeh. P. 192.

(٥) راجع : Petrie, "History", II, P. 137.

(٦) راجع : Mariette, "Karnak", 33.

(٧) راجع : Virey. Cat. Guizeh, 221-2. & Mariette, "Karnak", Pl. 32, b. PP. 34, 55.

أما لوحات « تحتمس الثـالث » غير التى فى متحف القـاهرة من اللوحات العظيمة مثل لوحة النصر ولوحة « أرمنت » فتوجد له لوحة فى « تورين » مثل عليهـا يتعبد للإله « مـين »(١) وله لوحة أخرى فى محـراب الأمير « وازمس » ، يظهر فيهـا « تحتمس الثـالث » يتعبد لجـدّه « تحتمس الأوّل » وللأمـير « وازمس » وكذلك وجدت له قطعة حجر يعتقد أنهـا مقعد للقارب المقـدّس الذى يوضع عليه بعد الطواف محمولا على أكتاف الكهنة فى أرجاء المعبد وفى الكرنك نظير لهذه القطعة . (راجـع Arundale & Bonomi, "Gallery", P. 34. & Wiedemann, "Geschichte", P. 366.) .

وفى متحف الفاتيكان مائدة قربان جميـلة جدا عليهـا اسم هـذا الفرعون ، (راجع Massi, "Description", P. 34.) .

وفى سالونيك توجد مائدة قربان أخرى عليها اسمه (راجع A. Z. VI. P. 79.)

ويعرف لهـذا الفرعون عدّة أوان من المرمر(٢) ، وأهمها التى ذكر عليها سعتها، ففى «تورين» إناء يسع تسعة «هنا» غير أنه وجد مملوءا بالقار (؟) وآخر فى متحف القـاهرة يسع واحدا وعشرين « هنا » ؛ ولمـا كان حجمه يعادل ٥٨١ بوصـة مكعبة فمن ذلك نستنتج أن الهن يعادل ٢٧٧ بوصة مكعبة فى هذه الحالة .

ووجد لهذا الفرعون إناءان من الزجاج نقش على كل منهما لقب هـذا الملك وهو «منخبر رع» وهما أقدم قطعتين من الزجاج عرف تاريخهما، وقد ظهر فيهما السهولة فى عمـل الزجاج ومعرفة مادته(٣) ، ويوجد له لوحتـان صغيرتان فى متحف مرسيليا(٤) نقش على كل منهما اسمه .

(١) راجع : Lanzone. Cat. Turin. 1460,

(٢) راجع : Petrie. "History", II. P. 99.

(٣) راجع : Revue Critique LXII, 6. & Maspero, "l'Archeologie" Egyptienne P. 250.

(٤) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 368.

هذا وقد وجدت له ريشة مما يزين به لباس الرأس للإله «آمون» عليها اسم الفرعون «تحتمس الثالث» كما وجد له طبق على شكل سمكة مصنوع من الفخار الأخضر المطلي، هذا إلى محبرة كتابة باسم «تحتمس الثالث» محبوب آمون وبتاح.(١)

ولم يعثر على بردى من عهد «تحتمس الثالث» إلا القليل؛ منها ورقة فى تورين رقم ١، وتقص علينا كيف أن كاتبا يدعى «وسر امون» قد خدم الملكية مدة خمسين عاما، ولما كانت هـذه الورقة مؤرخة فى السنة الخامسة من عهد ذلك الفرعون، فلا بد أنه بدأ خدمته فى منتصف حكم «تحتمس الأول».

الجعـارين: أما الخواتم التى تنسب إلى «تحتمس الثالث» فقد صنعت من كل المواد إلا الفخار المطلى الذى لم يظهر استعماله إلا فى عهد «تحتمس الرابع» أما الجعارين التى صنعت فى عهد هذا الفرعون فهى أكثر من أى جعارين صنعت فى عهد أى ملك آخر، ولدينا عدد عظيم من الجعارين تحمل طغراء «تحتمس الثالث» وكل واحد منهـا يشير إشارة صريحة إلى حادث معين أو مرحلة معينة خاصة من مراحل حياة هـذا الفرعون. وهـذه الجعارين تشـبه فى حجمها جعارين الملكة «حتشبسوت» التذكارية مثال ذلك(١): جعران من الذهب نعلم منه أن «تحتمس الثالث» ولد فى طيبة، وكذلك جعران رسم عليه «تحتمس الثالث» وهـو غض الإهاب. يفوق سهمه للرماية(٢)؛ وإذا كان هـذا الرسم لا يدل على حادث معين فإنه يذكرنا على أية حال بالجعارين التـاريخية التى نقشها «أمنحتب الثـالث» عن الصيد والقنص.

كما وجد له جعران كتب عليـه «تحتمس الثالث» مثبت على ظهـر أعدائه وهنا نجد أن كلمة أعداء مخصصة بصورة حصان. وهذا المخصص من الأهمية

(١) راجع: Petrie, "History", II. P. 140.

(٢) راجع: A. S. Vol· XXXIX. P. 11.

(٣) راجع: Petrie, "Scarabs & Cylinders", Pl. XXVI.

بمكان لأننا نعرف أن الحصان كان قد أحضر إلى مصر فى بداية الأسرة الثامنة عشرة (راجع .Petrie. "Scarabs" XXVI) .

وكذلك نقش على ظهر جعران صورة فتاة سورية جالسة القرفصاء وعلى وجه الجعران نقش : "تحتمس الثالث يخرب قادش" وعلى جعران آخر نقش : " الإله الطيب تحتمس يهزم قادش " ولا نزاع فى أن نقوش الجعارين الثلاثة الأخيرة تشير إلى حروب تحتمس .

ومما هو جدير بالملاحظة أننا نشاهد على جعران آخر رسم الفرعون وهو ساجد يتعبد أمام مسلة وعليه نقشت العبارة التالية : " تحتمس الثالث الذى أقيمت من اجله المسلتان فى معبد آمون " وعلى آخر نقش : " تحتمس يقدم آثارا فى معبد آمون أو تحتمس الثالث مخلد بالآثار " .

وفى متحف "اللوفر" يوجد له جعران (Louvre, 3408.) نقش عليه : "تحتمس الثالث فى السماء مثل القمر والنيل فى خدمته وأنه يفتتح صيده لأجل أن يمنح مصر الحياة " .

وأخيرا نجد له بعض الجعارين التاريخية ترفع من شأنه مثال ذلك : نقش على جعران : "تحتمس سيد الحكام" (راجع : .A. S. Vol. XXXIX. P. 113ff) .

فمن نقوش هذه الجعارين نعرف شيئا عن نواحى حياة « تحتمس الثالث » ونشاطه فى كل الميادين الحربية والاجتماعية والدينية وميادين العمارة وغيرها .

وقد بقى اسم « منخبر رع » ينقش على التعاويز والجعارين فى العهود التى تلت حكمه بدرجة تفوق حدّ الوصف حتى أن نسبة وجود اسمه على الجعارين كانت بنسبة جعرانين لكل ثلاثة جعارين موجودة فى العالم . ولا نزاع فى أن شهرته التى استمرت على هذه الصورة تتعاقبها الأجيال تظهر كيف أن فخامة عصره وسمو مكانته ، قد تركا أثرهما العميق فى نفوس المصريين الذين كانوا يعتبرون عصره

أزهى عصر فى تاريخهم ولا يدهشنا إذًا أنا نجد بعض الملوك الذين أتوا بعده بقرون عدّة كانوا يتشبهون به حتى أنهم لقبوا أنفسهم بلقبه « منخبر رع » ولا أدل على ذلك من أن أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين سمى نفسه «منخبر رع» وكذلك نجد « بعنخى » الأثيوبى أعظم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين لُقب بلقب هذا الفاتح العظيم تبركا وتيمنا .

ولقد بلغ من تعلق الشعب المصرى بذكرى « تحتمس الثالث » وحب الافتخار به درجة حدت بأفراد عامة الشعب أن يتسموا بلقبه « منخبر رع » فكانت هذه أوّل بدعة فى تاريخ مصر، إذ لا نعرف قط بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا أن لقب فرعون من السابقين أو اللاحقين قد استعمله أفراد الشعب اسما علما ينادى به كسائر الأسماء، ولا غرابة فقد كان لفظ «منخبريا» سيفا يضرب به المثل فى الأقطار الأسيوية لقوّة السلطان والعظمة والوفاء، بل أكثر من ذلك نجد أنه كان يتعبد له فى هذه الجهات، فقد طلب أمير « تونب » تمثال « تحتمس الثالث » وبنى له معبدا فى بلدته، وأقام له الشعائر. كما وجدت لوحة لأحد كبار رجال الدولة المسمى «ابن إنى» وهو أسيوى الجنس من عهد الملك «مرنبتاح» يشاهد فيها هذا الموظف وهو يتعبد للفرعونين « تحتمس الثالث ومرنبتاح » نفسه[1] (A. S. XL. P. 45ff.) .

أسرة تحتمس الثالث

لا نزاع فى أن الجزء الأوّل من تاريخ حياة تحتمس الثالث الزوجية لا يزال غامضا إذ نعلم أنه تولى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعد، والمفروض أنه قد تزوّج من أخته «نفرورع» كبرى أخواته وبنت «حتشبسوت»، وقد كانت الوارثة الشرعية للملك، غير أن هذا الزواج لم يتم، وإن كان بعض المؤرّخين يعتقد أنه بنى بها بعد

(١) وكذلك نشاهد بعض أفراد الشعب يتعبدون لهذا الفرعون فى صورة أوزير فى خلال الأسرة الثانية والعشرين (راجع J. E. A. Vol. V. P. 177. Pl. XXXI.) .

مضى سنين عدة ، ولكنا لم نجد لها حتى الآن لقب الزوجة الملكية على الآثار كما هو المتبع ، وكل ما نعرفه أنهـا كانت تلقب « الزوجة المقدّسـة » أو « زوجة الإله » وهو لقب فخـرى كانت تحمـله الوارثة الشرعية للعـرش ، ولذلك كانت تحمـله هي و والدتها في آن واحد . وعلى أية حال لا نعـرف على وجه التأكيـد التاريخ الذى توفيت فيـه هذه الأميرة ، والمرجح أنها ماتت في حياة « سمنوت » أى قبل موت والدتها « حتشبسوت » . وقد كان موتها من الأسباب التي عجلت بسقوط « سمنوت » نفسه ، والظاهر أنه بعـد وفاتها تزوج « تحتمس الثالث » من أميرة تدعى «أح ست» وربما كانت أخته لأبيه، إذ كان اسمها يوضع في طغراء ملكية. والظاهر أنه بعد وفاة « نفرو رع » التي كان يجب أن تعتبر الزوجة الشرعية، حلت محلها « أح ست » ، إذ نجد في معبد الإله « بتاح » لوحة محى منها اسم « نفرو رع » ووضع مكانه اسم « أح ست » ، هذه[1] . وكذلك عثر المؤرخ « ويجل » على قطعة من لوحة نقش عليها اسم هـذه الملكة ، واسم « تحتمس الثـالث » زوجها في معبده الجنازى[2] مما يظهر أنها كانت ملكة على البلاد معه مدّة قصيرة بعد انفراده بالحكم . وقد وجدت لها (بلطة) منذورة بالعرابة المدفونة[3] . وكذلك وجد لها تمثال أهداه لها « تحتمس الثالث » بعد وفاتها في « طود » جنوبي « طيبة[4] » ، والظاهر أنها كانت قد توفيت عند ما بنى « تحتمس الثالث » مقصورة البقرة المقدّسة في معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى إذ لم يأت ذكرها على النقوش هنـاك[5] . والظاهر أن «مريت رع حتشبسوت » بنت الملكة «حتشبسوت » وأخت «تحتمس الثالث »

---

(١) راجع : Legrain, "Repertoire", No. 119.

(٢) راجع : (A. S. VII P 118).

(٣) راجع : Mariette, "Abydos" II. P. 40.

(٤) راجع : Legrain, Ibid. No. 188.

(٥) راجع : Naville, "11th. Dyn. Temple", P. 63.

من أبيه كانت قـد بلغت وقتئذ سن الزواج فبنى بها (؟)[١] ، ونشاهد « امنحتب الثانى » ومعه والدته « مريت رع ، حتشبسوت » فى مناظر قبره[٢] . وكذلك نشاهده معها على جعران[٣] ، و يوجد تمثال « بو الهول » فى صورة ملكة يمثلها وقد كتب اسم زوجها على صـدرها عثر عليه فى معبد « ازيس » بروما ، وهـذا التمثال موجود الآن فى مجموعة « باروكو » ، ويوجد منـه نسخ فى تورين وبرلين[٤] . يضاف إلى ذلك أننا نشاهد هذه الملكة واقفة خلف زوجها « تحتمس الثالث » فى معبد مدينة « هابو »[٥] .

وعلى الرغم من أن « مريت رع حتشبسوت » كانت تلقب « الزوجة الملكية العظيمة » أى الزوجة الشرعية ، فإن «تحتمس الثالث» كانت له زوجات أخريات ثانويات ، ونعرف من بينهن اثنتين ، أولاهما تدعى «مريت امون» وكانت تلقب «الابنة الملكية » و «الزوجة الملكية » وهذا يعنى أنها كانت بنت «تحتمس الثانى» من زوجة ثانوية ، أى أنها كانت أخت «تحتمس الثالث» وزوجه فى آن واحد .

أما زوجه الأخرى فتدعى «نبتو » وهى التى كان يدير أملاكها «نب امون» ، ولدينا بطاقة من الخشب ضمن البطاقات التى سـبق ذكرها مؤرخة بالسنة السابعة والعشرين ذكر عليها اسمها بوصـفها الأمـيرة « نبتو » بنت ابن الملك المسـمى « سيتوم » .

ويحتمل أن الأمير « سيتوم » هذا كان ابن عم الفرعون « تحتمس الأول » ، وعلى ذلك تكون « نبتو » هذه بنت عم « تحتمس الثالث » . والظاهر من تاريخ

(١) راجع : L. D. III. Pl. 62, 64.

(٢) راجع : Mariette, "Abydos" II. P. 40.

(٣) راجع : A. Z., XX. P. 118.

(٤) راجع : A. Z. XXI, P. 118.

(٥) راجع : .. D. III, Pl. 38b. & Champollion, "Notices", P. 195, 3.

البطاقة أنها لم تكن قد تزوجت هذا الفرعون بعد[1]، وقد جاء ذكر اسمها فى قبر « تحتمس الثالث » وقد كانت وقتئذ على قيد الحياة .

أما أولاد هذا الفرعون، فلم يذكر فى قبره إلا اسم الأميرة « نفرتارى » المرحومة، ولما لم يكن اسمها قد أحيط بطغراء فيظهر إذن أنها لم تكن من دم ملكى خالص بل يحتمل أنها كانت إحدى بنات زوجاته الثانويات ، هذا وقد ذكرت أسماء ثلاث أميرات على ثلاث بطاقات من البطاقات الخشبية السالفة الذكر بوصفهن بنات « تحتمس الثالث » .

وسيأتى الكلام عن « امنحتب الثانى » الذى أنجبه من زوجه « مريت رع حتشبسوت» فى حينه .

وفاة تحتمس الثالث

صعد «تحتمس» العظيم إلى السماء بعد أن جلس على عرش الملك أربعة وخمسين حولا كاملا، وقد أكدلنا ذلك قائده الأمين «امنحاب» فى تاريخ حياته الذى ذكره لنا على جدران قبره إذ يقول : ” لقد أتم الفرعون حياته الحافلة بالسنين بشجاعة وسلطان ونصر من السنة الأولى الى السنة الرابعة والخمسين فى اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثانى ، وهو حكم الملك « منخبررع »، ثم صعد الى السماء واتحد مع الشمس ، واندمجت الأعضاء المقدّسة مع بارئها، وعندما انفلق الصباح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء ، تربع على عرش والده الفرعون « عاخبرو رع » أمنحتب الثانى ولُقب بالألقاب الملكية[1] “ .

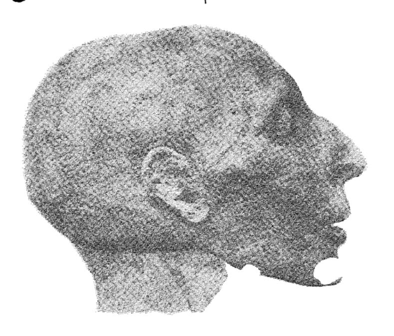
وقد دفن تحتمس العظيم فى مقبرة أعدّها لنفسه فى « وادى الملوك » ، وقد كشف عن هذه المقبرة فى ربيع سنة ١٨٩٨ ، وتقع على مسافة قصيرة من مقبرة

---

(١) راجع : A. Z. XXI. P. 123

« رعمسيس الثـالث » وجدرانها محلاة بصور آلهة ونقوش من بينها قائمة طويلة بأسماء الآلهة كما نقش عليها نسخة تامة من كتاب « ما يوجد فى عالم الآخرة » .

ويشاهـد على عمود من عمد الحجرة الثانيـة « تحتمس الثالث » تتبعه والدته « إزيس » وأزواجه وابنته « مريت آمون » . وعند ما كشف عن قـبره وجد التابوت خاويا ، وذلك لأن موميته قد نقلت من قبره إلى خبيئته « الدير البحرى » ، والظاهر أنها كانت قـد عبث بهـا اللصوص فى مخدعها الأخير بعـد أن هشموا التابوت الخشبي الذى كان يحتـويها ونهبوا ما عليها من حلى . وقـد حدث من جراء ذلك أن أصيبت المومية بأضرار جسيمة وتدل شواهد الأحوال على أن الذين وضعوها ثانيـة فى مخبأ « الدير البحرى » قد أصلحوا الكفن وهو مصـنوع من الكتان الجميل وقد نقش عليـه تعاويذ من « كتاب الموتى » كما وجد معـه كذلك بعض الأثاث الجنازى أهمه أوزة من الخشب وفهود كذلك من الخشب وتماثيل صغيرة وخواتم من الخزف المطلى وتعاويذ عدّة ورمموا المومية قبل دفنها ، فوضعوا الأجزاء التى كانت قـد تفككت من الجسم فى مكانها ، ولأجل أن تصبح الموميـة



(٣٢) مومية تحتمس الثالث

متماسكة الأجزاء ، وتأخذ شكلها الأصلى وضعت بين أربع قطع من الخشب كل منها بشكل مجداف ولونت باللون الأبيض ، ثلاث منها فى داخل الكفن ، وواحدة خارجه تحت الأشرطة التى ربط بها الكفن . ولحسن الحظ لم يصب وجهه بسوء إذ كان قد غطى بملاط من القار وقت التحنيط، وقد بقى سليما لم تصبه يد اللصوص .

ولا يدل مظهر وجه « تحتمس الثالث » على نموذج المثل الأعلى لفاتح عظيم مثله ،ومع أن تماثيله لاتظهره فى صورة رجل جميل الطلعة إلا أنها مع ذلك تدل على أنه كان رجلا مهذبا ذا تقاسيم تنطق عن ذكاء . و إذا قرناها بصورته الأصلية وجدنا أن المثال الذى نحتها كان كريما معه الى حدّ بعيد . إذ نجد فى الواقع محيا «تحتمس الثالث» لا ينم عن أى جمال، إذ كان منخفض الجبين إلى درجة تفوق المعتاد ذا عينين غائرتين فى محجريهما وفك ضخم، وشفتين غليظتين، وخدّ بارز العظم جدا، فكل ملامحه إذن تذكرنا بملامح والده «تحتمس الثانى»؛ غير أن هيئته كانت تدل على مقدار عظيم من النشاط، وفى الحق أن « تحتمس الثالث » كان فلاحا من السلالات المصرية القديمة الأصلية ، قصير القامة ، ممتلىء الجسم، سوقيا فى صورته وملامحه، غير أنه مع ذلك لم تنقصه قوة العزيمة، وشدة البأس .

اخلاق تحتمس الثالث ومكانته فى العالم القديم

تحتمس الثالث رجل حرب بطبعه : لقد كانت أبرز صفة لحظناها فى استعراضنا لتاريخ حياة « تحتمس الثالث » منذ نعومة أظفاره هى حبه للكفاح والشغف بالغزو والميل إلى ركوب متن المخاطرات بصورة لا تعرف الكلل . ولا غرابة فى ذلك فإنه قد نشأ فى عصر كله حروب وغزوات وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد قضوا معظم حياتهم فى ساحات القتال شمالا وجنوبا يغزون آسيا مرة ويهدئون الثورات فى السودان مرة أخرى .

هــذا إلى أن البلاد من أقصاها إلى أقصاها كانت لا حديث لها غير الغزاة الذين استعبدوهم مدة قرن ونصف من الزمان ، وأن بقايا هؤلاء الغزاة كانوا لايزالون يقطنون آسيا ، وأن الخوف منهم كان لا يزال عالقا بأذهان المسنين منهم على الرغم من امتداد فتوح الفراعنة العظام حتى نهر الفرات .

فى هــذا الجو الذى كان يملؤه رنين السيوف وأهوال الحــرب نشأ « تحتمس الثالث » ،وقد أراد والده أن ينشئه تنشئة دينية فوضعه فى معبد « آمون » بالكرنك، غير أنه على ما يظهر كان الكهنة أنفسهم متشبعين بروح إلههم الذى كان يعــدّ إله



(٣٣) تمثال تحتمس الثالث بالمتحف المصرى

الحرب وناصر الفراعنة فى ساحة القتـال ، فبثوا فى نفسه ذلك الروح الحربى الذى ساد البلاد فى هذا العهد ولقنوه دروسا فى البطولة والشجاعة ، وضربوا له الأمثال بأجداده ملوك الأسرة الثامنه عشرة ومن قبلهم ملوك الأسرة الثانية عشرة وبخاصة « سنوسرت الثـالث » الذى كان يعتبر فى نظر الشعب المصرى ونظر ملوك الأسرة الثانية عشرة بطل الفتـوح المصرية ، وموقظ روح الوطنية والبطولة فى نفـوس ملوكها . ولذلك نجـد أن « تحتمس الثالث » عندما اعتلى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعـد كان أول عمل قام به هو إعادة مبانى « سنوسرت الثالث » فى « سمنة وقمة » التى أقام عندهما هذا البطل العظيم لوحته المشهورة محذرا أخلافه من الملوك وبنى وطنه ألا يتراخوا فى المحافظة على الحدود المصرية التى مدها حتى هذه النقطة بحد السيف .

فأعاد هذا الملك الصبى بنـاء هذه المبـانى الدينية وفضلا عن ذلك رفع « سنوسرت الثـالث » إلى مرتبة الآلهـة بوصفه إله حرب . فهل جاء ذلك عفوا من فرعون صغير كان لا يزال فى الثانية عشرة من عمره أم هل فعل ذلك عن قصد ونتيجة تعاليم لقنها فى طفولته ، وبخاصة إذا علمنا أن الوصية على العرش وقتئذ كانت امرأة لا تريد الحرب بل قضت طوال مدة حكمها بعيدة عن الحروب وأهوالها .

وفى الحق أن حياة « تحتمس الثالث » تحدّثنا صراحة أنه قد قام بهذا العمل عن قصـد وعن مبادئ قـد تشبع بروحها . ولقـد حاولت الوصية على العـرش « حتشبسوت » والملكة « ماعت كارع » فيما بعـد أن تخمد أنفاس الروح الحربى الذى يتأجج فى نفس « تحتمس الثـالث » طوال ثلاثين حـولا حتى إذا ما وجد منفذا بعد موت هذه الملكة انطلق من عقاله ومرق كالسهم ، فلم نلبث أن وجدنا تحتمس على رأس جيش عظيم على حدود مصر يزحف إلى سهول « مجـدو » . والعجب العجاب فى ذلك أنك ترى الخطط الحربيـة المنظمة المحبوكة التى تعززها البسالة والإقدام والذكاء الخارق مما لم يسمع به فى تاريخ حروب العالم قبل ذلك .

ومن يطلع على هــذا النظام وتلك الخطط البــارعة التى وضــعها ذلك القائد البارع لا يشــك فى أن « تحتمس الثــالث » كان يفكر طوال مدة إقصائه عن الحكم فيها ويدرسها من كل نواحيها حــتى يفاجىء العالم بها دفعــة واحدة . ولا نزاع فى أن معركة « مجــدو » أولى انتصاراته ، وما جاء فيها من خطط سديدة وحركات فنية كانت أوّل درس ألقى على قوّاد العــالم القديم بل والحــديث فى فنون الحــروب وقيادتهــا .

أليس هو « تحتمس الثــالث » الذى كان أوّل من قسم الجيش الى جناحين وقلب ، وأنه هو الذى بجسارته وحبه للغامرة فى سبيل نيل مأربه قد اتخذ أقصر الطرق مع ما فيها من مخاطرة لمهاجمة العــدو . وأنه هو الذى أراد أن يضرب المثل الأعلى لمجلسه الحربى الذى عقــده — ولا نعــلم مجلسا حربيا أعلى عقــد قبل ذلك فى العالم — فعوّل على أن يكون أوّل مضح بحياته إذا ما دعا داعى الوطنية والشرف ؟

أليس هو « تحتمس » الذى كان يضرب له السرادق فى أرض الأعداء يدبر فيه خططه التى كان ينفذها عند ما ينبلج الصباح ؟

أليس هو «تحتمس» الذى لم ينس مناظر الحروب وما أوتيه من نصر بمساعدة إلهه « آمون » — إله الحرب — فعاد إلى مصر وهى مرتسمة فى مخيلته . ولم يرد أن تذهب عنــه أو يتناساها فأقام للإله « آمون » معبدا هو صورة مطابقة لخيمته التى كان يشغلها فى أثناء حروبه ليدخل فى روع شعبه أن « آمون » هو الذى آزره وناصره وكتب له الفوز فى هذه الحروب فهو إله كفاح وجهاد ، لا يسكن فى محراب بل فى سرادق حرب على استعداد دائم للأخذ بناصر ابنــه « تحتمس » فى ساحة الوغى إذا ما جل الخطب وعظم المكروه مع أولئك الأقوام الثائرين .

ثم نرى « تحتمس » يكشف لنا عن صفحة أخرى من مجــده الحربى ومهارته وشدّة ذكائه فى إحكام خططها . فنشاهــده يسير بأسطوله ويفتح الموانى التى على شاطئ فينيقيا ليتخذها قاعدة حربية لتموين جيوشه التى كانت تغزو قلب « آسيا »

حتى لا يطعن من الخلف ، وحتى يمكنه أن يضرب ضربته وهو مطمئن ، ويكون أسطوله الرابطة بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه التى كانت تسير فى أرض معادية من جهة أخرى . وقد أمدّ هذه الموانى بالمواد الأولية والصناع ، وكل ما يلزم لجيشه من عتاد ومؤن . بل لتأمين ذلك جعل لهذه الثغور جزية تدفع لهـا سنويا وخراجا يجبى لها من محاصيل البلاد المجاورة ، هذا الى استخدام أساطيل البلاد الموالية له على الساحل فى قضاء شـئونه وبخاصة سفن « جبيـل » . وبلاد الكفيتو . كل ذلك سهل عليه إخضاع الولايات التى كانت تشق عصا الطاعة على مصر ، كما كانت تسهل عليـه فتح البلاد النائية فى داخل بلاد آسيا . ولا أدل على الخدمات التى قدّمتها له هـذه الثغور من تلك التى سهلت عليـه إعادة فتح بلاد « نهـرين » ومدّ حدوده الى أبعد مما وصـل إليه أجداده . وهنـا تظهر عبقرية « تحتمس » مرة أخرى فى ابتكار الخطط وإعداد العدّة لنيل مأربه مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء ، فقد فكر فى بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه إتمام الفتح . ولكنه خشى من صنعها فى أراضى العدوّ الذى ربما أفسد عليـه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعا متفرقة فى « ببلوص » التى كان لأهلها شهرة فى صناعة السفن ثم ابتكر لها عربات من نوع خاص تجرها ثيران حتى شاطئ الفرات ، حيث ركبت أجزاؤها ، وبذلك نفذت خطته التى كانت نسيج وحدها . وهانحن أولاء نسمع فى تاريخ الحروب الحديثة أن القـوّاد العظام يأخذون دروسا عن قائد مصر كما يقول مؤرّخو الفرنج ؛ فيقول الدكتور « ولسن » إن اللورد اللنبى سار على هـدى خطط « تحتمس الثـالث » فى إحراز النصر على الأتراك فى اختراق ممر « عرونا » الذى سلكه فاتح مصر العظيم . ويحدثنا المؤرّخ « فولكنر » أن القائد الأكبر « مونتجمرى » قـد نقل السفن الصغيرة من شاطئ البحر محمـولة حتى نهر الراين ليعبر بها هـذا النهر ويباغت بها العـدو ، ثم هو ينتصر عليه كما انتصر « تحتمس الثالث » عندما نقل أسطوله إلى نهر الفرات وانتصر على أمير « نهرين » .

وكان روحه الحربى حتى فى أوقات فراغه لا يخمد ولا يهد أنشاطه ، إذ نراه بعد منازلة الأبطال فى ساحة الوغى يخرج إلى الوديان لمنازلة أخطر الحيوان وأشده بطشا بالإنسان .

وتلك شنشنة نعرفها فى أبطال هذه الأسرة فقد كان ملوكها مغرمين بالصيد والقنص كما سنرى بعد ، والظاهر أنهم كانوا يتعلمونها بالوراثة ، فقد ذكر لنا « تحتمس الثالث » ما أحرزه من ضروب الشجاعة الفذة فى الصيد والقنص . إذ ذكر لنا أنه قضى على قطيع من الفيلة عند بلدة « نى » عند نهر الفرات ، بل يذكر أكثر من هذا مما يمتاز به على فراعنة مصر عندما شرح لنا على جدران معبد « أرمنت » كيف اصطاد وحيد القرن ، وكأنه كان يشعر باستحالة ذلك ، فدوّن لنا أوصاف هذا الحيوان ومقاييسه ، وهو يعدّ أخطر أنواع الوحوش وأشدّها افتراسا ، وقد ترك لنا لوحة فى معبد الإله « منتو » إله الحرب ، وعدّد لنا ضروب شجاعته فى الصيد والرماية ، وما أحرزه من انتصارات .

على أن «تحتمس الثالث» كانت له نواح أخرى غير الحرب والصيد والقنص ، فقد وجدناه عندما عاد من إحدى حملاته يقوم برحلة تفتيشيه فى كل أنحاء مصر يسأل بكل دقة وعناية الموظفين المحليين وكان غرضه فى ذلك الضرب على يد المرتشين فى الإدارة المحلية فى أثناء جمع الضرائب ، وقد كان كذلك من أغراضه فى مثل هذه الرحلات ملاحظة سير العمل فى بناء المعابد العظيمة التى كان قد أمر بإقامتها أو إصلاحها وتزيينها فى أكثر من ثلاثين مكانا على ما نعلم وغيرها مما عفت عليه الأيام . أليس هو «تحتمس الثالث» الذى قد أحيا معالم الدلتا التى بقيت مهملة منذ عهد الهكسوس البغيض ومن ربوعها حتى « نباتا » عند الشلال الرابع كانت مبانيه تسير على خط واحد على المدن والبلدان كأنها عقد من اللآلىء قد نظمت جواهره على طول شاطئ النهر . ثم أليس هو الذى كان عند عودته بعد عمله المضنى إلى طيبة تُرى أعماله هناك عظيمة وسلطانه محسا فى كل ناحية من

نواحى الإدارة . فقد كانت ثروة الإله « آمون » المتزايدة تحتاج إلى عنايته وحسن تدبيره الشخصى فكان يملى على الكهنة التعليمات الدقيقة لإدارة معابد الحكومة وثروتها النامية، وقد كان ساعده الأيمن فى تنفيذ كل ذلك وزيره وأخوه من الرضاعة « رخ مى رع » كما سنفصل القول فى ذلك (Cambridge Ancient History Vol. II. P. 81.) وفى أوقات فراغه وجدناه مفتنا يرسم الأوانى الأنيقة من ابتكاره، ويضع التصميم، ثم يسلمه ليد مهرة الصناع لتنفيذه، وكذلك نراه فى مظهر آخر يجمع أجمل الأزهار وأندرها من بلاد «سوريا»، وكذلك الأشجار التى لا تنبت فى بلاده، ويأمر بنقلها إلى مصر وغرسها فى حدائق غناء فى معبد الإله « آمون» . وكذلك يختار من الحيوان والطيور أجملها وأندرها ويحملها إلى حظيرة الإله ، ويتعهد نموها وتكاثرها . كل ذلك يدل على روح تحب الفن والطبيعة ومباهجها .

على أن ما يلفت النظر فى أخلاق هذا الجندى الباسل الذى كان لا ينفك عاما واحدا عن منازلة الأعداء ، والضرب على يد المنشقين عليه أنه كان رجلا قد امتاز بشفقته وإنسانيته بل ورحمته للمغلوبين . فقد رأيناه يتجاوز عن سيئات أمراء الحلف الذين تآمروا عليه بعد أن وقعوا فى قبضته فى موقعة « مجدو » ، فلم يسلبهم عرشهم، أو يحرمهم متاعهم ، وحتى عدوه اللدود « أمير قادش » وكذلك « أمير تونب » نراهما قد مثلا فى قبر « مدير أعماله منخبررع سنب » وقد أتيا إلى الفرعون أحرارا لم توضع فى أيديهم السلاسل ولا فى رقابهم الأغلال مما يدل على أنهما كانا بدورهما قد صفح عنهما . وكذلك نلحظ أن رهائن العدو قد لاقوا معاملة حسنة ، وأعيدوا فى نهاية الأمر إلى أوطانهم ؛ ولم نسمع مرة أن « تحتمس الثالث » قد مثل بأجسام قتلى العدو الذى هزم بصلبهم فى مقدمة سفينته كما فعل جده « تحتمس الأول » وابنه « أمنحتب الثانى » .

ونشاهد ضمن مناظر قبر وزيره «رخمى رع» أسرى حروب أسيويين يعملون فى صنع قوالب اللبن كما تحدثنا عن ذلك النقوش : لأجل بناء مخزن للإله « آمون »

وكذلك تحدثنا النقوش أنهم كانوا يمونون بالخبز والجعة وكل نوع طيب من الطعام، وأن قلوبهم كانت تحب ملكهم الرحيم .

على أن ذلك وإن كان لا يعطينا صورة صادقة عن الواقع، فإنه مع ذلك يمثل لنا صورة نموذجية مما يجب أن يعامل به الأسرى الذين كتب عليهم الوقوع فى أيدى عدوّهم .

ولا شك فى أننا نرى فى كرم معاملاته لأعدائه الأسيويين حكمة وحسن سياسة بعيدة المرمى ، وفى الحق إن حسن سياسته قد ظهرت فى فرص عدّة فى خلال فترة اشتراكه مع الملكة « حتشبسوت » عند ما كانت هى وعصابتها يضيقون عليه الخناق ويسدّون فى وجهه كل منفذ بصورة مريعة ، وإلا لرأيناه لولا صبره واحتماله يقضى على حياته بيده . والواقع أن ما أوتيه من قوّة إرادة وضبط نفس لأكبر شاهد على اجتيازه محنة تلك السنوات التى قضاها فى منفاه الذهبى طوال مدّة حكم « حتشبسوت » .

وتتجلى قوّة إرادته وحسن تدبيره كذلك أو إن شئت فقل حسن تدبير من كان حوله فى اعتلاء عرش الملك فى أوّل أمره ، على الرغم من أن أمه لم تكن إلا زوجة ثانوية « لتحتمس الثانى » والده . وأنه فى صباه لم يكن إلا كاهنا بسيطا فى معبد « آمون» .

ولقد كان لسياسته ومضاء عزيمته ونظمه الموفقة الأثر الأكبر الذى كتب للامبراطورية التى وطد أركانها البقاء عدّة أجيال، إذ كان أكبر ما تصبو إليه نفسه وأهم ما جاهد لتحقيقه أن يوطد أواصر الود والمصافاة بينه وبين أجزاء امبراطوريته فكان يربى أمراء الولايات التابعة له مع أمراء البيت المالك، ويلقنهم حب مصر، ويطلعهم على عظمة بلاده فى عقر داره، كما أنه كان يأخذ بناصر كل أمير غلب على أمره مما جعل اسمه مضرب الأمثال فى القوّة والشجاعة والنجدة ، حتى أن أمراء بعض الولايات كانوا يطلبون تمثال هذا الفرعون إلى بلادهم ويقيمون له المعابد،

ويتضرعون إليه في السراء والضراء وحين البأس . وكان أولئك الأمراء الموالون يفدون إلى مصر مقدّمين له فروض الطاعة والخضوع كما يشاهد ذلك في مقبرة وزيره العظيم « رخمي رع » الذي كان يكرر لهم عباراته المشهورة عن سيده « تحتمس » : " إن جلالته يعرف كل شيء يحدث ، ولا يوجد شيء لا يعرفه ، وإنه مثل الإله « تحوت » (إله العلم والحكمة) في كل شيء ، وإنه لم يقم بأي عمل إلا نفذه " .

ومع كل تلك الصفات وهذه الأخلاق العظيمة كان « تحتمس الثالث » رجلا صادقا متدينا ، إذ يقول عن نفسه : " إني لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عمله ، فأقول إني فعلت شيئا دون أن يفعله جلالتي ، ولم آت بعمل فيه مظنة ، وقد فعلت ذلك لوالدي الإله آمون ، لأنه يعرف ما في السماء ويعلم ما في الأرض ، ويرى كل العالم في طرفة عين " .

هذا هو « تحتمس الثالث » كما نستخلصه من الآثار الصامتة ، بعد استقراء وفحص وقد نكون قد شططنا في إعطائه حقه ، أو أغفلنا بعض مناقبه ، ولكن تفاديا لذلك سنترك الشاعر المصري يصف لنا أعماله ومكانته في العالم الذي كان يعيش فيه بتدوين تلك القصيدة الخالدة التي تتغنى بانتصارات « تحتمس الثالث » وما أتاه من أعمال خارقة للحد المألوف . ولا بدّ أن « تحتمس الثالث » قد أمر بإقامة اللوحة التي كتبت عليها تلك القصيدة في معبد الكرنك بعد انتهائه من حروبه في آسيا وبعد أن أغدق على الإله «آمون» الخيرات، وأوقف عليه البلاد والضياع، ولذلك نجد أن الشاعر المصري قد جعل هذه القصيدة التي كانت فيما بعد نموذجا لعظماء الفراعنة أمثال « سيتي الأول » و « رعمسيس الثاني » الذين نقلوها ونسبوها لأنفسهم ، تتكلم على لسان الإله « آمون » الذي حباه « تحتمس الثالث » بكل هذه الخيرات مقابل تلك الانتصارات التي منحه إياها في ساحة الوغى . فاستمع للإله «آمون» يخاطب ابنه «تحتمس الثالث» الذي كان في اسمه سحر كعصا موسى يهزم جيوش الأعداء في كل المواقع .

يقول « آمون رع » رب الكرنك : أنت تأتى إلىّ وتنشرح حينما تشاهد جمالى . يا بنى . يا حامى ، يا « منخبر رع » الباقى المخلد . إنى أطلع منيرا حبا فيك .

إن قلبى ينشرح بمجيئك الميمون إلى معبدى ، و يداى تمنحان أعضاءك الحماية والحياة .

ما أرق الشفقة التى تظهرها نحو جسمى ، ولهذا سأثبتك فى مأواى ، وأقدم لك أعجوبة .

إنى أمنحك القوّة والنصر على كل البلاد الجليلة ، و إنى أمكن مجدك والخوف منك فى كل البلاد السهلة كذلك ، والرعب منك يمتد إلى عمد السماء الأربعة . إنى أجعل احترامك عظيما فى كل الأجسام ، وأجعل نداء جلالتك الحربى يتردّد بين « أمم الأقواس التسع » .

وعظماء جميع البلاد الأجنبية جميعهم فى قبضتك ، و إنى بنفسى أمدّ يدى وأصطادهم لك .

وأربط الأسرى من « الترجلوديت » بعشرات الألوف ، والألوف ، وأهل الشمال بمئات الألوف .

إنى أجعل أعداءك يسقطون تحت نعليك فتطأ ... الثائرين ، كما أنى أمنحك الأرض طولا وعرضا ، فأهالى المغرب ، وأهالى المشرق تحت سلطتك .

إنك تخترق كل البــلاد الأجنبية بقلب منشرح ، وأينما حلت جلالتك فليس هناك من مهاجم . و إنى مرشدك ولذلك تصل إليهم . و إنك تعبر المنحنى الأعظم لبلاد « نهرين » بالنصر والقوّة اللذين منحتهما إياك . وعند ما يسمعون نــداء إعلان الحرب يلجئون إلى الأجحار . لقــد حرمت أنوفهم نفس الحياة . وأرسلت رعب جلالتك ساريا فى قلوبهم .

والصل الذى على جبهتك يحرقهم و يستولى على الأشقياء منهم غنيمة باردة ، ويحرق الذين فى ... بلهيبه ، و يقطع برءوس الأسيويين ، ولا يفلت منه أحد بل يسقطون ، و ينكل بهم بسبب قوّته .

إنى أجعــل انتصاراتك تنتشر فى الخارج فى كل البــلاد . ذلك الذى يضىء على جبينى خاضع لك . ولا أحد يثور عليك فى كل ما تحيط به السماء . بل يأتون بالهدايا على ظهورهم ، و يقدمون الطاعة لجلالتك كما آمر .

لقد عملت على كبت من يقوم بغارات ومن يقترب منك ، فقلوبهم تحترق ، وأعضاؤهم ترتعد .

لقد حضرت لأجعلك تتمكن من أن تدوس بالقدم عظماء فينيقيا .

ولأجعلك تشتت شملهم تحت قدميك فى ممالكهم .

وأجعلهم يشاهدون جلالتك كرب الشعاع .

عندما تضىء فى وجوههم بوصفك صورتى .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ أولئك الذين فى آسيا .

وتضرب رؤساء عامو (آسيا) .

اجعلهم يشاهدون جلالتك مدججا بدرعك حينما تقبض على آلات الحرب فى عربتك .

لقد حضرت :

لأتمكن من أن أجعلك تطأ بالقدم الأرض الشرقية .

وتطأ من فى الأقاليم أرض الإله . ولأجعلهم يشاهـدون جلالتك مثل النجم « سشد » الذى ينشر لهيبه كالنار حينما ترسل سيلها .

لقد حضرت :

لأجعلك تتمكن من أن تطأ الأرض الغربية .

« فكفتيو » و « آسى » تحت سلطانك .

ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل الثور الصغير .

ثابت القلب ، حاد القرن ، لا تمكن مهاجمته .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين فى مستنقعاتهم ؟ !

فى حين أن أرض « متن » ترتعد خوفا منك .

ولأجعلهم يشاهدون جلالتك كالتمساح .

رب الرعب فى الماء لا يمكن الاقتراب منه .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين فى الجزائر .

والذين فى وسط المحيط وهم الذين تحت لوائك ولأجعلهم يشاهدون جلالتك منتقما .

قد ظهر منتصرا على ظهر فريسة .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ « اللوبيين » .

« والأوينتو » بقوة سلطانك .

ولأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كالأسد المفترس ،

حينما تجعلهم أكواما من الجثث فى وديانهم .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ أقصى حدود الأراضى ، فى حين أن ما يحيط به الأقيانوس يكون فى قبضتك .

ولأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كرب الجناح .

الذى يقبض على الذى يرى كما يشتهى .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تطأ هؤلاء الذين فى البلاد الغربية .

وتربط سكان البدو أسرى .

لأجعلهم ينظـرون إلى جلالتك كابن آوى الوجه القبلى ، (وهو أشـد ما يكون افتراسا) وهو رب السرعة سباقا مخترقا الأرضين .

لأمكنك من أن تطأ « انو » النوبة ، ويكون فى قبضتك حتى بلاد « شات » .

ولأجعلهم ينظرون اليك كأخويك التوأمين .

اللذين ضممت أيديهما لك فى النصر .

ولذلك وضعت أختيك خلفك حماية لك على حين أن ذراعى جلالتى كانتا مرفوعتين لتقبضا على كل شر

إنى أمدك بالحماية يا بنى المحبوب « حور » .

يأيها النور القوى الذى يسطع فى « طيبة » .

والذى أنجبته من أعضائى الإلهية .

« تحتمس » المخلد أبدا الذى عمل لى كل ما تتوق إليه نفسى « كا » .

لقد أقمت لى مسكنا ، وهو عمل سيبقى الى الأبد .

وجعلته أطول وأعرض مما كان عليه من قبل ،

والباب العظيم ... الذى يجعل جماله « بيت آمون » (؟) فى عين .

إن آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف .

إنى أعطيك الأمر لتقيمها ، وإنى لمنشرح بها .

وإنى لأثبتك على عرش « حور » مدة آلاف آلاف السنين حتى ترعى الأحياء الى الأبد .

ولا شك فى أن القارئ قـد وجد فى هـذه القصيدة مبالغات خارجة عن حد المألوف كما هى العادة فى المدائح التى نقرؤها فى أشعار المدائح فى الشرق عامة . وهى تعتبر من الشعر الرسمى الذى ينقصه التنويع فى التعبير والخيال السامى، ولذلك فهى لا تعدّ فى نظرنا من الأدب الراقى، غير أنها كانت فى نظر المصرى من الشعر النموذجى وإلا لما نسبها بعض الملوك لأنفسهم كما ذكرنا . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ١٨٦) .

الموظفون وحياتهم الاجتماعية فى عهد تحتمس الثالث

الوزير « وسر آمون » أو « وسر » : يعد الوزير « وسر » من أوائل عظماء الدولة الذين نصبهم « تحتمس الثالث » على إثر انفراده بالحكم، وذلك قبل بداية السنة الواحدة والعشرين، وهو العام الذى اختفت فيه «حتشبسوت» . وهو بلا نزاع من رجالات العصر الذين تركوا أثرا خالدا فى نظم الحكم ، ولا غرابة إذا كان هو واضع بعض المبادئ القويمة التى سار على نهجها ابن أخيه «رخمى رع» الذى يعد أبرز شخصية فى نظر المؤرخ الحديث بما تركه من آثار خالدة فى نقوش قبره كما سنرى بعد . والواقع أن ما بقى لنا من آثار « وسر » يحدثنا عن عظمته ، وما كان للوزير من مقام عظيم ومكانة منفردة فى نفوس الشعب ، ومن آثاره نعرف أولا أنه كان يحمل الألقاب التالية (راجع Urk. IV. P. 1030 - 1306.) .

(١) الأمير الوراثى ، (٢) فم « نخن » (٣) كاهن « ماعت » (العدالة) (٤) رئيس العدالة (٥) مدير أسرار بيت الفرعون (٦) المشرف على بيتى الذهب و بيتى الفضة (أى رئيس الخزانة) (٧) المشرف على مخازن غلال « آمون » (٨) وخازن كل الأشياء الثمينة فى « الكرنك » (٩) وعمدة المدينة والوزير (١٠) والمشرف على القصور الستة (١١) والمشرف على قاعات العدل الست العظيمة (١٢) حامل خاتم ملك الوجه البحرى (١٣) السمير الوحيد ، الأمير أمام العامة (أهل الوجه البحرى) ، كاتب كل الأحجار الثمينة الغالية ، والمطهر ، ومساعد كاهن الإله « مين » والقاضى ، والمشرف على الكتاب .

وتدل الآثار الباقية على أن الوزير كان له قبران فى « جبانة شيخ عبد القرنة » وهما رقم ٦١ ، ورقم ١٣١ ، والقبر الأول رقم ٦١ لم يتم نحته ، و يعرف بقبر « وسر » فقط ، أما القبر الثانى فكان قد نحت فى صخر على ارتفاع حوالى خمسين قدما فوق الأول . وكان يسمى فيه المتوفى « آمون وسر » ، ولكن لدينا نقوش

فى مقبرة « أمنمحات » مدير بيته، تدل على أنه هو نفس « وسر » صاحب المقبرة الأولى . وهذا القبر الأخير كان آية فى الزخرف والإتقان ، يدل على ذلك ما أبقته يد التخريب والعبث التى أودت بمعظمه ففضلا عن متن تنصيب الوزير ، ومتن واجباته اللذين كانا منقوشين على جدرانه فإنه لا يزال لدينا بعض مناظره الجميلة باقية منها الوفود الذين جاءوا من الشمال حاملين الجزية، والنقوش المفسرة له تقول :

« تسلم الغنائم التى أحضرتها قوة جلالته من الممالك الشمالية الواقعة عند حدود « آسيا » ومن « الجزر » التى تقع فى وسط البحر بوساطة الحاكم الوراثى ، والمتكلم الذى يأتى بالسلام لكل أرض ، والمشرف على محاكم العدل « وسرآمون » . ويرى فى هذا المنظر ممثلون من الجزر التى تقع فى قلب الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) وهى « كريت» ويحتمل الجزر الأخرى التى كانت تحت سيطرتها ، والجزية أو الهدايا التى كان يحضرها أولئك تضيف معلومات جديدة الى معلوماتنا السابقة، وكذلك نشاهد فى صف آخر «أهل حدود آسيا » وفى الصف الأخير نشاهد أهالى « رتنو » وكل هذه الأجناس نراها ممثلة فى حضرة « رخ مى رع » ، مما يدل على أن المفتن لم يرسمها من خياله بل كان أمامه ممثلون حقيقيون أخذ عنهم صوره (راجع M. M. A. 1924 - 5. ، Part II. March P. 46 - 7.) .

الوزير « وسر » يحل محل والده عامثو : على أن أهم منظر فى المقبرة هو منظر الاحتفال بتنصيب الوزير، ويجب أن نقرر هنا أن قبور الوزراء على وجه عام ، وقبر « وسر » على وجه خاص كانت تزين معظم جدرانها بمناظر تبرز أعمال الوزير ووظائفه ، وما كان يجب عليه فى اتباع المثل العليا للحق والعدالة التى كانت أهم تقليد يسير على نهجه كل وزير ، هذا الى مناظر تصور لنا قوة مصر وسيادتها مثل مناظر الأجانب وهم وافدون الى مصر يحملون ما فرض عليهم من جزية يضعونها تحت أقدام الفرعون وهم صاغرون . ومن أهم المناظر التى خلفها لنا « وسر » على جدران مقبرته هذه تلك الصورة الرائعة التى تمثل الوزير المسن « عامثو » والده ، وهو ينوء تحت عبء السنين ، وينثنى تحت ثقل الشيخوخة

فتقوست قناته ، وارتخت أعضاؤه ، مما جعله يطلب الى الفرعون[1] أن يمنّ عليه بتعيين شاب من شباب مصر يساعده على القيام بواجباته على الوجه الذى يقتضيه الإخلاص فى العمل والمحافظة على كيان الدولة ، ولقد أجاد المفتن فى إبراز صورة صادقة تنم عن رجل قد انحنى ظهره وقربت السنون بينه وبين الأرض (راجع : Davies, "M. M. A.", Part II, (December, 1926), pp. 3ff.) .

وصف تنصيبه وزيرا : وقد أجيب الوزير المسنّ الى ملتمسه . والمنظر الذى نتحدث عنه هو فى الواقع يمثل الاحتفال بتنصيب الوزير « وسر » فنشاهد « تحتمس الثالث » جالسا تحت عرش منمق الحواشى وقد وقف أمامه رئيس التشريفات، واثنان من سمار الفرعون و « وسر » نفسه، وقد كان حتى هذه اللحظة لا يحمل إلا لقب « كاتب خزانة » الإله فى معبد « آمون » . وقد قرر المجلس الاستشارى تعيينه وزيرا للدولة . ويشاهد على الجدار نقش طويل يقص علينا الإجراءات التى كانت تتبع فى مثل هذا الاحتفال ، ولكن لسوء الحظ قد هشم هذا المتن الفذ أحد أهالى قرية « شيخ عبد القرنة » الذى اتخذ مقبرة الوزير مسكنا له ، ومع ذلك فإن ما أفلت من يده نستطيع به أن نكوّن فكرة لا بأس بها عن سير الاحتفال وخطواته ، فنشاهد السمار يخاطبون الملك راجين إياه أن يلحظ أن قوى الوزير المسن (عامثو) قد انحطت ، وأن جسمه قد ذبل ، إذ قد قوّس الدهر قناته، وأن واجباته العادية قد أثقلت كاهله، حتى أن المدينة قد أصبحت ضالة معلنة " أنه من الخير لبلادك أن تهتم بتعيين وكيل (عصا الشيخوخة) ، وعلى ذلك طلب إليهم الفرعون أن يبحثوا عن رجل له شخصية بارزة، وكان رجال البلاط بطبيعة الحال قد وقع اختيارهم فيما بينهم من قبل

---

(١) هذا الرجاء للتقاعد عن العمل من جانب الوزير يعدّ من التقاليد القديمة جدا ويرجع على ما نعلم الى ما قبل عهد « بتاح حتب » الوزير الذى عاش فى عهد الأسرة الخامسة وكان وزير الفرعون « أسسى » ، (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ١٧٦) .

على من يخلف « عامشو » هذا ، غير أن واجب الأدب كان يحتم عليهم أن يلقوا أمام الفرعون خطابا كله ملق ، وأنه هو الذى وضع القوانين مدّة (ملايين) السنين " قبل أن يصلوا الى الغرض الأصلى ، وفى النهاية يقولون : تأمل ! إن ابنه الذى يسمى « وسر » وهو كاتب الخزانة للاله فى معبد « آمون » [كما كان] فى عهد والده « تحتمس الثانى » وإنه من الخير أن يرقى الى وظيفة « نائب وزير » و بعد ذلك يخاطب الفرعون « عامشو » فى رفق وحنان قائلا : "إن كل الفكرة تتوقف عليك" ، و يقول له بشفقة : " إن من نال ثقة المجلس لسعيد ، و إنك لم تصبح بعد عديم الفائدة ، فإن أخلاقك ليست معوجة ، ولم توجه إليك تهمة من البلاط ، و إنك تعمل بصدق نحو الفرعون ، حقا إن ابنك « وسر » ماهر ، لين الجانب ، دقيق ، راض عن تعاليمك ، فدع كفايته تحيط بك ، و إنى أرجو أن يعمل معك بمثابة وكيل فيكون كالذى ينفذ إرادة من هم فوقه " و ينتهى الخطاب الملكى بالإطراء على الوالد وابنه ، (راجع ,.Davies, M. M. A (1924 - 25), P. 50.) أما بقيـة المنظر فيمثل لنـا المهرجان الذى أقـيم للوزير الجديد عند ذهابه إلى المعبـد ليثبت تعيينه أمام الإله « آمون » . ومن هنـا نجد بداية تأثير تمثال العبادة الذى كان يقام فى المعبد للإله «آمون » ، وهو ذلك التأثير الذى بولغ فيه لدرجة عظيمة منذ نهاية الأسرة العشرين حتى أن الفرعون قد أصبح لا يستطيع أن يفصل فى أمر من أمـور الدولة دون موافقة ورضاء الكهنة الذين كانوا يسيطرون على آثار هذا الإله .

وقد كان يرأس الاحتفال المشار إليه جنود تصحبهم طائفة من جنود الموسيقا و بعد ذلك يأتى أربعة رجال يحملون غصون أشجار دليلا على الفرح ، وخلف هؤلاء مباشرة يأتى « وسر » لابسـا حلة الوزير التقليدية ، وحاملا عصـاه الطويلة على كتفه ليظهر بذلك أنه ليس فى حاجة إلى التوكؤ عليهـا كما يعمل الرجل المسنّ ، و يشاهد على رأسـه أيضا مخروط معطر لينشر فى شـعره رائحة ذكية ومـما يلفت النظر أن المفتن قد أفلح فى إبراز صورته على نقيض صورة والده فيظهر « وسر » مستقيم العود ينم عن بنية قوية تدل على الشباب الغض فى حين نرى والده «عامشو» هزيل الجسم منحنى العود فى المنظر الأخير ، (راجـع ,"Davies, "M. M. A (1925 - 6) P. 9. Fig. 5.) ثم يظهر بعد « وسر » الفرعون « تحتمس الثالث »

محمولا فى محفة على أعناق ثمانية من رجال البلاط . ويشاهد أمامه رجلان يحرقان البخور ويرشان المـاء كما نرى ذلك عنـد نقل تمثال، أو أمام موميـة فى طريقها إلى الجبانة، وكذلك يرى حامل مروحة يلتفت خلفه ليروّح على الفرعون ، كما يوجد حامل مروحة آخر يمشى بجانب الفرعون ومروحته الصغيرة يحملها على كتفه دون أن يستعملها ، والظاهر أن هذا هوالموظف الذى يدعى فى النقوش حامل المروحة على يمين الفرعون ، بوصفه لقب شرف وحسب . وكذلك يحمل آخر مروحة خلف الفرعون فى صورة علامة الحياة ثم يأتى بعد ذلك تابعان أحدهما يحمل نعال الفرعون والآخر يحمل جعبة قوسه وكنانته ، وحقيبة ، وعلى جدران هذه المقبرة وثيقة أخرى نقش فيها التعاليم التى قدّمها الوزير « عامثو » لابنه « وسر » الذى عين مساعدا له ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف أن أكثرها قد هشم ، ولكن مما تبق منها نعلم أنها تحتوى عدّة نصائح ذوات مغزى خلقى عظيم منها : دعه يحكم دون أن يفضل رجلا يعرفه على رجل لا يعرفه ، تأمل ! إنك جدار يصـد الظلم ، دعه يشجع الاقتراب منه فى المسألة وذلك لأن الشاكى يجب أن يفرغ ما فى قلبه ، تمسك بالحق ، فإن ذلك سيزيد فى ثروتك .

أهمية نقوش مقابر الوزراء فى التاريخ : والواقع أن مقـابر الوزراء كما ذكرنا من قبل تتحفنا بصور على جانب عظيم من الأهمية فى نواحى الحياة العامة، كما أننا نصل إلى معرفة بعض الشىء عن الحيـاة فى مصر القديمة من قبور العظماء التى بقيت لنا حتى الآن بألوانها وبهائها ، غير أن هذه المقابر لا تفسح لنا المجال فى هذا الصدد إلا فى حدود نطاق ضيق ، ومثلها فى ذلك كمثـل إنسان ينظر إلى صورة كبيرة فى حجرة مظلمة تضاء فقط بنور خاطف ، فحيث يقع شـعاع النور نرى كل شىء جميلا واضحا مميزا أما فى الدائرة الخارجة عن هذا الشعاع فلا نشاهد إلا أشباحا مبهمة تتضاءل صورها حتى تختفى فى ظـلام حالك، وهذا هو نفس ما ينطبق على مناظر المقابر، فنرى الشريف وهو جالس إلى وليمته يخدمه العبيد والإماء، ولكن لا نعـلم شيئا البتة عن حالة هـؤلاء العبيد الاجتماعيـة حتى نرى الرجال مع نسائهم

فى انسجام ملؤه الحب ، وليس لدينا أية فكرة عن عادات الزواج أو قوانينه بصورة واضحة . ومن جهة أخرى نرى أن الاحتفالات الجنازية تكرر أمامنا بدرجة تمجها النفس وتسأمها العين ، ولا غرابة فى ذلك فإنها الأساس الذى بنى من أجله القبر ، وعلى أية حال فإننا على الرغم من أننا مدينون لمناظر قبور « طيبة » بكل ما نعرفه عن الحياة الخاصة ، والنظام المدنى فى مصر فإن المؤرخ يتألم من صموتها أو إشارتها إشارات عابرة إلى نواح خاصة من الحياة القومية ، مثل حالة المرأة وأعمالها والدور الذى كان يلعبه المعبد ، والمحاكم ، والأسواق ، والخدمة ، والملاهى فى حياة أبناء الشعب ومقدار الحرية التى كان يتمتع بها الفلاح والصانع والتاجر ، ومقدار التأثير الذى أحدثه دخول العبيد الأجانب فى السكان ، ووضع القوانين وغير ذلك . كل هذه المرافق لا نعرف عنها شيئا إلا استنباطا واستقراء لما لدينا من نصوص ومناظر . وكان المصرى عند ما يعود إلى الأرض فى صورة ملاك كما يزعم كان يرغب فى رؤية بيته ومعبد مدينته ، ويسمع خوار أبقاره ، ويرى نمو نباتاته ، فلم يكن يهمه كثيرا موضوع جمع الضرائب ، وما يترتب عليها أو الحروب الناشبة ، أو السياسة وشئونها ، وذلك لأنه لم يكن له عليها سلطان بل يعلم أن كل هذه الأشياء كانت أعداء ألداء له مثل الطاعون والجوع ؛ وحتى الموظف لم يكن يهتم إلا بشئون إدارته من حيث أنها كانت مورد رزقه و إسعاده فى الحياة ؛ وإذا قسنا الملوك بما لهم من آثار فإنهم لم يكونوا أحسن حالا ؛ إذ كان كل ما يشغل أفكارهم فى الحياة الدنيا هو الفخار والاحتفالات الدينية ، ثم التأليه بعد الموت . وقد كان الكاهن الأكبر فى الواقع ملكا دون أن يكون له أمل أن يؤله بعد الموت مثل الفرعون ؛ وعلى الرغم من أنه لم يكن يشغل نفسه أكثر من أى فرد غيره بالأمور الدينية ، فإنه كان من كبار المقتصدين ، مثله فى ذلك كمثل الأب الدينى الحالى ، إذ قد ترك لنا صورا حية مفيدة جدا عن الضياع العظيمة ، والمصانع التى كانت فى حيازته .

الاخلاص فى خدمة مصر كان الهدف الأول للوزير :

أما الوزير المصرى فكان يضع كل مصر وأرزاقها فى قبضة يده ، وإذا حكمنا بما لدينا من الأمثلة الباقية ظهر أمامنا أنه كان يدخر بين جنبيه لخير مصر كل ما كانت تطمح إليه الأخلاق الإنسانية من مشاريع مثالية ، وأعنى بذلك تكوين حكومة وطنية سعيدة ، فقد كان هو الفرد الوحيد الذى سما بنفسه عن الأثرة والطوائف ، وأظهر لنا إحساسا يوحى بأن الأمة يجب أن ترتكز على الأخلاق والقانون والخدمات المتبادلة ولذلك كان يتصوّر عودته فى صورة ملاك الى عالم الأرض ليتسلم ثانية عبء التفكير لمساعدة قومه بكل ما يسعدهم ، ويصلح حالتهم ، كما كان يفعل فى حياته الدنيا . وإنا لنقف على سر ذلك من وصف « رخ مى رع » ابن أخيه الذى تولى بعده الوزارة مباشرة عند ما يقول : "تأمل ! إن منصب الوزير ليس بالحلو أبدا ، إنه مر كما يدل على ذلك اسمه ، (كلمة وزير معناها الرجل أو من يقوم بدور الرجل) وإنه لجدار من نحاس يحافظ على ذهب بيت سيده ، وليس يوجد رجل آخر يرغب فى أن يعمل هذا لغيره ، وإن الريح والماء يبلغان كل شىء بعمله ، وإن الذى يجب عليه أن ينفذ العدالة فى وجه كل إنسان هو الوزير . فليتك أيها الوزير تتبع القانون الذى سلم إليك . تأمل ! إن هذا هو طريق السعادة" .

هذا هو قبر الوزير « وسر آمون » الذى قد بدأ كما قلنا وزارته بالاشتراك مع والده « عامثو » وتدل المعلومات التى جمعت عنه أنه مكث فى الوزارة نحو عشرة أعوام ، وترك خلفه ستة ذكور وسبع إناث ، وقد توفى وهو يأمل أن يروح ويغدو فى الجبانة بمثابة إنسان عمل بولاء وإخلاص مع بيت إله الشمس ، ويتسلم طعاما منه فى كل الأبدية . وقد خلفه على كرسى الوزارة على حسب رأى بعض المؤرخين « رخ مى رع » أعظم الوزراء المصريين كما سنرى بعد .

أمنمحات بن تحتمس مدير بيت الوزير «وسر» : ذكرنا فيما سبق أن الوزير كان أعظم رجل فى الدولة ، وأن نفوذه فى إدارة البلاد لايدانى، وتدل كل ما لدينا من نقوش على صدق ذلك ، وبخاصة إذا علمنا أن مدير بيته الخاص « أمنمحات بن تحتمس » كان يعدّ من أغنياء القوم ، وهو الذى كان يعدّ ساعده الأيمن على مايظهر، وكانت وظيفته الرسمية تحصر بوجه عام فى الإشراف على أملاك سيده ودخله وحساب العبيد والحقول والغلال والمعادن الثمينة ، وقد كان كذلك مكلفا بالإشراف على بعض الحياة الخاصة بالوزير والفرعون كما سلف ذكر ذلك؛ وقد ترك لنا فى قبره « بجبانة شيخ عبد القرنة » لوحة مؤرّخة بالسنة الثامنة والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » .

وألقابه كما وجدناها على مقبرته كالآتى: " الكاتب ، وكاتب الوزير، والكاتب حاسب الحبوب، ومدير بيت الوزير، ومدير بيت الوزير للمدينة الجنوبية (طيبة)، والذى يراقب كل أملاكه، ومدير البيت الذى يحسب كل مايوجد، ومدير البيت الذى يحصى الناس، ومدير البيت محصى الحبوب، ومدير البيت الذى يحصى حبوب الإله «آمون»، ومدير البيت الذى يحصى الحقول المنزرعة،والكاتب محصى الغلال فى مخازن قربان « آمون » المقدّسة، والكاتب الذى يحسب حبوب «آمون»، ورئيس عبيد « آمون »، ورئيس العبيد، والمشرف على الأراضى المحروثة، والمشرف على احتفالات بيت «آمون» « أمنمحات » .

وليس لدينا أى دليل فى مقبرة « أمنمحات » يرشدنا الى الترتيب الذى نال به « أمنمحات » هذه الألقاب ، ولا نزاع فى أن أوّل لُقّب لقب به هو وظيفة « كاتب » واللقبان الأخيران من ألقابه كان يحملهما والده وجدّه . واللقب الأخير هو فى الواقع لقب قديم جدا وترجم حرفيا «مسن الردهة» ومعناه رئيس التشريفات، وقد وضح لنا معناه تماما من نقش فى مقبرة « رخ مى رع » . وذلك أنه عند ما قدم هذا الوزير الى البلاط كان الموظف الذى استقبله هو « مسن الردهة » وقد قدّمه

الى الحضرة الملكية (راجع .Newberry, "The Life of Rekhmara", Pl. VII. P. 6
وقد كان هناك كذلك رؤساء تشريفات متصلون بالمعبد .

ومناظر هذا القبر على الرغم من أنها ليست من الطراز الممتاز من حيث الفن والدقة إلا أنها تحتوى على صور شائقة وهامة من الوجهة الدينية ، مما ورث عن الدولة الوسطى مثل منظر الحج إلى« العرابة المدفونة » ، التى كانت تعد كعبة الصالحين (راجع ج٣ ص٥٠٥)، وكذلك الشعائر المختلفة الخاصة باحتفال فتح الفم . على أن أهم منظر يشاهد فى القبر هو منظر الوليمة التى أعدها أمنمحات احتفاء بالمهندس والمفتنين الذين شيدوا له مقبرته . والنقوش الخاصة بهذا المنظر تحدثنا قائلة :
" شكرا للصناع ، وإقامة الوليمة لهم بالقربان المقدسة ، ومكافأتهم بكل أنواع الأشياء الطيبة ... ... فوضعت الأكاليل على رءوسهم ، وقد صفها مدير البيت ، محصى رجال « آمون ... أمنمحات » المرحوم " الخ .

ومن بين المدعوين إلى هذه الوليمة نشاهد : « مدير المبانى فى هذا القبر » الكاتب « أمنمحات » وراسم التصميم « أحمس » والنحات الذى نحت التماثيل ، ومما يؤسف له أن اسم هذا الرجل قد محى ، ولا بد أنه كان القائم بنحت تماثيل المتوفى ، ويشتمل على نقش يحدثنا عن تاريخ حياته ذكرناه فيما سبق . (راجع Davies and Gardiner, "The Tomb of Amenemhet", Pl. XII, XVII. P. 36, 37. etc.) .

أمنمحات كاتب الملك : وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» وكان من المقربين لدى الفرعون «تحتمس الثالث» فقد كان يصحب الفرعون فى رحلاته (Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 123.) وكان يحمل الألقاب التالية : « كاتب الملك ، والممدوح من الإله الطيب ، والذى يتبع خطوات الملك فى صحراء الجنوب وفى الشمال ، والكاتب المعظم فى بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، والمقرب جدا لسيده ، والمشرف على مخازن الخبز ، والكاتب الملكى الذى يحصى الخبز ،

والكاتب الذى يحسب خبز الوجه القبلى والوجه البحرى ، والكاتب» . والقبر يحتوى على منظر صيد يشاهد فيه « أمنمحات » فى عربته يطارد غزالا فى الصحراء، (راجع Urk. IV. Pls. 25-26) وهذا المنظر من الأمثلة القليلة التى نجد فيها العظماء يخرجون للصيد والقنص فى الصحراء فى عرباتهم مثل الملوك فى أوائل الأسرة الثانية عشرة ، إذ كانت العربات موقوفة على أثرياء القوم الذين كان فى استطاعتهم اقتناؤها والإنفاق عليها . وهذا دليل على أن « أمنمحات » كان من أثرياء القوم كما تدل وظائفه .

أمنمسو مدير بيت الفرعون فى طيبة : كان « أمنمسو » من الموظفين القلائل الذين عمروا طويلا فى خدمة الحكومة فى عهد أربعة ملوك على التوالى . فقد بدأ حياته الحكومية فى عهد « تحتمس الثالث » وأقيل على ما يظهر فى عهد « أمنحتب الثالث » وكان يحمل الألقاب التالية (راجع Urk. IV. P. 1024-5.) الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والذى يتبع خطوات الملك فى صحراء الجنوب وفى الشمال (يقصد فى النوبة وآسيا) ، ومدير البيت فى المدينة الجنوبية ، ومدير البيت ، وحامل العلم .

وقبر « أمنمحات » يقع فى «جبانة شيخ عبد القرنة» (Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 89.) وتدل كل الظواهر على أنه كان فى الأصل غاية فى دقة الصنع ، ويحتوى على عدة مناظر هامة ، غير أن الزمن والأحقاد لعبتا دورهما فى تخريبه ، إذ نشاهد أن كل صورة لصاحبه أو أقاربه قد محيت عن قصد ثم أشعلت فيه النيران أخيرا . والظاهر أن تخريب هذه المقبرة قد حدث بعد الانتهاء منها مباشرة ، لأننا نعلم أن « أمنمسو » كان لا يزال فى الخدمة فى عهد « أمنحتب الثالث » ، وتدل كل الأمور على أن القبر كان قد خرب قبل عهد «إخناتون» تماما ، وذلك لأن عماله الذين وكل إليهم محو اسم « آمون » لم يدخلوا هذا القبر قط ، لأن اسم « آمون » قد وجد محفوظا فيه ، والظاهر أن « أمنمسو » كان ينظر

بعظمة ونخار إلى عهد « تحتمس الثالث » الذى بدأ خدمته فى عهده ، كما كان ينظر إليه كل من عاشره حتى فى البلاد الأجنبية، حقا كان يحتل «أمنحتب الثالث» مكان الشرف فى قبره لأنه كان الملك الحاكم وقت نحته،ولكن « أمنمسو » قد ظهر فى منظر فيه وهو يتعبد «لتحتمس الثالث»، كما أنه قد أعطى عناية فائقة إلى تمثيل صورة هذا الفرعون فيه ، فى حين أن المناظر الأخرى كانت عادية فى تمثيلها ، هذا إلى أنه يشاهد فى منظر صور فيه « أمنمسو » يقدم قربانا محروقة للاله « آمون رع » وللاله « حور اختى » وكتب صلوات لهما وللالهة « حتحور » ليهبوا جميعا النصر العظيم لروح « منخبر رع » (تحتمس الثالث) (راجع Davies, J. E. A. Vol. XXVI. P. 132.) . ويلحظ هنا أن هذه الصلاة قد غطيت بلون . فهل معنى ذلك أن « أمنحتب الثالث » حقد على صاحب المقبرة لتأليهه « تحتمس الثالث » ولعنايته بتكريمه ، فى حين أنه كان يعدّ نفسه إلها ، ولذلك أمر بطمس معالم هذا القبر وصاحبه ؟

ومما يلحظ فى مناظر هذا القبر مطبخ ضخم يظن الإنسان أنه مطبخ ملك لامطبخ عظيم من عظماء القوم ، فقد كانت تجهز فيه الأصماغ العطرية والبخور والزيوت العطرية فوق تجهيز الطعام ، كما نجد أن بعض هذه المواد كانت تشكل فى صور خيالية مثل الثيران والأوز المنتوف والمسلات (Ibid. Pl· XXII.) وقد وجدت مثل هذه الصور من هذه المواد منذ عهد الدولة (راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٣٩٢) ويقول « ديفز » إن هذه الأشكال المصنوعة من البخور ربما كانت تحل محل القربات المحروقة الحقيقية .

تبادل التجارة بين مصر « وبنت » : وفى هذا القبر نجد كذلك منظرا لاستقبال جزية البلاد الأجنبية ، ونلحظ فيه أن بعض الأسيويين قد أحضروا عربات(راجع Ibid. Pl. XXIII,XXIV.)؛ ومن بين المناظر التى تسترعى النظر صورة تمثل التجارة التى كانت تتبادل بين مصر وبلاد « بنت » ، وليس لدينا أية إشارة

إلى المكان الذى تقابل فيه المصريون لتبادل سلعهم مع أهل « بنت »، غير أنه فى منظر فى القبر رقم ١٤٠ فى « ذراع أبو النجا » نفهم من وجود سفن ملاحة أهل « بنت » فى البحر الأحمر أنه كانت توجد ميناء على ساحل هذا البحر لهذا الغرض (راجع Davies, M. M. A, (Nov. 1935. Section II. P. 46.) ويحتمل أن تكون « القصير » الحالية (كما يقول ديفز) وهى الواقعة فى نهاية طريق « قفط » الصحراوية ، ويشاهد فى هذا المنظر بقايا صورة « امنمسو » بعربته وخيلها ، وأمامه أهل « بنت » يحضرون سلعهم التى كانت تحتوى على صموغ عطرية بعضها موضوع فى حقائب وأكياس من الجلد، وبعضها مكوم أكواما عظيمة على صوان، أو مضغوط فى هيئة مخاريط ، وكذلك أحضروا معهم جلود قردة وحيوانين حيين، واحد منهما مربوط فى حبل ، والثانى محمل على ذراع رجل (راجع J. E. A. XXVI. Pl. XXV.) ، وهنا نرى الكتاب المصريين منهمكين يدونون سلع المبادلة، ولم يظهر لنا من الصور نوع السلع التى كان يتسلمها أهل « بنت » مقابل بضائعهم ، وقد انتهت العملية برجوع المصريين إلى بلادهم ، وكذلك عاد « امنمسو » فى عربته بعد انتهاء المأمورية ، وقد كان أتباعه يسيرون خلفه على الأقدام ، وكان بعضهم يسوق حميرا محملة بالماء اللازم لرجال الحملة ، وكان آخرون يحملون بعض قطع من الخشب يجوز أنها من الأبنوس الذى استحوذوا عليه من أهالى « بنت » على أن عدم حمل هؤلاء القوم أية أسلحة فتاكة عدا عصى قصيرة لدليل على أن الطريق إلى الساحل كانت مؤمنة بالشرطة أو أن هذه البقعة من الصحراء لم يكن يسكنها قبائل من الذين اعتادوا السلب والنهب .

أمنمس رئيس الرماة : يوجد قبر هذا الجندى فى «جبانة شيخ عبد القرنة» أيضا (رقم ٤٢) وقد حل به من التخريب ما حل بقبر سميه السالف الذكر تماما . وألقابه هى : الأمير الوراثى المقترب من الإله الطيب ، والمشرف على الأراضى الأجنبية الشمالية ، ورئيس الرماة (المشاة) ومحبوب رب الأرضين ورئيس الاصطبل

Davies, "The (راجع) . « رتنو » وعينا الفرعون فى بلاد (Ibid. Pl. XXXIX.)
. (Tombs of Menkheperrasonb, Amenmose and Another", PP. 27 ff.

الفرعون يرسله لتفقد أحوال ولايات آسيا : والظاهر أن هذا الموظف كان مشرفا على بلاد « آسيا » من قبل الفرعون ليتفقد أحوال الأمراء ، ويكون على اتصال بالفرعون حول ما يجرى فى مختلف الولايات ، ولذلك نجد فى قبره منظرا هاما نقش فوقه ، وصول رئيس الرماة فى « نجو » خلال حملة قام بها إلى تلك الجهات مع الفرعون ، (وهو إقليم فى بلاد لبنان) كما نلحظ ذلك من وجود رئيس بلاد لبنان . والمنظر من الوجهة الفنية يدل على أن المفتن المصرى قد بدأ يصوّر المناظر الطبعية على حقيقتها بعض الشىء ، إذ نشاهد فى هذا المنظر بعينه قلعة سورية بجدرانها وشرفاتها وأبراجها ، وقد أقيمت فى وسط غابة كثيفة من شجر الصنوبر ، غير أن الأشجار لم ترسم بصور طبعية بل فى صورة حلية (Ibid. Pl. XXXVI.) ويشاهد الرئيس اللبنانى ينحنى على الأرض أمام « أمنمس » وخلفه آخر يقدم آنية عظيمة ، وآخر يحمل طبقا فيه أحجار كريمة (Ibid P. 40.) وخلفه تأتى هدايا أخرى منها ثوران ، وهذه العطايا ليست عظيمة القيمة ، ولكن قد اختيرت لتمثل محاصيل البلاد المختلفة ، وأسفل ذلك نشاهد جنودا مصريين يمشون مشية مسرعة ، وكانوا مسلحين (بالبلط) والحراب ، كما كانوا يحملون دروعا ثم يأتى خلفهم الكتبة ، ولا بدّ أن هؤلاء الجنود من رجال الحامية الذين كانوا قد استولوا على هذا الحصن .

ولا نزاع فى أن هذا القبر يرجع تاريخه إلى عهد « تحتمس الثالث » إذ عثر على طغرائه فيه ، ولكن يظهر من طغراء آخر أنه عاش كذلك فى عهد الفرعون « أمنحتب الثانى » وبذلك يكون « أمنمس » قد خدم فى عهد الفرعونين . (Davies, ibid' XXXIX)

منخبر رع سنب الكاهن الأكبر للإله آمون : تدل المعلومات التى لدينا على أن والد « منخبر رع سنب » لم يكن صاحب مكانة ممتازة بين رجال عصره ؛ إذ لا نعرف له أى لقب بل قد ذكر باسم « أمنمحات » وحسب ، أما والدته فكانت مرضعة الفرعون ، ويحتمل جدًا أنه الملك « تحتمس الثالث » وتسمى « تاايونت » وكانت فى الواقع بنت امرأة تدعى « نبتا » وهى أخت الفرعون من الرضاعة ، ومن ذلك نعلم أن والدتها كانت كذلك مرضعة ملكية .

ألقابه : وكان « منخبر رع سنب » يحمل الألقاب والوظائف التالية : الأمير الوراثى ، والذى ينال رضاء قلب الملك بإتقان آثاره ، ومدير أصحاب الحرف ، والمشرف على أعمال «آمون» فى « وثتون آمون » (اسم مكان) ، والكاهن الأكبر للاله « آمون » والسمير العظيم الحب ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضة ، ورئيس أسرار الإلهتين « وازيت » و « نخبت » ووالد الإله ، والمشرف على مخازن الغلال للإله « آمون » والمشرف على الغزالين فى الوجهين القبلى والبحرى ، والممدوح من الإله الطيب ، والمشرف على الوظائف ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والمشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى (الوزير الدينى) ؛ وكل هذه الألقاب نقشت فى قبره رقم ٦٨ أما فى قبره رقم ١١٢ ، فقد وجدنا فضلا عما ذكر الألقاب والنعوت الآتية : الفم الذى يهدئ كل الأرض قاطبة ، والرئيس الأعلى فى بيت الملك ، وكذلك وجدنا على تمثال له فى المتحف البريطانى الآن لقبين آخرين زيادة على ما سبق ، وهما الكاهن الثانى للإله «آمون» والكاهن «سم» .(Hall, J. E. A. Vol. XIV. P. 1, Pl. III) والواقع أن «منخبر رع سنب » قد أقام لنفسه قبرين وكلاهما فى « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٨٦ ، ١١٢) . والأخير هو القبر الهام والظاهر أنه القبر الذى ووری فيه (راجع .Cavies. "The Tomb of Menkheperasonb etc." PP. 18ff) .

ومما يجدر ذكره فى هـذا القبر أنه لا يحتوى فى معظمه إلا على مناظر تقليدية خاصة بالروح (كا) وما يهيئ لها متاعها . أما القبر الثـانى وهو رقم ٨٦ فيحتوى على مناظر لهـا علاقة بنشاط « منخبر رع سنب » فى نواحى الحياة الحكوميـة والاجتماعية والسياسية، ولذلك فإنه لا يشمل إلا مناظر قليلة جنازية ، وهذا من الأمور التى تسترعى النظر فى قبر رجل يشرف على الأمور الدينية فى كلا القطرين ، فضـلا عن أنه كان يعدّ القائد الروحى فى أكبر معبد لأكبر إله وهو « آمـون » ملك الآلهة وسيد « الكرنك » .

الوظائف العليا والكهنة : ويجب ألا يعـزب عن ذهننا أن الوظائف العليا التى كان يشغلها الكهنة كانت خاصة بالعمل على رفع نفوذ وزيادة ثروة الإله « آمون » وقوته فى عالم الدنيا، ولذلك فقـد كان من أوّل واجباتهم للوصول إلى مثل هـذه المكانة الرفيعة أن يكونوا رجال إدارة ومهندسى عمارة إلى حدّ بعيد . والواقع أن الفرعون كان فى معظم الأحيان يرجع إلى مشورتهم فى مثل هذه الأمور، (Ibid. P. 2.) ولهذا نجد أن مثل هذه المناظر التى كانت تصوّر لنا أعمالهم فى الحياة الدنيا ونشاطهم للرفع من شأن الإله والفرعون معا، هى التى نشاهدها تزين جدران قبورهم ، وتحتل المكانة الأولى فيها . على أن هؤلاء الكهنة كانوا دائمـا يجعلون نصب أعينهم أن يرجعوا كل أعمالهم وأفعالهم للإله الذى يخدمونه فى شخص الفرعون حتى يبـق سلطانهم عظيما ومكانتهم محترمـة، فمن المناظر التى تسـترعى النظر على جدران مقبرة الكاهن الأوّل « منخبر رع سنب » منظر إحضار الهدايا أو الجزية للفرعـون من البلاد الأجنبية النائيـة ممثلة فى رئيس بلاد « كفتيو » وأمير بلاد « الخيتا » وأمير « تونب » وأمير « قادش » فنشاهد فى هذا المنظر الفرعون بعـد أن قبل طاقة أزهار الإله « آمون » من يد الكاهن الأكبر يسـتقبل وفود هؤلاء البلاد يقدّمهم له. وقد نقش أمامهم المتن التالى : تقديم المديح إلى رب الأرضين، والخضوع للإله الطيب من رؤساء كل البلاد وتمجيدهم انتصارات جلالته ، وجزيتهم على ظهورهم وهى كل محصول

من أرض الإله : فضة ، ولازورد ، وفيروزج ، وكل حجر فاخر ثمين ، مؤملين أن يمنحوا نفس الحياة
. (Ibid P. 5.)

ولكن مما يلحظ هنا أن كل هذه البلاد لم تكن خاضعة للحكم المصرى فى هذه الآونة، والواقع أن الفرعون وكاهنه الأكبر كانا يريدان أن يظهرا مقدار امتداد نفوذ مصر وسلطانها فى هذا العهد، ولذلك نجد منقوشا فوق الأسيويين الذين كان يسيطر عليهم فعلا المتن التالى : « ما أعظم سلطانك ! ... وإن الأراضى ترتعد منها حتى «حايونبوت» (أهالى الشمال وجزر البحر الأبيض) وإن الخوف منك يحيط بالدائرة العظمى ، والفزع فى كل الأراضى وإنك قد خربت أرض "المتنى" وقد محوت مدنهم ، ورؤساؤهم آووا إلى الكهوف » .

ومما يلفت النظر أنواع الجزية التى قد أحضروها فقد كان معظمها يشمل أوانى وآلات مصنوعة مما تنتجه هذه البلاد ، وكذلك الخيل التى كانت تحتاج إليها مصر فى هذه الآونة بسبب الحروب التى كانت تشنها

منخبر رع سنب يتسلم جزية بلاد النوبة : وفى منظر آخر نشاهد « منخبر رع سنب » يتسلم ذهب صحراء « قفط » وذهب بلاد النوبة الخاسئة جزية سنوية . والمنظر يمثل لنا الذهب فى صور مختلفة بعضه حلقات، وبعضه تبر، وجزء منه سبائك وضعت كلها فى حقائب مختومة استعرضت على حصير، وبجانب هذا كاتب يدوّن الوزن . وهنا نشاهد رئيس المازوى (شرطة الحدود والصحراء) ورئيس مناجم الذهب يقبلان الأرض بين يديه ، وخلفهما رؤساء الصيادين وقد أحضروا معهم فى حملتهم هذه نعاما وريش نعام ، وبيض نعام ، ووعولا وأرانب مما اقتنصوه فى الصحراء فى أثناء اجتيازهم لها .

منخبر رع سنب يفتش مصانع آمون : وفى هذا القبر منظر آخر نشاهد فيه « منخبر رع سنب » يفتش مصانع معابد « آمون » ويشرف على العمال الذين كانوا يقومون ببعض الأعمال التى قد طلبها الفرعون شخصيا ، ومما يلحظ هنا أن نظام العمل فى هذه المصانع كان ممتازا ؛ إذ نشاهد عمال المعبد يتسلمون المواد

الغفـل و يوزعونها كل على حسب حاجته فى حين أنه كان يوجد كتبة يدوّنون ما كانت تتسلمه كل جماعة من العمال . ونرى فى هذه المصانع صناعة العربات ، وصناعة القسى والسهام ، كما يشاهـد الحدّادون يصبون بابا من نحـاس وآخرون يصنعون أوانى دقيقة وقاعدة مصباح من الذهب .

منظر الحصاد وتوزيعه : ولدينـا فى قبر هـذا العظيم منظر للحصـاد غاية فى الأهمية لمـا يحتوى من تفاصيل و إيضاحات تفسر لنـا واجبات « منخبر رع سنب » بوصفـه المشرف على مخازن غلال « آمون » فنشاهد القمح وقـد طاب للحصاد ، ولكن قبل أن يحصد المحصول كانت تحـدّد الحقول ليقدّر عليها نصيب « آمون » . و بعـد ذلك كانت تمسح الأرض المزروعة بوساطة خيط القياس ثم يعين ما عليهـا . وقـد كان يوجد أحد رجال الشرطة وقت إجراء هـذه العملية ليحفظ النظام ، ولذلك كان يرى أصحاب الحقـول يسيرون فى خضوع ومسكنة خلف هؤلاء المساحين ، وقد كان للإله « آمون » بطبيعة الحال نصيب الأسـد فى هذه الحقول، و بعد ذلك كان الفلاحون فى حل من حصد محصولهم وما أشبه البارحة باليوم ، إذ لا يزال الفلاح يعانى من رءوس الأموال الظالمين معاملة أقسى وأظلم ، إذ نفهم من المناظر القديمة أنه كان يترك للفلاح شىء على أية حال ، أما فى أيامنا فقد لا يترك له شىء بل تطلب منه غرامة يدفعها بماشيته بل و بيته الذى يسكن فيه (راجع : Ibid XVII-XVIII.) إذا خاب المحصول بسبب آفة طبعية !

والظاهر أن « منخبر رع سنب » لم يعقب خلفا ؛ إذ لم يذكر لنـا اسم أى فرد من أبنائه ، وربما يعزى ذلك إلى أنه لم يتزوّج . فلم يذكر لنا اسم زوجة له على منـاظر جدران قبريه ؛ بل كانت والدته هى التى ترسم معـه . حقا نشاهد امرأة أخرى صوّرت تحت كرسيه بحجم صغير كحجم قرده الأليف؛ غير أنه لم يذكر اسمها قط؛ وكذلك من الأمور التى تلفت النظر فى نقوشه أنه لم يذكر لنا لقبه بوصفه كاهنا ثانيا للإله « آمون » قبل أن يكون كاهنا أول . وهـذا اللقب « الكاهن الثانى »

لم نجده إلا على تمثاله الذى عثر عليه فى معبد « الكرنك » كما ذكرنا ، ويحتمل أن الذى قد خلفه فى هذه الوظيفة هو « بو أم رع » كما يحتمل أنه هو نفسه قد خلف « حبو سنب » الذى كان يشغل وظيفة « كاهن أول » فى عهد «حتشبسوت». أما الذى جاء بعده فهو الكاهن الأول « مرى » (راجع : Ibid P. 16.) .

أمنحاب المسمى معحو : لقد مرّ بنا ذكر « أمنحاب » فى مناسبات عدّة فى حروب « تحتمس الثالث » وسيأتى ذكره كذلك عند الكلام على « أمنحتب الثانى » .

غير أننا سنورد تاريخ حياته بنوع من التفصيل ، وبخاصة فى ملازمته « تحتمس الثالث » فى حروبه الكثيرة ، لأنها من التراجم القليلة التى تحدّثنا عن حروب هذا الفرعون ، وقبل أن نوردها هنا سنضع أمام القارئ النعوت والوظائف التى منحه إياها الفرعونان «تحتمس الثالث» وابنه «أمنحتب الثانى» : — الأمير الوراثى ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب والمقرب جدًا من رب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، والذى يتبع سيده فى صيد الطيور ، والذى على رأس سماره وعلى رأس أتباعه ، والضابط ونائب الجيش ، والسمير الوحيد ، وفم ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى والذى فى قلب « حور » (الملك) فى بيته ، والذى يتبع الملك فى حملاته على الماء والأرض فى كل البلاد الأجنبية ، وفى كل مكان يسير فيه جلالته ، رفيق الرضاعة ، وأول حارس يتبع خطوات رب الأرضين ، وحارس خطواته على الماء وعلى الأرض فى كل البلاد الأجنبية ، وعينا الملك « حور » وتابع الملك ، والعظيم فى وظيفته ، والنبيل المفضل على كل عظماء الملك ، رئيس الرماة ، والنائب ، وغير ذلك من النعوت والألقاب ، غير أن أعظم لقب ناله فى أخريات حياته هو لقب « نائب جيش الفرعون » .

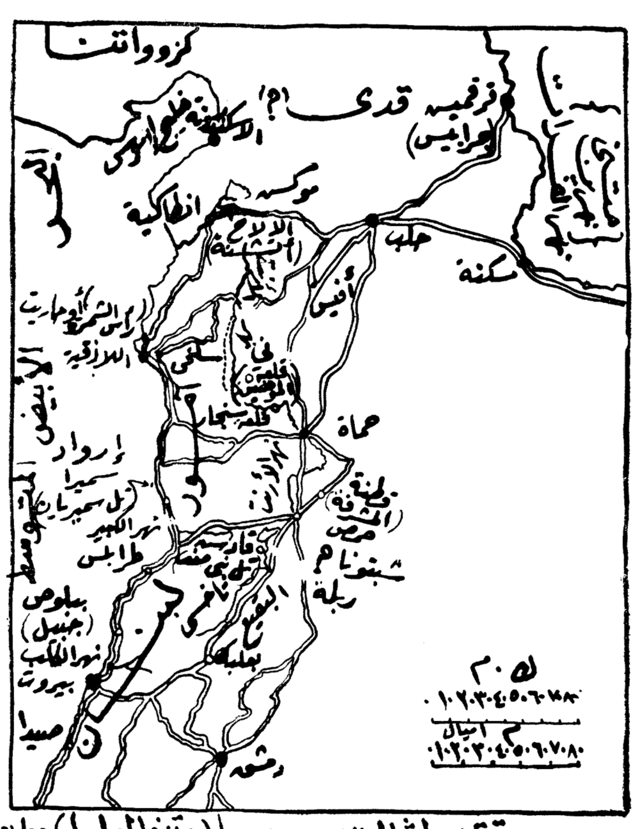
وترجمة حياة « أمنمحاب » قد تركها لنا منقوشة على جدران قبره فى « جبانة شيخ عبـد القرنة » (رقم ٨٥) وهو يحتوى على مناظر عدّة تلقى بعض الضوء على حياته أيضا وسنذكرها بعد .

وهاك ترجمته لنفسه كما جاءت على جدران قبره :

ترجمته لنفسه : الضابط «أمنمحاب» المرحوم قال : لقد كنت صادقا جدا للفرعون له الحياة والعافية والصحة ، وصاحب عقل راجح لدى ملك الوجه القبلى ، وخير ، وذو قلب مفيد لدى ملك الوجه البحرى ، عند ما كنت أتبع سـيدى فى رحلاته إلى البلاد الأجنبية الشمالية والجنوبيـة ، وقد كان يرغب فى أن أتبع خطواته عند ما يكون فى ساحة القتال فى انتصاراته ، وكانت شجاعته مما يحصن القلب ، ولقد حاربت يدا ليـد فى أرض « نجب »(1) وعدت بثلاثة رجال أسرى أحياء ، وعنـد ما اقترب جلالته من «نهرين» أحضرت ثلاثة رجال من هناك ، ووضعتهم أمام جلالتك أسرى أحياء ، ولقد عدت للقتال يدا ليد فى هذه الحملة فى بلاد مرتفع « وعن » الواقعة غربى «حلب» (انظر مصور سوريا الشمالية رقم ٣٤) وقـد أحضرت ثلاثة عشر أسـيرا حيا وسبعين حمارا ، وثلاث عشرة حربة من البرنز ، والجشت المموّهة بالذهب ، ... أيضا ثم عدت للقتال ثانيـة فى تلك الحملة الخاصة ببلاد « قرقيش » وقد أحضرت ... أسرى أحياء ، وعبرت مياه « نهرين » وهم فى يدى إلى ... ... ووضعتهم أمام سـيدى ، وقد كافأنى مكافأة عظيمة . قائمة بذلك : ... ... « ولقد رأيت انتصارات ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، معطى الحياة فى بلاد « سنجار » (انظر مصور ٣٤) عند ما وقعت مذبحة عظيمة بينهم وقد حاربت يدا ليد أمام جلالة الملك ، وقد أحضرت يدا من هناك ، وكافأنى بذهب الشرف . قائمة بذلك : ... ... حلقتان من الفضة ، وقد رأيت ثانية شجاعته عند ما كنت مع أتباعه ، فقد استولى على مدينـة « قادش » ولم أكن غائبا عن المكان الذى كان فيـه ، وقد أحضرت اثنين من الأشراف (مرينا) أسرى أحياء ، وقـد وضعتهما أمام ملك الوجه القبلى رب الأرضين « تحتمس الثالث » عاش مخلدا ، وقـد منحنى ذهبا بسبب شجاعتى أمام كل الناس . قائمة بذلك : سبع وقلادتان من أحسن الذهب ، وكذلك ذبابتان ، وأربعة أساور معصم ، ولقد شاهدت سيدى فى ... ... فى كل صورة فى بلاد أخرى ، وفى نهايات الأرض ... وبعد ذلك رقيت لأكون ... ... فى سير الجيش جميعا . ولقد شاهدت ثانية انتصاراته فى بلاد «تخسى» الخاسئة ، فى بلدة « مريو » ... وقد حاربت يدا ليد أمام جلالة ملك الوجه القبلى ، وقد أحضرت ثلاثة من الأسيو يين أسرى أحياء ، وقد منحنى على ذلك سيدى ذهب الثناء .

---

(1) نجب : إقلـيم فى جنوبى جبـال يوده (راجع Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", PP. 154. ff.) .



(٣٤) مصور تقريبي لشمال سوريا (رتنو العليا) وما بعدها

قائمة بذلك : قلادتان من الذهب وذبابتان ، وأسد ، (من الذهب أيضا) وأمة وعبد ، وكذلك شاهدت ثانية عملا ممتازا قام به رب الأرضين فى « نى » (قلعة المضيق انظر مصور ٣٤ Kal'at el Mûdik) فقد اصطاد عشرين ومائة فيل لأجل أسنانها وقد نازلت أكبر الفيلة من بينها لأنه هجم على جلالته ، وقد قطعت يده (أى خرطومه) وهوحى أمام جلالته ، وذلك عند ما كنت واقفا فى الماء الذى كان بين صخرتين ، وقد كافأنى سيدى على ذلك بالذهب ، وأعطانى ثلاث حلل (خمسة أذرع كل منها) وقد أطلق أمير « قادش » فرسا واحدة تجرى على أرجلها ، وقد دخلت فى وسط الجيش ، وقد تبعتها على قدمى وأنا أحمل سيفى ، فبقرت بطنها وقطعت ذيلها ووضعته أمام الملك ، من أجل ذلك حمد الله . ولقد منحنى السرور الذى ملأ به نفسى ، وكسا أعضائى .

وقد أرسل جلالته كل شجاع فى جيشه لنقب الجدار لأول مرة ، وهو الذى أقامته «قادش» ، وكنت أنا الذى نقبته لأول مرة ، وبذلك كنت أول كل الشجعان ، ولم يفعل ذلك آخر قبلى ، ولقد برزت وأحضرت اثنين من « المرينا » (أى الأشراف) أسرى أحياء ، وقد كافأنى سيدى ثانية على ذلك بكل شىء جميل يسر القلب ، وقد قمت بهذا الاستيلاء وأنا لا أزال ضابطا فى السفينة «وسرحات» ، وكنت أنا الذى أدير أمراس سفينة « آمون المسماة وسرحات » ، وكنت على رأس نواتيها عند سياحة «آمون» فى عيد « آمون » الجميل المسمى « إبت » (الأقصر) عند ما تكون كل الأرضين فى ابتهاج ، تأمل ! لقد أتم الملك عمره فى سنين عدة طيبة ، وكان شجاعا قويا ومنتصرا من أول سنة حتى العام الرابع والخمسين الشهر الثالث من فصل الزرع آخر يوم فى الشهر من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبررع » المرحوم ، وعندئذ رفع إلى السماء وانضم إلى « آتون » وامتزجت أعضاؤه مع خالقه . وعند ما أضاء الصباح وطلعت الشمس وأشرقت السماء مكن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أمنحتب » على عرش والده وتسلم ألقابه الملكية ، وامتزجت كلها وضم ... وقطع رءوس أمراء الأرض الحمراء ، وتوج بوصفه « حور بن إزيس » واستولى على ... وكل الأرض تنحنى لقوته ، وجزيتهم على ظهورهم لأجل أن يمنحهم نفس الحياة .

وقد لحظ جلالته أنى أجدف تجديفا مدهشا معه فى سفينته المسماة : « أمنحتب يتوج بالعدل » ، وكنت أجدف بكلتا يدى فى العيد الجميل (الأقصر) مثل جمال الأفق حتى وصل إلى الشاطئ ، وقد أمرت أن أصعد داخل القصر ، وأمرت أن أقف أمام ابن « آمون » وإنه « أمنحتب » العظيم البطش ، وقد انحنيت فى الحال أمام جلالته . وقال لى : إنى أعرف أخلاقك منذ أن كنت فى المهد ، وعند ما كنت تتبع والدى ، وإنى أمنحك وظيفة نائب الجيش كما قلت فأشرف على نخبة جنود الفرعون . وقد نفذ نائب الجيش « محو » كل ما قاله سيده .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن بعض المؤرخين يدعون أن « أمنحاب » قد خلط فى ترتيب وقائع تاريخ حياته ، مقدما بعضها ومؤخرا البعض الآخر ، ولكن البحث الذى قام به « جاردنر » يثبت الى حد ما أن بعض هذه الحوادث الحربية لم يكن فيها خلط قط (راجع J. E. A. Vol. 32. P. 40.) .

وقبر « أمنحاب » يحتوى على عدة مناظر هامة منها : منظر إحضار الجزية الأجنبية على يد ممثلين من الولايات الأسيوية ، ومتن تاريخ حياة « أمنحاب » الذى أوردناه هنا قد نقش فوق صورة هذا الضابط الشجاع فى منظر يمثله وهو واقف أمام « تحتمس الثالث » يقدم له جزية شمالى « سوريا » وقد كتب المتن التالى تفسيرا له : « يقدم رؤساء كل البلاد الأجنبية المديح لرب الأرضين ، والثناء « لتحتمس الثالث » وجزيتهم على ظهورهم وتشمل [فضة وذهبا ولازوردا] وقطع فيروزج (؟) وقصديرا وزيتا (؟) وخمرا وماشية ، وبخورا ، وإنهم يرجون لأجل ..... وأمانا من جلالته أملا فى أن يعطوا نفس الحياة فى أنوفهم ، وكل رؤساء « رتنو » العليا ، وكل رؤساء « رتنو » السفلى ، وأرض « الكفتيو » وأرض « مننوس » (؟) وكل أرض أجنبية مجتمعون يقولون : ما أعظم شهرتك يأيها الملك المظفر والملك المحبوب من « رع » ! لقد بعثت خوفك فى كل البلاد الأجنبية ، والرهبة منك فى كل البلاد الأجنبية (؟) تأملنا فنحن تحت نعليك »

الفرق بين المستعمرات المصرية والبلاد الموالية : على أن أهم مايلفت النظر فى هذا المتن هو اسم بلاد « مننوس » . (منوس Menus)، وقد جاء ذكر « كفتيو » و « مننوس » و « رتنو » فى مكان آخر . (راجع Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. XII.) . غير أن ذلك لا يعنى أن « كفتيو » و « مننوس » ، كانتا ضمن أملاك مصر . وحقيقة الأمر أن المصريين كانوا فى هذه الفترة من تاريخهم ينظرون إلى كل البلاد نظرة القوى للضعيف ، وأنه لا مثيل لهم ، فالبلاد التى كانت تحت سلطانهم مباشرة ، وهى التى أخضعوها بحذ السيف كانت تلقب بالخاسئة ، أما البلاد الأخرى التى كانوا لا يصلون إلى إخضاعها بحد السيف فإنهم كانوا لا يتكلمون عنها أو يذكرونها بشىء من العداء

أو الاحتقار ، ومع ذلك نجد أن « الكفتيو » و « مننوس » قد ذكرتا بين الأقوام الخاضعة ، وبخاصة « مننوس » التى كانت بعيدة عن مصر ، ويقول « ديفز » إنها ربما كانت مدينة (مالوس Mallus) القريبة جدا من ساحل « كليكيا » (آسيا الصغرى) ، ولكنا نعد ذلك نوعا من السيطرة الاسمية والزهو الفرعونى .

ومن المناظر الغريبة التى نصادفها فى مقبرة هذا القائد العظيم منظر الضبع التى قابلها ، وقد تكلمنا عنه فيما سبق ، غير أن « ديفز » يفسره بأنه منظر الفيل الذى قطع طومه ، وأن الرسم هنا غير دقيق لأنه قد رسم من المخيلة إذ لم يكن هذا الحيوان مألوفا عند المصريين .

منظر صرف المؤن للجيش : ومن المناظر الهامة فى هذه المقبرة كذلك المنظر الذى مثل فيه « أمنمحاب » واقفا أمام باب القصر الملكى بوصفه قائدا وهو يراقب الكتاب يسجلون ما يصرف للجيش من الجرايات (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 94.) . وقد كتب النقش التالى على المنظر : وصول الجنود إلى القصر ليتسلموا مئونتهم من خبز ولحم بقر ، ونبيذ وفطير وكل خضر جميل وكل شىء جميل يفرح القلب أمام الإله الطيب بوساطة ... ... نائب الجيش ، ورفيق الرضاعة « أمنمحاب » . وهذا يدلنا إن صح ما ذكر على أن الجيش كان يقدم له أحسن الأطعمة وأفخرها بالنسبة لعصره وغير عصره .

زوج أمنمحاب تلعب دورا فى حياته الحكومية والظاهر أن زوج « أمنمحاب » قد لعبت دورا هاما فى تاريخ حياته ، إذ كانت « باثت » زوجه مربية الفرعون «أمنحتب الثانى» ولذلك نراه قد رقاه إلى رتبة «نائب الجيش» ، وكانت تحمل الألقاب التالية : مغنية « آمون » والمرضعة العظيمة لسيد الأرضين التى تضم « حور » (أى الملك) إلى ثديها . والوصيفة الملكية ، ونشاهد على جدران المقبرة منظرا « لأمنمحاب » وزوجه يفتشان المعدات التى أهداها إياهما

الفرعون، وكذلك التمثال الذى وضعه لها فى المعبد (راجع Urk IV P 914)؛ وهذا يدل على عطف الملك على مرضعته وزوجها نائب جيشه، وكذلك نشاهد «أمنمحاب» تصحبه زوجه وهما يحملان أزهارا وقرابين أخرى للفرعون « أمنحتب الثانى » عند ما كان يقـدّم احترامه للاله « أوزير » . كما نشاهد ابن « أمنمحاب » يقدّم لوالده طاقة أزهار .

أمنمحاب يخـرج للصيد وزيارة حديقته : وكذلك نرى خادما يقـدّم لصاحب المقـبرة وزوجه ماء للشرب . هـذا ونرى « أمنمحاب » يخرج لصـيد السمك وصيد الطيور للتسلية، ثم نراه يزور حديقته وقد زينت بالأزهار والأشجار. ويقول المتن :

الخـروج إلى المدينـة ، ورؤية « امون » والتمتع بالضوء الذى يمنحه قرصها (أى الشمس) وتسلية القلب فى بطاح الغرب ، والغدو والرواح فى بحيرتها ، وترويح القلب تحت ظلال جميزتها ، وزرعها بأزهارها وشرب المـاء اللذيذ من بركتها ، وشم السوسن ، وقطف الأزهار بوساطة الأمير الوراثى ، المقرب من رب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب « نائب الجيش » «أمنمحاب» . وهكذا كان ينعـم المقربون من الفرعون بملاذ الحياة الدنيـا ، كما كانت تتوفر لهم أسـباب الرفاهية للتمتع بألوان النعيم المقيم فى آخرتهم ، وقد خلدوه على جدران مقابرهم . أما الشعب فكان نصيب أفراده على ما يظهر واحدا فى كلتا الحالتين إذا صـدّقنا ما يقومون به من أعمال شاقة، وما يحتلونه من وظائف وضيعة فى ظل هؤلاء المحظوظين على الرغم مما قاموا به من حروب طاحنة لمساواتهم بأولئك العظماء والملوك فى عالم الآخرة .

أنتف الحاجب : لقـد ذكرنا فيما سبق ما كان يقوم به من عمـل جليل للفرعون «تحتمس الثالث» فى أثناء تنقلاته فى حروبه فى بلاد « آسيا » من الوجهة الحربية كما ذكر لنا على لوحته المحفوظة « باللوفر » الآن . ولقد بقيت معلوماتنا قاصرة على ما جاء عليها إلى أن كشف عن قبره فى جبانة ذراع أبو النجا رقم ١٥٥ (راجع Porter & Moss, "Bibliography", I. P. 145.) ومن نقوش هـذا القبر

ومما جاء على لوحته نعرف أنه كان يحمل الألقاب والنعوت التالية : الأمير الوراثى ، والسمير العظيم الحب ، عمدة « طينة » ورئيس كل الواحات ، والحاجب العظيم للفرعون ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وكاتب الحسابات الممتاز ، والحاجب الأول لقاعة المحاكمة ، ومدير البيت العظيم ، والمشرف على مخازن الغلال ، ومدير كل أعمال بيت الملك .

ترجمة حياة أنتف لنفسه تنم عن روح العصر الخلقية : وقد ترك لنا « أنتف » هذا على لوحته الشهيرة فضلا عن الأعمال التى كان يقوم بها لراحة الفرعون وصفا رائعا يدل على ما كان له من مكانة ممتازة مما يقرب إلينا صور أمثال هذا الرجل العظيم ، وما كان يجب أن يتصفوا به من الصفات العالية من الوجهة الخلقية بالنسبة لعلاقتهم بالشعب ، كما كشف لنا النقاب عما كان ينتظره من خلفه لإحياء ذكره ومدّ روحه بالقربان . والواقع أن ما كان ينقشه أمثال هؤلاء الرجال الممتازين على الرغم مما فيه من مبالغات وخيال خصب ، يمكن المؤرخ من أن يستخلص منه حقائق عظيمة عن حياة القوم من نواح عدّة ، ولسنا نميل كل الميل مع هؤلاء المؤرخين الذين يقولون إن كل هذه الوثائق التى تتحدّث عن جميل أخلاق أصحابها وفضائلهم ليست إلا تقليدا أجوف نقله الخلف عن السلف ، إذ أن مجرّد تكريرها يؤكد لنا أن القوم كانوا يعلمون أنها هى التى يجب أن يتخذها الرجل المستقيم نبراسا ومثلا يسير على هديه ليصل إلى حسن الأحدوثة فى عالم الدنيا والخلود والنعيم المقيم فى عالم الآخرة . ومن أجل ذلك سنورد هنا الجزء الأعظم مما جاء على لوحته هذه فاستمع إليه وهو يقول مخاطبا الأحياء : أنتم يامن تعيشون على وجه الأرض ، و يأيها المواطنون ، وكل كاهن مطهر ، وكل كاتب وكل كاهن مرتل سيدخل هذا القبر فى الجبانة ، إذا كنتم تحبون الحياة الدنيا ولا تفكرون فى الموت ، وأن يحبكم آلهة مدنكم (الآلهة المحلية) ، وألا تذوقوا رهبة أرض أخرى ، وأن تدفنوا فى مقابركم ، وتخلفوا وظائفكم لأولادكم وجب على كل فرد منكم يقرأ هذه الكلمات على هذه اللوحة أو يسمعها أن يقول : قربانا يقدّمه الملك « لآمون » رب تيجان الأرضين ليعطى ألفا من الخبز ، وألفا من الجعة ، وألفا من البقر ، وألفا من الأوز ، وألفا

من آنية المرمر ، وألفا من قطع النسيج [وألفا من الشمع وألفا من الزيت] من أجل روح الأمير الوراثى وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيـد ، والمقرب من الفرعون ، بوصـفه مدير جيشـه ، والذى يعين موظفى الجيش ، و يقترع جنوده ، والذى يعـدّ السمار والذى يقود الأشراف ، والذى يجعـل خلصاء الفرعون يصلون إلى أماكنهم ، قائدالقوّاد ، ومرشد ملايين الرجال ، والرئيس صاحب الوظائف الرفيعـة ، صاحب المكانة المتقدّمة ، والممتـاز فى الحضرة ، والذى يرفع كلمات المواطنين (للفرعون) ، والذى يضع التقارير عن شئون الأرضين والذى يتحـدّث عن الشئون فى المكان السرى ، ومن يدخل محملا بالأشياء الطيبة ، ويخرج بالحمد ، ومن ينصب كل إنسان فى مكانة والده ، ومن يسر القلب ، ومن يثنى على أهل الثناء ، ومن يقف عند كلامه العظماء ، ومن يضع الأنظمة فى القصر ، ومن يجعل كل فرد يعرف واجباته ، ومن يضع الحدود فى القصر (للإدارة) ، ومن يخلق الرهبـة فى المكان العظيم ، ومن يسكت الأصوات ، و يوجد المكانات العاليـة ، ومن يحفظ القـوم فى مكان الصمت ، ومن يعـدل ميزان الإله الطيب ، ومن يرشد القوم لما يفعلونه ، ومن يقول فليعمل ، وعلى ذلك ينفـذ (ما أراد) كما تخرج من فـم الإله ، ومن يضع الأوامر للقوم على حسب أعمالهم للـملك ، ومن يحدّد حساب كل بلد أجنبية ، ومن يقـدّم جزية أمرائهم ، والعظيم فى شئون حساب الأعداد ، اليقظ ... عمل ، ومن يعرف ما فى قلب الملك له الحياة والفـلاح والصحة ، واللسان الذى يتكلم لمن فى القصر ، وعينا المـلك ، ولب رب القصر وتعليم كل الأرض ، ومن يغـل العاصى ، ومن يهدىء الثائر ، ... من العاصى ، قوى الساعد مع اللصوص ، ومن يستعمل العنف مع من يستعملون العنف ، قوى القلب مع أقوياء القلوب ، ومن يخضع بساعده من كان عالى الظهر (أى قويا) ومن ينهى ساعة قاسى القلب ، ومن يجعـل المذنب يعمل على حسب قواعد القانون على الرغم من أن قلبه غير راض ، والعظيم الفزع بين المجرمين ، ورب الخوف بين ثائرى القلوب ، ومن يغل القرن ، و يصدّ الشرس ، و إنه أمان القصر ، ومؤسس قوانينه ، ومن يهـدئ الدهماء لسيدهم ، الحاجب الأوّل لقاعة المحاكمة ، حاكم « طينه » ورئيس كل بلاد الواحات والكاتب الممتاز الذى يحـل الكتابة « أنتف » المنتصر .

صفاته : العاقل الوحيـد ، المزوّد بالمعرفة » والسليم حقا ، ومن يميز بين الجاهل والعـالم ، ومن يمجد الصانع ، ومن يولى ظهره للجاهل ، والفتى القلب ، والتام العقل جدا ، ومن يضع قلبه ليصغى ، ورجل ... والمبرأ من الغش ، والمفيـد لأسياده والمتزن اللب دون مين فيه ، والمدرب على كل السبل ، والحامى اللبق ، ومن تسمع تضرعاته ، واللطيف مع العصبى (أى البارد الحامى) ، ومن يتدخل لأجل ما يفعل على حسب تصميماته ، ومن لا ينسى العدل ، ومن يفهم القلب ، ومن يعرف ما فى النفس دون أن يخرج شىء من الشفتين ، ومن يتكلم على حسب ضميره ، ولا يوجد إنسان لم يكن قـد عرفه ، ومن يولى

وجهه لمن يتكلم الصدق ، وظهره لمن يتكلم الكذب ، ومن يعمل السوء ... رجل ، ومن لا يكون مهـذبا مع الثرثار، إذ يعارضه بعمل الحق ، ومن يقنع بعمل ما يرضى، ومن لا يرفع من لا يعرف على من يعرف ، ومن يسير وراء الحق . ومن يلتفت لسماع الشكايات ، ومن يحكم بين الرجلين فيصلح بينهما دون أن يكون محابيا للكاذب ، وإنه خلو من المحاباة ، ومعط صاحب الحق حقه ، ومعاقب المجرم على جرمه ، خادم الفقير ، ووالد الأيتام ، ومرشد من لا أب له ، وأم الخائف ، وسجن المتغطرس ، وحامى المريض ، والمنتقم لمن حرم أملاكه ممن هو أقوى منه ، وزوج الأرملة ، وحامى اليتيم ، وموضع راحة الباكى ، والممدوح لعلمه ، والمحترم بثناء الله عليه ، وذلك لرفعته ، ومن يتمنى له كل القوم الصحة والعافية ، الحاجب العظيم لقاعة المحاكمة » (الخ ألقابه) .

أنتف يؤكد صحة كلامه ويقدّم تقريرا عن حياته : فيقول :

هذه هى صفاتى التى أحملها ، وليس فيها مين ، وهذه هى محاسنى حقا وليس فيها مبالغة ، وليس فى هذه الكلمات تمثيل مبالغ فيه عن نفسى بالكذب ، ولكن يكون هذا صحيحا لو كنت أتظاهر به وحسب ، وهذه كانت وظائفى فى بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، وهـذا هو ما قمت به فى قاعة المحاكمة وقلبى هو الذى حدا بى أن أفعلها ، بإرشاده لى ، وقد كان هو مرشدى الممتاز فلم أتخط مقاله ، وكنت أخشى أن أتعدّى إرشاده ، وقد أفلحت بسببه كثيرا ، وقد كنت ممتازا بما جعلنى أقوم به ، وكنت ماهرا بهديه ، ... وإنه وحى من الإله الذى فى جوف كل إنسان ، وإنه ناصح قد أرشد إلى الطريق الطيبة للفلاح ، تأمل ! هكذا كنت ‟

مكانة أنتف : ومن هـذا النقش الذى جمع كل أعمال هذا الرجل العظيم ، وما كانت تتطلبه وظيفـة الحاجب الأوّل للفرعون نلحظ أوّلا ثقـل أعباء هذه الوظيفة ، إذا كان حقـا كل مانسبه إليها من مهـام . يضاف إلى ذلك ماوصف به نفسه من صفات وأخلاق تضعه فى المرتبة الأولى بين الموظفين الذين نقرأ عنهم الأقاصيص الخيالية ، إذ فى الواقع نجد أنه قد صوّر لنـا الرجل العظيم لا الموظف العظيم ولا غرابة إذن إذا كان « تحتمس الثالث » كان قد انتخبه ليكون فى ركابه وحملاته ، ووكل إليه أشق مهمة ، وهى الإشراف على شخصه والمحافظة عليه فى البلاد النائية عن الوطن .

هذا وقد ترك لنا « أنتف » فى قبره عدّة مناظر معظمها مهشم ، وأهمها منظر الأجانب يحملون الهدايا (راجع Meyer, "Bericht uber eine Expedition nach Aegypten zur Erforschung der Darstellungen der Fremdvolker", P. 728 - 9.) . وكذلك نساء أجانب (Ibid. 623) ، وكذلك منظر أتان تلد ، ومناظر لصيد الطيــور والصيد فى المستنقعات (راجــع Porter and Moss, "Biblio- graphy", I, P. 145.) .

أمو نزح حاجب الفرعون : كان « أمو نزح » حاجبا آخر للفرعون « تحتمس الثالث » ويرجع تاريخ قبره الى أواخر عهد هذا الفرعون، وقد ظهرت صورته فى رسوم مقبرة « وسرحات » فى « جبانة شيخ عبد القرنه » رقم (٥٦)، ويظن الأثرى « ديفز » أنه كان والد « وسرحات » ، وأنه قد لاقى نفس المصير الذى لاقاه الوزير « رخ مى رع » معاصره ، ومن المحتمل كذلك غيره ممن قــدّر عليهم سوء طالعهم أن يعيشوا فى عهد « أمنحتب الثانى » ، إذ نشاهد أن قبره قد اغتصبه « مرى » الكاهن الأكبر للاله « آمون » ونسبه لنفسه ، كما بنى قبرا آخر رقم ٩٥ (راجــع J. E. A. Vol. XXII. P. 96.) . وقــد خلد « وسرحات » ذكرى « أمو نزح » بذكره مرتين فى نقوش قبره، ولكن بصورة مبهمة .

ألقاب أمو نزح : أما ألقاب « أمو نزح » فهى كالآتى : الأمير الوراثى وحامل خاتم الوجه البحرى ، والســمير الوحيد والقاضى ، وحاكم المقاطعات ، والمقرب الممتاز الى رب الأرضين ، وكاتب الملك ، ومدير كل أعمال الفرعون ، والقاضى رئيس « سششت » (دندره) ، وحاجب الفرعون الأوّل ، والمشرف على قاعة المحاكمة ، وتابع الفرعون فى كل بلد أجنبى، والسمير العظيم الحب، والمشرف على قاعة المحاكمة فى الوجه القبلى والوجه البحرى ،وحاجب الملك ووالد الإله ومحبوبه ، وعينا ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى والمشرف على مخازن غلال الوجهين القبلى والبحرى (راجع Urk. IV. P. 942 - 62.) . وبوجه عام نجد فى نقوش قبره

كل الصفات التى كان يتصف بها « أنتف » مما يدل على أن حاجب الفرعون والمشرف على قاعة العدل كان يميز بنعوت خاصة .

الأهمية التاريخية لمناظر قبره : وقبر هـذا العظيم قد لحق به التخريب والمحو بصورة مريعة كما ذكرنا وعلى الرغم من ذلك يمكننا أن نستخلص منـه أنه كان يحتـوى على بعض مناظر جميلة ، كما يوجد فيـه لوحة تذكارية تحدّثنا عن مطالبه الجنازية وما ينتظره من زائر قبره من تلاوة الأدعية العادية التى نجدها شائعة فى هـذا العصر بل وفى كل عصر من عصور التاريخ ، ثم يتحدّث إلينا عن ترجمته لنفسه فيقول إنه قد خدم الفرعون ، وقبض على زمام إدارة وظيفته منـذ السنة الخامسة عشرة ، ثم يذكر لنا أنه كان يدير أعمال البناء والتعمير فى عهـد الفرعون فكان يفتش على [مبـنى] أقامه الملك لوالده « آمون » ، وكذلك على إقامـة مسـلات عظيمة أقامها الملك « لآمون » وكذلك على إقامة بوّابة عظيمة لهـا برجان من الجرانيت (؟) وغير ذلك مما لا يمكن ذكره على وجه التحقيق لتهشم الحجـر (راجع .Urk, IV. P. 940) . كما عثر له على لوحة أخرى فى قـبره دوّن عليها أنشودتين للاله « رع » يقـول فى نهاية الأخيرة منهما : إنه كان يتبع سـيده فى كل خطوة ، وأنه لم يرتكب أى ذنب فى كل أعماله ، وأنه كان مخلص القلب لسيده، وأنه سليم القلب، سليم الفم ، سليم اليد . (راجع Ibid. P. 944) .

مناظر جزية سوريا وبلاد السودان : وأهم ما يسـترعى النظر فى قبره منظر إحضار الجزية من الشمال (أى من سـوريا) ثم منظر إحضار الجزية من الجنوب أى من بلاد « كوش » ويرجع الفضل فى شرح هذين المنظرين إلى ديفز (راجع .J. E. A. Vol. XXVII P. 96) .

وقد كتب على المنظر الأوّل ما يأتى : ظهور الفرعون الرسمى على العرش العظيم فى قصر « هليو بوليس » بالوجه القبلى ، وقد كان قلبه ساميا جدا بالقوة والنصر ، وعندئذ أحضر الناس الجزية لسلطان جلالته من بلاد « رتنو » الخاسئة » لأجل والده « آمون رع » الذى خلقه وكوّن رهبته ووضع

تاج الصل (محنت) على رأسه مخلدا ، والتاسوع الالهى يصحبونه ، والأراضى الجنوبية تحمل قربانها ، والأرض الشمالية محملة الى أقصى حد قد أحضروا له بوساطة ... «أموزنح» (راجع Urk IV P 951)
وهـذا المتن قد وضـع فوق صورة « أمو نزح » ويتبعه أهـل « سوريا » يحملون الهدايا ، وقد ظهروا بصورهم العادية ، وفسر مجيئهم بالنقش التالى : وصول رؤساء « رتنو » فى سلام ... بخضوع وطاعة » . ويلحظ أن واحدا كان يحمل آنية مزينة بعنقود رمّان وضفدعة ، وقد كتب عليها « آنية من الذهب » ، وآخر يحمل آنية أخرى زرقاء اللون ، وثالثا يجـر عربة ، ورابعا يحضر قوسـا وكنانة وسيفا ، وخامسا يقود جوادا . كما يشاهد واحد منهم يحمل آنية من اللازورد . وكذلك يشـاهد فى نفس المنظر رئيس « رتنو » وأتباعه يقـدمون للفرعون آنية جميلة ، وقـد ركعوا أمام جلالته ، ويقول عنهم المتن : أمير النهرين ينبطح على الأرض عند ما كان يقـدم الثناء لجلالته ، وذلك بسبب عظمة قوته فى كل بلاد الشمال » . وقـد أحضر هذا الأمير وجماعته قوالب لازورد وخنجرا وبخورا ، وآنية من الفضة ونسيجا من الكتان وغير ذلك من الهدايا الفاخرة . غير أن أهم شىء يلفت النظر فى هذا المنظر إهداء دب قـد رسم بدقة على جدران المقبرة . ولا غرابة فى أن نرى حاجب الفرعون يرسم هـذا المنظر على جدران قبره لأنه كان من الضباط الذين لا يفارقون الفرعون فى حملاته (راجع J. E. A. Vol. XXVII P. 96.)؛ أما المنظر الثانى الذى يظهر لنا فيه إحضار النوبيين الجزية فقـد كتب عليه العبارة التالية : « تقديم المديح لرب الأرضين ، وتقبيل الأرض أمام الاله الطيب . المجيىء من قبـل رئيس « إتر » (مكان غير معروف موقعـه) وجزيتهم على ظهورهم ، والاهداء لجلالته » . أما الهدايا التى أحضرت فيحتمل أنها سلات مملوءة بالبخور . كما يشاهد قرد، وقائد هؤلاء القوم يقدم بكلتا يديه ذيل زرافة ، وآخر يقدم قطعة من خشب الأبانوس ، وثالث يقدم سن فيل وجلد فهد ، كما يشاهد ضمن الهدايا زرافة ، وكذلك زرافة وقـرد يتسلق رقبتها ، وهـذا المنظر الأخير نشـاهده فى مقبرة « رخ مى رع » كما سنرى بعد والواقع أن بعض هـذه المناظر كان تقليـديا . وكذلك نرى ضمن الجزية سلات ملأى بحلقات الذهب وبيض

النعام. ومما يلفت النظر هنا منظر تقديم هؤلاء القوم أولادهم بمثابة جزية للفرعون وقد كتب على هذا المنظر كله النقش التالى : إحضار طرائف منتجات بلاد « كوش » الخاسئة من عاج وأبانوس ، وكل أنواع الأحجار الثمينة [بوساطة رؤساء كل البلاد ؟] ، وهم يقولون ما أعظم سلطانك يأيها الملك المظفر محبوب « آمون رع » الذى وضعك على عرش « آتوم » . إنه قدم كل الأراضى وكل الممالك إلى المكان الذى أنت فيه ، وإنهم يدخلون إلى جلالتك بجزية رأس السنة ويقولون ... ... منخبررع » . (راجع J. E. A. Vol. XXVIII. P. 53.) . ولا نزاع فى أن الذى رسم هذا المنظر كان فى ذهنه منظر جزية سنوية تقدم للفرعون .

مين نخت : كان « مين نخت » من أكبر رجال الدولة فى عهد «تحتمس الثالث » وهو والد « منخبر » كاتب الفرعون نفسه . وقد كان « مين نخت » يحمل ألقابا عالية بعضها ألقاب شرف ، وبعضها وظائف حكومية وهى كما يأتى : الأمير الوراثى ، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين، والممدوح من الإله الطيب ، ومدير المديرين فى المدن والمقاطعات ، والكاتب الملكى الحقيق ، ومحبوبه ، والمشرف على مخازن الغلال فى القطرين ، والمشرف على كهف النبيذ ، والمشرف على الجزء الشمالى من مخازن غلال « آمون » ، ورئيس عبيد « آمون »،والمشرف على مخازن مأكولات « آمون » ، ومدير بيت « آمون »،والمشرف على جياد رب الأرضين ، والمشرف على المطبخ العظيم ، وحامل خاتم « آمون »، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والقاضى ، وعينا الفرعون فى مدن الجنوب ، وأذنا الملك فى مقاطعات أرض الشمال (الدلتا)، والمشرف على مخازن الغلال الذى يحسب غلة الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على المخازن العظيمة للملك فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على مخازن الغلال لأرض الفيضان فى الأرضين (راجع Urk. IV. P. 1177 - 1190.) .

والظاهر أن « مين نخت » بعد ما عدّد ألقابه شعر بأنه قد بالغ فيها فقال فى نهايتها « إنه لم يقل كذبا ولم يفعل ضرا » .

مناظر قبره : ومما يؤسف له أنه لم يترك لنا فى قبره مناظر تحدثنا عن نشاطه فى مختلف وظائفه هذه ، وقد نحته فى جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ٨٧)، ويحتوى على وليمة عادية ورسم الشعائر الجنازية والاحتفال بها وحديقة غناء وضع فيها كل ما لذ وطاب من المأكولات (راجع Wreszniski, "Atlas" Pl. 278.) ،وقد نحت لنفسه محرابين فى السلسلة الغربية كما جاء ذكره فى نقوش ابنه وخلفه « منخبر » ، إذ قد ذكره بلقب القاضى،وكاتب الملك،ومدير مخازن الغلال فى القطرين المرحوم « مين نخت » .

« سن نفر »

قبر هذا العظيم فى «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٩).وقد كان من عظماء رجال عهد «تحتمس الثالث» ،وكان يحمل الألقاب التالية : — الحاكم الوراثى،والذى يضم الأرضين لرب القصر،والمشرف على كهنة الإلهين «سبك» و«أنو بيس» ؛ والمشرف على أرض «آمون» الزراعية، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، والسمير الوحيد ، والمشرف على بلاد الذهب التابعة للإله «آمون» ،والمشرف على ماله قرن،وحامل الخاتم، (المشرف على الخاتم) ، والمشرف على الآلاف من كل شىء (القربان)، ومدير عيد «أتوم» ،والمشرف على كل كهنة الآلهة جميعا ،وفم ملك الوجه القبلى ،وأذنا ملك الوجه البحرى ،وحاجب الملك ، والمشرف على ماله قرن وما له حافر ، والمشرف على ماله ريش ، وعلى المعادن ، ورئيس كل الأحجار الثمينة ، والمشرف على كهنة الإله « آتوم »ومدير عيد كل آلهة «هليو بوليس» ، والرئيس الأعظم لسمار القصر الملكى، والمشرف على الأراضى المتزرعة للإله « آمون » (راجع Urk. IV. P. 529-542.)

رحلة « سن نفر » إلى بلاد لبنان :

والظاهر أن أهم عمل قام به هذا الموظف العظيم هو رحلته إلى بلاد «لبنان» لإحضار خشب الأرز من جبالها لتصنع عمدا لنصب الأعلام فى معبد الإله « آمون » فى « الكرنك » ؛ وقد رسم منظر هذه الرحلة على جدران مزار قبره إذ

نقرأ فيهـا نص الأمر الملكى للذهاب إلى بلاد « لبنان » ؛ ثم نراه يعود منها ومعه جنوده وأناس لا يمكن تمييزهم الآن ، وقد أحضرهم بمثابةغنائم ، وكذلك معه عمد الأعلام ، وكانت تجتز على زحافات ، ثم يقـدم للفرعون تقريره عن هـذه الرحلة الميمونة . (راجع .Urk. IV. P. 531 - 536) . ومما يلحظ هنا أن « سن نفر » كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، وقد كانت العادة أن يرسل الفرعون من يحمل هذا اللقب فى بعوثه إلى الخارج ، وذلك منذ الدولة الوسطى ، وقد ترك لنا « سن نفر » غير ترجمتـه عن نفسـه بعض مناظر طريفـة على جدران قبره غير ما ذكرنا ، منهـا منظر يتسلم فيـه أشياء طريفة غاليـة لخزانة الفرعون كالذهب والأحجار الثمينة ، (راجع .Urk, IV. P. 536) كما نشاهد منظر تسلمه الثيران التى غنمها الفرعون فى حروبه ، وكذلك نراه يفتش على الأثاث الجنازى الذى أهداه له الفرعون ، والتماثيل المصنوعة من الأحجار الغالية التى قدمها لمعبد « آمون » ، وأخيرا نشاهد « سن نفر » وهو يتقبل هدية رأس السنة من ذويه وبخاصة زوجه وأولاده وصناعه . وله تمثال فى المتحف المصرى نقشت عليه الصيغة الدينية ، ومناقبه وألقابه ، كما وجد له نقش على مدخل معبد « سرابة الخادم » ويرى فيه « تحتمس الثالث » ممثلا أمام « حتحور » ربة أرض الفـيروزج . وفى هذا النقش كان فرد آخر اسمه « كننا » يحمل لقب « مدير البيت العظيم للملك » (راجع .Urk. IV. P. 548) .

« آمون مس » كاتب بيت المـال : كان كاتب بيت المـال للإله « آمون » وقبره فى « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم ٢٢٨ (راجع ,Gardiner and Weigall .Catalogue", No. 228") ؛ والظاهر أنه كان فى خدمة « أمنحتب الثـانى » أيضـا .

أمنمحاب مـدير بيت الفـرعون : كان « أمنمحاب » هـذا مدير بيت الفـرعون « تحتمس الثـالث » والمشرف على ماشـية الملكة « نفـر تارى » العائشة . و « نفر تارى » هذه يحتمل أنها بنت « تحتمس الثالث » ، وهذا الموظف

معـروف لدينا من تمثال عثر عليـه فى خبيئة الكرنك وهـو الآن بالمتحف المصرى (Legrain, "Statues", No. 2412.)

«آمون ارى نفر» المشرف على المخازن : كان يحمـل لقب المشرف على المخازن، وله قبر منزين فى «الخوخة» «بطيبة الغربية» (رقم ١٩٩)، غير أنه قد هشم ولا يمكن دخوله الآن (راجع Porter & Moss, "Bibliography", I, P. 153.) .

« أمنمحات » وكيل آمون : وكان يلقب « وكيل آمـون » وله قبر جميـل فى « جبانه شيخ عبـد القرنة » ، ويحتـوى على عدة مناظر طريفة أهمهـا منظر وليمة (راجع Porter & Moss, Ibid, P. 85.) يشاهد فيهـا الرجال جالسين على كراسى ، أما النساء فيجلسن على حصير . ويلحظ هنـا خادم ممسك برأس ضيف لعبت به بنت الحان فيفرغ ما فى جوفـه ، ويشاهد كذلك نساء يعـزفن على آلات الطرب ، كما يشاهد أخريات يرقصن بالصاجات ويلفت النظر راقصة تقوم بألعاب بهلوانية مدهشة كالتى نراها فى هذه الأيام . ومن المناظر الطريفة منظر تذرية القمح بالأيدى حيث نجد رجلين يذريان التبن الذى يحتوى على الحبوب، فتفصل الحبوب عن التبن، ويشاهد رجل يكنس القمح الذى يتناثر على الأرض فيجمعه الى بعضه . هـذا ونرى فى منظر آخر طحن الغـلة بطريقتين إحداهمـا بوضع الحب فى هاون عال وهرسه بمدقة فى يد امرأة تعمل وهى واقفة . أما الطريقة الثانيـة فتشمل على حجر طاحون عال تطحن عليه حيزبونة واقفة وقـد تدلى ثدياها ، وتلبس قبعة لها طرفان وذلك على خلاف الطريقة العادية .

« أمنمحات » حاكم بيت تحتمس الأول : وقد عثر له على لوحـة فى « هليو بوليس » . وقد ظهر فى أعلاها « تحتمس الثـالث » يقدم خمـرا للإله « آمون رع » ممـا يدل على أن هـذا الموظف كان عائشا فى عهد هـذا الفرعون (راجع L. D. III. Pl. 29c.) .

« انتف » كاتب المجندين : كان يلقب كاتب المجندين فى عهد «تحتمس الثالث» وقبره فى « شيخ عبد القرنة رقم ١٦٤ » (Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 164.)

«برى» الكاتب : كان هذا الموظف يحمل لقب كاتب فقط ، وقد كشف عن قبره فى « الرقة » وعثر فيه على بعض حلى جميلة من الذهب تحتوى على خواتم للشعر (؟) وقلادة من الذهب تنتهى بجعارين ، ويتدلى منها لوحة صغيرة من الذهب كتب على أحد جانبيها لقب « تحتمس الثالث » وعلى الجانب الآخر اسم « برى » ولقبه ، كما وجد سمطان من حبات الكرنلين وثلاثة جعارين ، واحد منها من اللازورد ، وكذلك عثر على مكحلة من حجر ستياتيت فى صورة قرد يقبض على إناء ، ومرآة من النحاس ، وطبق من المرمر (Engelbach, "Riqqeh and Memphis", P. 15, Pls. I, 6 - 12 ; XI, 3.)

أهمية محتويات قبره : ولا نزاع فى أن محتويات هذا القبر تضع أمامنا صورة ناطقة عن الثراء والغنى والبذخ الذى كانت تنعم فيه البلاد فى هذا العصر ، وبخاصة إذا علمنا أن هذه الأشياء قد وجدت فى مقبرة موظف صغير يحمل لقب كاتب وحسب .

«باثا» المشرف على الماشية : كان « باثا » هذا المشرف على الماشية (Legrain, "Repertoire", No. 162, & A. S. VII. P. 134.) وقد وجد اسمه ولقبه على جزء من تمثال قدمه له ابنه « عنخف نيسو » الذى كان يحمل لقب « مطهر الإله آمون » . وقد عثر على بقايا هذا التمثال فى خرائب معبد « تحتمس الثالث » الجنازى .

«بتاحمس» الوزير : كان «بتاحمس» هذا يحمل لقب الوزير كما كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى وكبير القضاة ، والمشرف على محاكم العدل الست العظيمة ، وفم « نخن » ، وكبير كهنة الإلهة « ماعت » ووالد الإله ، ومحبوب الإله (A. S. Vol VII P 130) .

وقد عثر له على لوحة فى معبد « تحتمس الثالث » الجنازى المسمى « المعطى الحياة » وقد كتب عليه اسم هـذا الفرعون . ولما كان الوزراء الطيبيون الذين فى عهـده معروفين لنا ، فإنه من المحتمل جدا أن « بتاحمس » هـذا كان وزير الوجه البحرى . وقد عثر له على جعارين تحمل لقب « والد الإله » والوزير .

«بتاحمس» حامل الخاتم : ولدينا موظف كبير آخر بهذا الاسم كان ينادى بالألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والكاهن « سم » (أى الكاهن الأعظم فى « منف ») . والمدير العظيم للصناع (أى الكاهن الأكبر لمعبد الإله « بتاح » فى « منف » . وهذه الألقاب وجدت منقوشة على محراب فى « العرابة » (Roeder, "Naos", Catalogue General No. 700038.) .

«منى» : عثر لهذا الموظف على نقش فى الصخور القائمة على الطريق بين أسوان و«فيلة» ، ويشاهد عليها «منى» وهو يتعبد أمام طغراء «تحتمس الثالث» وألقابه هى : الأمير الوراثى والعظيم فى بيت الفرعون، والمشرف على كهنة الإله « أنحور » (راجع De Morgan, "Cat. Monuments", P. 28; Porter & Moss, "Bibliography", V. P. 246.) .

«معى» المشرف على الكهنة : وجد لهذا الموظف الكبير تمثال فى « اخميم » وهو الآن بمتحف « برلين » ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وسمير الفرعون ، والمشرف على الكهنة (راجع Schafer, "Agyptische Inschriften zu Museen Berlin", II. P. 25, 26.) .

«منتو إيوى» ساقى الفرعون : كان هـذا الموظف يحمل لقب « ساقى الفـرعون » وطفل الرضاعة (راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 149.) وقبره فى «الخوخة» يحمل رقم ١٧٢ ؛ وقد صور فيه وهو يصطاد حيوان الصحراء منها النعام والثعالب ، وكذلك نشاهده وهو يصطاد مع أسرته السمك

والطيور، وقد رسم كذلك فى هذا القبر منظر لجنى العنب وعمل النبيذ، غير أنه لم يتم، وفى هذا المنظر نشاهد مائدة قربان قد كدست عليها القرابين للالهة « رنوتت » إلهة الحصاد التى مثلت فى صورة ثعبان (راجع .Wreszinski, "Atlas", Pl. 353 - 5) .

« نفرحبو » طحان آمون : كان هـذا الرجل يعمل طحانا للإله « آمون » وطحان شعير وقمح . وليس لهذا الموظف إلا لوحة عثر عليها فى « شيخ عبد القرنة » وهى الآن بالمتحف المصرى (راجـع ,Lacau, "Steles du Nouvel Empire" .No. 34035 Pl. XXIII والجزء الأعلى منها قد مثل عليه « تحتمس الثالث » على عرشه أمام « أوزير » و « أنوبيس » والإلهة « أمنتت » إلهة الغرب . وفى الجزء الأسفل نشاهد صاحب اللوحة يتعبد هو وزوجه و بنتاه لهذه الإلهة طبعا .

« نفربرت » ساقى الفـرعون : كان « نفربرت » يلقب ساقى الفرعون بيدين طاهرتين، وتابع الفرعون فى كل أرض أجنبية، وهذا اللقب الأخير يفسر لنا أن هذا الموظف كان من المقربين جدا للفرعون، وبخاصة أنه كان ساقيه الخاص على ما يظهـر (راجع Legrain, "Statues", No. 42121) .

«نفر ــ رنبت» المسمى كذلك «قنى» : ؟ هذا الموظف له قبر فى « ذراع أبو النجا » وكان يلقب صائغا وحفار تماثيل .

« نب وعى » مدير بيت الإله أوزير : نعرف من لوحة هـذا الرجل التى عثر عليها فى «العرابة» أنه كان يلقب مدير بيت الإله « أوزير » ، والكاهن الأكبر للإله « أوزير » . و يلحظ أن الجزء الأعظم من هذه اللوحة قـد خصص لمنظر مزدوج مثل فيه الفرعون «تحتمس الثالث» ينصب العمود المقدّس للالهة «حتحور» الذى يعلوه رأسها لابسة تاجها (Lacau, Ibid, No. 34017, Pl. XI.)

« نخت » مدير الغلال . وجد تمثال « لنخت » هذا فى « خبيئة الكرنك » ويحمل الألقاب التالية : الممتاز عند ملك الوجه القبلى ، والصادق عند ملك الوجه البحرى ، سيد السلام ، ووكيل « جب » ، ومدير الغلال (Legrain, ibid, P. 74. No. 42124.) .

«حبى» : كان « حبى » أحد كهنة معبد الفرعون« تحتمس الثالث» الجنازى يحمل لقب «مطهر آمون» فى المعبد المسمى «المعطى الحياة» (راجع A.S.,I.P.106.) .

« خارو » حامل العلم : وجدت له لوحة محفوظة الآن « بمتحف اللوفر » ويلقب عليها بحامل العلم فى السفينة «تحتمس مبيد الأعداء» (راجع Lieblien, "Dict. Noms", P. 196. No. 591.) .

« ساموت » : كان يشغل وظيفة المشرف على أعمال الإله « آمون رع » فى « الكرنك » وقبره فى « ذراع أبو النجا » (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue" , No. 142.) .

«سنى مس «مربى الأمير«وزمس» : كان «سنى مس» هذا مربيا للأمير « وازمس » بن الفرعون « تحتمس الأول » وقد عثر له على لوحة فى خرائب مزار هذا الأمير فى « طيبة » الغربية ، يشاهد على الجزء الأعلى منها الفرعون « تحتمس الثالث » يحرق البخور أمام تمثال « تحتمس الأول » وخلفه تمثال صغير للأمير «وازمس» يحمل فى يده زهرة البشنين . وفى الجزء الأسفل نقرأ وصية «سنى مس» المؤرخة بالسنة الحادية والعشرين من عهد «تحتمس الثالث» لزوجه وأولاده الستة لأجل قربانه ، وقد ختمت هذه الوصية فى قاعة الوزير « وسر » فى نفس اليوم الذى كتبت فيه . وهو اليوم الخامس والعشرون من فصل الزرع ، الشهر الثالث فى العام الواحد والعشرين من حكم «تحتمس الثالث» (راجع Urk. IV. P. 1066ff.) .

« كام حر إبسن » : كان يحمل الألقاب التالية : حامل خاتم الوجه البحرى ، والكاهن الثالث للإله « آمون » ، وقبره فى « شيخ عبد القرنة » رقم ٩٨ ، ويشاهد

فيه مناظر يظهر فيها بنات المتوفى وزوجه يقدمن طاقات من الزهر له ، والقبر لا يمكن دخوله الآن (راجع L. D. (Text) III, P. 278; Porter and Moss, "Bibliography", I. P: 128.) .

« ددیا » المشرف على كتاب مبانى آمون : عثر لهذا الموظف العظيم على تمثال فى «خبيئة الكرنك» وقد نقش عليه الألقاب التالية : المشرف على كتاب مبانى « آمون » ، والمشرف على كتاب « آمون » و « موت » و « خنسو » فى «الكرنك» وفى « طيبة » (راجع Legrain, ibid, No. 42122.) .

« ددى » رئيس الشرطة : كان « ددى » رئيس شرطة المازوى[1] فى عهد « تحتمس الثالث » ، وبقى يشغل هذه الوظيفة فى عهد ابنه « أمنحتب الثانى » . وقد عثر على قبره فى «جبانه شيخ عبد القرنة» فى « الخوخة » ، وكان يحمل النعوت والألقاب التالية : المحبوب من رب الأرضين ، والمشرف على الصحراء الواقعة فى غربى « طيبة » ، رئيس فرقة الفرعون ، له الحياة والسعادة والصحة ، وحامل العلم لفرقة الفرعون ، ورسول الفرعون فى كل البلاد الأجنبية ، والذى يملأ قلب سيد الأرضين ، وبطل جيشه ، والمهدئ الأرض قاطبة ، والضابط البحرى للسفينة « آمون مرى » .

وفى قبره منظر (مهشم الآن) يرى فيه الفرعونان « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » جالسين فى محراب . وكذلك فيه مناظر أخرى يظهر فيها جنود يحملون أعلاما ، هذا إلى أنه يرى هو وأسرته يصطادون الطيور والسمك ، كما يشاهد فيه منظر حفل فتح الفم المشهور (راجع Porter & Moss. "Bibliography", I. P. 153; Champollion. "Notices" P. 528; Urkunden. IV, P. 995ff.) .

---

(١) أصبح لقب شرطة المازوى يطلق فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها على شرطة الصحراء والحدود ، وكانوا وقتئذ يجندون من المصريين أنفسهم .

« تحتمس » ساقى الملك : وقبره فى الخوخة (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 205.) .

« تاى » المشرف على الخزانة : عثر لهذا الموظف الكبير على لوحة فى « سرابة الخادم » وقد ظهر عليها يحرق البخور خلف « تحتمس الثالث » الذى كان يقدّم المـاء البارد للإلهة « حتحور » ربة الفيروزج ، ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والمشرف على الخزانة (راجع Gardiner & Peet, "Sinai", Pl. LXIV, No. 196.) .

الوزير « رخ - مى - رع »

قبره يمثل مدينة الأسرة الثامنة عشرة : تدل شواهد الأحوال كلها على أن الوزير « رخ مى رع » الذى عاصر الفرعون « تحتمس الثالث » وتقلد فى عهده شئون وزارة الصعيد حتى وفاة ذلك العاهل ، ثم استمر فى وظيفته مدّة قصيرة فى عهد « امنحتب الثـانى » على أنه كان أعظـم الوزراء الذين تربعوا على عرش هـذا المنصب طوال عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولا أدل على ذلك مما تركه لنا من نقوش على جدران قبره الذى يعد أفخم مقابر هذا العهد وأضخمها حجما ؛ إذ لا نزاع فى أنه يعد سجلا سياسيا وأدبيا ودينيا وصناعيا واجتماعيا لهذا العهد الحافل بجسام الحوادث الخارجية والداخلية ، وانه ليكفى أن نقول هنا إن ما جاء على هذا القبر يضع أمامنا صـورة ناطقة لا تحتاج إلى شرح أو بيـان عن مدنية مصر فى أزهى عصورها من كل ناحية يريد بحثهـا المؤرخ . وهذه الصورة تمتاز بما تمثله أمامنا معنى وحسا . فلا تترك للمؤرخ أن يحيـد عن جادة الحق ، إذ تمثل له كل صـورة يتخيلها وتمده بالنقوش التى توضحها ، من أجل ذلك آثرنا أن نضع أمام القارئ ملخصا مفصلا بعض الشىء عما جاء فى نقوش هذا القبر معبرا عن حياة « رخ مى رع » وحضارة العصر الذى عاش فيه .

ألقاب « رخ مى رع »

ألقابه الفخرية التقليدية : الأمير الوراثى ، والحاكم المحلى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الذى يستطيع الاقتراب من شخص الفرعون ، وأنبل السمار ورئيس السمار والمشرف على أعلى الوظائف ، والوجيه (ساب) والقاضى الأعظم والنائب عن بلدة « نخن » (فم نخن) ، والمشرف على الملابس الرسمية ، وخادم « حور » ، وتابع ملك الوجه البحرى .

ألقابه الإدارية : عمدة المدينة (طيبة) ، والوزير ، ووزير المدينة الجنوبية ووزير مقر الملك ، وحاكم المقاطعات ، والمشرف على بيتى الذهب و بيتى الفضة ، ومن توحد وتضم بيوت الذهب و بيوت الفضة معا تحت خاتمه ، والمشرف على السجلات ورئيس محاكم العدل الست العظيمة ، والمراقب الأمين ، والمراقب الأمين فى الإدارة الملكية ، (وماهية هذه الوظيفة ترى حيث يشاهد « رخ مى رع » يختم الأشياء الطريفة) (راجع .Pl. LI) ، ومدير أعمال « آمون » كلها فى « الكرنك » .

ألقابه فى إدارة أملاك آمون : مدير أعمال « آمون » كلها فى « الكرنك » ، والمشرف على الأعمال ، والمشرف العام على صناعات « آمون » ، والمشرف على الصناعات ، والمشرف على مصانع « آمون » ، ومدير بيت « آمون » ، والكاتب الأول لقربان معبد « آمون » .

ألقابه الدينية : والد الإله[1] ومحبوبه ، وكاهن « ماعت » (وهذا اللقب رمزى لأن الإلهة « ماعت » ولم يكن لها معبد بل كان لقبا معنويا فقط لإلهة

(١) لفظة الإله هنا تشير إلى الملك الحاكم . وهذا اللقب كان يمنحه الملك لمن كان صاحب منزلة عنده من حيث السن أو الاحترام (راجع .Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 47 - 53)

العدالة)، وأعظم[1] الرائين فى البيت العظيم ، والكاهن « سم » (وهو لقب للكاهن الأعظم لمدينة « منف » والكاهن « سم » فى بيت اللهيب) ، وواضع خطة العمل للكهنة ، ومرشد الكهنة المطهرين للقيام بواجباتهم، ومدير مائدة قربان... وواضع القوانين لمعابد الوجه القبلى والوجه البحرى .

نعوت « رخ مى رع» : موضع ثقة «حور» سيد مصر، من يؤتمن ويتحدث إليه سرا ، وثقة الملك ؛ وثقة الفرعون فى البلاد كلها، والثقة العظمى عند الملك، ومن يرفع الصدق لمن فى القصر يوميا ، والممدوح من الملك، والممدوح من القصر ، والممدوح من الملك فى القصر ، ومن يفعل ما يمدحه أصدقاء القصر ، والممدوح فى كل ساعة ، وعينا الملك ، وقلب الملك (له الحياة والفلاح والصحة) ، وأذنا الملك ، ومن يرضى رب الأرضين بمشاريعه ، ومن يقضى بالعدل فى القصر ، وصاحب المكانة الممتازة فى الحجرة الخاصة ، وأخو ملك الوجه القبلى من الرضاعة، ومن يكفل له سيد مصر معاشه، ومن جعله ملك الوجه القبلى عظيما، ومن شرفه ملك الوجه البحرى ، ومن رفع مقامه ملك الأرضين،والمتقدم فى منزلته، والمماثل للملك، وضارب من يضرب ، والثور المنتقم، والضارب المتكلم عنه بسوء (أى عن الملك) والأول فى الأرضين، ورئيس الأرضين قاطبة،عظيم العظماء، وأعظم من فى الأرض، والمنصب على رأس القوم ، والأول فى نظر الشعب ، والمراقب على الشئون الاجتماعية ، والإدارى اليقظ ، ومن رأسه غاية فى اليقظة، ومن يملأ المخازن، ومن يملأ مخازن الغلال ، والمحامى الذى يجلب الرضا للأرض قاطبة ، ومن يضع السنن لكل القضاة، والمتصرف فى شئون العدالة لرب الأرضين يوميا، والقاضى المحايد ، والقاضى بالعدل بين الفقير والغنى، ومن لا يبكى منه متظلم، ومن يجعل

(١) هذا اللقب كان يعطاه كاهن «هليوبوليس» الأعظم وكذلك وجد فى أرمنت وطيبة وفى تل العمارنة (أى أنه كان يعد أعظم رجال الفلك)، غير أن الأستاذ «ينكر» قد فسر هذا اللقب : «الذى يرى الواحد العظيم»(أى إله الشمس الذى كان يسمى أتوم أو رع) ، ولكن هذا التفسير قد عارضه الأستاذ «جاردنر»
(Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 36ff. & Vol. II. P. 267ff.)

المتخاصمين ينصرفان راضيين ، ومن يجعل الشاكين ينصرفون مطمئنين ، والحازم فى الفصل فى الأحكام، والمعلم الفعلى للحرف، ومرشد أصحاب الصناعات، ومن يرشد الصانع فى خطواته (؟) ، ومن يجعل كل إنسان يعرف واجبه، ومن يجعل كل إنسان يعرف عمله المعتاد ، ومن يعلم كل إنسان الخطوات التى يجب أن يتخذها (فى عمله) ، ومن يضع القواعد للشرفين ، والمدرب فى أمور طوائف العمل ، ومن يعمل للهدف، ومن يبنى للأجيال المقبلة ، ومن يضع الوظائف فى ترتيبها الصحيح ، ومن يطلب فى كل لحظة لقيمته ، والحاكم الذى ينشرح له القلب ، ومن يهب المحتاج ، والممتاز لنفعه لمن أحسن إليه ، وصانع الجميل لمن يصنعه له ، ومن يدخل المحراب (أى مثل الملك) ، ومن لا يخفى عنه الإله شيئا ، والعالم بكل شىء فى السماء والأرض وفى كل مكان خفى فى العالم السفلى ، ومن لا يكل ، والممتلئ كفاية ، والماهر فى عقد كل أنواع العصائب ، والمنزه عن كل ضعف روحى ، والمحبوب كثيرا ، ورب اللطف ، والساحر برقته ، والسامى فى شهرته ، والعالى فى مكانته ، والعظيم الاحترام ، والكبير المنزلة ، والثابت الخطوة ، والمتمكن فى الحب ، والممدوح من الإله « نبرى » (رب الحبوب) والممدوح من « إنوتت » (ربة الحصاد) والممدوح من « سخات حور » (حامية البقرات) ، والممدوح من « أنوبيس » ، والممدوح من « آمون » ، وحبيب إلهة البطاح ، وحليف إلهة صيد السمك ، ومن هو رابع من يفصل بين التوأمين (أى الإله « تحوت » إله العلم والحساب والزمن والقضاء) .

وهذه الوظائف والنعوت التى كان يشغلها أو يتحلى بها « رخ مى رع » ، إذا صح أنه كان يتولى القيام بأعبائها ويتصف بها حقيقة ، تدل على أنه كان يمتاز بنشاط يفوق نشاط البشر ، وبعدالة وذكاء وحسن تدبير قلما نجد مثلها فى تاريخ العالم ، اللهم إلا الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من بين عباده ، والواقع أن المصرى فى كل عصور تاريخه كان يميل إلى الإغراق فى الثناء على نفسه والتمدح بميزاته ،

ولكن مع ذلك كله كان « رخ مى رع » رجلا فذا فى ذكائه وحسن تصريفه للأمور ، وإلا لما اختاره أعظم الفراعنة وزيرا له جل مدة حكمه . والظاهر أنه قد ورث هذه المقدرة عن أسرته الذين تربع عدد عظيم منهم على كرسى الوزارة ، ولذلك سنتكلم أولا عن تاريخ أسرته وما لها من ماض عريق فى المجد ، كما صوّرها لنا « رخ مى رع » نفسه على جدران قبره .

مقبرة « رخ مى رع » وزخرفها : يدل ما وقفنا عليه من معلومات على أن «نفر — وبن» والد « رخ مى رع » كان فى أول أمره على ما يظهر كاهنا متواضعا من بين كهنة الإله « آمون » العديدين ، وذلك على الرغم من أنه كان ابن الوزير « عامثو » (أحمس) . وهو الذى خلفه على كرسى الوزارة ابنه « آمون وسر » الذى يسمى أحيانا « وسر » فقط . والظاهر أن « نفر — وبن » كان يشغل وظيفة كاهن عند ما انفتحت عينا ابنه الصغير « رخ مى رع » على عالم الوجود . وقد شاءت الصدف والأقدار معا أنه عند ما وقع بصره على مولوده الجديد، وهو فى مهده، أن يناديه باسم « رخ مى رع » (= أى العارف كالإله « رع ») . ويشاء الحظ بإرادة الله أن يحقق المستقبل هذه التسمية فى شخص هذا الطفل إلى حد ما. إذ أن «رخ مى رع» عند ما وصل فى منهاج حياته السياسية إلى قمة مجده ، وهو فى خدمة مليكه « تحتمس الثالث » نحت لنفسه مقبرة فاخرة فى جبانة « شيخ عبد القرنة» ،وقد كان من بين النعوت التى وصف نفسه بها فى نقوش هذه المقبرة النعت التالى: «إنه محيط بكل شىء فى السماء والأرض، وفى كهوف العالم السفلى» ، وبذلك تحققت نبوءة والده عند ما سماه « رخ مى رع » أو العارف كالإله «رع » . وتدل النقوش على أنه كان وقت نحته لهذا القبر يقوم بمهام وزارة الصعيد ، وقد قام بأعباء هذه الوظيفة فى النصف الأخير من عهد « تحتمس الثالث » وظل يدبر شئون الملك حتى باكورة عهد « أمنحتب الثانى » أى من حوالى عام ١٤٧٠ حتى ١٤٤٥ ق م تقريبا ، ومن الغريب أن آثار هذا الرجل الفذ لم تذكر فى وثائق

خارج قبره، اللهم إلا ماجاء على بعض قطع الاستراكا (الخزف) التى وجدت بالدير البحرى تحدثنا عن العمل الذى قام به خاصا بنقل أحجار معبد « زسر أخت » وكذلك ماجاء على ورقة حساب محفوظة الآن فى متحف «اللوفر» (راجع Brugsch, "Thesaurus" P. 1099 & 1106.)، وقد كان وقتئذ متربعا على كرسى الوزارة، ومن أجل ذلك أصبح من الضرورى لتقدير هذا الرجل تقديرا صحيحا أن نفحص النقوش والمناظر التى جاءت على جدران قبره فحصا علميا دقيقا، وبخاصة الوظائف السامية التى كان يشغلها فى عهد « تحتمس الثالث » الذى يعد أزهر العصور فى تاريخ مصر بل فى تاريخ الشرق القديم أجمع .

وهذا القبر العظيم الذى حفظ لنا على جدرانه من النقوش أثر أعظم الوزراء المصريين يحمل الآن رقم ١٠٠ فى جبانة « شيخ عبد القرنة » « بطيبة الغربية » . ولا نزاع فى أن عظم حجمه واتساع رقعته وجمال صنعه ودقة فنه تبعث فى النفوس حتى الآن مع ما أصابه من تهديم وتخريب الهيبة والروعة . والواقع أن نقوش المقبرة وما فيها من جمال فنى وما جاء عليها من المتون، تحدثنا عما اتصف به هذا الوزير من رجولة، وما كان يحسه فى أعماق نفسه من مبادئ سامية ويقظته لكل صغيرة وكبيرة يحتمها عليه الواجب والوظيفة مما جعله نسيج وحده بين الوزراء المصريين السابقين واللاحقين . ومع ذلك فإن محاسن هذا القبر وما كانت تنطوى عليه نفس صاحبه من فضائل ومزايا فذة لم تنج القبر ولا صاحبه مما أصابهما من أضرار جسام . فقد محا الخلف اسم الوزير وصوره، وصور معظم أولاده من كل أرجاء القبر . وهذا العمل العدائى وما انطوت عليه نفوس مرتكبيه من حقد وبغضاء كان بإيعاز من الفرعون « أمنحتب الثانى » كما تدل على ذلك شواهد الأحوال وملابسات الحوادث . ولا نزاع فى أن ما أصاب المقبرة من تشويه وما حاق بصور صاحبها من إهانة ومحو يعد دليلا على مقدار ما وصل إليه « رخ مى رع »[1] من بسطة

(١) كل مراجعنا فى حياة «رخ مى رع» الكتاب الذى وضعه حديثا الأثرى «ديفز» عن حياة هذا الوزير (The Tomb of Rekh-mi-Re. at Thebes) . وبخاصة اللوحات التى نشير إليها هنا فى شرحنا للمناظر التى فى هذا القبر .

فى الجاه وطول باع فى السياسة والشهرة وحصافة الرأى . وتدل الأحوال كلها على أنه قد وشى بهـذا الوزير عند مليـكه الجديد « أمنحتب الثانى » فأمر بارتكاب تلك الفعلة الشنعاء . وتلك سجـية نعرفها فى عتـاة الملوك الذين لم تمكنهم تجاربهم ولا تقلبات الدهر وغير الأيام من وزن الأمور بميزانها الصحيح ، فيركبون رءوسهم لأية نميمة غير عابئين بما يخبىء لهم الغيب لمـا اقترفوه من آثام مع من أخلص لهم . ومن ثم فإنه يصبح من الجلى أمامنا أن المؤرخين الذين دونوا تاريخ مصر كان يحدوهم روح التسامح عندما وضعوا تاريخ أمثال هؤلاء الملوك ، وأن الأسر الملكية المصرية القديمة التى كانت تسقط من عليائها بين عشية وضحاها على أيدى مثل هؤلاء كانت تستحق ما حاق بها من سوء منقلب جزاء وفاقا على ما اقترفـوه من عنف وظلم وعسف .

موقع قبر "رخ مى رع" وهندسته : نحت الـوزير « رخ مى رع » قبره فى منحدر الطريق الجبلى لتل « شيخ عبد القرنة » . وقد كان يرمى من نحته فى هذه البقعة إلى الاسـتفادة من خلوها من المقابر ، ولذلك زاد فى رقعته بدرجة عظيمة جدا فاقت حدّ المعتاد فى مثل هذه القبور التى كان ينحتها عظماء القوم فى هذه الجبانة ومن الغـريب أن واجهته على الرغم من كبرها واتساعها وارتفاعها لم تكن من الضخامة بمكانة تلفت النظر . وقاعته المحورية تمتد فى داخل صخور التل إلى مسافة تربى على مائة قدم . وخارجة هـذه القاعة ضيقة بالنسبة لمـا هو مألوف ، وتمتاز بسقف يرتفع عن رقعتها بحدّة كلما امتدت فى جوف الجبـل إذ يبلغ ارتفاعه أكثر من ثمـانية أمتار عنـد نهايتها التى تتألف من كوة تبلغ أبعادها سـتة أقدام طولا فى مثلها عمقا .

أما مساحة هذه المقـبرة فرحبة إذ يبلغ عرضها نحو تسعة عشر مترا . ورقعتها مسطحة منبسطة .

مناظر المقبرة : وتحتوى هذه المقبرة على حجرتين . إحداها تمتد إلى أعماق التل كما ذكرنا ، والثانية نحتت محاذية لواجهة المقبرة فى الصخر من الشمال والجنوب وجدران

هاتين الحجرتين قد زينتا بمناظر ومتون هائلة ، ويبلغ مسطح جدرانها حوالى أكثر من مائة وأربعين مترا مربعا . وقد غطى هذا السطح العظيم كما قلنا بمناظر بعضها مألوف معروف لنا، وبعضها فريد فى بابه شيق مبتكر فى موضوعاته . ولا يكاد يماثلها فى صورة مصغرة إلا مقبرة الوزير « وسر » (أو « آمون وسر ») الذى تحدثنا عنه آنفا . وقد نظمت هذه المناظر على طريقة طريفة فى هذه الجدران . فالجدران النهائية للحجرة الخارجية قد خصصت للموضوعات الشخصية . فنشاهد على الجزء الجنوبى منها مثلا أسماء الوظائف التى كان يقوم الوزير بأعبائها، كما نقرأ على الجزء الشمالى كذلك مشاهد من أعمال الوزير، هذا بالإضافة إلى أخرى توضح إشرافه على ضياع « آمون » ومناظر تمثله فى الصيد والقنص فى الصحراء . أما النصف الخارجى من جدران الممر المحورى الطويل للحجرة الكبرى فقد حلى بالمناظر الدنيوية، فنشاهد على الجدران الجنوبية مناظر تمثل « رخ مى رع » وهو يدير أملاك معبد « آمون » ، وعلى الجدران الشمالية نشاهد مناظر تحدثنا عن مفاخر الوزير الرسمية، ويعقبها مباشرة منظر يمثل الحفل باعتلاء «أمنحتب الثانى» عرش الملك . وفى هذا يظهر للمؤرخ المحقق جليا تقلبات الحياة ومفاجآتها المنطوية على الغدر ، وما فى الصدور من علة وضغينة ، إذ نرى على حين غفلة مناظر هذا القبر تأتى إلى نهاية مباغتة توحى إلينا بأن هذا الوزير العظيم الذى طالما قاد سفينة البلاد إلى بر النجاة والفلاح قد انقضت حياته الحكومية بنهاية مفجعة قاتمة .

أما الموضوعات الدينية والجنازية فكانت تحتل الأجزاء المرتفعة من رقعة جدران هذه الحجرة عند نهايتها . وتشمل طائفة عظيمة من المناظر التمثيلية الخاصة بشعائر الدفن ،وما يتبعها من طقوس لإحياء المومية أو التمثال الذى يحل محلها (شعيرة فتح الفم) .

ومما يسترعى النظر هنا أن اسم «رخ مى رع» قد أزيل جملة من نقوش مقبرته، اللهم إلا ما كان بعيدا عن متناول الذين كلفوا بهذا العمل المشين . أما الجملة التى

قام بها شيعة « أتون » فكانت شاملة كاملة فى ناحيتها ، وقد كان عملهم منحصرا فى محو اسم « آمون » واسم الآلهة الآخرين، ثم اسم معبد «الكرنك» ومحو رسم جلد الفهد الذى كان يرتديه الكاهن « سم » وهو الذى كان يقوم بالدور الأعظم فى تمثيل شعيرة « فتح الفم » . يضاف إلى ذلك ما حاق بالمقبرة من تخريب على أيدى الذين اتخذوها مسكنا دنيويا لهم ولماشيتهم فى عصرنا الحاضر حتى زمن قريب جدا .

تاريخ أسرة « رخ مى رع » : (راجع .Plates. IX, X) . دون الوزير « رخ مى رع » كما فعل كبار الموظفين فى هذا العهد سلسلة نسبه على نهاية الجزء الشمالى من الحجرة الكبرى بصورة طريفة إذ مثل أفراد أسرته جميعا منذ جيلين مضيا؛ و بذلك يستطيع المؤرخ أن يتخذ هذه الصورة دليلا على تسلسل وظيفة الوزير فى عظماء أفرادها النابهين . والواقع أننا نجد أفراد الأسرة قد صوروا جميعا فى حفل أسرى . فنشاهد الوزير « امون وسر » عم « رخ مى رع » نفسه قد اتخذ مكانة علية تضارع المكانة التى كان يحتلها والد الوزير « رخ مى رع » نفسه . وتدل شواهد الأحوال على أن الابن الثانى للوزير « وسر » المسمى «سامنخت» كان هو الخلف المنتظر على كرسى الوزارة، وبخاصة إذا حكمنا عليه من الألقاب التى كان يحملها . غير أنه لسبب ما نرى أن الذى تقلد الوزارة هو ابن عمه « رخ مى رع » .

ونشاهد على الجدار منظرين مثل فيهما « رخ مى رع » وزوجه جالسين إلى مائدة قربان كان يباركها أحد أبنائه الذى كان يقوم بدور الكاهن لوالده، وقد ارتدى جلد الفهد الدال على ذلك . غير أن هذين المنظرين قد محيا . وتدل النقوش المفسرة لهما على أن الابن الذى قام بهذا الدور فى الصورة العليا كان يسمى « منخبر رع سنب » أما الذى فى الصورة السفلى فكان يدعى «أمنحتب» ، وكان الأول يشغل وظيفة كاتب جزية معبد الإله « آمون » والثانى تقلد وظيفة كاتب خزانة الإله « آمون » .

أما أفراد الأسرة الذين مثلوا فى هذه الصورة فينقسمون أربع مجاميع وهى :

(١) أسرة « أحمس » (الذى كان يسمى « عامثو » أيضا)، وهو الذى كان متربعا على كرسى الوزارة فى باكورة حكم «تحتمس الثالث» . (٢) أسرة ابنه الوزير وسر (وكان يسمى آمون وسر أيضا) . (٣) أسرة ابن آخر يدعى «نفر — و بن» . (٤) ثم أسرة « رخ مى رع » وهو ابن « نفر — و بن » .

وتدل البحوث الحديثة التى استقيت من ثلاث وثائق جديدة على أن « نفر — و بن » قد تربع على كرسى الوزارة و بذلك يفسر لنا السبب فى تولى « رخ مى رع » رياسة الوزارة، وهو أنه خلف والده فى هذا المنصب (راجع Capart, "Bulletin des Museés Royaux," 1938, & Blackman J. E. A. IV. (1917) PP. 41. & Dunham J. E. A. XV. (1929) P. 164.)

ففى هذه الوثائق الثلاث لا نجد اللقب المتواضع الذى أعطاه « رخ مى رع » لوالده «نفر — و بن» ونقرأ مكانه الألقاب التالية التى تدل على أنه كان وزيرا : العمدة والوزير وغير ذلك من الألقاب التى كان يحملها ابنه « رخ مى رع » . وإنه لمن البعيد جدا ألا يكون « نفر — و بن » هذا ابن « أحمس عامثو » ووالد « رخ مى رع » . وتدل شواهد الأحوال على أن لقب الوزير الذى كان يحمله « نفر — و بن » قد حذف بداهة من مقبرة « رخ مى رع » ، وذلك لأن تنصيبه فى هذه الوظيفة كان على يد « حتشبسوت » . وقد ناهض « تحتمس الثالث » اغتصابها السلطة الملكية، ولذلك كان يعدّ كل من تربع على كرسى الوزارة فى عهدها كأن لم يكن . وقد حدث ذلك فعلا مع الكاهن الأكبر « حبو سنب » ، فإنه قد حرم عليه أن يذكر فى نقوش قبره أنه كان وزيرا فى عهد « حتشبسوت » ، ولم يكشف لنا حقيقة عن توليه هذه الوظيفة إلا تمثال واحد . ومن المحتمل أن « نفر — و بن » قد عرف أن تماثيل معبده كان سيحافظ عليها كهنته الذين تعاقد معهم على تأدية القربان لها . وأظن أن «عامثو» كان وزيرا فى عهد «حتشبسوت»

ولكنها عزلته ، وربما كان ذلك لمعارضته لها فى ادعاءاتها العريضة المتطرفة ونصبت بدلا منه ابنه « نفر — وبن » وقد أعاده « تحتمس الثالث » وهو فى شيخوخته إلى وظيفته فى الوزارة، ثم تولاها « آمون وسر » وهو ابن أخ آخر بمثابة مساعد وخلف . وبدهى أن وراثة الوزارة فى هذه الأسرة كانت منيعة الجانب متسلسلة فيهم .

أولاد "رخ مى رع" : ومما يؤسف له أن أسماء أولاد « رخ مى رع » قد محيت، غير أنه قد بقى لنا من أسماء السيدات ما يمكننا من أن نحقق شخصياتهن بأنهن بنات « رخ مى رع » . ويدل ما لدينا على أن أسماء بناته على ما يظهر كانت كما يأتى : « تاخعت » و « موت نفرت » و « حنت تاوى »؛ غير أنه ليس من المستطاع أن نستخلص مما بقى لدينا من النقوش أسماء أولاده الذكور على وجه التأكيد غير الاثنين اللذين ذكرناهما فيما سبق ويقومان بدور الكاهن لوالديهما إلا ما يأتى: « مرى » المشرف على مصانع آمون و « سنوسرت » الكاتب ثم « قن آمون » .

أفراد آخرون من الأسرة : ويشاهد فى هذه الصورة فرد يدعى « بق » ويلقب : تابع الفرعون فى كل الأراضى الأجنبية بموافقة الإله الطيب ، والمشرف على بقرات « آمون »، وزوجه « آت » وقد جلسا إلى جانب من الوليمة، ويحتمل جدا أنهما والدا السيدة « بت » أم الوزير « رخ مى رع » .

حياة « رخ مى رع » كما دونها عن نفسه

وقد ترك لنا هذا الوزير العظيم على الجدار الجنوبى الخلفى من القاع نص تاريخ حياته وهو يحتوى كما جرت العادة والعرف فى هذا العهد وما قبله على عناصر قليلة فى صميم حياة الموظف الحقيقية ، بل هى فى الواقع عقود مدح كان يضفيها الموظف أو الشريف على نفسه فى ألفاظ وجمل منمقة وهاك ما نقشه « رخ مى رع » عن نفسه (راجع .Pls. XI, XII) .

ألقابه : الأمير الوراثى ، ومدير مديرى البيت (البيت الملكى) ، ورئيس الأسرار ، والذى يدخل المحراب الخاص بالفرعون ، ومن لا يحجب عنه الإله شيئا ، ومن يحيط بكل شىء فى السماء وفى الأرض ، وفى أى مكان خفى فى العالم السفلى ، والكاهن سم فى بيت اللهيب (١) (أى رئيس كهنة منف) ، والكاهن « ورما » (الرائى الأعظم) فى البيت العظيم ... ، والمراقب حفل الأحفال كلها ، وقاضى المحاكم العليا الست ، ومدير كل ديوان للفرعون ، وقد كان الفذ فى نشاطه لمنفعة من نصبه ، والمصلح فى فصل المخاصمات ، وهو أخو ملك الوجه القبلى من الرضاعة ، وتابع ملك الوجه البحرى وخادم حور ... (وحور) فى بيته ، ومن تحت خاتمه اتحـد بيتى الذهب و بيتى الفضـة ، ومدير بيت « آمون » وعمـدة المدينة والوزير « رخ مى رع » . يقول : « لقد كنت شريفا بمثابة صنو الفرعون ، و بمثابة رابع من فصل بين التوأمين (أى على قدم المساواة مع تحوت والتوأمين وهمـا « حور » و « ست ») . وصاحب المكانة المقربة فى الحجرة الخاصة ، والممدوح فى كل ساعة ... ... وصاحب المقام الأوّل فى نظر الشعب » .

ترقيته للوزارة : « لقـد كانت المرة الأولى التى طلبت فيها (أمام الفرعون) فى حين كان كل إخوتى بين الألف فى الخارج (أى بين الجمـوع المحتشدة خارج القصر الملكى) وخرجت ... ... لابسا حلة عيد (؟) ، وقد ابتهج أهل بيتى ، وعند ماوصلت الى مدخل باب القصر انحنى أمامى رجال الحاشية ثم سرت ورجال الحاشية يفسحون أمامى الطريق ...... ولم تعد بعد قوّتى كما كانت عليه من قبل ، إذ تغيرت حالتى التى كنت عليها بالأمس ، وذلك منـذ أن ظهرت فى حلل الوزارة ورقيت الى مرتبة كاهن الإلهة « ماعت » (إلهة العدالة والحق والصـدق) ... ... ومن ثم وقر مديحى والإشادة بذكرى بين الصغير والكبير على السـواء . وقد كان كل إنسان ينظر الىّ كما ينظر الى بريق الجدران المرصـعة بالفيروزج (أى وهو لابس حلة التشريفة) .

مجلس مع الفرعون : « وعند ما انبثق فجر يوم ثان وحل الغد دعيت ثانية الى حضرة الإله الطيب الملك « منخبررع » — ليته يعيش مخلدا — وهو حور الثور المظفر والمشرف بفخار فى طيبة ". حقا إن جلالته عليم بمـا يجرى فلا يوجد شىء مايجهله فهو « تحوت » حقا ، إذ لا يوجد موضوع ما قد أخطأ معرفته [وكل أمر ...] فإنه يعرفه كما تعرفه سيدة الكتابة العظيمة جلالة سشات (إلهة الكتابة) ، فهو الذى يخرج التصميم الى حيز التنفيذ فهو إذن كالإله الذى يأمر و ينفذ (فى الحال) » .

---

(١) بيت اللهيب والبيت العظيم (بر . نسر ، و بر . ور) هما اسمان للعبدين القديمين جدا للعاصمتين القديمتين « بوتو » والكاب . أما الكاهن سم فهو لقب للكاهن الأعظم لمنف . وأما لقب « ورماو » فيطلق على الكاهن الأعظم لمدينة عين شمس كما ذكرنا . وهذه الألقاب الطنانة قد منحها « رخ مى رع » لأنه كان متصلا بالفرعون كما يتصل الكاهن الأكبر بالإله سـواء أكان ذلك مع الوجه القبـلى أم مع الوجه البحرى .

خطاب الفرعون لوزيره : « وقد فاه جلالته بكلماته أمامى قائلا : تأمل أرسلتنى عيناى الى قلبى لأن جلالتى يعرف أن الأحكام (التى يفصل فيها عدة وأنه لا نهاية لها ، وأن الفصل فى القضايا لاينقطع سببه ، ولينك تعمل على حسب ما أقول فعندئذ تأوى العدالة الى مثواها » ثم أغلظ فى تحذيره إياى قائلا : " سلح نفسك ، وكن قويا فى العمل ، ولا تكل ، وناهض الشر " .

رخ مى رع يتبع تعاليم الفرعون فى إدارة البلاد : ... وقد عملت على حسب ما أمر به . وقد وضع تحت سلطانى محكمة العدل . ولم يستطع أحد منهم أن يتغلب على . وبعد ذلك خرجت من عنده وعصاى على ظهرى (يقصد أنه كان لا يزال فى عنفوان الشباب ولم يتوكأ على عصا الشيخوخة) ولم تطلق الكلاب بعد (أى أنه كان لا يزال قويا) وصوتى بلغ عنان السماء (علامة على القوة) ولم يوجد واحد ... ... ثائر . وقد هدأت المتبرم بما يرغب فيه وبجلب ما يمكن أن يرضيه . [وقد قال القوم] لى . تعال — هكذا قالوا — لإصلاح حالة الأرضين ثانية ... ...
وكنت أستيقظ مبكرا كل يوم لتأديتها . وكنت قريبا من الفرعون (؟) ورأيت شخصه وهو فى صورته الحقة فهو « رع » رب السماء ملك الأرضين عند ما يشرق ، وقرص الشمس عند ما يطلع والأرض السوداء والأرض الحمراء يأتيان الى مكانه ، ورؤساؤهما يحنون أمامه وكل المصريين وكل أصحاب الرتب وكل عامة الشعب ... ... مصو بين عصيهم نحو من يخاصمه . وقد كان اسمى ضاربا للضارب فهو كالثور المنتقم (؟) الذى يضرب من يتكلم عنه بشر . وقد اتخذنى عصا ناطقة تعاقب الجموح ... ... ، وميزانا للأرضين قاطبة ، وحافظا مستوى قلوبهم بالقسطاس المستقيم ، أما الذين تذبذبت قلوبهم وأعوزتهم الاستقامة فإن سياج حور (الملك) قد أخضعهم (يقصد هنا نفسه) . وقد أصبح كل فرد مستقلا بالأحزان راضيا ... ... وقد كان فى نطرونا (أى طاهرا) وقد كانت غلظتى بريئة على شفتى (أى كانت غلظته عن طهر ونقاء سريرة) » .

علاقته بالفرعون : « وكنت قلب سيد البلاد وأذنى الفرعون وعينه ، والواقع أنى كنت ربان سفينة فلا أعرف النعاس ليلا أو نهارا . وسواء أكنت واقفا أم جالسا فإن قلبى كان متجها نحو أمراس السفينة فى مقدمتها ومؤخرتها وكان قضيب جس الماء لا يتراخى فى يدى فكنت بذلك يقظا لأى فرصة قد تجنح فيها السفينة ، وذلك لأن كل ملك للوجه القبلى والوجه البحرى يعتبر إلها تعيش الناس بإرشاده فهو والد وأم كل الناس ، وهو وحيد بنفسه فذ ؛ على أنى لم أعط الشر مجالا حتى يجتاحنى ولم تحدث مصيبة بسبب إهمال منى » .

« رخ مى رع » يتحدث عن أنجازه للأعمال وطهارة يده :

إنى أتحدث بفمى ، وأجهر به وعلى ذلك سيسمع الحكماء والآخرون لما أقول :

وقد مجدت «ماعت» (العدالة) حتى عنان السماء وجعلت جمالها يرسخ فى عرض الأرض حتى تستطيع أن تأتى وتأوى إلى أنوف الناس مثل النسيم عندما يخلص القلب والجسد من الحقد . وقد قضيت بين الفقير والغنى بالقسطاس المستقيم ، وخلصت الضعيف من القوى ، ووقفت فى وجه غضب الأحمق ، وسحقت الجشع فى ساعته ، وقمعت حنق المهتاج فى وقته ، وكفكفت البكاء ... وحميت الأرمل التى لا زوج لها ، ونصبت الابن الوارث مكان والده ، وأعنت الرجل المسن ما نحا إياه عصاى ، وجعلت المرأة العجوز تقول : ماأطيبه من عمل ! ! ، وكرهت الظلم ولم أرتكبه ، جعلت أهل المين يغلون منكسى الرءوس . وكنت مبرءا أمام الله . ولم يقل أحد عنى ممن كانوا على علم ، ماذا فعل ؟ ولقد قضيت فى الأمور الخطيرة ... وجعلت الحزبين يخرجان من عنـدى متصالحين ولم أشوه العدالة من أجل رشوة . ولم أكن أصم لفارغ اليد ، لا بل كنت فضلا عن ذلك لا أقبل رشـوة أى إنسان ... ليت قلوبكم تعمر حتى تعلموا أنتم أيها الناصحون الذين يفصلون فى الخطابات ، أنتم يأيها الحكام العظام فى الأزمان الغابرة ... مرحبا أيها الرفاق ، واصغوا أنتم جميعا تأملوا إنى معكم و إنه ليس بمين . ولقد قال لى الملك كن يقظا لأنك معادل الإله (أى الفرعون) ... أغدق الثناء على جلالته حتى يهيىء لراحتك النجاح ، و يجعل الأرضين تعملان له بإقامة العدالة . ولماذا يخشى على أن أعمل فى حين أنى راض وقد أتممت ما أمر به ، وقد قمت بإنجازه على أثر سماعه وقد أصلحت كل حالة ... وكنت موضوع كل المحادثات مثل فرد سجن » .

أعماله التأديبية : « سـواء أكنت واقفا أم قاعدا فقد كانت عصاى على كتفى ضاربا بها المهاجم . ؟ ... وقد جعلت نفسى صيادا ماهرا بصير الخطا ... فلم أتعثر على قطعة حجر ... وقضيت على عصابات المؤمرات الليلية وصددت المعتدى ... (وأبدت) المجرمين على الماء واليابسة وكذلك من أجرم فى حق سيده بقدمه أو أنفه جعلته ينكص على عقبه ... ولم أكشف عن وجهى لمقترف الإثم ، وألقيت الرعب فى قلوب الجمهـور ، وعلمت الصبى الغريب واجبه ، وضيقت على المساجين (؟) ، وجعلت الثائر يعرف سقطته اليائسة . وقد كان أمر الفرعون فى يدى لأنفذ أغراضه . ولم يقل أحد عنى ماذا فعل ؟ (ربما يقصد بذلك أن أفعاله كانت منسوبة له شخصيا ولكنها كانت معروفة بأنها أفعال الفرعون) .

ذكاء «رخ مى رع» وحكمته : ولقـد كنت معلما بين أولئك الذين عرفوا الحرف (أى أن علم «رخ مى رع » كان مفيدا حتى لأولئك الذين على علم) ... ولم يوجد مثلى فى خلق السعادة أو التعاسة . وكذلك لم يوجد تصميم كنت أجهل كيفية تنفيذه ، فقد كنت متضلعا ومتفوقا فى (معرفة) الأشكال المتقنة

والمؤثرة أو المعيبة العتيقة ، وكنت فطنا فى العـلوم كلها متأنيا فى النصيحة مستعدا للإصغاء ، وكنت ماهرا فى أحوال المـاضى ، وكانت حالة أمس تجعلنى أعرف الغد .

بصيرة «رخ مى رع» : ولقد قضيت للشاكى ، ولم أمل إلى جانب واحد (فى المحاكمة) ، ولم أعر الرشوة أى التفات ، ولم أكن عبوسا فى وجه من أتى متظلما ، ولم أصـده بل احتملته فى ساعة غضبة ، وخلصت الرجل الخائف من الشرس .

الاعتراف بأن الله بصير بالعباد : اسمعوا أنتم يا من فى الوجود ان الله يعلم ما فى الأنفس وكل ما فيها من أعضاء منشورة أمامه . تأملوا أنتم إن عيونه تبصر طبائع الناس فى أكبادهم . وكل قلب ينضم اليه من تلقاء نفسه » .

استعانته بزملائه الموظفين : « ليت قلوبكم تفلح أنتم يامن فى الوجود ، ويأيهـا الأفراد الذين هم على قيـد الحياة ، ويا كل كاتب ماهر فى كتابته ، ويا من سيقرأ فى النصوص ويترجم بقلبه ومن يكون ذرب اللسان صافى البصيرة نافذا فى أعمـاق الكلمات ، ومن يكون قد هذبه معلم بما يجب أن يعمل فيكون ذا أناة وصبر شجاعا فى السؤال — وإنه لرجل حكيم أيا كان من سيسمع ماتحدث به الأجداد الذين غبروا » .

الوزير « رخ مى رع » يطلب تدخل زملائه فى تقديم القربان له : « إن آلهة مدنكم سيثنون عليكم » وكذلك ملك عصره فى زمانكم ، وإنكم ستسلمون وظائفكم لأبنائكم بعد حياة مديدة بدون أسف ، وستصلون إلى مقابركم فى الجبانة : ومن سيعيش على الأرض سيشترك فى جنازتكم ، وستجر بقرات « حسات » (توابيتكم) ، وستروى طرقكم بلبانها ، وستنضمون إلى حجرات دفنكم التى فى الأبدية بمدينة الحق ، وهى الأرض الصامتة ، ولن يسقط اسمكم من فم لفم ، وصوركم ستسعد هنالك بقدر ماتقولون قربانا يقدّمه الملك و« آمون رع » و« آتوم » و« شو » و« تفنت » و« جب » و« نوت » و« أوزير » و« حور » و« مختنى لم إرتى » و« ست » و« إزيس » و« نفتيس » و« تحـوت » وكل « رع » ، وبقدر ما تطلبون قربانا لا تحصى وكل أشياء طيبة لاعدلها لتصعد إلى السماء وتنفذ فى العالم السفلى وسط النجوم السيارة . وليتهم (أى هؤلاء الآلهة) يقـدمون قربانا من الطعام يوضع على أوراق صاحب القلب المتعب « أوزير » لأجل روح الأمير وحاكم المدينة « رخ مى رع » المرحوم .

تنصيب « رخ مى رع » وزير للصعيد

الملك يستقبل "رخ مى رع": يشاهد على النصف الجنوبى من الجدار الغربى من القاعة صورة الفرعون « تحتمس الثالث » وهو جالس على عرشه . وقد نقش معه الخطاب الطويل الذى وجهه لوزيره « ـ رخ مى رع » عندما نصبه وزيرا وقد استعرض فى هذا الخطاب السلطة التى خلعها عليه ، وكذلك توكيله لاستقبال سفراء الدول الذين يحملون الهدايا إليه . ومن المحتمل أن هذا الحادث قد وقع عند الحفل بعيد « سد » فى السنة الثالثة والثلاثين من حكم هذا الفرعون . وقد قلنا فى الجزء الثالث من هذا الكتاب إن هذا الخطاب الذى كان يوجهه الفرعون إلى وزيره يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة ، وقد أدلينا بالبراهين التى استندنا إليها فى هذا الزعم (راجع ج ٣ ص ٤٥٩) .

وفى المنظر الذى أمامنا فى هذه المقبرة نشاهد مكان صورة « رخ مى رع » التى محيت بيد أعدائه فيما بعد ، وكان واقفا أمام الفرعون . والظاهر أن وقفته فى هذا المنظر كانت تشبه وقفة عمه « عامثو » . وعلى أية حال فقد بقى لنا متن يلخص لنا الموقف والمنظر معا (راجع (.Pl. XIV) وهو : التعاليم الرشيدة التى فرضت على الوزير « رخ مى رع » واجتماع المجلس فى حضرة الفرعون له الثناء ، وطلب الوزير المنصب حديثا ليمثل أمام الفرعون .

مهام الوزير التى وضعها الملك : " قال له جلالته . انظر إلى قاعة الوزير وكن يقظا للقيام بكل الإجراءات فيها . تأمل إن ذلك يعنى توطيد حالة البلاد قاطبة . تأمل إن منصب الوزير ليس حلوا قط بل إنه مر المذاق كالصبر . تأمل إنه البرنز الذى يحيط بنضار بيت سيده . تأمل ! إن القصد منه ألا يجعل لنفسه ولا لموظفى إدارته اعتبارا ما وألا يتخذ من الشعب عبيدا . تأمل ! إن كل ما يعمله الإنسان فى بيت سيده هو أن يحدث بما يرضى ... ... » .

حب الشعب له : « تأمل ؛ إذا حضرك شاك من الوجه القبلى أو الوجه البحرى ، أى من البلاد قاطبة ، مستعدا للحاكمة ... ... لأجل سماع قضيته فواجبك أن ترى كل إجراء لازم لذلك

قد اتخذ على حسب القانون ، وأن يكون كل تصرف يتفق مع العرف الجارى ... ... تأمل ! عندما يكلف حاكم بسماع قضايا ، عليك أن تجعلها علنية و بذلك تجعل الماء والهواء ينقلان كل ما عساه أن يفعل . تأمل ! فانه بذلك لن يبق سلوكه خافيا . وعلى ذلك إذا أتى أى أمر (غير مرض) يلام عليه فيجب ألا ينصب ثانية بأمر من رئيسه ، بل يجب أن يعلم الناس فعلته التى فعلها بواسطة القاضى الذى حاكمه . وعلى القاضى أن يشترك مع رئيسه فى النطق بالحكم بالصيغة التالية : إنها ليست قضية لأصدر حكمى فيها ، وإنى أرسل الخصم ليتحاكم أمام الوزير أو أمام أى موظف كبير ، وبذلك لن يخفى على الناس ما فعله » .

تمسكه بالقانون : تأمل ! إن التمسك بالمبادئ الأولى القانونية ، فيه أمان للحاكم فى تنفيذ التعليمات الجارية ، وعلى ذلك فإن المدّعى الذى يحاكم يستطيع أن يقول : « ليس هناك عقبة لنيلى حق » تأمل ! تأمل ! إنها تعاليم ثابتة مثل قوانين « منف » ومثل النطق الملكى ، ومثل صرامة الوزير ، ومثل إصدار المرسومات؟...

تحذير مقتبس من التاريخ : « تجنب ما نسب للوزير « خيتى » فإنه قد ظلم فى حكمه رجالا من عترته لمصلحة آخرين ، وذلك خوف الاعتراض عليه ورميه بالتحيز وهو بفعلته هذه قد حابى الظالم . ولذلك لما قدم أحد الناس احتجاجا على دعوى قد دبرها على أحد أقارب الوزير سارت الدعوى فى مجراها ونجح فى كسبها بسبب إجحاف الوزير ، وهذا كان مبالغة منه (أى الوزير) فى تنفيذ العدالة ... فالمحاباة بغيضة عند الله ، وهذا تعليم يجب أن تسير على سننه » .

إرشادات فى المعاملات : « يجب أن تراعى ، من تعرفه كما تراعى من لا تعرفه ، وكذلك الفرد الذى يلتجىء إليك كالفرد البعيد عنك... فإذا سار حاكم على حسب هذه الطريقة فإنه سيصيب النجاح فى هذه الإدارة . ولا تخط مدعيا قبل أن تسمع شكايته ، وإذا كان هناك خصم يريد أن يشكو إليك فلا.. فالذى يقوله بكلمة ، وإذا رفضت شكايته فعليك أن تجعله يسمع السبب الذى من أجله رفضت شكايته تأمل ! فإنه يقال إن المدعى يفضل سماع أقواله عن أن يفصل فى القضية التى حضر من أجلها » .

سلوك الوزير الشخصى : لا تغضبن على رجال ظلما بل اغضب على من يستحق الغضب عليه ، ابعث الرهبة فى نفسك حتى يخشاك الناس ، لأن ذلك الموظف الذى تخشاه الناس هو الموظف الحقيق . تأمل ! إن شهرة الموظف تنحصر فى أن يفعل ما هو حق . تأمل ! إن الرجل إذا بعث الخوف منه مرات عدة أكثر مما يجب فقد يدعو ذلك إلى اتهام الناس له بعدم الاستقامة . ولن يقولوا عنه : « إنه رجل ! » . تأمل ! إنه لكذب أن تقول : إن الموظف الذى يحرف الكلم عن مواضعه سيفلح

على حسب ما أصاب من شهرة . تأمل ! إنك ستصل إلى حيث يكون القيام بوظيفتك ، وعملك ما هو حق سيان عندك . تأمل ! إن المثل الأعلى هو أن تكون المعاملة الحقة هى الدعامة فى نجاح الوزير . تأمل ! إن عمله ينحصر فى القيام بأداء الإشراف الدقيق لأنه كاتب « ماعت » (إلهة العدل) وهكذا يقال عنه .

الوزير يعمل على حسب نظام : والآن إن القاعة التى تسمع فيها القضايا تحتوى حجرة فسيحة الأرجاء ، وفيها وثائق عن كل الأحكام القضائية ، والرجل الذى سيقضى بالحق على رءوس الأشهاد كلهم هو الوزير . تأمل ! إن الرجل حينما يكون قائما بمهام وظيفته يجب عليه أن يعمل على حسب التعليمات التى أعطيها ، والرجل الذى يعمل طبقا لما أمر به لا حرج عليه ، فلا تتبعن هواك فى أمور قد عرفت مبادئها القويمة . تأمل ! إنه لمن سوء طالع الرجل المتهور أن يفضل الرجل الرزين على الرجل المتهور ، فعليك إذن أن تعمل على حسب القوانين التى أعطيتها . تأمل ! إن من واجبك بوصفك شريكا فى العمل أن توجه اهتمامك للأرض الزراعية ، وذلك بوضع نظام محكم ، فاذا اعترضتك صعاب عندما تقوم بتحقيق فعليك أن تكلف المشرفين على الأراضى والمشرفين على « شنتو » وموظفى الأقاليم بدرس المسألة . وإذا كان الشخص الذى سيفحص المسألة موظفا كبيرا فعليك أن تسأله ما الذى فعلته فى الموضوع الذى أسند إليك ؟

وبعد ذلك الخطاب الرائع نشاهد الوزير خارجا فى موكب رسمى بعد هذه الجلسة من بين يدى الفرعون حاملا عصا طويلة ، ويتقدمه حرس الشرف الذى كان يشمل ستة رجال وقد كتب على هذا المنظر ما يأتى : مغادرة عمدة المدينة والوزير « رخ مى رع » البلاط — له الثناء — حيث قد نال تقدير سيد القصر ، كما وكل إليه أمر سياسة مصر ، وإدارة شئونها ، وذلك على غرار ما عمل والده عمدة المدينة والوزير « عامتو » يضاف إلى ذلك أن المتن الذى نقش فوق صورة ستة العظماء يفسر لنا أنهم كانوا يفسحون الطريق لرئيسهم الوزير عند مغادرته قاعة العرش ، كما نفهم منه أيضا أن ذلك هو نهاية منظر تنصيب الوزير فاستمع إلى ماجاء فيه (Pl. XVI - 1 - 16.) سمار الفرعون — له الحياة والسعادة والصحة — يخرجون أمام الوزير ، والمديح يندفق منهم ، ويغنون أبتهاجا بالكلمات التالية : « يأيها الحاكم صاحب الآثار الجميلة ، يا « منخبررع » يا من يثبت كل وظيفة ويمد

المعابد بالقوانين والمبادئ الرشيدة من كل نوع وهو آمن على عرشه، يامن ينصب الأشراف فى أماكن آبائهم، ليته يكرر الاحتفال بعيد «سد»، وليته يكون قائد القوم عائشا مخلدا . وقد كان كل واحد من هولاء السمار يحمل غصنا أخضر يانعا إشارة إلى الفرح والسرور .

رخ مى رع يستقبل جزية البلاد الأجنبية : وتدل النقوش على أن الوزير قد عقد جلسة لاستقبال ممثلى البلاد الأجنبية، ويحتمل أنها كانت رمزا لتقلده كرسى رياسة الوزارة إذ نشاهد « رخ مى رع » تتقدمه طائفة من الكتبة والخدم . ويفسر لنا جزء من المتن التابع لهذا المنظر أن الوزير كان يتسلم جزية البلاد الجنوبية (راجع Pl. XVI, 1 - 8.) الخاضعة لمصر، هذا بالإضافة إلى جزية بلاد « بنت » ، وبلاد « رتنو » (آسيا) وكذلك هدايا بلاد الكفيتو (كريت) هذا غير أسرى البلاد المختلفة الذين استولى عليهم الوزير لفخامة جلالة مليك مصر « منخبر رع » العائش مخلدا .

ونعلم من قائمة الإنعامات والوظائف أن الفرعون قد نصبه على رأس أتباعه وصيا على الأرض قاطبة لأنه أدى للمليك خدمات جليلة على أن هؤلاء الوفود الأجانب قد لمسوا المنزلة السامية التى يتمتع بها « رخ مى رع » عند سيده .

ولا نزاع فى أن هذا المنظر الذى يقدم فيه أولئك الأقوام الأجانب خضوعهم لمصر واعترافهم بسيادتها يعد من المناظر الهامة جدّا . وعلى الرغم من أن هذا المنظر قد جمع بين أقوام الشمال والجنوب (أى آسيا وبلاد السودان) فى صورة واحدة فإن ما حواه من أشكال ومعلومات جعلته يحتل مكانة هامة جدّا وبخاصة إذا علمنا أن أمثال هذه المشاهد كانت غريبة نسبيا عن أعين المصريين فى إبان الفتوح الأولى وبخاصة قبل أن يختلط المصريون بهؤلاء الأقوام اختلاطا تاما كما حدث فى الأزمان التى تلت العهد الذى نحن بصدده الآن .

العلاقات الخارجية : ونرى أمامنا فى هـذا المنظر من هؤلاء الأقـوام اثنين يمثلان أهالى بلاد «بنت» ثم يأتى بعدهما طراز من الناس يمثل ثقافة شمالى البحر الأبيض المتوسط أى بلاد كريت ، وهذان الإقليمان بعيدان عن متناول الجيوش المصرية، ومع ذلك فإنهما كانا مدينين لمصر بما كان بينهما و بينها من تجارة رابحة رائجة، هذا فضلا عن أشياء أخرى كثيرة غير ذلك . ومن ثم نعلم أن سكان هذين البلدين كانوا يعدون طبقة يختلف عن البلاد التى فتحتها مصر بحد السيف ، وهما بلاد السودان والأقطار الأسيوية، وكان يجلب منهما الأسرى ومن ذلك نعلم أن بلاد « بنت » و بلاد « كريت » كان يربطهمـا بمصر رابطـة التجارة على وجه خاص . أما بلاد السودان والأقطار الأسيوية فكانت بلادا تابعة لمصر، وخضعت لهـا بحد السيف، وكان لزاما على أهلها أن يقدموا الجزية طوعا أو كرها .

بلاد بنت : لقد ذكرت فى الجزء الثانى من هذا المؤلف (راجع ص ٢٥٨) كل ما نعرفـه عن بلاد « بنت » وهـو شىء ضئيل ، إذ الواقع أن ما وصـل إلينا عن ثقافتها يكاد يكون فى حكم العـدم . وذلك على الرغم من أن مصر كانت متصلة بها منذ عهد الأسرة الخامسة ، ولا بدّ أنها بلاد قد حمتها الطبيعة، إذ لا نجد ما يدل على ميل الأهالى للحروب . يضاف إلى ذلك أن البلدين كانا يشعران بقرابة بعيدة تصل بينهما مما جعل بلاد « بنت » مهيأة للتأثر بالنفوذ المصرى ولولا ما كان بين البلدين من بعد الشقة ووعورة المسالك لأصبحت الروابط بينهما عظيمة جدا . وليس لدينا معلومات صريحة تحدثنا عن أن أهل « بنت » كانت لهم طرق تجارية بحرية، وإن كان ذلك من المحتمل إذ نعلم من نقوش قبر رقم ١٤٣ فى طيبة الغربية أن بلاد «بنت» كانت لها سفن تجارة غريبة الشكل ومن المحتمل أن هذه السفن الخشـنة الصنع كانت ميزتها تنحصر فى أنها تستطيع السـير فى الشواطئ المرجانيـة (Davies. M. M. A. XXX. (1935) Nov. II. P. 40 - 49.) .

هدايا بلاد بنت : ومن المعلوم أن أهم محصولات بلاد « بنت » الخاصة التى أغرت المصريين بالرحلات الخطرة إلى هذه الجهات الصمغ الذكى

الرائحة (عنتو) وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم بلسم دون أن نتعرض لاسم النبات الذى كان يستخرج منه وقد كان أمل الملكة « حتشبسوت » أن تنقل هذا النبات الذى كان يستخرج منه هذا الصمغ إلى طيبة وقد نقل فعلا منه عدّة شجرات . والظاهر أن مشروع توطينه فى مصر لم يفلح تماما غير أنه مع ذلك لم يهمل كلية إذ نجد نباتا من هذه الفصيلة فى قبر « رخ مى رع » (راجع Paintrgs Pl. I.) وقد كان يجلب هذا الصمغ إلى مصر فى سلات ويكدس فى أكوام أمام الكتبة أو كان يقدم فى هيئة هرم أو مسلة تعظيما لمصر . وذلك لأن حبيباته الحمراء القاتمة تشبه إلى درجة كبيرة الجرانيت الأحمر . وكذلك من محصولات هذه البلاد الذهب فنشاهد سلتين من هذا المعدن فى هيئة حلقات وفى سلة أخرى خواتم مطبوعة . و يوجد كذلك سلة مملوءة بمادة حمراء كتب عليها (حجر أسود) اسمه « كم كا » ، وأخرى تحتوى على مادة بيضاء من المرجان (؟) . هذا إلى ثلاث سلات تحتوى وسطاها على مادة حمراء تدعى (خنت) أما الأخريان فيضمان على ما يظهر بخورا .

أما المنتجات الأخرى فهى الأبنوس والعاج وجلد الفهد ، وزجاجة من الجلد وريش نعام و بيض نعام وذيول زراف وقلائد وسيف من الخشب وهو السلاح القومى . هذا إلى حيوانات حية منها القردة والنسانيس والوعل وفهد (شيته) (راجع .Pl. XVII) أما الرجال الذين مثلوا فى هذه الصورة من أهل « بنت » فينقسمون قسمين الأقلية منهم لهم لحى طويلة حقيقية وشعور مرسلة بطولها الطبعى وقد لفت بأشرطة بيضاء ، وهذا الجنس هو نفس الجنس الذى نشاهده فى رسوم حملة بلاد «بنت» التى رسمت على جدران معبد المدير البحرى . أما القسم الثانى فيمثل الجنس الزنجى تقريبا وهو ذو شعر قصير مجعد و يحتمل أن القسمين كانا من الجنس الحامى الذى اختلط بالساميين كما نشاهد الآن فى بلاد الحبشة . وكلا الجنسين يلبس القميص القصير الذى يستر الوسط وهو لباس يرتديه أقوام

كثيرون وذلك يرجع إلى بساطته على وجه عام . والمتن الذى نقش فوق هذا المنظر جميعه هو :

وصول رؤساء « بنت » فى سلام مطأطئين رءوسهم إلى مكان جلالته ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » ليته — يعيش مخلدا — محضرين جزيتهم وهى هدايا منوعة حسنة من بلادهم وهى بلاد لم تطأها قدم أحد آخر — وذلك بسبب عظيم قوته فى كل بلادهم ، لأن كل أرض خاضعة لجلالته . وقد كان « رخ مى رع » الأمير الوراثى هو الذى تسلم الجزية المختلفة الأنواع التى أحضرت لجلالته من كل الأقطار بسبب انتصاراته ، وكل قطر كان خاضعا لجلالته » وأمثال هـذا المتن يجعـل القارئ يفهم أن بلادا « كبنت » لم يفتحها الفرعون بحـد السيف ضمن المستعمرات التى أخضعها الفرعون مثل بلاد « سـوريا » وأقاليم السودان والواقع أنها ليست من هذا النوع .

الكفتيو : أما النقوش التى دونت فوق قـوم « الكفتيو » فهى : « وصول رؤساء « الكفتيو » فى سلام ، وكذلك رؤساء الجزر التى فى البحر الأخضر العظيم مطأطئين رءوسهم لعظمة جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى منخبر رع — معطى الحياة مخلدا — وهو الذى بانتصاراته فى كل الأراضى — حاملين جزيتهم على ظهورهم أملا منهـم فى أن يمنحوا نفس الحياة لولائهم لجلالته ، وليسمح لهم بالاحتماء بقوته . وقد كان الوزير « رخ مى رع » ثقة الفرعون وحاكم المدينـة وهو الذى تسلم جزية كل الأراضى التى أحضرت لما لجلالته من قوة » .

هدايا الكفتيو : أما أنواع المحاصـيل التى أهدتها هـذه الأصقاع فتشاهد مكدسة أمام كتبة وتشمل ما يأتى : — (١) ركائز من فضـة (٢) سـلة مملوءة باللازورد (٣) حلقات فضـة (٤) ركائز فضـة (٥) إناء من الذهب له مقبض متحرك (٦) إناء من اللازورد مثبت فيه أشرطة ومقابض مذهبة (٧) إناء من الذهب له مقبضان فى صورة فهدين (٨) طبق من الذهب (٩) قدح مزخرف من الذهب (١٠) إناء « حس » أزرق اللون (١١) إناء من الفضة ذو مقبضين (١٢) رأس لبؤة من الذهب (١٣) طبق من الذهب (١٤) آنية دقيقة الصنع

من الفضة مرصعة بالذهب (١٥) كأس للشرب من الذهب له فوهة على هيئة رأس وعل (١٦) أربع ركائز من الفضة (١٧) رأس كلب من الذهب الأصفر الباهت (؟) (١٨) رأس طائر له عرف من الذهب (١٩) رأس أسد من الذهب (٢٠) إناء من الذهب له مقبضان (٢١) رأس ثور من الذهب (٢٢) ثلاث ركائز من النحاس (٢٣) آنية من الفضة ذات قنوات لها رأس وعل من الذهب بمثابة غطاء، ومقبضان من الذهب مثبتان بأشرطة من الذهب (٢٤) إناء كبير من الفضة له مقبضان، أما الهدايا التى نشاهدها محمولة على أيدى رجال ففيها (Plates XVIII XX & "Paintings," III - V) (٢٥) طاس مزخرف لونه أصفر (٢٦) خنجر فى قراب لونه أزرق (٢٧) طاس مزخرف من الفضة له شريط ورأس وعل وزهرات من الذهب (٢٨) كأس مدببة من الذهب وجزؤها الأسفل مزركش (٢٩) كل من الأحجار الثمينة (؟) (٣٠) خنجر فى قراب أزرق (٣١) إناء ذو فوهة لونه أبيض (٣٢) طاس من الذهب مزخرف (٣٣) خنجر فى قراب أحمر اللون (٣٤) ركيزة من النحاس (٣٥) كأس مزركش أسفله مدبب من الذهب (٣٦) إناء ذو مقبضين من الفضة (٣٧) سيف لونه أصفر (٣٨) طاس مزركش من الذهب بزهور زرقاء ونقط (٣٩) إناء من الذهب (؟) (٤٠) ركيزة من النحاس (٤١) إناء من الفضة ذو فوهة (٤٢) إناء من الذهب ذو مقبضين (٤٣) قلادة من الخرز الأزرق (٤٤) إناء من الفضة ذو مقبضين (٤٥) زجاجة مصنوعة من الجلد لونها أحمر قاتم (٤٦) طاس من الذهب مزخرف (٤٧) قلادة خرز (٤٨) طاس ذهب مزخرف (٤٩) كأس من الذهب مزركش (٥٠) ركيزة نحاس (٥١) إناء من ذهب (٥٢) طاس من الذهب مزخرف (٥٣) سمط من الخرز الموشى بالذهب وملون بالأحمر والأزرق على التوالى (٥٤) إناء من الذهب ذو مقبضين (٥٥) زجاجة مصنوعة من الجلد الأحمر القاتم (٥٦) سن فيل (٥٧) إناء من الذهب ذو فوهة .

تحقيق موقع بلاد «كفتيو» : كانت العبارة «بلاد كفتيو والجزر التي فى داخل البحر الأخضر العظيم» موضع حدس وتخمين كثير للوصول إلى معرفة ما إذا كانت بلاد «كفتيو» والجزر التي فى داخل البحر الأخضر العظيم (أى البحر الأبيض المتوسط) تدل على جهتين منفصلتين أو أن الثانية هى عين الأولى، وأن كلمة كفتيو قد ذكرت فى الأول لأهميتها أو أنها اسم أطلق على كل جزر البحر الأبيض جميعا . والواقع أن العبارة لا تدل على هذا ولا ذاك صراحة، وذلك أن المنظر الذى رسم أمامنا يدل كل صف فيه على نوع من الناس له جنسيته المميزة له وثقافته الخاصة به، فنرى على الرغم مما يوجد من اختلافات طفيفة مثلا أن كلا من كلمة «كفتيو» و «إينتو — ستى» — و «رتنو» ، تدل على صنف خاص من الأقوام الذين نبحث فيهم الآن. وقد أتوا حاملين الجزية والهدايا للفرعون . على أنه مع ذلك قد يتفق أحيانا أن يضاف لاسم هذا الصنف من الناس اسم بعض السكان المجاورين بمثابة شرح وتفصيل . ففى الحالة التي نحن بصددها الآن قد أضيفت عبارة سكان «جزر الأخضر العظيم» للدلالة على أنهم من جنس أهل «الكفتيو» لأنهم من سلالة واحدة ولهم ثقافة مشتركة . ومثل ذلك كمثل سكان «ختى حن نفر» فإنهم لا يختلفون اختلافا ظاهرا على ما نعلم عن السكان الذين يدعون «إينتو ستى» وهم الذين يقطنون على الشاطئ الأيمن للنيل جنوبى الشلال الأول (راجع ,Gauthier Dic. Geog. IV. P. 182.) وكمثل سكان «رتنو» (سوريا) فإن لهم فروعا وصلات ثقافية تمتد شمالا من بلاد «رتنو» الأصلية .

والواقع أن كلا من هؤلاء الأقوام الثلاثة له ثقافته الخاصة به، وعلى ذلك فإن الكاتب المصرى عند ما ذكر «الكفتيو» والجزر التي فى داخل البحر الأخضر العظيم كان يريد بلدا واحدا . كما يقال الآن مصر وملحقاتها . على أنه يوجد الآن رأى يميل إلى ربط الثقافة المنوية (أى ثقافة كريت) «بقبرص» والجزر الهيلانية وبلاد الأغريق نفسها الواقعة على جانبى بحر «إيجه» . ويرتكز هذا الرأى

على براهين قوية ، وعلى ذلك يمكن القول هنا أن « كفتيو » لم تعرف هنا بوصفها جريرة « كريت » بل أعطيت الأولوية لتدل على ثقافة جزائرية عامة . وقد حاول الأثرى « وينريت » (J. E. A. Vol. XVII. P. 26f.) أن يثبت عبثا أن كلمة « كفتيو » تدل على البلاد الواقعة غربى جبال « آمانوس» فى أسيا الصغرى وأنها كانت تدعى عند المصريين الجزر التى فى داخل البحر الأخضر العظيم . ويمتاز جنس « الكفتيو » فى رسوم مقبرة « رخ مى رع » بمميزات خاصة (Plates XVIII - XX. & "Paintings" III - V) أهمها أن لون بشرتهم يميل إلى السواد وشعورهم طويلة ذات تجاعيد مقوسة على قمة الرأس ، وكذلك يلاحظ أن كلا منهم يحتذى نعلا له لفافة للساق مزركشة (gaiters) ويرتدى قميصا مزركشا منسقا قصيرا . ونجد فى حالتين أن الرجل منهم كان يرتدى لباسا مصنوعا من جلد حيوان من فصيلة القط شعره غزير ، أو كان يرتدى جلدين مربوطين إلى بعضهما وقرابا لعضو التذكير ملونا فى كل الحالات . وقد دل الفحص على أن هذا هو الزى المنوانى (راجع .Davies, Rekh-mi-Re. P. 23 - 25) .

النوبيون : أما المتن الخاص بوفود بلاد النوبة فهو كما يأتى : — «وصول رؤساء البلاد الجنوبية فى سلام وهم أهل « إنتو ستى » و « خنتى حن نفر » مطأطئين رؤوسهم ومقبلين الأرض وحاملين جزيتهم ... لملك الوجهين القبلى والبحرى « منخبر رع » ، ليته يمنح الحياة مخلدا — آملين أن يمنحوا نفس الحياة . وقد كان « رخ مى رع » الحاكم الوراثى وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وعمدة المدينة والوزير ، هو الذى تسلم جزية البلاد المختلفة التى أحضرت لفخامة جلالته لما له من قوة وسلطان ونفوذ فى كل الأراضى » .

والواقع أن ما نشاهده من ثقافة فى بلاد النوبة يتضاءل عندما نقرنه بالثقافة « المنوية » التى لعبت دورها فى الحضارة الغربية ، هذا فضلا عن أن ما نشاهده فى رسوم مقبرة « رخ مى رع » لا يحدثنا عن ثقافة خاصة ببلاد النوبة فى العهد الفرعونى ، وذلك لأن مصر كانت قد غذت النوبة بثقافتها ، غير أن نفوذها كان قد تضاءل جدا من هذه الناحية فى عهد الهكسوس ، ولذلك كانت حضارة البلاد الأصلية

قد راجت فى تلك الفـترة . على أن ما نشاهده فى مقبرة « حوى » من رسـوم يدل على الثقافة المصرية فى هذه البلاد وانتعاشها من جديد بسرعة مدهشة . (راجع Steindorff, "Aniba", I. P. 10ff. & 23.) ولا بد من عمل حفائر لمعرفة ثقافة القوم الأصلية لأن ما نشاهده هنا ينحصر فى أن أهل النوبة كانوا يمدون مصر بما لا تنتجه وحسب .

أهالى النوبة : (راجع .Plates II, XVIII - XX. & "Paintings", VI, VII)
الواقع أن الباحثين من رجال الآثار لا يعرفون إلا النزر اليسير عن الحدود الفاصلة بين القبائل التى كانت تتألف منها بلاد النوبة قـديما ، كما كانوا لا يعرفون الكثير عن مدى امتدادها جنوبا . وإذا فحصنا الصورة التى مثل فيها أهل الجنوب نجد أن الشخصين الأولين يختلفان عن الباقين من حيث الشعر والملبس . غير أن الهدايا التى يحمـلونها تجعلنا نعتقد أنهما من الأغلبيـة السائدة فى هـذه الأصقاع . ويدل الشريطان المتدليان من شعرهما على أن هـذا الشعر ربما كان مستعارا ، ويفهم من هيئتهما أنهما الرئيسان اللذان كانا على رءوس الوفود .

هدايا بلاد النوبة : (.Plates, II, XVIII - XX. & "Paintings", VI -VIII)
أما الهدايا التى تشاهد مكدسة أكواما فى الصـورة فتشمل المحاصيل العـادية التى تنتجها بلاد النوبة ، وتتألف من ريش نعـام وبيض نعام وقطـع من الأبانوس وقضبان وحلقات من الذهب وثلاث سلات مملوءة من السام وقـرد أخضر اللون جالس على كرسيه الخاص وست جرات من عطور « ستى » وخمسة جلود فهـود وست أسنان فيلة ، وسلة من حجر « حماجت » الأحمر وآخر من حجر «شسمت» الأخضر . ومعظم هذه المواد التى سردناها نشاهدها ثانية محمولة على أيدى رجال الوفود . هذا بالإضافة إلى ذيول زرافات وجلود ، واحد منها لحيوان ملون بالأحمـر والأبيض ومخالبـه مقطوعة ، وآخر يشبه الثعلب وهـو الذى يستعمل رأسـه عادة فى أطراف الحـلة الملكية ، وفى أطراف القضيب السحرى (راجع

(Pl. XXXVII. row 2) أما الحيوانات التى جاء بها هـذا الوفد حية فتشمل فهدا و سناسا وزرافة ، وكذلك طائفة من كلاب الصيد أبدع المفتن فى إخراجها، هذا الى أبقار من نتاج البلاد نفسها رسمت برءوس نحيلة وقرون كذلك ركبت فى هيئة غريبة خارجة عن حد المألوف .

أهل الرتنو . والمتن الذى نقش على وفود « رتنو » هو ما يأتى (Fig. 5) :

وصول رؤساء « رتنـو » فى سلام ومعهم كل بلاد آسيا الشمالية مطأطئين رؤسهم وجزيتهم على ظهورهم أملا منهم فى أن يمنحوا نفس الحياة بسبب ولائهم لجلالته لأنهم رأوا انتصاراته العظيمة جدا . حقا ان بطشه قد قهر قلوبهم . والآن يتسلم منهم جزية البلاد كلها السيد محبوب الآلهة وموضع ثقتـه العظيمة فى كل الأرضين ، وعمدة المدينة الوزير « رخ مى رع »

وصف أهل رتنو : (راجع .Plates II, XXI-XXIII, "Paintings", X-XII)

يلاحظ أن رؤساء بلاد « رتنو » قد ميزوا بأشرطة وضعت أفقية على صدورهم كما هو موضح فى صورة الشخصين الأول والثالث، ويشاهد أن كل أفراد البعثـة من جنس واحد بيض الوجوه و يلبسون كلهم زيا واحدا، غير أنهم قد رجلوا شعورهم بطرق مختلفة . ومما يسترعى النظر فى هذا المنظر أن معظمهم محلقون رءوسهم أو أنها مقصوصة قصا قصيرا جدا . على أنه يوجد بينهم ثلاثة قـد أرخوا شعـورهم على أكتافهم ، وربطوها بأشرطة .

الهدايا التى أحضروها : (راجع Plates II, XXI - XXIII, "Paintings" IX - XII.) . ومما يلفت النظر هنا أن الهدايا التى أحضرها وفود « رتنو » لا تدل على مدنية عظيمة جدا وثراء ضخم، إذ لا نجـد إلا ثلاثة من رؤساء هذه البلاد قد أحضروا معهم أوانى من المعـدن الثمين ، كما لا يوجد إلا ثلاث أوانٍ ذات أحجام عظيمة فى الكومة المعروضة فى الصورة . غير أننا نشاهـد مع ذلك إبريقين فى الصف الثانى يظهر أنهما من الزجاج يشعر صنعهما بأنهما قطعتان فنيتان . ("Paintings" IX.) و بالاختصار دلت البحوث الحديثة على أن الأطباق المصنوعة

من الذهب والفضة وهى التى كنا نظن أنها من انتاج بلاد «رتنو» كان يحملها أفراد من أهالى « كريت » . ومن ذلك نستطيع أن نستخلص بحق أن كل المنتجات الراقيـة والقطع الفنية النادرة التى كانت ترد الى مصر من الشمال فى هـذه الآونة لم تكن تصنع فى سوريا بل كانت تتداولها أيدى تجار سوريين، ومن المحتمل جدا أن سقوط « كريت » وانتعاش سوريا السريع بعد خلاصها من أيدى الهكسوس قد عكس الوضع وجعلها هى صاحبـة الإنتاج الفنى العظيم بعد مضى عشرات السنين القليلة التى أعقبت هذا الخلاص . على أننا من جهة أخرى لا نعرف أصل صناعة الأطباق ذوات الحافة المزينة على وجه التحقيق، إذ من المحتمل أن الفكرة كانت فى أصلها مصرية، ولكن ما تحتويه من أشكال خيالية عدة راقيـة تجعلنا نظن أن هذا الطراز من الأوانى هو من إنتاج « كريت » مما كان يصدر الى مصر، أما سائر الكومة فتحتوى على طبقين صغيرين من الفضة وسلة من حلقات الذهب ، وسلة من حلقات فضة وألواح من خشب « مرو » وحزم من يراع « قنن » وسـلات من أحسن خشب الأرز (صمغ) ... وحجر «مسن» وفيروزج ولازورد ، وطبقين من القصدير لهما مقابض، وقرص من اللون الأبيض (؟) وأكياس «زنب» وكل من خشب « تى شبس » (؟) وأربع ركائز من النحاس، وثلاثة أباريق ... وثلاثة أباريق من زيت الزيتون وسـتة أباريق من البخور وأربعـة أباريق من مرهم لبنان. هذه هى الهدايا التى كانت مكدسة أمام الوزير، أما التى كان يحملها الوفود على أيديهم فهى : ثلاث ركائز من النحاس وأربع أوانى نبيذ، وثلاث أوان من الفخار، وحقان من العاج للعطور، وسنا فيلين، وعربة وجوادان لجرها (Pl. II, & "Paintings" Pl. XI.) وأربع قسى وكنانة وخنجر وحزمتان من عصى «عونت»؛ وأخيرا نشاهد دبا وفيلا ؛ وقد أبرز الرسام صورة الفيل بإتقان لا بأس به .

الأسرى : وقد كان ضمن الجزية السنوية بعض الأسرى، والظاهر أنهم كانوا رهائن لضمان حسن سير القبائل فى البلاد المقهورة . والنص التالى قد كتب فوقهم

هكذا : احضار أولاد أمراء الأقاليم الجنوبية وأولاد أمراء الأقاليم الشمالية وهم الذين سيقوا غنيمة لجلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبرورع » — ليته يعطى الحياة — من كل الأراضي الأجنبية لأجل أن يملأ بهم المصانع وليكونوا عبيدا فى ضياع معبد والده آمون رب تيجان الأرضين، لأن كل الأقاليم قد منحت إياه (الملك) وأخذ بناصيتها جميعا فى يده، ورؤساؤها قد سجدوا تحت نعليه . وكان الأمير الوراثى ثقة الفرعون فى قصره وعمدة المدينة الوزير « رخ مى رع » هو الذى تسلم الغنيمة من الأراضي المختلفة وهى التى جىء بها من انتصارات جلالته .

ومن هذا المتن نعلم أن البلاد التى فتحت بحد السيف وهى بلاد النوبة والأقطار السورية يمكن معرفة مركزها بالنسبة للبلاد الأخرى فى نظر الفرعون فإنها كانت فى الواقع مجبرة على توريد العبيد والإماء والأطفال جزية تدفع سنويا، أو كلما اقتضت الأمور وتدل الأحوال على أن هؤلاء الأسرى كانوا ينتخبون من علية القوم فى البلاد المقهورة بمثابة رهائن أو عقاب لإرغام أنوف الأسر الحاكمة فى تلك الأقطار النائية وجعلهم يدينون بالطاعة للفرعون .

ويلاحظ أن الأطفال الصغار كانوا يجلبون مثل السلع الأخرى التى كانت تقدم جزية من أيدى الرؤساء المقهورين ، ومما يسترعى النظر بوجه خاص أن الأطفال كانوا لا يزالون فى عناية نساء يقمن على تربيتهم وهذا ما نشاهده ممثلا فى مقابر أخرى من هذا النوع .

الأسرى النوبيون : والأسرى فى رسوم مقبرة «رخ مى رع» ينقسمون مجموعتين يقود كلا منهم جنود مسلحون بقضب وعصى رماية . فالمجموعة الأولى تحتوى نوبيين والثانية تؤلف من سوريين . ويتألف الأسرى النوبيون من طائفة قوامها سبعة أفراد تتبعهم سبع نسوة يلبسن حللا كاملة ذوات حافات حمراء قانية تتدلى من أطرافها أصداف . والظاهر أن هؤلاء النسوة قد رتبن على حسب خصبهن لأن الأولى كان معها أربعة أطفال الاثنان الصغيران من بينهم قد حملا فى سلة على الظهر والثانية كان معها ثلاثة أطفال (؟) ، والثالثة والرابعة كان مع كلتيهما اثنان. هذا إلى ثلاث نسوة أخر شعرهن أطول من شعور السابقات

والظاهر أنهن كن عذارى . ثم يأتى بعد ذلك خمس نسوة يتميزن بما يلبسن من قلادات ضخمة وأردية لا تستر إلا عورتهن . والظاهر أن واحدة منهن كانت تحمل طفلا . ويدل شعرهن الطويل على أنهن نوبيات لا زنجيات .

الأسرى السوريون : يبلغ عدد الأسرى السوريين أربعة عشرة وقد قسموا طائفتين ، ويلحظ أن كل واحد منهم كان يقبض بيده على عباءة طويلة ذات أهداب وقد لف بها . وفى القسم الأول من هؤلاء نجد أنهم قد لبسوا العباءة على جلباب له كمان طويلان ، أما أفراد القسم الثانى فكانوا يرتدون العباءة على قميص صغير . وكانت النسوة يرتدين جلابيب بيضاء طويلة لها هدابات ملونة . والظاهر أن هذه الجلابيب كانت مجهزة من قبل . ويلاحظ أن الجزء الأعلى من جلباب السيدات كان يشبه (الحرملة) الحالية . وترى إحداهن حاملة طفلا فى سلة مربوطة بنسع على كتفها (وهذا يختلف عن الطريقة النوبية) يلف حول جبهتها ، ومما يسترعى النظر هنا أن الأمهات كانت لهن الأفضلية ولكن يشاهد هنا أن لا مجال للغيرة أو التنافس لأن كل امرأة كان معها طفلان ، وبعضهن كان لهن شعر قصير فى حين أن البعض الآخر كانت شعورهن طويلة مرسلة على ظهورهن .

أعمال الوزير

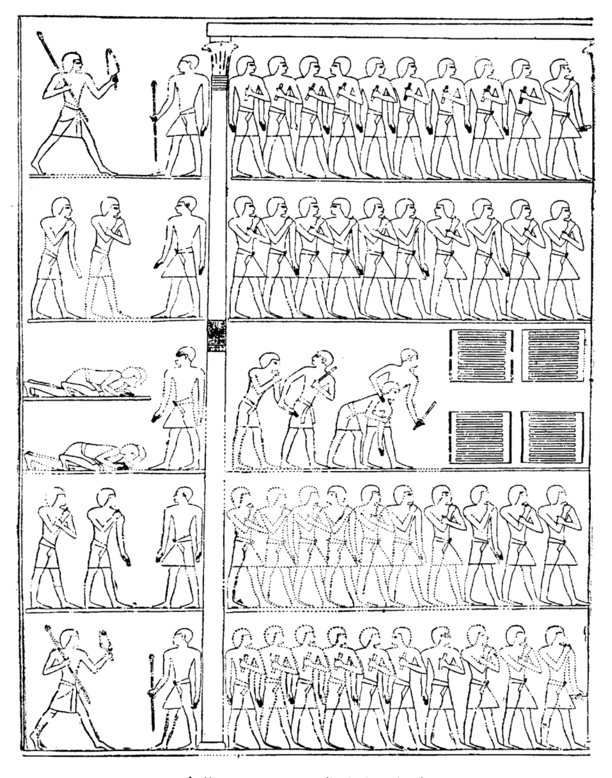
إدارة الوزير : (راجع .Plates. XXIV — XXV) لقد ترك لنا الوزير «رخ مى رع» صورة رائعة تمثل أمامنا مهام الوزير الرسمية ، فنشاهد الوزير وقد عقد جلسة محكمته التى كانت تعد أكبر محكمة فى القطر . وكذلك نشاهد القواعد الخاصة بواجباته مدونة وأخيرا نشاهد صورة لجمع الضرائب من الإقليمين العظيمين اللذين كانا يتألف منهما الوجه القبلى .

والواقع أن القاعة (صورة ٣٦) التى كان يجلس فيها الوزير للقيام بمهام وظيفته كانت على هيئة سرادق يرتكز على ستة عمد فى صورة شجر النخيل المزينة سيقانها

بطغراء الفرعون ،وكذلك نقش عليها عبارة «محبوب ماعت» (إلهة العدل) واسم الوزير «رخ مى رع» . ونفهم من المتن الخاص بعنوان هذا المنظر أن «رخ مى رع» قد عقد جلسة ليستمع إلى القضايا فى قاعة الوزير وتتناسب الألقاب والنعوت التى خلعت على «رخ مى رع» هنا مع هذا المقام وهى : « الذى يوزع العدالة دون محاباة، ومن يعمل على طمأنينة المتخاصمين ، ومن يقضى بين الفقير والغنى على السواء، ومن لا يبكى شاك بسببه » (راجع (Pl. XXIV, Col. 3-6) .

القواعد الخاصة برسميات المحكمة : وقد كانت الرسميات المتبعة عند عقد الجلسة أن يجلس الوزير على كرسى له ظهر يستند عليه وأن يفرش حصير على رقعة القاعة وأن يعلق حول عنقه قلادة الوظيفة (ولا بد أنه يقصد هنا القلادة التى كان يعلق فيها صورة آلهة عدل ويلبسها الوزير حول رقبته عند الفصل فى القضايا فكان عند النطق بالحكم بهذه الصورة ويشير بها نحو من فى جانبه الحق؛ (A. S. Vol. XL.P. 185ff.) وكذلك كان يضع وراء ظهره جلدا وآخر تحت قدميه . (راجع Pl. XXVI. Col. I.) وكانت قد وضعت القواعد لتحديد أمكنة الموظفين الذين كانوا يشتركون فى محكمة الوزير فكان يجلس معه رؤساء عشرة الجنوب فى الممرين اللذين على اليسار وعلى اليمين . أما المستشار الأول فكان يجلس على يمينه ويجلس الحاجب الذى يقدم المتخاصمين على يساره، وبالقرب منه كان يجلس الكتاب الذين يحتاج إليهم (راجع Pl. XXVI. Col. 2.) . ولكن نشاهد عشرة رجال على كل من جانبى الطريق الأوسط وعددا آخر يماثلهم من الكتبة وبذلك بلغ مجموع كل من كان فى حضرة الوزير عند الفصل فى قضايا الناس أربعين موظفا .

عصى الحكام : ومما يلفت النظر أربعة الحصر المفروشة أمام الوزير مباشرة وعلى كل منهما عشر عصى ، وتمثل فى مجموعها الأربعين « شسم » المبسوطة أمامه بهذا الاسم . وقد كان المفهوم حتى الآن أنها تمثل أربعين إضمامة من الجلد نقش عليها مواد القانون الذى يقضى على هداه الوزير فى قضايا



(٣٦) منظر قاعة الوزير لتصريف شؤون الدولة

الشعب ، غير أن شكلها كما يقول الأثرى « ديفز » لايدل على ذلك ، إذ كان المنتظر أن تكون أكثف سمكا وأقصر مما نشاهده ، كما كان يجب أن تكون محزومة بخيط مثل إضمامات البردى العادية . هذا فضلا عن أنه لم يشر إليها فى النقوش قط . وقد يكون من الصواب أن تشير الأربعون عصا إلى الأربعين موظفا الذين كانوا فى حضرة الوزير ، أو أنها تمثل الأربعين مقاطعة التقليدية التى تتألف منها البلاد وتدفع الجزية للفرعون . غير أن الاعتراض الوحيد على هـذا الرأى الأخير أن « رخ مى رع » لم يكن يدير شئون البلاد كلها بل كانت إدارته قاصرة على الوجه القبلى ، فإذا تجاوزنا عن هذا الاعتراض فإن هذه العصى تكون عصى سلطة وضعت فى أيدى موظفى الأقاليم بمثابة تفويض لتنفيذ القانون . وقد شوهدت مستعملة للعقاب فى يد الحجاب .

صغار موظفى المحكمة : ومما يشاهد فى طرقات قاعة المحكمة وخارجها حجاب يتحدثون إلى أفراد يريدون استئناف قضاياهم أو يتناقشون مع أفراد لم يدفعوا ما عليهم من ضرائب ، ومما يستلفت النظر أن الفريق الأول كانوا يعاملون من الحجاب معاملة حسنة أما الفريق الآخر فكانوا يساقون بعنف إلى حيث يمثلون أمام الوزير . أما فى خارج القاعة فيشاهد منظر غير مألوف . إذ نجد رسولين قد وصلا على جناح السرعة يحمل أحدهما غصن زيتون وسهما وقد استقبل كلا منهما رجل آخر يحمل سهما وحسب . فالرجلان الأولان هما شرطيان يقومان بعمل رجلى بريد أما الثالث فيحتمل أنه حاجب المحكمة . والظاهر أن غصون الأشجار كانت تستعمل رمزا للسلام منذ القدم . أما المقمعة أو السهم الطويل فيمكن أن نعده رمزا للسرعة ؛ غير أنه فى يد الموظف يدل على القوة اللهم إلا إذا كان يحمله فقط على أنه موصل الرسالة للوزير .

وقد خلف لنا الوزير « رخ مى رع » متنا طويلا عدد فيه مهام الوزير ، وقد نظمت سطوره على جدران قاعة الوزير بطريقة تشعر بأنه من وحى مكان العدالة

إذ قد وضعت الجمل الافتتاحية الخاصة بجلسة الوزير قريبة جدا من الصورة . وقد عثر على نسخ ثلاث من هذا المتن الهام فى قبور ثلاثة وزراء غير « رخ مى رع » وهى (مقبرة أمنمحات رقم ٢٩ ، ومقبرة « باسر » رقم ١٠٦ ، ومقبرة آمون وسر رقم ١٣١) ؛ وأحد هذه المتون قبل عهد « رخ مى رع » والاثنان الآخران بعده .

ولما كانت هذه التعليمات على جانب عظيم من الأهمية فى القضاء والإدارة فى تاريخ العالم فإنا سنوردها هنا كاملة ليرى رجال الحكم الحاضر أن السلف منذ آلاف السنين قد وضعوا قواعد وأنظمة لم يخلقها كر القرون ولم يستطع الفكر الحديث أن يأتى بأحسن منها (راجع .Pl. XXI - XXVIII, CXIX - CXII) .

واجبات الوزير

النظام الموضوع لجلسة الوزير : "ينحصر الإجراء المحكم الذى كان يسير الوزير على نهجه عند ما يعقد جلسة فى قاعة الوزارة فى أن يلتزم الجلوس على كرسى ذى ظهر وأن يفرش على رقعة القاعة حصير من القصب ، وأن يكون لابسا قلادة الوظيفة (أى القلادة التى كان يعلقها القاضى حول عنقه وفيها تمثال العدالة « ماعت » ويكون بجانبه عصا وأربعون قضيبا من الجلد توضع أمامه أيضا . ثم يجلس أمامه رؤساء عشرة الوجه القبلى على جانبيه ، ورئيس التشريفات على يمينه والمراقب على الدخول (الحاجب) على يساره ثم كتبة الوزير على مقربة منه " .

ترتيبات حفظ النظام : "وإذا حدث أن احتدم النقاش بين متقاضيين متكافئين فالواجب أن تسمع أقوال كل منهما على الترتيب كل فى دوره ، وإذا حدث أن أحدا ممن فى المقدمة قال : لن يسمع أحد بالقرب منى قبلى فعلى الحاجب أن يقبض عليه " .

المحافظة على المؤسسات : "يجب أن يقدم للوزير تقرير عن إغلاق المخازن فى الوقت المحدد وعن فتحها فى مواعيدها المقررة . وكذلك يجب أن توضع له تقارير عن حالة المعاقل الجنوبية والشمالية وعن خروج كل من يغادر البيت الملكى (ديوان إدارة البلاد) كما تقدم له تقارير عن كل دخل يرد للحكومة ، وكذا يوضع له تقرير عن جميع من وفد أو خرج من أرض الحكومة بأنهم دخلوا أو خرجوا . وأنهم سيدخلون وسيخرجون بمعرفة حاجبه وعلى المشرفين على ضباط التحصيل ومأمورى الضرائب والمشرفين على ملاك الأراضى أن يقدموا تقريرا عن أعمالهم له " .

المنهاج الذى يسير عليه الوزير يوميا : "وكان لزاما على الوزير أن يمثل أمام الفرعون ليحييه يوميا — له الحياة والسعادة والصحة — وأن يقدّم له تقريرا عن حالة البلاد يوميا فى قصره، وكذلك كان عليه أن يدخل « البيت العظيم » على أثر اتخاذ رئيس الخزانة الأعلى مقعده عند العمود الشمالى . وقد كان على رئيس الخزانة الأعلى عند ما يتحرّك ركاب الوزير و يظهر عند مدخل (البوّابتين) العظيمتين أن يأتى لينضم إليه ثم يقدّم تقريرا للوزير يقول فيه : إن كل أعمالك فى أمان وسليمة وكل موظف قائم بعمله قد قدّم إلى تقريرا قال فيه : إن كل الأعمال فى أمان، وسليمة و إن كل موظف قائم بعمله قد قدّم لى تقريرا جاء فيه : إن كل شئونك آمنة سليمة و إن مقرّ الحكومة آمن سليم . وقد كان على الوزير بدوره أن يبلغ رئيس الخزانة الأعلى : إن كل أشغالك آمنة وسليمة وكل إدارة من إدارات المقر الملكى (الحكومة) آمنة سليمة . وقد وضع لى تقرير : إن كل المخازن قد أغلقت فى الوقت المحدّد وفتحت أبوابها فى الوقت المحدّد وذلك بمعرفة كل موظف قائم بالعمل . و بعد أن يبلغ كل من رئيس الخزانة الأعلى والوزير تقريره لزميله كان على الوزير أن يرسل رسلا لفتح أبواب الحكومة الملكية و يسمح بالدخول لكل من يريد الدخول وكذلك بالخروج لكل من يريد الخروج، وقد كان على الحاجب أن يقوم بهذا العمل كتابة" .

تحديد سلطان صغار الموظفين : "ولا يجوز لموظف أن ينتحل لنفسه سلطة الفصل فى قضايا قاعة الوزير . و إذا اتهم أحد الموظفين التابعين لقاعة الوزير فعليه (أى الوزير) أن يجيء به أمام المحكمة وعلى الوزير أن يعاقبه على قدر جريمته ، ويجب ألا يكون فى يد أى موظف السلطة لضرب أى فرد فى قاعة الوزير كما يجب أن يقدّم له تقرير عن أى قضية خاصة بقاعته حتى يتصرف فيها هو بنفسه" .

عمل حاجب الوزير : "و إذا أرسل الوزير أى حاجبا فى مأمورية إلى أى موظف سواء كان من الذين يشغلون أعلى الوظائف أم أحطها فعليه ألا يظهر له الصداقة ، كما لا يجوز للموظف نفسه أن يدعو الحاجب إلى مجلسه بل على الحاجب أن يبلغ رسالة الوزير وهو واقف فى حضرة الموظف وأن يبلغه الرسالة شخصيا ثم يخرج إلى قاعة الانتظار (؟) . وقد كان حاجب الوزير هو الذى يحضر حكام المقاطعات ورؤساء المراكز إلى قاعة المحكمة ، وكذلك كان على حاجبه أن يضع القواعد الأساسية(؟)... ... و إذا حدث أن أرسل حاجب فى مأمورية وقدّم شكاية قائلا فيها : وعند ما أرسلت برسالة إلى فلان الموظف فإنه طلبنى وأثقل جيدى بشيء ذى قيمة (بمثابة رشوة) ثم رفعت دعوى على الموظف من الحاجب فلابد من معاقبة الموظف على قيمة ما تخاصما من أجله بمعرفة الوزير فى قاعته على أن يوقع عليه أية عقوبة عدا بتر عضو من أعضائه[1]" .

---

(١) وهذا يدل على أن بتر العضو كان من العقوبات التى توقع على بعض المذنبين كما سترى بعد فى القوانين التى وضعها « حورمحب » .

ما يتخذ من إجراءات فى قضية غامضة : "أما عن الإجراءات العامة التى كان ينتهجها الوزير عند سماع قضية فى قاعته عن أى موظف لم يكن كفئا فى أداء عمله فعليه (أى الوزير) أن يسمع حججه فى هذا الموضوع، فإذا لم يكن فى مقدوره أن يمحو عنه خطيئته عند سماع ظروف القضية فعليه إذن أن يقيدها فى سجل المجرمين المحفوظ فى السجن الرئيسى، ويتخذ مثل هذا الإجراء إذا لم يكن فى مقدوره أن يبرئ حاجبه من التهمة فإذا وقع منهما مثل ذلك كرة أخرى فلا بد من تقديم تقرير عن ذلك كما يبلغ عنهما أنهما مقيدان فى سجل المجرمين وعن السبب الذى من أجله قيدا فى هذا السجل بالنسبة لجرمهما".

الاحتياطات الخاصة بالوثائق القانونية : "وإذا أرسل الوزير فى طلب وثائق خاصة بالمحكمة وكانت هذه الوثائق غير سرية فيجب أن تحمل إليه ومعها وثائق المسجل الخاصة بها وتكون مختومة بأختام الحكام والكتاب الذين فى خدمتهم (أى الحكام) وهم المختصون بهذه الوثائق. وعلى الوزير بعد فضها وفحصها أن يعيدها إلى إدارتها ثانية مختومة بختم الوزير نفسه. أما إذا كانت الوثائق المطلوبة سرية فيجب على المسجلين المختصين ألا يسمحوا له بنقلها (من مكانها)، ومع ذلك إذا أرسل الوزير حاجبا لمصلحة المدعى فينبغى على المسجل أن يسمح بحملها إلى الوزير".

أنظمة خاصة بالحقوق المتعلقة بالأرض والمعادن : وإذا تظلم شخص من غبن أو حيف وقع عليه بسبب نزاع على الأرض فعلى الوزير أن يقوم بنفسه للقضاء فى أمره فضلا عن سماع قضيته على يد المشرف على الأراضى ومجلس المراكز. على أن يسمح له بمهلة مقدارها شهران بخصوص أرضه إذا كان موقعها فى الوجه البحرى أما إذا كانت أراضيه قريبة من المدينة الجنوبية (طيبة) أو مقر الملك فلا يسمح له إلا بتأجيل قدره ثلاثة أيام كما نص على ذلك القانون. وعلى الوزير أن يستمع لقضية أى متظلم على حسب هذا القانون الذى فى يده، وعليه أن يعقد مجلس المقاطعة وهو الذى يفضهم بعد تقديم تقريرهم عن حالة مقاطعتهم؛ ويجب أن يؤتى إليه بكل وصية لأنه هو الذى يجب أن يوقع عليها بخاتمه؛ وهو الذى يقدم المنح الصغيرة من الأراضى (شدو). أما إذا قرر أى متظلم قائلا : « إن حدودنا قد زحزحت » فيجب أن تؤخذ العناية بأن يكون ذلك التعدى على حسب إمضاء موظف»، وإذا كان ذلك قد حدث فعلا فعلى الوزير أن ينزع مساحات الأراضى الصغيرة (شدو) من المجلس الذى كان قد زحزح الحدود.

يضاف إلى ذلك أن أى محجر أو كنز وجد على الأرض فإن أى تدخل بعد معرفة محتوياته وبعد تقديم الشاكى قضيته كتابة يصبح محظورا عليه أن يقدم تظلما لحاكم ما، وإذا جاء لحاكم المقاطعة أى تظلم بعد أن رفع قضيته وقيدها كتابة فيجب أن يحال إلى الوزير.

المراسلات والتعيينات العالية : " والوزير هو الذى يرسل كل حاجب للحكومة كما يرسل الى المقاطعات ورؤساء المراكز . وهو الذى يرسل بريد جميع المأموريات الخاصة بالحكومة . وهو الذى يعين أى موظف من موظفى الإدارة مثل المشرف على الوجه القبلى أو الوجه البحرى ، وجبهة الجنوب أو الإقليم العظيم (مديرية العرابة) وعليهم أن يبلغوه كل ما يحدث فى منطقة نفوذهم فى بداية كل فصل مدته أربعة أشهر ، وعليهم أن يحضروا له الكتّاب الرسميين التابعين لهم وكذلك عليهم أن يفدوا مع مجلسهم " .

المؤن اللازمة لتنقلات البلاط : ومن واجب الوزير الإشراف على حشد الجنود والسير فى ركاب الفرعون عندما ينحدر فى النهر شمالا أو يصعد جنوبا ، وأن يعين فى المناصب الخالية سواء أكان ذلك فى المدينة الجنوبية أم فى مقر الملك (أى الحكومة) وذلك تنفيذا لقرار صدر من الحكومة الملكية . ولابد أن يحضر أمامه طائفة موردى الأغذية للحاكم (الملك) حتى يمدّوا قاعته والمجلس العسكرى بالطعام ، ولأجل أن تسلم إليهم أنظمة الجيش (الخاصة بالطعام) . ويجب كذلك أن يعقد جلسة من أصحاب الرتب العالية ومعهم أصحاب الوظائف الصغيرة فى قاعة الوزير حتى يتبادل كل منهم التحيات مع زميله [(١)] .

إدارة الحكومة الملكية : ومن واجبات الوزير أن يرسل عمالا لقطع شجر الجميز على حسب أوامر الحكومة وأن يبعث مستشارى المقاطعة لحفر ترع للرى فى البلاد قاطبة ، وأن يرسل العمد ورؤساء المراكز للزراعة الصيفية ، وكذلك عليه أن يعين المشرفين على عمال الضرائب فى قاعة الحكومة الملكية ، وينصب من سيسمع قضية العمد ورؤساء المراكز ، ومن سيقوم بجولة تفتيشيه باسم الوزير فى الوجه القبلى والوجه البحرى . وكان من الضرورى أن يقدم له تقرير عن كل القضايا القانونية .

السلب والمخاصمات العامة والخاصة : ويجب أن يقدم للوزير تقرير عن حالة المعقل الجنوبى وعن أى فرد يحاول القيام بغارة ... ومن واجب الوزير أن يقوم باتخاذ الإجراءات ضد أى ناهب من أى مقاطعة ، وأن يكون هو محاكمه . وكذلك من واجبه إرسال الجنود والكتبة المحليين لوضع الترتيبات للفرعون . وكذلك يجب أن تكون سجلات المقاطعة فى قاعته ليمكنه أن يدلى بحكم فى أى مسألة خاصة بالأرض المنزرعة . ومن واجبه كذلك أن يقرر تخوم أية مقاطعة أو أى بطاح إضافية أو أملاك معبد أو امتلاك عقار جديد وهو الذى يؤدى كل (شدود) (؟) ويستمع لكل شكوى وهو الذى يستمع لقضية رجل ذهب للقضاء مع جاره . وعليه أن يعين كل شخص يجب أن يعين فى المحكمة ، ولا بد أن يحضر أمامه كل رسالة من الحكومة الملكية . وهو الذى يسمع القضايا الناجمة عن أى إذاعة حكومية (لم تتبع) .

---

(١) هذه الفقرة من القانون تدل على أسمى تعبير عن الروح الديمقراطى فى كل عصور التاريخ .

المـالية والتموين : ومن واجبات الوزير أن يفصل فى أية قضية خاصة بأى عجـز فى إتاوة المعبد وأن يفرض أية ضريبة عينية على أى إنسـان يجب عليه دفعها له (؟) وإنه هـو الذى يعمل ... فى المدينة الجنوبية أو فى الحكومة الملكية ، وعليه أن يوقع عليها بخاتمه ، كما يجب عليه أن يفصل فى كل القضايا القانونية . وهو الذى يقرر إجراء التحقيقات الخـاصة بالضرائب على محال الصناعة (؟) كما يجب على المجلس العظيم أن يضع له تقريرا عن تقديراته للضرائب ، وان يساعده فى ذلك جباة الضرائب . وعليه أن يستمع إلى قضية العمال(؟) ... ودخل المحكمة وكل منحة منحتها ، ومن واجبه كذلك الفصل فى القضايا الخاصة بها . وأنه هو الذى يفتح بيت الذهب بصحبه رئيس الخزانة الأعلى ، كما أنه من واجباته فحص بيلوص(؟) ... والمدير العظيم للبيت والمجلس الأعظم ، وعليه أن يقوم بإحصاءات لكل الثيران التى يجب أن يعمل لها إحصاء ، وأن يفحص محصول المياه(؟)فى أول يوم من فترة مقدارها عشرة أيام والمئونة ... .

النظام العام ورفاهية الشعب : أما قضـايا المحكمة سـواء أكانت متعلقة بحاكم المقاطعة ورؤساء المراكز أم بأى أشخاص عامين فإن كل دخلهم الذى يقدم له لا بد أن يبلغ إليـه بكل مشرف على الأرض الزراعيـة وبكل موظف « شنتو » وعليهم أن يبلغوه عن أى اضطـراب يحدث ليلا أو نهارا (؟) ... وعليهم أن يبلغوه الحاجيات الشهرية مع الدخل ... وإليه يقـدم تقرير عن ظهور نجم الشعرى وعن تأخر الفيضان ، كما يقدم له تقرير عن الأمطار(؟) ... للشرف على الأرض الزراعية وللوظف (شنتو) أو إلى ... الحكومة الملكية .

وإن الوزير هو الذى يجهز السفن كما يجهزها أى فرد خاص بذلك ، وهو الذى يرسل أى رسول من رجال الحكومة الملكية لأجل أن ... عنـدما يكون الفرعون فى رحلة ... ويجب أن يقـدّم له تقرير من كل مجلس ... وأنه هـو مقدّمة الأسطول ومؤخرته (؟) ؛ وأنه هو الذى يختم كل المراسيم الخاصة بـ ... وحاجب الوزير مثله مثل كلب حارس الكلاب عندما يرسل فى بعوث حكومية . ويجب أن يقدّم له تقرير بمـا يجب أن يبلغ عنه ... ورئيس المحكمة هو الذى يبلغ عنـه وعن كل ما يفعله وعن سماع القضايا فى قاعة الوزير ... .

وإخال القارئ يشعر تماما بعد قراءة هذه الوثيقة الفذة بما كان ملقى على عاتق الوزير من مهام جسام ينوء بحملها رجال عديدون، غير أنها فى بعض الأحيان كانت مهام اسمية . وعلى ذلك لا ندهش عند ما يحذره الفرعون بقوله : «إن الوزارة ليست أمرا هينا بل هى مرة كالصبر » . هذا ولا نريد أن نعلق على ما فى هذه الوثيقة من

مبادئ سامية وقوانين عادلة ودروس واعظة فى الأخلاق الكريمة وقواعد صارمة يجرى على مقتضاها الموظف الكبير والصغير لا فرق بينهما هذا إلى ما جاء فيها من العدالة المطلقة التى كانت أكبر عامل فى تسيير أمور الدولة والوصول بها إلى بر النجاة، وكل ذلك كان ملق على عاتق الوزير الأكبر الذى كان يمثل الحكومة الرشيدة .

جمع الضرائب : (راجع Pl. XXIX - XXXV, XLI.) لا نزاع فى أن العثور على مثل هذه الوثيقة الفذة فى بابها فى مقبرة خاصة يبعث فى النفس الدهشة الممزوجة بالسرور والغبطة . غير أن سرورنا وفرحنا يزدادان عند ما نعلم أنها قد شفعت بصورة معززة بإحصاءات وفيرة تضع أمامنا استعراضا خطير الشأن عن كيفية سير الإدارة الماليه فى البلاد، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن هذا العرض لا يشمل كل البلاد المصرية من أقصاها إلى أقصاها إذ يقتصر البحث فيه على مالية الوجه القبلى، ويحد شمالا «بيجة» قرب أسوان حتى مدينة أسيوط الواقعة فى وسط مصر ويشمل ذلك الإقليم الذى كان يطلق عليه «رأس مصر العليا» . وكان قد قسم هذا الأقليم قسمين وهما الأراضى الواقعة جنوبى طيبة وقد جزئت إلى أربعين وحدة والأراضى التى فى شمالها كذلك جزئت إلى أربعين وحدة أخرى . وقد مثل هذه الوحدات ثمانون موظفا يشاهد كل واحد منهم يقدم دفعة مما هو مفروض على إقليمه من الحيوانات والمحاصيل الزراعية ، يضاف إلى ذلك ما يقدمه كل منهم من حلقات ذهب أو أسماط من حبات الذهب والفضة أيضا . ويلاحظ فى الصورة التى تمثل هذا المنظر أنه قد نقش فوق كل موظف عنوانه فيذكر لنا أحيانا لقبه واسم المركز الذى أتى منه وكذلك كمية من الذهب أو الفضة حسبت بالدبن أو نصف الدبن . وفضلا عن ذلك وجدنا فى تسع حالات أن ضرائب الوحدة كانت تشمل قلادة من الذهب أو الفضة، وفى حالة واحدة وجدنا أن الجزية كانت تدفع نسيجا . وقد كان هذا المقدار المكتوب يحذف أحيانا، وفى تلك الحالة

لا تجد الدفع قد رسم فى صورة ركائز بل كان يورد بدلا منه مقدار عظيم من المواد الغفـــل .

النقوش الموضحة : ومتن التقدمة للأجزاء الجنوبية هو : (راجع Pl. XXIX. row 1.) الوزير «رخ مى رع» يفحص مراجعة حسابات قاعة وزير المدينة الجنوبية (طيبه) وهـــذه المراجعة لما جاء به العمـــد ورؤساء المراكز والمستشارون الريفيون ومأمورو ضرائب المقاطعات وكتابهم وكتاب السجلات الذين فى إقليم «رأس مصر العليا» وهو الذى يبتدىء عند «الفنتين» وقلعة « بجة » . وقد نفذت هذه المراجعة على حسب الكتابات القديمة . وكذلك نجد مثل هذا الإيضاح لإقليم الشمال (راجع : Pl. XLI.) وقد جاء فيــه الوزير « رخ مى رع » يفحص حسابات قاعة وزير المدينة الجنوبية مراجعا (حسابات) العمد ورؤساء المراكز والمستشارين الريفيين ومأمورى المقاطعات وكتابهم وكتاب سجلات الأراضى وهو الإقليم الذى يبتدىء عند « قفط » وينتهى عند « أسيوط » .

ومن ذلك نعلم أن الصعيد كان له وزير خاص يقوم بشئونه وأن الأراضى التى كانت تحت سلطانه تشمل الإقليم الذى ما بين « أسوان » حتى مدينة «أسيوط» وهـــذا الإقليم بدوره كان ينقسم قســمين : إداريين الأول من « أسوان » حتى « قفط » . والثــانى من « قفط » حتى « أســيوط » . وكذلك كان كل من هـــذين الإقليمين بدوره ينقسم أربعــين وحدة لكل حاكم خاص . وعلى هـــذا التقسيم كانت تجبى الضرائب بوساطة موظفين خصوا بهذا العمل .

طرق دفع الضرائب فى ذلك العهد : لا يزال موضــوع قيمة النقــد فى مصر القديمة من الموضوعات العويصة (راجع مصر ج٢ ص ٢٣٧) على الرغم ممــا وصلنا من معلومات متفرقة عنه . وما نعرفه على وجه التأكيد أن الدفع فى الأزمان القديمة كان بوساطة حلقات من المعدن لها قيمة معينة . (ومن المحتمل أن كل اثنتى عشرة حلقة صــغيرة أو ست حلقات كبيرة كانت تعادل « دبنا ») ، ولكنا نعلم فيما بعــد أن الدفع كان يقدّر بوزن الدبن سواء أكان من الذهب أم الفضــة أم النحاس . ويقدّر وزن الدبن الذى كان يحتوى عشرة «كدات» مصرية

بنحـــو واحد وتسعين جراما . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الذهب كان فى الأزمان القديمة أقل قيمة من الفضة ولكن مقدار إنتاج الفضة أخذ يزداد فى البــلاد منذ الفتح السـوری لدرجة أنه فى عهــد « رخ مى رع » كانت قيمة الفضة تعــادل بالنسبة للذهب $\frac{٥}{٩}$ أو $\frac{١}{٢}$ ، وقد كان النحاس يستعمل كثيرا فى المعاملات الصغيرة إذ كانت قيمته تقدّر بنحو ١٥٠ أو ٢٠٠ ٪ من قيمة الذهب . وقــد يكون من باب التقريب لفهم قيمة الذهب أن نعــلم أن ثمن ثور واحد كان يقدّر بمــا يقرب من دبن واحد من الذهب . والطريقة التى كانت متبعة لدفع أى حساب مقدّر بالدبنات من الذهب والفضة أن يدفع الفرد ما لديه من هذين المعدنين نقدا ثم يدفع الباقى سلعا . و بذلك نفهم الصورة التى تمثل أمامنا موظفا يحمــل حلقات من الذهب والفضة (وكان الدفع بالذهب هو السائد) ، وكذلك يقدّم فى الوقت نفسه الأشياء الأخرى التى كان سيدفعها سلعا . ويجب فى هذه الحالة أن يكون المبلغ المدوّن مضافا إليه المواد الغفل يساوى الضرائب المفروضة .

توزيع الضرائب : ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن الضرائب لم تكن تدفعها المراكز بهــذه الكيفية بل كان يكلف جبايتها موظفون يحتمل أن كل بلد يخصه منهم عدد عظم ، ويحتمل أن ذلك يرجع إلى أن كل موظف كان له نوع معين من الضرائب أوكان موكلا بمساحة معينة فى الريف يجمع ضرائبها ، وهؤلاء الموظفون هم العمد ورؤساء المراكز (حقاحت) . أما فى المدن التى فيها حاميات فكان يكلف جباية خراجها قائد الحامية . ومن ذلك نعلم أنه كان يقوم بجمع الضرائب فى «الفنتين» قائد حاميتها ومأمور ضرائبها وكاتبه والمستشار الريفى وكاتبه أى أن خمسة موظفين كانوا مسئولين عن جمع ضرائب المراكز أو المدينــة التى كانوا مسئولين عن خراجــها .

الضرائب المحصلة : (راجع : (Pl. XXIX, 2, XXX, fig. 7.) ويلاحظ فى نفس قبر « رخ مى رع » أن ترتيب منظر الضرائب المحصلة قد رسم على غرار

مناظر الجزية الأجنبيــة التى سبق الكلام عنها ، وذلك أن محصلى الضرائب والكتبة والتابعين لهــم كانوا يقفون على يمين الوزير ويشاهد كومة من الطرائف النفيســة مكدسة بينهــم وبين دافعى الضرائب . وفى الصف الرابع من هــذا المنظر نشاهد الموازين التى كان يحتاج إليها لمعرفة مقــدار المعدن المقدّم جزية . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الضرائب التى نشاهدها فى الصورة لم تكن لجهة معينة بل فى الواقع كانت نماذج من كل الضرائب التى كانت تقدّم عينا . ومن الجائز أنها كانت تشمل هــدايا . وهى أشــياء مختلفة لا نجدها ممثــلة فى جهات أخرى ، ويظهر أنها قــد أتى بها من أقاصى الجنوب ، إذ نشاهد أفرادا منها ممثلين واقفين بجانب الكومة التى فى الصــورة . وهكذا نجد فى الصف الأوّل (Pl. XXIX, 2.) قــردة ، وجلودا فى ســلة وحزمتين من سهام الخ . وفى الصف الخــامس (Pl. XXXI. row. 3.) نشاهــد بالقرب من موظفين من إدفو حقائب وحصيرا من اليراع وأخرى من الكلأ وحبالا وعشرة أحجار « وجم » (؟)

أنواع المواد التى كانت تحصى : ومن قائمة الموادّ التى كانت تقدّم جزية (راجــع : P. 104 - 106.) نعــلم أن سلع المبادلة لم تكن كثيرة الأنواع إذ كان يبلغ عددها اثنين وعشرين نوعا . ولكن ممــا يسترعى النظر إهمــال ذكر أشياء يجب أن نذكرها هنا . فمثلا يظهر أن الشعير لم يذكر وكذلك لم يأت ذكر الخنازير أو المــاعز فى هــذه القوائم ، ولم يذكر من أنواع الطيور هنا إلا الحمــام إذ كان يعــدّ ضروريا للمزرعة . والظاهر أن المــاعز كان رخيصا فكل خمس منها تعتــبر وحدة فى المعاملة . ومما يؤسف له أن هذا المنظر قد شوهت معالمه بالفجوات التى أحدثت فيه . هذا بالإضافة إلى صعوبة فهم ما تبقى منه . وفضلا عن كل ذلك فإن هذا الأقليم من الصعيد وهو الذى ينحصر بين « طيبــة » و « أسوان » كان فقيرا نسبيا فى محصولاته . ولا أدل على ذلك من أن الموظف فى الشمال كان لايدفع إلا مايزيد متوسطه بقليل عن نصف مايدفعه من المعدن زميله فى الجنوب

فقــد كان يجلب غلالا وماعزا أكثر ، ولكن ما كان يجلبــه من النسيج أقل . وكان الشهــد والبردى من محاصيــل الشمال الهامة . ولذلك نلحظ أن « أرمنت » لم تكن تورد فى ضرائبها إلا جرّة واحدة من الشهد ،وكانت الفضة من المعادن التى يوردها أهل الشمال بمثابة جزية وذلك طبعى لأنها كانت تورد للبلاد المصرية من هذه الجهة فى حين أن الذهب كان يتدفق عليها من بلاد النوبة بوجه خاص . أما ما كانت تدفعه « طيبه » ضريبة فليس لدينا أية معلومات عنه . ولا بدّ أن ضرائبها كانت ضخمة جدا ويحتمل أنه قد خصص لها قائمة خاصة .

وقد ترك لنا «رخ مى رع» على جدران قبره قوائم توضح لنا الضرائب التى كان يدفعها أهالى الصعيد فى عهده ، وذكر لنا اسم الجهة وما تدفعه بالنقد (دبن) ، وما تدفعه من المواد الغفل والحيوان والنسيج وغير ذلك . ويبلغ عدد هذه الجهات ثمانين جهة ، أربعون منها فى الإقليم الواقع بين «أسوان» و«طيبة» ، وأربعون ما بين طيبة حتى «أسيوط» (راجع "The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes" P. 104–106).

(« رخ مى رع » وعلاقته بمصانع آمون وضياعه)

لقد كان من أهم الوظائف التى يشغلها «رخ مى رع» «توليه شئون معبد آمون» الإدارية وبخاصة مصانعه وضياعه . وقد ترك لنا رسوما على جدران قبره توضح لنا ذلك بجــلاء (Plates. XXXVI - XXXVIII) فنشاهده فى منظر واقفــا يفحص الجرايات التى كانت قد أعدّت لرجال معبد «آمون» وكذلك نراه يفحص الأثاث الذى صنع لهذا المعبد . وفى نفس المنظر نشاهده يفحص الأبقار والعمل فى الحقول ؛ ولسنا متأكدين إذا كانت هــذه الحقول أملاك المعبد أو أملاك « رخ مى رع » نفسه ، وقد دوّن لنــا « رخ مى رع » المتون التى تحدّثنا عما قام به فى هذا الميدان (راجع .Pl. XXXVI) وهاك النص : " « رخ مى رع » يفحص مواد الطعام اليوميــة التى تورد للعبد وكذلك يفحص إقامة آثار جميلة قد قام بإدارتها لمليكه الإله الطيب ســيد مصر « منخبررع » — ليته يعيش مخلدا — لأجل معبد آمون ومعابد أخرى تحت إدارته " . على أننا لو دققنا النظر

فى بعض أجزاء هذا المنظر وبخاصة مايتعلق منه بالأشياء المصنوعة فى مصانع المعبد لعرفنا أنها لم تكن تصنع لتستعمل فى المعبد وحده بل نجد أن الكثير منها كان لايمكن إلا أن يكون أثاثا جنازيا للدفن الملكى والأخرى كانت لتموين الجيش وإعداده .

تماثيل القبر الملكى : (Pl, XXXVI, XXXVII.) فمن هذه الآثار الجنازية الملكية أربعة تماثيل قد وجد مثلها فى المقابر الملكية فعلا مصنوعة من الخشب ومغطاة بطبقة من القار كما نشاهد فى مقبرة « توت عنخ آمون » ، هذا الى تماثيل أخرى ترى فى هذه اللوحة رسمت بأوضاع مختلفة أهمها تمثالا « بو لهول » فقد لوّنا باللون الذى يمثل الجرانيت الأحمر ، وكل هذه التماثيل تصوّر لنا « تحتمس الثالث » وهو على عرش الملك وحده أو معه زوجه « مريت رع حتشبسوت » بنت الملكة « حتشبسوت » .

منتجات أخرى للصناع : (Pl. XXXVII.) وقد أنتج صناع معبد آمون نفائس عدّة أخرى منها : (١) ثلاث قلادات من الخرز عليها أقفالها فى صورة زهرة البشنين ، وهذا الخرز كان مختلفا ألوانه بين الأحمر والأزرق كما كان بعضه حبوبا من الذهب . (٢) أربع كانات . (٣) تسع سكاكين من النحاس أو الظران . (٤) حزام من الخرز الأحمر والأزرق . (٥) قلادة من الخرز الأزرق . (٦) أربعة خواتم شعر مشطورة من الذهب . (٧) ثلاث أوان من الذهب ومثلها من الفضة . (٨) إناء طويل من الذهب . (٩) ست عشرة (بلطة) أسلحتها من البرنز الأصفر . (١٠) ملاقيط (للنار) . (١١) تسع دروع . (١٢) ثلاث حزم من الحراب . (١٣) حزام من الخرز الأحمر والأزرق . (١٤) قلادتان من حبات من الخرز الأحمر والذهب على التوالى . (١٥) سبع أوان خمس منها فضة واثنان من الذهب . (١٦) أربع مباخر صفراء اللون . (١٧) خمسة أطباق صفراء . (١٨) سوط أصفر فيه عقدة بيضاء . (١٩) عشر خوذات صفراء . (٢٠) أعنة وملاقيط . (٢١) مرهم أصفر

فى طبق من الفضة . (٢٢) مرهم أبيض فى جرة بيضاء . (٢٣) عصوان على هيئة ثعبان (لونهما أصفر) . (٢٤) سرير من الأبنوس بأشرطة من ذهب . (٢٥) سلالم مذهبة للسرير . (٢٦) ثلاثة مضارب سحرية ينتهى طرف كل منها برأس فهد وفى الطرف الآخر رأس فنك (ضرب من الثعالب) . (٢٧) أربع أوان وطبق للرهم صنعت من الزجاج والبرشيا والمرمر أو تقليدا لها . (٢٨) أربع جرات من نفس النوع السابق . (٢٩) ثلاث جرات مرهم من الخزف الأزرق والأخضر والمرمر .

مخابز المعبد : وقد كان للعبد مخابز خاصة لإطعام موظفيها (راجع Pls. XXXVIII, XLI.) والمتن الذى فوق هذا المنظر يحدثنا عن المكان الذى كانت ترسل إليه هذه الأطعمة وهاك نصه : « "المشرف على مصانع آمون ومدير موائد القربان فى الكرنك والعمدة والوزير « رخ مى رع » يحضر قربان الإله لمعبد آمون ... ... وهى التى تقدم له يوميا ، وهى ماأراد هذا الإله الفخم ... ... لأجل أن ترضى قرينه (كا) بطعامه ، ولأجل أن يستعطف بما يرغب فيه و يكافىء الملك الذى قدمها له ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » — العائش أبديا — " . وفى هذا المنظر يشاهد نماذج من الفطائر والمشروبات كانت تقدم لابن « رخ مى رع » المسمى « منخبر رع سنب » كاتب خراج معبد « آمون » . كما يشاهد فى جزء آخر من نفس المنظر صفان من حاملى القربان يحملون أطباقا عليها أرغفة مفرطحة وفى مقدمتهم رجل يحرق البخور . وقد كان الموظف المسئول مباشرة عن ذلك هو « مرى » أحد أبناء « رخ مى رع » ، وقد كان يلقب (المشرف على مصانع « آمون ») ، ويشاهد أيضا رجل يحمل عبئا يظهر أنه كان يحتوى عينات الشحم والدقيق والحب لتكون ضمانا على أنها هى المواد التى صنعت منها الفطائر والرغفان .

الخبازون وصانعو الجعة : (راجع Pl. XXXVIII. row. 2.) وفى هذا المنظر نرى تحضير العجين كما نشاهد الخبز قائما على قدم وساق ، فنشاهد عمالا

يملأون قوالب مخروطية الشكل ثم توضع فى الفرن ، والناظر المدقق لما يجرى فى هذه الصورة يجد كل الخطوات التى تتبع فى استحضار الخبز والفطائر بأشكال مزخرفة ودقة متناهية مما يدل على التفنن حتى فى صناعة بسيطة كصناعة الخبز ، وبخاصة إذا علمنا أن اسم كل نوع منها كان يكتب فوقه باللون الأزرق أو الأحمر .

وكذلك نشاهد فى نفس هذا المنظر عملية تحضير الجعة .

حقول « آمون » : ونشاهد « رخ مى رع » فى منظر يفحص الأراضى المحروثة (راجع .Plates XXXIX, XLI) وعنوان هذا المنظر المفسر له هو : "« رخ مى رع » الذى يثنى عليه « نبرى » (إله الحبوب) والممدوح من الإلهة « رنوتت » (إلهة الحصاد) ، والممدوح من الإلهة « سخات حور » (حامية الأبقار) والأمير الوراثى ومن يملأ المخازن ، ومن يجعل مخازن الغلال غنية ، ومن يعطى من هو فى حاجة ، ومن لا يبك منه شاك ، وموزع العدالة بين الفقير والغنى ، ومن يجعل المتخاصمين يغادرانه وهما راضيان والعمدة والوزير ، ورئيس محاكم العدل الست الذى وضعته السيدة « بت » وأنجبه الكاهن المطهر للإله « آمون » « نفروبن » بن العمدة والوزير « عامثو » . يتمتع نظره برؤية الأبقار و يتسلى فى أعمال الحقول و يفحص أعمال الصيف والشتاء" . ومما يؤسف له جد الأسف أن هذا المنظر مهشم ، غير أن عنوانه وما تبقى منه يدل على فحص الثيران ، وعلى أن نتاجها كان عظيما فى هذا العام . وكذلك يدل بعض بقايا هذا المنظر على عملية كيل الحبوب وعلى درس القمح وغير ذلك مما يلزم لإعداد القمح بعد حصاده .

حصد القمح والكتان : (راجع .Plates XXXIX. row. 1,2) يشاهد فى منظر حصد القمح والكتان رجال يقدمون طيورا صيدت من القمح قبل ضمه ، ثم يقدمون حزما من القمح وخبزا أبيض بمثابة باكورة الحصاد . وخلف هؤلاء نجد حصادين يحضرون السنبل المقطوع من سيقانه فى سلات مكدسة أمام الوزير . أما سيقان القمح فقد تركت واقفة لأجل أن تجتث بجذورها فيما بعد وتم الكلمات التى كان يفوه بها العمال أمام الوزير عن أدب جم ، غير أن معظمها قد محى ولم يبق منها

إلا ما يأتى : لأجل زوجك المطهرة لأجل روحك ؟ يأيها العمدة وكذلك تقرأ : يأيها العمدة الذى يحبه « نبرى » ؟

وكذلك نشاهد عمالا يحضرون ماعزا (؟) وثورا وغزالة . أما باقى العمال فكانوا منهمكين فى حصد حقول الشعير والقمح والكتان بمناجلهم أو فى اجتثاث سيقان القمح والكتان . ومما يلحظ أنهم كانوا يعملون جماعات تتألف كل منها من خمسة رجال ولم يبق من المتن المفسر لهذا المنظر إلا الكلمات التالية : الحصد بوساطة عمال أوقافه الجنازية فى حقول لأجله فى الأراضى الزراعية الخاصة بالمدينة الجنوبية ويقول العمال : إن الحقل فى حالة جيدة جدا .

حرث الأرض : (Pl. XXXIX row 3.) يشاهد فى هذا المنظر خمسة أزواج من البقرات تحرث الأرض وقد فسر المنظر بالمتن التالى : تقبل المحصول الطيب وكل يأيها العمدة والوزير « رخ مى رع » الشعير ؟ ... ... ثم يقول حارث : «بداية سعيدة ويوم سعيد وسنة سعيدة خالية من كل شر ... .. » ويقول حارث ثان مناديا زميلا له : «تقدم يامن تسد الطريق حتى نستطيع أن نكون أحرارا فى الرواح والغدو » ينادى ثالثهم بصوت مرتفع : «دعنا نسير إنا نكد للسيد» .

استعمال الأراضى البور واستغلالها : (Pl. XL, 1,2 & XLII – XLVII, I.)
كان من أعز المتع وأحبها إلى نفس المصرى الترويح عن نفسه بالخروج فى أوقات فراغه للصيد والقنص ، وقلما نجد شريفا من عظماء القوم منذ الدولة القديمة إلا صور لنا ما كان يقوم به فى هذا الميدان المحبب إلى نفسه فيصوره لنا على جدران قبره أملا منه فى أن يتمتع به فى حياته الآخرة . كما كان ينعم به فى الحياة الدنيا . وقد ترك لنا «رخ مى رع» بدوره مناظر تحدثنا عما أصابه فى هذا المضمار من براعة وما هيئ له فيه من نجاح ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف زوال الجزء الأكبر الخاص بهذه الناحية من المشاهد التى رسمت على جدران قبره ، ومع ذلك فإن ما بقى يقدم لنا صورة ممتعة تحتوى على شىء كثير من التجديد وحسن الإخراج ودقة الفن .

صيد السمك والطيور : (راجع Plates XLI, 1,2; XLII) يشاهد مما تبق من هذا المنظر جزء من غيضة بردى؛ ولا بد أن « رخ مى رع » كان يريد أن يضرب بخطافه السمك وهو فى قاربه كما توحى بذلك (الصورة)، وفى جهة أخرى من نفس المنظر نفهم أنه كان يقوم بصيد الطيور ، وفى جهة ثالثة نشاهده يحاول صيد حيوانات ، وما بق لنا من هذا المنظر المهشم لا يوحى بشىء جديد بل كان منظرا تقليديا غير أنه مع ذلك يحتوى على تفاصيل عدة تجذب النظر اجتذابا لما فيه من حركات صادقة تتفق مع ما نشاهده فى الطبيعة وربما تهم هواة الصيد فى أيامنا . فغابة البردى التى تظهر جامدة لاحراك فى سيقانها أثناء الجو الحار صالحة لأن تكون مأوى أمينا لجم غفير من الحيوانات، وبذلك فإن الصياد الماهر الذى كان يتسلل فى مثل هذه الأجمة عند ما كان يقترب خلف ستار ثلاثة الطيور التى أمسك بها فى يده مرفرفة بأجنحتها يتسنى له أن يصطاد الطيور التى كانت تترك مكمنها عند هذه اللحظة . و إذا اتفق أنها طارت فعلا من أماكنها بالقدرة الإلهية فإن عصا الصياد كانت تصيب هدفها الدقيق . والمتن الذى يصف لنا هذا المنظر هو : (Plate XLI) «رخ مى رع» محبوب إلهة البطاح وحليف سيدة الصيد مخترقا البرك ومتسللا فى مستنقعات البط ومسليا نفسه بصيد السمك فى الأحواض . وعن صيد الحيوان يقول[1] : « رخ مى رع » (ألقابه) حليف إلهة البطاح متمتع بمنظر الصيد الجميل ، مشترك فى نشاط « إلهة البطاح » . وفى نقش ثالث نقرأ : « رخ مى رع » يخترق وديان الصحراء وسكان التلال ويجد الرياضة فى صيد حيوان الصحراء .

وصف منظر الصيد والقنص : (راجع Pl. XLIII.) يشاهد بين منظرى صيد الطيور وصيد حيوان الصحراء تابعون فى ركاب الوزير « رخ مى رع » يحملون طيورا ومعهم كلبة صيد وفضل من القسى والسهام . و يشاهد الصياد يفوق سهمه على عدد من حيوان الصيد المحصورة فى حظيرة من الشباك؛ و يلاحظ هنا أن اختلاط

---

(١) راجع : Pl. XLI, 2.

الحيوان بعضه ببعض فى داخل هـذه الحظيرة قد أُخرج بطريقة تجلت فيها حرية الرسام أكثر مما نشاهد فى المناظر الأخرى التى من هذا النوع، فسطح الجدار الذى صور عليه هـذا المنظر قـد لون باللون الوردى الخفيف وقـد بعثر عليه حصى ملون ، وترى الحيوانات تنهب الأرض نهبا فى رقعـة هذه الصحراء، وأشـكال الحيوان هنا لا تختلف كثيرا عن النمـاذج التقليدية ، غير أن ما بقى من الرسم أحيانا لا يعطينا صورة صادقة عن الحيوان وحركاته كما هى الحـال فى النعام أو فى الضبع التى نشاهـدها تعض بحنق وغيظ السهم الذى نفـذ فى صـدرها ، ويلاحظ أن السهـام التى أصابت الحيوانات غليظة ممـا جعـل الدم يتدفق منها وجعـل كل حيوان يرخى لساقيه العنان . ومما يسترعى النظر كذلك أن تأليف هذه اللوحة يمثل اختلاط الحابل بالنابل كما يمثل الارتباك الذى يسود أرجاء الشبكة ، وهذا لا يتفق مع القواعد التقليدية . وقد أظهر الفنان مهارته فى حفظ مجاميع الحيوانات منفصلة بعضها عن بعض كما أفلح فى تنويعها ،فالجزء القريب من الميدان لعين الناظر يظهر مملوءا بحيوانات تعدو بسرعة خاطفة فى حنق ورعب ، ثم يأخذ بعـد ذلك منظر حركات الحيوانات فى الهدوء عند ما تقع فريسة للسهام، وتشاهد الكلاب تنقض عليها فى الحال إثر إصابتها .

منتجات الصحراء : (راجع .Pls. XLIV, XLV) **يظهر أن المصرى كان عظيم الاهتمام بإظهار ثمرة مجهوده بوصفه صيادا وكذلك ما كان بيـديه من نشاط فى جنى الكروم وعصيرها وعرض محاصيل الصحراء إذ نشاهد الوزير « رخ مى رع » قد خصص جزءا كبيرا لهذه الأشياء فقد رسمت أمامه هذه المناظر وهو جالس على كرسى عظيم يباشر القيام بأعبائها، وقد كتب فوق صورته متن يفسر لنا ذلك وهو:**

« رخ مى رع » الذى أنجبه الكاهن المطهر للإله « آمون » « نفرو بن » ووضعته سيدة البيت « نب » يشرف على محصول ناجح ويتسلم جزية « طرق حور » ... من ثيران ذوات قرون طويلة وأخرى ذوات قرون قصيرة وسمك وطيور وفاكهة وزهر بشنين وأعشاب ... ... من الدلتا وكذلك جزية «طرق حور» :

وكذلك تقرأ (راجع .Pls. XLIV, XLV) : إحضار ما حصل عليه من صـيد الصحراء تبتل

وغزال ووعل وكل الطرائف الطيبة من لحم وخضر بمثابة قربان « طريق حور » ، وهى أزهار بشنين وأعشاب و براعم بشنين وسمك وطيور لاحصر لها وثيران ذوات قرون طويلة وأخرى ذوات قرون قصيرة ونبيذ وفاكهة محققا بذلك كل ما تصبو إليه النفس لأجل روح « رخ مى رع » .

ولا نزاع فى أن وفرة هذه الأشياء التى أحصيت فى هذا المتن توحى إلينا بإنه يوجد فى مثل هذه الحالة فاصل بين التاريخ والخيال . فقد يكون من باب المجازفة استنباط أن « رخ مى رع » كان له ضياع خاصة فى الدلتا وبخاصة فى النهاية الشرقية منها ، أى المكان المعروف باسم «طريق حور» (الملك)، أو أنه كان يتمتع بالصيد فقط هناك ، إذ أنه ليس من المحتمل أن يكون لدى « رخ مى رع » من الوقت بعد أن عددنا المهام التى كانت ملقاة على عاتقه — ما يسمح له بترك «طيبة» والقيام بسياحة طويلة إلى الدلتا ، بل أن ذلك كان مجرد تحقيق أحلام ادعاها هنا وجعلها حقيقة ليلقى فى روع الناس والآلهة أنه فرد جدير بالتمتع بكل ملاهى الدولة وخيراتها ، و بخاصة إذا علمنا أن حدود نفوذه كانت تنحصر فى صعيد مصر وحسب .

المناظر : (راجع Pls. XLIV, XLVI, 1.) وسواء أكان ذلك أضغاث أحلام أم حقيقة فإنا نجد أمامنا فى الصورة الصيد المقتول مكدسا فى كومة تحتوى كل أنواع الحيوان عدا الضبع وقد كان يدونها كاتب ، كما نشاهد أنه بجانب كل حيوان مقتول آخر حى قد جىء به ليسمن فى الحظيرة الخاصة بذلك ، ونجد من بين الحيوانات الحية الضبع غير أنها ترى محمولة على قضيب ، والسبب فى ذلك أن الضبع حيوان صعب المراس ، وصورته هذه منقولة عن التقاليد القديمة منذ الدولة القديمة .

ومن جهة أخرى نشاهد الكروم تجمع وتعصر كما كانت الحال فى « طرق حور » (الملك)، وهذا الإقليم الواقع على حدود مصر الشرقية كما ذكرنا كان عظيم الخصب مشهورا بنبيذه وقد حافظ على هذه الشهرة العتيقة حتى عهد القرون الوسطى الحديثة . وصورة قطف الكروم وعصرها عادية فى ذاتها غير أنه قد أسبغ عليها بهجة ورواء

تلك الأغنيــة التى كان يتغنى بها عصار و بنت الكرم أثناء عملهم فينشدون : يا « أرنونت يا سيدتى أغدق علينا الخير العميم ! » وقد كان ما تنتجه هذه الجهات من فاكهة هو الرمان والعنب ؛ هذا بالإضافة إلى الأزهار والثيران .

غنيمة صيد الطيور : وفى جزء آخر من هذا المنظر نجد غنيمة صيد الطيور التى عاد بها الوزير وقد قام على نتف ريشها وتكتيفها ووضعها فى القدور عمال مختصون بذلك ، وكذلك يشاهد السمك ينظف و يجفف فى الشمس . وقد كانت ألسنة أولئك الذين كانوا يحضرون هذا السمك لتنظيفه لا تنفك عن الكلام فيقول واحد منهــم لصاحبه وهو يحاوره : « أسرع فى فتح جوف السمكة تأمل ... إنها تظهر عند ما يخفض النيل و يقول آخر يأيها الخــدم أحضروا السمك لفتحه تأملوا ... ان إلهــة البطاح تأتى وهى حسنة الإدارة » .

وفى منظر آخر (Pl. XLVI, 1, 2) نلحظ أن السمك كان يصاد بوساطة شبكة تجر ثم تحمل إلى الشاطئ، وكان العمال لا يزالون يتكلمون فى أثناء ذلك ، غير أنه لم يصلنا شيء من حديثهم لتهشيم المنظر؛ أما ما تبقى من هذا المنظر فلا يمكننا أن نستنبط منه إلا ما نجده من رجال يحملون كل أنواع المحاصيل منها طيــور متوفة وغير متوفة وسلات بيض وأطباق من الشهد وأباريق مختومة و بردى ونسيج ملفوف .

المناظر الدنيوية

لم يفت الوزير « رخ مى رع » أن يفرد جزءا من مناظر قبره لشئون الحيــاة الخاصة بالتموين وكل ما يتعلق به . ولذلك نجــده قد استعرض لنا عدة مشاهد صــور فيها كل أنواع المأكولات والمحاصيل ســواء أكانت من إنتاج البــلاد المصرية نفسها أم من المحصولات الخارجية ، و بخاصة ما كان متعلقا بامداد خزائن الإله « آمون » أعظم الآلهة المصرية .

الحبوب المقدمة للإله آمون: (راجع .Pl. L, & LI) دوّن لنا «رخ مى رع» متنا فوق صورته يقول فيــه : إنه يتسلم الفول؟ والشهد لخزانة معبد « آمون » ويحافظ على كل الطرف بمثابة قربان لمعبد « آمون »، وذلك على حسب ما تفرضه وظيفته بوصفه المراقب السرى » .
والواقع أن الصورة التى على الجدران تتفق مع هذا النص ، إذ نشاهد حقائب فول يقدّمها فلاحون بخضوع ، كما نشاهد عمــالا يكدسون كومة من هــذه الحبوب ويكيلونها ثم يدوّن مقدارها ، ويدل ما نشاهده فى هذه الصورة على أننا لسنا أمام كومة قمح ، بل حبوب أخرى حمراء قاتمة ، يغلب على الظن أنها نوع من الفول . وتحدّثنــا النقوش عن ذلك فتقول : « تسليم فول « وع » لخــزانة المعبــد » ، والظاهر من الإجراءات التى كانت تتخــذ بخصوص هذه المــادة أنها كانت تستعمل غذاء ، إذ نشاهد عاملين يهرسان هــذا « الفول » فى هاون مصنوع من جذع شجرة ، وقد كتب عليه الشرح التالى :

دق الفول فى خزانة « آمون » رب تيجــان الأرضين ، لأجل عمــل القرابين التى قرّرها جلالته ،
والظاهر أن هذا الفول كان يهرس فقط كما يدل على ذلك قشوره الخشنة حتى بعــد الهرس ، ولذلك كان من الضرورى فصلها ، فكان ينخــل الدقيق المتخلف من الهرس عدّة مرات بوساطة « خدّام إدارة البلح » . وأحيانا نشاهد الدقيق يغربل بوساطة مذراة مصنوعة من خوص، ونسمع أحد أولئك الذين كانوا يقومون بهذه العملية ينادى قائلا : «فليسرع كل طحان منكم تأمل إننا ننفذ أوامره (؟) » .

فطائر مصنوعة من الفول (الطعمية) : (.Pl. XLIX, & L) : ومما يلفت النظر ما نشاهده من صنع أربع فطائر من هذا الفول ، وقد مزجت عجينتها بالمــاء فى حوض . وقد جاء المتن التالى شرحا لهذا المنظر : خبز رغفان يوميا لأجل الإله « آمون » ولأجل تاسوع الآلهة التابعين له . ويلاحظ هنــا أن العجينة قد أخذت من الحوض وقطعت أجزاء على هيئة أقمــاع ، وذلك بدحرجتها على لوح ثم إعطائها الشكل النهائى باليد ، ولا بدّ أن هــذه الفطائر كانت تسوّى على النــار ، غير أن

الدليل الوحيد لدينا على ذلك هو وجود فرن لم يوقد بعد . ويحتمل جدا أن هذه الأرغفة هى «الطعمية» التى تعمل من الفول فى أيامنا .

نوع من الفطائر الحلوة: وكذلك يشاهد فى هذا المنظر (Pl. XLIV. row 1.) صناعة فطائر أضيف إليها أدم وشهد و بلح ، وكانت تسوّى على النار ، أما الشهد والبلح فكانا يضافان إليها فى أثناء تسويتها على النار، وذلك بإذابة الأدم فى قدر خاص، وقد فسر لنا المتن هذه العملية بالعبارة التالية : «إضافة الأدم وطهى خبز شعت» . وكانت هذه الفطائر تخبز على لوحة بعد تشكيلها فى هيئة مثلثات مسطحة بيضية ثم تدهن كلها بعجينة فيها أدم ، وكانت الفطائر المثلثة الشكل لونها أحمر ، وحافتها صفراء ، وقد نقش فوقها : فطائر بالشهد والبلح (؟ ؟) .

لف الفطائر فى حزم لأجل القربان : ونجد مكتوبا على أحد صناع الفطائر العبارة التالية : « عمل رغفان « سحنو » لأجل القربان المستحقة للعبد » ، ولذلك نشاهد فى هذا المنظر عاملا قد أعدّ حزمتين حملهما بوساطة نير ، وهما يتألفان من الفطائر المثلثة والبيضية الشكل ، وكل منهما ملون باللون الأحمر ، غير أن حافته قد لونت باللون الأصفر ، والظاهر أنها محمولة فى أقفاص من الخوص .

تربية النحل : (Pls. XLVIII. & XLIX.) تدل كل ظواهر الأمور على أن الشهد والبلح كانا المادّتين الرئيسيتين اللتين استعملهما المصرى القديم لصنع الحلوى . وقد أراد الفنان المصرى عند التدليل على وجود الشهد ضمن المحاصيل الوطنية التى كانت تجبى لمعبد آمون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أن يرجع فى تصويرها لنا إلى الماضى البعيد ، أى إلى عهد الدولة القديمة ، إذ قد وضع أمامنا صورة لتوضيح تربية النحل التى كانت تعدّ بلا نزاع من الصناعات المصرية القديمة الهامة ، والصورة الوحيدة التى بقيت لنا من ذلك العهد السحيق ، يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الخامسة ، وقد كشف عنها فى رسوم معبد الملك

« نو سر رع » ، ولا يبعد أن يكون مفتن الأسرة الثامنة عشرة قد لجأ لتقليدها ولدينا صورة تشبه التى وجدت فى عهد « نو سر رع » يرجع عهدها إلى الأسرة السادسة والعشرين وجدت فى مقبرة فرد يدعى « بابس » (مقبرة رقم ٢٧٩) وقد كشفتها بعثة «مترو بوليتان» فى عام ١٩١٨ — ١٩١٩ (راجع Lansing, M. M. A. XV. (1920) July Part II. PP. 21ff.) . ورسم هذه الصورة ردىء جدّا لدرجة أن البحاث لا يعرف أنها منظر تربية نحل إلا من الإيضاح الذى كتب عليها ، أما فى منظر مقبرة « رخ مى رع » فواضح بعض الشىء ، فنشاهد الخلايا نفسها وهى مصنوعة من الطين الأحمر الرمادى ، ولا تختلف فى شكلها عن الأسطوانات المصنوعة من الفخار التى تستعمل حتى الآن فى مصر الحديثة لهذا الغرض بعينه . وقد ثبتت فى مواضعها أفقيا على مصطبة من الطين . أما الطريقة التى كانت تستعمل لجنى الشهد فهى طريقة التدخين ؛ وذلك أن يطلق الدخان فى أصل الخلية الى أن يهجرها النحل، وكانت عملية التدخين تعمل بوساطة مصباح مركب فيه ثلاث فتائل، وقد أشعرنا المثال المصرى بنجاح هذه العملية بأن صوّر لنا أن كل النحل قد ترك الخلية ولم يبق فيها إلا نحلة واحدة . وكذلك نشاهد فى الصورة أن النحال قد أخرج قرصا بيضى الشكل، غير أنه لم يصوّر لنا الكيفية التى صنع بها النحل هذا القرص بشكله هذا .

تحضير الشهد : أما تحضير الشهد فكان يصفى القرص أوّلا ، ونستطيع أن نفهم ذلك من إناء مملوء بأقراص بيضاء ، كما نشاهد عمالا يختمون جرات كبيرة بأختام من طين أخذت من كومة أعدّت لذلك الغرض ، ومما يسترعى النظر أننا نشاهد العامل الذى يقوم بعملية ختم الأوانى ، وقد لطخت يداه بالطين ، وكان يمتاز الإناء الخاص بالشهد بأنه من الفخار الأحمر وفوقه آخر مقلوب بمثابة غطاء . وقد كان يفصل بين الإناء وغطائه خيط أبيض ، كما استعمل لحبكها حبكا متقنا مادّة الشمع كما يشاهد فى الصورة .

خزن الجـرار والمحاصيل الأخرى أمام الوزير : & .PI. XLIX, L)
"Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes", Pl. XV.)
وقد كان المصرى يريد أن يحافظ على هذه الجرار بعيدة عن العبث بها ، ولا غرابة فى ذلك ، فإن تاريخ الخيـانة يرجع إلى عهـد آدم وجنة عدن ، ولذلك نجـد أن الموظفين المنوط بهم ختم الأشياء الثمينة كانوا من أصحاب المكانات الهامة . وقد كان ضمن هـذه الطوائف التى تجب المحافظة عليها على ما يظهر الشهد والزيت والنبيذ ، والواقـع أن تخزين هـذه الموادّ فى مخازن خاصـة فى المعبد يعتبر من أهم المناظر التى وجه لهـا عناية خاصة . ولمـا كان الزيت والنبيـذ من المحاصيل التى اختصت بهـا الدلتا ، فإنا نجد بحارة سفن النقل احتلوا مكانة بارزة فى هـذا المنظـر ، وكان يقوم بإدارة نقل الجرار المختومة ضابط سـفينة قربان معبـد « آمون » (راجع .Pl. L. row. 3)، وقد كتب فوق هذا المنظر الشرح التالى : « حمل النبيذ إلى مخازن المعبد ، وهى التى يتسلمها الوزير « رخ مى رع » ، وقد كان رئيس العمال يحض عماله على المثابرة على العمل فى حين كان العمال يشتغلون فى صمت . ويلفت النظر فى هذه الصورة شاب نوبى يحاول أن يرفع إلى كتفه جرة ضخمة وقد انقض عليه رئيس العمل فى أثناء ذلك بعصاه قائلا : « قم لا تتخاذل » .

ونشاهد كذلك هنا عمال الواحات الذين مثلوا بهيئة قذرة ، وقد طلب إليهم رؤساؤهم أن يهموا بإنجاز العمل قائلين : أسرعوا حتى يتقبل منكم هذا العمل وحتى تغادروا هنا بالثناء « مكافأة لكم (؟) » . ومعظم هؤلاء العمال كانوا يرتدون لباسا يستر عورتهـم فقط مصنوعا من الجلد .

وعنـد انتهاء العمل انحنى رؤساء العمال أمام الوزير بخضوع وخشوع بالغين ثم نطقوا بكلمة كلها ولاء وهى : والآن يبتهج قلبك يأيها الشريف ولتسعد أحوالك إن الخزائن تفيض بجزية كل البلاد الأجنبية . وبزيت وبخور ونبيذ الدلتـا ومختلف محصول بلاد بنت وهداياها ، وحقائب وأكياس محتوية سـلعا ذات قيمة لدرجة أن عددها أصبح يحصى بمئات آلاف الملايين (وكل ذلك) لملك الوجهين القبلى والبحرى « منخبررع » معطى الحياة . وهو الذى منه نتقبل الثناء يوميا .

محاصيل أخرى من الدلتا : (Pl. XLIX.) ولدينـا منظر آخر فى مقـبرة « رخ مى رع » اجتمع فيه بعض محاصيل بلاد الدلتا . فنشاهد فيه حزما من البردى والبراع، وقد يجوز أنها مجرد نماذج مما كان يورد بكميات عظيمة، كما نشاهد سلات مصنوعة من الخشب غير أنه ليس فى استطاعتنا معرفة ما كان فيها . وعلى مقربة من هـذه السلات نشاهـد كومتين يحتمل أن واحدة منهما تشتمل على صمغ «تى شبس» كان يتسلمه كاتب الخزانة (Pl. XLIX, row. 2.)، وكذلك نرى مساعد كاتب يتسلم جزية الواحات الجنوبية (الخارجة) مع جزية الدلتا فى حضرة الوزير « رخ مى رع » . أما المخزن الذى كان يحتوى هذه السلع فبناء مقبب أقيم من اللبن وليس فيه إلا إطار بابه من الحجر كما يشاهد مما يماثل ذلك قباب حتى الآن فى المخزن الذى كشف عنه بجوار « الرمسيوم » . ومما يؤسف له أن اسم هذا المبنى قد فقد ويحتمل أنه كان يسمى (مخزن معابد «آمون» والآلهة التابعين له) .

محاصيل الواحات : (Pl, XLIX & "Paintings" Pl. XIII.) يظهر أن كلا من خزائن الذهب والفضة التابعة لمعبد « آمون » ومخـزن المعبد الذى على يسارها قد أخذ الواحد مكان الآخر، وذلك لأن الأشـياء الموضوعة على يمين الأول (Pl. XLIX, 2, & "Paintings" XIII.) لاتشمل إلا محاصيل بسيطة لواحة أو إقليم فقير، ويرجع السبب فى ذلك إلى خـطأ ارتكبه المفتن . ويمكننا أن نتعرف عن محصول الواحات من العنب والنعال التى نشاهدها مصورة فى المنظر . وكذلك نرى سلات بسيطة الصنع وقيمتها تحصر فى محتوياتها ، غير أن بعضها قـد صنعت على هيئة جرار وخلايا نحل . وقد أتقن الصانع حبكها ، هذا فضلا عن أن ما على إحداها من صور آدمية مصوّرة بصورة هندسية بارعة لدليل على تقدّم الفن فى هذه الجهات . ويحتمل أن هذه الأوانى كانت مملوءة بالنبيذ، وقد وضع فوق هـذه الأوانى مادة يجوز أنها لوف أخضر . أما الحزم التى نشاهدها بجوارها فيحتمل أن يكون نسيجا حفظ بلونه الطبعى فقد كانت كلها ملوّنة باللون الأصفر . وكذلك الحقائب الطويلة

التى تشاهد فى هذا المنظر بلون أرجوانى ومختومة كل منها من إحدى طرفيها تعدّ من مميزات الواحات أو بلاد «بنت»، ويحتمل أنها كانت تشمل فاكهة أو بندقا.

حاصلات بلاد النوبة : (راجع .Pl. XLVIII. & "Paintings" XIV)
وبجانب محاصيل الواحات نشاهد كومة ثانية تشمل بداهة حاصلات بلاد السودان، إذ تشمل ريش نعام وحزما من سيقان نبات «ثنو»، وأربعة دروع من الجلد قمعية الشكل بها قرع أبيض، وكتلا من الأبنوس، وأسنان فيلة، وجلد فهد وأكياسا مملوءة دوما خشنة الصنع، وعددا من القردة تحاول أكل ثمار الدوم الموجود فى الأكياس لأن ثمار الفاكهة هو الطعام المستحب عند القردة (راجع .Paintings". XIV")؛ وأسفل هذا تشاهد قسى صفراء وكتل من الفضة وسبائك وخواتم من ذهب وأكياس مملوءة بالتبر وكراسى ربما كانت لجلوس القردة عليها (راجع .Pl. XVIII).

محاصيل أجنبية : (راجع .Pl. XLVIII) وفى نفس هذا المنظر نشاهد مبنى كبيرا أكثر متانة من السابق يظهر بداهة أنه أقيم من الحجر وأطلق عليه الخزانة المزدوجة للذهب والفضة (أى الخزانة)، والداخل فيها يشاهد سلات مملوءة بالفيروزج الأخضر المائل للزرقة، والكرتلين الأحمر (حجر الدم)، واللازورد الأزرق وقطعا من الفضة، ولفائف من الكتان، وحزما من النسيج أيضا، وجرارا مملوءة بصمغ البخور، وعطور «سفث»، وأكواما من البلسم، ويراعات (قنن)، وقضبانا «تى شبس» وحلقات من الفضة، وركائز من ذهب الجنوب، وزيتا فى جرار مختومة، وركائز نحاس، وكل هذه المواد قد وردت إلى مصر من الخارج.

عبيد معبد آمون وعملهم :

«رخ مى رع» يفحص أحوال عبيد معبد آمون : (Plates LVI, LVII, LXXIII, 3. "Paintings". XXIII) لما اتسعت أملاك مصر فى الخارج

ونمت صناعاتهـا فى الداخل أراد الفراعنـة أن ينتفعوا بالأسرى الذين كانوا يستولون عليهم من هـذه الأقطار المفتوحة على أن تكون فائدتهم منهم مزدوجة ، فقـد كانوا يجلبون هؤلاء الأسرى إلى مصر ليعملوا فى المصانع الوطنية وبخاصـة مصانع الإله « آمون » ومعابده ، وكذلك كانوا ينتخبونهم من الأسر العريقة حتى يكونوا ضمانا للفرعون على عدم قيـام ثورات فى القبائل التى أخذوا منها . والواقع أن الغنائم البشرية كانت دائمـا ذات قيمة عظيمة فى نظر كل الشعوب وإن كان جلبهم إلى بلد الغانمين يحمل فى طياته العقاب المحتم وهـو ما ينتج دائمـا من اختلاط جنسين مختلفين من الناس ، وبخاصة فى الأنظمة والمعاملة التى كان يتبعها القاهر مع المقهور . هذا فضلا عن الاختلاط الجنسى الذى كان لا بد منـه وما كان ينجم عنه من تغييرات فى الأخلاق والعادات ، وهذه الملكية الجديدة وما تنطوى عليه من نظم فى المعاملة قـد مثلت أمامنا فى صورة رائعـة فى مقبرة « رخ مى رع » حيث نجده قد جلس وخلفه حاشيته ، وعلى الرغم من أن المتن المفسر لهذا المنظر قد هشم بعض الشىء غير أنه يقدّم لنا صورة لا بأس بها عن مغزاه إذ يقول : «إن رخ مى رع» يقوم بفحص (أحوال) عبيد أملاك معبد « آمون » ، وكذلك مصنع أملاك المعبد — وهؤلاء العبيد هم الذين جاء بهم الفرعون أسرى أحياء وفرض على أهلهم أن يكون أولادهم جزية — لاعطائهم نسيج كتان وعطورا وملابس على أنها ذخيرتهم السنوية... ...» . وفى متن آخر يقول : إن «رخ مى رع» يقوم بفحص المصانع فى «الكرنك» والعبيد الذين أتى بهم جلالته من انتصاراته على الأراضى الجنوبية والأراضى الشمالية بمثابة أنهم نخبة غنيمته ، وإنه (الملك) الإله الطيب سيد مصر « منخبر رع » له الحياة والسعادة والصحة — لأجل صناعة كتان الفرعون والكتان النقى والكتان الجميل ... والكتان المنسوج نسجا دقيقا ؛ وهم العبيد الذين يقدمون الآن نسيجهم « لآمون » فى كل أعياده على حسب عددهم لمدة ملايين سنى الفرعون ... ... » . ويلاحظ أن عدد العبيد كان عظيما ، وكذلك كان مسك دفاترهم ولذلك نجد رجال السكرتارية جالسين فى راحة مزاولين عملهم الطويل .

الإماء : ويدل المنظر على أن هؤلاء العبيد كانوا موزعين على إدارتين رئيسيتين وهمـا إدارة الغـزل والنسيج وإدارة المراعى . ففى الأولى كان الاعتماد على النساء

أكثر من الرجال، غير أنه كان لابد من إعطاء الجوائز الخاصة لحث النساء على العمل والقيام به خير قيام . على أن المنظر الذى نشاهد فيه النساء ممسكات بأيدى أولادهن لأجل فحصهن ثم تسجيل أسمائهن (Pl. LVII. row. 1.) يشعر بوحشية وقسوة؛ وذلك لأن القائمين بهذا العمل كانوا لا يظهرون أى اهتمام لأنهم كانوا يعدّونهم فى نظرهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وعلى الرغم من ذلك ليس لدينا من البراهين ما يوحى بأن هؤلاء الصغار كانوا يباعون، وإن كانت خدماتهم فيما بعد يمكن بيعها ، وغالبا ما كان يؤدّى هذا العمل إلى أسوأ استعمال وأشنع نتائج . (راجع Davies, M. M. A. XXIII. (1928) Sec. II. P. 40. & the light on slave dealing, Ibid XXX. (1935). Sec. II. P. 54.) . ومع ذلك فليس لدينا من الأدلة ما يجعلنا نفرض عدم الإنسانية أو القسوة فى معاملة هؤلاء الأسرى ، إذ نجد أن الجيل الثانى من هؤلاء العبيد لم يكن أهله بأتعس حالا من المصريين أنفسهم ، وتدل ظواهر الأمور على أن الإماء من هؤلاء العبيد كن أحسن حالا من زميلاتهن من المصريات الصميات أحيانا، إذ قد نلن حظا من السعادة ورغد العيش فى وطنهن الجديد، وقد برهن على أنهن جديرات بأخذ حقوقهن فقد كان المصريون الذين يعاشرونهن يعلمون علم اليقين أنه ليس من صالحهم أن يثيروا غضبهن أو يعملوا على قهرهن .

مرتبات الإماء : وقد كانت النساء يتسلمن مرتباتهن من نسيج الكتان الذى كان يوزع عليهن، وقد كان هذا النسيج مزركش الحواشي يقدم فى هيئة مقاطع ضخمة ، وقد أمكن أن نعرف من إحدى الحالات نسبة طول الكتان المنسوج إذ نشاهد فى الصورة قطعة منه مبسوطة أمامنا لتقسم اثنتين (Pl. LVI. row. 1.). وكذلك كان يصرف لهن الدهن ويحتمل أنه كان عطورا كما يحتمل أنه كان شحما للمصابيح . والظاهر أنه كان على نوعين إذ نجد أنه فى حالة يصب من جرة كبيرة كالزيت ،وفى حالة أخرى كان يكدس كالعجين فى طبق . وتدل ملامح هاتيك النسوة على

أنهن كن من « الخيتا » ذوات الشعور الطويلة ، ومن « النوبيات » اللائى يحملن أولادهن فى سلات ، ومن «السوريات» اللائى يمترن بحللهن المزركشة . ويلاحظ أن الأطفال كانوا يلبسون تعاويذ . ومن هـذه نشاهد صورة شمس ساطعة على فتاة سورية وهلالا يتحلى به الطفل الذى تحمله (Pl. LVII. row. 1.) .

الرجال العبيد : ومما يلفت النظر أن الرجال الأجانب الذين كانوا يوردون الكتان (Pl. LVI, LVII.) والمصريين الذين يتسلمونه منهم لا يمكن تمييز بعضهم من بعض فقد كانوا يلبسون زيا واحدا وملامحهم واحدة ، والنسيج الذى كانوا يقدمونه كان إما مطويا بعناية ليكون صالحا للمبادلة ، وإما منشورا للاستعمال العاجل . ونشاهد هنا ثانية الأكياس والحزم والنسج المزركش الأطراف . وأحيانا نجد نسيجا له حواش يستعمله السوريون (راجع Pl. XXII. row. 2.) ؛ وليس لدينا فيما تبقى من هذا المنظر إلا رأس واحد تدل تقاطيعه على أنه رأس أجنبى وان كانت ملابسه لا تدل على ذلك ؛ ويحتمل أن الماشية التى نشاهدها فى المنظر كان يرعاها أولئك العبيد الذين لم يبق لنا منهم إلا رأس واحد وهم من الأجانب (راجع Pl. LXXIII, 3.) .

صناع الإله آمون

رخ مى رع يشرف على الصناع : (Pls. LII, LV & "Paintings". XXIII.)
كان الوزير «رخ مى رع» يعلم تمام العلم ما للصناعة والحرف من شأن عظيم لقضاء مآرب الفرعون الدنيوية والأخروية ، وكذلك بوجه خاص ما للصناع من مكانة عظيمة فى إنجاز كل ما يحتاج إليه معبد الإله « آمون » من قطع فنية وأدوات العبادة المختلفة الأشكال والألوان ، ومن أجل ذلك خصص لها جزءا عظيما من جدران مقبرته صور لنا فيه نشاط أصحاب الحرف والصناعات بصورة لا تحتاج إلى إيضاح أكثر من النظر اليه بالعين المجردة ، ومع ذلك فإنه شفع كل حرفة وكل صناعة بما يوضح لنا ما يكون قد غلق علينا فهمه منها ، ولذلك تعتبر مناظر قبر هذا الوزير الصناعية

مفصلة أكثر من أية مناظر أخرى وصلتنا من هـذا العهد ، يضاف إلى ذلك أن الزمن قد حبانا بما نتطلب منه فلم يعبث بهذه المناظر الفـذة بدرجة مشينة تشوهها كما حدث فى المقابر الأخرى التى أخنى عليها كر الغـداة ومر العشى وزاد فى طمس معالمهـا يد الإنسان وما تحـدثه من تخريب وعبث؛ فنشاهد فى مقبرة هذا الوزير الصناع وقد اصطفوا أمام الوزير على اختلاف مهنهم وحرفهم من صناع مجوهرات الى عمال قطع أحجار ودباغى جلود ونجارين ومعدنين فيضع كل المشتغلين بهذه المهن منتجات أيديهم وعقولهم عند قدمى الوزير العظيم .

"رخ مى رع" يقدم التعاليم للصناع : فيشاهد هذا الوزير واقفا و بصحبته أر بعون من أتباعه يفحص كل منهم أعمال صناع معبد «آمون» ، و يعطى التعاليم لكل عامل عن واجباته فى كل منهاج من أنواع الإنتاج. وقد كان « رخ مى رع » يوصف هنـا بأنه الأمير الوراثى وعمـدة المدينة والـوزير ورئيس المحاكم الست العظيمة غير أنه كان من الواجب أن ينعت هنا كذلك بأنه الوزير الذى يضع القوانين للكهنة و يقود الكهنة المطهرين عنـد أداء واجبهم و إن كان من الصعب تمثيله هكذا فى هـذا المنظر . والواقع أن وظائفـه الخاصة بالكهانة لم تكن مجـرد ألقاب شرف وحسب ، وحتى إذا كانت منحصرة فى الملاحظة النهائية كما ذكرنا ، فإنها كانت مع ذلك عبئا ثقيلا آخر أضيف الى الأثقال التى كانت تنوء بهـا وظيفة الوزير وسنذكر هنا كل هذه الصناعات بنوع من الاختصار .

صناع الخـرز : (Pl. LIV.) يشـاهد فى هـذا المنظر (Pl. LIV. row. 1.) صياغ منكبون على أعمالهم فنجد أولا ثلاث كميات من الخرز الأخضر لعمل قلائد «منات» ، كما نجد جرارا بعضها مصنوعة من المرمر والبعض الآخر من مادة مطلية ، وأسماطا منظومة بحبات من الخرز الصغير والكبير ، وفوق هذه الأشياء يرى صانع يثقب خرزا من الحجر ؛ و بجانب هذا الصانع نشاهد صناعا آخرين ينظمون الخرز أو ينظفون الثقوب التى عملت و بجانبهم سلات تحتوى بداهة على أكوام من الخرز

الأزرق المـائل للخضرة . ولا بد أن هـذه السلات كانت لوضع القـلادات التى فرغ من صنعها .

تفريغ الأوانى المصنوعة من الحجر : (Pl. LIV.) . تدل شواهد الأحوال على أن صورة صناع أوانى المرمر قد انحدرت إلينا من عهد قديم جدا (Pl. LIV, left.) وفى هـذه الصورة نشاهد الخطوات التى كان يتبعها الصانع حتى ينتهى من تفريغ آنيته ، وقد كان ذلك يحتاج الى صبر وأناة . وممـا يلفت النظر هنا أن الصانع عند ما كان يكلف تفريغ إناء ضخم لم يكن لديه من الآلات ما يساعده على القيام بذلك دون كسر الحجر ، وبخاصـة إذا كان الإناء واسـعا فى جزئه الأسفل وضيق الرقبـة ولذلك كان يصنعه من قِطعتين يفرغ كلاًّ منهما على حدة ثم يلحم بعضهما ببعض عند أوسع نقطة فى جسم الإناء .

العمال وصناعة الجلود : (راجع .Pl. LII, LIV) إن أهم ما يلفت النظر هنا صناعة النعال البيضاء وهذه النعال كانت على نوعين عرضتا هنا فى وضعين أحدهما عادى والآخر عمل بأشكال غريبة ؛ والواقع أنها نعال ذات أشكال خيالية صنعت أربطتها على صورة سمكة ، ويشاهد هنا كذلك مجاميع من لفافات الجلد ممـا يدل على أن الجلد الأبيض كان يستعمل مادة كالبردى للكتابة عليه . غير أنه تشاهد كومة أخرى من الجلود ذات لون أحمر ورقعة بيضاء بيد أنها رقيقة تستعمل للكتابة عليها ، وترى كذلك خادما يحضر كميـة جلود وهـذه بلاشك أدوات السراجة والمعـدات اللازمة للعربة . ويمكن للإنسان أن يرى فى هذا المنظر الخطوات التى كانت تتخذ لتحضير الجلود لعمل النعال .

دبغ الجلود وصناعة النعال : (.Pls· LII, LIII) يشاهد هنا عملية تليين الجلود فى وعاء كبير لتصبح صالحـة لصناعة الدروع كما ذكرنا من قبل ، والواقع أن الدرع كانت تحتاج الى معظم جلد حيـوان صغير . وكان الجلد بعـد تليينه يعطاه

صانع آخر (Pl. LIII, row. 1.) فتؤخذ القطعة المربعة منه ليصنع منها نعال للأحذية؛ وهنا نشاهد كل الخطوات التى كانت تتبع لإتمام الحذاء كما نشاهد كل الآلات التى كانت تستعمل فى ذلك وكذلك كيفية العمل (راجع Pl. LIII, row. 1.) .

الحبال المصنوعة من سيور الجلد : (راجع Pl, LII. row. 1.) وفى أقصى المنظر السابق نشاهد عاملا ماهرا ذا تجارب قد أمسك بقطعة كبيرة من جلد حيوان وأخذ يقطع منها سيورا طويلة بوساطة سكين لتصنع حبالا مفتولة من ثلاثة سيور كل منها . وطريقة فتل هذه الحبال موضحة فى الرسم وهى نفس الطريقة التى تستعمل فى فتل الحبال المصنوعة من الكتان (راجع Pl, LII.) .

النجارة وآلاتها : (راجع Pls. LII, LIII, LV.) عرض فى هذا المنظر بعض قطع أثاث مصنوعة من الخشب (راجع Pl, LV.) منها مقبض مروحة ووسادة وصندوق مطعم وتمثال واقف مصنوع من خشب الأبانوس أو الخشب المطلى باللون الأسود وهو ذو حواف مذهبة، هذا ويرى محراب ليحفظ فيه التمثال السالف الذكر .

ويشاهد فى هذه الصورة عاملان يضعان طبقة من الجص على صندوق وقد وضعت على سطح مغرى لأجل تذهيبه وذلك لما نشاهده من إذابة الغراء فى إناء موضوع على النار . أما الجص فكان يطحن بحجر رملى أحمر، هذا ويوجد كذلك نجار مفتن مجهز بآلات[1] دقيقة لإنجاز أعماله .

صناعة المحاريب : (راجع Pls. LII, LIII.) فى هذا المنظر نشاهد صنع محراب من الخشب الأصفر المزخرف بالأبنوس وكل بصناعته أربعة عمال . وفوق هذا المحراب مصراعا باب . ويشاهد فى ترصيع هذا المحراب صور تعاويذ وحليات ذوات قيمة فنية عظيمة والمتن المفسر لذلك يقول : (راجع Pl. LIII, 3.)

إن هذا الشريف هو الذى يضع القواعد ويرشد أيدى الصناع الذين يصنعون أثاثا من العاج والأبنوس وخشب « سسترم » وخشب « مرر » وخشب الأرز الحر المجلوب من قمة منحدرات جبال «لبنان» .

---

(١) راجع ما كتبه الأستاذ «اسكندريدوى» عن هذه الآلات فى (A. S. XLII. P. 145ff.).

ومن هذا المتن يظهر جليا أن الوزير « رخ مى رع » أراد أن يبرز أمامنا صراحة ما له من باع طويل وعلم غزير فى الحرف لدرجة أنه كان يتدخل حتى فى هذه الصناعات الدقيقة ليرشد الصناع بخبرته ودرايته فيها ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان سيده الفرعون « تحتمس الثالث » يضع التصميمات لبعض القطع الفنية ثم يعطيها الصناع لتنفيذها ، وفى هذا المنظر نرى كذلك كيفية سير العمل وتدرجه حتى النهاية .

وزن المعادن الثمينة : (راجع .Pl. LV) وقد كان من أهم ما يعتنى به عند القائمين بوضع تصميمات القطع المعدنية الفنية أن يزنوا للصياغ المقدار اللازم لكل قطعة على أن يتسلموها ثانية بعد صناعتها تامة غير منقوصة ، ولذلك نشاهد فى هذه الصورة الميزان الذى كانت توزن به هذه المعادن (Pl. LV. row. 2.) . وفى المنظر الذى أمامنا نشاهد خمس حلقات من الذهب وضعت فى إحدى كفتى الميزان وفى الكفة الأخرى وزن مقبب الشكل والآخر على هيئة رأس ثور كما نشاهد وحدات موازين أخرى بالقرب من الميزان لاستعمالها عند الحاجة . ويلاحظ من بينها وحدة فى صورة فرس بحر ، كما نشاهد ثلاث حلقات من الفضة وأربعا من الذهب وضعت فى سلة لتوزن . ومن المحتمل أن الرأس الذى يتوج به عمود الميزان هو رأس الإلهة « ماعت » إلهة العدل والحق أى أنها وضعت فى مكانها هنا لتنبه القائم على الوزن أن يزن بالقسطاس المستقيم .

ونشاهد كذلك فى هذا المنظر معظم قطع الأثاث التى كانت تستعمل فى المعبد وبخاصة الأوانى والأقداح والقواعد التى كانت توضع عليها وكلها قد صنعت من الذهب والفضة على التوالى والمتن المفسر لهذا المنظر هو « إعداد صياغ الإله آمون » والمشرفين على صياغ آمون لإنجاز كل عمل لقر الملك على حسب عملهم اليومى وكانوا يحصون بملايين الآلاف فى حضرة العمدة والوزير رئيس المحاكم الست العظيمة « رخ مى رع » .

طرق المعادن ولحم الأوانى : ولدينا مناظر فى مقبرة « رخ مى رع » توضح أمامنا عمليات طرق المعادن ولحم الأوانى فعملية الطرق كانت بسيطة ساذجة وذلك

بأن تطرق الحلقات بوساطة مدقة حتى تصير لوحات رفيعة (راجع .Pl. LV)، وهذا المعدن كان يستعمل بعد طرقه فى صنع الأوانى والمتن المفسرهو : صنع أوان مختلفة لأجل أن يستعملها الإله لشخصه ، وصنع عدد عظيم من الأوانى الذهبية والفضة وكلها منتجات خالدة .

وقد كان لا بد من لحم بعض أجزاء الأوانى . فكان المصرى يستعمل فى الوصول إلى ذلك طريقة خاصة يستعمل فيها معدنا خاصا يذاب والطريقة مشروحة كلها فى الصورة (راجع .Pl. LII, LIII row. 3) .

صهر المعادن : (راجع .Pl. LII. row. 2) وكذلك نشاهد فى الصورة طريقة صهر المعادن وصبها فى قوالب ولما كانت المعادن المصهورة التى يحتاج إليها كثيرة فلذلك نشاهد أنه كان يقوم بهذه العملية عدة فرق كما يشاهد فى المنظر .

صب المعادن : وكذلك لم يفت المفتن أن يرسم لنا كيفية صب المعادن فى القوالب والأشكال المطلوبة (.Pl. LII, LIII) ، ونشاهد فى المنظر الخاص بذلك صب مصراع باب لا بد أنه كان من النحاس (.Pl. LII. row. 2) . ولذلك نشاهد قالبا من الطين المحروق يوجد به ما لا يقل عن سبعة عشر ثقبا يصب فى أحدها المعدن المصهور ، غير أن هذه الصورة صعبة الفهم لأننا لم نر بابا من النحاس قد صب دفعة واحدة بهذه الكيفية كما أنه ليس لدينا مما وصلنا من الأزمان القديمة ما يثبت ذلك ؛ ومهما تكن العملية التى نشاهدها هنا فإنها تدل على مشروع ضخم ولذلك لم تترك لفرد واحد للقيام بها فنشاهد العمال يمشون كأنهم جنود تحت الطلب حاملين آلاتهم وكأنها أسلحة قتال ليساعدوا القائم بالعمل إذا اقتضت الحال .

وقد نقش متن مع هذا المنظر يحتمل أنه كان أغنية يتغنى بها الحدادون وهم سائرون (راجع .Pl. LIII, row 3) ترويحا للنفس وهى : — مرحبا يا « منخبررع » يا مالك الآثار الجميلة يامن أعطى الحياة مخلدا ! ! إنه موجود كما هى موجودة (الآثار) أبديا ! وإن «آمون» يعطيه مايساويها من الحياة والسعادة لأنه يقدم المرة تلو المرة العطايا إلى بيت والده المقدس .

ويشاهد على يمين هذا القالب حقيبة مملوءة فحما ثم ثلاثة رجال (Pl. LIII, 3) يحضرون ركيزة من النحاس وسلتين مملوءتين من نفس المعدن. وهؤلاء العمال يصفهم المتن : « بأنهم أحضروا نحاسا أسيويا وهو الذى جلبه جلالته من انتصاراته فى بلاد « رتنو » لأجل صب بابى معبد « آمون » بالكرنك ، وهما اللذان قد غشى سطحهما بالذهب الذى يسطع فى أفق السماء وقد كان العمدة والوزير « رخ مى رع » هو الذى يدير الأعمال لإنجازها » .

المبانى والتماثيل

الأعمال الضخمة : (راجع .Plates, LIII, LXIII, "Paintings" XXIII)

لقد كان ضمن الأعمال الإدارية التى اختص بها الوزير « رخ مى رع » المبانى العظيمة التى أقامها الفرعون فى « الكرنك » . ومما يؤسف له جد الأسف أن الصورة التى مثل فيها وهو يشرف على هذه الأعمال قد هشمت ولم يبق لنا من الموظفين الذين مثلوا معه فيها إلا عدد قليل .

ولكن لحسن الحظ قد أبقت يد المخربين على المتن الذى يصف لنا هذا المنظر وهو : "إن «رخ مى رع» وهو الشريف الذى يضع القواعد لمعابد الوجه القبلى والوجه البحرى والقاضى الأعلى صاحب المكانة الممتازة . يقوم بفحص كل أعمال مؤسسة « آمون » فى الكرنك جاعلا كل إنسان يعرف عمله المعتاد ، وذلك لانه « رخ مى رع » هو الموظف المشرف على الأعمال" . وقد استعرض فى هذا المنظر أمام الوزير أعمال كثيرة لم يبق منها إلا ما يشير إلى إنجاز مبنى ضخم للإله « آمون » بعضه باللبن وبعضه بالأحجار ثم صناعة تماثيل ونقل كل من الأحجار يحتاج إليها بطريق النيل واليابسة . وكذلك نشاهد تنظيم طوائف العمال الذين كانوا يساعدون على إنجاز هذه الأعمال العظيمة .

العبيد وصناعة اللبنات : (راجع .Plates LIII,LIX, "Paintings"XVI,XVII)

كانت صناعة اللبنات من أهم الحرف السائدة فى طول البلاد وعرضها وبخاصة إذا علمنا أن بيوت الفقراء والأغنياء على السواء كانت تقام من هذه المادة فى كل أزمان التاريخ المصرى القديم وذلك لاعتبارات صحية ودينية معا . إذ كانوا يعتقدون أن المبانى الدنيوية عرض زائل ، كما كانوا لا يريدون أن يقيدوا من يجىء بعدهم

بمبانيهم التى ربما لا تتفق مع ذوقهم أو ذوق العصر الذى يعيشون فيه هـذا فضلا عن أن المبـانى التى باللبن تجعل المنـازل رطبة فى أيام القيظ الشديد فى مصر التى يمتاز جوّها بالحر الشديد خلال أشهر الصيف .

ونشاهد فى المنظر الذى خلفه لنا « رخ مى رع » صناعة اللبنات ونقلها، ويدل العـرض الذى أمامنا على حيوية ومهارة عجيبة فقـد رسمت أمامنا البركة التى تؤخذ منها المياه كأنها لوحة مزخرفة بأزهار البشنين وكذلك نبت على شـواطئها المنحدرة الكلا المتماوج . ("Paintings" Pl. XVI.) والواقع أن المفتن الذى رسمها قد قدم لنـا بركة نموذجية زين سطحها بالأزرق المموّج والعمال فيها قـد انحنوا فى المـاء ليملئـوا جرارهم ملونين بالألوان الجميلة ممـا أضفى على المنظـر بهجة ورواء ، بدلا من أن يرسمها مجـرّد حفرة فيهـا ماء والمنظر يعتبر بمثابة ضـوء لامع قد أرسلت أشعتـه على مكان قاتم مظلم . أما اللبنات التى كانت تصنع فترى مصفوفة يزداد عددها كلما ازداد انتاج العمال بالقوالب التى فى أيديهم . وعلى مقربة من العاملين اللذين يقومان بضرب الطوب تُرى أكوام من التراب الذى كان يصب عليه المـاء رجال قد لطخت أيديهم وأرجلهم بالأوساخ . والمدقق فى سحنة هؤلاء العمال يلحظ أنهم غرباء كما يدل على ذلك ما كتب أعلى هذا المنظر إذ يقول المتن : « الأسرى الذين أحضرهم جلالته لأعمال المعبد » . والواقع أننا نجد بينهم سور يين ذوى بشرات بيضـاء وأعين زرقاء . كما يوجد بينهـم نوبيون يمتازون بجلودهم الحمراء وشـعرهم المصبوغ باللون الأحمر هذا فضـلا عن وجود آخرين لا يكاد الإنسان يميزهم من المصريين . وممـا يلفت النظر هنا أن السوريين كانوا كلهم متقـدّمين فى السن كما يفهم من شعورهم البيضاء (Plate XVII.) على أن ذلك قـد يكون مجرّد لون يدل على بياض البشرة .

أحجار المبانى : (راجع. Plates LVIII - LXV; "Paintings" Pl. XVII)

من المدهش أن العمل الذى يقوم به الصـناع فى هذا المنظر قيل عنه فى المـتن

المفسر له : " إنهم يصنعون لبنات لبناء مصانع جديدة للإله « آمون » فى الكرنك "، غير أن ما نشاهده فى الصورة يختلف عن ذلك إذ نجد أمامنا « سوريا » يضرب (ببلطته) فى كومة من قطع الأحجار هذا الى أن هذه الأحجار لا تدل على أنها آجر محروق لأن هذه المادة كان لا يستعملها المصرى فى تلك الفترة من تاريخ البلاد يضاف إلى ذلك أنه كتب فوق صورة عامل يحمل قطعة واحدة بيضاء من الحجر المتن التالى : "إن المشرف يقول للبناء إن قطع الحجر جميلة فى يديه". ونشاهد فى منظر آخر مبنى يقام فى معبد الكرنك وقد صنع له منزلق كالذى نراه حتى الآن فى الكرنك مبنى باللبن والطين والبراع وأغصان الأشجار وغير ذلك (راجع .Pl. LX) كما نشاهد لذلك منظرا يصور لناجر الأثقال وبخاصة الأحجار الثقيله (.Pl. LVIII) . وفى ثالث يشاهد تسويه الأحجار (راجع .Pl. LXII) والآلات المستعملة لذلك . ثم نرى كذلك كيفية وضع الألوان والزخرفة (راجع .Pl. LXXIII, 2) .

تماثيل معبد « آمون » ونحتها : (راجع .Plate. LX) وقد كان من الضرورى بعد إتمام بناء المعبد من القيام بعمل ما يلزمه من قطع فنية كان لابد منها وبخاصة تماثيل الإله وقد أسعدنا الحظ بأن حفظت لنا صورة فخمة نشاهد فيها نحت التماثيل الضخمة التى لا تزال حتى الآن موضع إعجاب العالم بأسره . ففى الصورة نرى تمثالين نحتا ضعفى الحجم الطبيعى، وقد وقف نحاتون على حمالات يعمل كل فيما كلف بإنجازه . والظاهر أن هذين التمثالين قد نحتا من الجرانيت الأحمر . وكذلك نرى تمثالى « بولهول » ومائدة قربان عظيمة من الحجر الجيرى الأبيض . وهناك تمثال ضخم جالس يمثل «تحتمس الثالث» يعمل فى إنجازه ثلاثة نحاتين كل منهم يقوم بالعمل الخاص به . فصانع يهذب القطع الزائدة وآخر يصقل سطح التمثال بحجر صلب أما الأخير فكان يصنع التفاصيل الأخيرة التى يعد بعدها التمثال قد تم نهائيا .

وقد كان المفتن يقوم بإنجاز الخطوات التى يجب أن تتخذ الواحدة تلو الأخرى، غير أنه على ما يظهر جعلها كلها تنجز فى آن واحد، ففى حين نرى صانعا يعمل بمدقته

كان هناك آخر يقوم بعملية التلوين أو مداواة القطع التى أصابها عطب بالجص . أما مائدة القربان التى كانت لا تحتاج إلا للنقش فقد كان يعمل فيها صانع بمدقته وحسب .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا من الوجهة الفنية أن المفتن قد حاول أن يصوّر لنا أحد الصناع وهو يعمل فى وضع كان يجب فيه أن يكون جسمه ملتويا وهذا يذكرنا بالمحاولة الجريئة التى حاولها المفتن فى تصوير خادمة فى وليمة فى مكان آخر من هـذه المقبرة بعينها . وهى فى وضع يظهر لنا ثلاثة أرباع جسمها . أما التمثال الذى يشاهد واقفا فى الصورة فيلحظ أن نقاشا يقوم بنقش متنه باللون الأخضر . وهذه الصورة على الرغم من أنها تساعدنا على فهم سير العمـل فإنها تتركنا فى دهشة عظيمة إلى حدّ بعيد جدا ؛ وذلك أن النحات المصرى القديم قد أبرز لنا إشارات هيروغليفية متقنة فى أصلب الأحجار بآلات خشنة على حسب ما نشاهد فى الصورة وقد وضح هذا المنظر بالمتن التالى : طائفة منتخبة من جماعات الصناع الذين يعملون فى هذا البناء الذى أقامه جلالته بإرادة الوزير « رخ مى رع » لأجل أن يبقى على عرشه فى معبد آمون والآلهة الذين فى ركابه «فى الكرنك» .

وليمة أسرية

إن منظـر الوليمة التى كان يدعى إليها كل أهـل صاحب المقبرة عامة ينظر إليها فى العادة بأنها كانت تقام فى عالم الآخرة بعد الموت . ولكن الواقع أنها كانت لابدّ تقام كذلك فى مدة حياته . وفى الحـق أن التمييز عنـد المصرى بين الحيـاة الدنيا والحياة الآخرة يكاد يكون لا وجود له ، وذلك لأن روح المتوفى (كا) يمكنه أن يكرر ما كان يعمله وهو إنسان حى يرزق ، وسـنرى فيما بعد أن هـذا العمل المزدوج قـد أتاح للمصرى أفقا واسـعا على شرط أن تكون الأعمال التى يأتيها وهو فى عالم الآخرة من التى يأتيها فى الحياة الدنيا . وعلى أية حال فلدينا منظر الوليمـة التى أقامها « رخ مى رع » للموظفين وهى بلا نزاع لا تمت بصلة لمناظر الآخرة .

(راجع .Pls. CXI, CXII; "Paintings" XXV) ؛ وقد شغلت الوليمة التى أقامها « رخ مى رع » لعشيرته الأقربين حيزا كبيرا ,Pls. IV, LXIII – LXVII, LXIX, 2) & "Paintings" Pl. XXVI,)

ويلاحظ على وجه الضيفان الفرح والسرور فى حين أن محيا صاحب الوليمة لا يمكن قراءته على وجه التأكيد . وذلك على الرغم من أن تقديم الصاجات له كان من الأشياء المحببة إلى نفسه فإن تقديمها يعتبر فى غالب الأحيان احتفالا دينيا للمتوفى .

وينقسم رسم هذه الوليمة العظيمة التى مثلت أمامنا إلى منظرين علوى وسفلى . أولهما وهو العلوى خاص بوليمة النسوة (Pls. IV., LXIII, – LXVII) والمنظر الثانى وهو السفلى خاص بوليمة الرجال (راجع .Pls. LXVI - LXVII, LXIX, 2) فيشاهد « رخ مى رع » وزوجه مريت يشتركان فى المنظرين وهما يتقبلان البركات الإلهية من أبنائهما وبناتهما . ويلاحظ أن كلا من المنظرين قد فسر بمتن خاص يكشف لنا عن الغرض الذى من أجله أقيمت هذه الوليمة الشاملة . وهاك المتنين (راجع .Pls. LXIII, LXIX, 2) .

الأول يصف المناظر التى يلمس فيها «رخ مى رع » الصاجات وعقود منات التى تقدمها له امرأتان وفتاتان وجميعهن بلا شك من بناته وهو . « التمتع برؤية الطعام الطيب والموسيقا والرقص والغناء والتدليك بزيت البلسم والتدهين بزيت الزيتون وشم البشنين والخبز والجعة ونبيذ البلح وكل ما لذ وطاب مما يقدم لروح (كا) الحاكم الوراثى وعمدة المدينة والوزير «رخ مى رع» ، وكانت زوجته حبيبة قلبه ربة البيت مريت فى صحبته» . وكتب فوق النسوة المتن التالى عند ما كن يقدمن تحياتهن لعمدة العاصمة فيقلن : ليت بنت « رع » تحبوك وتكرمك ! وليتها تحيطك بحمايتها يوميا عندما تضم شخصك ! المس جلالتها عندما تلف ذراعيها حول كتفيك حتى تتمتع بحياة مديدة سعيدة على الأرض وتضمك الحياة والسعادة والصحة .

وفى المنظر السفلى (.Plate. LXIX, 2) يشاهد « أمنحتب » بن « رخ مى رع » ويحتمل أنه كان يقدم أزهارا مزينة والمتن الموضح للمنظر لا توجد فيه النعومة

النسوية التى لاحظناها فى المتن السابق . وهو : التمتع بالابتهاج السار ، وبمشاطرة الطعام الطيب بشم بشنين الصيف ، وبزيت البلسم الذى يعطر قمة الرأس لأجل روح الأمير الوراثى وعمدة المدينة والوزير « رخ مى رع » وزوجه « مريت » أما المتن الذى نقش فوق الذين يقدمون أزهارا فهو . أما ماقيل فهو: خذ زهر البشنين الذى قطف من حديقتك المروية لأنك لن تحرمها ، وليتها تغدق عليك كل أنواع الفاكهة الطيبة والطرائف التى تنمو فيها حتى تستطيع أن تتمتع بلذائذها وتنعم بخراجها وأن يكون لقلبك نصيب فى أشجارها النضرة ، وأن تنعش بظل أشجارها وتعمل فيها كل ما يصبو إليه قلبك أبد الآبدين .

أغانى الموسيقيين : (راجع Plate LXIV, LXVI) كان يوجد فى كلتا الوليمتين موسيقيون يغنى كل منهم على الطريقة المصرية المعروفة عند الضرب على آلات الطرب والتصفيق على الأيدى بطريقة منظمة وقد نظمت مقطوعة للنساء ليشعر الإنسان فى ألفاظها بنغمة غنائية ؛ أما أغنية الرجال ففيها طول وليس فيها ما يبعث على المرح والسرور وهاك المقطوعة التى كانت على ما يرجح تتغنى بها النساء :
ضع المرهم العطرى على غدائر « ماعت » لأن الصحة والحياة معها ... يا « آمون » إن السماء قد رفعت لك وإن الإله « بتاح » يقيم بيديه لك محرابا ليكون بمثابة مكان راحة لقلبك ، تعال يأيها النسيم لقد بصرت بك عند ما كنت على البرج (؟) .

أما أغنية الرجال مخاطبين « رخ مى رع » فهى : ليت نسيم الصبا الحلو يكون فى أنفك والنفس لخيشومك ! استول على القربات الملكية التى رفعت إلى موائد قرابين رب الكل حتى تنعم روحك أنت يأيها العمدة الممدوح من آمون يا « رخ مى رع » ؛ وليت السنين التى كتب الله لك أن تقضيها تكون مقرونة بالفلاح العظيم . وليتك تعيشها مشمولا بالعطف وبصحة وفرح . وما تقوله معتمد منذ كنت إلها وأعداؤك مقهورون فى بيتك الذى اقترن بالأبدية ووصل بالخلود وليت الحياة المشمولة بالحظوة تكون من نصيبك وليت لك يوم عيد أى يوم عيد حقيقى من أعياد الجنة وكذلك يمضى تمثالك يوم العيد يأيها العمدة . لأن جمالك قد خلد فى بيت « آمون » .

النساء يرجلن شعورهن بأساليب رشيقة : قد يطول بنا الحديث إذا تكلمنا بإسهاب عن كل من الطائفتين على حدتها بل سنقصر الكلام على ما يلفت النظر فى كل ؛ وأبرز ما يسترعى النظر فى زى السيدات أنهن كن يرغبن فى أن

يقوم على خدمتهن فتيات رشيقات فى ميعة الصبا وشرخ الشباب، ولا يبعد ان هاتيك الفتيات العذارى كن بنات هؤلاء السيدات؛ وعلى أية حال نلحظ أنهن كن يقمن أحيانا بمساعدة هاتيك العذارى فى أثناء الوليمة. والظاهر أن النساء جميعا فى هذا الحفل كانت شعورهن طبعية إذ كانت ترى مسبلة فى غدائر طويلة. ويلحظ أن الفتيات الخادمات كانت شعورهن مرجلة بأساليب صبيانية تشعر بالدلال والصبا والأنوثة الناعمة. فمعظم شعرهن قد بدا قصيرا اللهم إلا غدائر طويلات أسبلت على صفحات وجوههن أو على قمة الرأس. وهذه الغدائر ترى مصفوفة بعناية ودقة ورشاقة وكأن المفتن قد أراد أن يتخذ من شعورهن خمارا أسود يستر به بشرة الوجه الناعمة فتكون محجوبة عن أعين الناس مما يزيد فى الإغراء، ولكن هذا الخمار الشفيف المغرى كان يبدى ما يستر تحته جليا عند ما كانت العذراء تنثنى يمنة أو يسرة وسرعان ما تقف منتصبة ثانية حتى ترى خصل الشعر قد تجمعت كرة أخرى فسترت وجهها الصبيح. أما الغديرة التى كانت فى قمة الرأس فتسدل على ظهر الفتاة اللهم الا ضفيرة صغيرة منها كانت تسبلها الفتاة على جبينها مصفوفة بأناقة ورقة يعرفها المصريون قديمهم وحديثهم. وعلى أية حال قد يكون من الصعب علينا أن نفرق بين المرأة المسنة والعذراء الفتية عندما يكون كل الشعر مسبلا على الكتف (أنظر لوحة ٣٧) وقد أظهر المفتن براعته فى تصوير شعور الفتيات فى اللحظات التى يكن فيها جذابات خلابات لعين المصرى القديم والحديث طبعا.

ملابس الفتيات وواجباتهن: ومما يستلفت النظر فى ملابس السيدات هنا أن الفتيات صاحبات الأجسام الغضة الجذابة واللاتى كن يأخذن بمجامع القلوب فى ملابس السهرة المتهتكة هنّ اللاتى قد ارتدين الملابس التى تشعر بالوقار والتعفف فقد ظهرن بملابسهن المحبوكة التى تستر كل محاسنهن. والظاهر أن المفتن كان يشعر فى قرارة نفسه أن المحاسن المخفية عن الأنظار هى التى تكون أكثر إغراء للنفس وشحذا للخيال ومدعاة لحب الاستطلاع، غير أن المفتن مع ذلك لم يكن فى مقدوره أن يظهر حلية الفتاة كما كانت على حقيقتها.

أما الدور الذى كانت تقوم به أولئك العذارى الحسان فلم يكن فيه كبير مشقة أو عناء إذ كان كل عملهن منحصرا فى تدليك معاصم السيدات المدعوات وتطويق جيدهنّ بقلائد الأفراح، ويصببن لهنّ النبيذ أو الجعة فى كئوسهنّ ، ومرحبات بهنّ قائلات لكل : « من أجل حضرتك ! أتمنى لك أن تقضى يوما سعيدا » .

وقد برزت بين أولئك السيدات سيدة تلقفتها الأعين وتحولت إليها الأنظار وبخاصة لما كان أمامها من طعام غزير وكرسيها الوثير الذى كانت تجلس عليه وهو من نوع الأثاث الذى سنراه شائع الاستعمال فيما بعد. وهذه السيدة هى وصيفة الملكة والأم المحبوبة « بت » والدة الوزير « رخ مى رع » . ونشاهد فتاة خادمة تصب لها الجعة مرحبة بها قائلة : "لحضرتك . اقضى يوما سعيدا وأنت على الأرض لأن إلهك « آمون » الذى يعطف عليك ويحبك قد كفل لك ذلك" .

على أن هناك تفاصيل طريفة فى وليمة السيدات تستحق الذكر . منها ما نلاحظه من أن المصرى كان يحتاج إلى تصفية الجعة بمصفاة (Pl. LXI. row, 1.) مما يوحى بأنه لم يصل إلى طريقة مهذبة لعمل الشراب .

وكذلك نشاهد فى الصف الأول من هذا المنظر ثلاث نسوة يوقعن بأيديهن للضارب على العود . ويقدم لهن الشراب والعطور (Pl. LXIV. row 2) ، وتدل ظواهر الأحوال على أنهنّ كنّ يفهن بنكات لا بغناء يدل على ذلك النقش الذى كتب فوقهن وهو : «هل من الجائز أن الإلهة « ماعت » (إلهة العدل) هى التى يظهر على محياها الرغبة فى أن تسكر سكرا عميقا ؟ » .

والآلة الموسيقية التى تشاهد خلفهن على الأرض أشبه بالربابة ويحتمل أنها نوع مختلف عن العود المعتاد تمتاز بثقلها عنه . وكان يضرب بها وهى موضوعة على الأرض .

نقد المنظر : ولا نزاع فى أن هذا المنظر فى نظرنا له مساوئ كما أن له محاسن فتصوير الفتاة الخادمة ملتفتة لفتة تظهر ثلاثة أرباع جسمها (أنظر الصورة رقم ٣٧)

كانت تعـد بلا شك خطوة جريئة من جانب الرسام وهى من الأمثلة القليلة جدا التى حاول فيها المفتن المصرى أن يخرج على التقاليد القديمة فى رسم الصور الآدمية التى كانت دائما جانبية (راجع Davies. M. M. A. XXIII. (1928). Feb. Sec. II. P. 63. and Tomb. 95) .

ولا يبعد أن زملاءه قد أعجبوا به لقوة ملاحظته ومهارته فى رسم الصـور على حقيقتها . والواقع أن هـذه الصورة كانت اتجاها جديدا فى رسم الأشكال الآدمية غير أن المفتن قد ارتكب بعض الأخطاء فى هذه المحاولة إذ قد ترك القدمين دون أن يضعهما فى الوضع الذى يلائم صورته .

تولى أمنحتب الثانى عرش الملك وموقفه

من الوزير « رخ مى رع »

صعد تحتمس الثالث إلى السماء كما تقول النقوش المصرية قبل أن يتم الوزير « رخ مى رع » نقوش قبره . وسواء أكان هذا الوزير العظيم يعلم ما كانت تخفيه له الأيام من خير أو شر على يد العاهل الجديد فإن الحوادث لم تعـاجله والمصائب لم تباغته قبـل أن يقوم بالدور الذى لعبـه فى توليه الملك الجديد على عرش الملك والاحتفال به . غير أن ما نشاهده من النقوش الخاصة بذلك قد أحيطت بجو من الغموض والإبهام القاتم جدا . فالمناظر الأخيرة التى دونها « رخ مى رع » (راجع Pl. LXX, LXXI.) تصور لنا الاستقبال العاطفى الذى استقبلته به أسرته عندما عاد إلى « طيبة » بقلب ملؤه الفرح والغبطة ، إذ كان قد غادرها فى رحلة لمقابلة مليكه الجديد الذى لم يكن فى مقر الملك (طيبة) .

المتن الموضح لهـذه الرحلة : (راجع Fig. 8. & Plates LXIII, LXX, "Paintings" LXVI.) . وقد ترك لنا « رخ مى رع » نقشا عن رحلته لمقابلة مليكه يمكن به فهم الغرض منها وهو : « وصول عمدة المدينة « رخ مى رع » عائدا من « حت سخم »

(وهى بلدة « هو » الحالية) فى سفرته لمقابلة جلالته ليقدم له طاقة أزهار بوصفه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عاخبر رع » — ليته يعطى الحياة مخلدا — والآن كان هذا الوزير هو مدير الأعمال والمشرف على رجال الصناعة وصاحب ارأس اليقظ جدا فى إدارة أعمال سيده وكل أثر فى معبد «آمون» وفى محاريب آلهة الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، ومن كان يعمل لهدف ومن بنى للأجيال القادمة كما كان يرغب جلالته ، ومن كان يظهر نشاطا جعل الناس يدعون الله له ، وقد منح ذهب الرضا لما كان له من قبول حسن عند سيده (؟) الذى كان ينفذ له أوامره . وعند ما وصل إلى طيبة (التى يطلق عليها اسم « التى تواجه سيدها ») مغمورا بالعطف الملكى ، تملك الفرح قلوب خدام معبد « آمون » ، وكذلك كان كل مواطنيه يقيمون الأفراح معا ، وكانت كل البلاد يعمها السرور ؛ فأثنوا على ملك مصر ، وتعبدوا « حور » صاحب الساعد القوى ، لأنهم رأوا أن « ماعت » قد نالت مكافأة من الذهب النضار — ليت قبلتها تحمل الحياة والرخاء لابنها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عاخبرو رع » وليتها تجعله يمضى سنين وفيرة مثل « رع » مخلدا » .

ومن هذا المتن نفهم إذًا أنه عند ما قضى « تحتمس الثالث » كان ولى العهد يقيم فى الشمال فى بلدة « برونفر ؟ » (ضاحية فى منف) وأن « رخ مى رع » غادر طيبة فى الحال على متن سفينة ليقابل العاهل الجديد الذى وصلت « لرخ مى رع » الأخبار عنه أنه فى طريقه نحو الجنوب ليتسلم مقاليد الأمور هناك وليكون واثقا من أن صعيد مصر فى قبضة يده . غير أن النقوش تخبرنا أن « رخ مى رع » قابل الفرعون الجديد فى «حت سخم» (بلدة «هو» الحالية) وتقع على بعد سبعين ميلا شمالى طيبة . فمن الجائز جدا أن المقابلة فى هذه البلدة كانت مجرد صدفة . وأن الفرعون قد حط فيها رحاله مؤقتا فى طريقه إلى «طيبة» عاصمة ملكه وذلك لأنه ليس من المعقول أن يكون للفرعون قصر فى هذه البلدة وآخر فى « طيبة » ؛ أما ما قام به «رخ مى رع» من تقديم طاقة أزهار للفرعون مع أنه حادث غاية فى البساطة فقد كان فى الواقع ذا معنى عميق جدا إذ كان يدل على أن « رخ مى رع » هو الرأس المنظم للكهنة هذا فضلا عن أنه كان وزير البلاد الأعلى ، فهذه الطاقة إذن كانت تحمل فى أزهارها وأوراقها بركة الإله « آمون » للفرعون الجديد ، ولا غرابة إذن فى استقبال الفرعون « رخ مى رع » وزيره ببالغ الحفاوة ومظاهر الرقة والعطف كما تحدثنا

النقوش . فيشاهد فى الصور (راجع .Pl. LXX) « رخ مى رع » وهو يحمل القلادة التى حباه بها مليكه مطوقا بها جيده وتشمل حبات من الذهب مؤلفة من ثلاثة أسماط وكذلك نشاهده محليا رسغه ومعصمه بأساور من ذهب مما أنعم عليه الملك به فى هذه المناسبة . وقد كان فى ركاب الوزير أربعة من خدمه يحملون كل ما عساه أن يحتاجه وأربعة آخرون يحملون قربانا من الطعام والأزهار بمثابة رمز معبر عن ذلك الاستقبال الرائع الذى قابله به الشعب كما جاء فى النقوش السالفة .

استقباله بين عشيرته : (راجع .Plates LXX, LXXI) لقد كان طبعيا أن يكون أول من يستقبل الوزير « رخ مى رع » عند عودته إلى طيبة بعد مقابلة الفرعون هم عشيرته الأقربون ، والواقع أنهم قد استقبلوه استقبالا حارا وقدموا له طاقة أزهار معبرين عن فرحهم ، إذ قد علموا الآن أنه قد وطد فى وظيفته الرفيعة ولا سيما أن أقدار عشيرته وحظوظهم كانت تعلو وتنخفض على حسب ما يصيبه من نجاح أو خيبة فى منصبه ؛ وهنا نشاهد ابنه « منخبررع سنب » الكاهن الثانى للاله « آمون » يقدم لوالده طاقة من الأزهار قائلا : ''لحضرتك رائحة الأزهار البرية التى قدمت أمام رب الآلهة « آمون » إله مصر القديم'' . وفضلا عن ذلك نشاهد ستة من أولاده الذكور ويجوز أنهم من أقاربه فقط يحملون أزهارا قد نسقت فى أشكال منوّعة . وأسماؤهم قد محيت ويحتمل أن الأخير منهم هو أحد أحفاده ويدعى « قن آمون » ؛ وكان أولهم هو المتكلم عنهم إذ يقول : « تقبل أزهار البطاح اليانعة لأنه (أى الإله) يحبوك ويحبك » . أما المستقبلون له من السيدات قريباته فقد كان عددهن لا يقل عن الإحدى عشرة ابنة أو حفيدة وقد كانت كل منهنّ تقوم بدور مغنية للإله « امون » وتحمل صاجة وعقد « منات » أو صاجتين من الذهب الباهت أو الفضة وقد كن يحيين « رخ مى رع » بالكلمات التالية : « إنك تأتى فى سلام إلى المدينة الفاخرة لأنك تسلمت منح رب القصر » . أما عن « طيبة » فقد احتشدت فى بهجة وسرور لأن أهلها قد رأوا « ماعت » خلفك (أى تحميك) . وكلمة « ماعت »

هنا لها معنى عميق . وذلك أننا عند ما نعلم أن هذه الإلهة التى تمثل فيها الاستقامة والعدالة كانت غالبا خلف الفرعون فى الصور الرسمية وأن «رخ مى رع» كان يمثل الفرعون فى هـذه الأيام الحرجة فلا نستغرب إذا أن يستقبله الشعب فى « طيبة » بحفاوة تقرب من حفاوته بالملك نفسه ، وقد كان ذلك أمرا طبعيا على الرغم من أنه لم يكن من الحكمة فى شيء — إذ كان الفرعون بعـد أن تأكد من ولاء أهل الصعيد له قد ولى وجهه شطر الشمال ثانيـة من بلدة « هو » التى قابله فيها « رخ مى رع » ، وأن وزيره قد قوبل بالترحاب والابتهاج فى «طيبة » بوصفه ممثله المفوّض.

السفينة التى قام « رخ مى رع » بالرحلة فيها : (Plates LXVIII, LXIX, i)

لم يفت « رخ مى رع » أن يصوّر لنا الأبهة والعظمة والجلال التى كانت تحيط به فى سفرته الرسمية لمقابلة الفرعون الجديد و إعلانه له بأنه قـد أصبح فرعـون مصر الجديد ، فرسم لنا صورتين عظيمتين للسفينة التى ركبها فى سياحته لمقابلة الفرعون ؛ ففى الأولى تظهر السفينة وقـد أعدّت بأحسن المعـدّات مسرعة فى سـيرها نحو « طيبة » وكل نواتيها يجدفون وشرعها منشورة ، أما الصورة الثانية فتمثل أمامنا نجاح الرحلة ؛ إذ نشاهـد نفس السفينة واقفة فى مرساها وشرعها مطوية وأنزل علمها . وقد غادرها كل من كان على ظهرها لمقابلة الفرعون . و يلاحظ أن هذه السفينة قد رسمت بحجم كبير لتتناسب مع المهمة التى قامت من أجلها ، والشخصية العظيمة التى كانت على ظهرها . والظاهر أنها لم تكن سفينة حربيـة[1] كما يظهر من إعدادها ، و بخاصة أن صورة الإله « منتـو » إله الحـرب لم تكن مصـوّرة عليها

(Davies, "Tomb of Ken Amon". Pl. 1, XLII, LXVIII.)

منظر وليمة رسمية : (راجع .Plates CXI, CXII, 1,2 & "Paintings" XXV)

ليس لدينا ما يفسر لنا موضوع هـذا المنظر على وجه التحقيق و بخاصـة أنه ليس له نظائر فى قبور عظماء القوم . والآن يتساءل الإنسان هل هـذا المنظر من المناظر التى كانت تحدث عادة فى حياة الوزير عند ما كانت تحتم عليـه الأحوال

---

(١) راجع : Sâve Soderberg: The Navy of the 18th. Dynasty (Uppsala 1946).

دعوة موظفيه ليستشيرهم أو يلقى عليهم تعليمات ، أو هل كان هذا الاجتماع قد عقد بسبب موت الفرعون ؟ ومما يؤسف له أن المتن الخاص ليس صريحا (Paintings Pl ·XXV.) فاستمع إليه : " الحاكم الوراثى وعمدة المدينة والوزير «رخ مى رع» جالس فى القاعة العظمى بعد أن عاد من معبد « آمون » بالكرنك ، وقد أدى الشعائر هناك لجلالة هذا الإله واستعلم عن أحوال هذه الأرض " . ويلاحظ أن النعوت التى يوصف بها الوزير فى هذا المنظر لها علاقة تميط اللثام بعض الشىء عن الغرض من هذا الاجتماع ، وبخاصة وصفه بأنه هو الذى يسيطر على المرافق العامة ويضع المنهاج للقضاة . على أنه لدينا متن آخر على يمين هذا المنظر (راجع .Pl. CXII, 1) يصف لنا المنظر بعض الشىء وهو : " موظفو المجلس والمشرفون ... وافدين ومقدمين أنفسهم أمام الوزير ليتناولوا وجبة فى حضرة ... ... « رخ مى رع » عند ما حضر من معبد « آمون » بالكرنك بعد أن أدى الشعائر هناك لروح الفرعون الراحل وعين ... ووضع الأنظمة الخاصة بواجباتهم اليومية (؟) ... ... " .

والواقع أننا نجد صدى لما جاء فى المتن الأخير ، وبخاصة (وضع الأنظمة للواجبات اليومية) ، إذ نشاهد فى المنظر طائفة من الكتبة كل منهم يواجه زميله فالذين على اليسار (راجع .Pl, CXII. 1) كتبة فى خدمة الوزير . أما من على اليمين فهم كتبة المجلس الذين يدونون الأوامر الجديدة . وكذلك كان يوجد بينهم حاجب لمراعاة القواعد المتبعة فى مثل هذا الاجتماع . ومما يؤسف له أن المتن الذى كان لا بد أن يلقى ضوءا على هذا الاجتماع لم يبق منه إلا نتف صغيرة لا تشفى غلة ، غير أن ما تبقى مع ذلك يشعر بأن قاعة الوزير كانت مزدحمة ، ويكشف عما أظهره من كرم وسخاء لضيفانه .

والمنظر كما هو يحتوى على بحوة يحتمل أنه كان فيها ضيفان يجلسون . ومما يلفت النظر فى هذه الصورة أن الوزير كان يتناول طعامه محجوبا عن الضيفان بستار متحرك (راجع .Pl. CXI) كأنه ملك . وقد يعزز هذا الرأى ما نراه من أشخاص يقبلون الأرض بين يديه . والظاهر أن الخدم كانوا يحضرون الطعام أمام الوزير وهو فى خلوته ثم يخرجون به ليقدم للضيفان . ولا نزاع فى أن السجف التى أقيمت

بين الوزير وضيفانه كانت تحجبه عنهم تمـاما ، ولا أدل على ذلك من أننا نشاهد بعضهم وقد جلس موليا ظهره شطر الوزير . هذا ويفهم من المنظر أن الخدم كانوا فى حركة مستمرّة يقدّمون الطعام والشراب إلى الضيفان بكل نشاط وهمة .

الصمت المطلق عند ذكر موت الفرعون كان عاديا عند المصريين :

وليس لدينا أية إشارة فى هـذا المنظر تدل على علاقته بموت فرعون واعتـلاء آخر مكانه ، اللهم إلا إذا اعتبرنا إقامة الشعائر الدينية التى أدّاها الوزير لتمثال الفرعـون المتوفى فى المعبد قبل حضور هذا الاجتماع كان السبب المباشر لعقد هـذا المجلس من الموظفين . إذ ليس من المعقول أن موت فرعون عظيم مثل «تحتمس الثالث» الذى حكم البلاد عهدا طويلا يمرّ دون أن يحزن له الشعب أو يظهروا شـعورهم نحوه فى مظاهرات قومية أو إقامة حفل دينى . غير أنه قد جرت العادة فى معظم الأحيان أن يصمت الشعب صمتا تاما عند وفاة الفرعون وربما يعزى ذلك إلى أن إعلان موت الفرعون يعدّ موضوع خزى وخجل ، إذ أن الفرعون كان يعتبر إلهـا والإله لا يموت بل يبقى حيا مخلدا ، ولذلك لا يعبر عنه أنه قضى بل يقال عنـه أن حور (أى الملك) قـد طار إلى السماء وأن حور آخر من ظهره قـد حل محله على الأرض . وكان الملك الجديد يعلن ألقابه وحسب ، وعلى ذلك كان حور لا يزال يحكم البـلاد ولكنه سمى « عاخبرورع » بدلا من « منخبررع » فالملك إذن فى الواقع لم يمت ، وفضلا عن ذلك بقى « رخ مى رع » وزيرا .

منظر المتظلمين المساكين (راجع Pl. LXXII)

لسنا نعرف السبب الأكيد الذى حدا بالوزير «رخ مى رع» على أن يضم هذا المنظر إلى المناظر التى تركها لنـا على جدران قبره اللهم إلا إذا كان الغرض منـه رغبته فى أن ينال شهرة الحاكم الشفيق الذى لا يحيد عن الحق كما أظهر نفسه بهذا المنظر فى مناسبات سابقة (راجع .Pls. XXIV, XXV) ؛ والمتن المفسر لهذا المنظر

الغريب هو ما يأتى : " إن الوزير « رخ مى رع » يخـرج إلى عالم الدنيا عنـد مطلع الفجر ليؤدّى شعائره اليوميـة وليستمع إلى تظلمات الأهلين وشكاوى الوجه القبلى والوجه البحرى دون أن يصدّ صغيرا أو كبيرا ، ومغيثا البـائس ومخففا عبء من أثقل كاهله ومجازيا مقترف الشر " .

على أن ما يتركه هـذا المتن فى نفس القارئ من أثر حسن فى إقامة العـدالة لا يتفق تماما مع ما نشاهد من حوادث تقع فى الصورة التى أمامنا، إذ نشاهد جما غفيرا من الكتبة والحجاب لا يتناسب مع المقام، هذا فضلا عن المعاملة السيئة التى كان يعامل بهـا المذنبون والمحاولات الكثيرة التى كان يحاولهـا المتظلمون لإغراء صغار الموظفين بالرشوة لقضاء حاجاتهم . على أن كل ذلك لا يعنى أنه لا يتفق مع ما يجب أن تظهره الحكومة من غيرة مشكورة ونجاح حقيق فى القيـام بالواجب الثقيل الملقى على عاتق حكومة منظمة عادلة ؛ بل الواقع أن الصورة تدل على أمانة ساذجة فى التعبير ، ولذلك يمكن أن تفسر على وجه حسن بالنسبة للحكومة . هـذا فضلا عمـا فيها من صور تعـبر عن الواقع بشكل رائع كالمرأة التى تشاهد وقد لُفّ ذراعها بالأربطة وقد رفعت يدها متظلمة ممن اعتدى عليها بكسرها . وبهذه المناسبة نذكر هنا أن أحد الباحثين قـد جاء فى تقرير وضعه : " إنه قد لاحظ فى القبور المصرية نسبة كبيرة بين النساء اللائى قد أصيبت معاصمهنّ بأذى أو كسر .

ومما يلفت النظر هنا كذلك أن ذهاب الوزير لأداء فروضه الدينية قبل أن يبدأ القيام بعمله الرسمى يجعلنا نعتقد أن الصلاة فى المعابد لم تكن مجرد تأدية فرض وحسب، بل كانت رادعا خلقيا يظهر أثره عند الفصل فى المظالم والشكاوى بالعدل . ولا نزاع فى أن وزيرنا المؤمن بربه قـد ذهب صباحا ليؤدّى فريضة الصلاة داعيا إلى الله أن يلهمه الصواب فى المسائل التى سيجلس للفصل فيها بعد مغادرته المعبد . وهكذا كان ينظر المصرى إلى الصلاة بأنها وسيلة تلهمه الصواب فى الحياة الدنيا لينال بها الجزاء الأوفى فى الآخرة التى هى خير وأبق عند الله .

ولا نزاع فى أن هذا المنظر (على الرغم من كل ما فيه مما يدل على حدوثه فى عالم الدنيا) كان خاصا بالحيـاة الآخرة ، ولا غرابة فى ذلك فإن المتوفى كان يصرف

يومه فى عالم الآخرة كما كان يصرفه فى عالم الحيـاة الدنيا ، وقد كان يسجل أعماله اليومية على جدران المقبرة كما نسجلها الآن فى يومياتنا عند المساء . وعلى ذلك فليس من الأهمية بمكان أن نعرف إذا كانت هذه الأحداث قد وقعت بعد الموت أو قبله ، أو أنها وضعت هنا على حسب ما جاء عن الحياة الدنيا أوعن الحياة الآخرة ،وذلك أن الحياة الآخرة والحياة الدنيا تؤلف وحدة فى نظر المصرى . وعلى ذلك فإن عبارة « كما كان على الأرض » تدل على أن المتوفى كان لا يزال مستمرا يعمل على حسب ما كان يعمل فى الحيـاة الدنيا فقط . ولذلك نرى هنـا كما جاء فى المتن أن الوزير « رخ مى رع » كان ذاهبا إلى عمله اليومى ولكن المتن يقول فى الحـالة التى نحن بصددها إنه كان آتيا من القبر ليقوم بأعبائه . والغريب هنا أنه كان لا يؤديها فى قاعته الرسميـة وأمامه المتظلمون بل كان يسير فى الطرقات ومعه ضباطه ويقول الأثرى « ديفز » : ” إن هذا التواضع وهـذا الصمت المنذر بالشر الذى يحدثنا عنه الفراغ الذى نشاهده على الجدار وهو الذى يلى هذا المنظر، قد يوحى إلينا أن هذا المنظر لم يدونه الوزير الذى كان يشعر بدنو سقوطه من عليائه إلا لينتزع عطف الناس ورضاهم عن أعماله . وعلى أية حال فلا يهمنا أن نعلم إذا كان « رخ مى رع » قبل أن تحل به الكارثة كان لديه من الوقت ما يسمح بتسجيل هذا الاجتماع الرمزى معبرا فيه عن أن الموت لن يكون نهـاية لذوده المتواصل عن شعبه ، أو أن بعض أهله وأصدقائه قد قاموا له بهذا العمل النبيل . ومع كل ذلك قد يكون الأمر على خلاف ما نظن ، وأن المنظر قد وضع هنا ليملأ مكانا خاليا على جدران القبر ، وعلى أية حال فإنه كان عملا صالحا لم يسبق له مثيل “ .

الشعائر الدينية

المناظر الجنازية : راجع ; "Paintings" XVIII, XX - XXIV. & Plates V, 1 (LXXV - XCIV. يمتاز قبر الوزير « رخ مى رع » بتمثيل الشعائر الدينية فيه بصورة مفصلة وبإتقان عظيم وبخاصة شعائر فتح الفم التى قد فصل القول فيها تفصيلا لم نعهده من قبل فى أية مقبرة من مقابر علية القوم . والواقع أن لدينا عدة مناظر يحتمل أن الكثير منها كان يمثل عند الدفن على أنه وقع حوادث وعت .

الآلهة التى تقام لهم الشعائر : (Fig. 8.) يدل ما لدينا من نقوش هنا على أن الآلهة الذين كانت تقام لهم الشعائر فى مقبرة « رخ مى رع » أربعة وهم : (١) إله الصقر صاحب الجبانة (راجع LXXVI.) (٢) الإله « أوزير » إله العالم السفلى (راجع LXXVIII.) (٣) الإله «أنو بيس» إله الدفن (راجع Pl. LXXXVI.) (٤) إلهة الجبانة الغربية (راجع Fig. 9.) . ومما يلاحظ هنا أن الشعائر التى خصصت لكل من هؤلاء الآلهة لا تدل على أنها تنطبق عليه تماما .

الروايات المختلفة : ولا نزاع فى أن هذه الشعائر نجدها تقام فى معظم مقابر « طيبة » وقد استمرت تدوّن فيها حتى قرب نهاية عهد الفرعون « أمنحتب الثالث » ، غير أن هذه المناظر لم توجد قط تامة ومحفوظة كما وجدت فى مقبرة « رخ مى رع » ، وقد يكون من المتعذر علينا أن نتكلم هنا بشىء من الإسهاب عن هذه الشعائر إذ أن ذلك يحتاج للرجوع إلى الماضى البعيد وتتبع خطواته حتى العصر الذى نحن بصدده .

وقد شرح هذه الاحتفالات الأثرى « ديفز » فى كتابه عن « رخ مى رع » فليرجع اليها من يبغى الازدياد .

المشتركون فى إقامة الشعائر : ومما يلفت النظر هنا أن موكبا من الخدم والحشم الذكور يبلغ عددهم نحو ستة عشر كلهم من الموظفين كانوا يسيرون فى ركاب المتوفى مقدّمين له الخدمات كلما احتاج الأمر ، ولا يبعد أنهم كانوا قائمين على خدمته فى أثناء حياته وقد اتخذوا الآن صبغة جنازية ، هذا الى أنه كان فى استطاعة المتوفى أن يطلب مساعدة سكان المدن المقدّسة اذا اقتضت الضرورة . وتتوقف معظم الظواهر الغريبة التى تصادف المتوفى بعد الموت على العقائد المختلفة التى كان يعتقدها الفرد عن مصيره فى عالم الآخرة ، و بخاصة الأقطار العلوية والسفلية التى كان لا بدّ له أن يخترقها وما فيها من مخلوقات شريرة كان لا بدّ له من التغلب عليها قبل أن يستقر به المقام فى جنة الخلد . وقد كان مصير المتوفى يشبه مصير الفراعنة أنفسهم وهم الذين أصبحوا على حسب التقاليد آلهة .

وتاريخ الدفن الذى نشاهده فى هذه المناظر يرجع الى عهود قديمة جدا عند ما كان الإنسان يقدّم أخاه الإنسان ضحية على مذبح الآلهة . يضاف الى ذلك أن نقل المتوفى عبر النهر أو على متنه ، وكذلك جعل مكان المحيطات والبحيرات والأنهار

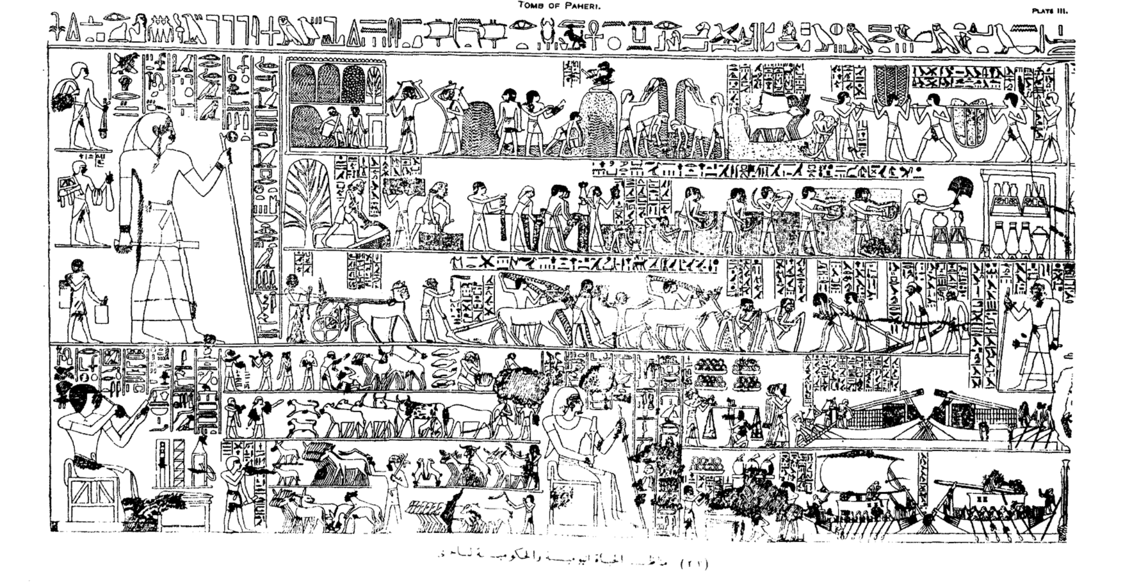
ذوات الأسماء المعروفة فى السماء أو فى العالم السفلى كل ذلك يفسر لنا السبب الذى من أجله يقع كثير من الحوادث الخاصة بالمتوفى على الماء أو فى السفن كما يفسر لنا التعبير عن الوفاة برسو السفينة فى الميناء ، وغير ذلك من الرموز التى تحدثنا عن بعض الأمور البارزة فى عالم الآخرة .

الشعائر الجنازية الخاصة بغذاء المتوفى : (راجع - Plates V, 2; XCV· CX. & "Paintings" XXV) على الجدار الشمالى من الحجرة الكبرى لمقبرة « رخ مى رع » نشاهده جالسا يتناول وجباته الأربعة ، ويلاحظ أن المنظر قد كرر أربع مرات فى أربعة صفوف بعضها فوق بعض والأخير منها قد أخرج بإتقان وعناية . وقد فسر كل منها بمتن . وقد ضم الى متون الصفين المتوسطين من صفوف الوجبة المقدسة هذه ، ثلاثة صفوف تمثل حوادث تحدثنا عن الشعائر المختلفة التى بها ينتعش التمثال بعد موت صاحبه أو المومية بعد مفارقة الروح لها ، وبذلك يكون فى قدرة التمثال أو المومية أن يعود للحياة ويتمتع بحياة أرغد حالا وأكثر تنوعا عما كان فى الحياة الدنيا .

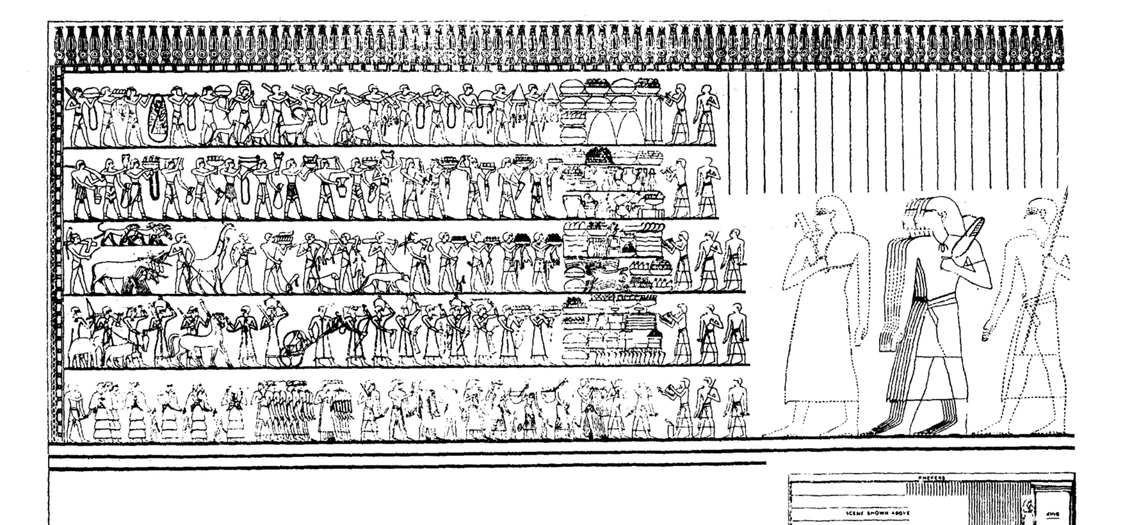
فنشاهد « بت » والدة « رخ مى رع » تظهر مرتين معه عند تناول طعامه . أما الذين كانوا يقومون بأداء هذه الشعائر للتوفى فهم أولاده « أمنحتب » و « سنوسرت » و « منخبر رع سنب » ويحتمل كذلك « مرى » .

التعاويذ المفسرة لهذا المنظر : (راجع Pl. CIV. CVIII.) أما التعاويذ التى كانت تتبع شعيرة فهى تعويذة لإحضار إنسان منعم متوفى وجعله يشبع بالخبز ، وتعويذة لتطهير موائد القرابين ولأجل البخور ، وتعويذة للدخول لنقل الطعام . (Pl. XCVI, CIV.)

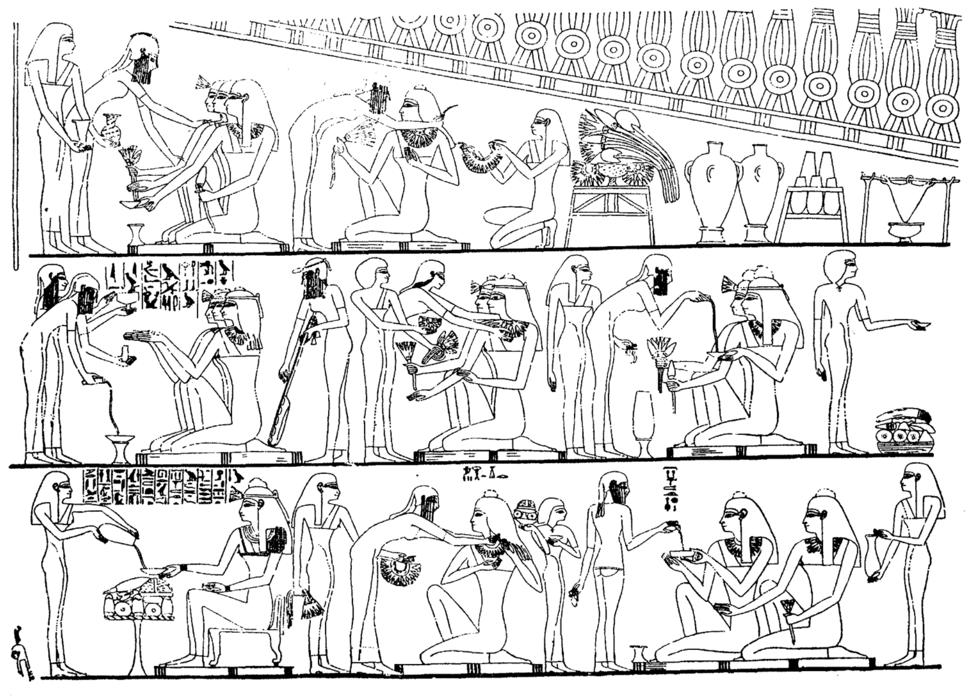
وهاك المتن الذى كان يتلوه الكاهن على أسفل صف من الصفوف السابق ذكرها (راجع Pl. CVIII.) .



(٢١) مناظر الحياة اليومية والحكومية لباحرى



(٣٥) منظر استقبال «رخ مي رع» وفود الأقطار الأجنبية حاملين جزية بلادهم للفرعون



(٣٧) صـــورة وليمـــة النساء

إنك تعيش هناك إلها مجهزا بالخبز والجعة وكذلك بالماء البارد . وقد منحت أفخاذا من اللحم تقدّم لك وأجزاء منتخبة تحضر إليك ، وكذلك فإن أحسن ما على مائدة القربان يكون ... لأجل «أوزير» عمدة البلد والوزير «رخ مى رع» . وبقدر ما عليه الملك من الطهر فلتصر كل القرابين التى تعمل لروحك طاهرة وبقدر ما يرضى إله بقربانه فليجعل « أوزير » راضيا بقربانه . مرحبا ياخادم «أوزير» بوصفك روحا بين الأرواح وقــوة فى قبره الذى منحه إياه التـاسوع الأعظم الذين يأوون فى البيت العظيم ملك أمير «هليوبوليس» . اعمد الى وابق بجوارى ولا تبتعدن عنى ، وإن قبرك هو مأواك ، وانى أطمئنك على نفسك . تأمل ، لقد أعطيتك عين (حور) وقد منحتك إياها . وليت عين حور التى معك تكون نافعــة لك وانك تخرج بها فى صحبة «ازيس» ، وتظهر فى الفجر فى سفينة الصباح ، وتكون صاحب قوة على السياحة وتخطو قدماك . وإنك ولدت لحور ووضعت «لست» (١) . والماء نق لك فى مضايق النهر ، وانك تتسلم نصيبا فى مدينة « هليوبوليس » مع والدك أوزير ومع الإله « أتوم » ، وانك سترفعــه وتضمه بين ذراعيــك ... يا « أوزير » العمدة والوزير محبوب « أنوبيس » « رخ مى رع » .

تاريخ شعيرة فتح الفم : لا نزاع فى أن بعض الاحتفالات الدينيـة والتعاويذ السحرية يرجع عهد استعمالها الى عهود غاية فى القدم ، غير أنه ليس لدينا براهين على أنها كانت تنظم وترتب فى صورة تمثيلية كما نشاهد فى مناظر تمثيلية فتح الفم المرســومة على جدران مقــبرة « رخ مى رع » ، اللهم إلا إذا استثنينا ما جاء فى «متون الأهرام» عن هذه الشعيرة إذ أنها فى الواقع كانت تتلى فى صورة تدل على أنها تمثل (Sethe Pyr. Text. 9 b,-40) ، غير أن أوّل محاولة جديدة لجمع كل أجزاء هذه الشعيرة فى سلسلة واحدة متصلة الحلقات منطقية الترتيب هى التى نقرؤها فى المتون والصور التى تركها لنا « رخ مى رع » على جدران مقبرته ونستطيع أن نصل إلى تاريخ إقامة هذه الشعيرة من الفقرات التى نقرؤها فى المتن مشيرة إلى العهود القديمة التى كان يكتفى فيها بدفن الهياكل العظمية ، أى عند ما كان أهل المتوفى يرجون أن تضم أعضاؤه بعضها إلى بعض وألا يفصل الرأس من الجسم كما جاء ذكر ذلك مرارا وتكرارا فى متون الأهرام . والواقع أن إحياء الجسم أو المومية كما يقال عنها يرجع أصله إلى قصة « أوزير » إله الموتى وإحيائه بعد أن مزق « ست » أخوه أشلاءه ثم جمعتها أخته « إزيس » ثانية ، ولا تختلف الرواية هنا عن الرواية القديمة

(١) راجع تفسير هذه العبارة فى كتاب الأدب المصرى القديم أدب الفراعنة الجزء الأوّل ص ١٣٦

إلا فى أن « حــور » الابن الأكبر لأوزير هــو الذى يلعب دور إحياء المتــوفى لا « إزيس » ، وذلك لأنه عند ما كانت ألاعيب « ست » الشيطانية التى كان يكيد بها لأخيه « أوزير » سائرة فى طريقها نجد أن « حور بن أوزير » قد ضحى بإحدى عينيه لنجاة والده ومن ثم أصبحت تلك العين التى ضحيت تدعى العين المقدّسة كما أصبحت رمزا للتضحية ، كما يعتبر الصليب الآن عند المسيحيين رمزا للفداء مع الفارق أن عين « حور » كانت تعتبر رمزا لكل شيء مادى يفيد المتوفى مهما كان نوعه .

تمثيلية البعث : (راجع .Plates V, 2; CV - CVII) وتنقسم شــعيرة فتح الفم فى ظاهرها قسمين ، وإن كانت فى الحقيقة شعيرة واحدة . وتبتدئ بتمثيلية صغيرة لخلاص المتوفى ، فكان ينحت تمثال من الحجر أو من الخشب على هيئة المتوفى وهذا التمثال كان لا يراه أهل الراحل الذين أخذ منهم الحزن كل مأخذ لأنه فاقــد الحياة ولا حراك به . ولكن الكهنة كانوا أوّلا يؤدّون له شعائر مختلفة خاصة بتطهيره ، ثم بعد ذلك يفهمون ابن صاحب التمثال الذى تغلب عليه اليأس والقنوط أن الحياة ستعود إلى والده فى هيئة تمثاله ، وعلى ذلك يتعرف الابن الحزين على والده فى هذا التمثال ثم يجعل نفسه هو الحامى له . و بعد ذلك يحضر رمز التضحية (وهى العين المقدّســة) لأجل أن يضمن القضاء على عدوّه و بذلك يخلص والده من كل الأمراض التى كانت قد نزلت به .

صورة تمثيلية لإحياء تمثال المتوفى : دلت كل الأحــوال عنــد فحص الديانة المصرية القديمة وبخاصة ديانة الشعب على أن القوم كانوا لا يرغبون فى الاعتقاد فى الأشياء المعنوية بل كانوا يتمسكون بأهداب المحسات التى تراها العين وتلمسها اليد وهذا هو السر فى تمثيل المصرى معبوداته فى صور مادية سواء أكانت حيوانات حية أو تماثيل جامدة . ولهــذا نجد فى موضوعنا هنا أن القوم كانوا يرغبون فى وجوب عودة التمثال إلى أحواله أو بعبارة أخرى أحوال من يمثله عندما كان فى الحياة الدنيا فترجع إليه كل حواسه ، وهذا هو ما نشاهده هنا من الحوادث

التى تؤدّى إلى هذه النتيجة، وتحصر فى استعمال آلات سحرية وتلاوة تعاويذ تأتى بنتائج مدهشة . وقد أرضى الكهنة عامة الشعب بذلك إذ جمعوا بين عمليات آلية يمكن فهمها و بين أخرى سحرية لا يمكن تصوّر كنهها . وكانت هذه العمليات يتلو بعضها بعضا دون أن يكون لها نتيجة إيجابية .

حديقة لمسرات المتوفى : (Pls. CIX, CX, CXII, 3, 4.) ومن المناظر السارّة التى خلفها لنا « رخ مى رخ » على جدران قبره حديقة غناء، غير أنه مما يؤسف له جدّ الأسف أن ما يحيط بها من مناظر لم يبق منها إلا القليل جدا وكذلك أصبح من العسير علينا فهم الغرض منه تماما، ولكن لحسن الحظ حفظت لنا بعض النقوش التى كانت على المنظر الذى محى معظمه (Pl. CXIII, 3.) . والظاهر أن المنظر كان يمثل « رخ مى رع » « ومريت » زوجه جالسين إلى اليسار وأمامهما صفان من النقوش، وكذلك نجد صفين من الضيفان الذكور أسفل هذا المنظر والحديقة على اليمين . أما الصف الأعلى فكان يحتوى خدما محضرين طعاما لأكلة خفيفة ومقدارا عظيما من الأزهار . والمتن المفسر لذلك هو « خذ أزهار البركة العطرة التى أحضرتها لك من خيرة النباتات التى فى هذه الحدائق ، تأمل ! إن الخدم يحملون منتجات وأغصانا وسيقانا ذكية الرائحة من كل نوع ، لأجل أن تتمتع بملاذها وتغمر بقربانها ، ولأجل أن يشاطر قلبك فى نباتها النضر، ولأجل أن تعمل فيها ما تصبو إليه روحك أبد الآبدين » .

ولا نزاع فى أن ذكر الأزهار وتقديمها هنا لم يكن عبثا لأن هذه الوجبة الخفيفة لم تكن تكرارا للوجبة اليومية التى كان يتناولها المتوفى على مائدته بل الواقع أنها كانت لاحتفال خاص يحتمل أنه الاحتفال المعروف (عيد الوادى الجميل) ؛ وهو العيد الذى كان يحمل فيه تمثال « رخ مى رع » من مقبرته ثم يوضع فى قارب يجر حول البركة التى فى وسط الحديقة (راجع .Pl. CX, "Paintings", XX) ؛ و بذلك كان فى استطاعته أن يشرف كرة أخرى على كل شىء و يتمتع بالنسيم العليل والروائح الذكية التى كانت تضوع من أزهار الحديقة، و يجلس فى ظلال أشجارها الوارفة .

كل هذا كان يجرى فى أثناء شعيرة «فتح الفم» غير أن هذا القناع الشفيف من الفرح ، الظاهر يتلاشى ويذهب جفاء عند ما يرى الإنسان النساء يلطمن الخدود ويظهرن جزعهنّ على الراحل الكريم مظهرات أن الموت مع كل ذلك قد نال النصر فى النهاية على الرغم من الاحتفالات العدّة التى كانت تقام لفتح الفم ،وهذا المنظر الذى كانت تظهر فيه النساء جزعهنّ وحزنهنّ لم يكن من المستطاع حذفه من تلك الصورة . وعلى الرغم من أن المثال أو بعبارة أخرى رجال الدين قد حاولوا أن يمثلوه فى أصغر حيز ممكن بالنسبة لمنظر شعيرة فتح الفم ، ولكنه مع ذلك كان يحتوى على كل شىء فنشاهد فيه إلهتى الحزن « إيزيس ، ونفتيس » وكذلك النسوة اللائى كنّ يضعن بعض القربان أو يروين القبر ، يضاف إلى ذلك أولئك النسوة ذوات الشعور المرسلة وزوجة الراحل التى كانت تحثو التراب على رأسها .

وبهذا سنحت الفرصة لمفتن مقبرة « رخ مى رع » أن يصوّر له حديقة خلابة نموذجية . على أننا لا نعلم إذا كانت هى حديقة قصر « رخ مى رع » أو هى التى كان مفروضا على وجه عام أن تكون من لوازم القبر المثالى ، فإذا كانت حديقة القصر فلا بدّ إذن أن يكون المبنى الذى على يسارها هو القصر . أما إذا كانت حديقة المقبرة فإن هذا المبنى يكون جوسقا أو مزارا خاصا للعبادة .

وإلى هنا نستودع هذا الوزير العظيم يتمتع براحة أبدية هو جدير بها بعد أن ترسم خطاه حقد أعدائه إلى نهاية المطاف ، فى حين كان أصدقاؤه يخدمونه بولاء وإخلاص فى إقامة شعائره التى أعدّ من أجلها هذا المثوى الفاخر .

خاتمة : لا ريب فى أن من يلقى نظرة فاحصة على الاستعراض البارع الذى خلده لنا « رخ مى رع » فى المناظر والنقوش التى خلفها على جدران قبره الضخم عن الحياة المصرية يجد أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فى كل نواحى الحياة ومرافقها خاصة كانت أو عامة وداخلية كانت أم خارجية إلا أحصاها وأوضحها إيضاحا كاملا شاملا . ولعمر الحق كانت هذه الصور وما تنطوى عليه من تفاصيل دقيقة عن حالة

الشعب الاجتماعية والخلقية والسياسية والدينية هى نسيج وحدها فى كل ما وصل إلينا من صور التاريخ المصرى فى أى عصر من عصوره القديمة والحديثة من حيث الكمال والدقة والتفصيل . هذا فضلا عن أنها تصوّر لنا الحياة المصرية فى أزهر عصورها وأمجدها ، وهذه الصورة التى تصف الحياة الدنيا قد شفعت بأخرى تصف لنا الشعائر المصرية القديمة الدينية وما كانت تصبو إليه نفس المصرى فى الوصول إلى دار النعيم المقيم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين ، من أجل ذلك نجد أن « رخ مى رع » جمع فى استعراضه الرائع نصيبه من الدنيا بما فيه من سعادة وشقاء وما كان ينتظره فى عالم الآخرة من ثواب وعقاب ، وكل على حسب ما أتى من الأعمال إن خيرا فخير و إن شرا فشرّ ، وكل ميسر لما خلق له . ولا نزاع فى أن سيرة « رخ مى رع » لا تترك مجالا للشك فى أنه كان ميسرا للخير والمجد ، وقد سار فى طريقه حتى تسنم قمته ونهج سبيل العدالة حتى أصبحت علما عليه . ولا غرابة فى ذلك فقد كان وزيرا لأعظم فراعنة مصر قدرة وذكاء وطول باع فى الحروب المظفرة . ولن نكون حائدين عن جادة الحق والانصاف إذا قررنا هنا أن « رخ مى رع » كان العامل الأكبر فى تمهيد السبل للفرعون « تحتمس الثالث » للظفر بأعدائه فى داخل البلاد وخارجها ، فقد هيأ له كل ما تحتاج إليه حملاته المظفرة وفتوحه الشاسعة فى آسيا وأفريقيا . فقد كان « تحتمس الثالث » قائد مصر الفذ يسير كل عام على رأس جيوشه للفتح والغزو وهو مطمئن البال هادئ النفس من ناحية داخلية بلاده التى كان يدير شئونها وينظم أحوالها رأس وزيره « رخ مى رع » العظيم ، فكان الفرعون يفتح الأمصار ويجبى الضرائب ويجمع الغنائم ثم يعود إلى مصر سنويا فى حين كان وزيره فى تلك الفترة يقوم بالتعمير والإنشاء والإصلاح فى كل مرافق الحياة المصرية ويعد للفرعون ما عساه أن يحتاج إليه من عدّة وعتاد للغزوة المقبلة ، ثم كان فى الوقت نفسه يسهر على راحة رعية مليكه ناشرا لواء العدل فى أنحاء البلاد ومتفقدا تنفيذه بنفسه ومنميا ثروة

البلاد الطبعية بكل ما أوتى من قوة عزيمة وأصالة رأى . ولا غرابة إذن فى أن ينعته الفرعون بأنه مثيله وصنوه فى إدارة البلاد ولا فرق بينهما إلا أن الفرعون كان ينسب إلى نسل الإله الأعظم « رع » ، أما « رخ مى رع » فكان من نسل أسرة عريقة فى المجد والشرف والجاه والمحتد الأثيل، غير أنه على الرغم من هذا الفارق الأسمى كانت تجمعهما رابطة أقوى وأعظم أثرا فى نفس الفرعون، فقد كان « رخ مى رع » أخاه من الرضاعة وتلك صلة ما بعدها صلة ورابطة وثيقة مجدتها الأديان الحديثة وجعلت أخوتها كاملة ؛ فهذان البطلان اللذان أرضعتهما « بت » (والدة رخ مى رع) بلبانها قد أتيا بالعجب العجاب معا فى خلق مصر جديدة سيطرت على العالم أكثر من أربعة قرون .

ولقد وفينا تحتمس حقه فى غير هذا المكان . أما «رخ مى رع» فإننا إذا نظرنا نظرة إجمالية إلى مواهبه وحسن بلائه فى إدارة سكان البلاد كما جاء فى النقوش التى خلفها لنا على جدران قبره الضخم لحكمنا بأنه قد أوتى من العلم والنشاط وطول الباع فى تصريف شئون الدولة ما لم يستطع أن يأتيه أحد من السابقين أو اللاحقين من أبناء جلدته ، والواقع أنه كان مشرفا على كل نواحى الإدارة فكانت فى يده أعظم سلطة قضائية . وكان هو المحرك لكل أصحاب الحرف والصناعات ، وكان هو روح التجارة الداخلية والخارجية وواضع نظم الضرائب وجبايتها والرى وحفر الترع وشئون الزراعة ؛ والمشرف على المبانى والمدبر لأحوال الكهنة . وخلاصة القول أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من مرافق الحياة إلا أشرف عليها بنفسه من قريب أو بعيد، بل بالغ فى ذلك إذ كان أحيانا يوجه الصناع وأصحاب الحرف فى مصانعهم حتى فى أحقر الحرف وأدقها مما يدل على علم غزير وتجارب واسعة النطاق مما جعله فى أعين الشعب الوزير المثالى فى كل عصور التاريخ كما كان أخوه « تحتمس الثالث» الملك المنقطع القرين فى التاريخ المصرى القديم .

أمنحتب الثانى



وفاة تحتمس الثالث وتولية أمنحتب الثانى : لقد وضع أمامنا القائد « أمنمحاب » صورة صادقة عن وفاة « تحتمس الثالث » وتولى ابنه « أمنحتب » الثانى العرش مكانه عند ما يقول «لقد أتم الفرعون حياته الحافلة بالسنين بشجاعة وسلطان ونصر من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والخمسين ، فى اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثانى وهو حكم الملك « منخبر ورع » ثم صعد إلى السماء واتحد مع الشمس : واندمجت الأعضاء المقدسة مع بارئها ، وعندما انفلق الصبح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء تربع « أمنحتب » الثانى على عرش والده وتلقب بالألقاب الملكية » .



(٣٨) مومية أمنحتب الثانى

وعلى إثر وفاة « تحتمس الثالث » ركب الوزير « رخ مى رع » متن سفينة عظيمة ومخر بها عباب النيل حيث كان ولى العهد فى مكان يدعى « حت سخم » (ومكانها بلدة « هو » الحالية بمركز نجع حمادى) وهنأه بالملك .

نشأته : كان «أمنحتب» الثانى من الفراعنة القلائل العريقين فى النسب، فقد ولد من أبوين يجرى فى عروقهم الدم الملكى ، فوالده « تحتمس الثالث » ابن الفرعون « تحتمس » الثانى ، وأمه هى الملكة « مريت رع حتشبسوت » ابنة الملكة « حتشبسوت » بنت « تحتمس الأول » كما فصلنا القول فى ذلك . ويدل ما لدينا من الآثار على أنه ولد فى « منف » عاصمة الملك الثانية ، إذ منذ حكم والده أصبحت البلاد مقسمة قسمين كبيرين يدير كل واحد منهما وزير خاص الأول مقره فى « طيبة » ويسيطر على الإقليم الذى يمتد من « أسوان » حتى « أسيوط » ، والثانى يسيطر على الجزء الواقع شمالى « أسيوط » حتى البحر الأبيض المتوسط ، ولدينا جعران قد نقش تذكار لولادته فى « منف » (راجع A. S. Vol. XXXIX. P. 116.) .

اللوحة التذكارية التى أقامها بجوار «بوالهول» : وقد كشف حديثا عن لوحة فى الجهة الشمالية الشرقية من المكان الذى يربض فيه تمثال « بولهول » فى عام ١٩٣٦ ، وقد أقامها « أمنحتب » الثانى فى هذه الجهة تذكارا لزيارته لهذا الإله العظيم الذى كان كعبة ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومن بعدهم يحجون إليه عند توليتهم عرش الملك كما سنرى بعد . وقد بنى « أمنحتب » معبدا صغيرا لهذه اللوحة وغيرها ، وقد كشف عن بقاياه أيضا ، واللوحة تعدّ من أعظم اللوحات التى كشف عنها وأكبرها حجما حتى الآن ، إذ يبلغ ارتفاعها نحو أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمترا ، وعرضها نحو مترين وثلاثة وخمسين سنتيمترا . وتنقسم هذه اللوحة قسمين . القسم الأعلى مثل فيه الفرعون « أمنحتب » يتعبد لصورة « بوالهول » والقسم الأسفل يحتوى نص اللوحة الذى يعتبر من أهم النقوش

التى كشف عنها حديثا ، إذ يحدثنا عن صفحة مجيدة فى تاريخ حياة هـذا الفرعون وتنشئته على يد والده كما يقـدم لنا معلومات هامة عن ممارسـته الرياضة ، وتربيته الخيل وأساليبها وعبادة « بو الهول » فى تلك الفترة من تاريخ البلاد .

معلوماتنا عن « أمنحتب الثانى » قبل كشف هذه اللوحة فى صفر سنه

غرامه بالرياضة البدنية : حقا يدل ما وصل إلينا من الرسـوم والنقوش على أن « أمنحتب » الثانى كان رجل رياضـة عظيما قوى العضلات . كما تدل موميته على أنه كان طويل القامة قوى الساعد .

والواقع أن « أمنحتب » ، كان مولعا بالرماية بل كانت شغله الشاغل طوال حياته منذ نعومة أظفاره ، إذ فى « طيبة » الغربية نجد، فى القبر رقم ١٠٩ وهو قبر « مين » عمدة مدينة « طينة » وهو الذى حارب فى شبابه مع « تحتمس الثالث » فى حملاته ، لمحة طريفة عن طفولة « أمنحتب الثانى » . فقد كان « مين » هذا مدرب الأمير « أمنحتب » ، فنشاهده فى منظر قبره يحمل ملك المستقبل على حجره وهو عارى الجسم ، مما يدل على أنه كان لا يزال صغير السن جدا عند ما وكل أمر تنشئة هذا الأمير لهذا الجندى القديم، وفى منظر آخر ممتع فى نفس القبر نشاهد هذا الجندى وهو يدرب « أمنحتب » على الرماية وقد كان يرتدى وقتئذ ثوبا شفيفا فضفاضا ، ومفوقا سهمه نحو هدف مستطيل الشكل كان قد أصاب الهدف فيه أربع مرات من قبل . وكان يقف خلفه مربيه « مين » مصححا لتلميذه الوضع الذى يجب عليه أن يتخذه لإصابة المرمى كما تدلنا على ذلك النقوش التى تقول : " إنه (أى مين) قد لقن الصبى القواعد الأولى فى تعليم الرماية قائلا « شد القوس حتى أذنك ، واستعمل كل قوة ذراعيك وثبت السهم ... ... يأيها الأمير « أمنحتب » . وهذا المنظر كتب فوقه العبارة التالية تفسيرا له : " الأمير « أمنحتب » يتمتع بدرس فى الرماية فى ساحة القصر فى طينة "

(راجع : Davies, M. M. A. (1935), PP. 52, 53.) .

متن لوحة (بو الهول) : أما متن لوحة « بو الهول » فينقسم بدوره قسمين :
(ا) مديح الفرعون (ب) وأعماله .

(ا) مديح الفرعون : "يعيش « حور » ، الثور القوى ، صاحب القوّة العظيمة ، ملك الوجه القبلي والوجه البحرى ، ذو السلطان القوى ، الذى ظهر ملكا فى « طيبة » ، « حور » الذهبي — الذى يتغلب (على كل شىء) بصولجانه فى كل الأراضى ، ملك الوجه القبلي والوجه البحرى ، « عاخبرورع » (= عظيمة صورة رع =) ابن الشمس « أمنحتب » حاكم « هليوبوليس » الإلهى ، ابن « آمون » الذى خلقه ، ونسل « حور اختى » والبذرة الفاخرة من الأعضاء المقدّسة ، ومن برأت صورته الإلهة « نيت » ، ومن أوجده فى الحياة ؛ إله مصر الأزلى ، لأجل أن يستولى على الملك الذى فتحه ، ومن جعله يظهر بنفسه ملكا على عرش الأحياء ، ومن منحه مصر تحت سلطانه ، والصحراء رعية له ، ومن نقل إليه إرثه مخلدا ، والملك إلى الأبد ، ومن أعطاه عرش الأرض (جب) ، ووظيفة الإله « آتوم » الفاخرة ، وملك « حور » و « ست » ونصيب إلهى الوجه القبلي والوجه البحرى ، وسيتمهما فى حياة وسعادة ، ومن وضع له بنته (ماعت) على جسمه [1] ، ومن ثبت له تاجه على رأسه ، وهو الذى وطىء النوبيين تحت نعليه ، وأهل الشمال يخنون لقوّته ، وكل الأراضى الأجنبية تخافه ، وقد حزم له رؤساء قبائل البدو التسع ، والأرضان فى قبضته ، وأهل مصر فى وجل منه ، والآلهة يحبونه ، وقد رقاه « آمون » حاكما على ماتحيط به عينه ، وعلى مايضيئه قرص الشمس ، ولقد استولى على مصر كلها ، والأرض الجنوبية والأرض الشمالية فى كنفه ، والأرض الحمراء تقدّم له محاصيلها ، فى حين أن كل أرض أجنبية تحت حمايته ، وحدوده تصل الى ماتحيطه السماء ، والأراضى فى قبضته فى عقدة واحدة ، ولقد ظهر ملكا على العرش العظيم ضاما لنفسه الساحرين العظيمين (التاجين) ، والتاجان العظيان (بشنت) منضمان على رأسه ، وأتف (تاج رع) على جبينه ، وقد زين محياه بتاجى الوجه القبلي والوجه البحرى ؛ واستولى على العصابة والقبعة الزرقاء ، والريشتان العظيمتان على رأسه ، والنمس (لباس الرأس) يغطى كتفيه ، وعلى ذلك ضمت تيجان « آتوم » ومنحتها صورته أى (صورة آتوم) على حسب أوامر الآلهة ، وأعطى الإله « آمون » الإله الأزلى الذى جعله يظهر الأوامر ليكون فى مقدوره أن يستولى على كل الأرض متحدة دون أن تنتقص (أعنى) ابن الشمس « أمنحتب » حاكم « إيون » الإلهى ، ووارث « رع » وبذرة « آمون » الفاخرة .

(١) كانت صورة الإله « ماعت » تعلق على صدر قاضى القضاة وهو الوزير بمثابة علامة على أنه هو الذى يفصل بالعدل فى أمور الناس فن كان فى جانبه الحق أمسك الوزير بتمثال العدالة الصغير الذى كان معلقا فى صدره وأشار به نحو من فى جانبه الحق .

والبيضة الرفيعة (الخارجة) عن الأعضاء المقدسة ، الواحد النبيل صاحب السلطة ، والواحد الذى عندما خرج من الفرج كان متوجا بالتاج الأبيض والذى غزا الأرض بوصفه ملكا يجرى فى عروقه الدم المصرى ، وهو الذى ليس أمامه عدو فيما ترسل عليه عين « آتوم » أشعتها ، وقوة الإله « منتو » فى أعضائه ، ومن انتصاراته مثل انتصارات ابن « نوت » ، وهو الذى حكم ووحد نبات الجنوب مع نبات الوجه البحرى (البشنين والبردى) ، ومن أهل الجنوب وأهل الشمال فى وجل منه ، ومن نصيبه هو ما يضىء عليه (رع) ، ومن يملك ما يكتنفه المحيط العظيم ، ومن ساعد رسوله لا يقاوم فى كل أراضى « الفنخو » ، ومن لا نظيرله على أعداء حور (؟) ، ومن لا يوجد للإنسانية حام (غيره) . وهو الذى يأتى إليه أهل الجنوب منحنين ، وأهل الشمال ساجدين على بطونهم ، وكلهم منضمون فى قبضته ، وهو الذى يهشم صوبلجانه رءوسهم كما أمر بذلك رب الآلهة « آمون رع — آتوم » ، ومن يفتح الأراضى مظفرا دون أن يكون له قرين فى كل الأبدية » .

إعتلاؤه العرش وعلمه بفنون الحرب والرياضة : والآن أشرق جلالته ملكا ، وهو لا يزال شابا جميلا سليم الجسم بعد أن ختم الثامنة عشرة من عمره دائبا على قدميه فى قوة ، وقد كان على علم بكل أعمال الإله « منتو » ، إذ كان منقطع النظير فى الميدان ، وكان ماهرا فى معرفة الخيل ، فلم يكن له مثيل بين أولئك الجنود الكثيرين ، ولم يكن فى مقدور واحد منهم أن يشد قوسه ، ولا أن يناهضه فى الجرى على الأقدام " .

أمنحتب الثانى المجدف : «وقد كان قوى الساعد لا يكل من التجديف . واتفق أنه كان يجدف فى مؤخرة سفينته الملكية المجهزة بمائتى بحار ، وقد تركوا الشاطىء وجدّفوا نحو نصف ميل غير أن قوتهم خارت ، وانحلت أعضاؤهم ، ولم يكن فى استطاعتهم النفس (بعد ذلك) ، ولكن جلالته كان قويا بمجدافه الذى كان يبلغ طوله عشرين ذراعا . فعاود الشاطىء ثم نزل على البر بعد أن جدف مسافة ثلاثة أميال وهو مضاد للتيار دون أن يتوقف عن العمل ، وقد كان الأهلون ينظرون إليه مظهرين إعجابهم بذلك العمل » .

أمنحتب الرامى : « ثم قام بالعمل التالى : وهو أنه شد ثلثمائة قوس قوية ممتحنا إياها ليقرن عمل الصناع ليميز الخبيث من الطيب من بينهم (فى الصناعة) . والآن حضر وقام ليعمل ما هو أمام وجوهكم : فدخل فى مكانه الشمالى ووجد أنه قد نصب له أربعة أهداف من النحاس الأسيوى ، سمك الواحد منها قدر كف اليد ، وبين كل هدف وما بعده عشرون ذراعا ، ثم ظهر بعد ذلك جلالته على عربته التى تجرها الجياد مثل الإله « منتو » فى شدة بأسه ، وشد قوسه ، وقبض على أربعة سهام معا ، ثم سار شمالا وأطلقها مثل « منتو » فى تأهبه (للقتال) فنفذ سهمه من ظهر الهدف ، ثم رمى هدفا آخر .

وهذا هو الشيء الذي لم يؤت مثله من قبل ، ولم يسمع به فى القصص : «إن سهما قد فوق على هدف من النحاس ، وإنه نفذ فيه ساقطا على الأرض ، ولكن مثل هذا العمل قد حدث على يد الملك صاحب البأس الشديد ، ومن أعطاه الإله « آمون » القوة ألا وهو ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عاخبرورع » الشجاع مثل « منتو » .

أمنحتب الخيال : « وعندما كان أميرا حدث السن ، كان مغرما بجياده ، ينعم بها وفرحا بتعهدها ، وكان يعرف طباعها ، كما كان ماهرا فى تدريبها متعمقا فى أحوالها ، ولما وصل خبر ذلك من القصر إلى مسامع والده «حور» الثور القوى الذى يشرق فى « طيبة » ، كان له أثر طيب فى قلب جلالته عند سماعه ، وفرح بما قيل عن ولده البكر وقال فى قلبه : إنه هو الذى سيكون سيد البلاد قاطبة » ، ولن يوجد من ينازله لأنه يضحى بنفسه لإحراز الشجاعة ، وينعم بالنصر ، وإنه لا يزال طفلا رقيقا ، ولم يصل بعد السن التى يأتى فيها بعمل « منتو » ، ولكن تأمل ! فإنه قد تغاضى عن شهوات الجسم ، وأحب الشجاعة ، لأن الإله هو الذى وضع فى لبه أن يفعل هكذا حتى يستطيع أن تصبح مصر محمية به ، وتنحنى إجلالا له (؟)

وعندئذ قال جلالته (تحتمس الثالث) لمن كان فى حاشيته : لتعط أكرم الجياد فى حظيرة جلالته التى فى « منف » وليقل له : اعتن بها واجعلها سلسة القياد ، واجعلها تخب فى سيرها ، وروضها إذا كانت جامحة " . وبعد هذه المحادثة أخبر الابن الملكى أنه فى حل من القيام بالعناية بخيل حظيرة الفرعون ، وقد قام بما عرض عليه ، وكان كل من الإله « رشف » والإلهة « عشترت »(1) مسرورين منه عندما رأياه يفعل كل شيء يحبه قلبه ، وقد ربى جيادا منقطعة النظير ، لايحيق بها التعب ، عندما كان يأخذ بعنانها ، وكان لا يتصبب عرقها حتى بعد شوط بعيد ، وقد شد جياده فى « منف » وهو لا يزال صبيا ، ووقف عند محراب الإله « حورام أخت » (حرمخيس) أى (بو الهول) ، وقد مكث مدة هناك جائلا حوله (بعربته) متأملا جمال محراب «خوفو» و«خفرع» (المبجلين)، وكان قلبه يتوق لإبقاء اسميهما حيا، وأن يضعه فى قلبه ، والآن كان قد اعتاد أن يؤدى ما أمر به والده « رع » .

إهداء محراب الجيزة : " والآن بعد أن توج جلالته ملكا ، واتخذ الصل مكانه على رأسه ، ورمز « رع » آوى إلى مكانه ، وعندما كانت البلاد فى أمان كما كانت من قبل فى عهد سيدهم ، وحكم « عاخبرورع » الأرضين ، وكل الأرض الأجنبية خاضعة لنعليه عندئذ تذكر جلالته المكان الذى تمتع فيه بجوار أهرام « حورأم اخت » « بو الهول » فأصدر الأمر بإقامة محراب هناك على أن تحت لوحة من الجير الجيرى الأبيض يكتب عليها اسمه العظيم « عاخبرورع » محبوب « حرمخيس » معطى الحياة مخلدا " .

---

(١) إلهان من الآلهة الأسيوية الذين أصبحوا يعبدون فى مصر .

التعليق على هذا النص : ولا نزاع فى أن نص هـذه اللوحة يكشف لنـا عن صفحة مجيـدة فى تاريخ حياة الفرعون بل فى تاريخ الحياة المصرية من الوجهة الرياضية والحربية ومقـدار شغف الملوك والشعب بهما ، فنعلم زيادة على المدائح والنعوت التى كان يوصف بها الفرعون عادة، أن « أمنحتب الثانى » تولى عرش البـلاد فى ختام الثامنة عشرة من عمره بعـد وفاة والده العظيم « تحتمس الثالث » مباشرة،ولدينا نقوش قد تدل على أنه كان مشتركا معه فى الملك مدة ما ، لا نعرف مداها على وجه التحقيق . وقد كان أوّل من قدّر بحق عمر « أمنحتب الثانى » عند توليته عرش الملك هو السـير « فلنـدرز بترى » (راجـع ,Petrie, "History" II. P. 154.) .

ثم نجد بعد أوصاف هذا الفرعون عرضا رائعا لضروب أنواع الرياضة البدنية التى حذقها هـذا الفرعون وهو لا يزال يافعا، ولا نزاع فى أنها كانت بتوجيـه من والده الذى كان كما سـبق يجيد ضروب الرياضـة ويتفوّق فيها على رجال جيشه قاطبة، غير أن « أمنحتب » قد تخطى والده فى صنوف منها وأحرز قصب السبق فى ضروب لم نعرف أن والده قـد زاولها . وتدل الظواهر على أن « أمنحتب » الثـانى لم يكن مولودا فى « منف » عاصمة الملك الثانيـة وحسب، بل كذلك قد تربى فيهـا ، ولا يبعد أنه كان فى أثنـاء اشتراكه مع والده فى الحكم قـد اتخذ مقر ملكه فى إحدى العاصمتين ، فبينما كان « تحتمس » يسكن « طيبـة » كان « أمنحتب » ابنه قد اتخذ مقرّه فى « منف » ؛ ونشاهد أن بطلنا كان قـد أخذ ينكب على التمرينات الرياضية المحببة إليه وإلى والده، وقد رأى معلموه أن يدربوه بإرشاد من والده طبعا أولا على الجرى أشواطا بعيدة حتى أصبح لا يدانيه فى هذا المضمار جنـدى من رجال الجيش المـدرّبين ، ثم نجده قـد درّب على التجديف فى النيل الذى كان يعدّ فى تلك الأزمان أعظم طرق الموصـلات والتجارة ، فنراه يركب ظهر سفينة كبيرة من سفن القصر معدّة بمائتى مجدف وهو واقف فى الخلف

يقبض بيديه على مجداف طوله أكثر من عشرة أمتار (يحتمل أنه الدفة) . وتدل الأحوال على أن السير فى النيل كان صعبا بسبب التيار، فنرى أنه بعد أن قطع الجدفون الذين كانوا بصحبته نحو نصف ميل خارت قواهم وتلاشت عزيمتهم، ولم يكد يرى « أمنحتب » ذلك حتى جاء لمعونتهم ، وأخذ يجدف وحده بقوة ونشاط ومثابرة لا تعرف الملل لدرجة أنه قطع بمفرده نحو ستة كيلو مترات ووصل بالسفينة إلى البر بصورة رائعة تسترعى النظر وتدهش اللب . حقا إن القارئ الحديث لا يكاد يصدّق أنه كان فى استطاعة بشر أن يأتى بمثل هذا العمل الخارق لكل ما هو مألوف، ولكن لا يفوته أن ملوك مصر كانوا من نسل الآلهة، وكان لا بدّ لهم أن يفوقوا البشر فى كل شىء يعملونه ! ! ثم نرى هذا الأمير الفتى يعرض أمامنا صورة أخرى من تفوّقه فى ضروب الرياضة البدنية والمهارة اليدوية. فبعد أن حاز قصب السبق فى مضمار التجديف نجده يتبارى فى تفويق سهامه فى الرماية، فقد كان الرماة فى سالف الأزمان يكتفون برمى الهدف و إصابته، ولكن منذ استعمال الخيل والعربات فى الصيد والحروب كان من مستلزمات فارس العربة أن يكون ماهرا فى الرماية وهو فى عربته ، ويكون قادرا على إصابة مرماه على الرغم من حركات الخيل وقفزها بسرعة عظيمة .

وقد أراد « أمنحتب » الثانى فضلا عن ذلك أن يظهر فوقه فى ضروب الرماية على والده « تحتمس الثالث » الذى كان على ما نعلم أول من استعمل هدفا من النحاس بدلا من الهدف الذى كان يصنع عادة من الخشب . وقد اختار البقعة التى تحيط « بمنف » على مقربة من السهل الذى أقيم فيه الأهرام و « بو الهول »، وهذه الجهة كانت على ما يظهر مسرحا مختارا للصيد والقنص . وتحدّثنا النقوش أن الفرعون قد بذل مجهودا عظيما فى العناية باختيار السلاح الذى أراد استعماله فى رمايته، إذ قد امتحن نحو ثلثمائة قوس على التعاقب ليعجم عودها، و يعرف غثها من ثمينها ، ثم انطلق بعد اختيار سهامه فى ميدان الرماية حيث كان قد نصب

له أربعة أهداف على مسافات متساوية كل هدف منها صنع من لوح من النحاس سمكه يساوى سمك راحة اليد، وعندئذ فوّق سهامه بدقة وحذق وقوة ساعد، فلم يطش منها سهم واحد. هذا فضلا عن أن كل سهم قد اخترق هدفه النحاسى ومرق فى الجهة الأخرى هاويا على الأرض . وبذلك فاق والده فى الرماية لأن سهم الأخير على الرغم من أنه قد أصاب الهدف إلا أنه لم ينفذ كله منه إلى الجهة الأخرى . إذ يقول المتن " وقد فوّق سهامه على لوحة من النحاس بعد أن تهشمت كل الأخشاب كأنها اليراع ، وقد وضع جلالته واحدا منها فى معبد «آمون» وهو هدفٌ سمكه ثلاث أصابع رشق فيه سهم من سهامه ، وقد جعل السهم ينفذ فى الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر" .

ومن هذا نعلم أنه ضرب الرقم القياسى فى الرماية . وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا الإعجاب بالمهارة الفنية التى قاد بها هذا الأمير عربته وساق بها جياده وهو يفوّق سهامه، وقد كان «تحتمس» الثالث الذى ينسب إليه هذا الفضل يحس حسن مستقبل ابنه فى هذا الميدان إلى أبعد حد، ولذلك نجده قد سلمه قياد أكرم جياده التى كانت تربى فى الحظيرة الملكية «بمنف»، وكذلك وكل إليه أمر تدريبها، وقد برهن «أمنحتب» من ناحيته على أنه كان خليقا بهذه الثقة الغالية تماما، فنجده قد درّب جياده على كل أنواع السير كما مرنها على الجرى أشواطا بعيدة دون أن يلحقها تعب لدرجة أنها كانت تقطع المسافات الشاسعة عدوا من غير أن يسيل عرقها . وقد ترك لنا «أمنحتب» الثانى برهانا قاطعا على حسن عنايته وتعهده لخيله، إذ قد عثر على لوحة صغيرة من «الكرنلين» (حجر الدم) مثل عليها هذا الفرعون وهو يقدّم العلف لجواده بنفسه، وقد قلده فى ذلك «رعمسيس الثانى» كما سنرى ذلك بعد (راجع .Hall, "Catalogue of Scarabs" I. P. 161, No. 1640) .

وفى خلال إحدى الجولات التى كان يقوم بها للرياضة فى سهل «منف» أدّى به المطاف إلى الوقوف فى بقعة بجوار تمثال «بو الهول» العظيم (وهو الذى يمثل

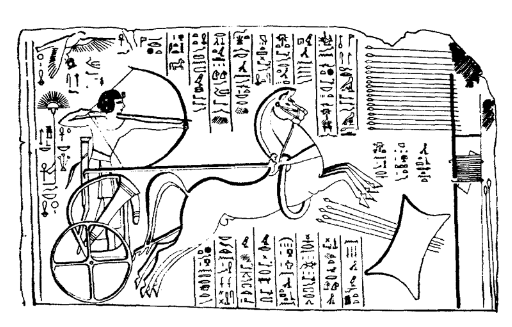
صورة إله الشمس) الذى يربض فى حرم معبد « خفرع » ، وقد أعجب بجمال هذا التمثال الذى أصبح محجا للزوار من الملوك وغيرهم . وقد بقيت فى نفسه ذكريات عميقة الأثر لهذه الزيارة ولتلك اللحظات السعيدة التى أمضاها بجواره ، حتى أنه لما اعتلى عرش الملك كان من أول أعماله إقامة لوحة تذكاراً لتلك الزيارة وتبركا بهذا الإله العظيم الذى كان يعتبر فى عصره من أعظم الآلهة المصرية ، كما أقام محرابا لهذه اللوحة كان قبلة الزوار للملوك من أخلافه ، وكعبة تركوا لنا فيها آثارهم .

ولقد حقق «أمنحتب» فراسة والده فى مستقبله فبرهن على أنه كان ملكا نشيطا ومحاربا لا يجد الخوف إلى قلبه سبيلا ، فقد ظهر منتصرا فى ساحة الوغى أكثر من مرة على أعدائه فى « آسيا » كما سنرى ، على أن انهماكه فى مكافحة الثائرين فى البلاد الخاضعة لمصر لم يمنعه مزاولة ضروب الرياضة المحببة إليه فى أثناء فراغه ، حتى وهو فى ساحة الوغى كما تدل على ذلك الوثائق المختلفة التى وصلتنا حتى الآن .

مشاهد أخرى يظهر فيها أمنحتب مهارته فى الرماية : فقد عثر مهندس البناء « شفرييه » (A. S. Vol. XXVIII P. 126 Fig. 5) . فى أثناء إصلاح البوابة الثالثة التى أقامها الفرعون «أمنحتب» الثالث على قطعة ضخمة من الحجر، زين أحد وجوهها بمنظر مثل فيه الفرعون «أمنحتب الثانى»، وهو يفوّق سهمه لإصابة الهدف، هوايته المحببة. وهذا المنظر يكاد يكون شرحا مصوّرا للمتن الذى جاء فى لوحة « بو الهول » الخاص بالرماية (أنظر لوحة ٣٩) ، غير أنه يشير إلى مفخرة أخرى من مفاخره فى هذا المضمار ، إذ نشاهد فيه « أمنحتب » يتقدّم بعربته التى يجرّها جوادان من أصائل الخيل تحفه أبهة الملك وعظمته فنراه خلال سير العربة وهو يفوّق سهمه بدقة ويشدّ قوسه بقوّة حتى أذنه كما درّبه على ذلك معلمه « مين » ثم يطلق السهم تلو السهم فيصيب المرمى أربع عشرة إصابة ، وهذا الهدف الذى كانت تفوّق إليه السهام هو قطعة من النحاس مستطيلة الشكل . والنقوش التى

على هــذا المنظر تفسر ما قام به الفرعون فى هــذا المضمار فاستمع إليها : الإله الطيب السخى بقوته ، والذى يعمل بساعديه فى مقدمة جيشه ، والقوى البأس فى معالجة قوســه ، ومن يفوّق سهامه بحذق فلا تخطىء هدفها ، ومن يصوّب سهامه على قوالب من النحاس فيخرقها كأنها إضمامة بردى ، إذ لم يكن هدفه المصنوع من الخشب يشبع طموحه لأن قوّته كانت عظيمة جدا وساعده شديد منقطع النظير بل هو الإله « منتو » عندما يظهر على عربته » .

وكذلك عثر على قطعة من النحاس منحنية الجانبين وهى تشبه ركيزة من المعدن الغفل كانت مما يقدم أحيانا جزية . وقد استعملت هدفا . وقد وجدت على الأرض وشوهد أنه قــد مرق فيها أربعة أسهم ، ويقول المتن المفسر لهـا : إنها قالب عظيم (هدف) من النحاس الغفل كان يستعمله جلالته هدفا وكان سمكه ثلاث أصابع (ســتة سنتيمترات) . وقــد اخترقه صــاحب القوّة العظيمة بعدّة سهام ، وجعلها تنفذ فى هــذا الهدف الذى يبــلغ طوله ثلاثة أشــبار ، وأنه هو الذى يفوّق سهامه بضربات متتالية ، وهو صــاحب الساعد المتفوّق ، ورب القوّة ، وإن جلالته قد أنهى هذا العمل العظيم أمام العالم أجمع .(راجع Van de Walle, "Les Rois Sportifs de l'Ancienne Egypte". Chronique d'Egypte; Vol. XIII No. 26 Juillet 1938, pp. 234-257. ، وفى «المدمود» عثر له على قطعة من الحجر



(٣٩) أمنحتب يفوّق سهمه لإصابة الهدف

جاء ، Bisson de la Roque. "Medamoud" (1927 - 1928) P. 145. راجع)
منقوشا عليها « إن السهم الملكى (أمنحتب) قد اخترق سبعة أتساع طول الهدف ، وأن الفرعون قد
تحدّى أى شخص كان فى أن يأتى بمثل هذا العمل الفريد » .

نقوش لوحتى « أمدا » : ولا يسعنا بعد سلسلة البراهين والشواهد التى أوردناها هنا على نبوغ « أمنحتب الثانى » فى فنون الرياضة والفروسية إلا أن نثبت هنا مع سلف مقدمة النقش التذكارى الذى دوّنه على اللوحتين اللتين أقيمتا فى معبدى « أمدا » و « إلفنتين » إذ أن هـذه المقدمة قد رسمت أمامنا بألفاظ معبرة عن صورة هذا الفرعون الشجاع الجسمية والخلقية معا ، وعلى الرغم من أن معظم هذه الأوصاف كانت تقليدية تقال فى وصـف كل فرعون إن صـدقا وإن كذبا ، إلا أن الإنسان لا يسعه إلا اعتبارها حقيقة إلى حدما عند ما يوصف بها « أمنحتب »
الثانى (راجع L. D. III, Pl. 65; Kuentz, "Deux Steles d'Amenophis II. (Steles d'Amada et d'Elephantine) Bibliotheque d'Etude de l'Institute Français d'Archeologie Orientale du Caire" Vol. X (Cairo, 1925) pp. 6 - 12; Schafer, A. Z. XXXVIII, p. 67; Sethe, ibid, XLVII, p. 85.
وهاك هذه المقدمة : « السـنة الثالثة الشهر الثالث من الفصل الثالث اليوم الخامس عشر من حكم جلالة ... ... أمنحتب الثانى ... ... الإله الطيب الذى برأه « رع » والذى خرج من جسمه القوى ، وصـورة « حور » على عرش والده ، والعظيم البأس ، من لا نظير له ، والمنقطع القرين ، الفـرعون ذو الساعد العظم الخطر ، ومن لا يستطيع فرد من بين جنوده ولا من بين رؤساء البلاد الهمج (الهكسوس) ، ولا من بين امراء سوريا أن يشد قوسه [١] ، لأن قوته جعلته يفوق قوة أى ملك ، ولا يوجد من فى مقدوره أن يحارب بجانبه ، فهو رام شـديد فى المعمعة ، وثور يحمى مصر ، ثابت الجنان فى ساحة الوغى

---

(١) وهذه العبارة هى أساس الخرافة المعروفة التى ذكرها « هردوت » وهى التى تمثل عجـز الملك « قبيز » عن شد قوس ملك « اثيوبيا » ، (راجع A. Z. XXXVIII, P. 66) ، وهى عبارة نصادفها عادة مذكورة فى المؤلفات القديمة ، ومن المدهش أنه عثر على قـوس « أمنحتب » الثانى فى قبره وقد نقش عليه نص يصفه بأنه ضارب الهمج ، وهازم الكوش ، ومخرب المدن ... ... وجدار مصر العظيم وحامى جنوده (Cairo Catalogue 24120) .

عندما تحن ساعة التخريب ، وساحق أولئك الذين يثورون عليه ، وصاحب الغلبة السريعة على أقوام الهمج كلهم رجالهم وخيلهم حينما ينازلونه بآلاف الآلاف ، لأنهم يعرفون أن الإله « أمون » كان حليفه ، ولأنه لا يفر ، بل القوة فى أعضائه ، وهو شبيه الإله «مين» فى عام الفزع ، ولا يوجد إنسان فى مقدوره أن يثبت أمامه ، يعامل أقرانه بمثابة خارجين ، وكذلك قبائل البدو التسع . ولا غرابة إذن فى أن يقلده الملوك الذين جاءوا بعده .

أمنحتب الثانى يقلد والده فى كل أعماله : والظاهر أن « أمنحتب » الثانى كان يقلد والده فى كل مراحل حياته من حيث الرياضة ، والحروب ، وحتى فى الصيد والقنص فى خلال حملاته فى البلاد النائية . فسنرى أنه بعد أن خضعت له بلدة « قادش » التى كانت من أعظم البلاد التى قاومت والده مدة طويلة دون أن تخضع لسلطانه ، قد قام بنزهات للصيد والقنص كما قام والده فى « نهرين » بصيد الفيلة ، وفى بلاد السودان بصيد الأسود والثيران الوحشية ثم بصيد وحيد القرن (خرتيت) ، فنرى « أمنحتب » يخرج فى غابات جبال « رابيو » للصيد والقنص فيطارد فيها الغزلان والمهارى والأرانب الوحشية ، والحمير البرية ويصيد منها عددا يخطئه العد .

حروب أمنحتب الثانى

بقيت معلوماتنا عن الحروب التى شنها الفرعون « أمنحتب الثانى » فى آسيا مقصورة على ما دوّن على لوحة « الكرنك » المهشمة التى نشرها « بلجران » (راجع A. Z., Vol. XL, (1903) P. 126.) إلى أن كشف الدكتور « أحمد بدوى » عن اللوحة التاريخية العظيمة فى خرائب « منف » ، وهى التى تحدثنا عن حروب هذا الفرعون بصورة جلية كاملة إذا ما قرناها باللوحة التى نشرها « بلجران » . وقد نشر الدكتور « أحمد بدوى » عن كشفه الجديد فى مقال رائع ترجم فيه النص وقرن

بعض جمله بما جاء فى لوحة « الكرنك » من الوجهة اللغوية . وسنورد هنا نص لوحة « منف » بأكمله ثم نعلق عليه مع قرنه بلوحة « الكرنك » فى الجزء المشترك بينهما (راجع A. S. Vol. XLII. P. 1ff.) .

موازنة بين لوحتى « الكرنك » و« منف »

وصف لوحة منف[1] : يبلغ طول هذه اللوحة ٢٫٨٥ سنتيمترا ، وهى من الحجر الرملى الأحمر المستخرج من محاجر الجبل الأحمر بالقرب من العباسية ، وفى أعلاها المستدير قرص الشمس المجنح ، وفى أسفله منظران أحدهما يشاهد فيه الملك يقدم إناءين من الخمر للإله « آمون » والثانى يشاهد فيه الفرعون يتعبد للإله « بتاح رب منف » وأسفل هذين المنظرين يوجد المتن ويحتوى على أربعة وثلاثين سطرا . وقد تحدّث فيها الفرعون عن أعماله الحربيــة ، وتنقسم قسمين هامين : الأوّل يصف لنا حروبه مع بلاد « رتنو » فى السنة السابعــة من حكمه ، والقسم الثانى يتحدّث عن حروبه مع الولايات الصــغيرة الواقعــة فى شمال فلسطين فى العــام التاسع من حكمه .

---

(١) ويلاحظ أن لوحة « الكرنك » كانت من الجرانيت الوردى اللون ، وقد عثر عليها « شمبليون » مرتكزة على البوّابة الثانية من الجنوب فى « الكرنك » ، وقد وجدت مهشمة تهشيما كبيرا . وفى الجزء الأعلى منها منظران يظهر فى كل منهما الملك « أمنحتب » الثانى يقــدم القربان للاله « آمون » وبين هــذين المنظرين سطر من النقوش يذكر الإصلاحات التى قام بها « سيتى » الأوّل لهذا الأثر بعد أن أتلفه رجال « إخناتون » ، ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن المتن يشتمل على أغلاط كثيرة ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى إهمال أولئك الذين قاموا بإصلاح هذا المتن فى عهــد « سيتى » الأوّل بعــد المحو الذى قام به رسل « إخناتون » فى أثناء محاربته ديانة « آمون » .

النص المصرى

مقـدّمة[1] : السنة السابعة ، الشهر الأول من فصل الشتاء ، اليوم الخامس والعشرون من عهد جلالة « حور » (الملك) ، الثور القوى ، حاد القرنين ، سيد التاجين ، عظيم القوّة ، المتوج فى « طيبة » « حور » الذهبى : الفاتح والمسيطر على البلاد كلها ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى : سيد الأرضين « عاخبرورع » ابن الشمس : « أمنحتب المقدس » (أمير هليو بوليس) ومعطى الحياة مخلدا ، والمماثل «رع» ، وابن « آمون » والجالس على عرش والده : وقد خلقه أعظم قوة وأشدّ بأسا بالنسبة لمن خلقهم من قبل ، ولذلك هزم جلالته أرض « نهرين » وفتك قوسه بهم ، وهو الفاتح بظفر وشدّة بأس ، مثل « منتو » عند ما يظهر مدججا بأسلحته . وقلبه فرح عند ما يقع نظره عليهم ، لأنه يأخذ بنواصى الثائرين .

التعليـق : ذكرنا فيما سبق أن الفرعون « تحتمس الثالث» قد توفى فى السنة الرابعة والخمسين ، الشهر الثالث ، من فصل الشتاء اليوم الأخير من الشهر ، كما ذكر لنا « أمنمحاب » فى تاريخ حياته ، وعلى أثر ذلك تولى « أمنحتب الثانى » عرش الملك ، وقـد ذكرت لنا لوحة الجيزة أن « أمنحتب الثـانى » تولى عرش الملك

(١) نجد التاريخ فى لوحة « الكرنك » مهشما ، وقد ذهب « برستد » وغيره الى أنه فى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون ارتكانا منهم على ما جاء فى لوحة « أمدا » التى أقامها هذا الفرعون فى هذه الجهة بعد حروبه الأولى و يقول فيها : إنه عاد من حملته الأولى فى بلاد « آسيا » . ولذلك يعتبر المؤرّخون أن هذه الحروب قد وقعت من غير شك فى السنة الأولى أو الثانية من حكمه ، وبخاصة لأنه أحضر معه أمراء أسرى من بلاد « تخسى » وذبحهم فى « طيبة » و « نباتا » . غير ان هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء فى متن لوحة « منف » التى يقول فيها : انه زحف بجيشه فى السنة السابعة فى حملته الأولى إلى « آسيا » وكذلك متن لوحة «الكرنك» لا يتفق فى كثير من التفاصيل مع متن لوحة «منف» كما سنرى . وهاك مقدّمة لوحة الكرنك : [السنة الثانية (؟)] ... ... فى عهد جلالة « حور » الثور القوى ، عظيم القوّة ... جزء من « اتوم » ، محبوب الإلهتين : العظيم فى الغنى ، المتوج فى طيبة ، حور الذهبى ، الذى يقبض بقوّته على كل الأراضى ، [ملك الوجه القبلى والوجه البحرى] ... الأقصر ، « عاخبرورع » سيد ... السيف الذى يالـل الأقواس التسعة ، ابن الشمس من جسمه ، رب كل الممالك ، « أمنحتب الثانى » حاكم « هليو بوليس » المقدس ، معطى الحياة مخـلدا مثل « رع » ، فهذه المقدّمـة بغض النظر عن ألقاب الفرعون لا تنطبق فى قليل أو كثير مع مقدّمة لوحة «منف» . (راجع Breashed. A. R. Vol. II. § 782ff.) .

فى العبارة التالية : " والآن أشرق جلالته ملكا وهو لا يزال شابا جميلا سليم الجسم بعد أن أتم الثامنة عشرة من عمره دابا على ساقيه فى قوة" ، وقد قام حينئذ بحملته التى ذكرت على اللوحة التى نحن بصددها الآن فى السنة الخامسة والعشرين من عمره أى أنه كان وقت سيره على رأسها قد اكتملت تجاربه الحربية، وبخاصة أنه كان قد عاد من خوض غمار حرب قبلها فى السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الشتاء ، اليوم الخامس بعد أن أوقع هزيمة بأمير « تخسى » فى شمال « سوريا » كما جاء ذكر ذلك على لوحتى « أمدا » و « الفنتين » .

الفرعون يخرب شماش إدوم[1] : (راجع Gardiner, "Onomastica," I. P. 139 & 164.) زحف جلالته على بلاد « رتنو » فى حملته الأولى المظفرة ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يظهروا له الولاء . وقد كان محياه ينبعث منه الخوف مثل وجه الإلهة «باستت» والإله «ستخ» فى ساعة غضبهما . ووصل جلالته بلدة « شماش أدوم » وخربها فى طرفة عين كالأسد المصور عند ما يجوب الصحراء . وقد كان جلالته يركب عربته الحربية التى كانت تسمى « آمون قوى » و « موت » راضية ، و « خنسو » هو صاحب المشاريع الطيبة » .

قائمة بالغنائم التى كسبها بسيفه فى هذا اليوم : ثلاثة وثلاثون أسيويا واثنان وعشرون ثورا.[2]

---

(١) هذه البلدة ذكرت فى قائمة بلدان سوريا التى فتحها « تحتمس الثالث » وقد وحدها «مسبرو» ببلدة «خربة أدماه» غير أن ذلك لا يطابق الواقع (راجع Maspero "Fragments d'une Etude sur la Geographie Egyptienne de la Syrie". Etudes de Mythologie et d'Archeologie Egyptienne" V. PP. 132 - 133.) .

(٢) وجاء فى متن « الكرنك » ما يأتى :

كان جلالته فى مدينة « شماش أدوم » وقد ضرب جلالته مثلا للشجاعة هناك . وقد حارب يدا ليد ، تأمل ! إنه كان مثل أسد مفترس العين ضاربا أقاليم لبنان (رمنن) ... ... واسمه كان ... .

قائمة بالغنائم التى استولى عليها جلالته فى هذا اليوم : ثمانية عشر أسيرا وستة عشر جوادا » . فهذا المتن إذا ما قرن بمتن لوحة «منف» لا يتفق معه فى شىء اللهم إلا فى ذكر بلدة «شماش أدوم» غير أنه قد جاءت جملة فى متن لوحة « منف » قد تشعر بأن الفرعون كان قد قام بحملة قبل ذلك الوقت على هذه البلدة وهى الحملة الأولى التى يقول فيها ، إنه قد زحف على بلاد «رتنو» فى حملته الأولى =

وقوع معركة بعد اجتياز نهر الأرنت (نهر العاصى) [1] : وبعد ذلك اجتاز جلالته نهر «الأرنت» (نهر العاصى) فاقتحمه مثل الإله «رشف» ، ومن ثم قفل راجعا ليحمى مؤخرته ، إذ كان قد لمح بعض الأسيويين قد قدموا متسللين وهم مدججون بأسلحتهم لمهاجمة جيش الفرعون . وعندئذ انقض جلالته عليهم انقضاض الصقر الإلهى . وعلى الرغم مما كانوا عليه من ثقة وطيدة فإن قلوبهم قد تخاذلت الآن ، إذ تساقط الواحد منهم فوق زميله حتى قائدهم ، على أنه لم يكن بجانب جلالته أحد بل كان منفردا ومعه سيفه البتار فأهلكهم جلالته بسهامه ، وتقدم بقلب فرح مثل الإله « منتو » شديد القوى بعد أن أحرز النصر على الأعداء » .

قائمة بالأسلاب التى غنمها جلالته فى هذا اليوم : أميران ، وستة أشراف مع عرباتهم قتالهم ، وخيولهم ، وكل أسلحتهم [2] .

مدينة « نى » تسلم بدون مقاومة شديدة : وبعد ذلك زحف جلالته نحو بلاد « نى » . غير أن أمير هذه البلاد ورعاياه من رجال ونساء قد أظهروا الولاء والطاعة ، وظهرت

= ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يظهروا له الولاء ، إذ قد نفهم من ذلك أنه قد أدبهم مرة ، ولكنهم قد عادوا الى شق عصا الطاعة ثانية فحاربهم ، غير أن ما يلى من المتن يشعر بتقارب المتنين ثانية وأن الحملة فى كلا المتنين واحدة .

(١) وجاء فى متن « الكرنك » ما يأتى : الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم السادس والعشرون . عبر جلالته مجرى نهر «الأرنت» ، فى هذا اليوم ، وجعل يعبر [... ...] [... ...] مثل « منتو » صاحب «طيبة» ، وقد رفع جلالته ذراعه لأجل أن يرى آخر الأرض (الأفق) وقد لمح جلالته شرذمة من الأسيويين آتين على جيادهم [...] آتين عدوا . تأمل إن جلالته كان مسلحا بأسلحة الواقعة وقد ظهر جلالته (على العدو) بقوة [الإله «ست»] فى ساعته (أى ساعة غضبه) فتقهقروا عند ما صوب جلالته النظر لواحد منهم ، وبعد ذلك هزم جلالته بنفسه .... بحربته [... ...] تأمل فإنه حمل هذا الأسيوى (أسيرا [...] وخيله) وعربته وكل أسلحة قتاله . وقد عاد جلالته بقلب فرح لوالده « آمون » . ومنحه (أى الملك) عيدا [... ...] .

(٢) وجاء فى متن الكرنك : قائمة بما أسره جلالته فى هذا اليوم : جوادان ، وعربة واحدة ، ودرع ، وقوسان ، وكنانة مملوءة بالسهام ، وزرد ، و [... ...] . ومن ذلك نعلم أن الحوادث فيها تشابه غير أن الغنائم كانت مختلفة .

على وجوههم الدهشة (وقد جاءت هذه العبارة فى متن الكرنك هكذا . وقد كان سور يو هذه المدينة رجالا ونساء واقفين على جدرانهم ودهشوا من الإله الطيب » .

الملك يستولى على أوجاريت : « وبعد ذلك ضرب جلالته سرادقه بالقرب من «أوجاريت»[١] وتغلب على كل أعدائه هناك . وقد أهلكهم كأن لم يغنوا بالأمس ، إذ جعل عاليهم سافلهم ثم قفل راجعا فرح القلب بعد أن أصبحت هذه الأراضى الأجنبية قاطبة ملكا خاصا له » .

الملك يضرب خيامه فى «تارخى» وغيرها من الأماكن الحربية : « وبعد ذلك عسكر جلالته على مقربة من « تارخى »[٢] وهى فى شرق « شماش رام »[٣] (= الشمس العالية) . وقد خرب قرى « منزاتو »[٤] (Mindatu) ووصل جلالته حتى « هثرعا » فخرج أميرها بقلب فرح لمقابلة جلالته ومعه أولاده ومتاعه ، وكذلك استقبل جلالته أهل بلاد ينقا[٥] (Unka) بسرور » .

قادش تعقد يمين الإخلاص للملك : «وبعد ذلك وصل جلالته أمام « قادش » فخرج أميرها لمقابلة جلالته بسرور ، وعقد هو وأولاده يمين الإخلاص لجلالته » .

---

(١) وكان جلالته قد سمع (على ما جاء فى متن الكرنك) أن بعض السوريين الذين كانوا فى مدينة « أوجاريت » قد عقدوا الأيمان أن يعطوا الأوامر على طرد حامية جلالته التى كانت فى هذه المدينة . ومن أجل ذلك ذبحهم وخلص المدينة منهم .

(٢) « تارخى » أو « ثالخى » : ذكر هذا المكان فى خطابات « تل العمارنة » (١ ، ٥ ، ١٢٦) وكتبت «سالخى» وهو المكان المعروف بجبل الأقرع وهو الذى يسميه اليونان (Kasion) وفيه كان يقدس الإله « زيوس كاسيوس » ، ومن ذلك نعرف أن الفرعون « أمنحتب » الثانى كان قد ترك « أوجاريت » وعبر نهر الأرنت وعسكر على الجانب الشرقى من « جبل الأقرع » .

(٣) شماش رام : هذا المكان لم يأت ذكره إلا فى هذا المتن ومعناه « الشمس العالية » .

(٤) قرية منزاتو ومدينة هثرعا : لابد أنهما يقعان بجوار الأخيرة وعلى أية حال فإن كل هذه الأماكن تقع على الجانب الأيمن من نهر « الأرنت » .

(٥) ينقا : هذه المدينة التى تقع فى سوريا الشمالية قد جاء ذكرها منذ عهد « تحتمس الثالث » (راجع .Urkunden. IV, P. 789) غير أن موقعها بالضبط لا يعرف حتى الآن ، وقد جاء فى المتون الآشورية بلدة باسم « ينق » وتقع فى الاقليم الواقع شمالى « قادش » .

«ثم قام جلالته بإصابة هدفين من النحاس بسهامه أمامهم فى الجهة الجنوبية من هذه المدينة ، ثم جال فى غابات جبال « رابيو »[1] وقنص غزالا ، ومهارى وأرانب وحشية وحميرا برية يخطئها العد » .

الملك يغنم بنفسه بلدة خاشابو : «ثم سار جلالته بعربته نحو مدينة «خاشابو»[2] ، وقد كان وحيدا لا رفيق له ، ولم يمض إلا زمن قصير جدا حتى عاد من هناك بعد أن غنم ستة عشر من الأشراف وساقهم بجانب عربته ، وكذلك كان معه عشرون يدا (مقطوعة) معلقة على معرفة جواده ، هذا إلى ستين ثورا ساقها أمامه ، وعلى ذلك طلبت هذه المدينة الأمان من جلالته » .

الفرعون يقبض فى عودته إلى الوطن على رسول معادٍ : « وبعد ذلك سار جلالته جنوبا فى وادى « شارونا »[3] ، فقابل هناك رسول أمير « نهرين » وكان يحمل (حول) عنقه كتابا على لوحة من الآجر مختوما فأخذه أسيرا بجانب عربته ، ثم فض جلالته خيامه وحملها على خيله ، وبقى معه الشريف السورى وحده أسيرا » .

العودة نحو منف وفحص الغنائم التى عاد بها الفرعون : «وقد وصل جلالته إلى « منف » وقد كان قلبه فرحا مثل قلب الثور القوى » .

قائمة الغنائم : «خمسمائة وخمسون شريفا سوريا...(؟)، وأربعون ومائتا امرأة ، وأربعون وستمائة كنعانى ، واثنان وثلاثون ومائتان من أبناء الأمراء ، وثلاث وعشرون وثلثمائة من بنات الأمراء ، وكذلك حظيات أمراء من كل الأراضى الأجنبية : سبعون ومائتان بحليهن المصنوع من الفضة والذهب

---

(١) لا بد أن غابة « رابيو » تقع بالقرب من « قادش » حيث يوجد عدد عظيم من الحيوان البرى وقد جاء ذكر المهارى البرية ، وقد غنم منها الفرعون «تحتمس الثالث» ١٩١ مهرا خلال حملة مجدو (راجع Urkunden IV. P. 662ff.) ولا نزاع فى أن غرض الفرعون من إصابة الهدفين أمام أولئك القوم هو إظهار ما كان عليه الفرعون من الحذق فى إصابة المرمى .

(٢) تقع مدينة « خاشابو » على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوبى « صيدا » على ساحل « فينيقيا » وقد جاء ذكرها فى خطابات « تل العمارنة » « خاشابايو » والظاهر أنها هى البلدة التى تسمى الآن «حسبية» عند منبع نهر « الحسبانى » .

(٣) سارونا (شارونا) : ذكرت هذه البلدة فى خطابات « تل العمارنة » باسم « شارونا » . وهى فى سهل البحر الأبيض المتوسط بين « يافا » و « قيصرية » .

الذى كن يحمله ، ويبلغ الكل أربعة عشرة ومائتين وألفين [(١)] ، يضاف إلى ذلك عشرون وثمانمائة جواد وثلاثون وسبعمائة عربة بكل معدات الحرب ، وقد أدهش الزوجة [(٢)] الإلهية والزوجة الملكية ، والابنة الملكية انتصاوات جلالته [(٣)] » .

---

(١) المجموع الذى أعطى فى النص خطأ ويجب أن يكون خمسة وخمسين ومائتين وألفين .

(٢) المقصود بالزوجة الملكية هو « تى عا » التى عثر لها على جزء من تمثال فى حفائر الجيزة . وكذلك يحتمل أن المقصود هنا بزوج الإله هى أم الفرعون « امنحتب الثانى » « مريت رع حتشبسوت » الثانية وتمييز هذه الألقاب هنا صعب جدا ، ومن المحتمل أن « تى عا » كانت تحمل كل هذه الألقاب بعد أن وضعت « تحتمس الرابع » وهو الصواب

(٣) جاء فى متن الكرنك عن فتح بلدة «نى» ما يأتى : «الشهر الثانى من الفصل الثالث اليوم العاشر وقد زحف جلالته عند ما كان سائرا نحو الجنوب إلى مصر على خيله إلى بلدة « نى » . تأمل فإن أسيويى هذه المدينة رجالا ونساء كانوا واقفين على جدرانهم مادحين جلالته ... للإله الطيب» . ويلاحظ أن هذا المتن يقرب بعض الشىء من متن لوحة « منف » كما يلاحظ أن فى لوحة الكرنك يذكر المتن تواريخ المعارك وقد خلت منها لوحة «منف» . بعد ذلك نجد المتنين يختلفان اختلافا بينا من جهة سرد الحوادث : «وحتى بلدة» «أوجاريت» قد كتبت بطريقة مختلفة فى متن «الكرنك» تأمل ! إن جلالته قد سمع ماقيل من أن بعض اولئك الأسيويين الذين كانوا فى مدينة « إكاثى » (Ikathy) قد تآمروا على عمل خطة لطرد مشاة جلالته الذين كانوا فى المدينة لأجل أن يغلبوا ... الذين كانوا على الولاء لجلالته ، وعندئذ وضعهم جلالته فى [... هذه المدينة ... وهزمهم (؟) فى الحال ، وهدأ هذه المدينة ... ضد كل بلاد كذا ... الشهر الثانى من الفصل الثالث اليوم العشرون + س ... [... ...] جعل مدينة « إكاثى » ... ... وباقى الأسطر من اللوحة حتى سطر ٢٩ لا نجد منها إلا بعض عبارات مبعثرة أهم ما فيها هى الكلمات التالية : «من أطفاله . تقرير بما استولى عليه جلالته (سطر ٢١) عربته (سطرا ٢٦) . قائمة الأسرى (سطر ٢٧) أسلحة حرب لا حصر لها (٢٨) وكان جلالته قد زين بشعار ملكه » . وبقرن هذا المتن بمتن لوحة « منف » نجد أن بلدة « أكاثى » لم يرد ذكرها فى المتن الأخير . وكذلك نجد حتى بقرن الألفاظ التى جاءت مبعثرة فى متن «الكرنك» مع متن «منف» أنه ليس هناك أى تشابه بل نجد أن الفرعون قد فتح بلدانا أخرى ربما جاء ذكر بعضها فى متن الكرنك المهشم .

وقد كانت آخر بلدة مر بها الفرعون فى عودته إلى مصر فى متن الكرنك هى بلدة « خاتيثانا » (Khatithana) أما فى لوحة « منف » فقد جاء أنه قفل راجعا بعد فتح «خاشابو» مارا ببلدة =

= «شارونا» ومنها إلى «منف» . أما فى متن الكرنك فانه قفل راجعا من «خا تيثانا» إلى «منف» وهاك المتن الذى تبق :

... ... جلالتـه قبيلة « خا تيثانا » مجتمعة ... ... تأمل الرئيس ... ... المدينـة خوفا من جلالته . رؤساؤه وزوجاته ، وأطفاله قـد سيقوا أسرى ، وكذلك كل قومه . [تقرير عما استولى عليه جلالته نفسه ... ... خيله .

العـودة الى منف وكذلك فى مـتن الكرنك نجد كاتب اللوحة قـد أعطانا تاريخ العـودة إلى « منف » ولم يبق منه إلا يوم الشهر وهو السابع والعشرون . ونجد فى هذا المتن تفصيلات لا توجد فى مـتن « منف » وهاك متن لوحة الكرنك ... ... اليوم السابع والعشرون خرج جلالته من معبـد صاحب الوجه الجميل (بتاح) وذهب إلى « منف » حاملا معه الغنيمة التى سلبها من بلاد « رتنو » .

قائمة بما استولى عليه :

٥٥٠ + س شريفا من المريانا أحياء .

٢٤٠ — من أزواجهم

٦٨٠٠ — دبنا مصنوعة أوانى من الذهب (= ٦٥٧½ رطلا) .

٥٠٠٠٠٠ — دبنا من النحاس (= حوالى مائة ألف رطل) .

---

٢١٠ جواد .

٣٠٠ عربة .

وقد شاهدت كل البلاد انتصارات جلالته . أقسم بالإله الطيب سـيد الأرضين رب القربان ... محبوب « آمون » حامى من فى « طيبة » المحتفل بأعياد بيت آمون ، سيد « طيبة » [... ...] ابن الشمس « تحتمس » الرابع معطى الحياة أبد الآبدين .

فإذا قرأنا ما جاء فى هـذا المتن بما فى متن « منف » نجد أن هناك بعض الفروق و بخاصة فى عدد الأسرى كما نجد أن متن « منف » قد أغفل كلية أوانى الذهب ومقدار النحاس ، وكذلك نلحظ أن أوّل عمل قام به الفرعون عند دخوله « منف » أن زار معبد الإله « بتاح » ثم ذهب إلى قصره . وأخيرا نجد أن هذا المتن قد نقشه « تحتمس الرابع » ابن أمنحتب الثانى بعد وفاة والده .

حملة السنة التاسعة

التاريخ : « السنة التاسعة الشهر الثالث من فصل الربيع اليوم الخامس والعشرون زحف جلالته على بلاد « رتنو » فى حملته الثانيــة المظفرة على بلدة « ابق »[١] فطلب أهلها الأمان بسبب ما أحرزه الفرعون له الحياة والسعادة والصحة من الانتصارات » .

الفرعون يسير نحو « يحما » ويخرب القرى المجاورة : « ثم زحف بعــد ذلك جلالته بجياده وعدة حربه نحو « يحما » فنهب جلالتــه قرية « ما باسن »[٢] وقرية « حاتيشان » وهما قريتان غربى « سوكا »[٣] وقد هاج هناك الملك كالصقر المقدس ، وعندئذ طارت جياده كالشهاب حينما ينقض من السماء ، ولم يكد جلالته يدخل المعمعة حتى أسر أمراء البلدة وأولادهم وزوجاتهم ، وكل أتباعهم وكل متاعهم الذى لا يحصى من بهائم وجياد والماشية الصغيرة » .

الإله آمون يظهر للفرعون فى حلم و يمنحه القوة : «وقد اضطجع جلالته ليستريح فأتى فى المنام جلالة هذا الإله البهى «آمون » رب « الكرنك » إلى جلالة ابنه الملك « عاخبرورع » ليمنحه القوة ، وقد كان الوالد « آمون » يرغب فى أن يحمى بأعضائه هذا الفرعون » .

الملك يحرس بمفرده أسرى الحرب الذين أسرهم فى بلاد السامريين : وفى الصباح المبكر سار جلالته فى عربته نحــو بلدة « إتورين » (Itwryn) ثم بلدة « مجــدول يون »[٤] . وقد كان جلالتــه فى قوة الإلهة «سخمت » ومثل الإله « منتو » فى « طيبــة » فأسر أمراءهم و يبــلغ عددهم أربعة وثلاثين ، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبدا ، وواحد وثلاثين ومائة أسرى ، واثنين وسبعين

---

(١) المقصود هنا بلدة «ابق» التى تقع فى أقصى جنوب جبال جلبوا (Gelboa) فى شمال فلسطين على بعد عشرة كيلومترات من « بيت شان» (Beth Schan) ، و يدل المتن الذى يلى هذا على أن تلك الحروب شنت على فلسطين الشمالية .

(٢) تقع كل من بلدة « ماباسن » و « خاتيثان » غربى « شويكه » فى إقليم السامريين .

(٣) أما « سوكا » فهى بلدة « شويكة » الحالية الواقعة شمالى « نابلس » .

(٤) الظاهر أن بلدتى « تورين » و « مجدول يون » يقعان فى إقليم السامريين ، غير أن موقعهما بالضبط لا يمكن تحديده ولكن شــواهد الأحوال تنبىء بأنهما على مقربة من بلدة « شويكة » وذلك أنه من المؤكد أن الفرعون بعــد رؤيته التى رآها فى نومه بجــوار شويكة قام بعــدها فى الصباح المبكر وهاجم هاتين المدينتين .

وثلثمائة يد ، وأربعة وخمسين جوادا ، وأربع وخمسين عربة حرب بكل معداتها ، كما استولى على كل الرجال البالغين وأطفالهم ونسائهم ، وكل متاعهم . ولما رأى جلالته كثرة الغنائم التي استولى عليها أراد أن يأخذ الأسرى أحياء فحفر خندقين حول أولئك الأسرى ، وسهر على حراستهم حتى مطلع الفجر وفي يمينه (بلطة) قتاله ، وكان وقتئذ وحيدا لا أحد بجانبه ، وكان جنوده بعيدين عنه على الطريق ، ولم يسمعوا إلا صوت طلب النجدة من الفرعون . وفي الصباح الباكر من اليوم التالي سار الفرعون على جواده ثانية ، وكان مدججا بأسلحة الإله « منتو » .

الفرعون ينهب « آنا وخراث » في عيد التتويج : « وفي يوم عيد تتويج جلالته[١] نهب بلدة « أنا وخرث[٢] » : قائمة بغنائم جلالته في ذلك اليوم بمفرده : سبعة عشر شريفا أسيويا وستة من أولاد الأمراء ، وثمانية وستون أسيويا ، وثلاثة وعشرون ومائة يد (مقطوعة) ، وسبعة جياد ، وسبع عربات حرب من الفضة والذهب ، وكل معدات حروبها ، وثلاثة وأربعون وأربعمائة ثور ، وسبعون وثلثمائة بقرة ، وعدد لا يحصى من الماشية الصغيرة ، وقد قدم كل الجيش الغنائم التي يخطئها العد للفرعون من بهائم وجياد وماشية صغيرة » .

الفرعون يستولى على « جرجور » أمير « قبعاسومنه » : « ثم زحف جلالته على « هو عكتي » وأسر أمير « قبعاسومنه[٣] » واسمه « جرجور » ، وقد استولى كذلك على زوجه وأولاده وأتباعه ، وعين بدلا منه أميرا آخر » .

العودة الى « منف » وإحصاء الغنائم : « وبعد ذلك قفل جلالته راجعا الى مدينة « منف » وقلبه مفعم بالسرور من كل البلاد الأجنبية ، وذلك بعد أن جعل كل الأصقاع تحت موطىء قدميه » .

---

(١) يوم تتويج الفرعون كان أول يوم بشنس وبذلك يكون نهب بلدة « أنا وخرات » بعد خمسة أيام وخمسة أشهر من بداية الحملة التي قام بها الفرعون في السنة التاسعة من حكمه .

(٢) وبلدة « أنا وخارات » لا يعرف موقعها بالضبط وقد ذكرت في حروب « تحتمس الثالث » (Urk. IV. P. 783.) ، وهي البلدة الجبلية الواقعة عند المنحنى الجنوبي لمرتفع « مورة » قبالة « نفتالى » التي ذكرت في (Joshua , 19,19) .

(٣) لقد ذكرت إمارة « قبعاسومنه » في حروب « تحتمس الثالث » (Urk. IV. P. 782.) ويقول عن هذا المكان « مسبرو » أنه يقع على أطلال « الشيخ أبريق » جنوبي « حيفا » ، ويقول عنه « بورخارت » أنه « عبق شبعه » « تل السبعة » .

قائمة بالغنائم التى عاد بها جلالته الى الوطن : « سبعة عشر ومائتا أمير من « رتنو » ، وتسعة وثمانون ومائة من إخوة الأمراء ، وستمائة وثلاثة آلاف من العبرو[(١)] ، ومائتان وخمسة عشر ألفا من البدو ، وثلثمائة وستة وثلاثون ألفا من السور يين ، وستمائة وخمسة عشر ألفا من أسرى « نجس[(٢)] » (لا عاش) هـذا الى اثنين وخمسين وستمائة وثلاثين ألفا من أتباعهم ، فيكون المجموع الكلى ستمائة وتسعا وثمانين ألف نسمة[(٣)] ، يضاف الى ذلك متاعهم الذى لا يحصى ، وكل بهائمهم ، وكل مواشيهم الكبيرة التى يخطئها العـدّ ، هذا الى ستين عربة حرب من الفضـة والذهب ، واثنين وألف ملونة ، وعربات حرب من الخشب بكل معداتها الحربية وكذلك خمسون وثلاثون عشر ألفا من الجياد ، وذلك بقوّة الإله « آمون » الوالد المبجل المحبوب منه ، والذى منحه حمايته ، و إنه « آمون » هو الذى حباه بالشجاعة[(٤)] » .

أمراء آسـيا العظام الذين راعهم انتصارات الفرعون يرسلون رسل السلام الى البلاط : « ولما سمع أمير « نهـرين » وأمير بلاد « خاتى » وأمير « سانجار » بالانتصارات العظيمة التى أحرزها جلالته ، حمل كل واحد منهم هدايا الودّ والمصافاة لرب كل الأراضى الأجنبية وقد

---

(١) إن أهم مايلفت النظر هنا فى قائمة الأسرى ذكر أجناس الأقوام الذين كانوا يقطنون « سوريا » وفلسطين منذ عهد البرنز المتأخر ، وقد ذكروا بالترتيب من الجنوب الى الشمال . ومما له أهمية عظمى بين أولئك الأقوام الذين ذكروا هنا لأول مرة بوصفهم سكان الجنوب قوم « عبرو » (العبرانيون فيما بعد) وقد جاء ذكرهم فيما بعد فى خطابات « تل العمارنة » بلفظة « خبيرو » وهم العبرانيون الذين ذكروا فى الكتاب المقدس وورود اسمهم هذا يعضد ما جاء فى رسالة أنطون يركو (راجع Anton Jirku, "Die Wanderung der Hebrair in Dritten und Zweiten Vordrnistlichen Jahrtausand (Alte Orient, Bd. 24, Heft, 2. Leipzig).

(٢) وقـوم « نجس » يقابل ما ذكر فى الخـط المسمارى « نوخاشى Nuchassi » والظاهر أنه فى ثنايا هذا الاسم قد خبئ أصل كلمة « لاعاش » ، وسلالة « لاعاش » كانوا يسكنون فى الإقليم الواقع بين « قرقيش » وقادش (= تل نبى مندو) ، و بلادهم لا تبعد كثيرا عن نهر الفرات عند انحنائه الغربى على شاطئه الغربى قبالة بلاد المتـنى (راجع Vgl. M. Noth, "Lacach und Hazrak" (Z. O. P. V. Bd. 52. (1929). s. 138. .

(٣) يلاحظ هنا أن المجموع فى المتن خطأ ، والظاهر أنه قد ترك ٢١٨٥ من الأسرى لم يحسبوا .

(٤) ونجد هنا كذلك أن الكاتب قد ذكر عددا وفاته أن يذكر نوعه ، والظاهر هنا أنه عدد الجياد لأن الحديث كان عن العربات .

وطدوا العزم على أن يطلبوا الى جلالته أن يمنحهم نفس الحياة كما كان يفعل والد آبائهم ، وقالوا : لقد حضرنا بهدايا الى البلاط يابن « رع » يا « أمنحتب » يأيها الإله ، وأمير «هليوبوليس» ، و يا أمير الأمراء ، و يأيها الأسد المصور ، و بذلك أبعد الخوف من هذه البلاد الى الأبد » .

و يدل مالدينا من معلومات على أن «أمنحتب» الثانى قد قام بحروب فى آسيا قبل الحملة التى يطلق عليها الدكتور « بدوى » الحملة الأولى فى لوحة « منف » السنة السابعة من سنى حكمه . غير أنه مما يؤسف له جدّ الأسف أن بداية لوحة الكرنك التى كانت حتى زمن قريب مصدرنا الوحيد عن حروب هذا الفرعون ، قد ضاع منها الجـزء الذى دوّن فيـه .

تاريخ بداية الحملة الأولى : وقد ذهب بعض المؤرّخين أنها السنة الثانية من حكم هـذا الفرعون ، وذلك استنباطا ممـا جاء على لوحتى « أمدا » و « الفنتين » المؤرّختين بالسنة الثالثة من حكم « أمنحتب الثالث » ، وقد جاء فى نقوشهما ذكر انتصار الفرعون على بلاد « التخسى » الواقعة فى شمال «سوريا» . على أن البعض يظنّ أن هذه الحملة قد قامت فى السنة الثالثة ، وقد عدّها حملته الأولى المظفرة إلى بلاد « رتنو » . على أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء فى لوحة «منف» التى يذكر فيها أن حملته الأولى كانت فى السنة السابعة من حكمه . وقبـل أن نفحص هـذا التناقض نضـع أمام القـارئ ما جاء على لوحة « أمدا » خاصـا بإقامة اللوحة التذكارية فيها ، وما نوه به الفرعون عن حروبه قبل السنة الثالثة . «وبعد ذلك أمر جلالته بنحت هذه اللوحة لتقام فى المعبد فى مكان « موقف الملك » (١) وتنقش باسم سـيد الأرضين العظيم

(١) « موقف الملك » هو المكان الخاص الذى يقف فيه الفرعون فى قدس الأقداس لتأدية الشعائر الدينية . وقد عرف من هذه « المواقف » واحد فى « أمدا » وثان فى الفنتين ، وثالث فى « طيبة » (فى معبد «أمنحتب الثالث» فى الجهة الغربية من النيل) وكذلك يوجد واحد فى «منف» (راجع Breasted, A. R. II. §. 140).

ابن الشمس « أمنحتب » الثانى حاكم « هليوبوليس » المقدس فى بيت الآباء وهم الآلهة بعد عودة جلالته من « رتنو » العليا ، وكان قد هزم كل أعدائه مادا حدود مصر فى حملته الأولى المظفرة .

تضحية الأمراء الأسيويين : وعند ما عاد جلالته بقلب فرح لوالده « آمون » ذبح بيده الأمراء السبعة الذين كانوا فى إقليم « تخسى » وقد علقوا منكسى الرءوس عند مقدّمة سفينة جلالته التى كانت تسمى « عاخبرورع » (أمنحتب الثانى) مؤسس الأرضين» وقد علق ستة رجال من أولئك الخاسئين أمام جدار « طيبة » وكذلك تلك الأيدى[1] . أما الخاسئ الآخر فإنه أخذ إلى بلاد النوبة ، وعلق على جدار « نباتا » لأجل أن يظهر انتصارات جلالته أبد الأبدين فى كل الأراضى وفى ممالك أرض السود ، ومنذ ذلك استولى على أهل الجنوب ، وغل أهل الشمال وهى الأراضى الخلفية لكل العالم الذى يضىء عليه الإله « رع » وذلك لأجل أن يجعل حدوده تمتدّ على حسب ما يرغب فيه ، ولا أحد يقاوم يده كما أمر والده « رع » و « آمون رع » رب « طيبة » ، وذلك لأن ابن رع من جسده ومحبوبه « أمنحتب الثانى » حاكم « هليوبوليس » المقدّس يعطى الحياة والثبات والرضا ، وسرور القلب على يديه مثل « رع » مخلدا أبدا .

التعليق على هذه النصوص وملخصها : فهذا النقش الذى أرّخ بالسنة الثالثة من حكم « أمنحتب الثانى » يدل دلالة واضحة على أن هذا الفرعون قد قام بحروب قبل حملته الأولى التى جاء ذكرها على لوحة « منف » . والواقع أن « أمنحتب » الثانى كان قد قام بهذه الحرب فى السنين الأولى من حكمه ، وذلك لأن بلاد « تخسى » هذه لم تذكر لا على لوحة الكرنك ولا على لوحة « منف » الجديدة . غير أن المشكل هنا فى ذكر عبارة « حملته الأولى المظفرة » التى جاءت على لوحة « أمدا » ثم جاءت على لوحة « منف » ثانية مع أن الأولى مؤرّخة على أكثر تقدير بالسنة الثالثة ، والثانية مؤرّخة بالسنة السابعة من حكمه ، فهل تشير هذه الجملة التى على اللوحة الأولى إلى أنه قام بهذه الحرب عند ما كان مشتركا مع والده

---

(١) أى الأيدى التى قطعها بعد قتل أصحابها .

فى الحكم[١]، وأنه عند ما انفرد بالملك تكلم عن حملته فى السنة السابعة من حكمه بأنها حملته الأولى ؟ هذا مالا يمكن القطع به على وجه التأكيد .

حقا إن النقوش تدل دلالة واضحة على أن « أمنحتب » كان قد اشترك مع والده فى حكم البلاد كما أشرنا إلى ذلك من قبل ؛ غير أننا لا نعلم مدة اشتراكه معه فى الحكم فهل عند ما بلغ « أمنحتب » سنّ الثامنة عشرة من عمره أشركه معه والده فى الحكم ، وأعطاه مقاليد الأمور فى يده ، وبقى يعمل منفردا فى حكم البلاد حتى وافى والده الموت ، وأصبح هو الملك الوحيد بلا شريك ، ومن ثم قام بحملته الأولى المظفرة منفردا فى السنة السابعة من حكمه أى أنه قد

---

(١) يعتقد كل من « زيته » (Untersuchung I. P. 55.) و « برستد » فى اشتراك « أمنحتب الثانى » فى الحكم مع والده « تحتمس الثالث » ، ويقول « برستد » إن هذا الاشتراك لابدّ كان قد بدأ فى السنة الثالثة والخمسين ، أو فى أوائل السنة الرابعة والخمسين لأننا نجد « تحتمس الثالث » لا يزال وحده فى السنة الثانية والخمسين L. D. III. Pl. 45e. & Sethe "Untersuchung" I, 23. No. 1. و« أمنحتب » الثانى وحده فى السنة الثالثة من حكمه . ولما كانت الحملة التى قام بها فى « آسيا » قد انتهت فى السنة الثالثة من حكم « أمنحتب » وكان لا بدّ من القيام بها لموت « تحتمس الثالث » ، وقيام الثورات فى آسيا على إثر وفاته — فانه من الواضح أن « أمنحتب » قد حكم سنته الأولى مع « تحتمس » الثالث ، وحارب حربه فى « آسيا » فى السنة الثانية وذهب إلى بلاد النوبة فى سنته الثالثة ليستعدّ لإتمام معبدى والده فى « الفنتين » و « أمدا » (راجع Breasted. A. R. II. § 180.) غير أن الأستاذ « أدورد مير » يقول إن هذا الزعم يناقض ما جاء فى ترجمة حياة « أمنحاب » عن توليه العرش ، إذ يقول إن « أمنحتب » تولى العرش بعد موت والده . أما عن إهداء « أمنحتب » الثانى تمثال والده « تحتمس الثالث » ، إلى « نب واوى » وقد كتب على التمثال « العائش أبديا » فإن العبارة الأخيرة ليس محققا وجودها . أما عن معبد « أمدا » فإن « أمنحتب » الثانى لم يقم ببنائه مع والده فى وقت واحد بل أكمل بناءه (راجع Breasted, "Temples of Lower Nubia", (A. J. S. L, Vol. XXIII, (1906). P. 48ff. Meyer, "Gesch" II, § 147. N. 1.) .

ومع كل ذلك فان اللوحة التى أقامها « أمنحتب » الثانى فى « منف » يستنبط منها أن « أمنحتب » اشترك مع والده .

حسب سنى حكمه منذ أن اشترك مع والده فى الحكم ، وبذلك لا يكون هناك أى التباس فى هذه العبارة فى كلا النصين[1] (؟). كل هذه احتمالات قد تكون صائبة أو شطت عن الصواب ، أما العقدة الثانية فى نقوش « أمنحتب » الثانى الحربية فتنحصر فى عدم انسجام ما جاء على لوحتى « الكرنك » ولوحة « منف » فى كثير من النقط ، وبخاصــة فى عدد الغنائم ونوعها ، وكذلك فى ذكر المــدن التى فتحها الفرعون . والظاهر أن هذا الاختلاف قد نشأ من أن اللوحة الجديدة قــد أقامها الفرعون « أمنحتب الثانى » بعد عودته من الحملتين اللتين قام بهما فى السنة السابعة والسنة التاســعة من حكمه فى « منف » مسقط رأسه ، وهى المدينة التى اســتعرض فيها غنائم حربه . أما لوحة الكرنك فيظهر أن الذى أمر بإقامتها هو ابنه «تحتمس الرابع» كما تدل على ذلك الجملة الأخيرة التى جاءت على هذه اللوحة ، ولا بدّ أن الحفار الذى دوّن نقوش هذه اللوحة لم ينقلها عن الأصل الذى فى «منف» ومن المحتمل أن لوحة « الكرنك » كذلك قد احتوت حوادث حروب هــذا الفرعون دون مراعاة الدقة فى عدد الغنائم والبلاد التى فتحت ، بل نشاهد أنه قد ذُكر عليها أحيانا تفاصيل لم توجد على لوحة « منف » وأحيانا نجــد إغفال ذكر تفاصيل أخرى . ولا غرابة إذا كنا نجد أن « تحتمس الرابع » قد نقل حوادث حملة والده من التقارير الرسمية المحفوظة ضمن الوثائق الحكومية التى كانت تحفظ فى سجلات خاصة ، ولا أدل على ذلك من أننا نجد تواريخ لتنقلات جيوش « أمنحتب » كانت تدوّن بكل دقــة فى هــذة اللوحة ، والواقع أن « تحتمس » الرابع كان مغرما بتخليــد ذكر أجداده فهو الذى أقام مسلة « تحتمس الثالث » المنفردة كما فصلنا القول فى ذلك بعد أن بقيت ملقاة على الأرض نحو خمسة وثلاثين عاما .

---

(١) راجع ما كتبه حديثاً الأستاذ « جاردنر » عن توليــة « سنوسرت » الثانى وما فى ذلك من تشابه مع «أمنحتب الثانى» (J . E. A. Vol 32 p 100) .

هـذا فضلا عن أنه قـد ذكر فيها ما دخل الخزانة من أموال مثـل الذهب والنحاس ممـا أغفل ذكره فى نقش لوحة « منف »، كما أغفل ذكر تفاصيل الخيالة التى تثبت فى الوثائق الرسمية .

وســواء أكانت حملة بلاد « تخسى » قـد قام بها « أمنحتب الثانى » خلال مدة اشتراكه مع والده فى الحكم أم فى عهد حكمه المنفرد، فإنها كانت أوّل الحروب التى شنها على آســيا ، ومن المحتمل أن بلاد « تخسى » قـد ذكرت فى الجزء الذى ضاع على لوحة الكرنك، على أنه لم يذكر على لوحة « منف »؛ غير أن من المستبعد أن نجد « أمنحتب الثانى » يفخر بقتل أمراء « التخسى » فى ثلاثة نقوش أقامها فى « أمدا » و « إلفنتين » وفى « أرمنت » ثم لا يذكرها فى لوحتـه التى أقامها فى « منف » وعدّد فيها بالتفصيل كل البلاد التى فتحها حتى القرى الصغيرة .

ولا غرابة فى أن نجد أهل ولايات « آسـيا » قد أخذوا يشقون عصا الطاعة على هذا الفرعون الفتى ؛ إذ كانوا يريدون دائما أن يعجموا عود الفرعون الجديد فتلك كانت أخلاقهم؛ لو يجدون مغمزا أولينا أو مدخلا لولوا وهم يجمحون متحرّرين من نير الحكم المصرى ، وبخاصـة أن بقايا « الهكسوس » كانوا لا يزالون يعالجون النفس الأخير من حياتهم فى تلك الجهات . هذا فضلا عن أنه من اللحظات الخطرة فى حياة أية دولة ناشئة أن يتـوفى منشئها والبـلاد التى فتحها لم تألف بعـد عيشة الخضوع والاستسلام لحاكم لم يعرفوا عنه شيئا . على أن من المشكوك فيه فى نظر القوم أن يكون فى قدرة الفرعون الجديد أن يظهر من النشاط العظيم مايجعله ناجحا فى إدارة حكم ممتلكاته مثـل سلفه المتوفى، ويشكون كذلك فى أن يكون عنده من المهارة ، وحصافة الرأى ما يجعله يقدّر ما على هـذه البلاد من جزية بصـورة لا تجعل أهلها يئنون تحت عبئها ، فإذا لم يظهر هـذا الحاكم الجـديد أن فى قـدرته المحافظة على ما تركه له سلفه من إرث بأى ثمن كان ، وأن عماله لا يزالون قادرين على السيطرة على مقاليـد الأمور من غير خور أو فتور ، فإن رعاياه لا بدّ ثائرين عليه، و بذلك

يصبح تغير العاهل فرصة سانحة لإعلان العصيان العام فى كل أنحاء الامبراطورية . والواقع أن أهالى « ســوريا » قد أرادوا أن يعجموا عود هــذا الملك الجديد كما فعلوا مع والده « تحتمس الثالث » الذى خيبت مهارته الحربية رجاءهم ، وقضى على قوتهم قضاء حاسما بأسرع ما يمكن،ومع ذلك فإنهم أعادوا الكرة مع ابنه، فكان التنكيل بهم أشــنع ، فقد قاد تلك الحملة الغامضــة إلى بلاد « تخسى » وهى التى نكل فيها بالأمراء السبعة كما ســبق ذكره ، وتدل اللوحة الجــديدة على أن أهالى « سوريا » وفلسطين قد أخلدوا للسكينة مدّة حتى العام السابع من حكمه أى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وذلك عندما قام بحملته الأولى زاحفا بجيشه على بلاد «رتنو» ليخضع أولئك الأمراء الذين شقوا عصا الطاعة عليه، فوصل إلى بلدة « شماش ادوم » فخربها واستولى عليها فى مدة قصيرة،وكان هو الذى يقود الجيش بنفسه فى عربته المسماة" « آمون قوى » و «موت راضية»، و « خنسو » صاحب المشاريع الطيبة"، وبعد أن غنم منها بعض الغنائم عبر «نهر الأرنت» ، غير أنه أدرك فى الحــال أن بعض الأسيويين أرادوا أن يهاجموه من الخلف فعاد إليهم ثانية ، وانقض عليهم انقضاض البــاشق الإلهى ، ولم تنفعهم ثقتهــم بنفسهم بل دب فى نفوسهم الرعب ، واستولى عليهم الفزع . وتساقطوا مكدسين بعضهم فوق بعض حتى قائدهم . وتقول النقوش إنه لم يكن ثمة من ينازلهم فى الميدان إلا «أمنحتب» وليس له رفيق إلا سيفه البتار،وقد غنم فى هذه المعركة أميرين من أمراء هذه الجهة، وبعض الأشراف هذا إلى عرباتهم وخيولهم وكل أسلحتهم » .

والظاهر أن مدينــة « نى » قد سمعت بانتصارات الفرعون وقوته فدب فى نفوسهم الفزع حتى أن الفرعون لم يكد يظهر بجيشه أمام المدينة حتى رأى أهلها وعظماءها واقفين على أسوارها مقدمين له فروض الطاعة والولاء .

وبعد أن تم تسليم مدينة « نى » سار الفرعون بجيشه نحو « أوجاريت » (رأس الشمرة) الواقعة على مسافة[1] أحد عشر كيلومترا شمالى«اللاذقية»وضرب خيامه

(١) راجع : Gardiner, "Onomastica", Vol. I. P. 151.

هناك فهزم العدو هزيمة منكرة، وجعل عاليها سافلها ثم قفل راجعا بقلب يغمره الفرح ويملؤه الفخار بعد أن أصبح مسيطرا على كل هذه البلاد الأجنبية قاطبة ، وقد حدا الفرعون إلى تخريب « رأس الشمرة » ما سمعه عن أهلها وعن عزمهم على طرد الحامية المصرية من هذه البلدة ، من أجل ذلك ذبح المتآمرين ، وخلص المدينة منهم . (انظر مصور « رتنو العليا ») .

بعد هذا النصر عبر «امنحتب الثانى» نهر العاصى ثانية وعسكر على الجانب الشرقى عند « جبل الأقرع » بالقرب من بلدة «سالحى» وتقع على منحدر نهر « الأرنت » ، وشرقى بلدة تدعى « شماش رام » (الشمس العالية) وهو مكان غير معروف ، خرب قرية « منزاتو » ، ولما سار جلالته إلى قرية « هثرع » خرجوا وعلى رأسهم أميرهم حاملين كل أمتعتهم وقدموها للفرعون بقلوب فرحة ، وقد سرى خبر ذلك إلى بلدة « ينقا » فخرج أهلها لمقابلته مقدمين فروض الطاعة أيضا ، وكل هذه البلاد تقع بالقرب من « قادش » على الضفة اليمنى لنهر « الأرنت » .

وبعد أن تم للفرعون الاستيلاء على هذه القرى والبلدان زحف إلى مدينة «قادش» العظيمة وعسكر أمامها ، ولم يكد أهلها يعلمون بوجوده حتى خرجوا لمقابلته بقلوب ملؤها الفرح والسرور ، وعقدوا له يمين الطاعة والولاء .

وبعد أن تم «لأمنحتب الثانى» النصر على كل هذه الأماكن . وبخاصة الاستيلاء على « قادش » أراد أن يقلد والده « تحتمس الثالث » ، بل يفوقه فى فنون الصيد والرماية ، فقام أولا بأعمال رياضية تدل على حذقه فى إصابة المرمى ، وإحكام رماية الهدف فأصاب هدفين من نحاس بسهامه أمام أهل المدينة ، ثم قام بنزهة للصيد والقنص فى غابة جبال « رابيو » ورجع من طراده بغزلان ومهارى ، وأرانب برية ، وحمير وحشية لا يحصى عددها .

وبعد ذلك سار « أمنحتب » بعربته منفردا نحو مدينة « خاشابو » الواقعة على مسافة ثلاثين كيلومترا من جنوبى « صيدا » على ساحل « فينيقيا » (بلدة

«حسبية» الحالية عند منبع نهر «الحسبانى»)؛ ولم يستغرق الاستيلاء عليها إلا مدة قصيرة، وقد عاد منها بغنائم كثيرة، إذ ساق أمامه ستة عشر من أشرافها كما علق عشرين يدا من التى قطعها على معرفة جواده، وكذلك قاد ستين ثورا، ولعمرى فإن أعمال هذا الفرعون فى مضمار الفروسية تذكرنا بسيرة «عنترة العبسى»، وأعمال فروسيته.

و بعد أن أحرز هذا الفرعون كل هذه الانتصارات المدهشة، سار جنوبا فى وادى « شارونا » وتقع بين « يافا وقيصرية » وقد جعل وجهته الوطن، فقابل هناك رسول أمير « نهرين » وكان يخفى معه خطابا كتب بالخط المسمارى معلقا فى رقبته ومختوما فأخذه الفرعون ، وساقه أسيرا بجانب عربته . وبعد أن مكث فى هذا المكان فترة قصيرة فض خيامه وحملها على خيله ، وقد بقى معه هذا الشريف السورى أسيرا ، وتابع بعد ذلك الفرعون السير نحو أرض الكنانة حتى وصل إلى « منف » عاصمة ملكه الثانية بقلب ملؤه الغبطة ، وتفيض منه القوة كأنه الثور القوى . وفى هذه المدينة المقدّسة التى كان قد ترعرع وشب فى ربوعها استعرض أمام الشعب ما غنمه فى حملته الأولى المظفرة من البلاد التى قهرها ، فدخل « أمنحتب » المدينة فى عربته المصنوعة من الذهب تجرّها كرائم الخيل ، وسير خلفه خمسين وخمسمائة شريف سورى ، وأربعين ومائتى امرأة وأربعين وستمائة كنعانى واثنين وثلاثين ومائتين من أولاد الأمراء وثلاث وعشرين وثلثمائة من الأمراء، وكذلك حظيات من البلاد الأجنبية كلها يبلغ عددهنّ سبعين ومائتى حظية عليهنّ حليهنّ من الذهب والفضة، ثم يأتى بعد ذلك عشرون وثمانمائة جواد، وثلاثون وسبعمائة عربة بكل ما يلزمها من عدّة ، ولقد بلغ من عظم هذه الغنائم أن أخذت الملكة الدهشة من عظم ما أحرزه زوجها الفتى من النصر وما حمله لبلاده من ثراء.

والظاهر أن « أمنحتب الثانى » لم يكن فى حاجة بعد ذلك للقيام بحملة ثانية فى العام التالى: كما كان يفعل والده بل بقى عامين فى عاصمة ملكه، ولا يبعد أنه كان ينظم شئون البلاد، و يقيم المبانى العدّة التى خلفها فى طول البلاد وعرضها كما سنرى.

وفى العام التاسع من سنى حكمه جاءته الأخبار بقيام ثورة فى شمالى «فلسطين» فزحف فى الحال بجيشه فى ربيع هــذه السنة إلى بلدة « إبق » فى شمالى فلسطين وتقع على مسافة نحو خمسة عشر كيلو مترا من «بيت شان» وشنّ على أهلها الحرب ولم يمض طويل زمن حتى طلبوا إليه الأمان، إذ كان قــد هزمهم هزيمة نكراء، وبعد أن استقرت الأحوال فى هــذه البلدة سار بجيشه نحو بلدة « يحما » التى تقع على مسافة خمسة عشر كيلو مترا غربى «إبق» السالفة الذكر، فخرب القرى المجاورة وسقطت فى قبضته قــرية « ما باسن » وبلدة « خاتيتان » ويقعان غربى بلدة « سوكا » وهى «شويكة» الحالية الواقعة شمالى مدينة «نابلس»، ثم أخذ الفرعون الغضب كأنه الصقر المقدّس، وطارت جياده كأنها الشهب المنقضة، ولم يكد يدخل المعمعة حتى إستولى على أمراء البلدة وزوجاتهم وأتباعهم وكل متاعهم. ومهما يكن من شىء فيبدو أن الفرعون كان مشغول البال حائر الفكر فى أمر الثورات التى كانت على ما يظهر منتشرة فى جهات «فلسطين» فكان يفكر فى أمرها ليل نهار، حتى أنه رأى فيما يرى النائم إلهه الأعظم « آمون » يبشره بالنصر على الأعداء مما شدّ عزيمته وقوى روحه لمنازلة الأعداء ، ولعله كان للأحلام وتفسيرها ســوق رائجة فى هــذا العصر ، فقــد كان « يوســف الصدّيق » الذى يحتمل أنه عاش فى هــذا العصر مشهورا بتوفيقه فى تفسير الرؤى وقتئذ ، وسنشاهد فيما بعد أن « تحتمس الرابع » قد بشره (بو الهول) بالملك فى رؤيا صادقة، وهو لا يزال أميرا .

وعلى أثر هذه الرؤيا قام « أمنحتب الثانى » فى الصباح المبكر، وأعدّ العــدّة لنفسه وسار بعربتــه منفردا نحــو بلدة « أتورين » ثم إلى بلدة « مجدول يون » وهذان البلدان يقعان فى إقليم السامريين. وهنا نجد الفرعون يأتى بالعجب العجاب فى مضمار الفروسية على غرار ما فعله فى مضمار التجديف والمباراة فى إصابة الهدف، بل ضرب هذا الرقم القياسى مما فاق ما نقرأه فى القصص الخيالى عن عنترة العبسى، وأبى زيد الهلالى وغيرهما من الفرسان . غير أنه قد أباح لنفسه إتيان مثل هــذه

المعجزات بقوله إنه كان فى قوة « سخمت » إلهة الحرب ، وقوة « منتو » إله القتال . فقد أسر أمراء هاتين المدينتين و يبلغ عددهم أربعة وثلاثين، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبدا، وواحد وستين ومائة أسيوى ، وأربع وخمسين عربة حرب بكل معدّاتها ، كما استولى على كل الرجال البالغين فيهما ومعهم نساؤهم وكل متاعهم . وقد أراد الفرعون أن يستولى عليهم أحياء فضرب عليهم حصارا بحفر خندق حولهم ، وسهر على حراستهم حتى الصباح ، وهو شاهر (بلطته) فى يمينه ، منذرا كل فار بالموت العاجل .

والواقع أن مثل هذه المشاهد الحربية تفوق ما نقرؤه فى « الإلياذة » عن أعمال «أخليس» ، و «هكتور» . ولا يبعد أن اليونان قد نقلوا هذه الأعمال الخارقة لحدّ المألوف عن المصريين ، وبخاصة أنهم كانوا ينسبونها إلى من يجرى فى عروقهم الدم الإلهى مثل « إخليس » ، ويقول المتن بعد ذلك ما يأتى : وفى الصباح المبكر من اليوم التالى سار الفرعون على جواده ثانية (بغنائمه) وكان مدججا بأسلحة الإله « منتو » ، وهذا نفس ما كان يفعله «أخليس» فإنه كان يدجج بأسلحة إله الحرب وهى التى كانت تهبه النصر . فإذا ما خلعها عنه ذهبت عنه القوّة الإلهية .

على أن هذا النصر المبين لم يرض أطماع هذا الفرعون الشجاع ، إذ آثر ألا يستريح يوم عيد تتويجه ، ويحتفل به ، بل زحف فى هذا اليوم على بلدة « أنا وخرات » واستولى عليها، وأسر أشرافها وخيلها ،ورجلها وعرباتها وماشيتها، وقد كان له نصيب الأسد فى الغنائم التى استولى عليها فى هذه المدينة، مما لم يسمع به من قبل فى أعمال البطولة المنفردة إلا فى أقاصيص «الإلياذة». وبعد ذلك علم أن « جرجور » أمير إقليم « قبعا سومنه » التى يقول عنها « مسبرو » إنها كانت تقع مكان بلدة « الشيخ إبريق » القائمة جنوبى « حيفا » قد شق عصا الطاعة فأسره واستولى على زوجه وأولاده وأتباعه، ونصب بدلا منه أميرا من الموالين له .

ومما سبق نعلم أن « أمنحتب الثانى » قـد أخضع كل السلالات التى كانت تقطن «فلسطين» فى خلال هذه الحملة وقد ذكرت كلها فى هذا العرض من الجنوب إلى الشمال، على أن أهم ما يلفت النظر من بين هـذه السلالات ذكر « العبرو » وهم الذين جاء ذكرهم فى خطابات « تل العمارنة » باسم « الخبيرو » وهم العبرانيون فيما بعد كما ذكرنا ذلك عند الكلام على الهكسوس .

و بعد أن وصل «أمنحتب» فى فتوحه إلى هذه النقطة قفل راجعا إلى أرض الكنانة جاعلا قبلته مدينة « منف » كما حدث فى الحمـلة الأولى، وقد كان مغتبطا مسرورا بمـا ناله من نصر فى كل البـلاد الأجنبية التى أصبحت خاضعة له تحت قدميه . وقد كانت الغنائم التى دخل بها عاصمة ملكه الثانية أعظم بكثير من الغنائم التى ظفر بها فى حملتـه الأولى ولا نزاع فى أن استعراضها كان من أعظم المشاهد التى عرفت فى التاريخ المصرى قاطبة فقد ساق إلى منف الأمراء والعظماء والأسرى من كل السلالات التى كانت تقطن « فلسطين » وقتئـذ حتى أن عددهم بلغ نحو تسعين ألف أسـير، هذا إلى عربات من الفضة والذهب يبلغ عددها نحو الستين عربة ، وأكثر من ألف عربة أخرى ملونة وغيرها بمعدّاتهـا . وكان الفضـل فى هذه الانتصارات و إحراز هذه الغنـائم راجعا للإله « آمون » والده الذى حماه فى ساحة الوغى وأمدّه بالشجاعة وقوة البأس، وساقه إلى هذا النصر ، وهذا الثراء و بذلك فاق والده « تحتمس الثالث » فى حملته الأولى إلى « سوريا »، ولم يكد يستقرّ المكان بالفرعون فى عاصمة ملكه حتى وفد على بلاطه عظماء أمراء « آسيا » الذين كانوا يرقبـون عن كثب انتصارات هذا الفرعون حتى راعهم ما كان عليه من قوة وشدّة بطش . وقد كان كل منهم يحمل من بلاده الهدايا التى تنم عن الولاء والإخلاص . وقد ذكرت لنـا المتون أن كلا من أمير « نهرين » وأمير « خيتا » وأمير « سنجار » قد وفدوا على جلالته راجين منه أن يمنحهم نفس الحيـاة متبعين فى ذلك السنة التى سار عليها آباؤهم من قبل . فاستمع إلى قولهم: "لقد حضرنا بهدايا

إلى بلاطك يا بن «رع» يا «أمنحتب»، و يأيها الإله، و يا أمير «هليو بوليس»، و يا أمير الأمراء، و يأيها الأسد المصور" و بذلك يبعد الخوف عن هذه البلاد أبد الآبدين» .

هذا موجز عما قام به «أمنحتب الثانى» فى آسيا فى سبيل توطيد أركان الملك الذى قام ببنائه «تحتمس الثالث» والده على أسس متينة بالنسبة لعصره ومما يلفت النظر فى تاريخ فتوح «أمنحتب الثانى» تدفق الأسرى الأجانب من «سوريا وفلسطين» رجالا ونساء مما كان له أثر بالغ فى الحياة المصرية الاجتماعية كما سنرى بعد .

أما عن حروبه فى السودان فيظهر أنه لم يحدث فى تلك الأقاليم الشقيقة ما يستحق الذكر، والظاهر أن تمثيل الفرعون بأحد أمراء «آسيا» فى بلدة «نباتا» كان بمثابة درس عملى ناجع فى جعل أمراء السودان يخلدون إلى السكينة طوال مدة حكمه . وقد ترك لنا «أمنحتب» نقشا فى إحدى مقابر رجال عصره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» ذكر فيه الأقاليم التى كان يسيطر عليها «أمنحتب الثانى» وهى فى الواقع الأملاك التى كانت تدين لوالده بالطاعة، فقد مثل على إحدى جدران هذا القبر الفرعون جالسا على عرشه، وقد نقش حول قاعدة هذا العرش أسماء أهالى واحات «لوبيا» وبلاد «كوش» وبلاد «فينيقيا» و «نهرين» و «سوريا» و بلاد «مالوص» (يحتمل أن تكون كليكيا الحالية) (راجع L. D. III, Pl. 63a. Petrie, "History", II, P. 157; Maspero. "The Struggle of the Nations", P. 292.) . هذا ونجد أنه قد أمر بإقامة لوحتين لتحديد أملاكه من جهة الشمال ومن جهة الجنوب فى السنة الرابعة من حكمه، واحدة عند أقصى حدوده فى «نهرين» والثانية عند أقصى حدوده فى الجنوب عند «كاراى» وأقامهما له «أمنحتب» مدير أعماله فى معابد الإله فى الجنوب وفى الشمال، وكاتب الفرعون «أمنحتب» (راجع Breasted, A. R. II. § 800.) فحاكى بهذا العمل والده «تحتمس الثالث» عند ما أقام لوحة على الضفة اليمنى[1] لنهر الفرات شمالا، وأخرى عند جبل «بركل» جنوبا .

---

(١) و بذلك يكون فراعنة الأسرة الثامنة عشرة قد أقاموا أربع لوحات عند «نهرين» واحدة أقامها «تحتمس الأول» واثنان أقامهما «تحتمس الثالث» وواحدة أقامها «أمنحتب الثانى» .

آثار أمنحتب الثانى الباقية

فى سوريا : لم يعثر للآن على لوحة « أمنحوتب » الثانى التى أقامها عند حدود ملكه الشمالى ، كما لم يعثر على لوحة أخرى من اللوحات التى أقامها الملوك الذين سبقوه فى هذه الجهة . وكل ماعثر عليه من آثاره فى سوريا هو مقبض إناء فى « تل الحسى » كتب عليه « قصر عاخبرورع » و « أمنحتب الثانى » (راجع Bliss, "A Mound of Many Cities", P. 89;) ووجد اسمه فى شبه جزيرة سينا (Petrie, "Researches in Sinai", P. 107; Gardiner and Peet, "Inscriptions of Sinai", Pl. IX, 206.) .

فى الدلتا : عثر له فى الدلتا على لوحة فى « منف » كما عثر له فى « ميدوم » على مجموعة جعارين ، وكذلك وجد اسمه فى مبان بطوخ فى مقبرة « ست ميرى » ؟ (راجع .Rec. Trav., XVI. P. 44) ، والظاهر أن هذا الفرعون قد بدأ بإقامة آثار فى بلدة الإلهة « باست » ربة القوة (بوبسطه) الزقازيق الحالية ، إذ نجد منظرين فى أحد مبانى المعبد يشاهد فيهما الفرعون « أمنحتب الثانى » يقدم قربانا للإله « آمون » ، وقد أصلح « سيتى الأول » ما أتلف منهما (راجع Naville, "Bubastis", P. 31, Pl. XXXV.) .

ولدينا نقش هام أمر بنحته هذا الفرعون فى محاجر « طرة » . وهذا النقش له أهمية عظيمة من الوجهة الدينية ، والوجهة التاريخية . ففى الجزء العلوى من اللوحة نجد منظرا يشاهد فيه الفرعون واقفا أمام صفين من الآلهة يبلغ عددهم ثلاثة عشر إلها وإلهة ، والظاهر أنهم قد ذكروا بترتيب عبادتهم كل فى جهته الخاصة به من « طيبة » حتى الدلتا الغربية ، وهم « آمون » و « حور » و « سبك » و « وبوات » و « حتحور أطفيح » و « باست » و « بتاح » و « أوزير »

---

(١) راجع : Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 34020.

(٢) راجع : Petrie, "Memphis", III. P. 36.

و « ختنخاتى » و « عشتارت » و « سلكت » و « حتحور آمو » والإلهة « وازيت »؛ ومن ثم نعلم أن « عشتارت » و « ختنخاتى » كانا يعبدان فى أعالى الدلتا. وأسفل هذا المنظر نجد المتن التالى: "السنة الرابعة فى عهد جلالة الملك « عاخبرو رع » ابن رع « أمنحتب الثانى » معطى الحياة .

لقد أمر جلالته بفتح منجم قطع الأحجار ثانية لاستخراج حجر عيان (الجيرى الأبيض) لبناء معابده المخلدة مئات السنين ، وذلك بعد أن وجد جلالته حجرات قطع الأحجار التى فى « طرة » قد بدأت تئول الى الخراب منذ العهد الذى كان قبله ، وان جلالتى هو الذى جددها لأجل أن يمنح الرضا والحياة مثل « رع » مخلدا .

وقد عملت بإشراف الأمير الوراثى ، والحاكم ، ومرضى الفرعون بحفظ آثاره والساهر على معابده ، والذى أقام لوحتين فى بلاد « نهرين » و بلاد « كاراى » ومدير أعمال معابد الآلهة فى الجنوب والشمال كاتب الملك « منحتب " (؟) (راجع Breasted, A. R. II. § 799 - 800 & Petrie "History". II. P. 157 & A. S. XI. P. 258.) ويحتمل أن العمد الثلاثة المغتصبة التى عثر عليها فى الإسكندرية هى لهذا الملك ولابد أنه قد أتى بها من مبانى الدلتا (راجع Rec. Trav., VII. P. 177.) أما فى مصر الوسطى فلم يعثر لهذا الفرعون على آثار ذات أهمية ، اللهم إلا أربعة جعارين من « غراب » (راجع Petrie, "Kahun" Pl. XXIII; Petrie, "Illahun", Pl. XXIII.) ووجد اسمه فى بلدة « نوبت » (بلاص الحالية) المقابلة لمدينة « ققط » على النيل على تعويذة ضخمة من الفخار المطلى فى المعبد (راجع South Kensington Museum London) ولا بد أن هذا الفرعون قد أقام فى معبد « المدمود » بعض مبان، إذ عثر له هناك على عمود من الجرانيت الأحمر (راجع Champollion, "Notices", II, P. 291.) .

وكذلك وجد له عتب باب هناك من الجرانيت الأحمر أيضا (راجع Rec. Trav. VII. P. 129.) .

وفى « دندرة » عثر له على قواعد وأوان مصنوعة فى صورة زهرة اللوتس من الفخار المطلى (راجع Petrie, "Dendereh", Pl. XXIII.) .

الكرنك . أقام «أمنحتب الثانى» مقصورة فى «الكرنك» كشف عن بعض بقاياها « بلجران » بالقرب من (البوّابة الخامسة) (راجع .A. S., V, P. 34) والأحجار الباقية من هذه المقصورة رسم عليها منظر يشاهد فيه « أمنحتب الثانى » يقود سبعين سجينا أسيويا للإله « آمون » ، وقد وجد معهم المتن التفسيرى التالى :

قائمة بتلك الأقطار التى ضرب جلالته أهلها فى وديانهم وقد جدلوا فى دمائهم ... لأجل أن يعطى الحياة مخلدا". ويلاحظ أن أربعة وعشرين سجينا ، صفوا صفين نقش معهم أسماء الأقاليم التى يمثلونها ، ولا يزال من المستطاع قراءة الأسماء الآتية من بينها : « رتنو العليا » ، « رتنو السفلى » ، « خارو » ، « قادش » ، «حلب» ، « نى » ، « ثنو » ، « قطنه » .

وفى « الكرنك » كذلك ينسب لهذا الفرعون بناء غريب الشكل كما يقول « بترى » ، (Petrie, "History", II. P. 158.) فقد بنى الجدار الشرقى الموصل للبوّابتين اللتين فى أقصى الجنوب ، وهما البوّابة العاشرة والبوّابة الحادية عشرة ، وأقام البناء الغريب الشكل الذى يوجد فى وسط هذا الجدار . ولما كان هذا البناء الأخير ليس بمعبد ولا قصر ، فقد ظن أنه قاعة حراسة أو مكان راحة للاحتفال أو قاعة مجلس . ويشبه هذا البناء قاعة عمد واجهتها فى الشمال الغربى ، وخلفها ردهة عظيمة مؤلفة من عشرين عمودا يكتنفها من الجهتين ثلاث حجرات متصل بعضها ببعض .

وقد أضاف «أمنحتب الثانى» على واجهة بوّابة «تحتمس الأوّل» (وهى البوّابة التاسعة) منظرين يمثلان ذبحه الأعداء (راجع L. D. III. Pl. 61; Champollion, "Notices", II P, 183.) .

وكذلك نلاحظ أن « سيتى الثانى » قد استعمل قطعا عدّة من الأحجار عليها اسم « أمنحتب » عند ما كان يعيد المبانى التى كانت أمام محرابه المصنوع من الجرانيت . وكذلك وجد له بقايا معبد جميل من المرمر الفاخر — كان قد أمر هذا الفرعون بإقامته فى معبد الكرنك — فى حشو (البوّابة) الثالثة التى أقامها « أمنحتب

الثالث» ، وقد نشر كثيرا من نقوشها المهندس « بلبيه» وكذلك «شفربيه» (راجع A. S. Vol. XXIII. (1923). Pl. VI, XXIV, (1924). Pl. I, X & XI, Vol. XXV. (1925). Pl. I. & IV. & Vol. XXVIII? P. 126.) .

وأقام هـذا الفرعون عمـدا فى الجزء الجنوبى من قاعة العمد التى أقامها « تحتمس الأول » وهى التى هدمتها « حتشبسوت » لتقيم مكانها مسلتها . وقـد ترك لنا نقشا هاما على عمود من العمد التى أقامها هذا الفرعون بين البوابتين الرابعة والخامسة ، وهذا المتن يصف لنا الثراء الذى أحرزه من حروبه : وهو :

السيادة العالمية : يعيش حور الثور القوى ، العظيم القوة ، محبوب الإلهتين : عظيم الثراء والذى خلق ليضىء فى « طيبة » حور الذهبى : الذى يقبض بسلطانه على كل الأراضى الإله الطيب ، مثيـل « رع » ، وبذرة « آتوم » الفـاخرة — ابن الذى أنجبه ، والذى أوجده ليضىء فى الكرنك . ولقد نصبه ليكون ملك الأحياء ، وليعمل ما عمـله حضرته ، وهو المنتقم له ، والباحث عن الأشياء الممتازة ، والعظيم المعجزات ، العبقرى فى المعرفة ، الحكيم فى التنفيذ ، المـاهر القلب مثل « بتاح » ؛ ملك الملوك ، وحاكم الحكام ، الشجاع المنقطع القرين ، رب الرعب بين سكان البلاد الجنو بيـة ، والعظيم الخوف حتى نهاية الشمال ، ومن تأتى اليه البلاد كلها منحنية ، ورؤساؤهم يحمـلون عطاياهم ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عاخبرووع » (أمنحتب الثانى) معطى الحياة ؛ السيد المظفر الذى يستولى على كل أرض ، ومن عظمه « حور » لقوته ، وأمراء « المتنى » يأتون اليـه ، وجزيتهم على ظهورهم ؛ راجين جلالته أن يمنحهم نفس الحياة الحلو . وهذه حادثة عظيمة لم يسمع بمثلها منذ زمن الآلهة ، وذلك أن هذه البلاد التى لم تعرف مصر ترجو الاله الطيب ، وأنه والدى « رع » الذى يأمر أن أفعـل ذلك ، وأنه هو مصـوّر جمالى ، وقد نصبنى لأكون حامى بلاده لعلمه بأنى سأقدمها له ، وأنه قد وهبنى ما معه ، وما تضىء عليه عين صـله ، وكل الأراضى ، وكل الممـالك ، وكل إقليم ، والدائرة العظيمة (المحيط) وكلها تأتى إلى خاضعة مثل كل فرد من رعايا جلالتى ، ابن الشمس « أمنحتب الثانى » ، الحاكم المقدس لطيبة ، العائش الخالد ، وهو الواحد اليقظ الذى أنجبته الآلهة » .

الإهداء : وقد عمله أثرا لوالده « آمون » فأقام له الأعمدة الفاخرة لحجرة المعبد الجنوبية مغشاة بالسام الغزير جدا لتخليده ، ولقد أقمت له أثرا فى ... ... وكان أجل ممـا سبقه ، وزدت عما كان من قبل ، ففقت ما عمله الأجداد ولقد نصبنى لأكون سيد الشعب ، وأنا لا أزال صبيا فى المهد ، ومنحنى نصفى البلاد ، وجعل جلالتى يتسلم العرش ، لأفعل كل جميل لوالدى . ولقد مكنت على عرشه ، وأعطانى الأرض ، ... وليس لى أعداء فى كل الأرض .

إعداد المعبد : وأقت له قدس أقداس من الذهب ، ورقعته من الفضة ، وصنعت له أوانى عدة ، وقــد كانت أكثر جمالا من النجوم ، وبيت ماليته كان يحتوى ذخائر من جزية كل إقليم ، وكانت مخازن غلاله طافحة بالحبوب النقية ، مشرفة على الجدران ، وأسست له القرب الإلهية ، وأصلحت أشياء من أنجبنى لأجل أن يعطى « رع » « أمنحتب الثانى » حاكم «هليوبوليس» المقدس الحياة والثبات ، والرضا مثل « رع » مخــلدا (راجع Breasted, A. R. II, §. 803 - 6; Dumichen, "Historische Inschriftens Altagyptischer Denkmaler"; (Leipzig, (1867), II, P. 38.).

معبد أمنحتب الثانى الجنازى : وقــد أقام « أمنحتب » لنفســه معبدا جنازيا فى جبانة « شيخ عبد القرنه » بالقرب من معبد «الرمسيوم» ، وقد أعاد نظام هذا المعبد الفرعون «أمنحتب الثالث» ليدفن فيه ابنه وزوجه «ست آمون». وقد عثر له على تمثال و بعض قطع من التى توضع فى الأساس فى مكان هذا المعبد . وقد بقى الترتيب التاريخى متبعا فى إقامة المعابد الجنازية لفراعنة هذه الأسرة حتى بنــاء معبد « أمنحتب الثانى » من الشمال إلى الجنوب ، وقــد كان « أمنحتب الأول » عند نهاية « ذراع أبو النجا » ثم يأتى معبد « تحتمس الأول » فالثانى ، وقد أقيما فى الدير البحــرى ، ثم « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثــانى » ، و « تحتمس الرابع » ، و « أمنحتب الثالث » ، وكلها يتبع بعضها بعضا فى سلسلة منظمة متجهة نحــو الجنوب حتى « كوم الحيطان » (راجع L. D, III, Pl. 62. & Petrie, "Six Temples at Thebes 1896", Pl. XXIII.) وقد عثر على موادّ أساس هذا المعبد (راجع A. Z, XXXVII. P. 143. & Rec. Trav. XIX, P. 88. & Petrie, "Six Temples" Pl. V.).

وفى أرمنت : عثر على بعض مناظر على قطع من الحجر ذكر عليها اسم هــذا الفــرعون . ومن بينهــا قطعــة رسم عليهــا القــارب المقدّس فى محــرابه ، وقد نقش عليه « أمنحتب الثانى » « إن قلبى فرح جدا لأنى تسلمت القربان » (راجع Mond, "Temples of Armant" (Text) P. 174.) . وقد عثر من قبل « بركش » على قطعة من الحجر عليها اسم هــذا الملك (راجع Petrie, "History", II, P. 159.)

كما وجدت فى لوحة نقش عليها الجزء الأعلى من نسـخة من لوحة « أمدا » وهى الآن « بمتحف فينا » (راجع A. Z. Vol. XL. P. 33.) . والجزء الأسفل منها محفوظ بمتحف القـاهرة (Breasted. A.R. II, § 790, note. g.) ، وقـد ذكر اسم هـذا الفرعون على جدران مقبرة « أماتو » (Baedeker, "Egypt", P. 258.) ، وقد جاء على لوحة « إلفنتين » زيادة عما جاء فى لوحة « أمدا » تشريعات خاصة بالأعياد المقدّسة هناك وهى :

السنة الرابعة : لقد أمر جلالته بعمل شرع (قلوع) لأجل سياحة أولئك الآلهة القاطنين فى « إلفنتين » ، على أن تكون شرعا كبيرة كل واحد منها طوله عشرة أذرع بدل أن كان الشراع من قبل صغيرا يبلغ طوله ثلاثة أذرع . وقد أمر جلالته بإضافة يوم لوالدته « عنقت » لعيدها النوبى عند سياحتها المسماة « بداية النهر » ، والمؤن هى : الخبز والجعة ، والثيران والأوز ، والخمر ، والبخور والفاكهة ، وكل شىء طيب وطاهر ، وهى جزية سنوية زيادة على ثلاثة أيام العيـد الاعتيادية ، لأجل أن يقام عيدها العظيم لأوّل الشهر من الفصل الثـالث ، مدّة أربعـة أيام ، ويبـقى مقاما وباقيـا ، ليعطى الحياة مخـلدا (راجع Breasted, A. R. II. § 798.) .

آثاره فى الفنتين : وفضلا عن اللوحة التى سلف ذكرها ، وهى التى وجد منها نسختان ، واحدة فى « أمدا » والثانية فى « أرمنت » توجد قطعة من الحجر يفهم مما جاء عليها أن الفرعون كان يقوم بأعمال التعمير والإصلاح فى معبد هـذه البلدة (راجع De Morgan, "Cat. Monuments" Vol. I. P. 115.)

وقد وجد اسم هذا الفرعون فى « سلسلة » (راجع Baedeker, "Egypt". P, 258.) .

وكذلك وصف لنا « بريس دفن » مسلة يحتمل أنها من هذه الجهة (Revue Arch. I, Ser. II, 2, P. 730.) .

وقد جاء اسم هذا الفرعون على جدران معبد الكاب (راجع A. S. VI, P.256)

وعثر له على مسلة صغيرة فى « أسوان » (راجع A. S. XXIII, P. 163.) .

وتوجد نقوش على صخور « أسوان » لكبير يدعى « خع ام واس » (L. D. III, pl. 63; De Morgan, "Cat. Monuments" I, P. 90,87,)

وكذلك يوجد نقش آخر لعبادة الفرعون والاسم مفقود(Ibid, I, P. 91, 103.) .

وفى «سهل» يوجد نقش لشخص يدعى «بانحى امون» يتعبد لاسم « أمنحتب الثانى » وهو موضوع على قاعدة (Ibid, I, P. 95, 160.) وفى جزيرة « بجه » بالقرب من «الفيلة» يوجد تمثال ضخم من الجرانيت فى صورة الإله « بتاح » وعليه اسم هذا الفرعون (راجع Champollion, "Notices", P. 160.) .

آثاره فى بلاد النوبة : وقد كانت أعمال التعمير فى عهد الفرعون قائمة على قدم وساق فى بلاد النوبة كما كانت فى عهد والده « تحتمس الثالث » ؛ ففى معبد « كلبشه » يشاهد فى الردهة الأمامية للعبد منظر يقدّم فيه الفرعون القربان للإله «مين» وللإله « مرو ترو — حور — رع » إله بلاد النوبة (راجع Champollion, bis. 1. "Monuments", P. 54.) .

وفى إبريم : يوجد محراب صغير منحوت فى الصخر وملون يشاهد فى أحد مناظره «أمنحتب» جالسا فى مقصورة وأمامه حامل مروحة من الريش ، وحامل مروحة آخر خلفه ، وخلف المقصورة تقف الإلهة « ساتت » ويأتى أمامها موكب من الرجال يقودون أسودا ، وكلاب صيد ، وذئابا ، ويمكن قراءة النقوش حتى الآن إذ تذكر لنا ١١٣ ذئبا (راجع Champollion, "Notices" I, P. 84; and Champollion, "Monuments". P. 39.) .

وفى منظر آخر يشاهد الفرعون يقدّم القربان للاله «خنوم» والإلهة « ساتت » والإلهة « عنقت » والإله « سبد » والإلهة « حتحور » والإلهة « نخبت » (راجع L. D. III, Pl. 63d.) .

أما فى معبد « أمدا » فتدل الأحوال على أن « أمنحتب » قد أتم نقش المعبد الذى كان العمل جاريا فيه فى عهد والده . وتشير النقوش إلى اشتراك[1] «أمنحتب» مع والده فى حكم البلاد مدة قصيرة . إذ نجد بابين على كل منهما طغراءا « تحتمس الثالث» وأمنحتب الثانى » ، مكتوبين معا (L. D. III, Pl.65, b, c.) فى حين أننا

(١) راجع موضوع اشتراك الملكين فى الحكم (J. E. A. Vol. 31. P. 27.) وما ذكرت من قبل

نرى اسم «أمنحتب الثانى» منفردا فى أماكن أخرى من المعبد (Ibid. d, e.)، وقد استمر العمل فى هذا المعبد حتى السنة الثالثة عند ما جاء الفرعون إلى بلاد النوبة، وأمر بإقامة اللوحة المشهورة التى تحدثنا عنها، وقدجاء فيها عن بناء هذا المعبد، وعن القرب التى خصصت لآلهته ما يأتى :

« إنه ملك قلبه ميال لمبانى كل الآلهة، لأنه يقيم مبانيهم، وينحت تماثيلهم، والقربان المقدسة التى ترفع من شأنه قد أسست للمرة الأولى من رغفان وجعة بغزارة، ودجاج بوفرة بمثابة قربان دائم لكل يوم، وماشية كبيرة وصغيرة فى مواعيدها بدون ... وقد أهدى البيت إلى سيده مجهزا بكل شىء من ثيران وعجول وماشية صغيرة، ودجاج يخطئه العد. وهذا المعبد ممون دائما بالرغفان والنبيذ. وقـد خصص الدخل للمرة الأولى لآبائه الآلهة ليراها الأهلون وليعرفها الكل.

إتمام المعبد : تأمل إن جلالته قد جعل المعبد الذى أقامه والده ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبررع » (تحتمس الثالث) لآبائه كل الآلهة، وقد أقامه من الأحجار ليكون عملا مخلدا. والجدران التى حوله من اللبن، والأبواب من خشب الأرز من أحسن نوع تنتجه جبال «لبنان»، ومداخل الأبواب من الحجر الرملى لأجل أن يبقى اسم والده العظيم ابن الشمس «تحتمس الثالث» فى هذا المعبد أبد الآبدين.

احتفال التأسيس : « مد جلالته هـذا الإله الطيب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سـيد الأرضين « عا خبر و رع » « أمنحتب الثانى » خيط القياس لكل الآباء (الآلهة)، وأقام للعبد بوابة من الحجر الرملى مقابلة لقاعة الحجرة المقدسة فى المثوى المفخم محاطة بعمد من الحجر الرملى بمثابة عمل خالد. وقد ... ... موائد عدة عليـها أوان من فضة و برنز وأعلام قربان (؟) ومواقـد وأوانى قربان وألواح تقدمة » (راجع Breasted, A.R, II. § 793 - 795.).

وفى « وادى حلفا » وجد فى المعبد المقام من اللبن عمد نقش عليها اسم «أمنحتب الثـانى » (راجع Champollion, "Monuments", P. 2. 7; MacIver and Woolley, "Buhen", P. 84, 89, 94, 103, 131.).

وفى معبد « قمة » عند الشلال الثانى كان العمل فى النقوش التى أمر بحفرها « تحتمس الثـالث » لا يزال مستمرا عند موته، إذ قـد ظهر اسمه فى حين نرى « أمنحتب الثانى » فى مناظر يقدم قربانا للإله « خنوم » و « سنوسرت الثالث » بوصفه إلها (راجع L. D. III, Pl. 64b, 66.).

وكذلك نجد هنا مدخل بابين أقامهما « أمنحتب الثانى » (L. D. III. Pl. 67.) .
وفى معبد «سمنه» نجد اسمه منقوشا فى المعبد (راجع Murray,, "Handbook" (1880) P. 545.) .

وفى جزيرة « ساى » (Sai) توجد بقايا معبد ينسب إلى عصر هذا الفرعون، (راجع Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai", P. 237.) وقد ذكر معبد «نباتا» عند الشلال الرابع فى نقوش لوحة « أمدا » بوصفه المكان الذى أعدم فيه أحد الأمراء السوريين السبعة الذين أعدموا فى « طيبة » وفى « نباتا » .

تماثيل أمنحتب الثانى : وجد لهذا الفرعون تماثيل ضخمة وأخرى صغيرة الحجم ، غير أن عددها كان قليلا بالنسبة لما عثر عليه لوالده « تحتمس الثالث » ، فمن التماثيل الضخمة وجد له واحد أقيم أمام البوّابة التاسعة فى «الكرنك» غير أنه وجد مهشما ، وهو منحوت من الحجر الجيرى الأبيض. وكذلك له جذع تمثال جميل هشم أنفه وذقنه ، عثر عليه فى « الكرنك » وهو الآن بالمتحف المصرى . والتمثال — الذى فى صورة مومية — ، الذى عثر عليه فى « بجه » بجوار « أسوان » نحت من الجرانيت الأحمر . وفى المتحف المصرى يوجد له تمثال فى صورة « أوزير » مصنوع من الجرانيت الرمادى ، وقد عثر عليه فى « القرنة » غير أنه مما يؤسف له قد ضاع رأسه (راجع Petrie History II. P. 161.) .

ووجد له ثلاثة تماثيل راكعة ، كل منها يحمل فى كلتا يديه إناء مستدير الشكل يقدّم فيه قربانا ، واحد منها فى « تورين » (راجع Lanzone, Catalogue of Turin", 1375) والتمثالان الآخران ، وهما أصغر من الأوّل محفوظان فى متحف « باريس » (راجع Cat. Sal. Hist. P. 11.) وفى متحف « برلين » (راجع L. D. III, Pl. 70.) .

وقد عثر عليهما فى «بنى نجع»، وهذا الوضع الفنى للتماثيل قد أدخله والده من قبله على الفن المصرى، وقد استعمل كثيرا فى مناظر المقابر التى من هذا العهد كما يشاهد فى إحدى مقابر « القرنة » (راجع L. D. III, Pl. 63, 64).

ووجد له تمثال مجاوب (راجع Budge, "Guide to the Egyptian Collection", P. 232.) وهو مصنوع من « الديوريت » ونقش عليه الفصل السادس من كتاب الموتى (Budge, "History", IV. P. 71.) .

وعثر له على لوحة فى « الأقصر » يشاهد عليها وهو يتعبد للإله « آمون » (Wiedemann, "Geschichte", P. 376.)، وكذلك يوجد له فى متحف «باريس» إناء وجد فى الأساس مصنوع من المرمر، عثر عليه فى « طيبة » (راجع Rec, Trav, XVI, P. 30.) كما عثر له على رأس (بلطة) هى الآن فى «المتحف البريطانى» (Budge, "Guide" P. 232.)، وكذلك عثر له على قطعة من البساط باسمه فى قبر « تحتمس الرابع » (راجع Carter and Newberry, "The Tomb of Thothmes IV ,, p. 143.)، وكذلك وجد له فى نفس هذا القبر أوان باسمه (راجع Ibid, P. 18.) وتوجد له بردية مؤرخة بالسنة الخامسة من حكمه اليوم التاسع عشر من برموده وتحتوى على مدائح « لأمنحتب » الثانى، ويقال فيها إن الإله « شاى » (الحظ) والإله « رننت » (الطعام) قد نشآه وعلماه (راجع Papyrus Rollin, 15, P. 23.) ومن المحتمل أن قطعة الرق التى فى « برلين » الخاصة بتأسيس المعبد الذى أقامه « سنوسرت » الأول فى « هليو بوليس » من عهد هذا الفرعون، وليست من عهد « أمنحتب الرابع » (راجع A. Z. XII, P. 86.) .

جعارين عهد « أمنحتب الثانى »: ظهرت فى جعارين هذا الفرعون وتعاويذه خواص جديدة لم تعرف فى جعارين العهود السابقة من فراعنة هذه الأسرة. إذ نجدها على شكل لوحات صغيرة بيضية الشكل مستوية السطح على كلا الجانبين مرسوم عليها صور، وقد كثر استعمال هذا الصنف من الجعارين فى هذا

العهد، والعهد الذى أعقبه، ثم نجده قد اختفى بعد ذلك . وقد كانت هذه الجعارين تستعمل فصوص خواتم لتلبس مسطحة على الأصبع ، وقد كان سبب اختفائها ظهور استعمال خواتم مؤلف كل منها من قطعة واحدة فى عهد «أمنحتب الثالث» .

وفى هذا العهد ظهر كذلك ثانية استعمال الحليات الرمزية القديمة، التى كانت تستعمل رمزا يعرف بها اسم صاحب الخاتم (راجع .Petrie, "Scarabs", 1097) .

وكذلك ظهر تقليدها الرخيص رسم عليه صف من الدوائر ذوات المركز الواحد . ومن خواص جعارين هذا العهد رسم صلين أو أربعة أو ستة حول الطغراء أو التعويذة كل منها فوق الآخر .

هذا وقد استعملت الجعارين لتدل على حوادث تاريخية بكتابة جمل عليها يقصد منها ذلك ، ويرجع هذا النوع من الجعارين للملكة « حتشبسوت » التى ابتدعته ، على ما يظهر كما سبق ذكره . ومن هذا الصنف الجعران الذى يحدثنا عن ولادة هذا الفرعون فى « منف » : " « أمنحتب الثانى » المولود فى « منف » " وكذلك الجعران الذى نقش عليه حادث إقامة مسلتين : " «أمنحتب الثانى» الذى أقيم له مسلتان فى معبد « آمون » " . (راجع .Petrie, "Hist. Scarabs", (1889) Pl. 36; Hall, "Scarabs", P. 161, No. 1634) .

وكذلك الجعران الذى نقش عليه : " « أمنحتب الإله الطيب الأسد على مصر رب القوة معطى الحياة مثل الشمس » " أو الذى دوّن عليه : " « أمنحتب » رب المفاخر فى بيت « آمون » " . ونقوش هذه الجعارين تدل على حوادث فى عهده لم نصل إلى كنهها . (راجع Petrie, "History", II, P. 162. Grenfell, "The Scarab Collection at Queen's College, Oxford." J. E. A. II. (1915) P. 228) .

وعثر له على جعارين فى « موسكو » الآن (راجع .J. E. A. (1915) P. 238) .

وكذلك عثر على جعران « لأمنحتب » وأمه «مريت رع حتشبسوت» (راجع Mariette, "Abydos", II, 40, N.) .

آثاره الأخرى : وتوجد آثار أخرى نقش عليها اسم هذا الفرعون منها :

(١) لوحة « نب وع » فى العرابة المدفونة (راجع Mariette, "Abydos" II. 33A.) .

(٢) تمثال راكع لكاهن الإله « انحور» فى « العرابة المدفونة » (Ibid, II, 372.)

(٣) مجموعة « لخاع أم واس » وزوجه فى « متحف الفاتيكان » (راجع Wiedemann, "Geschichte". P. 376.) ومن المحتمل أنه نفس الشخص الذى وجد له نقش على الصخر فى « سهل » .

(٤) لوحة للكاهن الثانى للفرعون « أمنحتب الثانى » المسمى « نفرحبتف » فى المتحف الانجليزى ، وكذلك مخروط له (Mission Arch. Franç., Caire. VIII, P. 277, 55.) .

(٥) وقطعة من تمثال من الجرانيت لقائد من قواد الفرعون «أمنحتب الثانى» (راجع Florence Museum Catalogue, F. 1504.) .

الملكة « تاعا » : ذكرت هذه الملكة على مجموعة باسمها ، واسم ابنها « تحتمس الرابع » وقد لقبت بالأم الملكية ، والزوجة الملكية ، مما يدل على أنها كانت أم « تحتمس الرابع » وزوج « أمنحتب الثانى » بطبيعة الحال . ولا يمكن أن تكون زوجة لأن أم « أمنحتب الثالث » معروفة باسم « موت مويا » كما أنه لا يمكن أن تكون أما ملكية أخرى زوج « تحتمس الرابع » . وهذا من الأهمية بمكان لأننا نجدها فى مقبرة « ثنونا » (Champollion, "Notices" P. 481.) وقد لقبت بالزوجة الملكية فقط ، وهى مرسومة مع « تحتمس الرابع » ، وقد كان المعتقد أنها كانت زوج الأخير ، وليست زوج والده « أمنحتب الثانى » كما هو الواقع . وقد ذكر ابنها « تحتمس الرابع » بوصفه ابن « أمنحتب الثانى» فى مقبرة « حور أم محب» (Mission Arch - Franç. V. 434.) .

وقد كشف حديثا عن بقايا تمثال للملكة « تاعا » فى معبد «أمنحتب الثانى» الذى وضعت فيه اللوحة العظيمة التى شرحناها فيما سبق، والظاهر أن هذا التمثال قد أهدته « تاعا » لزوجها « أمنحتب » بعد وفاته، والقطعتان اللتان عثر عليهما من هذا التمثال منقوشتان، وقد كرر عليهما ألقاب الملكة ، هذا فضلا عن سطر مهشم نقرأ فيه : " مقصيا عنى — ليته يُبعد عنى حزنى ... تاعا ، وليت إلهى المحلى يكون حاميا لى ، وليت زوجى يكون أمامى ، وليته يبعد عنى ... " الخ . والواقع أننا نجد بين الكتابات التقليدية التى نقرؤها فى هذا النقش عاطفة من الأحاسيس الإنسانية فى الكلمات التى تتضرع فيها الملكة للإله ليخلصها من أحزانها وآلامها . وقد عثر على قطعة من الخزف (استراكا) عرف منها أن الملكة « تاعا » هى بنت « تحتمس الثالث » ، وهذه الاستراكا محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» (راجع .Rec. Trav. XVI. P. 66).

وكذلك ذكرت بوصفها أم « تحتمس الرابع » على تمثال (راجع ,Legrain ‏"Statues" 42080.) .

وكذلك وجد اسمها على قطعة من إناء (راجع University College) ، وقد ذكر ابنها « تحتمس الرابع » فى مقبرة « حور محب » بأنه ابن « أمنحتب الثانى » (راجع .Mission Arch. Franç. V, P. 434) . وقد شوهدت أميرة على جحر « حور محب » على إحدى مناظر قبره تدعى « أمنمابت » غير أننا لا نعرف بنت من هى ؟ لأنه عاش فى عهد أربعة ملوك .

ومن المحتمل أن «أمنحتب» كان له ما يربى على خمسة أولاد لأننا نجد ممثلا على جدران قبر مربى «تحتمس الرابع» المسمى «حكرإن نحح» (.L. D. III. Pl. 69A) «تحتمس» وهو ولد صغير على حجر مربيه ومعه أولاد ملك آخرون. ومما يؤسف له أن أسماءهم كلهم كانت قد محيت قصدا ، وسنرى الأسباب التى دعت إلى ذلك عند الكلام على تولى « تحتمس الرابع » الملك بعد وفاة والده .

وقد توفى هذا الفرعون العظيم بعد أن حكم البلاد خمسا وعشرين سنة وعشرة أشهر كما يقول « مانيتون » وقد أكد لنا ذلك ما جاء على الآثار إذ عثر على إناء

نبيذ معتق مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم هذا الفرعون (راجع Petrie, "Six Temples", Pl. V.) .

وقد دفن « أمنحتب » فى وادى الملوك فى قبر نحت[1] فى الصخر لون سقفه باللون الأزرق ورصع بالنجوم الذهبية المتلألئة . وفى خلال الضجة التى قامت فى عهد « رعمسيس التاسع » عن سرقة قبور الملوك نهب قبره ، (راجع A. S. III, P. 115.) غير أن موميته قد بقيت نحو ثلاثة آلاف سنة تشاطر الملوك الآخرين حظهم إلى عام ١٨٩٨ م بعد أن نقلت جثثهم فى مقبرته فى هذه الأثناء ، ومن بينهم ابنه « تحتمس الرابع » وجده « أمنحتب الثالث » والفراعنة « سبتاح » « ومرنبتاح » ابن « رعمسيس الثانى » و « رعمسيس الرابع » ، ولكن بكل أسف كان نوما مزعجا لأن اللصوص قد اقتحموا القبر ونهبوا ما فيه من أثاث غال كرة أخرى ، وعند ما علم المسيو « لوريه » مدير المتحف المصرى وقتئذ من الأهالى بمكان هذا القبر فتحه ووجد فيه « أمنحتب الثانى » وضيفانه . وقبر هذا الفرعون يشبه كثيرا قبر « تحتمس الثالث » والده ، ولا يزال فى حالة جيدة جدا ، وجدرانه مزينة بصور عدة مجاميع من الآلهة ، وكذلك نقش على الجدران نسخة من الكتاب الجنازى العظيم المعروف باسم « كتاب ما يوجد فى عالم الآخرة » . وقد كانت مومية « أمنحتب الثانى » عند هذا الكشف لا تزال ثاوية[2] فى تابوتها المصنوع من الكوارتسيت (الحجر الرملى) (انظر لوحة رقم ٣٨) . وقد عثر معه على مجموعة تماثيل للإلهة « سخمت » و « أنوبيس » و « أوزير » و « حور » و « بتاح » الخ ، ومجموعة عظيمة من الأوانى المصنوعة من المرمر ، وكذلك على تعاويذ من كل نوع ، كما وجد معه قوسه الجبار الذى كان يفخر به ، وقد نقش عليه المتن

---

(١) راجع : Weigall, "Guide" P. 22.

(٢) راجع : Smith, "Royal Mummies", 61069.

(٣) راجع : A. Z., XXXVII, P. 65.

المشهور : " ضارب سكان الكهوف ، وهازم أهل الكوش ، ومخرّب مدنهم ... وجدار مصر العظيم وحامى جنوده " . وكذلك عثر على أوانى أحشائه ، وقد ترك جسم هذا الفرعون العظيم إرضاء لعاطفة كريمة أبداها بعض من يقدرون عظمة هذا الفرعون فى قبره الأصلى وفى تابوته الذى أودع فيه منذ القدم فلم ينقل إلى « متحف القاهرة » ، غير أن هذه المحاولة النبيلة لم تتوج بالنجاح على أية حال ، لأن اللصوص على الرغم من الحراسة التى كانت تقوم بها مصلحة الآثار قد اقتحموه فى نوفمبر سنة ١٩٠١ ، وقد عبث اللصوص بموميته عبثا مخزيا فى أثناء بحثهم عن الكنوز الموهومة التى كانوا يظنون أنها معه ، ولكن ظنهم قد خاب فلم يجدوا معه ما يشبع نهمهم . ومنذ هذا العهد ظل «أمنحتب» ينام فى تابوته نوما هادئا بقدر ما تسمح به الأحوال فى تلك الفترات التى كانت تنقطع فيها زيارات السائحين الذين كانت تستعرض لأنظارهم جثث الملوك العظام لإشباع رغباتهم الحقيرة ؛ مما لا يدل على حسن ذوق الذين فكروا فى هذه البدعة، ولا الذين استمروا فى العمل بها ، غير أن أولى الأمر قد فطنوا أخيرا بعد النقد اللاذع الذى وجهه إليهم العالم ، فأراحوا أولئك الملوك العظام من أعين النظارة الذين لا يبغون من وراء ذلك شيئا إلا حب الاستطلاع لا الموعظة الحسنة(راجع James Baikie, "History of Egypt", Vol. II, P. 159.) .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد أمنحتب الثانى

« قن آمون » : كان هذا الموظف الكبير أبا « لآمون أم أبت » المربية «لأمنحتب الثانى» ، وهى التى قد مثلت فى قبر ابنها ترضع أخاه من الرضاعة « أمنحتب الثانى » فيما بعد (Davies, "The Tomb of Kenamon", P. 19, Pl. IX.) . وألقاب « قن آمون » هى الآتية : الأمير الوراثى، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ومتكلم « حور » (الملك) ومحبوبه ، والمشرف على بقرات «آمون» الجميلة ، ومدير

البيت العظيم للفرعون . وقبر هذا الشريف قد نحت فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٩٣) . (راجع .Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 123ff) .

ومن المدهش أن الباحثين قد عثروا على بعض تماثيل مجاوبة له فى « شبرمنت » بالقرب من الجيزة . وقد وجدت مدفونة فى الرمال . ولم يعثر هناك على أثر دفن معها قط ولذلك فإن وجود هذه التماثيل فى هذه البقعة لم يفسر تفسيرا مقنعا حتى الآن (.A. S. : XIX. P. 145 & 149) ، وقد نقش على تماثيل المجاوبين هذه الألقاب التالية : أخو مرضعة رب الأرضين . والمشرف العظيم على البيت ، ووالد الإله ومحبوب الإله ، والمشرف على البقرات الجميلة ، المقترب من الإله الطيب ، والمشرف على ثيران « آمون » والمدير العظيم لدخل بيت الإله الطيب (؟) وحامل المروحة الخ ، والكاهن الثانى للإله « آمون » .

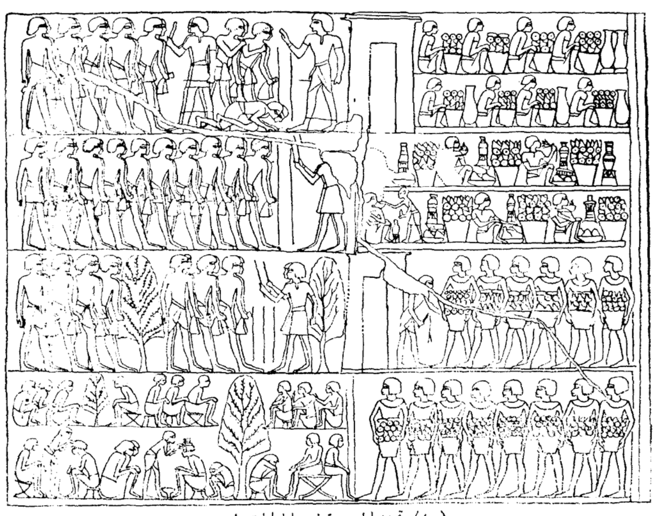
وقد كانت مقبرة « قن آمون » ذات شهرة عظيمة لما تحتويه من مناظر جميلة وأهمها ما يأتى : منظر فيه « أمنحتب الثانى » تحت مظلته الفخمة ذات السقف المزين بزخرفة بديعة . وقد جلس يتقبل هدايا السنة الجديدة المعروضة أمامه ويرى أمام الفرعون مباشرة تحفة من الذهب مرصعة بالأحجار الملونة على هيئة مجموعة من شجر الدوم يتسلق سيقانها قردة تجنى ثمارها ، وقد رصعت أوراقها بالأحجار الخضراء ، والثمار بأحجار حمراء ، (Davies, M. M. A. (1918) P. 33) وكذلك نشاهد فى مناظر هذا القبر بعض التماثيل الملكية فى محاريب تجرها زحافات وهذه كانت للفرعون « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الأول » والملكة « مريت رع حتشبسوت » زوج « أمنحتب الثانى » ، ويشاهد تمثال واقف للأخير فى سفينة الشمس ، وتماثيل أخرى له تمثله وهو راكع أو جالس أو فى صورة « بو الهول » . هذا إلى مجوهرات وأسلحة ودروع كالتى نشاهدها فعلا مما استخرج من مقبرة « توت عنخ آمون » ، وكذلك نرى مصوّرا له مرايا ومراوح وأثاث . وقد حفظ لنا فى منظر صيد مهشم صورة وعلٍ يهاجمه كلب صيد ، وتعدّ هذه الصورة من أدق

ما خلفه لنـا المصريون فى حسن التعبير وصدق التمثيل . ومن بين الدرر التى خلفها المصوّر المصرى فى هذا القبر صورة فتاة تضرب على القيثارة وهى بين أترابها كالبدر فى وسط النجوم (راجع .Wreszinski, "Atlas", Pl. 298) . ومما يسترعى النظر فى مقبرة هذا العظيم أن اسمه قـد محى من كل أرجاء المقبرة . ولم يفلت من الذين قاموا بهذا العمل إلا مرة واحدة .

«وسرحات» : كان « وسرحات » من أكابر رجال الدولة ويحمل الألقاب التالية : « كاتب الملك ، وطفل الرضاعة ، والمشرف على حسابات مدينـة الشمال ومدينـة الجنوب ، والحاجب الأوّل ، والمشرف على ماشية الإله « آمون » ، وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنه» (رقم٥٦) (.A. S. Vol. VI. P. 67) . ويحتوى على بعض مناظر تعبر عن بعض نواحى الحياة المصرية القديمة رسمت من غير كلفة أو مغالاة بل مثلت أمامنا الحوادث كما كانت تقع كل يوم . ومن بين هذه المناظر لوحة تمثـل « أمنحتب الثانى » وهو يشرف على تجنيد طائفة من الجنود ليقوموا بالخدمة فى سـاحة القتال ، وتوزيع جراياتهم عليهم . فنجد وقت الغداء قد حلّ ، وقدّمت مائدة الفرعون له على حدة ، وبيـده (بلطة) كما يجـدر بقائد جيش أن يمسك بيده . ونشاهد فى حجرة مجاورة ضباطه يتناولون غذاءهم ، أما عامة الجنود فكانوا مكتفين بوجبة متواضعة تحـوى خبزا وماء على الأقل ، أما الذين هم أرقى منهم فكان يقدّم لهم بالإضافة للخبز لحم ونبيذ مكان المـاء . ويشاهد الجنود فى الخارج وقد صفهم ضباطهم فى ساحة وكل منهم يحمل حقيبته ليضع فيها نصيبه من الخبز . على أن المجندين الأحداث لم يكونوا قد تلقوا دروسهم فى التدريب العسكرى ، ولذلك لم يكونوا صالحين للظهور فى صفوف فـرق الجيش بعد ، وقـد كانت شعورهم طويلة ، وكان لابدّ من حلقها ، ومن أجل ذلك نراهم قد جلسوا فى الساحة الخارجية ينتظر كل منهم دوره ليحلق شعره (انظر لوحة ٤٠ ص ٦٩٦) . وقد كان حلاقو الكتيبة يقومون بهذه العملية . وقد ظهر على وجوههم ملل الانتظار ،

وربما أعاد ذلك إلى ذاكرتهم كل ما يختلج فى نفوسهم من يأس وقنوط لتركهم أوطانهم إلى بلاد مجهولة قد لا يعودون منها قط ، وربما لن تسمح لهم الأحوال بالتمتع ببلادهم التى فارقوها عن قريب ، ونلاحظ أن أحد الجنود كاد يتفجر بالبكاء ، فيهدئ أحد رفاقه المرحين ما به من ألم بأن ربت بيده عليه . ونشاهد آخر يجد عزاءه فى أن يشاطر رفيقا له كرسيا بدون ظهر فيترك له الآخر حافة الكرسى ليجلس عليها وفى آن واحد يستعمل ظهر رفيقه سنادا يتكئ عليه .

أما المجند الذى يقوم له الحلاق بإصلاح شعره للمرة الأولى فى حياته فقد تحمل بصبر إجراء تلك العملية الشاقة فى نظره ، فيشاهد الحلاق عندما أراد أن يصلح من شعره الغزير قد ربط شعره الكثيف وأخذ فى صفه خصلة خصلة بفصل الشعر



(٤٠) تجنيد الجنود وتوزيع الجرايات عليهم

إلى غدائر صغيرة وجعلها تثبت على رأسه بوساطة نوع من الدهن . وهذا كان أول درس يتعلمه الجندى الجديد فى النظام الحربى ، وهو شىء محبب للضباط الذين كانوا يحتمون أن تظهر كل جنودهم بمظهر واحد ، غير أن الجندى كان لا يروقه هـذا النظام لانعدام حريته وشخصيته . حقا إن هذه الصورة قد رسمت بشكل خشن غير أن ذلك لم يخف ما تحويه من حياة فى باطنها . فإذا قرنا بين أولئك المجندين المحزونين وكل منهـم قد دفن تحت عبء من الهموم ، وبين فرق الجنـود المدربين الذين نشاهدهم فى أعلى الصورة القائمة يمشون فى صفين ليتسلموا جراياتهم من الخبز لوجدنا فى الحال الفرق بين الجنود القدامى والجدد (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 168; M. M. A. (1926); PP. 13, 14, fig. 11.) .

ولدينا منظر آخر نشاهد فيـه تسجيل المـاشية وكيها وهى المـاشية التى كان «وسرحات» مشرفا عليها للإله « آمون » ، كما نشاهد منظر صيد تنبعث منه الحياة والحركة ، وفيـة يطارد « وسرحات » بسرعة فائقة فى عربته حيوانات الصحراء المختلفـة ، ويلحظ أن جوادى عربة « وسرحات » قد مثـلا هنا بدقة عظيمة . وكذلك نجد فى قبره منظرا مزخرفا يمثله يصطاد هو وأسرته الطيور والبط فى البطاح (راجع Wreszinski, ibid, Pl. 183.) .

«رع» الكاهن الأول : كان «رع» يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون» فى معبد « تحتمس الثالث» المسمى «المعطى الحياة» ، وكذلك كان الكاهن الأول «لآمون» فى المعبد المسمى «زسرست» (الفاخر المكانة) . ويقع فى الجزء الجنوبى من جبانة «طيبة» ، وقد أقامه «تحتمس الثالث» لهذا الإله (Schafer, "Egypt. Insch. Mus. Berlin", II. P. 220; Gauthier. "Dict. Geog". II. P. 133.) ، وقبر هذا الكاهن يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٧٢) . وأهم منظر فى هذه المقبرة هو منظر صيد للفرعون « أمنحتب الثـانى » يشاهد فيـه وهو يطارد الحيوانات الوحشية ممتطيا عربته ومفوقا سهمه نحوها ، ورسم الفرعون فى هـذا المنظر شبه

فى تفاصيله المنظر الذى شاهدنا فيه نفس الفرعون يصوب سهامه نحو هدفه النحاسى ويرى فيه رسم « حور ادفو » محلقا فوق رأس الفرعون حاميا إياه ، كما يشاهد رمز الحياة « عنخ » قابضا بمظلة خلف جلالته . وكذلك نرى نعامات وسط الأعشاب المزهرة وفى وسط الطرق الصحراوية الملتوية وهى ترخى لسيقانها وأجنحتها العنان ، كما كانت كلاب الصيد تطارد وعلا وتحضره الخ . وكان فى ركاب الفرعون ثلة صغيرة من الجنود يحملون الأقواس والسهام والدروع والأعلام الحربية ، وفى عودته نشاهد رجالا يحملون الطراد التى أصابتها سهام الفرعون وأتت بها الكلاب .

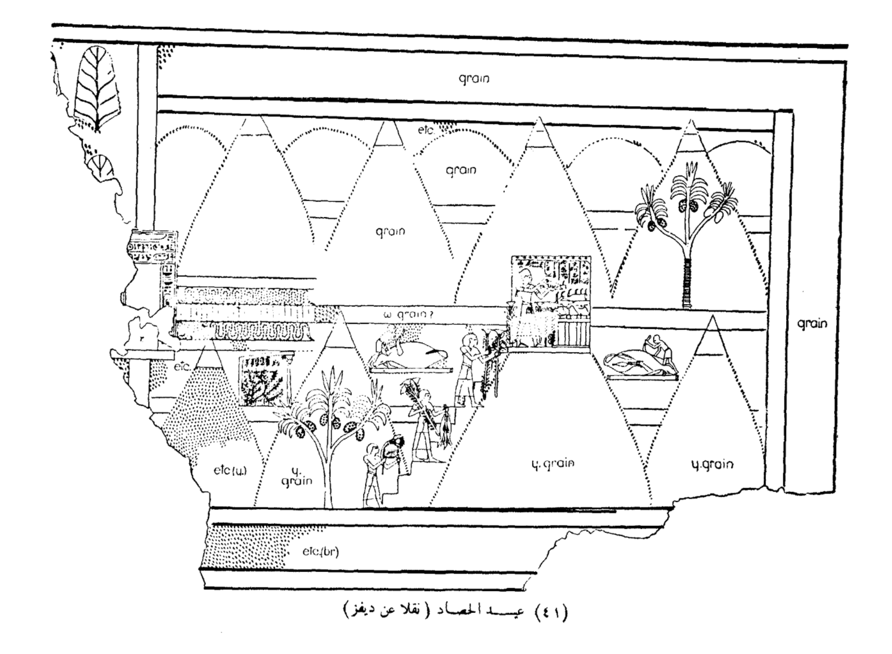
أما المتن الذى يفسر هذا المنظر فإنه مهشم ولكن يفهم منه أن مكان هذا الصيد والقنص كان على ما يظهر الضفة الغربية من النيل ، وأن ما غنمه الفرعون فى هذا اليوم يعدّ بالآلاف ، وقد أهداه الفرعون ضحية لمعبد والده الجنازى . ولما كان « رع » هذا هو الكاهن الأوّل لهذا المعبد كما ذكرنا فإن ذلك كان يعدّ من البراهين على وجود هذا المنظر فى هذه المقبرة . وهذه الصورة التى ظهر فيها « أمنحتب الثانى » تعدّ فريدة بين مناظر القبور الخاصة كما أنها من الصور التى تقدّم لنا برهانا جديدا على مهارة هذا الفرعون فى هذا الميدان ، فقد كان بطلا من أبطال الصيد ، كما كان من أعظم الملوك غراما بالرماية ، ومنقطع القرين فى إصابة الهدف (راجع Davies, M. M. A., (1935) P. 49, 50.) .

«سن نفر» : كان « سن نفر » من أصحاب المكانة العالية بين رجال الدولة فى ذلك العهد لما كان له من صلات أسرية ونفوذ بوظائفه الهامة التى كان يشغلها . فقد كان يحمل لقب الأمير الوراثى ، وعمدة المدينة الجنوبية (طيبة) ، والمشرف على مخازن غلال « آمون » ، والمشرف على ثيران « آمون » والمشرف على زرّاع أملاك « آمون » ووالد الإله ومحبوبه ، والمشرف على بقرات « آمون رع » الجميلة ، والمشرف على حقول « آمون » وقد كان أخو « سن نفر » عمدة المدينة

والوزير المسمى « آمون أم أبت » ، وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٢٩)
وكان « سن نفر » قد تزوج من ثلاث سيدات كنّ جميعا مرضعات ملكيات
وهن : « سناى » مرضعة الملك ، ولها تمثال عثر عليه فى « خبيئة الكرنك »
(Legrain, ibid, No. 42126) ثم « سن أم أعج » المرضعة العظيمة للفرعون
« أمنحتب الثانى » .(Rec. Trav. XX. P. 211 – 223) و « سنت نفر » مرضعة
الفرعون ومغنية «آمون» (Rec. Trav. ibid. P, 215.)، ومع كل ذلك كانت زوجه
المحببة إليه هى « مريت » إحدى مغنيات « آمون » وهى التى كانت ترسم معه
فى غالب الأحيان (Ibid. P. 220.)؛ ويعرف قبر « سن نفر » فى أيامنا هذه بقبر
العنب، ويقع فى « جبانة شيخ عبد القرنة » ، (رقم ٩٦)، ويرجع السبب فى هذه
التسمية إلى رسم كرم عنب على سقفه ، والجزء الأعلى من جدرانه ملون بألوان
جميلة. Rec. Trav. Ibid P. 211 – 223; XXI. P. 127 - 133, 137 - 149.
. & XXII. P, 83 - 97.

منظر عيد الحصاد : ويحتوى القبر كذلك على منظر كبير يظهر فيه مخزن
غلال الإله « امون » التى كان يشرف عليها « سن نفر » (راجع Davies M. M.
A. (1929) P. 41ff. fig. 8.) وهذا المخزن يشمل مساحة عظيمة مسورة يصل إليها
الإنسان من بوابة ضخمة نقش عليها ألقاب «أمنحتب الثانى» ، ويشاهد بعد المدخل
مباشرة سلم يصعد فيه إلى ممر مرتفع قد كدست الغلال على جانبيه فى أكوام
هرمية الشكل يدل عليها قمتها التى عملت على هيئة مثلث أسود اللون ليحاكى قطعة
البازلت التى تنتهى دائما فى قمة الهرم الأصلى . وهذا السلم يكتنفه شرفة نحت فيها
ثعابين ضخمة . ويلاحظ أنه يوجد على أكبر كومة فى هذا المنظر وهى التى يصل
إليها الإنسان بسلم طوار مثل عليه الفرعون « أمنحتب » يحرق بخورا . ويقدم
قربانا محروقا على مائدة قربان صغيرة ؛ كما يشاهد ثلاثة خدم يصعدون الى هذا
الطوار ليحضروا قربانا ، وكذلك يشاهد على كلا جانبى كومة الحبوب جزار يذبح

ثورا ، و بالقرب من المدخل المؤدّى إلى مخزن الغلال أقيم جوسق صغير يحتوى على جرار مزينة بأكاليل . وقد لوحظ وجود مناظر مثل هذا المنظر جميعه فى عدّة مقابر فى هذه الجبانة منها مقبرة « ماحو » (رقم ١٢٠) ومقبرة «خنمس» (رقم ٢٥٣) ومقبرة « أمنمحات سورر » (رقم ٤٨) . والآن كيف نستطيع أن نفسر سلسلة هذه المناظر المتكررة والتى على ما يظهر تمثل نفس الرواية فى الحياة القومية المصرية ؟ فالمخازن الضخمة هى بلا نزاع ملك ضياع الإله « آمون » ، وعلى ذلك يمكننا أن نخمن أن الفرعون يحتفل بشعائر عيد الحصاد ، وذلك بتقديم الشكر للإله « آمون » الذى أقيم فى مخازنه الضخمة الاحتفال بالعيد ، (انظر لوحة رقم ٤١) على أنه لدينا معلومات عن موضوع الحصاد وشعائره من مصادر أخرى . ففى مقبرة « خع أم حات » (رقم ٥٧) نشاهد صاحب المقبرة يقدّم قربانا محروقا للآلهة « رنوتت » التى مثلت فى صورة امرأة برأس حية جالسة على عرش ترضع طفلا هو إله الحبوب الصغير المسمى « نبرى » ويحمل اسم الملك الحاكم « أمنحتب الثالث » . وتقول النقوش المفسرة لهذا المنظر : « خع أم حات » يقدّم كل الأشياء الطيبة الطاهرة للإلهة « رنوتت » سيدة مخزن الغلال فى اليوم الأوّل من الشهر الأوّل من فصل الصيف (الشهر التاسع من السنة) وهذا اليوم هو يوم ولادة « نبرى » . و يلاحظ أنه فى القبور المعاصرة مثل مقبرة « أمنمحات سورر » (رقم ٤٨) وقبر « زسر كارع سنب » (رقم ٣٨) وسنتكلم عنهما فيما بعد ، أن صورة « رنوتت » مصحو بة بالتاريخ ، اليوم السابع والعشرون الشهر الثامن (وهو يوم الحصاد على حسب ما جاء فى مقبرة رقم ٣٨) . ومن ذلك نعلم أن عيد الحصاد لا بدّ كان يظل عدّة أيام . ففى اليوم الأول كانت تمسح الأراضى المزروعة قمحا بوساطة موظفين حتى يمكن تقدير المحصول ، وعلى حسب ذلك يجبى الخراج و بعد ذلك يضم القمح ، و يدرس ثم يذرى فى اليوم الأوّل من الشهر الجديد ويقدّم للآلهة الخاصة بالحصاد (راجع (J. E. A. Vol. VIII P. 236) وفى حالة الأفراد كانت الإلهة « رنوتت » بطبيعة الحال تتقبل الصلوات والدعاء فى أثناء عيد الحصاد ، ولكن لما كان هذا العيد يمس كل الأمة فلاحها



(٤١) عيـــد الحصاد (نقلا عن ديفز)

والفرعون وحكومتـه فقد كان من الضرورى أن يستعطف فى هـذه الحالة الإله الأعظم الذى يحكم العالم . ولذلك نرى فى قبر « سن نفر » كما نجد فى مقبرتى « ماحـو » و « خنمس » أن الإله الذى كان يقرب إليه هو « آمـون » . أما فى مقـبرة « أمنمحات سـورر » فلم يعين فيها الإله ، ولكن كون الفرعون يشاهد فيها يضحى فى مكان مكشوف وأمام نافذة مكشوفة يوحى بأن الإله المقترب إليه هو إله الشمس والشعيرة التى كان يؤديها الملك فى هـذه المناظر كانت شكرا للخالق لأجل الحصاد أو قربانا للإله « آمون » بمثابة نصيبه من الحصاد . كما يلحظ ذلك من الخراج الذى كان يحدّد له فى اليوم السابع والعشرين من الشهر الثامن ، ويحتمل وجود حفلات أخرى فى الأيام الثلاثة التالية التى تنتهى فى اليوم الرابع الذى يكون فى اليوم الأوّل من الشهر التاسع ، وهو اليوم الذى كان على ما يظهر يعد يوم ميلاد الملك الزراعى ، وبذلك كان يوجد الملك مع ابن آلهـة الحصـاد كما يوجد مع ابن الشمس فى السماء (المـلك) ؛ وهكذا كان الفرعون بوصفه ابن الإله « رع » وابن إله الحصاد يعـدّ وسيطا سريا لعطايا الشمس والأرض لأبناء مصر . ومما يؤسف له أننا لا نعرف أى حادثة من أسـطورة إله الشمس أو أسـطورة الإله « أوزير » تمثل لنا حوادث هـذا العيد ، غير أن الإعداد المتبع الذى يتخذ لإعداد هرم من القمح وهو عمل كان يتطلب عدّة أيام فى شغل متواصـل لتجهيزه يوحى بأنه كانت تقوم أحداث كثيرة أكثر مما دوّن أمامنا فى هذه المناظر السابقة .

وفى منظر آخر فى هذا القبر نشاهد هدايا أوّل السنة الفاخرة التى قدّمها « سن نفر » للفرعون ، إذ تقول النقوش عنها إن عمدة المدينة الجنوبية (طيبة) « سن نفر » محضر هـدية السنة الجديدة ، وهى بوّابة الأبدية ، ونهاية الزمن الخالد ، هذا إلى كل الأشياء المهداة الجميـلة التى قدمها لجلالته بمثابة بركة شاملة (راجع .Dàvies, M. M. A.)1928) P. 46. Fig. 6) .

والهدايا التى يقدّمها شبه الهدايا التى قدّمها « قن آمون » السابق الذكر ، غير أنها ليست عديدة مثلها .

«باسور» : كان « باسور » هذا رجل حرب ويحمل الألقاب التالية : رئيس الرماة لرب الأرضين، وطفل الرضاعة[1]، رئيس رماة جلالته، وتابع جلالته. والمقرب كثيرا من رب الأرضين، وقبره فى «جبانة شيخ عبد القرنة»، وقد مثل فيه وهو يقدم للفرعون طاقة أزهار (راجع Piehl, A. Z. Vol. XXI. P. 135. (12b,) & L. D, III. Pl. 274.) .

«مرى» : كان «مرى» من أكبر رجال الدولة فى عهد « أمنحتب » فقد كان يحمل الألقاب التالية : الكاهن الأكبر للإله «آمون» والأمير الوراثى، والمشرف على أرض الجنوب والد الإله فى المكان العظيم (؟)

وربما يرجع الفضل فى تقليده هذه المناصب العالية إلى أنه كان ابن المربية العظيمة لرب الأرضين المسماة « محناى » وتدل الكشوف الأثرية على أن هذا الكاهن كان له قبران اغتصب أحدهما من «آمون نزح» السالف الذكر (رقم ٨٤) فى «جبانة شيخ عبد القرنة»، والثانى فى هذه البقعة كذلك (رقم ٩٥، وهذا قد أقامه لنفسه (راجع Porter & Moss, ibid, I. P. 113 & 125.)، وفى القبر الأخير يشاهد ممثلا مع والدته يتقبل القربان، وفى منظر يشاهد موسيقيا كامل العدّة من آلات وراقصات (Champollion. "Monuments", cLXXV.)، وكذلك نشاهد فى قبره منظر صناعة العربات (Wreszinski, Pl. 307.)، وصناعة المعادن والأوانى فى مصانع الإله « آمون » (Ibid. Pl. 59.) .

«آمون أم أبت» : كان «آمون أم ابت» وزير الفرعون «أمنحتب الثانى» ويحتمل أنه هو الذى حل محل « رخ مى رع » بعد عزله، وقبره موجود فى جبانة شيخ عبد القرنة، وقد ذكر كذلك فى قبر أخيه « سن نفر » المشرف على غلال « آمون » (Porter & Moss ibid, I. 65, 66.)، وكان « آمون ام ابت » يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى والسمير الوحيد ، والقاضى لقلب سيده (؟) والمقترب إلى ملك الوجه القبلى فى القصر، الثابت الحظوة، والدائم الحب ، عمدة

(١) هذا اللقب كان يمنح لأولئك الأفراد الذين تربوا فى القصر الملكى أومع الملك نفسه فى صغرسنه .

المدينة، والوزير عمدة المدينة الجنوبية، ومدير بيت الفرعون « أمنحتب الأول » ومدير عبيـد الملك « تحتمس الأول » والمشرف على كهنة « أحمس نفرتارى » ، والكاهن الأكبر للإله « آمون » فى « الكرنك » (Weil "Viziere" P. 78 - 9) ، ويحتوى قبر «آمون ام ابت» على مناظر ونقوش تشبه مناظر الوزير « رخ مى رع » بما فيها صورة العصى التى قيـل عنها خطأ إنهـا إضمامات جلد نقش عليها القانون (راجـع رخ مى رع) ومعظم جدران مقبرته قـد نزعت عنهـا نقوشها ومناظرها (Davies, "Five Theban Tombs", P. 16. Note. 4.)؛ وممـا هو جدير بالذكر هنا أن هـذا الوزير كان يتقـلد وظائف جنازية فى مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشره .

« نب أم كمت» : كان هـذا الجندى من أتبـاع الفرعون الذين يسيرون فى ركاب سيدهم أينما ذهب برا وبحرا وفى كل الصحراوات. وكذلك كان يلقب المقترب العظيم لرب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، ورئيس الإصطبل ، وحامل المروحة وقبر هذا الجندى فى «الخوخة» رقم (٢٥٦) (راجع Porter and Moss, ibid, Pl. 161.) .

« سوم نوت» : كان هذا الموظف كذلك من خدم الفرعون الذين يسيرون فى ركابه ، ويحمل الألقاب التالية : تابع خطوات الفرعون فى كل أرض صحراوية فى الجنوب والشمال ، وساقى الفرعون ، طاهر اليدين . (Wreszinski, ibid. Pl. 295.) والظاهر أن معظم مناظر قبر هـذا الموظف كانت تنصب على تمثيل مهام عمـله بوصفه « ساقى الفرعون » ، إذ نشاهده يشرف على تحضير أنواع عدة من الشراب (راجع Ibid. 295-7.) .

وفى مشهد آخر نراه يعرض طعاما شهيا قـدّم على مائدة صـغيرة (راجع Ibid. Pl. 297.)، وكذلك يوجد منظر آخر لصيد الطيور والسمك فى البطاح ولكنه لم يتم ولا نزال نرى المربعات التى وضعت لإتمام المنظر على الجدار .

«تحوتى» : مدير بيت الكاهن الأول للإله «آمون»، وكاتب الملك، وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٤٥)، وقد اغتصبه شخص يدعى «تحوت ام محب» الذى كان يحمل لقب رئيس صناع الكتان الجميل (؟) لضياع «آمون»، ومن المحتمل أن الأخير عاش فى عهد «رعمسيس الثانى»، وقد وضع اسمه على صور صاحب المقبرة ومعظم مناظرها . وأهم منظر يسترعى النظر مشهد وليمة جلس إليها ضيفان، ويلحظ أن السيدات يقدّم بعضهنّ لبعض أزهارا لشمها فى حين نشاهد فتيات رشيقات يساعدنهنّ فى تجميل أنفسهنّ وتقديم النبيذ لهنّ (Porter and Moss, Ibid, P. 78; Wreszinski. ibid. Pl. 169.) .

«تحوتى نفر» : يمتاز قبر تحوتى نفر كاتب الفرعون بأنه يحتوى بعض مناظر شيقة للغزل والنسيج (Roth, "Ancient Egyptian and Greek Looms", P. 12. Fig. 9.)، وقبره فى جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ١٠٤) .

«وبن سنو» : هذا الأمير ابن الفرعون «أمنحتب الثانى» أى أنه كان أخا «لتحتمس الرابع» وفضلا عن لقبه ابن الفرعون من جسده، فإنه كان يحمل لقب المشرف على الخيل . (Gauthier L. R. II. P. 289 - 290.) ولا نزاع فى أن هذا اللقب الذى يحمله ابن ملكى يشعر بأنه كان يعد من الألقاب العالية فى الدولة .

فهرس الموضوعات

تمهيد

الدولة الوسطى

الأسرة الثالثة عشرة

عصر الهكسوس

فراعنة الأسرة السابعة عشرة

الأسرة الثامنة عشرة

الموظفون والحيـاة الأجتماعيـة فى عهد « امنحتب الأول »

الموظفون والحيـاة الأجتماعيـة فى عهد « تحتمس الأول »

الموظفون والحيـاة الاجتمـاعيـة فى عهـد « تحتمس الثانى »

حتشبسوت وتحتمس الثالث

الموظفون والحياة فى عهد «حتشبسوت»

«تحتمس الثالث» — انفراده بالحكم :

(١) يلاحظ أنه قد ذكر خطأ «تحتمس الأول» بدل تحتمس الثالث فى صفحة ٣٦٦

الوزير « رخ مى رع »

الأشكال الإيضاحية والخرائط

المصورات الجغرافية

فهرس الأعلام والآلهة والأماكن وغيرها

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(و)

الأسماء التى ذكرت فى هذا الفهرس هى الصحيحة ولذلك نلفت النظر لتصحيح الأخطاء التى حدثت فى صلب الكتاب على حسبها

مختصر المصادر الأفرنجية

List of Abbreviations

A. A. A. = "Annals of Archeology and Anthropology". (Liverpool, 1908 —).

A. A. S. O. R. = "Annual of the American Schools of Oriental Research". (New-York, 1920 —).

A. J. S. L. = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884 —).

Am. = Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln". (Leipzig, 1907—1915).

Arundale and Bonomi, "Gallery". = Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum". (London).

A. S. = Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901 —).

A. Z. = "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde". (Leipzig, 1863 —).

Baikie, "History". = Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).

B. A. S. O. R. = "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).

Benson and Gourlay, "Temple of Mut". = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).

B. I. F. A. O. = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901 —).

Birch, "Pottery". = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).

Bisson de la Roque, "Medamoud". = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).

Boeser, "Leyden". = Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums du Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908 — 1918).

Borchardt, "Statuen." = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privalueten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911 - 1925).

Breasted, A. R. = Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906 - 7)

Brugsch, "Thesaurus".=Brugsch, "Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum". (Leipzig, 1883 - 1891).

Brugsch, "Recueil". = Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865 - 1885).

Budge, "Guide". = Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).

Budge, "Sculpture". = Budge, " A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).

Budge, "The Book of Kings". = Budge, "The Book of the Kings of Egypt". (London, 1908).

Budge, "History". = Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices". = Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Champollion, "Letters". = Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).

Davis, "Tomb of Hatshepsut". = Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).

Evans, "Palace of Minos". = Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).

Fraser, Coll. = Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London. 1900).

Gardiner, "Onomastica". = Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford. 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai". = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gardiner and Weigall, "Catalogue". = Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes". (London, 1913).

Gauthier, "Dict. Geog". = Gauthier, "Dictionnaire des Noms Géographiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiques". (Cairo, 1925).

Griffith, "Kahun Papyri". = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (London, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs". = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum". (London, 1913).

Hall "Ancient History". = Hall, "The Ancient History of the Near East". (London, 1920).

J. E. A. = "The Journal of Egyptian Archaeology". (London, (1914 — 1947).

J. P. O. S. = "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923 —).

Lanzone, "Cat. Turin". = Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino".

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1849).

Legrain, "Statues". = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906 — 1914).

Legrain, "Repertoire". = Legrain, "Repertoire Geneologique et Onomastique du Museé Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).

Lepsius, "Auswahl". = Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Alterthums" (Leipzig, 1842).

Lepsius, "Letters". = Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).

Lieblien, "Dict. Noms". = Lieblien, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).

Macailister, "Gerza". = Macailister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).

Mariette, "Abydos". = Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).

Mariette, "Abydos II.". = Mariette, "Abydos. Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville". (Paris, 1869 - 1880).

Mariette, "Monuments". = Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).

Maspero, "Bib. Egypt". = Maspero, "Bibliotheque Egyptologique", XVII. (Paris, 1904).

Maspero, "Temples Immerges". = Maspero, "Les Temples Immergés de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909 - 1911.).

Maspero, "Guide". = Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales". = Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch". = Maspero, "Melanges d'Archeologie Egyptien".

Massi, "Description". = Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican". (Rome, 1891).

Mercer, "Amarna". = Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch". = Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq." = Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912 - 1926).

M. M. A. = "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Morgan (De), "Cat. Mon.". = Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna 1894 - 1909).

Murray, "Handbook". = Murray, "Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).

Newberry, "Timins Collection". = Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).

O. I. P. = "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications". (Chicago, 1924 —).

"Paintings". = Davies, "Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).

Petrie, "Scarabs". = Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).

Petrie, "Six Temples". = Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).

Petrie, "Illahun". = Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs". = Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).

Petrie, "History". = Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).

Petrie, "Season". = Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).

Petrie, "Kahun". = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).

Petrie, "H. I. C.". = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).

P. E. F. Q. S. = "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869 —).

Piehl, "Recueil". = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886 - 1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions". = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874 - 1878).

Porter and Moss, "Bibliography I". = Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter and Moss, "Bibliography II". = "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III". = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography V". = "Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879 — 1918).

R. E. A. = "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870 - 1923).

Rev d'Arch. = "Revue d'Archeologie".

Rouge (De), "Monuments". = Rouge (De), "Notice des Monuments Exposes dans la Galerie d'Antiquties Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931 —).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin". = Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, "Catalogue". = Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem". = Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen". = Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896-1917).

Sethe, "Urkunden IV,or **Urk. IV".** = Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906 — 1914).

Sethe, "Pyramidentexte". = Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908 - 1922).

Sethe, "Achtung". = Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten - Volker und Dinge auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos - Hist. Klass, 1926),

Sharpe, "Inscriptions". = Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837 - 1855).

W. B. = Erman and Grapow, "Worterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).

Weigall, "Guide". = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall, "History". = Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia". = Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia in 1906 - 1907". (Oxford, 1907).

Weil, "Veziere". = Weil, "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte".=Wiedemann, "Agyptische Geschichte". (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Agypt. Insc". = Wiedemann, "Kleinere · Inschriften aus der XIII-XIV Dynasie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes". = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". = Winlock, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).

Wreszinski, "Atlas". = Wreszinski, "Atlas zur Altagyptischen Kulturgeschichte", (Leipzig, 1923 — 1936).

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veroffentlichungen". (Leipzig, 1900 —).

٢٠٠٠/١٠٥٧٥

I.S.B.N. 977-01-6775-4

الهيئة المصرية العامة للكتاب

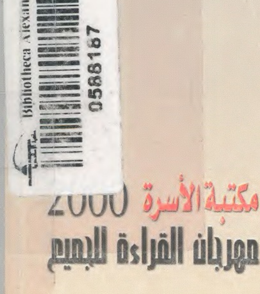




هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيمانًا منا بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى الكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة فى زمن الإبهارات التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء العام السابع من عُمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠) عنوانًا فى أكثر من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية فى عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لايبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك





الهيئة المصرية
العامة للكتاب

سعر رمزى
خمسة جنيهات